جامع السعادات

تأليف

العلامة النراقي

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

جلد ٣-١

بسم الله الرحمن الرحیم

جامع السعادات

کاتب:

ملا محمد مهدی نراقی

نشرت فی الطباعة:

اعلمی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

جامع السعادات

اشاره

سرشناسه : نراقی، مهدی بن ابی ذر، ق ۱۲۰۹ – ۱۱۲۸

عنوان و نام پدیدآور : جامع السعادات/ محمدمهدی النراقی؛ قدم محمدرضا المظفر؛ علق علیه محمدکلانتر

مشخصات نشر : بیروت.

مشخصات ظاهری : ج ۲

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه

شماره کتابشناسی ملی : ۱۲۶۰۳۰

ص :۱

المجلد ۱

[مقدمه محمد رضا المظفر]

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

حیاه المؤلف ۱۱۲۸-۱۲۰۹

اشاره

هو الشیخ الجلیل المولی(محمد مهدی بن أبی ذر النراقی)أحد أعلام المجتهدین فی القرنین الثانی عشر و الثالث عشر من الهجره،و من أصحاب التألیفات القیمه.و یکاد أن یعد فی الدرجه الثانیه أو الثالثه من مشاهیر علماء القرنین.

و هو عصامی لا یعرف عن والده(أبی ذر)إلا أنه کان موظفا فی الدوله الإیرانیه بوظیفه صغیره فی قریه(نراق)،و لولا ابنه هذا لذهب ذکره فی طیات التاریخ کملایین البشر من أمثاله،و لا یعلم ما إذا کان لشیخنا النراقی أخوه،و لکن له ولد نابه الذکر،هو المولی أحمد النراقی المتوفی ۱۲۴۴،صاحب(مستند الشیعه)المشهور فی الفقه،و صاحب التألیفات الثمینه،أحد أقطاب العلماء فی القرن الثالث عشر.و کفاه فخرا أنه أحد أساتذه الشیخ العظیم المولی مرتضی الأنصاری المتوفی ۱۲۸۱.

و لعل النراقی الصغیر هذا هو من أهم أسباب شهره والده و ذیوع صیته،لما وطئ عقبه و ناف علیه بدقه النظر و جوده التألیف.کما حذا حذوه فی تألیفاته.فان الأب المکرم ألف فی الفقه(معتمد الشیعه).

ص:۳

و الابن الجليل ألف مستندها.و ذاك ألف فی الأخلاق(جامع السعادات) -هذا الکتاب الذی نقدمه-و هذا ألف(معراج السعاده)فی الفارسیه.

و ذاک ألف(مشکلات العلوم)و هذا ألف(الخزائن)...و هکذا نسج علی منواله و أحکم النسج.

مولده و وفاته

ولد الشیخ المترجم له-رحمه اللّه تعالی-فی(نراق)کعراق (۱)، و هی قریه من قری کاشان بإیران،تبعد عنها عشره فراسخ.و کذا کانت مسقط رأس ولده المتقدم الذکر.و لم یذکر التأریخ سنه ولادته،و علی التقریب یمکن استخراجها من بعض المقارنات التأریخیه،فإنه تلمذ-فی أول نشأته علی ما یظهر-علی الشیخ المحقق الحکیم المولی إسماعیل الخاجوئی ثلاثین سنه،مع العلم أن أستاذه هذا توفی عام ۱۱۷۳،فتکون أول تلمذته علیه عام ۱۱۴۳ علی أقل تقدیر،إذا فرضنا أنه لازمه إلی حین وفاته.

و لنفرض علی أقرب تقدیر أنه قد حضر علیه و هو فی سن ۱۵ عاما، و علیه فتکون ولادته عام ۱۱۲۸،أو قبل ذلک.

أما وفاته فقد کانت عام ۱۲۰۹ فی النجف الأشرف،و دفن فیها، فیکون قد بقی بعد وفاه أستاذه الوحید البهبهانی سنه واحده،و یکون عمره ۸۱ عاما علی الأقل.

و فی(ریاض الجنه)المخطوط،تألیف السید حسن الزنوزی المعاصر للمترجم له-حسب نقل الأستاذ حسن النراقی-:أن عمره کان ۶۳ سنه، فتکون ولادته سنه ۱۱۴۶ ه.و هذا لا یتفق أبدا مع ما هو معروف فی

۱- ۱) و فی أعیان الشیعه-ج ۱۰ ص ۲۵۰-:انها بفتح النون.

تأريخه:أنه تلمذ على المولى إسماعيل الخاجوئى ثلاثين سنه،لأنه يكون عمره على حسب هذا التأريخ حين وفاه أستاذه ۲۷ سنه فقط.

نشأته العلميه و أساتذته

عاش شيخنا كما يعيش عشرات الآلاف من أمثاله من طلاب العلم:

خامل الذكر،فقير الحال منزويا فى مدرسته،لا يعرف من حاله إلا أنه طالب مهاجر،و لا يتصل به إلا أقرانه فى دروسه،الذين لا يهمهم من شأنه إلا أنه طالب كسائر الطلاب،يتردد فى حياه رتيبه بين غرفته و مجالس دروسه،ثم بعد ذلك لا ينكشف لهم من حاله إلا بزته الرثه التى ألفوا منظرها فى آلاف طلاب العلم،فلا تثير اهتمامهم و لا اهتمام الناس.

و بطبيعه الحال لا يسجل له التأريخ شيئا فى هذه النشأه،و كذلك كل طالب علم لا يسجل حتى اسمه ما لم يبلغ درجه يرجع إليه الطلاب فى التدريس،أو الناس فى تقليد،أو تكون له مؤلفات تشتهر.و من هنا تبتدئ معرفه حياه الرجل العالم،و تظهر آثاره و يلمع اسمه.

و مع ذلك،فإنا نعرف عن شيخنا:أن أسبق أساتذته و أكثرهم حضورا عنده هو المولى إسماعيل الخاجوئى المتقدم الذكر.و هذا الأستاذ كان مقره فى أصفهان،و فيها توفى و دفن،و الظاهر أنه لم ينتقل عنها حتى فى الكارثه التأريخيه المفجعه التى أصابتها من الأفغانيين الذين انتهكوها بما لم يحدّث التأريخ عن مثلها،و ذلك سنه ۱۱۳۴.فتكون نشأه شيخنا المترجم له العلميه فى مبدأ تحصيله فى أصفهان على هذا الشيخ الجليل.و الظاهر أنه عليه قرأ الفلسفه،لأن هذا الشيخ من أساتذه الفلسفه المعروفين الذين تنتهى تلمذتهم فى ذلك العصر إلى المولى صدر الدين الشيرازى صاحب الأسفار.

و كفى أن من تلاميذه المولى محراب،الإلهى المعروف،الذى طورد لقوله

بوحده الوجود،و لما جاء إلى إحدى العتبات المقدسه متخفيا.وجد فى الحرم شيخا ناسكا يسبح بلعن ملا صدرا و ملا محراب،و لما سأله عن السبب فى لعنهما قال:لأنهما يقولان(بوحده واجب الوجود)،فقال له ساخرا:

إنهما حقا يستحقان منك اللعن! و درس أيضا شيخنا المترجم له-و الظاهر أن ذلك فى أصفهان أيضا- على العالمين الكبيرين:الشيخ محمد بن الحكيم العالم الحاج محمد زمان، و الشيخ محمد مهدى الهرندى.و هما من أساتذه الفلسفه على ما يظهر.

و لا شك أنه انتقل إلى كربلاء و النجف،فدرس على الأعلام و الثلاثه:

الوحيد البهبهانى الآتى ذكره-و هو آخر أساتذته و أعظمهم،و تخريجه كان على يديه-و الفقيه العالم صاحب الحدائق الشيخ يوسف البحرانى المتوفى ۱۱۸۶،و المحقق الجليل الشيخ مهدى الفتونى المتوفى ۱۱۸۳.

فجمله أساتذته سبعه،سماهم ولده فى بعض إجازاته على ما نقل عنه ب(الكواكب السبعه).و هم خيره علماء ذلك العصر،و على رأسهم الآفاه الوحيد أستاذ الأساتذه.

و لما فرغ هذا الشيخ من التحصيل فى كربلاء رجع إلى بلاده و استقام فى كاشان.و هناك أسس له مركزا علميا تشد إليه الرحال،بعد أن كانت كاشان مقفره من العلم و العلماء،و استمرت بعده على ذلك مركزا من مراكز العلم فى إيران،و ليس لدينا ما يشير إلى تأريخ انتقاله إلى كاشان.

و رجع إلى العراق،و توفى فى النجف الأشرف و دفن فيها.و الظاهر أن مجيئه هذا كان-و كان معه ولده-بعد أستاذه الوحيد،جاء لزياره المشاهد المقدسه فتوفى،أما ولده فقد بقى بعده ليدرس العلم على أعلامه يومئذ،كبحر العلوم،و كاشف الغطاء.

عصره

یمضی القرن الثانی عشر للهجره علی العتبات المقدسه فی العراق،بل علی أکثر المدن الشیعیه فی إیران التی فیها مرکز الدراسه الدینیه العالیه -کإصفهان و شیراز و خراسان-و تطغی فیه ظاهرتان غریبتان علی السلوک الدینی:الأولی:النزعه الصوفیه التی جرّت إلی مغالاه فرقه الکشفیه.

و الثانیه:النزعه الأخباریه.

و هذه الأخیره خاصه ظهرت فی ذلک القرن قویه مسیطره علی التفکیر الدراسی،و تدعو إلی نفسها بصراحه لا هواده فیها،حتی أن الطالب الدینی فی مدینه کربلا خاصه أصبح یجاهر بتطرفه و یغالی،فلا یحمل مؤلفات العلماء الأصولیین إلا بمندیل،خشیه أن تنجس یده من ملامسه حتی جلدها الجاف،و کربلا یومئذ أکبر مرکز علمی للبلاد الشیعیه.

و فی الحقیقه أن هذا القرن یمر و الروح العلمیه فاتره إلی حد بعید،حتی أنه بعد الشیخ المجلسی صاحب البحار المتوفی فی أول هذا القرن عام ۱۱۱۰، لم تجد واحدا من الفقهاء الأصولیین من یلمع اسمه و یستحق أن یجعل فی الطبقه الأولی،أو تکون له الرئاسه العامه،إلا من ظهر فی أواخر القرن کالشیخ الفتونی الجلیل فی النجف المتوفی ۱۱۸۳،ثم الشیخ آقا الوحید البهبهانی فی کربلا المتوفی ۱۲۰۸،الذی تم علی یدیه تحول العلم إلی ناحیه جدیده من التحقیق.

و هذا الفتور العلمی،و طغیان نزعه التصوف من جهه،و نزعه الأخباریه من جهه أخری فی هذا القرن بالخصوص،مما یدعو إلی التفکیر و العجب،و لیس بأیدینا من المصادر ما یکفی للجزم بأسباب ذلک.و أغلب الظن أن أهم الأسباب التی نستطیع الوثوق بها هو الوضع السیاسی و الاجتماعی

اللذان آلت إليهما البلاد الإسلاميه فى ذلك القرن،من نحو التفكك و اختلال الأمن فى جميع أطراف البلاد،و الحروب الطاحنه بين الأمراء و الدول، لا سيما بين الحكومتين الإيرانيه و العثمانيه،و بين الإيرانيه و الأفغانيه،تلك الحروب التى اصطبغت على الأكثر بصبغه مذهبيه.و هذا كله مما يسبب البلبله فى الأفكار و الاتجاهات،و ضعف الروح العامه المعنويه.

فأوجب ذلك من جهه ضعف ارتباط رجال الدين بالحياه الواقعيه، و السلطان الزمنيه.و يدعو ذلك عاده إلى الزهد المغالى فى جميع شئون الحياه،و اليأس من الإصلاح.فتنشأ هنا نزعه التصوف،و تتخذ يومئذ صرحا علميا على انقاض الفلسفه الإشراقيه الإسلاميه المطارده المكبوته، التى سبق أن دعا لها أنصار أقوياء،كالمولى صدر الدين الشيرازى المتوفى عام ١٠٥٠،و أضرابه و أتباعه،مع المغالاه فى أفكارها.و ساند طريقه التصوف مبدئيا أن السلطه الزمنيه فى إيران-و هى(سلطه الصفويين)- قامت على أساس الدعوه إلى التصوف.و ظلت تؤيدها و تمدها سرا.

و من جهه أخرى يحدث رد فعل لهذا الغلو،فينكر على الناس أن يركنوا إلى العقل و تفكيره،و يلتجأ إلى تفسير التعبد بما جاء به الشارع المقدس بمعنى الاقتصار على الأخبار الوارده فى الكتب الموثوق بها فى كل شىء و الجمود على ظواهرها.ثم يدعو الغلو بهؤلاء إلى ادعاء أن كل تلك الأخبار مقطوعه الصدور على ما فيها من اختلاف.ثم يشتد بهم الغلو.

فيقولون بعدم جواز الأخذ بظواهر القرآن وحده،من دون الرجوع إلى الأخبار الوارده.ثم ضربوا بعد ذلك علم الأصول عرض الجدار،بادعاء أن مبانيه كلها عقليه لا تستند إلى الأخبار،و العقل أبدا لا يجوز الركون اليه فى كل شىء،ثم ينكرون الاجتهاد و جواز التقليد.و هكذا تنشأ فكره الأخباريه الحديثه التى أول من دعا إليها أو غالى فى الدعوه إليها المولى

أمین الـدین الأسترابـادی المتوفی ۱۰۳۳.ثـم یظهر آخر شـخص لهـذه النزعـه له مکـانته العلمیه المحـترمه فی الفقه هـو صـاحب الحدائق المتقدم ذکره.و هذا الثانی-و إن کان أکثر اعتدالا من الأول و أضـرابه-کاد أن یتم علی یدیه تحول الاتجاه الفکری بین طلاب العلم فی کربلا إلی اعتناق فکره الأخباریه هذه.

و عنـد مـا وصـلت هـذه الفکره الأخبـاریه إلی أوجهـا،ظهر فی کربلاـء علم الأعلام الشـیخ الوحیـد الآقا البهبهانی،الـذی قیل عنه بحق:مجـدد المذهب علی رأس المائه الثالثه عشـره.فإن هذا العالم الجلیل کان لبقا مفوها و مجاهدا خبیرا،فقد شن علی الأخباریه هجومـا عنیفـا بمؤلفـاته،و بمحاججـاته الشـفویه الحـاده مع علمائها-و قـد نقل فی بعض فوائـده الحائریه و رسائله نماذج منها- و بدروسه القیمه التی یلقیها علی تلامذته الکثیرین الذین التفوا حوله،و علی یدیه کان ابتداء تطور علم الأصول الحدیث،و خروجه عن جموده الذی ألفه عده قرون،و اتجه التفکیر العلمی إلی ناحیه جدیده غیر مألوفه.

فانکمشت فی عصـره النزعه الأخباریه علی نفسها،و لم تستطع أن تثبت أمام قوه حجته.و تخرّج علی یدیه جماعه کبیره من أعلام الأمه، کبحر العلوم،و کاشف الغطاء،و المحقق القمی،و الشیخ النراقی-المترجم له- و أشباههم.

فیبرز شـیخنا المترجم له فی عنفوان المعرکه الأخبـاریه و الأـصولیه، و ساحتها کربلا،و فی عنفوان معرکه الـدعوه إلی التصوف،و ساحتها أصـفهان علی الأکثر،فیکون أحـد أبطال هاتین المعرکتین،بل أحـد القواد الـذین رفعوا رایه الجهاد بمؤلفاته و تدریسه،و ساعده علی ذلک أنه-رحمه اللّه- کان متفننا فی دراسه العلوم،و لم یقتصر علی الفقه و الأصول و مقدماتهما، فقد شارک العلوم الریاضیه،کالهندسه و الحساب و الهیئه،و له مؤلفات فیها

سيأتى ذكرها.كما درس الفلسفه،و يظهر أثر تضلعه فى الفلسفه فى كتابه هذا(جامع السعادات)،لا سيما فى الباب الأول،و فى تقسيمه لأبواب الكتاب و فصوله على أساس علمى متقن برّز فيه على كتاب الأخلاق السابقه عليه من هذه الناحيه.و سيأتى بيان ذلك.

كما أن تأليف لهذا الكتاب بشعرنا بأمرين:

(الأول)طغيان التصوف من جهه،و طغيان التفكك الأخلاقى عند العامه من جهه أخرى،و أنهما هما اللذان ألجآه إلى أن يرشد الناس إلى الاعتدال فى السلوك الأخلاقى المستقى من منابعه الشرعيه،فإنه فى الوقت الذى يبنى كتابه على مبادئ الفلسفه الإشراقيه،حارب فيه من طرف خفى نزعه التصوف،و جعل آراءه و دعوته إلى الأخلاق على أساس الذوق الإسلامى الذى يتمثل فى الأحاديث النبويه و ما جاء عن آل البيت-عليهم السلام- فهو فى وقت واحد هادم و بان،و بهذا يختلف كتابه عن مثل(إحياء العلوم) الذى يعتمد بالدرجه الأولى على الروح الصوفيه،و هى غايته المثلى.

و(الثانى)من الأمرين حسن اختيار صاحب الترجمه،فإنه لم يسبقه أحد من علماء الإماميه-بعد خريت هذه الصناعه ابن مسكويه المتوفى ۴۲۱، و الشيخ المولى محسن الفيض المتوفى ۱۰۹۱-الى تأليف كتاب كامل فى الأخلاق مبنى على أساس علمى فلسفى موجود بين أيدينا.

شخصيه المترجم له و أخلاقه

إن أعاظم الناس و نوابغهم لا تأتيهم العظمه و النبوغ عفوا و مصادفه، من دون قوه كامنه فى شخصيتهم أو ملكه راسخه فى نفوسهم،هى سر عظمتهم و تفوقهم على سائر الناس.و ما كلمه الحظ فى هذا الباب إلا تعبير مبهم عن تلك القوه التى أودعها اللّه تعالى فى شخص النابغه.و قد تكون

تلك القوه مجهوله حتى لشخص صاحبها الذى يتحلى بها،بل على الأكثر هى كذلك،فيندفع العبقرى إلى تلك القمه التى خلقت له أو خلق لها بدافع تلك القوه الكامنه اندفاعا لا شعوريا،و إن أعماله الجزئيه التى يقوم بها هى شعريه بمحض اختياره.

و تلاحظ قوه شخصيه شيخنا المترجم له فى صبره و قوه إرادته و تفانيه فى طلب العلم،ثم عزه نفسه،و إن كانت هذه الفاظا عامه قد يعبر بها عن كثير من الناس،و يصح التعبير بها بلا كذب و لا خداع،إلا أن للدرجه الخاصه من الصبر و الإراده و الحب و العزه و نحوها التى بها يمتاز الشخص النابغ تضيق اللغه عن التعبير عنها بخصوصها إلا بهذه الألفاظ العامه الدارجه و تظهر الدرجه الخاصه التى يختص بها صاحبنا من هذه الأمور فى ثلاث حوادث منقوله عنه:

(الأولى)-فيما ينقل أنه كان فى أيام التحصيل فى غايه الفقر و الفاقه -و الفقر دائما شيمه العلماء،بل هو من أول شروط النبوغ فى العلم، و هو الذى يصقل النفس فيظهر جوهرا الحقيقى-فكان صاحبنا قد تشتد به الفاقه فيعجز عن تدبير ثمن السراج الذى لا يتجاوز فى عصره عن أن يكون من زيت أو شمع،فيدعوه حرصه على العلم إلى الدخول فى بيوت فى مراحيض المدرسه،ليطالع على سراجها،و لكنه تأبى عزته أن يدع غيره يشعر بما هو فيه،فيوهم الداخلين-بالتنحنح-أنه جالس للحاجه الخاصه.و تتجلى فى هذه الحادثه الصغيره عزه نفسه و قوه إرادته و صبره على طلب العلم بدرجه غير اعتياديه إلا للنوابغ الأفذاذ.

(الحادثه الثانيه)-أن أحد الكسبه الذى كان حانوته فى طريق المدرسه بكاشان التى كان يسكنها هذا الطالب النراقى،أن هذا الكاسب المؤمن لاحظ على هذا الطالب انه رث الثياب.و كان معجبا به،إذ كان

يشترى منه بعض الحاجيات كسائر الطلاب،فرأى أن يكسبه تقربا إلى اللّه فهيأ له ملبوسا يليق بشأنه،و قدمه له عند ما اجتاز عليه،فقبله بإلحاح.

و لكن هذا الطالب الأبى فى اليوم الثانى رجع إلى رفيقه الكاسب و ارجع له هذا الملبوس قائلا:إنى لما لبسته لاحظت على نفسى ضعه لا أطيقها، لا سيما حينما اجتاز عليك،فلم أحد نفسى تتحمل هذا الشعور المؤلم،و ألقاه عليه و مضى معتزا بكرامته.

(الحادثه الثالثه)-فيما ينقل عنه أيضا-و هى أهم من الأولى و الثانيه-أنه كان لا يفض الكتب الوارده إليه،بل يطرحها تحت فراشه مختومه،لئلا يقرأ فيها ما يشغل باله عن طلب العلم.و الصبر على هذا الأمر يتطلب قوه إراده عظيمه ليست اعتياديه لسائر البشر.و يتفق أن يقتل والده(أبو ذر)المقيم فى نراق وطنه الأصلى،و هو يومئذ فى أصفهان، يحضر على أستاذه الجليل المولى إسماعيل الخاجوئى،فكتبوا إليه من هناك بالنبإ ليحضر إلى نراق،لتصفيه التركه و قسمه المواريث و شئون أخرى، و لكنه على عادته لم يفض هذا الكتاب،و لم يعلم بكل ما جرى.و لما طالت المده على من فى نراق،كتبوا له مره أخرى،و لكن لم يجبهم أيضا.و لما يئسوا منه كتبوا بالواقعه إلى أستاذه المذكور ليخبره بالنبإ و يحمله على المجىء.و الأستاذ فى دوره-على عاده الناس-خشى أن يفاجئه بالنبإ،و عند ما حضر مجلس درسه أظهر له-تمهيدا لإخباره-الحزن و الكآبه،ثم ذكر له:أن والده مجروح،و رجح له الذهاب إلى بلاده و لكن هذا الولد الصلب القوى الشكيمه لم تلن قناته،و لم يزد أن دعا بالعافيه،طالبا من أستاذه أن يعفيه من الذهاب.و عندئذ اضطر الأستاذ إلى أن يصرح له بالواقع،و لكن الولد أيضا لم يعبأ بالأمر،و أصر على البقاء لتحصيل العلم.إلا أن الأستاذ هذه المره لم يجد بدا من أن يفرض

علیه السـفر،فسافر امتثالا لأمره المطاع،و لم یمکث فی نراق أکثر من ثلاثه أیام،علی بعـد الشـقه و زیاده المشـقه،ثم رجع إلی دار هجرته.و هـذه الحادثه لها مغزاها العمیق فی فهم نفسیه هـذا العالم الإلهی،و تـدل علی اسـتهانته بالمال و جمیع شـئون الحیاه فی سبیل طلب العلم.

مؤلفاته

اشاره

لشـیخنا المترجم له عده مؤلفات نافعه،تدلّ علی قابلیه فی التألیف و صبر علی البحث و التتبع،و علی علم غزیر.و نحن نعدّ منها ما وصل بحثنا إلیه،و أکثر اعتمادنا فی تعدادها و بعض أوصافها علی کتاب(ریاض الجنه)المذکور فی مصادر هذه الطبعه:

(فی الفقه):

۱-(لوامع الأحکام فی فقه شـریعه الإسـلام):و هو کتاب اسـتدلالی مبسوط،و قـد خرج منه کتاب الطهاره فی مجلـدین یقرب من (۳۰)ألف بیت.

۲-(معتمد الشـیعه فی أحکام الشریعه):هو أتم استدلالا و اخصر تعبیرا من کتاب اللوامع السالف الذکر،خرج منه کتاب الطهاره و نبذ من الصلاه و الحج و التجاره و القضاء.قال فی الروضات عن الکتابین:

«ینقل عنهما ولده المحقق فی المستند و العوائد کثیرا».

۳-(التحفه الرضویه فی المسائل الدینیه):فی الطهاره و الصلاه، فارسی،یقرب من(۱۰)آلاف بیت.

۴-(أنیس التجار):فی المعاملات،فارسی،یقرب من(۸) آلاف بیت.

۵-(أنیس الحجاج):فی مسائل الحج و الزیارات،فارسی،یقرب

من(۴)آلاف بیت.

۶-(المناسک المکیه):فی مسائل الحج أیضا،یقرب من ألف بیت.

۷-(رساله صلاه الجمعه):ذکرها و ما قبلها حفیده(الأستاذ حسن النراقی)فی رسالته لنا.

(فی أصول الفقه):

۸-(تجرید الأصول):مشتمل علی جمیع مسائل الأصول مع اختصاره،یقرب من(۳)آلاف بیت.قال عنه فی الروضات:«شرحه ولده فی مجلدات غفیره جمه»، ۹-(أنس المجتهدین):توجد منه نسخه مخطوطه فی مکتبه الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام العامه بالنجف الأشرف(برقم ۴۰۸-سجل المخطوطات)،تقع فی ۴۱۱ صفحه،بخط محمد حسین بن علی نقی البزاز فرغ منها بتأریخ ۳ صفر من سنه ۱۱۸۱.و فی تقدیر ریاض الجنه یقرب من(۱۰)آلاف بیت.

۱۰-(جامعه الأصول):یقرب من(۵)آلاف بیت.

۱۱-(رساله فی الإجماع):یقرب من(۳)آلاف بیت.

(فی الحکمه و الکلام):

۱۲-(جامع الأفکار):فی الإلهیات،یقرب من(۳۰)الف بیت قد فرغ من تألیفه سنه ۱۱۹۳،و علیه فلیس هو من أوائل مؤلفاته،کما قال عنه صاحب(ریاض الجنه)،و ستجد راموزا للصفحتین الأولی و الأخیره منه بخط المؤلف،منقولتین عن النسخه التی هی بحرزه أحد أحفاده (الأستاذ حسن النراقی).و الذی یجلب الانتباه فی الصفحه الأخیره ما ذکره من الحوادث المروعه فی الوباء و غیره التی وقعت فی تلک الفتره.

۱۳-(قره العیون):فی أحکام و الوجود و الماهیه،یقرب من

(۵)آلاف بیت، ۱۴-(اللمعات العرشیه):فی حکمه الإشراق،یقرب من(۲۵) الف بیت.

۱۵-(اللمعه):و هو مختصر اللمعات،یقرب من الفی بیت.

۱۶-(الکلمات الوجیزه):و هو مختصر اللمعه،یقرب من ثمانمائه بیت.

۱۷-(أنیس الحکماء):فی المعقول،و هو من أواخر تألیفاته، لم یتم.احتوی علی نبذ من الأمور العامه و الطبیعیات،یقرب من(۴) آلاف بیت.

۱۸-(أنیس الموحدین):فی أصول الدین،فارسی،یقرب من (۴)آلاف بیت.

۱۹-(شرح الشفا):فی الإلهیات،النسخه الأصلیه بخط المؤلف موجوده عند أحد أحفاده(الأستاذ حسن النراقی).

۲۰-(الشهاب الثاقب):فی الإمامه،فی رد رساله الفاضل البخاری،یقرب من(۵)آلاف بیت.

(فی الریاضیات):

۲۱-(المستقصی):فی علوم الهیئه،خرج منه مجلدان إلی مبحث اسناد الحرکات.یقرب من(۴۰)ألف بیت،قال عنه فی ریاض الجنه:

«لم یعمل أبسط و أدق منه فی علم الهیئه،و لقد طبق فیه أکثر البراهین الهندسیه بالدلائل العقلیه،لم یتم».

۲۲-(المحصل):کتاب مختصر فی علم الهیئه،یقرب من(۵) آلاف بیت.

۲۳-(توضیح الإشکال):فی شرح تحریر أقلیدس الصوری

فی الهندسه،و قد شرحه إلی المقاله السابعه،فارسی،یقرب من(۱۶) ألف بیت.

۲۴-(شرح تحریر اکرثاذوسنیوس):یقرب من(۳)آلاف بیت.

۲۵-(رساله فی علم عقود الأناقل):فارسیه،تقرب من ألف بیت.

۲۶-(رساله فی الحساب):ذکرها فی روضات الجنات.

(فی الأخلاق و المواعظ):

۲۷-(جامع السعادات):هذا المطبوع بثلاثه أجزاء-حسب تقسیمنا له-قال عنه فی ریاض الجنه:«یقرب من(۲۵)ألف بیت».

و قد طبع فی إیران علی الحجر سنه ۱۳۱۲ بجزءین،و سیأتی وصفه،و قد تقدم شیء من وصفه.و هذه الطبعه الثلاثه له علی الحروف بالنجف الأشرف ۲۸-(جامع المواعظ):فی الوعظ،یقرب من(۴۰)الف بیت لم یتم.

(فی المتفرقات):

۲۹-(محرق القلوب):فی مصائب آل البیت،فارسی،یقرب من(۱۸)ألف بیت،قال عنه فی روضات الجنات:«طریف الأسلوب» ۳۰-(مشکلات العلوم):فی المسائل المشکله من علوم شتی، مطبوع علی الحجر بإیران،یشبه بعض الشیء کشکول البهائی.و قد نسج علی منواله ولده المحقق فی کتابه(الخزائن)المطبوع علی الحجر بإیران.

۳۱-(رساله نخبه البیان):ذکرها حفیده(الأستاذ حسن النراقی) ۳۲-(معراج السماء):ذکره أیضا حفیده المذکور.

ص:۱۶

جامع السعادات و علم الأخلاق

اشاره

لا شک أن القدره علی التألیف موهبه من اللّه تعالی فوق موهبه العلم و الفهم،و لیس کل من کان عالما استطاع التألیف.

و التألیف فی حد ذاته من أبرز الخدمات التی یؤدیها العالم للناس فی حیاته،و من أعظم الحظوظ للإنسانیه،و بسببه استطاعت أن تتقدم علی مرور الأجیال.و مع ذلک لیس کل تألیف یعد خدمه للناس و حظا للإنسانیه.

و إذا أردنا أن نضع المؤلفات فی رفوف حسب قیمتها،فانما فی فترات منقطعه تظهر مؤلفات من النوابغ یصح أن نضعها فی الرف الأعلی و یصدق علیها بحق أنها مما ینفع الناس،فتمکث فی الأرض،و تفرض نفسها للخلود و البقاء إذا سلمت من عوادی الدهر الغاشمه.و من سوء الحظ أن الفراغ لا یزال کثیرا فی هذا الرف الأعلی.

و من بین الفترات لا بد أن تبرز فی کل علم من المؤلفات هی من حقها أن توضع فی الرف الثانی أو ما دونه.و حظها أن تنسج علی منوال غیرها لتحییها و تهیء انتهاء الفتره لظهور الأثر الخالد مما یوضع فی الرف الأعلی.

و هذه غیر الغثاء الذی یذهب جفاء،و من حقه أن یلقی فی سله المهملات و ما أکثر هذا النوع الرخیص،لا سیما فی عصرنا الحاضر الذی سهلت له الطباعه الاسفاف.

و یجب ألا نغالی فی مؤلفات شیخنا النراقی فنضعها فی الرف الأعلی، و لکن(جامع السعادات)الذی نقدمه،هو بالخصوص من الآثار الخالده، و إن لم یکن موضعه هذا الرف الأعلی کسائر الکتب الأخلاقیه فی الدوره الإسلامیه.و لا ندری السر فی ذلک،لأن الفتره بعد لم تنته لعلم الأخلاق بخصوصه کیما یظهر الأثر الخالد المنتظر الذی سیکون فی الرف الأعلی،

أم لأن هذا العلم ليس له تلك الفترات،بل كله فى فتره مستديمه ليأس العلماء الأخلاقيين من التأثير على الناس بمجرد التأليف؟! و هذا الثانى هو الأقرب إلى الواقع.و الحق مع الأخلاقيين فى يأسهم فإن الأخلاق لا تكتسب بالعلم و قراءه الكتب،و إنما هى صفات و ملكات لا تحصل للإنسان إلا بالتمرينات القاسيه و التربيه الطويله،لا سيما فى أيام الطفوله و فى السن المبكره قبل أن يفرض فى الإنسان أن يكون أهلا للقراءه،و لو كانت قراءه الكتب وحدها كافيه لخلق الفضيله فى النفس أو تنميتها لكانت كتب الأخلاق من أثمن ما خلق اللّه و لأغنى البشريه كتاب واحد يفى بذكر الأخلاق الفاضله،بل لاكتفينا بالقرآن الكريم وحده،أو ينهج البلاغه بعده الذى تريد خطبه و مواعظه أن تصهر الناس فى بوتقتها الملتهبه لتخرجهم إبريزا صافيا كصاحبها،و لكن البشريه الظالمه لنفسها بدل أن تنصهر بهذا اللهب تخبو جذوتها و تزيد جمودا على مساوئها.

و ليس هذا الرأى عن الكتب الأخلاقيه فيه شىء من المغالاه على ما اعتقد،إلا أنى مع ذلك لا أظلم بعض زمره صالحه من أهل الفتوه و أرباب القلوب الحيه،إذ نجدهم يتأثرون بالكلمه الأخلاقيه الموجهه إليهم ممن يعول على قوله،و يتتبعون بإخلاص مجهودات المؤلفين فى الأخلاق، ليترسموا خطاهم فيهذبوا أنفسهم.

و من هنا نجد السبيل إلى انصاف الأخلاقيين و إعطاء مؤلفاتهم حقها من التقدير،لنعتقد أنهم لم يعملوا عملا باطلا لا نفع فيه،بل الحق أن له قيمته العظيمه،و كفى أن يتأثر بدعوتهم بعض فتيان كرام برره.و هذا التأثر على قلته له قيمه معنويه لا توازن بشىء فى الدنيا،بل سير الحياه و تقدمها يتوقف مبدئيا على هذا التأثر،و إن كان محدودا.و ما التقدم الاجتماعى الذى يحصل فى أمه فى بعض الفترات من الزمن إلا نتيجه من

نتائج هذا التأثر المحدود.

و مع ذلك،فإن تأثير الدعوه الأخلاقيه هذا التأثير المحدود لا يأتى من مجرد شحن الكتاب بالنظريات الأخلاقيه المجرده.بل لروحيه المؤلف أعظم الأثر فى اجتذاب قلوب الفتيان الكرام إلى الخير.و من هنا اشترطوا فى الواعظ أن يكون متعظا.

و على هذا الأساس ينبغى أن توضع كتب الأخلاق فى رفوفها،فليس للنظريات الفلسفيه و رصانه التأليف و تركيزه على المبادئ العلميه-فى نظر أرباب القلوب-تلك الأهميه الأخلاقيه التى تعلق عليها.و لا تقاس بالأثر الأخلاقى الذى يحصل من روحيه المؤلف و مقدار تأثره هو بأقواله، و ما كانت شهره(مجموعه ورام)،و ما كانت أهميتها إلا لأنها ناشئه من قلب صادق،ذلك قلب الأمير الزاهد الإلهى(الشيخ ورام ابن أبى فراس المالكى الأشترى)،و ليس فيها صفه علميه أو فنيه تقضى بهذا الاهتمام.

و من العجيب أن قلب الرجل الأخلاقى يبرز ظاهرا على قلمه فى مؤلفاته، فتلمسه فى ثنايا كلماته.و بالعكس ذلك الذى لا قلب له،فإنك لا تقرأ منه إلا كلاما جافا لا روح فيه،مهما بلغت قيمته فى حساب النظريات الفلسفيه.

و فى نظرى أن قيمه(جامع السعادات)فى الروح المؤمنه التى تقرأها فى ثناياه أكثر بكثير من قيمته العلميه.و إنى لأتحدى قارئ هذا الكتاب إذا كان مستعدا للخير أن يخرج منه غير متأثر بدعوته،و هذا هو السر فى إقبال الناس عليه و فى شهرته،على أنه لا يزيد من ناحيه علميه على بعض الكتب المتداوله التى لا نجد فيها هذا الذوق و الروحانيه.و الكتاب نفسه يكشف لنا عن نفسيه المؤلف،و ما كان عليه من خلق عال و إيمان صادق.

و إنى لأؤمن إيمانا لا يقبل الشك:أن انتشار هذا الكتاب بين الناس

فی هذا العصر سیکون له أثره المحسوس فی توجیه أمتنا نحو الخیر،بعد أن نفدت طبعته الأولی و عزت نسخته،و لا سیما أن خطباء المنابر-فیما اعتقد- ستکون لهم الحصه الوافره فی التأثر به و نقل تأثرهم إلی سواد الأمه الذین هم المعول علیهم فی نهضتنا الأخلاقیه المقبله.

و هذا ما دفعنی-و اللّه هو الشاهد علی-إلی السهر علی تصحیح الکتاب و تدقیقه،لیخرج بهذه الحلقه،و إن کانت ظروفی الخاصه کادت أن تحول دون التفرغ له،لو لا أنی توکلت علی اللّه و وطنت نفسی علی تجاهلها و إهمال کثیر مما یجب العنایه به،و الحمد للّه علی توفیقه.

النواحی الفنیه فی الکتاب

من أهم ما یؤاخذ به کتابنا هذا،اعتماده علی المراسیل فی الأحادیث، و تسجیل کل ما یری أمامه من المنقولات:غثها و سمینها،من دون إشاره إلی التمییز و لا إلی المصادر،حتی نقل کثیرا عن إحیاء العلوم.و تعمد النقل عن مثل جامع الأخبار و مصباح الشریعه،اللذین یشهد أسلوبهما علی وضع أکثر ما فیهما.و قد وجدنا صعوبه کبیره فی العثور علی جمله من مصادر هذه المنقولات لتصحیحها،و قد یستغرق البحث للعثور علی مصدر خبر واحد أیاما،کما قد یذهب البحث سدی.و ما کان یهمنا من الرجوع إلی المصادر إلا تصحیح المنقولات لا إثبات مصادرها،فلذلک لا نشیر فی الحاشیه إلی المصدر إلا إذا وجدنا اختلافا فی نصه فی النسخ،فنقول:

صححناه علی کذا مصدر.و بهذه المناسبه لا بد من الاعتراف بالجمیل، فنذکر الأستاذ الفاضل السید عبد الرزاق المقرم بالشکر لما أعاننا علیه من الفحص عن بعض الروایات.

و الذی یهون الخطب فی هذه المؤاخذه-علی أن لها قیمتها الفنیه-

أنها لا تختص بهذا الكتاب وحده من بين كتب الأخلاق الإسلاميه،بل هذا ديدنها،و كأن همّ أصحابها من الاستشهاد بالمنقولات نفس أداء الفكره فإذا كانت بحسب نظرهم صحيحه مقبوله فى نفسها فلا يجب عندهم أن يكون الحديث الذى يتضمنها صحيحا مقبولا-فى عرف أهل الحديث،فإذا قال المحدث:«قال النبى و الإمام كذا»،يعنى بذلك أن هذا القول ثابت بالنقل الصحيح الموثوق به،و إلا فيقول«روى عنه كذا» أو ما يشبه ذلك أما الأخلاق فلا يعنى بذلك القول إلا أنه مروى عنه بأى طريق كان.

و لعل لهذا التسامح عذرا مقبولا فى مذهبهم على ما قدمنا،لو لم تكن فيه إساءه إلى أمانه النقل فى أهم تراث إسلامى دينى،فى حين كان من الممكن تحشيها بقليل من التحقيق و البحث،على أن فى الثابت الصحيح عن آل البيت-عليهم السلام-ما فيه الكفايه للإمام بنواحى الأخلاق المطلوبه،و ما فى(الكافى)كاف وحده فى هذا الباب.و كنا نتمنى -أثناء التصحيح-على صاحب كتابنا هذا ألا يتبع هذه العاده عند الأخلاقيين،فيزيد على فائدته الأخلاقيه فائده أخرى فى تحقيق الأحاديث الصحيحه.

اما أسلوب الكتاب الأدبى،فهو يمثل إلى حد ما عصره الذى ضعفت فيه اللغه إلى حد كبير،بالرغم على أن الفلاسفه الإشراقيين اشتهروا فى تلك العصور بحسن البيان و قوه الأسلوب،لا-سيما فى العصر السابق على عصر المؤلف،كالسيد الداماد العظيم المتوفى ۱۰۴۱،و تلميذه النابغه الجليل المولى صدر المتقدم ذكره،حتى كان يسمى الأول:أمير البيان،و لعل الثانى أحق بهذا اللقب.غير أن صاحبنا لا-يحسب فى عداد الفلاسفه و إن ارتشف من منهلهم.على أنه كان يقتبس كثيرا نص عبارات غيره استراحه إليها.

و هذه سنه مستساغه عند المؤلفين الأخلاقيين،و كأن كتبهم يجدونها مشاعه

بین الجمیع،أو لأن همهم أداء الفکره کما کان عذرهم فی مراسیل الأحادیث.

و بهذه المناسبه نقول:إنا وجدنا أثناء تصحیح الکتاب کثیرا من الألفاظ و العبارات مما لم نجد له مسوغا من اللغه العربیه،ککلمه(القادسه) و(الهلاکه،ففضلنا أن نبقیها علی ما وجدناها،حرصا علی أمانه النقل، و أهملنا التنبیه علیها،و مثل کلمه(سیما)فضلنا أن نصححها و نضع کلمه (لا)بین قوسین إشاره إلی زیادتها منا.

و إذا کانت أمانه النقل هی العذر لنا فی ذلک،فهی التی تقضی علینا أن نصرح أن عناوین الکتاب علی الأکثر هی من وضعنا لا من وضع المؤلف.

و أما أسلوبه العلمی،فقد بناه مؤلفه من أوله إلی آخره علی نظریه الوسط و الأطراف فی الأخلاق،تلک النظریه الموروثه من الفلسفه الیونانیه و قد بحث عنها المؤلف فی(الجزء الأول ص ۵۹).و لیس من حقنا أن نناقشها،و لا یمتاز بها هذا الکتاب وحده،فإن شأنه فی الاعتماد علی هذه النظریه الأساسیه شأن سایر کتب الأخلاق الإسلامیه العلمیه.

و لکن الذی امتاز به کتابنا-بعد أن بحث مؤلفه بحثا فلسفیا متوسطا عن النفس و قواها،و الخیر و السعاده،و الفضائل و الرذائل،فی البابین الأول و الثانی،کما صنع أسلافه-أن جعل أساس تقسیمه للکتاب علی القوی الثلاث:العاقله و الشهویه و الغضبیه،و معللا ذلک بأن«جمیع الفضائل و الرذائل لا تخرج عن التعلق بالقوی الثلاث»(۱-۶۶).و ذکر لکل قوه ما یتعلق بها من أجناس الفضائل و الرذائل منفرده و منضمه إلی الأخری ثم ذکر أنواعها،و استقصی ذکر الأنواع،مطبقا علی کل نوع نظریه الوسط و الأطراف،فجاء فی استقصائه و إلحاقه کل فضیله و رذیله بالقوه التی تتعلق بها،بما لم یجیء به غیره و لم بسبقه إلیه أحد فیما نعلم،و هو نفسه ادعی

ذلـك فقـال:«ان احصـاء الفضائـل و الرذائـل و ضــبطهما،و إدخـال البعض فى البعض،و الإشـاره إلى القـوه المـوجبه لهـا على ما فصلناه،مما لم يتعرض له علماء الأخلاق»(۱-۷۱).

و هـذه أهـم ناحيه فنيه فى الكتاب،و فتـح جديـد فى تحقيق منشأ حـدوث خلق الفضـيله و الرذيله،لو اتفق لغيره أن يترسم خطاه،و يتم ما فتحه من هـذا الباب من التحقيق،لتقـدم على يـديه علم الأخلاق كبيرا.و على أساس تحقيقه هـذا أسـقط فضـيله العداله من حسـابه،فلم يجعلهـا جنسـا مقابلاـ لأجنـاس الفضائـل الثلاث الأخرى،و هى الحكمه و العفه و الشـجاعه،باعتبار أن العـداله جامعه لجميع الكمالات بأسرها،لا أنها فى مقابلها،و قد فصل هذا الرأى فى الباب الثانى،و لا أظن أحدا يقره عليه،و لا يثبت أمام النقد.و لكن هذه المقدمه تضـيق عن مثل هذه الأبحاث الدقيقه،كما تضيق عن مقارنه هذا التأليف بالمؤلفات الأخلاقيه الأخرى.و قصدنا أن هـذا التقسـيم من المؤلف،و إرجـاع الفضائـل و الرذائـل إلى أسـبابها،و جعـل مواضـيع الأبحـاث تلـك القوى،و إحصاء أنواع الأخلاق بنوعيها و لوازمها،كل ذلك مستجد و هى طريقه علميه امتاز بها الكتاب.

تصحيح الكتاب و مراجعه

وعدت الأخ الفاضل الألمعى السيد محمد كلانتر،ناشر الكتاب و ملتزمه تصحيحا و تعليقا-جزاه اللّه خير ما يجزى العاملون-:على الاشتراك معه و إعانته على تـدقيق و تحقيق هذا السـفر الجليل و تصـحيحه أيضا عند الطبع،إذا توفق لتهيئه ما يلزم لطبعه،و ذلك قبل سنتين.و شاء التوفيق أن يحقق هذه الأمنيه،فلم أجد للتخلى عن الوفاء بالوعد سبيلا مهما كلفنى الأمر.

و يعجبنى من هذا الرجل صبره و جلده على المشاق فى سبيل نشره، باعتباره أحد الكتب التى يجب إحياؤها فى هذا العصر،و هذا منه أحد شواهدى على تأثر الفتيان الكرام الأبرار بهذا السفر الأخلاقى.و قد شاهدت صبره لأول مره فى إيران فى صيف العام الماضى،لما اشترك هو و العلامه الأخ بالروح الشيخ محمد شيخ الشريعه،فى تصحيح قسم من الكتاب على النسخه المخطوطه الآتى ذكرها فى المراجع رقم ٢ إلى حد ص ١٧۶ من الجزء الأول من هذا المطبوع،فأودعا فى التعليقه آراءهما القيمه فى تحقيقه و تصحيحه.و لئن عدنا فى التصحيح من أوله لما استقبلت المطبعه النسخه للطبع،فإنا اعتمدنا كثيرا على تلك التحقيقات القيمه الماضيه.

و لا ننسى أن نذكر أن للنسخه المطبوعه فى إيران على الحجر،فيها من التحريف و التصحيف ما يذهب بالاطمئنان إليها،و يشوه المقصود و المعنى.و من الغريب أن نجد التحريف حتى فى الآيات القرآنيه و الأحاديث الشريفه.أما تذكير المؤنث و تأنيث المذكر،و تشويه الإملاء و التبويب، فهذه أمور حدّث عنها و لا حرج.و يكفى أن تقارن صفحه واحده منها بمطبوعنا،لتعرف أى مجهود بذل للتصحيح و الإخراج،و تجد العنايه على كل سطر منه،بل كل كلمه.

و من سوء الحظ،أن النسخه المخطوطه المرجع رقم(٢)لم تكن أكثر حظا فى الصحه من أختها المطبوعه.و هذا ما دعانا إلى أن نرجع إلى كتب أخرى تمتّ بالموضوع بصله لتحقيق الكتاب،كالكتب الأخلاقيه و كتب الحديث.و أكثر ما كان يعنينا تصحيح الأحاديث الشريفه بالرجوع إلى مصادرها الذى جشمنا بحثا مضنيا كان يستغرق أكثر أوقاتنا،و قد نذكر أحيانا فى التعليقه المصدر المرجوع إليه،و على الأكثر لا نذكر المرجع إلا عند ما يكون مخالفا لنسخ الكتاب.و يحسن الآن أن نذكر أهم المراجع

التی اعتمدنا علیها لتصحیح الکتاب،و هی:

۱-النسخه من الکتاب-المشار إلیها آنفا-المطبوعه علی الحجر بإیران سنه ۱۳۱۲.

۲-النسخه المخطوطه منه التی تفضل بها شیخنا الحجه الشیخ محمد محسن الشهیر ب(آغا بزرگ)مؤلف الذریعه،و قد نسخت سنه ۱۲۰۸.و نعبر عنها فی التعلیقه ب(نسختنا الخطیه). ۳-النسخه المخطوطه منه فی مکتبه سپه سالار بطهران.و لا یحضرنا الآن تأریخ نسخها و رقمها فی المکتبه.و قد قوبلت النسخه إلی حد صفحه ۱۷۶ من الجزء الأول.

۴-النسخه المطبوعه،التی یملکها الخطیب السید جواد شبر،و فیها بعض التقییدات و التصحیحات.

۵-إحیاء العلوم-للشیخ أبی حامد الغزالی.

۶-إحیاء الإحیاء-المجلد الرابع المطبوع فی إیران علی الحجر سنه ۱۳۲۶،للشیخ المولی محسن الفیض الکاشانی.

۷-نسخه أصول الکافی-المخطوطه سنه ۱۱۰۳،فی مکتبه منتدی النشر برقم(۴۴۶)،و هی نسخه ظاهر علیها التصحیح و دقه المقابله علی نسخ صحیحه.

۸-نسخه أصول الکافی-المخطوطه التی تحت تصرفنا.

۹-فروع الکافی-المطبوع بالحجر سنه ۱۳۱۵،و هو من المطبوعات الحجریه الصحیحه، ۱۰-الوسائل-المطبوعه سنه ۱۳۲۳،المعروفه بطبعه عین الدوله.

۱۱-البحار-المجلد ۱۵ بجمیع أجزائه الأربعه،المطبوع علی الحجر.

۱۲-کنز العمال-المطبوع بحیدرآباد دکن سنه ۱۳۱۲.

ص: ۲۵

۱۳-مستدرک الوسائل-للشیخ المحدّث النوری،المطبوع علی الحجر سنه ۱۳۱۹.

۱۴-الوافی-للشیخ المولی محسن الفیض،المطبوع علی الحجر سنه ۱۳۲۵.و هو من المطبوعات الحجریه الصحیحه.

۱۵-سفینه البحار-المطبوع علی الحجر بالنجف الأشرف سنه ۱۳۵۲ للمحدث الثقه الجلیل الشیخ عباس القمی.

۱۶-جامع الأخبار-المطبوع بالهند علی الحجر.

۱۷-مصباح الشریعه-المطبوع بالهند علی الحجر، و هذه غیر المراجع التی رجعنا إلیها نادرا:کمجموعه الشیخ ورام، و الحقائق للفیض،و مجمع البحرین للشیخ فخر الدین الطریحی،و نهایه ابن الأثیر...و نحوها کثیر لا فائده فی إحصائه.و هذه المراجع هی التی روجعت لتصحیح أجزاء الکتاب،و اللّه تعالی هو الموفق للصواب.

و یجب ألا ننسی فی الختام شکر الشیخ عبد الهادی الأسدی علی جهوده التی بذلها فی تصحیح الکتاب عند الطبع،و الاشتراک فی مقابله النسخه الأصلیه و تدقیقها،جزاه اللّه خیر ما یجزی العالمین.

النجف الأشرف محمد رضا المظفر ۲۰ رجب ۱۳۶۸ ه

[مقدمه المصحح]

اشاره

مراجع البحث فی الترجمه:

۱-(روضات الجنات):للسید محمد باقر الخوانساری،المطبوع بإیران علی الحجر سنه ۱۳۱۶، ۲-(الروضه البهیه):للسید محمد شفیع الحسینی،المطبوع بإیران علی الحجر.

۳-(أعیان الشیعه):للسید محسن الأمین-الطبعه الأولی-فی ترجمه الشیخین:أحمد النراقی و إسماعیل الخاجوئی.

۴-(مستدرک الوسائل):-الجزء الثالث-للمحدث میرزا حسین النوری.

۵-(الذریعه):للشیخ محمد محسن الشهیر بآغا بزرگ الطهرانی.

۶-(الاسناد المصفی):له أیضا.المطبوع بالنجف الأشرف سنه ۱۳۵۶.

۷-(ریاض الجنه):المخطوط،للسید حسن الزنوزی المعاصر للمؤلف،و من تلامذه الوحید البهبهانی،نسخه منه محفوظه بخزانه الحاج حسین آغا ملک العامه بطهران تحت رقم(۴۳۸۰).و قد اعتمدنا علیها فی تجدید النظر فی الترجمه سنه ۱۳۸۳،علی ما نقله لنا عنها مکاتبه أحد أحفاد المترجم له(الأستاذ حسن النراقی).و أکثر ما اعتمدنا علی هذا المصدر فی تعداد مؤلفات المترجم له.

۸-(قصص العلماء):للمیرزا محمد بن سلیمان التنکابنی،المطبوع علی الحجر بطهران.

ملاحظه:

فی سفرتی الأخیره إلی إیران فی العام الماضی-لأمور تخص:

(جامعه النجف الدینیه) -التقیت مع الأخ الأستاذ(حسن النراقی)-دام ظله-من أحفاد المؤلف-قدس سره-،جری الحدیث معه حول شیخنا المؤلف و عظمته.

فأرانی الأخ النراقی نموذجا من خطوط المؤلف الرّاقیه،فجذبنی حسن الخط و روعته،و لا سیما تلکم الصفحات من کتاب.

(جامع الأفکار و ناقد الأنظار) ففکرت فی طبع نموذج الصفحه الأولی و الأخیره من الکتاب المذکور تثبیتا لعظمه ناحیه أخری من نواحی حیاه المؤلف الملیئه بجلائل الفنون الروائع.و قد أبدی الأستاذ النراقی موافقته علی ذلک فی اطار من التبجیل الصادق و الأدب...مما یخص نفسیته الواسعه.

فشکرا له و تقدیرا.

السیّد محمد کلانتر

ص :۲۸

نموذج الصحفه الأولى من كتاب(جامع الأفكار و ناقد الأنظار)بخط المؤلف(قده)

ص: ۲۹

(جامع الافکار و ناقد الأنظار)

بسم اللّه الرحمن الرحیم

الحمد للّه الذی دل علی ذاته بذاته و تجلی لخلقه ببدایع مصنوعاته،أظهر من عجائب قدرته ما حیر ثواقب العقول و الأفهام،و أبرز من غرائب عظمته ما بهر نوافذ المدارک و الأوهام خرق علمه باطن غیب السترات و أحاط بغموض عقائد السریرات،و الصلاه علی مهابط المعارف و الأسرار و وسائط الفیوضات و الأنوار،من الأنبیاء المکرمین الأخیار و خلفائهم الراشدین الأطهار.

و بعد فیقول أضعف المحتاجین:مهدی بن أبی ذر النراقی-نور اللّه قلبه بنور الیقین و جعله من الصادقین المقربین-:هذا یا إخوانی ما أردتم من أصول المعارف الحقیقیه و جوامع العقائد الیقینیه:من العلم باللّه و صفات کماله و معرفه أسمائه و نعوت جلاله،و ما یتلوهما من المباحث الإلهیه العالیه و المطالب الحقه المتعالیه مما یرتقی به إلی منازل الأخیار و یعرج به إلی عوالم العقول و الأنوار،و یتوجه به إلی شطر کعبه الملکوت و یسلک به إلی صقع عالم الجبروت.و قد بعث اللّه السفراء لأجله،و انعقد إجماع الأمه علی وجوب أخذه،فیلزم علی الکل حمله و لا یسع لأحد جهله،و أسأل اللّه أن یجعله خالصا لوجهه و یحرسه عن غیر أهله،و لاشتماله علی جمع الأفکار الإلهیه و نقدها،سیما ما تعلق بالشرح الجدید للتحریک من الحواشی،و سمیته ب(جامع الأفکار و ناقد الأنظار)و رتبته علی مقدمات و مقالات.

المقدمه الأولی-فی إبطال ترجح المساوی و المرجوح و ترجیحهما.

بیان الأول:أن معنی المساوات کون شیئین فی مرتبه واحده بالنظر إلی ثالث،و معنی المرجوحیه کون الشیئین أحدهما أبعد من الآخر، و الراجحیه کونه أقرب منه،فلو ترجح المساوی أو المرجوح لزم التناقض.

ص:۳۰

نموذج الصفحه الأخيره من كتاب(جامع الأفكار و ناقد الأنظار)بخط المؤلف(قده)

ص :٣١

و بعد ما ثبت أن الواجب-سبحانه-صرف الوجود و محض الوجود و ليس فيه نقص و لا ممازجه،و أنه ليس جسما و جسمانيا،ثبت معه نفى التحيز و الجهه و الحلول و الاتحاد و الألم و اللذه المزاجيه عنه سبحانه، و بذلك تم مباحث الصفات السلبيه،و هو آخر ما أردنا إيراده فى هذا الكتاب و الحمد للّه على تأييده على الإتمام،و الصلاه على سيد الأنام و على عترته امناء الإسلام و وقع إتمامه فى أول يوم من شهر ربيع الأول من سنه ۱۱۹۳ -ثلاث و تسعين و مائه بعد الألف من الهجره المباركه النبويه-و قد كان ذلك عند تراكم الهموم و الأحزان و تفاقم الغموم و الأشجان،و فرط الملال و ضيق البال،من هجوم المصائب و المحن و تواتر النوائب و الفتن،من ابتلائنا أولا فى بلده كاشان-حماها اللّه عن طوارق الحدثان-بالزلازل الهائله المفزعه و الرجفات المزعزعه المزعجه،و انهدام جميع الأبنيه و المساكن و جلّ البيوت و المواطن،و هلاك كثير من الأصدقاء و الأحباب و ذهاب غير واحد من الأحبه و الأصحاب،ثم ابتلائنا بالأمراض الشديده الغريبه و الأسقام الوبائيه العجيبه،بعد ارتحالنا لعدم السكنى و غيره من اختلال الأمور إلى بعض القرى،و احتراق فؤادى بذهاب بعض أولادى الذى تقر به عينى فى ظلمات الأحزان و الهموم و يسكن اللّه قلبى عند اضطرابه من هجوم الأشجان و الغموم ثم وقوعنا فى الداهيه العظمى و الفتنه الكبرى:أعنى موت السلطان و وقوع الاضطراب و الوحشه بين أهل إيران.فأحمد اللّه على السراء و الضراء و الشده و الرخاء و العافيه و البلاء،و نسأله أن يكون ذلك آخر الرزايا و المصائب و خاتمه البلايا و النوائب،و أن يصلح جميع أمور المسلمين بمحمد و آله سادات الخلق أجمعين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمه المؤلف

الحمـد للّه الذى خلق الإنسان،و جعله أفضل أنواع الأكوان،و صـيره نسـخه لما أوجده من عوالم الإمكان،أظهر فيه عجائب قدرته القـاهره، و أبرز فيـه غرائـب عظمتـه البـاهره،ربـط به النـاسوت باللاـهوت،و أودع فيه حقـائق الملـك و الملكـوت،خمّر طينته من الظلمـات و النور،و ركب فيه دواعى الخير و الشـرور،عجنه من المواد المتخالفه،و جمع فيه القوى و الأوصاف المتناقضه،ثم نـدبه إلى تهذيبها بالتقويم و التعديل،و حثه على تحسـينها بعد ما سـهل له السبيل،و الصـلاه على نبينا الذى أوتى جوامع الحكم،و بعث لتتميم محاسن الأخلاق و الشيم،و على آله مصابيح الظلم،و مفاتيح أبواب السعاده و الكرم صلى اللّه عليه و عليهم و سلم.

أما بعد فيقول طالب السـعاده الحقيقيه(مهدى بن أبى ذر النراقى) بصّـره اللّه بعيوب نفسه،و جعل يومه خيرا من أمسه: إنه لا ريب فى أن الغـايه من وضع النواميس و الأديان،و بعثه المصـطفين من عظماء الإنسان، هو سوق الناس من مراتع البهائم و الشـياطين،و إيصالهم إلى روضات العليين،

و ردعهم عن مشاركه أسراء ذل الناسوت،و مصاحبه قرناء جب الطاغوت إلى مجاوره سكان صقع الملكوت،و مرافقه قطان قدس الجبروت،و لا يتيسر ذلك إلا بالتخلى عن ذمائم الأخلاق و رذائلها،و التحلى بشرائف الصفات و فضائلها،فيجب على كل عاقل أن يأخذ أهبته،و يبذل همته فى تطهير قلبه عن أوساخ الطبيعه و أرجاسها،و تغسيل نفسه عن أقذار الجسميه و أنجاسها قبل أن يتيه فى بيداء الشقاق،و يهوى فى مهاوى الضلاله و الهلاكه، و يصرف جده و يجتهد جهده فى استخلاص نفسه عن لصوص القوى الأماره ما دام الاختيار بيده،إذ لا تنفعه الندامه و الحسره فى غده.

ثم لا ريب فى أن التزكيه موقوفه على معرفه مهلكات الصفات و منجياتها،و العلم بأسبابها و معالجاتها،و هذا هو الحكمه الحقه التى مدح اللّه أهلها،و لم يرخص لأحد جهلها،و هى الموجبه للحياه الحقيقه، و السعاده السرمديه،و التارك لها على شفا جرف الهلكات،و ربما أحرقته نيران الشهوات.

و قد كان السلف من الحكماء يبالغون فى نشرها و تدوينها.و جمعها و تبيينها،على ما أدت إليه قوه أنظارهم،و أدركوه بقرائحهم و أفكارهم.

و لما جاءت الشريعه النبويه«على صادعها ألف صلاه و تحيه»حثت على تحسين الأخلاق و تهذيبها،و بينت دقائقها و تفصيلها بحيث اضمحل فى جنبها ما قرره أساطين الحكمه و العرفان،و غيرهم من أهل الملل و الأديان،إلا أنه لما كان ما ورد منها منتشرا فى موارد مختلفه،و متفرقا فى مواضع متعدده،تعسّر أن يحيط به الجل فلا بد من ضبطه فى موضع واحد ليسهل تناوله للكل، فجمعت فى هذا الكتاب خلاصه ما ورد من الشريعه الحقه مع زبده ما أورده أهل العرفان و الحكمه على نهج تقرّ به أعين الطالبين، و تسر به أفئده الراغبين.

و نذكر أولا بعض المقدمات النافعه فی المطلوب ثم نشير إلی أقسام الأخلاق،و مبادئها من القوی و نضبطها بأجناسها و أنواعها و نتائجها و ثمراتها ثم إلی المعالجه الكليه لذمائم الأخلاق و الجزئيه لكل خلق مذموم،مما له اسم مشهور،و ما ينشأ عنه من الأفعال المذمومه،و فی تلوه نذكر ضده المحمود،و ما يدل علی فضله عقلا و نقلا،لأن العلم بفضيله كل خلق و المداومه علی آثاره أقوی علاج لإزاله ضده،و لا نتابع القوم من تقديم الرذائل بأسرها علی الفضائل،بل نذكر أولا ما يتعلق بالقوه العقليه من الفضائل و الرذائل علی النحو المذكور،ثم ما يتعلق بالغضبيه،ثم ما يتعلق بالشهويه،ثم ما يتعلق باثنتين منها أو ثلاث،لأن ذلك أدخل فی ضبط الأخلاق،و معرفه أضدادها،و العلم بمبادئها و أجناسها،و هو من أهم الأمور لطالبی هذا الفن.

و ما تعرضت لتدبير المنزل و سياسه المدن،لأن غرضنا فی هذا الكتاب إنما هو مجرّد إصلاح النفس و تهذيب الأخلاق،و سميته«بجامع السعادات» و رتبته علی ثلاثه أبواب.

ص: ۳۵

الباب الأول فی المقدمات

اشاره

انقسام حقیقه الإنسان و حالاته بالاعتبار-تجرد النفس و بقاؤها- التذاذ النفس و تألمها-فضائل الأخلاق و رذائلها-الأخلاق الذمیمه تحجب عن المعارف-حصول الملکات بتضاعف الأعمال-العمل نفس الجزاء- القول یتجسد الأعمال و الملکات-المضاده بین الدنیا و الآخره-للجبله و المزاج دخل فی جوده الملکات و رداءتها-حقیقه الخلق و ماهیه الملائکه- الأقوال فی تبدل الأخلاق و الملکات-شرف علم الأخلاق-تعریف النفس و أسامیها باختلاف الاعتبارات-فی الإشاره إلی اعتبار مدافعه القوی الأربع-انقهار النفس بتسخیر القوه العالیه-اختلاف الصفات یوجب اختلاف النفوس-ائتلاف حقیقه الإنسان من الجهات المتقابله- حقیقه الخیر و السعاده-و الجمع بین الأقوال المختلفه فیها-شرائط حصول السعاده-غایه ما یمکن الوصول إلیه من السعاده-تقسیم اللذات و الآلام- اللذه فی الحقیقه هی العقلیه دون الحسیه-إیقاظ فیه موعظه و نصیحه- التنبیه علی أن الفائت لا یتدارک.

ص: ۳۶

فصل (انقسام حقیقه الإنسان و حالاته بالاعتبار)

اعلم أن الإنسان منقسم إلی سر و علن،و روح و بدن و لکل منهما منافیات و ملائمات،و آلام و لذات،و مهلکات و منجیات.

و منافیات البدن و آلامه هی الأمراض الجسمانیه.و ملائماته هی الصحه و اللذات الجسمانیه.و المتکفل لبیان تفاصیل هذه الأمراض و معالجاتها هو علم الطب.و منافیات الروح و آلامه هی رذائل الأخلاق التی تهلکه و تشقیه، و صحته رجوعه إلی فضائلها التی تسعده و تنجیه و توصله إلی مجاوره أهل اللّه و مقربیه.و المتکفل لبیان هذه الرذائل و معالجاتها هو(علم الأخلاق).

ثم إن البدن مادی فإن،و الروح مجرد باق،فإن اتصف بشرائف الصفات کان فی البهجه و السعاده أبدا،و إن اتصف برذائلها کان فی العذاب و الشقاوه مخلدا،و لا بد لنا من الإشاره إلی تجرده و بقائه بعد خراب البدن ترغیبا للطالبین علی السعی فی تزکیته و حفظه عن الشقاوه الأبدیه.

فصل (فی تجرد النفس و بقائها)

لا ریب فی تجرد النفس و بقائها بعد مفارقتها عن البدن.أما الأول (و المراد به عدم کونها جسما و جسمانیه)فیدل علیه وجوه:

(منها)أن کل جسم لا یقبل صورا و أشکالا کثیره لزوال کل صوره أو شکل فیه بطریان مثله،و النفس تقبل الصور المتعدده المختلفه من المحسوسات و المعقولات من دون أن تزول الأولی بورود الأخری،بل کلما قبلت صوره

ازدادت قوتها على قبول الأخرى،و لذلک تزید القوه على إدراک الأشیاء بالریاضیات الفکریه و کثره النظر،فثبت عدم کونها جسما.

و(منها)أن حصول الأبعاد الثلاثه للجسم لا یتصور إلا بأن یصیر طویلا عریضا عمیقا و حصول الألوان و الطعوم و الروائح له لا یتصور إلا بأن یصیر ذا لون و طعم و رائحه و هی تحصل للنفس و قوتها الوهمیه بالإدراک من غیر أن تصیر کذلک،و أیضا حصول بعضها للجسم یمنع من حصول مقابله له،و لا یمنع ذلک فی النفس بل تقبلها کلها فی آن واحد على السواء.

و(منها)أن النفس تلتذ بما لا یلائم الجسم من الأمور الإلهیه و المعارف الحقیقیه،و لا تمیل إلى اللذات الجسمیه و الخیالیه و الوهمیه،بل تحن أبدا إلى الابتهاجات العقلیه الصرفه التی لیس فی الجسم و قواه فیها نصیب،و هذا أوضح دلیل على أنها غیرهما،إذ لا ریب فی أن ما یحصل لبعض النفوس الصافیه عن شواتب الطبیعه من البهجه و السرور بإدراک العلوم الحقه الکلیه و الذوات المجرده النوریه القدسیه،و بالمناجاه و العباده و المواظبه على الأذکار فی الخلوات مع صفاء النیات لا مدخلیه للجسم فیها و قواه الخیالیه و الوهمیه و غیرهما،إذ النفس قد تغفل فی تلک الحاله عنها بالکلیه،و ربما استغرقت بحیث لا تشعر بالبدن و لا تدری أن لها بدنا فکأنها منخلعه عنه،فهذا یدل على أنها من عالم آخر غیر عالم الجسم و قواه،إذ التذاذهما منحصر بالملائمات الجزئیه التی تدرکها الحواس الظاهره و الباطنه.

و(منها)أن النفس تدرک الصور الکلیه المجرده فتکون محلا لها، و لا ریب فی أن المادی لا یکون محلا للمجرد إذ کل مادی ذو وضع قابل للإنقسام،و کون المحل ذا وضع قابل للإنقسام یستلزم أن یکون حاله أیضا کذلک کما ثبت فی محله،و المجرد لا یمکن أن یکون کذلک و إلا خرج عن حقیقته، فالنفس لا تکون مادیه و إذا لم تکن مادیه کانت مجرده لعدم الواسطه.

و(منها)أن القوى الجسميه الباطنيه لا تكتسب العلوم إلا من طريق الحواس الظاهره إذ ما لم يدرك الشیء بها لم تتمكن الحواس الباطنه أن تدركه و هذا وجدانی و ضروری.و النفس قد تدرك ما لا طريق لشیء من الحواس إلى إدراكه كالأمور المجرده و المعانی البسيطه الكليه،و أسباب الاتفاقات و الاختلافات التی بين المحسوسات،و الضروره العقليه قاضيه بأنه لا مدخليه لشیء من الحواس فی إدراك شیء من ذلك.

و أيضا نحكم بأنه لا ـ واسطه بين النقيضين،و هذا الحكم غير مأخوذ من مبادئ حسيه إذ لو كان مأخوذا منها لم يكن قياسا أوليا،فمثله مأخوذ من المبادئ الشريفه العاليه التی تبنی عليها القياسات الصحيحه.

و أيضا هی حاكمه على الحس فی صدقه و كذبه و قد تخّطئه فی أفعاله و تردّ عليه أحكامه كتخطئته للبصر فيما يراه أصغر مما هو عليه فی الواقع أو بالعكس،و فيما يراه مستديرا و هو مربع،أو مكسورا و هو صحيح،أو معوجا و هو مستقيم،أو منكوسا و هو منتصب،أو مختلفا فی وضعه الواقعی، و فی رؤيته للأشياء المتحركه على الاستداره كالحلقه و الطوق،و كتخطئته للسمع فيما يدركه فی المواضع الصقيله المستديره عند الصدى،و للذوق فی ادراكه الحلو مرا و مثله،كذا الحال فی الشم و اللمس،و لا ريب فی أن تخطئه النفس الحواس فی هذه الإدراكات و حكمها بما هو المطابق للواقع إنما يكون مسبوقا بالعلم الذی لا يكون مأخوذا من الحس،لأن الحاكم على الشیء أعلى رتبه منه فلا يكون علمه الذی هو مناط الحكم مأخوذا عنه.

و مما يؤكد ذلك أنها عالمه بذاتها و بكونها مدركه لمعقولاتها.و معلوم أن هذا العلم مأخوذ من جوهرها دون مبادئ أخر.

و(منها)أنا نشاهد أن البدن و قواه يضعفان فی أفعالهما و آثارهما، و النفس تقوى فی إدراكاتها و صفاتها،كما فی سن الكهوله،أو يكونان

قويين فی الأفعال مع كونها ضعيفه فيها كما فی سن الشباب،فلو كانت جسما أو جسمانيا لكانت تابعه لهما فی الضعف و القوه.

(فإن قلت)الإدراك و سائر الصفات الكماليه للنفس يضعف أو يختل بضعف البدن أو اختلاله كما نشاهد فی المشايخ و المرضی و تجردها ينافی ذلك.

(قلنا)الضعف أو الاختلال إنما يحدث فی الإدراك و الأفعال المتعلقه بالقوی الجسميه،و أما ما يحصل للنفس بجوهرها أو بواسطه القوی الجسميه بعد صيرورته ملكه لها فلا يحصل فيه اختلال و ضعف،بل يصير ظهوره أشد و تأثيره أقوی.

و أما الثانی أعنی بقائها بعد المفارقه عن البدن فالدليل عليه بعد ثبوت تجردها أن المجرد لا يتطرق إليه الفساد لأنه حقيقه و الحقيقه لا تبيد كما صرح به المعلم الأول و غيره،و وجهه ظاهر.

فصل (فی بيان تلذذ النفس و تألمها)

إذا عرفت تجرد النفس و بقاءها أبدا،فاعلم أنها ملتذه متنعمه دائما أو معذبه متألمه كذلك.و التذاذها يتوقف علی كمالها الذی يخصها،و لما كانت لها قوتان:النظريه و العمليه،فكمال القوه النظريه الإحاطه بحقائق الموجودات بمراتبها و الاطلاع علی الجزئيات غير المتناهيه بإدراك كلياتها.و الترقی منه إلی معرفه المطلوب الحقيقی و غايه الكل حتی يصل إلی مقام التوحيد و يتخلص عن وساوس الشيطان و يطمئن قلبه بنور العرفان.و هذا الكمال هو الحكمه النظريه.

و كمال القوه العمليه التخلی عن الصفات الرديه و التحلی بالأخلاق المرضيه ثم الترقی منه إلی تطهير السر و تخليته عما سوی الله سبحانه.و هذا هو الحكمه

العمليه التی یشتمل هذا الکتاب علی بیانها.

و کمال القوه النظریه بمنزله الصوره و کمال القوه العملیه بمنزله الماده، فلا یتم أحدهما بدون الآخر،و من حصل له الکمالان صار بانفراده عالما صغیرا مشابها للعالم الکبیر،و هو الإنسان التام الکامل الذی تلألأ قلبه بأنوار الشهود و به تتم دائره الوجود.

فصل (فی فضائل الأخلاق و رذائلها)

فضائل الأخلاق من المنجیات الموصله إلی السعاده الأبدیه،و رذائلها من المهلکات الموجبه للشقاوه السرمدیه،فالتخلی عن الثمانیه و التحلی بالأولی من أهم الواجبات.و الوصول إلی الحیاه الحقیقیه بدونهما من المحالات،فیجب علی کل عاقل أن یجتهد فی اکتساب فضائل الأخلاق التی هی الأوساط (۱)المثبته من صاحب الشریعه و الاجتناب عن رذائلها التی هی الأطراف، و لو قصّر أدرکته الهلاکه الأبدیه،إذ کما أن الجنین لو خرج عن طاعه ملک الأرحام المتوسط فی الخلق لم یخرج إلی الدنیا سویا سمیعا بصیرا ناطقا کذلک من خرج عن طاعه نبی الأحکام المتوسط فی الخلق لم یخرج إلی عالم الآخره کذلک.

وَ مَنْ کٰانَ فِی هٰذِهِ أَعْمیٰ فَهُوَ فِی الْآخِرَهِ أَعْمیٰ

۱- ۱) إشاره إلی أن الفضیله وسط بین رذیلتین و قد دعی الشارع إلی تحصیل الوسط بقوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:«خیر الأمور أواسطها».و سیأتی شرح المعنی من الوسط و الطرفین.

وَ أَضَلُّ سَبِيلاً

(۱)

.

ثم ما لم تحصل التخليه لم تحصل التحليه و لم تستعد النفس للفيوضات القدسيه،كما أن المرآه ما لم تذهب الكدورات عنها لم تستعد لارتسام الصور فيها،و البدن ما لم تزل عنه العله لم تتصور له إفاضه الصحه،و الثوب ما لم ينقّ عن الأوساخ لم يقبل لونا من الألوان،فالمواظبه على الطاعات الظاهره لا تنفع ما لم تتطهر النفس من الصفات المذمومه كالكبر و الحسد و الرياء، و طلب الرياسه و العلى و إراده السوء للأقران و الشركاء،و طلب الشهره فى البلاد و فى العباد،و أى فائده فى تزيين الظواهر مع إهمال البواطن، و مثل من يواظب على الطاعات الظاهره و يترك تفقد قلبه كبئر الحش (۲)ظاهرها جص و باطنها نتن،و كقبور الموتى ظاهرها مزينه و باطنها جيفه،أو كبيت مظلم وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهره و باطنه مظلم،أو كرجل زرع زرعا فنبت و نبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقيه الزرع عن الحشيش بقلعه عن أصله فأخذ يجز رأسه و يقطعه فلا يزال يقوى أصله و ينبت،فإن الأخلاق المذمومه فى القلب هى مغارس المعاصى فمن لم يطهر قلبه منها لم تتم له الطاعات الظاهره،أو كمريض به جرب و قد أمر بالطلاء ليزيل ما على ظهره و يشرب الدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء و ترك الدواء متناولا ما يزيد فى الماده فلا يزال يطلى الظاهر و الجرب

۱- ۱) الإسراء الآيه ۷۲.

۲ - ۲) الحش بالفتح أو الضم ثم التشديد و الفتح أكثر من الضم:المخرج و موضع الحاجه و أصله من الحش بمعنى البستان،لأنهم كانوا يتغوطون فى البساتين،فلما اتخذوا الكنيف اطلقوا عليها الاسم مجازا،فالمراد هنا من بئر الحش خزانه الكنيف.

يتفجر من الماده التى فى الباطن.

ثم إذا تخلت عن مساوئ الأخلاق و تحلت بمعاليها على الترتيب العلمى استعدت لقبول الفيض من رب الأرباب،و لم يبق لشده القرب بينهما حجاب،فترتسم فيها صور الموجودات على ما هى عليها،على سبيل الكليه أى بحدودها و لوازمها الذاتيه لامتناع إحاطتها بالجزئيات من حيث الجزئيه،لعدم تناهيها،و إن علمت فى ضمن الكليات لعدم خروجها عنها،و حينئذ يصير (۱)موجودا تاما أبدى الوجود سرمدى البقاء،فائزا بالرتبه العليا، و السعاده القصوى،قابلا للخلافه الإلهيه و الرئاسه المعنويه،فيصل إلى اللذات الحقيقيه،و الابتهاجات العقليه التى ما رأتها عيون الأعيان،و لم تتصورها عوالى الأذهان.

فصل (الأخلاق الذميمه تحجب عن المعارف)

الأخلاق المذمومه هى الحجب المانعه عن المعارف الإلهيه،و النفحات القدسيه إذ هى بمنزله الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لم تتضح لها جليه الحال اتضاحا،كيف و القلوب كالأوانى فإذا كانت مملوءه بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغوله بغير اللّه لا تدخلها معرفه اللّه و حبه و أنسه،و إلى ذلك

أشار النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بقوله: «لو لا- أن الشياطين يحرمون إلى قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات و الأرض» فبقدر ما تتطهر القلوب هن هذه الخبائث تتحاذى شطر الحق الأول (۲)و تلألأ فيها حقائقه

۱- ۱) تذكير الضمير باعتبار إراده الإنسان لأنه صاحب النفس بل هو هى.

۲- ۲) المراد من الحق الأول هو اللّه تبارك و تعالى فكما ان الحق صفه له كذلك الأول فهو صفه بعد صفه.

كما أشار إليه صلى اللّه عليه و آله: «ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» فإن التعرض لها إنما هو بتطهير القلوب عن الكدورات الحاصله عن الأخلاق الرديه (۱)فكل إقبال على طاعه و إعراض عن سيئه يوجب جلاء و نورا للقلب يستعد به لإفاضه علم يقينى،و لذا قال سبحانه:

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(۲)

.

و قال النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم: «من عمل بما علم ورثه اللّه علم ما لم يعلم» فالقلب إذا صفى عن الكدورات الطبيعيه بالكليه يظهر له من المزايا الإلهيه و الإفاضات الرحمانيه ما لا يمكن لأعاظم العلماء

كما قال سيد الرسل: «إن لى مع اللّه حالات لا يحتملها ملك مقرب و لا نبى مرسل».

و كل سالك إلى اللّه إنما يعرف من الألطاف الإلهيه و النفحات الغيبيه ما ظهر له على قدر استعداده،و أما ما فوقه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدّق به إيمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوه و خواصها و نصدّق بوجودهما و لا نعرف حقيقتهما كما لا يعرف الجنين حال الطفل و الطفل حال المميز و المميز من العوام حال العلماء و العلماء حال الأنبياء و الأولياء.

فالرحمه الإلهيه بحكم العنايه الأزليه مبذوله على الكل غير مضنون بها على أحد،لكن حصولها موقوف على تصقيل مرآه القلب و تصفيتها عن الخبائث الطبيعيه،و مع تراكم صدأها الحاصل منها لا يمكن أن يتجلى فيها شىء من الحقائق،فلا تحجب الأنوار العلميه و الأسرار الربوبيه عن قلب من القلوب لبخل من جهه المنعم تعالى شأنه عن ذلك،بل الاحتجاب

۱- ۱) المراد من النفحات هى الإفاضات المعنويه لا النسمات كما وردت بالمعنى الثانى فى بعض الأخبار.

۲- ۲) العنكبوت الآيه:۶۹.

إنما هو من جهه القلب لكدورته و خبثه و اشتغاله بما يضاد ذلک.

ث م مـا يظهر للقلب من العلـوم لطهـارته و صـفاء جوهره هو العلم الحقيقى النورانى الـذى لاـ يقبـل الشـک و له غـايه الظهور و الانجلاء لاستفادته من الأنوار الإلهيه و الإلهامات الحقه الربانيه،و هو المراد

بقوله عليه السلام: «إنما هو نور يقذفه اللّه فى قلب من يشاء

» و إليه أشـار مولانـا أمير المـؤمنين عليه السـلام بقـوله: «ان من أحب عبـاد اللّه إليه عبـدا أعـانه اللّه على نفسه فاستشـعر الحزن و تجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى فى قلبه»(الى أن قال):

«قـد خلع سـرابيل الشـهوات،و تخلى من الهموم إلا هما واحدا انفرد به، فخرج من صـفه العمى و مشاركه أهل الهوى،و صار من مفاتيـح أبواب الهـدى و مغـاليق أبواب الردى،قـد أبصـر طريقه و سـلک سبيله و عرف منـاره،و قطع غماره (۱)،و استمسک من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس»

و فى كلام آخر له عليه السـلام «قـد أحيى قلبه و أمات نفسه حتى دقّ جليله (۲)و لطف غليظه،و برق له لامع كثير البرق،فأبان له الطريق و سـلک به السبيل،و تـدافعته الأبواب إلى باب السـلامه و دار الإقامه،و ثبتت رجلاه لطمأنينه بدنه فى قرار الأمن و الراحه بما استعمل قلبه و أرضى ربه».

و قـال عليـه السـلام فى وصـف الراسـخين مـن العلمـاء:«هجـم بهم العلم على حقيقه البصـيره و باشـروا روح اليقين و اسـتلانوا ما استوعره المترفون و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقه بالمحل الأعلى».

۱- ۱) غمره الشىء شدته و مزدحمه جمعه غمرات و غمار و غمر و منه غمرات الموت أى مكارهه و شدائده.

۲- ۲) الجليل:الكبير فى الحجم.

و بـالجمله مـا لم يحصـل للقلب التزكيه لم يحصل له هـذا القسم من المعرفه إذ العلم الحقيقى عباده القلب و قربه السـر،و كما لا تصح الصلاه التى هى عباده الظاهر إلا بعد تطهيره من النجاسه الظاهره فكذلك لا تصح عباده الباطن إلا بعد تطهيره من النجاسه الباطنيه التى هى رذائل الأخلاق و خبائث الصفات،كيف و فيضان أنوار العلوم على القلوب إنما هو بواسطه الملائكه

و قد قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سلم: «لا تدخل الملائكه بيتا فيه كلب» فإذا كان بيت القلب مشحونا بالصفات الخبيثه التى هى كلاب نابحه لم تـدخل فيه الملائكه القادسه و الحكم بثبوت النجاسه الظاهره للمشـرك، مع كونه مغسول الثوب نظيف البدن،إنما هو لسرايه نجاسه الباطنيه

فقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «بنى الدين على النظافه» يتناول زوال النجاستين،

و مـا ورد من «أن الطهـور نصـف الإيمـان» المراد به طهـاره البـاطن عن خبـائث الأخلاـق،و كـان النصف الآـخر تحليته بشـرائف الصفات و عمارته بوظائف الطاعات.

و بمـا ذكر ظهر أن العلم الـذى يحصل من طريق المجادلات الكلاميه و الاسـتدلالات الفكريه،من دون تصـقيل لجوهر النفس،لا يخلو عن الكدره و الظلمه،و لا يستحق اسم اليقين الحقيقى الذى يحصل للنفوس الصافيه فما يظنه كثير من أهل التعلق بقاذورات الـدنيا انهم على حقيقيه اليقين فى معرفه اللّه سـبحانه خلاـف الواقع،لأن اليقين الحقيقى يلزمه«روح» (1)و نور و بهجه و سـرور،و عـدم الالتفـات إلى ما سوى اللّه،و الاسـتغراق فى أبحر عظمه اللّه،و ليس شـىء من ذلك حاصـلا لهم،فما ظنوه يقينا إما تصـديق مشوب بالشبهه،أو اعتقاد جازم لم تحصل له نورانيه و جلاء و ظهور

۱- ۱) هذه الكلمه غير موجوده فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى.

و ضياء،لكدره قلوبهم الحاصله من خبائث الصفات.

و السر فی ذلک أن منشأ العلم و مناطه هو التجرد کما بین فی مقامه، فکلما تزداد النفس تجردا تزداد إیمانا و یقینا،و لا ریب فی أنه ما لم ترتفع عنها أستار السیئات و حجب الخطیئات لم یحصل لها التجرد الـذی هو مناط حقیقه الیقین فلا بـد من المجاهـده العظیمه فی التزکیه و التحلیه حتی تنفتح أبواب الهدایه و تتضح سبل المعرفه کما قال سبحانه:

وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

(١)

.

فصل (أن العمل نفس الجزاء)

کل نفس فی بدء الخلقه خالیه عن الملکات بأسرها،و إنما تتحقق کل ملکه بتکرر الأفاعیل و الآثار الخاصه به (٢)بیان ذلک أن کل قول أو فعل ما دام وجوده فی الأکوان الحسیه لا حظ له من الثبات لأن الدنیا دار التجدد و الزوال،و لکنه یحصل منه أثر فی النفس فإذا تکرر استحکم الأثر فصار ملکه راسخه،مثاله الحراره التی تحدث فی الفحم فانها ضعیفه أولا و إذا اشتدت تجمرت ثم استضاءت،ثم صارت صوره ناریه محرقه لما قارنها مضیئه لما قابلها، و کـذلک الأحوال النفسانیه إذا تضاعفت قوتها صارت ملکات راسخه و صورا باطنه تکون مبادئ للآثار المختصه بها،

١- ١) العنکبوت الآیه؟۶۹.

٢- ٢) هکذا وجدت فی النسخه المطبوعه و نسختنا الخطیه و الأصح«بها» و إن کانت الکلمه غیر موجوده فی نسخه خطیه أخری.

فالنفوس الإنسانیه فی أوائل الفطره کصحائف خالیه من النقوش و الصور تقبل کل خلق بسهوله،و إذا استحکمت فیها الأخلاق تعسر قبولها لأضدادها،و لذلک سهل تعلیم الأطفال و تأدیبهم و تنقیش نفسهم بکل صوره و صفه و یتعسر أو یتعذر تعلیم الرجال البالغین و ردهم عن الصفات الحاصله لهم لاستحکامها و رسوخها.

ثم لا خلاف فی أن هذه الملکات و أفعالها اللازمه لها إن کانت فاضله کانت موجبه للالتذاذ و البهجه و مرافقه الملائکه و الأخیار،و إن کانت ردیه کانت مقتضیه للألم و العذاب و مصاحبه الشیاطین و الأشرار،و إنما الخلاف فی کیفیه إیجابها للثواب أو العذاب،فمن قال إن الجزاء مغایر للعمل قال إن کل ملکه و فعل یصیر منشأ لترتب ثواب أو عقاب مغایر له بفعل اللّه سبحانه علی التفصیل الوارد فی الشریعه.

و من قال إن العمل نفس الجزاء قال:إن الهیئات النفسانیه اشتدت و صارت ملکه تصیر متمثله و متصوره فی عالم البیاض و الملکوت بصوره یناسبها،إذ کل شیء یظهر فی کل عالم بصوره خاصه،فان العلم فی عالم الیقظه أمر عرضی یدرک بالعقل أو الوهم و فی عالم النوم یظهر بصوره اللبن فالظاهر فی العالمین شیء واحد و هو العلم لکنه تجلی فی کل عالم بصوره، و السرور یظهر فی عالم النوم بصوره البکاء،و منه یظهر أنه قد یسرک فی عالم ما یسوءک فی عالم آخر،فاللذات الجسمانیه التی تسرک فی هذا العالم تظهر فی دار الجزاء بصوره تسوؤک و تؤذیک،و ترکها و تحمل مشاق العبادات و الطاعات و الصبر علی المصائب و البلیات یسرک فی عالم الآخره مع کونها مؤذیه فی هذا العالم.

ثم القائل بهذا المذهب قد یطلق علی هذه الصوره اسم الملک إن کانت من فضائل الأخلاق أو فواضل الأعمال.و اسم الشیطان إن کانت من أضدادها

و قـد يطلق على الأولى اسم الغلمان و الحور و أمثالهما،و على الثانيه اسم الحيّات و العقارب و أشباههما،و لا فرق بين الإطلاقين فى المعنى،و إنما الاختلاف فى الاسم.

و هـذا المـذهب يرجع إلى القـول بتجسـد الأعمـال بصـوره مـأنوسه مفرّحه أو صـوره موحشه معـذبه، و قـد ورد بـذلك أخبـار كثيره:منها:

ما روى أصحابنا عن قيس بن عاصم عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أنه قال:

يا قيس«إن مع العز ذلا،و مع الحياه موتا،و مع الـدنيا آخره،و إن لكل شـىء رقيبا و على كل شـىء حسـيبا،و إن لكل أجل كتابا،و انه لا ـ بـد لـك من قرين يـدفن معك و هو حى و تـدفن معه و أنت ميت،فإن كان كريما أكرمك،و إن كان لئيما ألأمك،ثم لا يحشر إلا معك و لا تحشر إلا معه و لا تسأل إلا عنه،فلا تجعله إلا صالحا،فإنه إن صلح أنست به و إن فسد لا تستوحش إلا منه و هو فعلك». و منها:ما استفاض من

قولهم عليهم السلام: «إن من فعل كذا خلق اللّه تعالى ملكا يستغفر له إلى يوم القيامه». و منها:

ما ورد «ان الجنه قيعان و غراسها سبحان اللّه».

و منها:

ما روى «ان الكافر خلق من ذنب المؤمن» . و منها

قولهم «المرء مرهون بعمله». و منها

قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «الذى يشرب فى آنيه الذهب و الفضه إنما يجرى فى بطنه نار جهنم». و يدل عليه قوله سبحانه.

وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (١).

و ربما كان فى قوله تعالى:

١- ١) التوبه الآيه:۴۹.

وَ لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(۱)

و قوله تعالی:

إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(۲)

.

إشاره إلیه حیث قال عز و جل: «مٰا کُنْتُمْ» و لم یقل بما کنتم.

و قال فیثاغورس الحکیم:«ستعارض لک فی أفعالک و أقوالک و أفکارک (۳)و سیظهر لک من کل حرکه فکریه أو قولیه أو عملیه صوره روحانیه،فان کانت الحرکه غضبیه أو شهویه صارت ماده لشیطان یؤذیک فی حیاتک و یحجبک عن ملاقاه النور بعد وفاتک،و إن کانت الحرکه عقلیه صارت ملکا تلتذ بمنادمته فی دنیاک و تهتدی به فی أخراک إلی جواز اللّه و کرامته»انتهی.

و هذه الکلمات صریحه فی أن مواد الأشخاص الأخرویه هی التصورات الباطنیه و النیات القلبیه و الملکات النفسیه المتصوره بصوره روحانیه وجودها وجود إدراکی،و الإنسان إذا انقطع تعلقه عن هذه الدار و حان وقت مسافرته إلی دار القرار و خلص عن شواغل الدنیا الدنیه و کشف عن بصره غشاوه الطبیعه.فوقع بصره علی وجه ذاته و التفت إلی صفحه باطنه و صحیفه نفسه و لوح قلبه و هو المراد بقوله سبحانه:

وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

(۴)

.و قوله تعالی: فَکَشَفْنٰا

۱- ۱) یس الآیه:۵۴.

۲- ۲) الطور الآیه:۱۶.

۳- ۳) هکذا وجدنا العباره فی النسخه الخطیه و المطبوعه و لا یخفی ما فیها من الإجمال.

۴- ۴) التکویر الآیه:۱۰.

عَنْکَ غِطٰاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ

(۱)

.صار إدراکه فعلا و علمه عینا و سره عیانا، فیشاهد ثمرات أفکاره و أعماله،و یری نتائج انظاره و أفعاله و یطلع علی جزاء حسناته و سیئاته،و یحضر عنده جمیع حرکاته و سکناته،و یدرک حقیقه قوله سبحانه:

وَ کُلَّ إِنسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ کِتٰاباً یَلْقٰاهُ مَنْشُوراً. اِقْرَأْ کِتٰابَکَ کَفیٰ بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً

(۲)

.

فمن کان فی غفله عن أحوال نفسه و مضیعا لساعات یومه و أمسه یقول:

مٰا لِهٰذَا الْکِتٰابِ لاٰ یُغٰادِرُ صَغِیرَهً وَ لاٰ کَبِیرَهً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً وَ لاٰ یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً

(۳)

.

یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَهٰا وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً

(۴)

.

۱- ۱) ق الآیه:۲۲.

۲- ۲) الإسراء الآیه ۱۳-۱۴.

۳- ۳) الکهف الآیه ۴۹.

۴- ۴) آل عمران الآیه:۳۰.

و قـد أيد هذا المذهب أعنى صـيروره الملكات صورا روحانيه باقيه أبد الدهر موجبه للبهجه و الالتذاذ و التوحش و التألم،بأنه لو لم تكن تلك الملكات و النيات باقيه أبدا لم يكن للخلود فى الجنه أو النار وجه صـحيح، إذ لو كان المقتضى للثواب أو للعذاب نفس العمل و القول،و هما زائلان لزم بقاء المسـبب مع زوال السبب و هو باطل،و كيف يجوز للحكيم أن يعذب عباده أبد الدهر لأجل المعصيه فى زمان قصير،فإذا منشأ الخلود هو الثبات فى النيات و الرسوخ فى الملكات.و مع ذلك فمن يعمل مثقال ذره من الخير أو الشر يرى أثره فى صحيفه نفسه أو فى صحيفه أعلى و أرفع من ذاته أبدا كما قال سبحانه:

فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَهٍ مَرْفُوعَهٍ مُطَهَّرَهٍ بِأَیْدِی سَفَرَهٍ

(۱)

.

و السـر فيه أن الأمر الذى يبقى مع النفس إلى حين مفارقتها من الدنيا و لم يرتفع عنها فى دار التكليف يبقى معها أبدا و لا يرتفع عنها أصلا لعدم تجدد ما يوجب إزالته بعد مفارقته عن عالم التكليف.

ثم الظـاهر أن هـذا المـذهب-عنـد من قال به من أهل الشـرائع- بيان لكيفيه الثواب و العقاب الروحانيين مع إذعانه بالجنه و النار الجسـمانيين» إذ لو كـان مراده قصـر اللـذه و الثواب و الأـلم و العقـاب و الجنات و القصور و الغلمان و الحور و النار و الحجيم و الزقوم و الضـريع و سـاير مـا ورد فى الشـريعه القـادسه من أمور القيـامه على ما ذكر فهو مخالف لضـروره الـدين، (تنبيه)الـدنيا و الآـخره متضادتـان،و كل ما يقرب العبـد إلى أحـداهما يبعـد عن الأخرى و بالعكس،كما دلت عليه البراهين الحكميه و الشواهد الذوقيه و الأدله السمعيه،فكل ملكه أو حركه أو قول أو فعل يقرب العبد

ص: ۵۲

۱- ۱) عبس الآيه:۱۳-۱۵.

إلى دار الطبيعه و الغرور يبعده عن عالم البهجه و السرور،و بالعكس، فأسوأ الناس حالا من لم يعرف حقيقه الدنيا و الآخره و تضادهما و لم يخف سوء العاقبه و أفنى عمره فى طلب الدنيا و إصلاح أمر المعاش و قصر سعيه على جر المنفعه لبدنه من نيل شهوه أو بلوغ لذه أو اكتساب ترفع،و رئاسه أو جمع المال من غير تصور لما يصل إليه من فائدته،كما هو عاده أكثر أبناء الدنيا،و لم يعرف غير هذه الأمور من المعارف الحقيقيه و الفضائل الخلقيه و الأعمال الصالحه المقربه إلى عالم البقاء فكأنه يعلم خلوده فى الدنيا، و لا يرجو بعد الموت ثواب عمل،و لا جزاء فعل،و لا يعتقد بما يرجوه المؤمنون و يؤمله المتقون من الخير الدائم،و اللذات المخالفه لهذه اللذات الفانيه التى يشارك فيها السباع و البهائم،فإذا أدركه الموت مات على حسره و ندامه آيسا من رحمه اللّه قائلا:

يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّهِ

(١)

.

أعاذنا اللّه تعالى من سوء الخاتمه و وقفنا لتحصيل السعاده الدائمه

فصل (تأثير المزاج على الأخلاق)

للمزاج مدخليه تامه فى الصفات:فبعض الأمزجه فى أصل الخلقه مستعد لبعض الأخلاق،و بعضها مقتض لخلافه،فإنا نقطع بأن بعض الأشخاص بحسب جبلته،و لو خلى عن الأسباب الخارجيه،بحيث يغضب و يخاف و يحزن بأدنى سبب،و يضحك بأدنى تعجب،و بعضهم بخلاف ذلك.

١- ١) الزمر الآيه:٥٦.

و قد يكون اعتدال القوى فطريا بحيث يبلغ الإنسان كامل العقل،فاضل الأخلاق غالبه قوته العاقله على قوتى الغضب و الشهوه،كما فى الأنبياء و الأئمه عليهم السلام.و قد يكون مجاوزتها عن الوسط كذلك بحيث يبلغ ناقص العقل ردى الصفات مغلوبه عاقلته تحت سلطان الغضب و الشهوه،كما فى بعض الناس.

إلا أن الحق-كما يأتى-إمكان زوالها بالمعالجات المقرره فى علم الأخلاق،فيجب السعى فى إزاله نقائضها و تحصيل فضائلها.و عجبا لأقوام يبالغون فى إعاده الصحه الجسمانيه الفانيه،و لا يجتهدون فى تحصيل الصحه الروحانيه الباقيه،يطيعون قول الطبيب المجوسى فى شرب الأشياء الكريهه و مزاوله الأعمال القبيحه،لأجل صحه زائله،و لا يطيعون أمر الطبيب الإلهى لتحصيل السعاده الدائمه.

و بقاء النفس على النقصان إما لعدم صرفها إلى طلب المقصود لملابسه العوائق و الموانع،أو مزاوله النقيض لتمكن موجبه،أو لكثره اشتغالها بالشواغل المحسوسه،أو لضعف القوه العاقله،فإن لم تدركها العنايه الإلهيه فلا يزال يتزايد النقصان و يبعد عن الكمال الذى خلق لأجله،إلى أن تدركها الهلاكه الأبديه و الشقاوه السرمديه،نعوذ باللّه من ذلك و إن أدركته الرحمه الأزليه،فيصرف همه فى إزاله النقائص،و اكتساب الفضائل، فلا يزال يتصاعد من مرتبه من الكمال إلى فوقها،حتى يصير من أهل مشاهده الجلال و الجمال،و يتشرف بجوار الرب المتعال و يصل إلى السرور الحقيقى،الذى لا عين رأت،و لا أذن سمعت،و لا خطر على قلب بشر و إلى قره الأعين التى يشير إليها فى قوله سبحانه:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ

(١)

.

١- ١) السجده الآيه:١٧،

فصل (تأثیر التربیه علی الأخلاق)

الخلق عباره عن«ملکه للنفس مقتضیه لصدور الأفعال بسهوله من دون احتیاج إلی فکر و رویه» (۱).و الملکه:کیفیه نفسانیه بطیئه الزوال.

و بالقید الأخیر خرج الحال لأنها کیفیه نفسانیه سریعه الزوال،و سبب وجود الخلق إما المزاج کما مر،أو العاده بأن یفعل فعلا بالرویه،أو التکلف و یصبر علیه إلی أن یصیر ملکه له و یصدر عنه بسهوله و إن کان مخالفا لمقتضی المزاج.

و اختلف الأوائل فی إمکان إزاله الأخلاق و عدمه،و ثالث الأقوال أن بعضها طبیعی یمتنع زواله و بعضها غیر طبیعی حاصل من أسباب خارجه یمکن زواله.و رجح المتأخرون الأول و قالوا:لیس شیء من الأخلاق طبیعیا و لا مخالفا للطبیعه.بل النفس بالنظر إلی ذاتها قابله للاتصاف بکل من طرفی التضاد،إما بسهوله إن کان موافقا للمزاج،أو بعسر إن کان مخالفا له،فاختلاف الناس فی الأخلاق لاختلافهم فی الاختیار و المزاوله لأسباب خارجه.

(حجه القول الأول)أن کل خلق قابل للتغییر و کل قابل للتغییر لیس طبیعیا فینتج لا شیء من الخلق بطبیعی و الکبری بدیهیه،و الصغری وجدانیه،فإنه نجد أن الشریر یصیر بمصاحبته الخیّر خیرا،و الخیّر بمجالسه

۱- ۱) ما بین القوسین فی الموضع غیر موجود فی نسختنا الخطیه لکنه موجود فی نسخه خطیه أخری و فی المطبوعه.

الشریر شریرا.و نری أن التأدیب«فی السیاسات (۱)»فیه أثر عظیم فی زوال الأخلاق،و لولاه لم یکن لقوه الرویه فائده و بطلت التأدیبات و السیاسات و لغت الشرایع و الدیانات،و لما قال اللّه سبحانه: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاها» (۲).

و لما قال النبی صلی اللّه علیه و آله: «حسنوا أخلاقکم»

و لما قال: «بعثت لأتمم مکارم الأخلاق»، و ردّ:بمنع کلیه الصغری فإنا نشاهد أن بعض الأخلاق فی بعض الأشخاص غیر قابل للتبدیل(لا)سیما ما یتعلق بالقوه النظریه،کالحدس و التحفظ،و جوده الذهن،و حسن التعقل،و مقابلاتها کما هو معلوم من حال بعض الطلبه،فإنه لا ینجح سعیهم فی التبدیل مع مبالغتهم فی المجاهده.

و ما قیل:من لزوم تعطل القوه الممیزه و بطلان التأدیب و السیاسات مردود:بأن هذا اللزوم إذا لم یکن شیء من الأخلاق قابلا للتغییر،و أما مع قبول بعضها أو أکثرها له فلا یلزم شیء مما ذکر،و لو کان عدم قبول بعض الأخلاق التغییر موجبا لبطلان علم الشرائع و الأخلاق لکان عدم قبول بعض الأمراض للصحه مقتضیا لبطلان علم الطب،مع أنا نعلم بدیهه أن بعض الأمراض لا یقبل العلاج.

(و حجه القول الثانی)أن الأخلاق بأسرها تابعه للمزاج،و المزاج لا یتبدل،و اختلاف مزاج شخص واحد فی مراتب سنه لا ینافی ذلک، لجواز تابعیتها لجمیع مراتب عرض المزاج،و أیّد ذلک

بقوله صلی اللّه علیه و آله:

(الناس معادن کمعادن الذهب و الفضه خیارهم فی الجاهلیه خیارهم

۱- ۱) ما بین القوسین فی الموضعین غیر موجود فی نسختنا الخطیه لکنه موجود فی نسخه خطیه أخری و فی المطبوعه.

۲- ۲) الشمس الآیه:۹.

الإسلام)

و بقوله صلى اللّه عليه و آله: «اذا سمعتم أن جبلا زال عن مكانه فصدقوه،و إذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوه،فإنه سيعود إلى ما جبل عليه».

و(الجواب)أن توابع المزاج من المقتضيات التى يمكن زوالها،لا من اللوازم التى يمتنع انفكاكها،لما ثبت فى الحكمه من أن النفوس الإنسانيه متفقه فى الحقيقه،و فى بدو فطرتها خاليه عن جميع الأخلاق و الأحوال كما هو شأن العقل الهيولائى.ثم ما بحصل لها منهما أما من مقتضيات الاختيار و العاده أو استعدادات الأبدان و الأمزجه و المقتضى ما يمكن زواله كالبروده للماء،لا ما يمتنع انفكاكه كالزوجيه للأربعه و الخبر الأول لا يفيد المطلوب بوجه.و الثانى مع عدم ثبوته عندنا يدل على خلاف مطلوبهم،لأن قوله:

«سيعود إلى ما جبل عليه»يفيد إمكان إزاله الخلق بالأسباب الخارجيه من التأديب و النصائح و غيرهما،و بعد إزالته بها يعود بارتفاعها كبروده الماء التى تزول ببعض الأسباب و تعود بعد زوال السبب،فلو دام على حفظ الأسباب و إبقائها لم يحصل العود أصلا.

و إذا ثبت بطلان القولين الأولين فالحق القول بالتفصيل،يعنى قبول بعض الأخلاق بل أكثرها بالنسبه إلى الأكثر التبديل للحس و العيان،و لبطلان السياسات و الشرائع لولاه و لإمكان تغير خلق البهائم،إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى الأنس و الفرس من الجماح إلى الانقياد و الكلب من الهراشه إلى التأدب،فكيف لا يمكن فى حق الإنسان،و عدم قبول بعضها بالنسبه إلى البعض له،للمشاهده و التجربه،و هذا البعض مما لا يكون التعلق التكليف كالأخلاق المتعلقه بالقوه العقليه من الذكاء و الحفظ و حسن التعقل و غيرها.

و التصفح يعطى اختلاف الأشخاص و الأخلاق فى الإزاله و الاتصاف بالضد بالإمكان و التعذر و السهوله و التعسر و بالتقليل و الرفع بالمره،و لذا لو تصفحت

أشخاص العالم لم تجد شخصين متشابهين فى جميع الأخلاق،كما لا تجد اثنين متماثلين فى الصوره.و يشير إلى ذلك

قوله صلى اللّه عليه و آله:

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

و قال أرسطاطاليس:«يمكن صيروره الأشرار أخيارا بالتأديب إلا أن هذا ليس كليا.فإنه ربما أثر فى بعضهم بالزوال و فى بعضهم بالتقليل و ربما لم يؤثر أصلا».

ثم المراد من التغيير ليس رفع الغضب و الشهوه مثلا-و إماطتهما بالكليه فإن ذلك محال لأنهما مخلوقتان لفائده ضروريه فى الجبله،إذ لو انقطع الغضب عن الإنسان بالكليه لم يدفع عن نفسه ما يهلكه و يؤذيه و امتنع جهاد الكفار،و لو انعدم عنه شهوه الطعام لم تبق حياته،و لو بطل عنه شهوه الوقاع بالمره لضاع النسل،بل المراد ردهما من الإفراط و التفريط إلى الوسط فالمطلوب فى صفه الغضب خلو النفس عن الجبن و التهور و الاتصاف بحس الحميه،و هو أن يحصل إذا استحسن حصوله شرعا و عقلا،و لا يحصل إذا استحسن عدمه كذلك.و كذا الحال فى صفه الشهوه.

و لا ريب فى أن رد بعض الموجودات الناقصه من القوى و غيرها إذا وجدت فيه قوه الكمال إلى كماله ممكن إذا كان له شرط يرتبط باختيار العبد فكما أن النواه يمكن أن تصير نخلا بالتربيه،لوجود قوه النخليه فيه، و توقف فعليتها على شرط التربيه التى بيد العبد،فكذلك يمكن تعديل قوتى الغضب و الشهوه بالرياضه و المجاهده،لوجود قوه التعديل فيهما،و توقف فعليتهما على شرط ارتبط باختيار العبد أعنى الرياضه و المجاهده،و إن لم يمكن لنا قلعهما بالكليه،كما لا يمكن لنا إعدام شىء من الموجودات و لا إيجاد شىء من المعدومات.

ثم شرائط الرد تختلف بالنسبه إلى الأشخاص و الأخلاق،و لذا نرى

أن التبـديل يختلف باختلاف مراتب السـياسات و التأديب،فيمكن أن لا يرتفع مذموم خلق بمرتبه من التأديب،و يرتفع بمرتبه منه فوقهـا،و الأسـهل قبولاـ لكـل خلـق الأطفـال لخلـو نفوسـهم عن الأضـداد المـانعه من القبول،فيجب على الآبـاء تـأديبهم بالآـداب الجميله،و صونهم عن ارتكـاب الأعمـال القـبيحه حـتى تعتـاد نفوسـهم بترك الرذائـل،و ارتكـاب الفضائـل،و المؤدب الأـول هو النـاموس الإلـهى،و الثـانى أولو الأذهـان القويمه من أهـل المعـارف الحقه، فيجب تقييـد من يراد تأديبه بالنواميس الربانيه أولا،و تنبيهه بالحكم و المواعظ ثانيا.

فصل (شرف علم الأخلاق بشرف موضوعه و غايته)

لمـا عرفت أن الحيـاه الحقيقيه للإنسـان تتوقف على تهـذيب الأخلاق الممكن بالمعالجات المقرره فى هـذه الصـناعه،تعرف أنها أشـرف العلوم و أنفعها لأن شـرف كل علم إنما بشـرف موضوعه أو غايته،فشـرف صـناعه الطب على صناعه الدباغه بقدر شرف بـدن الإنسـان و إصـلاحه على جلود البهـائم،و موضوع هـذا العلم هو النفس النـاطقه التى هى حقيقه الإنسـان و لبّه،و هو أشـرف الأـنواع الكـونيه كمـا برهن عليه فى العلـوم العقليه، و غـايته إكمـال و إيصـاله من أول أفق الإنسـان إلى آخره،و لكونه ذا عرض عريض متصـلا،أوله بـأفق البهائم،و آخره بأفق الملائكه لا يكاد أن يوجـد التفاوت الـذى بين أشـخاص هـذا النوع فى أفراد سائر الأنواع،فإن فيه أخس الموجودات و منه أشرف الكائنات كما قيل:

و لم أر أمثال الرجال تفاوتت.لدى المجد حتى عدّ ألف بواحد

ص :۵۹

و بالفارسیه:

أی نقد أصل و فرع ندانم چه گوهری

کز آسمان بلندتر و از خاک کمتری

و إلی ذلک التفاوت یشیر

قول سید الرسل صلی اللّه علیه و آله و سلم:

«إنی وزنت بأمتی فرجحت بهم» ،و لا ریب فی أن هذا التفاوت لأجل الاختلاف فی الأخلاق و الصفات،لاشتراک الکل فی الجسمیه و لواحقها.

و هذا العلم هو الباعث للوصول إلی أعلی مراتبهما،و به تتم الإنسانیه و یعرج من حضیض البهیمیه إلی ذری الرتب الملکیه،و أی صناعه أشرف مما یوصل أخس الموجودات إلی أشرفها،و لذلک کان السلف من الحکماء لا یطلقون العلم حقیقه إلا علیه،و یسمونه بالإکسیر الأعظم،و کان أول تعالیمهم،و یبالغون فی تدوینه و تعلیمه،و البحث عن إجماله و تفصیله، و یعتقدون أن المتعلم ما لم یهذب أخلاقه لا تنفعه سائر العلوم.

و کما أن البدن الذی لیس بالنقی کلما غذوته فقد زدته شرا،فکذلک النفس التی لیست نقیه عن ذمائم الأخلاق لا یزیده تعلم العلوم إلا فسادا.

و لذا تری أکثر المتشبهین بزی العلماء أسوأ حالا من العوام مائلین عن وظائف الإیمان و الإسلام،إما لشده حرصهم علی جمع المال،غافلین عن حقیقه المآل،أو لغلبه حبهم الجاه و المنصب،ظنا منهم أنه ترویج للدین و المذهب،أو لوقوعهم فی الضلاله و الحیره لکثره الشک و الشبهه،أو لشوقهم إلی المراء و الجدال فی أندیه الرجال،إظهارا لتفوقهم علی الأقران و الأمثال أو لإطلاق ألسنتهم علی الآباء المعنویه من أکابر العلماء و أعاظم الحکماء، و لعدم تعبدهم برسوم الشرع و المله،ظنا منهم أنه مقتضی قواعد الحکمه، و لم یعلموا أن الحکمه الحقیقه ما أعطته النوامیس الإلهیه و الشرائع الثبویه، فکأنهم لم یعلموا أن العلم بدون العمل ضلال،و لم یتفطنوا

قول نبیهم صلی اللّه علیه و آله و سلم: «قصم ظهری رجلان،عالم متهتک،و جاهل

متنسک» و لم یتذکروا

قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم: «البلاهه أدنی إلی الإخلاص من فطانه بتراء» ،و کل ذلک لیس إلا لعدم سعیهم فی تهذیب الأخلاق و تحسینها و عدم الامتثال لقوله سبحانه:

وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا

(۱)

.

فصل (النفس و أسماؤها و قواها الأربع)

اشاره

ما عرفت من تجرد النفس إنما هو التجرد فی الذات دون الفعل لافتقارها فعلا- إلی الجسم و الآله،فحدّها:أنها جوهر ملکوتی یستخدم البدن فی حاجاته،و هو حقیقه الإنسان و ذاته و الأعضاء و القوی آلاته التی یتوقف فعله علیها،و له أسماء مختلفه بحسب اختلاف الاعتبارات،فیسمی (روحا)لتوقف حیاه البدن علیه و(عقلا)لإدراکه المعقولات و(قلبا) لتقلبه فی الخواطر،و قد تستعمل هذه الألفاظ فی معان أخری تعرف بالقرائن.

و له قوی أربع:قوه عقلیه ملکیه،و قوه غضبیه سبعیه،و قوه شهویه بهیمیه،و قوه وهمیه شیطانیه.و(الأولی)شأنها إدراک حقائق الأمور، و التمییز بین الخیرات و الشرور،و الأمر بالأفعال الجمیله،و النهی عن الصفات الذمیمه.و(الثانیه)موجبه لصدور أفعال السباع من الغضب و البغضاء و التوثب علی الناس بأنواع الأذی.و(الثالثه)لا- یصدر عنها إلا أفعال البهائم من عبودیه الفرج و البطن،و الحرص علی الجماع و الأکل.

۱- ۱) البقره الآیه:۱۲۹.

و(الرابعه)شأنها استنباط وجوه المكر و الحيل،و التوصل إلى الأغراض بالتلبيس و الخدع، و الفائده فى وجود القوه الشهويه بقاء البدن الذى هو آله تحصيل كمال النفس،و فى وجود الغضبيه أن يكسر سوره الشهويه و الشيطانيه،و يقهرهما عند انغمارهما فى الخداع و الشهوات،و اصرارهما عليهما،لأنهما لتمردهما لا تطيعان العاقله بسهوله،بخلاف الغضبيه فإنهما تطيعانها و تتأدبان بتأديبها بسهوله.

و لذا قال أ فلاطون فى صفه السبعيه و البهيميه:«أما هذه أى السبعيه فهى بمنزله الذهب فى اللين و الانعطاف،و أما تلك أى البهيميه فهى بمنزله الحديد فى الكثافه و الامتناع» و قال أيضا:«ما أصعب أن يصير الخائض فى الشهوات فاضلا،فمن لا تطيعه الواهمه و الشهويه فى إيثار الوسط فليستعن بالقوه الغضبيه المهيجه للغيره،و الحميه حتى يقهرهما»فلو لم يمتثلا مع الاستعانه فإن لم تحصل له ندامه بعد ارتكاب مقتضاهما دل على غلبتهما على العاقله و مقهوريتها عنهما،و حينئذ لا يرجى صلاحه،و إلا فالإصلاح ممكن فليجتهد فيه و لا ييأس من روح اللّه،فإن سبل الخيرات مفتوحه، و أبواب الرحمه الإلهيه غير مسدوده.

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(۱)

.

و الفائده فى القوه الوهميه إدراک المعانى الجزئيه،و استنباط الحيل و الدقائق التى يتوصل بها إلى المقاصد الصحيحه.

و بيان ذلک أن الواهمه و الخيال و المتخيله ثلاث قوى متباينه،و مباينه للقوى للثلاث الأول،و شأن الأولى إدراک المعانى الجزئيه،و شأن الثانيه إدراک الصور،و شأن الثالثه التركيب و التفصيل بينهما.و كل من مدركاتها

۱- ۱) العنكبوت الآيه:۶۹.

إما مطابق للواقع،أو مخترع من عند أنفسها من غير تحقق له فی نفس الأمر أيضا،و إما من مقتضيات العقل و الشريعه،و من الوسائل إلى المقاصد الصحيحه،أو من دواعی الشيطان و ما يقتضيه الغضب و الشهوه، و على الأول يكون وجودها خيرا و كمالا،و إن كان وجودها على الثانی شرا و فسادا.و الحال فی جميع القوى كذلك.

هذا و قيل:ما ورد فی القرآن من النفس المطمئنه و اللوامه و الأماره بالسوء،إشاره إلى القوى الثلاث أعنی العاقله و السبعيه و البهيميه، و الحق أنها أوصاف ثلاثه للنفس بحسب اختلاف أحوالها،فإذا غلبت قوتها العاقله على الثلاث الأخر،و صارت منقاده لها مقهوره منها،و زال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سميت«مطمئنه»،لسكونها حينئذ تحت الأوامر و النواهی،و ميلها إلى ملائماتها التی تقتضی جبلتها،و إذا لم تتم غلبتها و كان بينها تنازع و تدافع،و كلما صارت مغلوبه عنها بارتكاب المعاصی حصلت للنفس لوم و ندامه سميت«لوامه».و إذا صارت مغلوبه منها مذعنه لها من دون دفاع سميت«أماره بالسوء»لأنه لما اضمحلت قوتها العاقله و أذعنت للقوى الشيطانيه من دون مدافعه،فكأنما هی الآمره بالسوء.

ثم مثل اجتماع هذه القوى فی الإنسان كمثل اجتماع ملك،أو حكيم و كلب و خنزير و شيطان فی مربط واحد،و كان بينها منازعه،و أيها صار غالبا كان الحكم له،و لم يظهر من الأفعال و الصفات إلا ما تقتضيه جبلته فكان إهاب الإنسان وعاء اجتمع فيه هذه الأربع، فالملك أو الحكيم هو القوه العاقله،و الكلب هو القوه الغضبيه،فإن الكلب ليس كلبا و مذموما للونه و صورته بل لروح معنى الكلبيه و السبعيه أعنی الضراوه و التكلب على الناس بالعقر و الجرح،و القوه الغضبيه موجبه لذلك،فمن غلب فيه هذه

القـوه هـو الكلب حقيقه،و إن أطلق عليه اسم الإنسـان مجـازا،و الخنزير هو القوه الشـهويه،و الشـيطان هو القوه الوهميه،و التقريب فيهما كما ذكر، و النفس لا تزال محل تنازع هـذه القوى و تـدافعها إلى أن يغلب إحـداها، فالغضبيه تدعوه إلى الظلم و الإيذاء،و العداوه و البغضاء،و البهيميه تدعوه إلى المنكر و الفواحش،و الحرص على المآكل و المناكح،و الشيطانيه تهيّج غضب السبعيه و شهوه البهيميه،و تزيـد (۱)فعلهما،و تغرى إحـداهما بالأخرى و العقل شأنه أن يدفع غيظ السـبعيه بتسـليط الشـهويه عليها،و يكسر سوره الشـهويه بتسـليط السـبعيه عليها،و يرد كيد الشيطان و مكره بالكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذه،و نورانيته الباهره،فإن غلب على الكل يجعلها مقهوره تحت سياسـته غير مقدمه على فعل إلا بإشارته جرى الكل على المنهج الوسط،و ظهر العدل فى مملكه البـدن،و إن لـم يغلـب عليهـا و عجز عـن قهرهـا قهروه و اسـتخدموه فلاـ يزال الكلـب فى العقر و الإيـذاء،و الخنزير فى المنكر و الفحشاء،و الشـيطان فى استنباط الحيل،و تدقيق الفكر فى وجوه المكر و الخدع،ليرضى الكلب و يشبع الخنزير،فلا يزال فى عباده كلب عقـور أو خنزير هلـوع أو شـيطان عنود،فتـدركه الهلاـكه الأبـديه،و الشـقاوه السـرمديه،إن لم تغثه العنـايه الإلـهيه،و الرحمه الأزليه.

و قـد يمثـل اجتمـاع هـذه القوى فى الإنسـان براكب بهيمه طـالب للصـيد يكون معه كلب و عين من قطـاع الطريق،فـالراكب هو العقل،و البهيمه هى الشـهوه،و الكلب هو الغضب،و العين هو القوه الوهميه التى هى من جواسـيس الشـيطان،فإن كان الكل تحت سيـاسه الراكب فعـل ما يصـلح للكل و نال ما بصـدده،و إن كانت الغلبه و الحكم للبهيمه أو الكلب لهلك الراكب بـذهابه معهما فيما لا يصلح له من التلال و الوهاد،و اقتحامه فى موارد

ص: ۶۴

۱- ۱) و فى نسختنا الخطيه هكذا«تزين».

الهلکات،و إن کان الکل تحت نهی العین و أمره،و افتتنوا بخدعه و مکره لأضلهم بتلبیسه عن سواء السبیل حتی یوصلهم إلی أیدی السارقین.

و کذلک لو کانت القوی بأسرها تحت إشاره العقل و قهرها و غلب علیها وقعت لانقیادها له المسالمه و الممازجه بین الکل،و صار الجمیع کالواحد لأن المؤثر و المدبر حینئذ لیس إلا قوه واحده تستعمل کلا منها فی المواضع اللائقه و الأوقات المناسبه،فیصدر عن کل منها ما خلق لأجله،علی ما ینبغی من القدر و الوقت و الکیفیه،فتصلح النفس و قواها.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاها

(۱)

.

و لو لم یغلب العقل حصل التدافع و التجاذب بینه و بین سائر القوی، و یتزاید ذلک إلی أن یؤدی إلی انحلال الآله و القوه لو یصیر العقل مغلوبا فتهلک النفس و قواها، وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها (۲).

(تتمیم)لما تبین أن للنفس اربع قوی متخالفه،و لها قوی أخر أیضا کما تبین فی العلم الطبیعی.فیحسب غلبه بعض هذه القوی علی بعض یحصل فی النفس اختلاف عظیم،و الاختلاف فی النفوس إنما هو باختلاف صفاتها الحاصله من غلبه بعض قواها المتخالفه.إذ هی فی بدو فطرتها خالیه عن جمیع الأخلاق و الملکات،و لیس لها فعلیه،بل هی محض القوه،و لذا لیس لها قوام بذاتها و إنما تتقوم بالبدن،ثم بتوسط قواها تکتسب العلوم و الأخلاق،و ترتسم بالصور و الأعمال إلی أن تتقوم بها،و تصل إلی

۱- ۱) الشمس الآیه:۹.

۲- ۲) الشمس الآیه:۱۰.

ما خلقت لأجله.

و لما كانت قواها متخالفه متنازعه فما لم يغلب إحداها لم تدخل النفس فى عالمه (۱)الذى يخصه فلا تزال من تنازعها معركه للآثار المختلفه و الأحكام المتباينه إلى أن يغلب إحداها فتظهر فى النفس آثاره و يدخل فى عالمه الخاص.

و لما كانت القوه العاقله من سنخ الملائكه،و الواهمه من حزب الأبالسه و الغضبيه من أفق السباع،و الشهويه من عالم البهائم،فبحسب غلبه واحده منها تكون النفس إما ملكا أو شيطانا أو كلبا أو خنزيرا،فلو كانت الغلبه و السلطنه لقهرمان العقل ظهر فى مملكه النفس أحكامه و آثاره،و انتظمت أحوالها،و لو كانت لغيره من القوى ظهر فيها آثاره فتهلك النفس و يحتل معاشها و معادها.

ثم المنشأ للتنازع و التجاذب و البقاء فى نفس الإنسانيه إنما هو قوتها العقليه لأن التدافع إنما بينها و بين سائر القوى،فليس فى نفوس سائر الحيوانات لفقدانها العاقله تنازع و تجاذب و إن اختلفت فى غلبه ما فيها من القوى،فإن الغلبه فى الشياطين للواهمه،و فى السباع للغضب،و فى البهائم للشهوه،و أما الملائكه فتنحصر قوتها بالعاقله فليس فيها سائر القوى فلا يتحقق فيها تدافع و تنازع.فالجامع لعوالم الكل هو الإنسان و هو المخصوص من بين المخلوقات بالصفات المتقابله،و لذلك صار مظهرا للأسماء المتقابله الإلهيه،و قابلا للخلافه الربانيه،و قائما بعماره عالمى الصوره و المعنى.

و الملائكه و إن كانوا مخصوصين بالجنه الروحانيه و لوازمها من الإشراقات العلميه،و توابعها من اللذات العقليه،إلا أنه ليس لهم جهه جسمانيه و لوازمها.و الأجسام الفلكيه و ان كانت لها نفوس ناطقه على قواعد الحكمه إلا أنها خاليه عن الطبائع المختلفه،و الكيفيات المتباينه،و ليس لها

۱- ۱) فى نسختنا الخطيه هكذا«فى علله التى تخصها».

فى المـدارج المتخـالفه،و المراتـب المتفـاوته،و لاـ تقلّب فى أطـوار النقص و الكمـال،و لاـ تحـول فى جميع التقـاليب و الأـحوال،بخلاـف الإنسـان فـإنه محيـط بجميع المراتب المختلفه،و سـائر فى الأـطوار المتباينه من الجماديه و النباتيه و الحيوانيه و الملكيه،و له الترقى عن جميع تلك المراتب بأن تتحقق له مرتبه مشاهـده الوحـده الصـرفه فيتجاوز عن أفق الملائكه،فهو النسـخه الجامعه لحقائق الملك و الملكوت،و المعجون المركب من عالمى الأمر و الخلق

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن اللّه خص الملك بالعقل دون الشهوه و الغضب،و خص الحيوانات بهما دونه و شرّف الإنسان بإعطاء الجميع فإن انقادت شـهوته و غضـبه لعقله صار أفضل من الملائكه لوصوله إلى هذه المرتبه مع وجود المنازع و الملائكه ليس لهم مزاحم».

وصل

قد ظهر بما ذكر أن الإنسان ذو جنبه روحانيه يناسب بها الأرواح الطيبه و الملائكه القادسه،و ذو جنبه جسمانيه يشابه بها السباع و الأنعام، فبالجزء الجسـمانى أقيم فى هذه العالم الحسـى مده قصيره،و بالجزء الروحانى ينتقل إلى العالم العلوى،و يقيم فيه أبدا فى مصـاحبه الأرواح القدسـيه، بشـرط أن يتحرك بقواه نحو كمالاتها الخاصه،حتى يغلب الجزء الروحانى على الجسـمانى،و ينفض عن نفسه كدورات الطبيعه،و تظهر فيه آثار الروحانيات من العلم بحقائق الأشياء و الأنس باللّه تعالى و الحب له و التحلى بفضائل الصـفات. و حينئذ يقوم بغلبه روحانيته بين الملأ الأعلى يسـتمد منهم لطائف الحكمه،و يستنير بالنور الإلهى و يزيد ذلك بحسب رفع العلائق الجسـميه،حتى إذا ارتفعت عنه حجب الغواسق الطبيعيه بأسـرها،و أزيلت عنه اسـتار العوائق الهيولانيه برمتها،خلى عن جميع الآلام و الحسرات،

و كـان أبـدا مسـرورا بـذاته،مغتبطـا بحاله،مبتهجا بما يرد عليه من فيوضات النور الأول،و لا يسرّ إلا بتلك اللـذات،و لا يغتبط إلا بهـا،و لاـ يهش إلاـ بإظهار الحكمه الحقه بين أهلها،و لا يرتاح إلا بمن ناسـبه و أحب الاقتباس منه،و لا يبالى بمفارقه الـدنيا و ما فيهـا،و يرى جسـمه و ماله و جميع خيرات الـدنيا وبالا و كلا عليه إلا ما هو ضـرورى يحتاج إليه بـدنه الـذى يفتقر إليه فى تحصـيل كماله،و يحن أبـدا إلى مصاحبه الـذوات النوريه، و لا يفعل إلا ما أراد اللّه تعالى منه،و لا يتعرض إلا لما يقربه إليه،و لا يخـالفه فى متـابعه الشـهوات الرديه،و لاـ ينخـدع بخـدائع الطـبيعه،و لاـ يلتفت إلى شـىء يعوقه عن سـعادته،و لاـ يحزن على فقد محبوب،و لا فوت مطلوب و إذا صفى من الأمور الطبيعيه بالكليه زالت عنه العوارض النفسانيه، و الخواطر الشيطانيه بأسرها،و فنى عنه إرادته المتعلقه بالأمور.و حينئذ يمتلى من المعارف الإلهيه،و الشوق الإلهى و البهجه الإلهيه،و الشعار الإلهى، و تتقرر الحقائق فى عقله كتقرر القضايا الأوليه فيه،بل يكون علمه بها أشـد إشـراقا و ظهورا من علمه بها.و إذا بلغ هذه الغايه فقد اسـتعد للوصول إلى المرتبه القصوى،و مجـاوره الملأـ الأـعلى،فيصـل إلى مـا لا عين رأت، و لا أذن سـمعت،و لا خطر على قلب بشـر،و يفوز بما أشير إليه فى الكتاب الإلهى بقوله:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ

(۱)

.

۱- ۱) السجده الآیه:۱۷.

فصل (الأقوال فی الخیر و السعاده و التوفیق بینها)

اعلم أن الغایه فی تهذیب النفس عن الرذائل و تکمیلها بالفضائل هو الوصول إلی الخیر و السعاده.و السلف من الحکماء قالوا:إن(الخیر)علی قسمین مطلق و مضاف،و المطلق هو المقصود من إیجاد الکل،إذ الکل یتشوقه و هو غایه الغایات،و المضاف ما یتوصل به إلی المطلق.و(السعاده) هو وصول کل شخص بحرکته الإرادیه النفسانیه إلی کماله الکامن فی جبلته و علی هذا فالفرق بین الخیر و السعاده أن الخیر لا یختلف بالنسبه إلی الأشخاص،و السعاده تختلف بالقیاس إلیهم.

ثم الظاهر من کلام أرسطاطالیس أن الخیر المطلق هو الکمالات النفسیه و المضاف ما یکون معدا لتحصیلها کالتعلم و الصحه،أو نافعا فیه کالمکنه و الثروه.

و أما السعاده فعند الأقدمین من الحکماء راجعه إلی النفوس فقط، و قالوا لیس للبدن فیها حظ،فحصروها فی الأخلاق الفاضله،و احتجوا علی ذلک بأن حقیقه الإنسان هی النفس الناطقه و البدن آله لها،فلا ـ یکون ما یعد کمالا ـ له سعاده للإنسان. و عند المتأخرین منهم کأرسطو و من تابعه راجعه إلی الشخص حیث الترکیب،سواء تعلقت بنفسه أو بدنه،لأن کل ما یلائم جزءا من شخص معین فهو سعاده جزئیه بالنسبه إلیه، مع أنه یتعسر صدور الأفعال الجمیله بدون الیسار،و کثره الأعوان و الأنصار،و البخت المسعود،و غیر ذلک مما لا یرجع إلی النفس،و لذا قسموا السعاده إلی ما یتعلق بالبدن من حیث هو کالصحه و اعتدال المزاج

و إلى مـا يتوصـل به إلى إفشـاء العوارف و مثله ممـا يوجب اسـتحقاق المـدح كالمـال و كـثره الأـعوان،و إلى مـا يوجب حسـن الحـديث و شـيوع المحمـده، و إلى مـا يتعلق بإنجـاح المقاصـد و الأـغراض على مقتضـى الأمـل،و إلى مـا يرجع إلى النفس من الحكمه و الأخلاق المرضـيه.و قالوا كمال السـعاده لا يحصل بـدون هـذه الخمسه،و بقـدر النقصان فيها تنقص.قالوا و فوق ذلك سعاده محضه لا تدانيها سعاده،و هو ما يفيض اللّه سبحانه على بعض عباده من المواهب،و الإشراقات العلميه،و الابتهاجات العقليه بدون سبب ظاهر.

ثم الأقـدمون لـذهابهم إلى نفى السـعاده للبـدن صـرحوا بـأن السـعاده العظمى لاـ تحصل للنفس ما دامت متعلقه بالبـدن،و ملوثه بالكدورات الطبيعيه، و الشواغل الماديه،بل حصولها موقوف عنها،لأن السـعاده الطلقه لا تحصل لها ما لم تصر مشرقه بالإشراقات العقليه،و مضيئه بالأنوار الإلهيه،بحيث يطلق عليها اسم التام،و ذلك موقوف على تخليصها التام عن الظلمه الهيولانيه،و القصورات الماديه.

و أما المعلم الأول و اتباعه فقالوا إن السعاده العظمى تحصل للنفس مع تعلقها بالبدن أيضا،لبداهه حصولها لمن استجمع الفضائل بأسـرها،و اشتغل بتكميل غيره.و ما أقبح أن يقال مثله ناقص و إذا مات يصير تاما، فالسعاده لها مراتب،و يحصل للنفس الترقى فى مـدارجها بالمجاهـده إلى أن تصـل إلى أقصاهـا و حينئـذ يحصـل تمامهـا و إن كـان قبل المفارقه،و تكون باقيه بعـدها أيضا، ثم المتأخرون عن الطائفتين من حكماء الإسـلام قالوا إن السـعاده فى الأحياء لا تتم إلا باجتماع ما يتعلق بالروح و البـدن،و أدناها أن تغلب السـعاده البـدنيه على النفسـيه بالفعـل،إلاـ أن الشوق إلى الثـانيه،و الحرص على اكتسابهـا يكون أغلب،و أقصاهـا أن تكون الفعليه و الشوق كلاهما فى

الثانیه أکثر،إلا أنه قد یقع الالتفات إلی هذا العالم و تنظیم أموره بالعرض.

و أما فی الأموات فیختص بما یتعلق بالنفس فقط لاستغنائهم عن الأمور البدنیه،فتختص السعاده فیهم بالملکات الفاضله،و العلوم الحقه الیقینیه،و الوصول إلی مشاهده جمال الأبد،و معاینه جلال السرمد.و قالوا إن الأولی لشوبها بالزخارف الحسیه،و الکدورات الطبیعیه ناقصه کدره، و أما الثانیه فلخلوها عنها تامه صافیه،لأن المتصف بها یکون أبدا مستنیرا بالأنوار الإلهیه،مستضیئا بالأضواء العقلیه،مستهترا (۱)بذکر اللّه و أنسه مستغرقا فی بحر عظمته و قدسه،و لیس له التفات إلی ما سوی ذلک، و لا یتصور له تحسر علی فقد لذه أو محبوب،و لا شوق إلی طلب شیء مرغوب،و لا رغبه إلی أمر من الأمور،و لا رهبه من وقوع محذور، بل یکون منصرفا بجزئه العقلی مقصورا همه علی الأمور الإلهیه من دون التفات إلی غیرها.

و هذا القول ترجیح لطریقه المعلم الأول من حیث إثبات سعاده للبدن و لطریقه الأقدمین من حیث نفی حصول السعاده العظمی للنفس ما دامت متعلقه بالبدن.و هو(الحق المختار)عندنا،إذ لا ریب فی کون ما هو وصله إلی السعاده المطلقه سعاده إضافیه.و معلوم أن غرض القائل بکون متعلقات الأبدان کالصحه و المال و الأعوان سعاده أنها سعاده إذا جعلت آله لتحصیل السعاده الحقیقیه لا مطلقا،إذ لا یقول عاقل إن الصحه الجسمیه و الحطام الدنیوی سعاده،و لو جعلت وسیله إلی اکتساب سخط اللّه و عقابه و حاجبه عن الوصول إلی دار کرامته و ثوابه.و کذا لا ریب فی أن النفس ما دامت متعلقه بالبدن مقیده فی سجن الطبیعه لا یحصل لها العقل الفعلی، و لا تنکشف لها الحقائق کما هی علیه انکشافا تاما،و لا تصل إلی حقیقه

۱- ۱) مستهترا به علی بناء اسم المفعول أی مولع به.

ما يترتب على العلم و العمل من الابتهاجات العقليه و اللذات الحقيقيه.و لو حصلت لبعض المتجردين عن جلباب البدن يكون فى آن واحد و يمرّ كالبرق الخاطف.

هـذا و قـد ظهر من كلمـات الجميـع أن حقيقه الخير و السـعاده ليست إلاـ المعـارف الحقه،و الأخلاـق الطيبه،و الأـمر و إن كـان كذلك من حيث إن حقيقتهما ما يكون مطلوبا لذاته،و باقيا مع النفس أبدا و هما كذلك،إلا أنه لا ريب فى أن ما يترتب عليهما من حب اللّه و أنسه،و الابتهاجـات العقلاـئيه،و اللـذات الروحـانيه مغـاير لهمـا من حيث الاعتبار،و إن لم ينفك عنهما و مطلوبيته لـذاته أشـد و أقوى،فهو باسم الخير و السـعاده أولى و أخرى و إن كان الجميع خيرا و سـعاده.و بـذلك يحصل الجمع بين أقوال أرباب النظر و الاسـتدلال،و أصـحاب الكشف و الحال،و اخوان الظاهر من أهل المقال،حيث ذهبت(الفرقه الأولى)إلى أن حقيقه السعاده هو العقل و العلم،و(الثانيه)إلى أنها العشق،و(الثالثه)إلى أنها الزهد، و ترك الدنيا.

فصل (لا تحصل السعاده إلا بإصلاح جميع الصفات و القوى دائما)

اشاره

لاـ تحصـل السـعاده إلا بإصـلاح جميع الصـفات و القوى دائما،فلا تحصل بإصـلاحها بعضا دون بعض،و وقتا دون وقت،كما أن الصـحه الجسـميه، و تـدبير المنزل،و سـياسه المـدن لاـ تحصـل إلاـ بإصـلاح جميـع الأعضـاء و الأشـخاص و الطوائف فى جميع الأوقات، فالسعيد المطلق من أصلح جميع صفاته و أفعاله على وجه الثبوت و الدوام بحيث لا يغيره تغير الأحوال

و الأزمان،فلا يزول صبره بحدوث المصائب و الفتن،و لا شكره بورود النوائب و المحن،و لا يقينه بكثره الشبهات،و لا رضاه بأعظم النكبات، و لا إحسانه بالإساءه،و لا صداقته بالعداوه.و بالجمله لا يحصل التفاوت فى حاله،و لو ورد عليه ما ورد على أيوب النبى عليه السلام أو على برناس الحكيم،لشهامه ذاته،و رسوخ أخلاقه و صفاته.و عدم مبالاته بعوارض الطبيعه،و ابتهاجه بنورانيته و ملكاته الشريفه،بل السعيد الواقعى لتجرده و تعاليه عن الجسمانيات خارج عن تصرف الطبائع الفلكيه،متعال عن تأثير الكواكب و الأجرام الأثيريه فلا يتأثر عن سعدها و نحسها،و لا ينفعل عن قمرها و شمسها.أهل التسبيح و التقديس لا يبالون بالتثليث و التسديس، و ربما بلغ تجردهم و قوه نفوسهم مرتبه تحصل لهم ملكه الاقتدار على التصرف فى موارد الكائنات،و لو فى الأفلاك و ما فيها،كما حصل لفخر الأنبياء و سيد الأوصياء صلوات اللّه عليهما و آلهما من شق القمر و ردّ الشمس.

و قد ظهر مما ذكر أن من يجزع بورود المصائب الدنيويه،و يضطرب من الكدورات الطبيعيه،و يدخل نفسه فى معرض شماته الأعداء و ترحم الأحباء،خارج عن زمره السعداء،لضعف غريزته و غلبه الجبن على طبيعته،و عدم نيله بعد إلى الابتهاجات التى تدفع عن النفس أمثال ذلك.

و مثله لو تكلف الصبر و الرضا و تشبه ظاهرا بالسعداء لكان فى الباطن متألما مضطربا،و هذا ليس سعاده لأن السعاده الواقعيه إنما هو صيروره الأخلاق الفاضله ملكات راسخه بحيث لا تغيرها المغيرات ظاهرا و باطنا.

بلغنا اللّه و جميع الطالبين إلى هذا المقام الشريف.

ص :٧٣

وصل (غایه السعاده التشبه بالمبدإ)

صرح الحکماء بأن غایه المراتب للسعاده أن یتشبه الإنسان فی صفاته بالمبدإ:بأن یصدر عنه الجمیل لکونه جمیلا،لا لغرض آخر من جلب منفعه،أو دفع مضره،و إنما یتحقق ذلک إذا صارت حقیقته المعبر عنها بالعقل الإلهی و النفس الناطقه خیرا محضا،بأن یتطهر عن جمیع الخبائث الجسمانیه،و الأقذار الحیوانیه.و لا یحوم حوله شیء من العوارض الطبیعیه و الخواطر النفسانیه،و یمتلئ من الأنوار الإلهیه،و المعارف الحقیقیه،و یتیقن بالحقائق الحقه الواقعیه،و یصیر عقلا محضا بحیث یصیر جمیع معقولاته کالقضایا الأولیه،بل یصیر ظهورها أشد،و انکشافها أتم،و حینئذ یکون له أسوه حسنه باللّه سبحانه،فی صدور الأفعال و تصیر إلهیه أی شبیه بأفعال اللّه سبحانه فی أنه لصرافه حسنه یقتضی الحسن،و لمحوضه جماله یصدر عنه الجمیل من دون داع خارجی،فتکون ذاته غایه فعله،و فعله غرضه بعینه،و کلما یصدر عنه بالذات و بالقصد الأول فإنما یصدر لأجل ذاته و ذات الفعل و إن ترشحت منه الفوائد الکثیره علی الغیر بالقصد الثانی و بالعرض.قالوا و إذا بلغ الإنسان هذه المرتبه فقد فاز بالبهجه الإلهیه، و اللذه الحقیقیه الذاتیه،فیشمئز طبعه من اللذات الحسیه الحیوانیه،لأن من أدرک اللذه الحقیقیه علم أنها لذّه ذاتیه،و الحسیه لیست لذه بالحقیقه لتصرمها و دثورها و کونها دفع ألم.

و أنت خبیر بأن هذا التصریح محل تأمل المخالفته ظواهر الشرع فتأمل.

ص :۷۴

فصل (بإزاء كل واحده من القوى الأربع لذه و ألم)

اشاره

لمّا عرفت أن القوى فى الإنسان أربع:قوه نظريه عقليه،و قوه وهميه خياليه،و قوه سبعيه غضبيه،و قوه بهيميه شهويه-فاعلم أنه بإزاء كل واحده منها لـذه و ألم،لأن اللـذه إدراك الملائم،و الألم إدراك غير الملائم،فلكل من الغرائز المدركه لذه هو نيله مقتضى طبعه الذى خلق لأجله،و ألم هو إدراكه خلاف مقتضى طبعه:

(فغريزه العقل)لمّا خلقت لمعرفه حقائق الأمور،فلـذتها فى المعرفه و العلم،و ألمها فى الجهل،و(غريزه الغضب)لمّا خلقت للتشـفى و الانتقـام فلـذتها فى الغلبه التى يقتضـيها طبعهـا و ألمهـا فى عـدمها،و(غريزه الشـهوه) لمّا خلقت لتحصـيل الغـذاء الـذى به قوام البـدن،فلـذتها فى نيل الغـذاء، و ألمها فى عـدم نيله،و هكـذا فى غيرها،فاللذات و الآلام أيضا على أربعه أقسام:العقليه و الخاليه و الغضبيه و البهيميه.

فاللـذه العقليه كالانبسـاط (۱)الحاصـل مـن معرفه الأشـياء الكليه و إدراك الـذوات المجرده النـوريه،و الأـلم العقلى كالانقبـاض الحاصـل من الجهـل، و اللـذه الخيـاليه كالفرح الحاصل من إدراك الصور و المعانى الجزئيه الملائمه، و الألم الخيالى كإدراك غير الملاـئمه منهـا.و اللـذه المتعلقه بـالقوه الغضبيه كالانبسـاط الحاصل من الغلبه و نيل المناصب و الرياسات،و الألم المتعلق بها كالانقبـاض الحاصـل من المغلوبيه و العزل و المرءوسـيه.و اللـذه البهيميه هى المـدركه من الأكـل و الجمـاع و أمثالهمـا،و الأـلم البهيمى ما يدرك من الجوع و العطش و الحر

۱- ۱) و فى النسخه المخطوطه عندنا«الابتهاج».

و البرد و أشباهها.و هذه اللذات و الآلام تصل إلى النفس و هى الملتذه و المتألمه حقيقه إلا أن كلا منها يصل إليها بواسطه القوه التى تتعلق بها.و الفرق بين الكل ظاهر.

و ربما يشتبه بين ما يتعلق بالوهم و الخيال و ما يتعلق بالقوه الغضبيه من حيث اشتراكهما فى الترتب على التخيل.

و يدفع الاشتباه بأن ما يتعلق بالغضبيه و إن توقف على التخيل إلا أن المتأثر بالالتذاذ و التألم بعد التخيل هو الغضبيه و بواسطتها تتأثر النفس،ففى هذا النوع من اللذه و الألم تتأثر الغضبيه ثم تتاثر النفس.

و أما ما يتعلق بالوهم و الخيال فالمتأثر بالالتذاذ و التألم هاتان القوتان و يصل التأثر منهما إلى النفس من دون توسط القوه الغضبيه.

و مما يوضح الفرق أن الالتذاذ و التألم الخياليين لا يتوقفان على وجود غلبه و مغلوبيه مثلا فى الخارج،و أما الغضبيان فيتوقفان عليهما.

ثم أقوى اللذات هى العقليه لكونها فعليه ذاتيه غير زائله باختلاف الأحوال،و غيرها من اللذات الحسيه انفعاليه عرضيه منفعله زائله،و هى فى مبدإ الحال مرغوبه عند الطبيعه،و تتزايد بتزايد القوه الحيوانيه،و تتضعف بضعفها إلى أن تنتفى بالمره،و يظهر قبحها عند العقل،و أما العقليه فهى فى البدايه منتفيه،لأن إدراكها لا يحصل إلا للنفوس الزكيه المتحليه بالأخلاق المرضيه،و بعد حصولها يظهر حسنها و شرفها،و تتزايد بتزايد القوه العقليه إلى أن ينتهى إلى أقصى المراتب،و لا يكون نقص و لا زوال.

و العجب ممن ظن انحصار اللذه فى الحسيه و جعلها غايه كمال الإنسان و سعادته القصوى. و المتشرعون منهم قصّروا اللذات الآخره على الجنه و الحور و الغلمان و أمثالها،و آلامها على النار و العقارب و الحيات و أشباهها، و جعلوا الوصول إلى الأولى و الخلاص عن الثانيه غايه فى زهدهم و عبادتهم

ص :۷۶

و کأنهم لم یعلموا أن هذه عباده الأجراء و العبید ترکوا قلیل المشتهیات لیصلوا إلی کثیرها.و لیت شعری أن ذلک کیف یدل علی الکمال الحقیقی و القرب من اللّه سبحانه!و لا أدری أن الباکی خوفا من النار و شوقا إلی اللذات الجسمیه المطلوبه للنفس البهیمیه کیف یعدّ من أهل التقرب إلی اللّه سبحانه و یستحق التعظیم و یوصف بعلو الرتبه!و کأنهم لم یدرکوا الابتهاجات الروحانیه،و لا لذه المعرفه باللّه و حبّه و أنسه و لم یسمعوا

قول سید الموحدین (۱)صلی اللّه علیه و آله

«إلهی ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فی جنتک و لکن وجدتک أهلا للعباده فعبدتک» .

و بالجمله لا ریب فی أن الإنسان فی اللذه الجسمیه یشارک الخنافس و الدیدان و الهمج من الحیوان،و إنما یشابه الملائکه فی البصیره الباطنه و الأخلاق الفاضله،و کیف یرتضی العاقل أن یجعل النفس الناطقه الشریفه خادمه للنفس البهیمیه الحسیسه.

و العجب من هؤلاء الجماعه (۲)مع هذا الاعتقاد یعظمون من یتنزه عن الشهوات الحیوانیه و یستهین باللذات الحسیه و یتخضعون له و یعدون أنفسهم أشقیاء بالنسبه إلیه،و یذعنون أنه أقرب الناس إلی اللّه سبحانه و أعلی رتبه منهم بتنزهه عن الشهوات الطبیعیه،و قد اتفق کلهم علی تنزه مبدع الکل و تعالیه عنها مستدلین بلزوم النقص فیه لولاه،و کل ذلک یناقض رأیهم الأول.

و السر فیه أنهم و إن ذهبوا إلی هذا الرأی الفاسد إلا أنه لما کانت غریزه العقل فیهم بعد موجوده،و إن کانت ضعیفه،فیری ما هو کمال حقیقی لجوهرها کمالا،و یحکم بنورانیتها الذاتیه،علی کون ما هو فضیله

۱- ۱) المعنی به هو أمیر المؤمنین علی علیه الصلاه و السلام.

۲- ۲) المرادهم الذین حصروا اللذات فی الحسیه و الکلام کله فی هذا الرأی.

فی الواقع فضیله،و ما هو رذیله فی نفس الأمر رذیله،فیضطرهم إلی إکرام أهل التنزه عن الشهوات،و الاستهانه بالمکبین علیها.

و مما یـدل علی قبـح اللـذات الحیوانیه أن أهلها یکتمونها و یخفون ارتکابها و یسـتحیون عن إظهارها،و إذا وصـفوا بذلک تتغیر وجوههم،کمـا هو ظـاهر من وصف الرجـل بکثره الأکل و الجماع،مع أن الجمیل علی الإطلاق یحسن إذاعته،و صاحبه یجب أن یظهره و یوصف به،هـذا مع أن البـدیهه حـاکمه بأن هـذه اللـذات لیست لـذات حقیقیه،بل هی دفع آلام حادثه للبـدن (۱)فإن ما یتخیل لـذه عند الأکل و الجماع إنما هو راحه من ألم الجوع و لذع المنی و لذا لا یلتذ الشـبعان من الأکل،و معلوم أن الراحه من الألم لیس کمالا و خیرا،إذ الکمال الحقیقی و الخیر المطلق ما یکون کمالا و خیرا أبدا.

إیقاظ (فیه موعظه و نصیحه)

لمّا عرفت أن الإنسان فی اللذه العقلیه یشارک الملائکه،و فی غیرها من الحسیه المتعلقه بالقوی الثلاث،أعنی السبعیه و البهیمیه و الشیطانیه، یشارک السباع و البهائم و الشیاطین-فاعلم أن من غلبت علیه إحدی اللذات

۱- ۱) الحق أن کل لذه بدنیه و نفسـیه إنما هی إشباع شهوه أو غریزه تتطلب الإشباع،حتی طلب المعارف و العلم إنما هو لإشباع غریزه حب الاستطلاع، إلا أن طلب العلم لا یصل إلی حد الإشباع أبدا،و لذا قال صلی اللّه علیه و آله و سلم: «منهومان لا یشبعان طالب علم،و طالب مال»و لیست کذلک الغریزه الجنسیه و غریزه حب الأکل و أمثالهما فإنها تصل إلی حد الإشباع فتکتفی.

الأربع كانت مشاركته لما ينسب إليه أكثر حتى إذا صارت الغلبه تامه لكان هو هو.

فانظر يا حبيبى أين تضع نفسك،فإن الغلبه لو كانت لقوتك الشهويه حتى يكون أكثر همك إلى الشهوات الحيوانيه كالأكل و الشرب و الجماع و سائر النزوات البهيميه،كنت واحدا من البهائم.و إن كانت لقوتك الغضبيه حتى يكون جلّ ميلك إلى المناصب و الرياسات الرديه،و إيذاء الناس بالضرب و الشتم،و باقى الحركات السبعيه،نزلت منزله السباع،و إن كانت لقوتك الشيطانيه حتى يكون غالب سعيك فى استنباط وجوه المكر و الحيل للوصول إلى مقتضيات قوتى الشهوه و الغضب بأنواع الخداع و التلبيسات الوهميه دخلت فى حزب الأبالسه.و إن كانت لقوتك العقليه حتى يكون جدك مقصورا على«أخذ» (۱)المعارف الإلهيه و اقتفاء (۲)الفضائل الحلقيه عرجت إلى أفق الملائكه القادسه، فمن كان عاقلا غير عدو لنفسه وجب عليه أن يصرف جلّ همه فى تحصيل السعاده العلميه و العمليه،و إزاله النقائص الكامنه فى نفسه،و ليقتصر على الأمور الشهوانيه،و اللذات الجسمانيه بقدر الضروره،بأن يكتفى من الغذاء بما يحفظ اعتدال مزاجه و قوام حياته و لا يكون قصده منه الالتذاذ،بل سدّ الضروره و دفع الألم،و لا يضيع وقته فى تحصيل أزيد من ذلك،فإن تجاوز عنه فبقدر ما يحفظ رتبته، و لا يوجب مهانته و ذلته،و من اللباس بقدر ما يستر العوره،و يدفع الحر و البرد،فإن تجاوز عن ذلك فبقدر ما لا يؤدى إلى حقارته،و لا يوجب السقوط بين أقرانه و أهل طبقته،و من الجماع بقدر ما يحفظ نوعه«و يبقى

۱- ۱) لم توجد فى نسختنا الخطيه و لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

۲- ۲) فى نسختنا الخطيه هكذا«و اقتناء».

نسله،و إن تعدى فبقدر ما لا يخرجه عن السنه،و ليحذر عن الانهماك فى مقتضيات قوتى الشهوه و الغضب،لأنه يوجب الشقاوه الدائمه و الهلاكه السرمديه. فاللّه اللّه فى نفوسكم معاشر الإخوان أدركوها قبل أن تغرقوا فى بحار المهالك،و تنبهوا عن نوم الغفله قبل أن تنسد عليكم السبل و المهالك و بادروا إلى تحصيل السعادات قبل أن تستحكم فيكم الملكات المهلكه، و العادات المفسده،فإن إزاله الرذائل بعد استحكامها فى غايه الصعوبه و المجاهده مع أحزاب الشياطين بعد الكبر قلما يفيد الأثر،و الغلبه على النفس الأماره بعد ضعف الهرم فى غايه الإشكال،إلا أنه فى أى حال لا ينبغى أن تيأسوا من روح اللّه،فاجتهدوا بقدر القوه و الاستطاعه،فإنه خير من التمادى فى الباطل،فلعل اللّه يدرككم بعظيم رحمته.

و لقد قال الشيخ (۱)الفاضل أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه،

---

۱ - ۱) هو الحكيم الأعظم و الفيلسوف الأكبر«أبو على أحمد بن محمد»بن يعقوب ابن مسكويه الخازن«الرازى»الأصل و الأصفهانى المسكن و الخاتمه كان من أعيان العلماء و أركان الحكماء معاصرا للشيخ أبى على بن سينا،صحب الوزير المهلبى فى أيام شبابه و كان من خاصته إلى أن أتصل بصحبه«عضد الدوله«البويهى فصار من كبار ندمائه و رسله إلى نظرائه ثم اختص بالوزير«ابن العميد»«و ابنه«أبى الفتح»له مؤلفات كثيره بعضها فى الحكمه و منه كتاب«الفوز الأكبر»و كتاب «الفوز الأصغر»«و جاويدان خرد»بالفارسيه فى الحكمه و هو يقرب من خمسه آلاف بيت و بعضها فى التاريخ و منه«تجارب الأمم»و بعضها فى الأخلاق و منه كتاب«الطهاره»المشهور و هو الذى قصده«المصنف ره»هنا لأنه أول كتاب صنف فى علم الأخلاق،و قد مدحه أستاذ البشر و أعلم أهل البدو و الحضر الحجه الأعظم الفيلسوف المحقق الخواجه«نصير الدين الطوسى»قدس سره بأبيات. و كان(ره)من علمائنا الإماميه قدس اللّه أسرارهم و قبره(بأصفهان)على باب-

و هو الأستاذ فی علم الأخلاق،و أقدم الإسلاميين فی تدوينه،«إنی تنبهت عن نوم الغفله بعد الكبر و استحكام العاده،فتوجهت إلی فطام نفسی عن رذائل الملكات،و جاهدت جهادا عظيما حتی وفقنی اللّه لاستخلاصها عما يهلكها،فلا ييأس أحد من رحمه اللّه،فإن النجاه لكل طالب مرجوه، و أبواب الإفاضه أبدا مفتوحه»فبادروا إخوانی إلی تهذيب نفوسكم قبل أن يصير الرئيس مرؤسا،و العقل مقهورا،فيفسد جوهركم،و تمسخ حقيقتكم،و يدرككم الانتكاس فی الخلق الذی هو خروج عن أفق الإنسان و دخول فی زمره البهائم و السباع و الشياطين،نعوذ باللّه من ذلك،و نسأله العصمه من الخسران الذی لا نهايه له.و قد شبه الحكماء من أهمل سياسه نفسه الغافله بمن له ياقوته شريفه حمراء،فرماها فی نار مضطرمه فيحرقها حتی تصير كلسا (۱)لا منفعه فيها.

[تتميم]و لا تظنن أن ما يفوت عن النفس من الصفاء و البهجه لأجل ما يعتريها من الكدره الحاصله معصيه من المعاصی يمكن تداركه،فإن ذلك محال،إذ غايه الأمر أن تتبع تلك المعصيه بحسنه تمحی آثارها،و تعيد النفس إلی ما كانت عليه قبل تلك المعصيه،فلا تزداد بتلك الحسنه إشراقا و سعاده،و لو جاء بها من دون سيئه لزاد بها نور القلب و بهجته،و حصلت له درجه فی الجنه،و لما تقدمت السيئه سقطت هذه الفائده و انحصرت

۱)

(درب جناد)و قد اشتهر أن السيد(الداماد)الذی كان من أعاظم علمائنا و أكابر حكمائنا كان كلما اجتاز يقف علی قبره و يقرأ الفاتحه (الترجمه عن الكنی و الألقاب للمحدث الشهير الحاج شيخ(عباس القمی) قدس سره مع تصرف يسير منا).

۱- ۱) الكلس ما يقوم به الحجر و الرخام و نحوهما و يتخذ منها باحراقها.

فائـدتها فی مجرد عود القلب إلی مـا کان علیه قبلها،و هـذا نقصان لا حیله لجبره و مثال ذلک أن المرآه التی تـدنست بالخبث و الصدأ إذا مسحت بالمصقله و إن زال به هذا الخبث،إلا أنه لا تزید به جلاء و صفاء،بخلاف ما إذا لم تتدنس أصلا،فإن التصقیل یزیدها صفاء و جلاء، و إلی ما ذکر

أشار النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم بقوله: «من قارف ذنبا فارقه عقل لم یعد إلیه أبدا».

ص :۸۲

الباب الثانی فی بیان أقسام الأخلاقی و تفصیل القول فیها

اشاره

«و فیه فصول» أجنـاس الفضائـل الأـربعه و الأـقوال فی حقیقه العـداله-حقیقه العـداله انقیـاد العقـل العملی للعقل النظری و لوازم الأقوال فی العـداله-العقل النظری هو المـدرک للفضائل و الرذائل-دفع إشـکال فی تقسـیم الحکمه- تحقیق الوسط و الأطراف- أجناس الرذائل و أنواعها-الفرق بین الفضـیله و الرذیله-العداله أشـرف الفضائل-إصلاح النفس قبل إصلاح الغیر و أشرف وجوه العـداله عـداله السـلطان-لاـ حـاجه إلی العـداله مع رابطه المحبه- التکمیل الصـناعی لاکتساب الفضائل علی طبق ترتیب الکمال الطبیعی.

ص :۸۳

فصل (أجناس الفضائل الأربع و الأقوال فی حقیقه العداله)

اشاره

قد تبین فی العلم الطبیعی أن للنفس الناطقه قوتین:«أولاهما»:قوه الإدراک و«ثانیتهما»:قوه التحریک،و لکل منهما شعبتان: (الشعبه الأولی) للأولی العقل النظری،و هو مبدأ التأثر عن المبادئ العالیه بقبول الصور العلمیه،و (الشعبه الثانیه)لها العقل العملی،و هو مبدأ تحریک البدن فی الأعمال الجزئیه بالرویه (۱)و هذه الشعبه من حیث تعلقها بقوتی الشهوه و الغضب مبدأ«لحدوث» (۲)بعض الکیفیات الموجبه لفعل أو انفعال، کالخجل و الضحک و البکاء و غیر ذلک،و من حیث استعمالها الوهم و المتخیله مبدأ لاستنباط الآراء و الصنائع الجزئیه.و من حیث نسبتها بالعقل و حصول الازدواج بینهما سبب لحصول الآراء الکلیه المتعلقه بالأعمال کحسن الصدق و قبح الکذب،و نظائرهما. (الشعبه الأولی)للثانیه قوه الغضب و هی مبدأ دفع غیر الملائم علی وجه الغلبه،و(الشعبه الثانیه)لها قوه الشهوه و هی مبدأ جلب الملائم.

ثم إذا کانت القوه الأولی غالبه علی سائر القوی و لم تنفعل عنها،بل کانت هی مقهوره عنها مطیعه لها فیما تأمرها به و تنهاها عنه،کان تصرف کل منها علی وجه الاعتدال،و انتظمت أمور النشأه الإنسانیه،و حصل تسالم

۱- ۱) إذا کان العقل العملی مبدأ لتحریک البدن فهو قوه تحریک لا قوه إدراک و فی الحقیقه أن غرضهم من العقل العملی هو إدراک ما ینبغی أن یعمل.

۲- ۲) و فی النسخه المخطوطه عندنا«الحصول».

القوی الأربع و تمازجها،فتهذب کل واحد منها،و یحصل له ما یخصه من الفضیله،فیحصل،من تهذیب العاقله العلم و تتبعه الحکمه،و من تهذیب العامله العداله،و من تهذیب الغضبیه الحلم و تتبعه الشجاعه،و من تهذیب الشهویه العفه و تتبعه السخاوه.و علی هذا تکون العداله کمالا للقوه العملیه.

(بطریق آخر)

قیل:إن النفس لما کانت ذات قوی أربع العاقله و العامله و الشهویه و الغضبیه،فإن کانت حرکاتها علی وجه الاعتدال،و کانت الثلاث الأخیره مطیعه للأولی،و اقتصرت من الأفعال علی ما تعین لها،حصلت أولا فضائل ثلاث هی الحکمه و العفه و الشجاعه،ثم یحصل من حصولها المترتب علی تسالم القوی الأربع،و انقهار الثلاث تحت الأولی حاله متشابهه هی کمال القوی الأربع و تمامها،و هی العداله.و علی هذا لا تکون العداله کمالا للقوه العملیه فقط،بل تکون کمالا للقوی بأسرها:

و علی الطریقین تکون أجناس الفضائل أربعا:«الحکمه»و هی معرفه حقائق الموجودات علی ما هی علیه،و الموجودات إن لم یکن وجودها بقدرتنا و اختیارنا فالعلم المتعلق بها هو الحکمه النظریه،و إن کان وجودها بقدرتنا و اختیارنا فالعلم المتعلق بها هو الحکمه العملیه.«و العفه»هی انقیاد القوه الشهویه للعاقله فیما تأمرها به و تنهاها عنه حتی تکتسب الحریه،و تتخلص عن أسر عبودیه الهوی.« و الشجاعه»و هی إطاعه القوه الغضبیه للعاقله فی الأقدام علی الأمور الهائله،و عدم اضطرابها بالخوض فیما یقتضیه رأیها حتی یکون فعلها ممدوحا،و صبرها محمودا.و تفسیر هذه الفضائل الثلاث

لا یتفاوت بالنظر إلی الطریقین.

و أما«العداله»فتفسیرها علی الطریق الأول هو انقیاد العقل العملی للقوه العاقله و تبعیته لها فی جمیع تصرفاته،أو ضبطه الغضب و الشهوه تحت إشاره العقل و الشرع الذی یحکم العقل أیضا بوجوب اطاعته،أو سیاسه قوتی الغضب و الشهوه،و حملها علی مقتضی الحکمه،و ضبطهما فی الاسترسال و الانقباض علی حسب مقتضاه.و إلی هذا یرجع تعریف الغزالی«إنها حاله للنفس و قوه بها یسوس الغضب و الشهوه،و یحملهما علی مقتضی الحکمه، و یضبطهما فی الاسترسال و الانقباض علی حسب مقتضاها»إذ المراد من الحاله و القوه هنا قوه الاستعلاء التی للعقل العملی لا نفس القوه العملیه.

و تفسیرها علی الطریق الثانی هو ائتلاف جمیع القوی،و اتفاقها علی امتثالها للعاقله،بحیث یرتفع التخالف و التجاذب،و تحصل لکل منها فضیلته المختصه به.و لا ریب فی أن اتفاق جمیع القوی و ائتلافها هو کمال لجمیعها لا للقوه العملیه فقط.

اللهم إلاـ أن یقال إن الائتلاف إنما یتحقق باستعمال کل من القوی علی الوجه اللائق،و استعمال کل قوه و لو کانت قوه نظریه إنما یکون من القوه العملیه،لأن شأنها تصریف القوی فی المحال اللائقه علی وجه الاعتدال،و بدونها لا یتحقق صدور فعل عن قوه.

ثم العداله علی الطریق الأول تکون أمرا بسیطا مستلزمه للملکات الثلاث أعنی الحکمه و العفه و الشجاعه،و علی الثانی تحتمل البساطه و الترکیب علی الظاهر،و إن کانت البساطه أقرب نظرا إلی أن الاعتدال الخلقی بمنزله الاعتدال المزاجی الحاصل من ازدواج العناصر المتخالفه،و قد برهن فی

أصول الحكمه أن المزاج كيفيه بسيطه.

و تفصيل الكلام فی المقام أنه إذا حصلت الملكات الثلاث حصل للعقل العملی قوه الاستعلاء و التدبير علی جميع القوی،بحيث كانت الجميع منقاده له،و استعمل كلا منها علی ما يقتضيه رأيه،فإن جعلت العداله عباره عن نفس هذه القوه،أو نفس تدبير التصرف فی البدن و أمور المنزل و البلد، دون الملكات الثلاث كانت العداله بسيطه و كانت كمالا للعقل العملی فقط، و إن جعلت نفس الملكات كانت مركبه،و حينئذ لا يناسب جعلها فضيله علی حده معدوده فی إعداد الفضائل،لأن جميع الأقسام لا يكون قسما منها، و ليس الائتلاف و الامتزاج هيئه وحدانيه عارضه للملكات الثلاث حتی تكون شيئا علی حده و نوعا مركبا.

ثم علی الطريقين يتحقق التلازم بين العداله و الملكات الثلاث إلا أنه علی الطريق الأول تكون العداله عله،و الملكات الثلاث معلوله،و علی الطريق الثانی ينعكس ذلك لتوقف حصول العداله علی وجود تلك الملكات و امتزاجها فهی أجزاء للعداله او بمنزلتها.

تكمله (العداله انقياد العقل العملی للعقل النظری)

الحق أن حقيقه العداله هو التفسير الأول المذكور فی الطريق الأول، أعنی انقياد العقل العملی للقوه العاقله،و سائر التفاسير المذكوره فی الطريقين لازمه له،إذا الانقياد المذكور يلزمه اتفاق القوی و قوه الاستعلاء و السياسه للعقل العملی علی قوتی الغضب و الشهوه،أو نفس سياسته إياهما و ضبطهما تحت إشاره العقل النظری،و أمثال ذلك،و علی هذه التفاسير اللازمه

للأول يلزم أن تكون العداله جامعه لجميع الفضائل،و يتحقق معناها فى كل فضيله حتى تكون فردا لها.

و تحقيق المقام أن انقياد العقل العملى للعاقله يستلزم ضبط قوتى الغضب و الشهوه تحت إشاره العقل،و سياسته إياهما،و استعلائه عليهما.و هذا يستلزم اتفاق جميع القوى و امتزاجها.فجميع الفضائل الصادره عن قوتى الغضب و الشهوه،بل عن العاقله أيضا إنما تكون بتوسط العقل العملى و ضبطه إياها،إلا أن ذلك لا يوجب كونها كمالا له حتى يعد من فضائله، و وجهه ظاهر،و لا كون الضبط المذكور عداله.

فالحق أن حقيقه العداله هو مجرد انقياد العامله للعاقله،و مثل الضبط و الاستعلاء و السياسه من لوازمه،و الفضائل الصادره عن القوى الأخرى بتوسط العقل العملى إنما تندرج تحت لازم العداله،لا عينها،فمن أدرج جميع الفضائل تحت العداله نظره إلى اعتبار ما يلزمها،و من لم يدرجه تحتها نظره إلى عدم اعتباره.و على هذا لا بأس بأن يقال إن للعداله إطلاقين (أحدهما)العداله بالمعنى الأخص(و ثانيهما)العداله بالمعنى الأعم.

ثم إن القوم ذكروا لكل واحد من الفضائل الأربع أنواعا،فكما أدرجوا تحت كل من الحكمه و العفه و الشجاعه أنواعا،فكذا أدرجوا تحت العداله أيضا أنواعا كالوفاء و الصداقه و العباده و غيرها.

و أنت-بعد ما علمت أن العداله بالتفسير الأول هو انقياد العامله للعاقله فى استعمال نفس العاقله و قوتى الغضب و الشهوه-تعلم أن الفضائل بأسرها إنما تحصل باستعمال العامله القوى الثلاث،فكل فضيله إنما تتعلق حقيقتها بإحدى الثلاث،و إن كان حصولها بتوسط العامله و ضبطها الثلاث،إذ كون الاستعمال و الضبط منها لا يقتضى استناد ما يحصل من

الفضائل باستعمالها إليها مع صدورها حقيقه عن سائر القوى.و كذا لا يقتضى استناد ما يحصل من الرذائل لعدم انقيادها للعاقله إليها.و معلوم أنه لا يترتب على مجرد انقيادها أو عدمه لها فضائل و رذائل لم يكن لها تعلق بالثلاث أصلا،إذ كل فضيله و رذيله إما متعلق بالقوه العقليه،أو بقوتى الغضب و الشهوه بتوسط العامله،و ليس لها فى نفسها فضيله و رذيله على حده كما لا يخفى.مع أنه لو كان الاستعمال و الضبط منشأ لاستناد ما يحصل من الفضائل إليها لزم أن تستند إليها جميع الفضائل،فكان اللازم إدخال جميع الفضائل تحت العداله.و كذا الحال على تفسير العداله بالطريق الثانى كما ظهر.

و على هذا فيلزم من عدهم بعض الفضائل من أنواع العداله دون بعض آخر تخصيص بلا مخصص،فالفضائل التى جعلوها أنواعا مندرجه تحت العداله بعضها من أنواع الشجاعه أو لوازمها،و بعضها من أنواع العفه أو آثارها،و إن كان للعامله من حيث التوسط مدخليه فى حصول الجميع.

فنحن لا نتابع القوم،و نجرى على مقتضى النظر من جعل أنواع الفضائل و الرذائل و أصنافها و نتائجها متعلقه بالقوى الثلاث دون العقل العملى، و إدخال جميعها تحت أجناسها على ما ينبغى من دون إدخال شىء منها تحت العداله و ضدها.

ثم إن الرذائل و الفضائل مع مدخليه القوه العمليه فيها بالاستعمال، إما متعلقه بمجرد إحدى القوى الثلاث،أو باثنتين منها،أو بالثلاث.

و مثال المتعلق بإحداها ظاهر كالجهل و العلم المتعلقين بالعاقله،و الغضب و الحلم المتعلقين بالقوه الغضبيه،و الحرص و القناعه المتعلقين بالقوه الشهويه و أما ما يتعلق باثنتين منها أو الثلاث فإما أن يكون له أصناف يتعلق بعضها

ببعض و بعضـها ببعض آخر،كحب الجـاه أعنى طلب المنزله فى القلوب:فإنه إن كان المقصود منه الاستيلاء على الخلق و التفوق عليهم،كـان من رذائـل قوه الغضب.و إن كـان المقصود منه طلب المـال ليتوسـل به إلى شـهوه البطن و الفرج،كان من رذائل قوه الشـهوه،و كـذا الحسد أعنى تمنى زوال النعمه عن الغير:إن كان باعثه العداوه كان من رذائل القوه الغضبيه.و إن كان باعثه مجرد وصول النعمه إليه كـان من رذائـل القوه الشـهويه.أو يكون للثلاـث أو الاـثنتين مـدخليه بالاشتراك فى نوع الفضـيله و الرذيله أو بعض أصـنافه،كالحسـد الـذى باعثه العـداوه و توقع وصول النعمه إليه معا، و كالغرور و هو سـكون النفس إلى ما يوافق الهوى،و تمييل النفس إليه بخدعه من الشـيطان، فإن النفس إن كانت مائله بالطبع إلى شـىء من مقتضـيات الشـهوه،و اعتقدت جهلا كونه خيرا لهـا كـان ذلك من رذائل قوتى العاقله و الشـهوه،و كان كانت مائله إلى شـىء من مقتضـيات قوه الغضب.و اعتقـدت جهلا كونه خيرا لها كان ذلك من رذائل قوتى العاقله و الغضب،و إن كانت مائله إلى شىء من مقتضياتهما معا مع اعتقادها كونه خيرا لها كان من رذائل الثلاث معا.

ثم مرادنـا من تعلـق صـفه بـالقوى المتعـدده و كونهـا معـدوده من رذائلهـا أو فضائلهـا أن يكون لكـل منهـا تـأثير فى حـدوثها و إيجادهـا،أى يكون من جمله عللهـا الفاعله الموجـده،بحيث لو قطع النظر عن فعل واحـده منها لم تتحقق هـذه الصـفه،فإن الغرور يتحقق بالميـل و الاعتقـاد،بمعنى أن كلاـ منهمـا مؤثر فى إيجاده و إحـداثه،و لو لـم يكن الاعتقاد المتعلق بالعاقله و الميل المتعلق بالشهوه و الغضب لم يوجد غرور.فلو كانت مدخليه قوه فى صفه بمجرد

الباعثیه،أی کانت باعثه لقوه أخری علی إیجاد هذه الصفه و إحداثها، بحیث أمکن تحقق هذه الصفه مع قطع النظر عن هذه القوه بباعث آخر لم یکن متعلقه بها،و لم نعدها من رذائلها أو فضائلها،بل کانت متعلقه بالقوه الأخری التی هی مباشره لإحداثها و إیجادها،مثل الغضب الحاصل من فقد شیء من مقتضیات شهوه البطن و الفرج،و إن کان باعثه قوه الشهوه إلا أنه لیس لقوه الشهوه و فعلها شرکه فی إحداثه و إیجاده،بل الإحداث إنما هو من القوه الغضبیه،و مدخلیه الشهویه إنما هو بتحریکها و تهییجها الغضبیه للإحداث و الإیجاد،و لا ریب فی أن للعاقله هذه الباعثیه فی صدور أکثر الصفات مع عدم عدها من رذائلها«أو فضائلها» (1) و إذا عرفت ذلک فاعلم أنا نذکر أولا ما یتعلق بالعاقله من الرذائل و الفضائل،ثم ما یتعلق بالقوه الغضبیه منهما،ثم ما یتعلق بالشهویه منهما ثم ما یتعلق بهما أو الثلاث.

وصل العقل النظری هو المدرک للفضائل و الرذائل

اعلم أن کل واحد من العقل العملی و العقل النظری رئیس مطلق من وجه،أما«الأول»فمن حیث إن استعمال جمیع القوی حتی العاقله علی النحو الأصلح موکول إلیه،و أما«الثانی»فمن حیث إن السعاده القصوی و غایه الغایات أعنی التحلی بحقائق الموجودات مستنده إلیه،و أیضا إدراک ما هو الخیر و الصلاح من شأنه فهو المرشد و الدلیل للعقل العملی فی تصرفاته

1- 1) لم توجد فی نسختنا الخطیه لکنها موجوده فی نسخه خطیه أخری و فی المطبوعه.

و قیل:إن إدراک فضائل الأعمال و رذائلها من شأن العقل العملی،کما صرح به الشیخ فی الشفاء بقوله:«إن کمال العقل العملی استنباط الآراء الکلیه فی الفضائل و الرذائل من الأعمال علی وجه الابتناء علی المشهورات المطابقه فی الواقع للبرهان،و تحقیق ذلک البرهان متعلق بکمال القوه النظریه».

و الحق أن مطلق الإدراک و الإرشاد إنما هو من العقل النظری فهو بمنزله المشیر الناصح،و العقل العملی بمنزله المنفذ الممضی لإشاراته و ما ینفذ فیه الإشاره فهو قوه الغضب و الشهوه.

ص:٩٢

دفع الإشكال فى تقسيم الحكمه

إن قيل:إن القوم قسموا الحكمه أولا إلى النظريه و العمليه،ثم قسموا العمليه إلى ثلاثه أقسام:واحد منها علم الأخلاق المشتمل على الفضائل الأربع التى إحداها الحكمه،فيلزم أن تكون الحكمه قسما من نفسها.

قلنا:الحكمه التى هى المقسم هو العلم بأعيان الموجودات،سواء كانت الموجودات إلهيه أى واقعه بقدره البارى سبحانه،أو موجودات إنسانيه أى واقعه بقدرتنا و اختيارنا،و لما كان هذا العلم أعنى الحكمه التى هى المقسم قسما من الموجودات بالمعنى الثانى،فلا بأس بالبحث عنه فى علم الأخلاق، فإن غايه ما يلزم أن تكون الحكمه موضوعا لمسأله هى جزؤها بأن يجعل عنوانا فيها و يحمل عليها كونها ملكه محموده،أو طريق اكتسابها كذا.

و بالجمله لا مانع من أن يجعل علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات موضوعا لمسأله،و يبحث عنه فيه بإثبات صفه له لأجل أنه أيضا الموجودات كما أنه فى العلم الأعلى الذى يبحث فيه عن الموجودات من حيث وجودها يبحث عن نفس العلم لكونه من الموجودات،و يجعل موضوعا لمسأله من مسائله،و لا يلزم من هذا كون الشىء جزءا لنفسه.و أيضا نقول كما أن الحكمه العمليه قسم من مطلق الحكمه لتعلق العمل بالنظر،فكذا المطلق قسم منها لتعلق النظر بالعمل،و حينئذ كما أن العداله من الحكمه باعتبار فكذا الحكمه من العداله باعتبار آخر،فتختلف الحيثيه و لا يلزم محذور.

و قيل:فى الجواب إن المراد من الحكمه التى هى إحدى الفضائل الأربع

استعمال العقل على الوجه الأصلح،و حينئذ فلا يرد اشكال أصلا لعدم كون الحكمه بهذا المعنى عين المقسم لأنها جزء له.و فيه أن الحكمه بهذا المعنى هى العداله على ما تقرر،مع أن العداله أيضا إحدى الفضائل الأربع (تنبيه)قد صرح علماء الأخلاق بأن صاحب الفضائل الأربع لا يستحق المدح ما لم تتعد فضائلها إلى الغير،و لذا لا يسمى صاحب ملكه السخاء بدون البذل سخيا بل منافقا،و لا صاحب ملكه الشجاعه بدون ظهور آثارها شجاعا بل غيورا،و لا صاحب ملكه الحكمه بدونها حكيما بل مستبصرا.

و الظاهر أن المراد باستحقاق المدح هو حكم العقل بوجوب المدح، فإن من تعدى أثره يرجى نفعه،و يخاف ضره،فيحكم العقل بلزوم مدحه جلبا للنفع،أو دفعا للضرر،و أما من لا يرجى خيره و شره فلا يحكم العقل بوجوب مدحه و ان بلغ فى الكمال ما بلغ.

فصل تحقيق الوسط و الأطراف

لا ريب فى أنه بإزاء كل فضيله رذيله هى ضدها،و لما عرفت أن أجناس الفضائل أربعه فأجناس الرذائل أيضا فى بادى النظر أربعه:

الجهل،و هو ضد الحكمه،و الجبن،و هو ضد الشجاعه،و الشره و هو ضد العفه،و الجور،و هو ضد العداله. و عند التحقيق يظهر أن لكل فضيله حدا معينا،و التجاوز عنه بالإفراط أو التفريط يؤدى إلى الرذيله،فالفضائل بمنزله الأوساط،و الرذائل بمثابه الأطراف،و الوسط واحد معين لا يقبل

التعـدد،و الأـطراف غير متنـاهيه عددا.فالفضـيله بمشابه مركز الـدائره، و الرذائـل بمشـابه سـائر النقـاط المفروضـه مـن المركز إلى المحيط،فإن المركز نقطه معينه،مع كونه أبعـد النقاط من المحيط،و سائر النقاط المفروضه من جوانبه غير متناهيه،مع أن كلا منها أقرب منه من طرف إليه.

فعلى هـذا يكون بإزاء كل فضـيله رذائل غير متناهيه،لأن الوسط محدود معين،و الأطراف غير محدوده،و تكون الفضـيله فى غايه البعد عن الرذيله التى هى نهايه الرذائل،و يكون كل منها أقرب منها إلى النهايه (۱)،و مجرد الانحراف عن الفضيله من أى طرف اتفق يوجب الوقوع فى رذيله.

و الثبات على الفضـيله و الاسـتقامه فى سلوک طريقها بمنزله الحركه على الخط المستقيم،و ارتكاب الرذيله كالانحراف عنه،و لا ريب فى أن الخط المسـتقيم هو أقصـر الخطوط الواصله بين النقطتين،و هو لا يكون إلا واحدا،و أما الخطوط المنحنيه بينهما فغير متنـاهيه،فالاسـتقامه فى طريق الفضـيله و ملازمتها على نهـج واحـد،و الانحراف عنه تكون له مناهـج غير متناهيه،و لـذلک غلبت دواعى الشر على بواعث الخير.

و يظهر مما ذكر أن وجدان الوسط الحقيقى صعب،و الثبات عليه بعد الوجدان أصعب،لأن الاستقامه على جاده الاعتدال فى غايه الإشـكال، و هـذا معنى قول الحكماء«إصابه نقطه الهـدف أعسـر من العدول عنها، و لزوم الصوب (۲)بعـد ذلک حتى لا يخطيها أسر»و لذلک لما أمر فخر

۱- ۱) أى أن كلا من الرذائل أقرب من الفضيله إلى النهايه.

۲- ۲) الصواب:يقال فلان مستقيم الصوب إذا لم يزغ عن قصده يمينا و شمالا.

الرسل بالاستقامه فی قوله تعالی:

فَاسْتَقِمْ کَمٰا أُمِرْتَ

(۱)

قال شیبتنی سوره هود علیه السلام، إذ وجد أن الوسط الحقیقی فیما بین الأطراف الغیر المتناهیه المتقابله مشکل،و الثبات علیه بعد الوجدان أشکل.

و قال(المحقق الطوسی)و جماعه:«إن ما ورد فی إشارات النوامیس من أن الصراط المستقیم أدق من الشعر،و أحد من السیف إشاره إلی هذا المعنی»و غیر خفی بأن هذا التأویل جرأه علی الشریعه القویمه،و هتک لأستار السنه الکریمه،و الواجب الإذعان بظاهر ما ورد من أمور الآخره نعم یمکن أن یقال کما مر: إن الأمور الأخرویه التی حصل بها الوعد و الوعید کلها أمور محققه ثابته علی ما أخبر به،إلا أنها صور للأخلاق، و الصفات المکتسبه فی هذه النشأه قد ظهرت بتلک الصور فی دار العقبی بحسب المرتبه،إذ ظهورات الأشیاء مختلفه بحسب اختلاف المراتب و النشآت فمواد ما یؤذی و یریح من الصور فی موطن المعاد انما هو الأخلاق و النیات المکتسبه فی هذه النشأه.و هذا المذهب بما استقر علیه آراء أساطین الحکمه و العرفان،و ذکرنا الظواهر الداله علیه من الآیات و الأخبار،و أشرنا إلی حقیقه الحال فیه.و علی هذا فالصراط المستقیم الممدود کالجسر علی الجحیم صوره لتوسط الأخلاق،و الجحیم صوره لأطرافها،فمن ثبت قدمه علی الوسط هنا لم یزل عن الصراط هناک و وصل إلی الجنه التی وعدها اللّه المتقین،و من مال إلی الأطراف هنا سقط هناک فی جهنم التی أحاطت بالکافرین.

۱- ۱) هود الآیه:۱۱۲.

ثم الوسط إما حقيقى و هو ما تكون نسبته إلى الطرفين على السواء كالأربعه بالنسبه إلى الاثنين و السته،و هذا كالمعتدل الحقيقى الـذى أنكر الأطبـاء وجوده،أو إضـافى و هو أقرب مـا يمكن تحققه للنوع أو الشـخص إلى الحقيقى و يتحقق به كمالهمـا«اللائق بحالهما» (١)و إن لم يصـل إليه، فالتسـميه بالوسط إنما هو بالنسـبه إلى الأطراف التى هى أبعـد من الحقيقى بالإضافه إليه،و هـذا كالاعتـدالات النوعيه و الشخصـيه التى أثبتهـا الأطباء، فإن المراد منها الاعتـدالات التى يمكن تحققها للأنواع و الأشـخاص،و هو القـدر الـذى يليق بكـل نوع أو شـخص أن يكون عليه،و إن لم يكن اعتـدالا حقيقيـا بمعنى تسـاوى الأجزاء البسـيطه العنصـريه و تكافؤها فى القوه و الأقربيه إلى الحقيقى بالنسبه إلى سائر الأطراف سمى إضافيا.

ثم الوسط المعتبر هنا هو الإضافى لتعذر وجدان الحقيقى و الثبات عليه، و لذا تختلف الفضيله بالاختلاف الأشخاص و الأحوال و الأزمان،فربما كانت مرتبه من الوسط الإضافى فضيله بالنظر إلى شخص او حال أو وقت،و رذيله بالنسبه إلى غيره.

و توضـيح الكلام أنه لا ريب فى أن الوسط الحقيقى فى الأخلاق لكونه فى حكم نقطه غير منقسـمه لا يمكن وجدانه و لا الثبات عليه،و لـذا ترى من هو متصف بفضـيله من الفضائل لا يمكن الحكم بكون تلك الفضـيله«هى الوسط الحقيقى،إلا أنه لما كانت تلك الفضيله» (٢)قريبه إليه و لا يمكن

١- ١) غير موجوده فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

٢- ٢) هذه العباره بتمامها لم توجد فى نسختنا الخطيه.

وجود الأقرب منها إليه له،يحكم بكونها وسطا إضافيا لأقربيتها إليه بالنسبه إلى سائر المراتب فالاعتدال الإضافى له عرض،وسطه الاعتدال الحقيقى،و طرفاه طرفا الإفراط و التفريط،إلا أنه ما لم يخرج عن هذين الطرفين يكون اعتدالا إضافيا،و كلما كان أقرب إلى الحقيقى كان أكمل و أقوى،و إذا خرج عنهما دخل فى الرذيله.

لا يقال:على هذا ينبغى أن يكون الاعتدال الطبى فى المزاج أيضا كذلك أى له عرض وسطه الاعتدال الحقيقى و طرفاه خارجان عن الاعتدال الطبى حتى أنه كلما قرب إلى الحقيقى صار الطبى أقوى و أكمل مع أنه ليس الأمر كذلك،إذ القياس يقتضى الخروج عن الاعتدال الطبى،أو ضعفه لقربه إلى الحقيقى.

«بيان ذلك»أن الاعتدال الحقيقى فى المزاج أن تكون أجزاء العناصر متكافئه القوه،و الاعتدال الطبى فى نوع الإنسان أو شخص من أشخاصه أن تكون الأجزاء الحاره مثلا-من عشره إلى اثنى عشره،و البارده من ثمانيه إلى تسعه،و اليابسه من سبعه إلى ثمانيه،و الرطبه من سته إلى سبعه،فإذا كانت الأجزاء الحاره سته،و البارده خمسه،و اليابسه أربعه،و الرطبه ثلاثه كانت خارجه عن الاعتدال الطبى،مع صيرورته أقرب إلى الحقيقى، بل إذا فرضت تكافؤ أجزاء العناصر الأربعه حتى حصل نفس الاعتدال الحقيقى خرجت أيضا عنه،فلا يكون الحقيقى وسط الطبى حتى أنه كلما يصير إليه أقرب يكون أقوى و أكمل.

لأنا نقول نحن لا-ندعى:أن الحقيقى وسط الطبى بل هو أمر مغاير له، و الحقيقى فى طرفه الخارج،فإن له طرفين:«أحدهما»أن تصير الأجزاء

أقرب فی التساوی مما کان للطبی إلی أن یبلغ إلی الحقیقی،«و الثانی»أن یصیر أبعد فیه مما کان له إلی غیر النهایه،إلا أن بعض مراتب الطرفین التی منها الاعتدال الحقیقی غیر ممکن الوقوع فتأمل.

فإن قیل:إن الوسط المعتبر هنا إن کان إضافیا،لکان له عرض کعرض المزاج،فلا یناسب وصفه بالحده و الدقه،قلنا.کما فی عرض المزاج مرتبه هی أفضل المراتب و أقربها إلی الاعتدال الحقیقی،کذلک فی عرض الوسط للملکات مرتبه هی أفضل المراتب و أقربها إلی الحقیقی،و هی المطلوبه بالذات و لا ریب فی أن خصوص هذه لیس لها عرض واسعه،فلا بأس بوصفها بالدقه و الحده،و أما سائر المراتب المعدوده من الوسط و إن لم تکن خالیه عن شوائب الإفراط و التفریط،إلا أنه لما کان لها قرب محدود إلی المرتبه المطلوبه بحیث یصدق معه کون النوع أو الشخص باقیا علی کماله اللائق به عدت من الأوساط و الفضائل:کما أن غیر الأقرب إلی الاعتدال الحقیقی من مراتب عرض المزاج یعد من الاعتدال:لکون النوع أو الشخص معه باقیا محفوظا بحیث لا یظهر خلل بین فی أفعاله و إن لم یخل عن الانحراف،و لو وصف هذه المراتب أیضا بالحده و الدقه مع سعتها فوجهه أن وجدانها و الثبات علیها لا یخلو أیضا من صعوبه.

فصل (أجناس الرذائل و أنواعها)

اشاره

قد ظهر مما ذکر أنه بإزاء کل فضیله رذائل غیر متناهیه من طرفی الإفراط و التفریط،و لیس لکل منها اسم معین و لا یمکن عد الجمیع و لیس علی صاحب الصناعه حصر مثلها،لأن وظیفته بیان الأصول و القوانین الکلیه

لا إحصاء الأعداد الجزئيه.

و القانون اللازم بيانه هو أن الانحراف عن الوسط إما إلى طرف الإفراط أو إلى طرف التفريط، فيكون بإزاء كل فضيله جنسان من الرذيله و لما كانت أجناس الفضائل أربعه فتكون أجناس الرذائل ثمانيه(اثنان) بإزاء الحكمه«الجربزه و البله»،و(الأول)فى طرف الإفراط و هو استعمال الفكر فى ما لا ينبغى أو فى الزائد عما ينبغى و(الثانى)فى طرف التفريط و هو تعطيل القوه الفكريه و عدم استعمالها فى ما ينبغى أو فى أقل منه،و الأولى أن يعبر عنهما(بالسفسطه)اى الحكمه المموهه،و(الجهل)اى البسيط منه،لأن حقيقه الحكمه هو العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه و هو موقوف على اعتدال القوه العاقله،فإذا حصلت له حده خارجه عن الاعتدال يخرج عن الحد اللائق و يستخرج أمورا دقيقه غير مطابقه للواقع،و العلم بهذه الأمور هو ضد الحكمه من طرف الإفراط و إذا حصلت لها بلاده لا ينتقل إلى شىء فلا يحصل لها العلم بالحقائق و هذا هو الجهل و هو ضده من طرف التفريط (و اثنان)بإزاء الشجاعه«التهور و الجبن»:(الأول)فى طرف الإفراط و هو الإقدام على ما ينبغى الحذر عنه،و(الثانى)فى طرف التفريط و هو الحذر عما ينبغى الإقدام عليه. (و اثنان) بإزاء العفه و هما:«الشره و الخمود»و(الأول)فى طرف الإفراط و هو الانهماك فى اللذات الشهويه على ما لا يحسن شرعا و عقلا،(و الثانى)فى طرف سكون النفس عن طلب ما هو ضرورى للبدن و(اثنان)بإزاء العداله و هما:«الظلم و الانظلام»:

و(الأول)فى طرف الإفراط و هو التصرف فى حقوق الناس و أموالهم بدون حق،(الثانى)فى طرف تفريط و هو تمكين الظالم من الظلم عليه و انقياده له فيما يريده من الجبر و التعدى على سبيل المذله،هكذا قيل.

و الحق أن العداله مع ملاحظه ما لا ينفك عنها من لازمها،لها طرف واحد يسمى جورا و ظلما،و هو يشمل جميع ذمائم الصفات،و لا يختص بالتصرف فى حقوق

الناس و أموالهم بدون جهه شرعيه،لأن العداله بهذا المعنى-كما عرفت- عباره عن ضبط العقل العملى جميع القوى تحت إشاره العقل النظرى، فهو جامع للكمالات بأسرها،فالظلم الذى هو مقابله جامع للنقائص بأسرها،إذ حقيقه الظلم وضع الشىء فى غير موضعه،و هو يتناول جميع ذمائم الصفات و الأفعال فتمكين الظالم من ظلمه لما كان صفه ذميمه يكون ظلما،على أن من مكن الظالم من الظلم عليه و انقاد له ذله،فقد ظلم نفسه و الظلم على النفس أيضا من أقسام الظلم.هذا هو بيان الطرفين لكل من الأجناس الأربعه للفضيله.

ثم لكل واحد من أجناس الرذائل و الفضائل أنواع و لوازم من الأخلاق و الأفعال ذكرها علماء الأخلاق فى كتبهم،و قد ذكروا للعداله أيضا أنواعا و قد عرفت فيما تقدم أن تخصيص بعض الصفات بالاندراج تحتها مما لا وجه له،إذ جميع الرذائل و الفضائل لا- يخرج عن التعلق بالقوى الثلاث، أعنى العاقله و الغضبيه و الشهويه،و إن كان للقوه العمليه مدخليه فى الجميع من حيث التوسط،فنحن ندخل الجميع تحت أجناس القوى الثلاث من غير اندراج شىء منها تحت العداله،و قد عرفت أن بعضها متعلق بالعاقله فقط،و بعضها بالقوه الغضبيه فقط،و بعضها بالشهويه فقط،و بعضها بالاثنين منها أو الثلاث معا،فنحن نذكر ذلك فى مقامات أربعه.

و لمزيد الإحاطه نشير هنا إجمالا- إلى أسماء الأجناس و الأنواع و اللوازم التى لكل جنس،و نذكر أولا ما يتعلق بالعاقله،ثم ما يتعلق بالغضبيه،ثم ما يتعلق بالشهويه،ثم ما يتعلق بالثلاث أو الاثنتين منها،و نذكر أولا الرذيله،ثم نشير إلى ضدها من الفضيله إن كان له اسم،ثم فى باب المعالجات نذكر معالجه كل رذيله من الأجناس و الأنواع و النتائج و نذيلها بذكر ضدها

من الفضيله،و نذكر أولا جنسى الرذيله لكل قوه،و نذيلهما بضدهما الذى هو جنس فضيلتها، ثم نذكر الأنواع و النتائج على النحو المذكور،أى نذكر أولا الرذيله بأحكامها«و معالجاتها» (۱)،ثم نشير إلى ضدها،و ما ورد فى مدحه ترغيبا للطالبين على أخذه و الاجتناب عن ضده،و لذلك لم نتابع القوم فى التفريق بين الرذائل و الفضائل و ذكر كل منهما على حده.

ثم بيان الأنواع و اللوازم على ما ذكر أكثره القوم لا يخلو عن الاختلال إما فى التعريف و التفسير،أو فى الفرق و التمييز،أو فى الإدخال تحت ما جعلوه نوعا له،أو غير ذلك من وجوه الاختلال،فنحن لا نتبعهم فى ذلك و نبينها إدخالا و تمييزا و تعريفا ما يقتضيه النظر الصحيح، فنقول:

أما جنسا الرذيله للقوه العقليه،«فأولهما»(الجربزه و السفسطه)و هى من طرف الإفراط،و«ثانيهما»(الجهل البسيط)و هو من طرف التفريط و ضدهما(العلم و الحكمه)،و أما الأنواع و اللوازم المترتبه عليهما،فمنها (الجهل المركب)و هو من باب رداءه الكيفيه.و منها(الحيره و الشك)و هو من طرف الإفراط على ما قيل،و ضد الجهل المركب إدراك ما هو الحق أو زوال العلم بأنه يعلم،و ضد الحيره الجزم بأحد الطرفين.و بذلك يظهر أن اليقين ضد لكل منهما،لأنه اعتقاد جازم مطابق للواقع،فمن حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضدا للحيره،و من حيث اعتبار المطابقه للواقع يكون ضدا للجهل المركب،و منشأ حصول اليقين هو استقامه الذهن و صفاؤه مع مراعاه شرائط الاستدلال،و منشأ الجهل المركب اعوجاج الذهن،أو حصول الخطأ فى الاستدلال،أو وجود مانع من إفاضه الحق كعصبيه،أو تقليد أو أمثال ذلك،و منشأ الحيره هو قصور الذهن و كدرته،أو الالتهاب الموجب للتجاوز

۱- ۱) هذه الكلمه موجوده فى نسختنا الخطيه فقط.

عن المطلوب،أو عدم الإحاطه بمقدماته،و منها(الشرک)و ضده التوحید.

و منها«الوساوس»النفسانیه و الخواطر الباطله الشیطانیه،و هـذا أیضا من باب رداءه الکیفیه،و کان الظاهر أن یعـد ذلک من رذائل قوتی الوهم و المتخیله دون العاقله،إذ الغالب أنها لا تنفک عن الاختلال فیهما،إلا أنک قد عرفت العذر فی ذلک،و ضدها الخواطر المحموده التی من جملتها الفکر فی بدائع صنع اللّه سبحانه و عجائب مخلوقاته أو منها(استنباط المکر و الحیله)للموصول إلی مقتضیات الشهوه و الغضب،و هو من طرف الإفراط.

و أما جنسا الرذائل للقوه الغضبیه،فأولهما(التهور)و ثانیهما(الجبن) و قد عرفت أن ضدهما من الفضیله(الشجاعه). و أما الأنواع و اللوازم و النتائج المترتبه علیها،فمنها(الخوف)و هو هیئه نفسانیه مؤذیه تحدث من توقع مکروه أو زوال مرغوب،و هو مذموم إلا ما کان لأجل المعصیه و الخیانه،أو من اللّه و عظمته،و المذموم من رذائل تلک القوه و من نتائج الجبن و ضده الأمن و الطمأنینه،و الممدوح من فضائلها لکونه مقتضی العقل و ضده الأمن من مکر اللّه،و هو-أی الممدوح من الخوف-یلازم الرجاء و ضده الیأس. و منها(صغر النفس)أی ملکه العجز عن تحمل الواردات و هو من نتائج الجبن،و ضده کبر النفس أی ملکه التحمل لما یرد علیه کائنا ما کان.و من جمله التحمل التحمل علی الخوض فی الأهوال،و قوه المقاومه مع الشدائد و الآلام و یسمی(بالثبات)فهو أخص من کبر النفس،و ضده الاضطراب فی الأهوال و الشدائد.و من جمله الثبات الثبات فی الإیمان، و منها (دناءه الهمه)و هو القصور عن طلب معالی الأمور و هو من لوازم ضعف النفس و صغرها،و ضده(علو الهمه)الذی هو من لوازم کبر النفس و شجاعتها،أی السعی فی تحصیل السعاده و الکمال و طلب الأمور العالیه

ص:۱۰۳

من دون ملاحظه منافع الـدنيا و مضارها.و من أفراد علو الهمه الشـهامه، و يأتى تفسيرها. و منها(عدم الغيره و الحميه)أى الإهمال فى محـافظه ما يلزم حفظه،و هو أيضا من نتائـج صـغر النفس و ضـعفها و ضـده ظاهر. و منها (العجله)و هو المعنى الراتب (١)فى القلب الباعث على الإقدام على الأمر بأول خاطر من دون توقف فيه،و هو أيضا من نتائج صغر النفس و ضعفها، و ضدها الإناءه و التـأنى،و(التعسـف)قريـب مـن العجله،و ضـده أعنى (التوقـف)قريب من الإنـاءه،و يـأتى الفرق بينهمـا،(و الوقـار)يتنـاول التـأنى و التوقف،و هو اطمئنان النفس و سـكونها عند الحركات و الأفعال فى الابتداء (و الأثناء)،و هو من لوازم كبر النفس و شـجاعتها. و منهـا(سوء الظن بـاللّه تعـالى و بـالمؤمنين)و هو من لوازم الجبن و ضـعف النفس،و ربما كان من باب رداءه الكيفيه،فضـده أعنى حسـن الظن بهمـا من آثـار الشـجاعه و كـبر النفس.و منهـا (الغضب)و هـو حركه نفسـانيه يـوجب حركه الروح من الـداخل إلى الخارج للغلبه و هو من باب الإفراط،و ضده الحلم. و منها(الانتقام)و هو من نتائج الغضب،و ضده العفو. و منها(العنف)و هو أيضا من نتائج الغضب، و ضده الرفق.و منها(سوء الخلق)بالمعنى الأخص و هو أيضا من نتائجه، و ضده(حسن الخلق)بالمعنى الأخص. و منهـا(الحقـد)و هـو العـداوه الكـامنه أى إراده الشـر و قصـد زوال الخير مـن المسـلم،و هـو أيضـا مـن ثمرات الغضـب و منها(العداوه)الظاهره،و ضدها(النصـيحه)أى إراده الخير و الصـلاح و دفع الشـر و الفساد عن كل مسلم.ثم للغضب و الحقد لوازم هى الضرب و الفحش و اللعن و الطعن. و منها(العجب)و هو استعظام النفس،و ضده

١- ١) الراتب،عيش راتب،أى دائم ثابت.

انکسارها و استحقارها (۱). و منها(الکبر)و هو التعظیم الموجب لرؤیه النفس فوق الغیر،و ضده(التواضع)و هو أن لا یری لنفسه مزیه علی الغیر و منها(الافتخار)و هو المباهاه بما یظنه کما لا و هو من شعب الکبر. و منها (البغی)و هو عدم الانقیاد لمن یجب أن ینقاد و هو أیضا من شعب الکبر و ضده(التسلیم)و الانقیاد لمن یجب الانقیاد إلیه و إطاعته و قد یفسر بمطلق العلو و الاستطاله (۲) و منها(تزکیه النفس)و ضده الاعتراف بنقائصها. و منها(العصبیه)و هی الحمایه عن نفسه و عما ینتسب إلیه بالباطل و الخروج عن الحق. و منها(کتمان الحق)و ضدهما الإنصاف و الاستقامه علی الحق. و منها(القساوه)و هو عدم التأثر عن مشاهده تألم أبناء النوع، و ضدها الرحمه.

و أما جنسا الرذائل المتعلقه بالقوه الشهویه فأحدهما(الشره)و ثانیهما (الخمود)و ضدهما(العفه)،و أما الأنواع و النتائج و اللوازم المتعلقه بها، فمنها(حب الدنیا).و منها(حب المال)و ضدهما الزهد.و منها(الغنی) و ضده الفقر.و منها(الحرص)و ضده القناعه.و منها(الطمع)و ضده الاستغناء عن الناس.و منها(البخل)و ضده السخاء،و تندرج تحته وجوه الإنفاقات بأسرها.و منها(طلب الحرام)و عدم الاجتناب عنه،و ضده الورع و التقوی بالمعنی الخاص.و منها(الغدر و الخیانه)و ضدهما الأمانه.

۱- ۱) من کلمه(منها)إلی قوله و(استحقارها)بتمام العباره لم توجد فی نسختنا الخطیه لکنها موجوده فی نسخه خطیه أخری.

۲- ۲) من کلمه(منها)إلی قوله و(الاستطاله)بتمام العباره لم توجد فی نسختنا الخطیه لکنها موجوده فی نسخه خطیه أخری.

و منها(أنواع الفجور)من الزنا و اللواط و شرب الخمر و الاشتغال بالملاهى و أمثالها.و منها(الخوض فى الباطل).و منها(التكلم بما لا يعنى و بالفضول) و ضدهما الترک و الصمت،أو بالتكلم بما يعنى بقدر الضروره.

و أما الرذائل و الفضائل المتعلقه بالقوى الثلاث،أو باثنتين منها فمنها(الحسد)و ضده النصيحه.و منها(الإيذاء و الإهانه و الاحتقار) و ضدها كف الأذى و الإكرام و التعظيم.و الإيذاء قريب من الظلم بالمعنى الأخص أو أعم منه،و ضد الظلم بالمعنى الأخص العداله بالمعنى الأخص.

و منها(إخافه المسلم و إدخال الكرب فى قلبه)و ضدهما إزاله الخوف و الكرب عنه.و منها(ترک إعانه المسلمين)و ضده قضاء حوائجهم.و منها (المداهنه)فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،و ضده السعى فيهما.و منها (الهجره و التباعد عن الإخوان)و ضده التآلف و التزاور.و منها(قطع الرحم)و ضده الصله.و منها(عقوق الوالدين)و ضده البر إليهما.و منها (تجسس العيوب)و ضده الستر.و منها(إفشاء السر)و ضد الكتمان.

و منها(الإفساد بين الناس)و ضده الإصلاح بينهم.و منها(الشماته بمسلم) و منها(المراء و الجدال و الخصومه)و ضدهما طيب الكلام.و منها(السخريه و الاستهزاء)و ضدهما المزاح. و منها(الغيبه)و ضدها المدح و دفع الذم و منها(الكذب)و ضده الصدق،و لجميع آفات اللسان مما له ضد خاص، و مما ليس له ضد بخصوصه ضد عام هو الصمت.و منها(حب الجاه و الشهره) و ضده حب الخمول.و منها(حب المدح و كراهه الذم)و ضده مساواتهما و منها(الريا)و ضده الإخلاص.و منها(النفاق)و ضده استواء السر و العلانيه.و منها(الغرور)و ضده الفطانه و العلم و الزهد.و منها(طول الأمل)و ضده قصره.و منها(مطلق العصيان)و ضده الورع و التقوى بالمعنى

ص:۱۰۶

الأـعم.و منها(الوقاحه)و ضـده الحياء.و منها(الإصـرار على المعصـيه)و ضـده التوبه،و أقصـى مراتبها الإنابه و المحاسـبه و المراقبه قريبه من التوبه فى ضـديتها للإصـرار.و منهـا(الغفله)و ضـدها النيه و الإراده.و منها(عـدم الرغبه)و ضـده الشوق.و منها(الكراهه)و ضـده الحب.و منهـا(الجفاء) و ضـده الوفاء و هو من تمام الحب.و منها(البعـد)و ضـده الإنس و من لوازمه حب الخلوه و العزله.و منهـا(السـخط)و ضـده الرضا،و قريب منه التسـليم و يسـمى تفويضا،بل هو فوق الرضا كما يأتى.و منها(الحزن)و ضـده السـرور.و منها(ضعف الوثوق و الأعتماد على اللّه)و ضده التوكل.و منها (الكفران)و ضده الشكر.و منها(الجزع و الهلع)و ضده الصبر.و منها (الفسق)و هو الخروج عن طاعه اللّه و عبادته،و ضده الطاعه و العباده.

و تنـدرج تحتها(العبادات الموظفه فى الشـرع) (۱)من الطهـاره،و الصـلاه و الـذكر و تلاـوه القرآن،و الزكاه و الخمس و الصوم و الحج و الزيارات.و نحن نذكر الزكاه و الخمس فى وجوه الإنفاق،و ما سواهما فى العبادات.

(تنبيه)اعلـم أن إحصـاء الفضائـل و الرذائـل و ضــبطهما،و إدخـال البعض فى البعض،و الإشـاره إلى القـوه المـوجبه لهـا على ما فصلناه،مما لم يتعرض له علماء الأخلاق،بل إنما تعرضوا لبعضها،و يظهر من كلامهم فى بعض المواضع المخالفه فى الإدخال.

و السر فيه أن كثيرا من الصـفات لهـا جهـات مختلفه كل منها يناسب قوه كما أشـرنا إليه،فالاختلاف فى الإدخال لأجل اختلاف الاعتبـار للجهـات «و قـد عرفت أن مـا له جهـات مختلفه يتعلق بـالقوى المتعـدده نحن نجعل مبـدأه الجميع و نعـده من رذائله أو فضائله،و لا نخصه بواحده منها».ثم بعض

۱- ۱) هذه العباره بتمامها غير موجوده فى نسختنا الخطيه.

الصفات ربما كان ببعض الاعتبارات محمودا معدودا من الفضائل،و ببعض الاعتبارات معدودا من الرذائل،و ذلك كالمحبه و الخوف و الرجاء،فإن الحب إن كان متعلقا بالدنيا و متعلقاتها كان مذموما معدودا من الرذائل، و إن كان متعلقا باللّه و أوليائه كان محمودا معدودا من الفضائل،و الخوف إن كان مما لا يخاف منه عقلا كان من رذائل قوه الغضب،و إن كان من المعاصي أو من عظمه اللّه كان من فضائلها،و الرجاء إن لم يكن في موضعه كان من الرذائل و إن كان في موقعه كان من الفضائل.و قس عليها غيرها مما له الاعتبارات المختلفه.

فصل الفرق بين الفضيله و الرذيله

قد دريت إجمالا- أن الفضائل المذكوره ملكات مخصوصه،لها آثار معلومه،و ربما صدر عن بعض الناس أفعال شبيهه بالفضائل،و ليست بها فلا بد من بيان الفرق بينهما لئلا يشتبه على الغافل فيضل و يضل،فنقول:

قد عرفت أن فضيله الحكمه عباره عن العلم بأعيان الموجودات على ما هي عليه،و هو لا- ينفك عن اليقين و الطمأنينه،فمجرد أخذ بعض المسائل و تقريرها على وجه لائق من دون وثوق النفس و اطمئنانها ليست حكمه، و الآخذ بمثله ليس حكيما،إذ حقيقه الحكمه لا- تنفك عن الإذعان القطعي و اليقيني و هما مفقودان فيه،فمثله كمثل الأطفال في التشبه بالرجال، أو بعض الحيوانات في محاكاه ما للإنسان من الأقوال و الأفعال.

و أما فضيله العفه،فقد عرفت أنها عباره عن ملكه انقياد القوه الشهويه للعقل،حتى يكون تصرفها مقصورا على أمره و نهيه،فيقدم على ما فيه المصلحه و ينزجر عما يتضمن المفسده بتجويزه،و لا يخالفه في أوامره و نواهيه،

و ینبغی أن یکون الباعث للاتصاف بتلک الملکه و صدور آثارها مجرد کونها فضیله و کمالا للنفس و حصول السعاده الحقیقیه بها،لا شیء آخر من دفع ضر،أو جلب نفع،أو اضطرار و إلجاء،فالإعراض عن اللذات الدنیویه لتحصیل الأزید من جنسها لیس عفه،کما هو شأن بعض تارکی الدنیا للدنیا و کذا الحال فی ترکها لخمود القوه و قصورها و ضعف الآله و فتورها،أو لحصول النفره من کثره تعاطیها،او للحذر من حدوث الأمراض و الأسقام،أو اطلاع الناس و توبیخهم،أو لعدم درک تلک اللذات کما هو شأن بعض أهالی الجبال و البوادی...إلی غیر ذلک.

و أما فضیله الشجاعه،فقد عرفت أنها ملکه انقیاد القوه الغضبیه للعقل حتی یکون تصرفها بحسب أمره و نهیه،و لا یکون للاتصاف بها و صدور آثارها داع سوی کونها کمالا و فضیله،فالإقدام علی الأمور الهائله،و الخوض فی الحروب العظیمه،و عدم المبالاه من الضرب و القطع و القتل لتحصیل الجاه و المال،أو الظفر بامرأه ذات جمال،أو للحذر من السلطان و مثله، أو للشهوه بین أبناء جنسه،لیست صادره عن ملکه الشجاعه،بل منشأها إما رذیله الشره أو الجبن،کما هو شأن عساکر الجائرین،و قاطعی الطرق و السارقین،فمن کان أکثر خوضا فی الأهوال،و أشد جرأه علی الأبطال للوصول إلی شیء من تلک الأغراض،فهو أکثر جبنا و حرصا،لا أکثر شجاعه و نجده.و قس علی ذلک الوقوع فی المهالک و الأهوال،تعصبا عن الأقارب و الاتباع،و ربما کان باعثه تکرر ذلک منه مع حصول الغلبه، فاغتر بذلک و لم یبال بالإقدام اتکالا علی العاده الجاریه.و مثله مثل رجل ذی سلاح لم یبال بالمحاربه مع طفل أعزل،فإن عدم الحذر عنه لیس لشجاعته،بل لعجز الطفل.و من هذا القبیل ما یصدر عن بعض الحیوانات

من الصوله و الإقدام،فإنه ليس صادرا من ملكه الشجاعه،بل عن طبيعه القوه و الغلبه.

و بالجمله:الشجاع الواقعى ما كانت أفعاله صادره عن إشاره العقل و لم يكن له باعث سوى كونها جميله حسنه،فربما كان الحذر عن بعض الأهوال من مقتضيات العقل فلا ينافى الشجاعه،و ربما لم يكن الخوض فى بعض الأخطار من موجباته فينافيها،و لذا قيل عدم الفزع مع شده الزلازل و تواتر الصواعق من علائم الجنون دون الشجاعه،و إيقاع النفس فى الهلكات بلا داع عقلى أو شرعى كتعرضه للسباع المؤذيه،أو إلقاء نفسه من المواضع، الشاهقه أو فى البحار و الشطوط الغامره من دون علم بالسباحه من أمارات القحه و الحماقه.

ثم الشجاع الحقيقى من كان حذره من العار و الفضيحه أكثر من خوفه من الموت و الهلاك،فمن لا يبالى بذهاب شرفه،و فضيحه أهله و حرمه، فهو من أهل الجنون و الحماقه،و لا يستحق اسم العقل و الشجاعه،كيف و الموت عند الشجاع مع بقاء الفضيله أحسن من الحياه بدونها،و لذا يختار الموت الجميل على الحياه القبيحه.على أن الشجاعه فى المبادئ ربما كانت موذيه،و إنما تظهر لذتها فى العاقبه(لا)سيما إذا حصلت بها الحمايه عن الدين و المله،و الذب عن العقائد الحقه،فإن الشجاع لحبه الجميل و ثباته على الرأى الصحيح إذا علم أن عمره فى معرض الزوال و الثور،و أثر الفعل الجميل يبقى على مر الدهور،يختار الجميل الباقى على الرذيل الفانى، فيحامى عن دينه و شريعته،و لا يبالى بما يحذر عنه غيره من أبناء طبيعته، لعلمه بأن الجبان المقصر فى حمايه الدين،و مقاومه جنود الشياطين إن بقى أياما معدوده،فمع تكدرها بالذل و الصغار تكون زائله،و لا ترضى نفسه

بالحرمان عن السعاده الباقيه،

و لذا قال فخر الشجعان و سيد ولد عدنان عليه صلوات اللّه الملك الرحمن لأصحابه: «أيها الناس إنكم إن لم تقتلوا تموتوا و الذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربه بالسيف على الرأس أهون من ميته على الفراش».

و بالجمله:كل فعل يصدر عن الشجاع فى أى وقت يكون مقتضى للعقل مناسبا لهذا الوقت واقعا فى موقعه،و له قوه التحمل على المصائب،و ملكه الصبر على الشدائد و النوائب،و لا يضطرب من شدائد الأمور،و يستخف بما يستعظمه الجمهور،و إذا غضب كان غضبه بمقتضى العقل،و كان انتقامه مقصورا على ما يستحسن عقلا و شرعا،و لا يتعدى إلى ما لا ينبغى.و ليس مطلق الانتقام مذموما،فربما كان فى بعض المواضع مستحسنا عند العقل و الشرع،و قد صرح الحكماء بأن عدم الانتقام ممن يستحقه يحدث فى النفس ذبولا لا يرتفع إلا بالانتقام،و ربما أدى هذا الذبول إلى بعض الرذائل المهلكه.

و أما العداله فقد عرفت أنها عباره عن انقياد القوه العمليه للعاقله، أو امتزاج القوى و تسالمها و انقهار الجميع تحت العاقله،بحيث يرتفع بينها التنازع و التجاذب،و لا يغلب بعضها على بعض،و لا يقدم على شىء غير ما تسقط له العاقله.و إنما يتم ذلك إذا حصلت للإنسان ملكه راسخه تصدر لأجلها جميع الأفعال على نهج الاعتدال بسهوله،و لا يكون له غايه فى ذلك سوى كونها فضيله و كما لا،فمن يتكلف أعمال العدول رياء و سمعه أو لجلب القلوب،أو تحصيل الجاه و المال ليس عادلا.

و قس على ذلك جميع أنواع الفضائل المندرجه تحت الأجناس المذكوره فإنه بإزاء كل منها رذيله شبيهه بها،فينبغى لطالب السعاده أن يعرفها

و يجتنب عنها،مثلا السخاء عباره عن ملكه سهوله بذل المال على المستحق مع كون الغايه الباعثه له عليه مجرد كونه فضيله و كمالا،دون الأغراض الأخر،فبذل المال لتحصيل الأزيد،أو لدفع الضرر،أو نيل الجاه، أو للوصول إلى شيء من اللذات الحيوانيه ليس سخاء.و كذا بذله لغير المستحق و الإسراف فى إنفاقه.فإن المبذر جاهل بعظم قدر المال.و الاحتياج إليه فى مواقع لولاه لأدى إلى تضييع الأهل و العيال و العجز عن كسب المعارف و فضائل الأعمال،و له دخل عظيم فى تزويج احكام المله و نشر الفضيله و الحكمه،و لذا ورد فى الصحيفه السليمانيه(أن الحكمه مع الثروه يقظان،و مع الفقر نائم) (۱). و ربما كان منشأ التبذير عدم العلم بصعوبه تحصيل الحلال منه،و هذا يكون فى الأغلب لمن يظفر بمال بغته من ميراث أو غيره مما لا يحتاج إلى كد و عمل،فإن مثله غافل عن صعوبه كسب الحلال منه،إذ المكاسب الطيبه قليله جدا،و ارتكابها للأحرار مشكل،و لذا ترى أفاضل الأحرار ناقصى الحظوظ منه شاكين عن بختهم،و أضدادهم على خلاف ذلك،لعدم مبالاتهم من تحصيله بأى نحو كان.و قد قال بعض الحكماء:«إن تحصيل المال بمنزله نقل الحجر إلى قله الجبل و إنفاقه كإطلاقه».

فصل العداله أشرف الفضائل

اشاره

العداله أشرف الفضائل و أفضلها،إذ قد عرفت أنها كل الفضائل

ص: ۱۱۲

۱- ۱) كذا فى النسخ و لم نعثر على مصدر لهذه الكلمه لتصحيحها.

أو ما يلزمها،كما أن الجور كل الرذائل أو ما يوجبها،لأنها هيئه نفسانيه يقتدر بها على تعديل جميع الصفات و الأفعال،و رد الزائد و الناقص إلى الوسط،و انكسار سوره التخالف بين القوى المتعاديه،بحيث يمتزج الكل و تتحقق بينها مناسبه و اتحاد تحدث فى النفس فضيله واحده تقتضى حصول فعل متوسط بين أفعالها المتخالفه،و ذلك كما تحصل من حصول الامتزاج و الوحده بين الأشياء المتخالفه صوره وحدانيه يصدر عنها فعل متوسط بين أفعالها المتخالفه،فجميع الفضائل مترتبه على العداله،و لذا قال أ فلاطون الإلهى:(العداله إذا حصلت للإنسان أشرق بها كل واحد من أجزاء نفسه و يستضىء بعضها من بعض،فتنتهض النفس حينئذ لفعلها الخاص على أفضل ما يكون،فيحصل لها غايه القرب إلى مبدعها سبحانه).

و من خواص العداله و فضيلتها أنها أقرب الصفات إلى الوحده،و شأنها إخراج الواحد من الكثرات،و التأليف بين المتباينات،و التسويه بين المختلفات،و رد الأشياء من القله و الكثره و النقصان و الزياده إلى التوسط الذى هو الوحده،فتصير المتخالفات فى هذه المرتبه متحده نوع اتحاد، و فى غيرها توجد أطراف متخالفه متكاثره،و لا ريب فى أن الوحده أشرف من الكثره،و كلما كان الشىء أقرب إليها يكون أفضل و أكمل و أبقى و أدوم و من تطرق البطلان و الفساد أبعد، فالمتخالفات إذا حصل بينها مناسبه و اتحاد و حصلت منها هيئه وحدانيه صارت أكمل مما كان،و لذا قيل:كمال كل صفه أن يقارب ضدها،و كمال كل شخص أن يتصف بالصفات المتقابله بجعلها متناسبه متسالمه،و تأثير الأشعار الموزونه و النغمات و الإيقاعات المتناسبه،و جذب الصور الجميله للنفوس،إنما هو لوحده التناسب، و نسبه المساواه فى صناعه الموسيقى أو غيرها أشرف النسب لقربها إلى الوحده

و غيرها من النسب يرجع إليها.

و بالجمله:اختلاف الأشياء فى الكمال و النقص بحسب اختلافها فى الوحده و الكثره،فأشرف الموجودات هو الواحد الحقيقى الذى هو موجد الكل و مبدؤه،و يفيض نور الوحده على كل موجود بقدر استعداده كما يفيض عليه نور الوجود كذلك،فكل وحده من الوحدات جوهريه كانت أو خلقيه أو فعليه أو عدديه أو مزاجيه،فهو ظل من وحدته الحقه،و كلما كان أقرب إليها يكون أشرف وجودا،و لو لا الاعتدال و الوحده العرضيه التى هى ظل الوحده الحقيقيه لم تتم دائره الوجود،لأن تولد المواليد من العناصر الأربعه يتوقف على حصول الاتحاد و الاعتدال،و تعلق النفس الربانيه بالبدن إنما هو لحصول نسبه الاعتدال،و لذا يزول تعلقها به بزوالها بل النفس عاشقه لتلك النسبه الشريفه أين ما وجدت.

و التحقيق أنها معنى وحدانى يختلف باختلاف محالها،فهى فى الأجزاء العنصريه الممتزجه اعتدال مزاجى،و فى الأعضاء حسن ظاهرى،و فى الكلام فصاحه،و فى الملكات النفسيه عداله،و فى الحركات غنج و دلال،و فى المنغمات أبعاد شريفه لذيذه و النفس عاشقه لهذا المعنى فى أى مظهر ظهر،و بأى صوره تجلى،و بأى لباس تلبس.

فانى أحب الحسن حيث وجدته

و للحسن فى وجه الملاح مواقع

و الكثره و القله و النقصان و الزياده تفسد الأشياء إذا لم تكن بينها مناسبه تحفظ عليها الاعتدال و الوحده بوجه ما،و فى هذا المقام تفوح نفحات قدسيه تهتز بها نفوس أهل الجذبه و الشوق،و يتعطر منها مشام أصحاب التأله و الذوق،فتعرض لها إن كنت أهلا لذلك.

و إذا عرفت شرف العداله و إيجابها للعمل بالمساواه،و رد كل ناقص

و زائد إلى الوسط.فاعلم:أنها إما متعلقه بالأخلاق و الأفعال.أو بالكرامات و قسمه الأموال.أو بالمعاملات و المعاوضات.أو بالأحكام و السياسات.

و العادل فى كل واحد من هذه الأمور ما يحدث التساوى فيه برد الإفراط و التفريط إلى الوسط.و لا ريب فى أنه مشروط بالعلم بطبيعه الوسط.حتى يمكن رد الطرفين إليه.و هذا العلم فى غايه الصعوبه.و لا يتيسر إلا بالرجوع إلى ميزان معرف للأوساط فى،جميع الأشياء.و ما هو إلا ميزان الشريعه الإلهيه الصادره عن منبع الوحده الحقه الحقيقيه.فإنها هى المعرفه للأوساط فى جميع الأشياء على ما ينبغى.و المتضمنه لبيان تفاصيل جميع مراتب الحكمه العمليه.فالعادل بالحقيقه يجب أن يكون حكيما عالما بالنواميس الإلهيه الصادره من عند اللّه سبحانه لحفظ المساواه.

و قد ذكر علماء الأخلاق أن العدول ثلاثه:«الأول»العادل الأكبر و هو الشريعه الإلهيه الصادره من عند اللّه سبحانه لحفظ المساواه.«الثانى» العادل الأوسط.و هو الحاكم العادل التابع للنواميس الإلهيه و الشريعه النبويه فإنه خليفه الشريعه فى حفظ المساواه.«الثالث»العادل الصامت و هو الدينار لأنه يحفظ المساواه فى المعاملات و المعاوضات.

بيان ذلك:أن الإنسان مدنى بالطبع فيحتاج بعض أفراده إلى بعض آخر.و لا يتم عيشهم إلا بالتعاون.فيحتاج الزارع إلى عمل التاجر و بالعكس و النجار إلى عمل الصباغ و بالعكس.و هكذا فتقع بينهم معاوضات.فلا بد من حفظ المساواه بينها دفعا للتنازع و التشاجر.و لا يمكن حفظها بالأعمال لاختلافها بالزياده و النقصان و القله و الكثره و غير ذلك.و ربما كان أدنى عمل مساويا لعمل كثير كنظر المهندس.و تدبير صاحب الجيش.فإن نظرهما فى لحظه واحده ربما ساوى عملا كثيرا لمن يعمل و يحارب.فحفظ المساواه

بینها بالـدینار و الـدرهم بأن تقوم بهما الأعمال و الأشیاء المختلفه،لیحصل الاعتـدال و الاسـتواء،و یتبین وجه الأخـذ و الإعطاء،و تصح المشارکات و المعاملات علی نهج لا یتضمن إفراطا و لا تفریطا قیل:و قد أشیر إلی العدول الثلاثه فی الکتاب الإلهی بقوله سبحانه:

وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْکِتابَ وَ الْمِیزانَ لِیَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ فِیهِ بَأْسٌ شَدِیدٌ وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ

(۱)

.

فإن الکتاب إشاره إلی الشـریعه،و المیزان إلی آله معرفه النسبه بین المختلفات و منها الدینار،و الحدید إلی سیف الحاکم العادل المقوم للناس علی الوسط.

هـذا و المقابـل للعـادل-أعنی الجائر المبطل للتساوی أیضا-إما جائر أعظم -و هو الخارج عن حکم الشـریعه-و یسـمی کافرا-أو جـائر أوسـط-و هو من لا یطیع عـدول الحکام فی الأحکام-و یسـمی طاغیا و باغیا-أو جائر أصـغر- و هو من لا یقوم علی حکم الدینار،فیأخذ لنفسه أکثر من حقه و یعطی غیره أقل من حقه-و یسمی سارقا و خائنا-.

ثم العداله علی أقسام ثلاثه:

«أحدها»ما یجری بین العباد و بین خالقهم سـبحانه،فإنها لما کانت عباره عن العمل بالمساواه علی قدر الإمکان،و الواجب سبحانه و أهب الحیـاه و الکمالات و ما یحتاج إلیه کل حی من الأرزاق و الأقوات،و هیأ لنا فی عالم آخر من البهجه و السـرور ما لا عین رأت،و لا أذن سمعت،و ما من یوم إلا

۱- ۱) الحدیث:الآیه:۲۵.

و يصل إلينا من نعمه و عطاياه ما تكل الألسنه عن حصره و عده،فيجب أن يكون له تعالى علينا حق يقابل به تلك النعم التى لا تحصى كثره حتى تحصل عداله فى الجمله،إذ من أعطى خيرا و لم يقابله بضرب من المقابله فهو جائر.

ثم المقابله و المكافأه تختلف باختلاف الأشخاص،فإن ما يؤدى به حق إحسان السلطان غير ما يؤدى به حق إحسان غيره،فإن مقابله إحسانه إنما تكون بمثل الدعاء و نشر المحاسن،و مقابله إحسان غيره تكون بمثل بذل المال و السعى فى قضاء حوائجه و غير ذلك.و الواجب سبحانه غنى عن معونتنا و مساعينا.و لا يحتاج إلى شىء من أعمالنا و أفعالنا،و لكن يجب علينا بالنظر إلى شرع العداله حقوق تحصل بها مساواه فى الجمله،كمعرفته و محبته، و تحصيل العقائد الحقه و الأخلاق الفاضله،و الاجتهاد فى امتثال ما جاءت به رسله و سفراؤه من الصوم و الصلاه،و السعى إلى المواقف الشريفه و غير ذلك،و إن كان التوفيق لإدراك ذلك كله من جمله نعمائه،إلا أن العبد إذا أدى ما له فيه مدخليه و اختيار من وظائف الطاعات،و ترك ما تقتضى الضروره بتمكنه على تركه من المعاصى و السيئات،لخرج عن الجور المطلق و لم يصدق عليه أنه جائر مطلق،و إن كان أصل تمكنه و اختياره بل أصل وجوده و حياته كلها من اللّه سبحانه.

«الثانى»ما يجرى بين الناس بعضهم لبعض:من أداء الحقوق و تأديه الأمانات و النصفه فى المعاملات و المعاوضات و تعظيم الأكابر و الرؤساء و إغاثه المظلومين و الضعفاء،فهذا القسم من العداله يقتضى أن يرضى بحقه،و لا يظلم أحدا،و يقيم كل واحد من أبناء نوعه على حقه بقدر الإمكان،لئلا يجور بعضهم بعضا،و يؤدى حقوق إخوانه المؤمنين بحسب استطاعته.

و قد ورد فى الحديث النبوى: «إن المؤمن على أخيه ثلاثين حقا لا براءه له منها إلا بالأداء

أو العفو:يغفر زلته،و يرحم غربته،و يستر عورته،و يقيل عثرته،و يقبل معـذرته.و يرد غيبته،و يديم نصـيحته،و يحفظ خلته،و يرعى ذمته،و يعود مرضـته،و يشهد ميتته،و يجيب دعوته،و يقبل هديته،و يكافئ صلته، و يشكر نعمته،و يحسن نصرته،و يحفظ حليلته،و يقضـى حاجته،و يشفع مسألته،و يسمت عطسته،و يرشد ضالته،و يرد سلامه،و يطيب كلامه، و يبر إنعامه،و يصدق أقسامه،و يواليه و لاـ يعـاديه،و ينصـره ظالمـا أو مظلوما فأما نصـرته ظالما فيرده عن ظلمه،و أما نصـرته مظلوما فيعينه على من ظلمه، و أما نصـرته مظلوما فيعينه على أخذ حقه،و لا يسأمه،و لا يخذله،و يجب له من الخير ما يحب لنفسه،و يكره له من الشر ما يكره لنفسه».

«الثالث»ما يجرى بين الأحياء و ذوى حقوقهم من الأموات:من أداء ديونهم و إنفاذ وصاياهم و الترحم عليهم بالصدقه و الدعاء. و قد أشار خاتم الرساله صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى أقسام العداله

بقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «التعظيم لأمر اللّه و الشفقه على خلق اللّه»،

و بقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم فى خبر آخر: «الدين النصحيه،قيل لمن؟قال:للّه و لرسوله و لعامه المؤمنين».

ايقاظ

قد ظهر مما ذكر أن الكمال كل الكمال لكل شـخص هو العدل و التوسط فى جميع صفاته و أفعاله الباطنه و الظاهره،سواء كانت مختصه بذاته أو متوسـطه بينه و بين أبناء نوعه،و لا تحصل النجاه و السـعاده إلا بالاسـتقامه على وسط الأشـياء المتخالفه،و التثبت على مركز الأطراف المتباعده،فكن يا حبيبى جامعا للكمالات،متوسطا بين مراتب السعادات،و مركزا لدائره نيل

الإفاضات.فكن أولا متوسطا بين العلم و العمل جامعا بينهما بقدر الإمكان و لا تكتف بأحدهما حتى لا تكون واحدا من الرجلين القاصمين (۱)لظهر فخر الثقلين صلى اللّه عليه و آله و سلم. و كن فى العمل متوسطا بين حفظ الظاهر و الباطن فلا تكن فى باطنك خبيثا و ظاهرك نقيا،حتى تكون كشوهاء ملبسه بزى حوراء مدلسه بأنواع التدليسات،و لا بالعكس لتكون مثل دره ملوثه بأقسام القاذورات،بل ينبغى أن يكون ظاهرك مرآه لباطنك،حتى يظهر من محاسنك بقدر ما اقتضته ملكاتك الفاضله الباطنه.و كن فى جميع ملكاتك الباطنه و أفعالك الظاهره متوسطا بين الإفراط و التفريط على ما يقرع سمعك فى هذا الكتاب. ثم كن فى العلوم متوسطا بين العلوم الباطنه العقليه و العلوم الظاهره الشرعيه،فلا تكن من الذين قصروا أنظارهم على ظواهر الآيات و لم يعرفوا من حقائق البينات،يذمون علماء الحقيقه و ينسبونهم إلى الإلحاد و الزندقه،و لا من الذين صرفوا أعمارهم فى فضول أهل يونان و هجروا ما جاء به حامل الوحى و الفرقان،يذمون علماء الشريعه و يثبتون لهم سوء القريحه،يدعون لأنفسهم الذكاء و الفطانه و ينسبون ورثه الأنبياء إلى الجهل و البطاله.ثم كن فى العقليات متوسطا بين طرق العقلاء من غير جمود على واحده منها بمجرد التقليد أو التعصب،فتوسط بين الحكمه و الكلام و الإشراق و العرفان،و اجمع بين الاستدلال و تصفيه النفس بالعباده و الرياضه،فلا تكن متكلما صرفا لا تعرف سوى الجدل،و لا مشائيا محضا أضاع الدين و أهمل و لا متصوفا استراح بدعوى المشاهده و العيان من دون بينه و برهان. و كن فى العلوم الشرعيه متوسطا بين الأصول و الفروع،فلا تكن أخباريا تاركا

۱- ۱) إشاره إلى قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم:(قصم ظهرى رجلان: عالم متهتك و جاهل متنسک).

للقواعد القطعيه،و لا ـ أصوليا عاملا بقياسات عاميه.و قس على ذلك جميع أمورك الباطنه و الظاهره،و اعمل به حتى يرشدك إلى طريق السداد،و يوفقك لاكتساب زاد المعاد.

[دفع اشكال]

إن قيل:قد تلخص مما ذكر:أن الفضيله فى جميع الأخلاق و الصفات إنما هو المساواه من غير زياده و نقصان،مع أنه قد ثبت أن للتفضل محمود و هو زياده فلا يدخل تحت العداله الراجعه إلى المساواه (قلنا):التفضل احتياط يقع لتحصيل القطع بعدم الوقوع فى النقصان،و ليس الوسط فى طرفين من الأخلاق على نهج واحد فإن الزياده فى السخاء إذا لم يؤد إلى الإسراف أحسن من النقصان عنه،و أشبه بالمحافظه على شرائطه،فالتفضل إنما يصدر عن فضيله العداله،لأنها مبالغه فيها و لا يخرجها عن حقيقتها،إذ المتفضل من يعطى المستحق أزيد مما يستحقه،و هذه الزياده ليست مذمومه،بل هى العداله مع الاحتياط فيها،و لذا قيل:«إن المتفضل أفضل من العادل»،و المذموم أن يعطى غير المستحق أو يترك المساواه بين المستحقين،لأنه أنفق فيما لا ينبغى أو على ما لا ينبغى،و صاحبه لا يسمى متفضلا بل مضيعا،و لكون التفضل احتياطا إنما يحسن من الرجل بالنسبه إلى صاحبه فى المعامله التى بينهما،و لو كان بين جماعه و لم يكن له نصيب فى ما يحكم فيه لم يسعه إلا العدل المحض و لم يجز له التفضيل

تتميم

(إصلاح النفس قبل إصلاح الغير و أشرف وجوه العداله عداله السلطان) قد تلخص أن حقيقه العداله أو لازمها أن يغلب العقل الذى هو خليفه اللّه على جميع القوى حتى يستعمل كلا منها فيما يقتضى رأيه،فلا يفسد نظام

العالم الإنسانى،فإن الواجب سبحانه لما ركب الإنسان بحكمته الحقه و مصلحته التامه من القوى الكثيره المتضاده،فهى إذا تهايجت و تغالبت و لم يقهرها قاهر خير،حدثت فيه بهيجانها و اضطرابها أنواع الشر،و جذبه كل واحده منها إلى ما يقتضيه و يشتهيه،كما هو الشأن فى كل مركب.و قد شبه المعلم الأول مثله بمن يجذب من جهتين حتى ينقطع و ينشق بنصفين أو من جهات كثيره فيتقطع بحسبها.فيجب على كل إنسان أن يجاهد حتى يغلب عقله الذى هو الحكم العدل و الخير المطلق على قواه المختلفه،ليرفع اختلافها و تجاذبها و يقيم الجميع على الصراط القويم.

ثم كل شخص ما لم يعدل قواه و صفاته لم يتمكن من إجراء أحكام العداله بين شركائه فى المنزل و البلد،إذ العاجز عن إصلاح نفسه كيف يقدر على إصلاح غيره،فإن السراج الذى لا يضىء قريبه كيف يضىء بعيده،فمن عدل قواه و صفاته أولا و اجتنب عن الإفراط و التفريط و استقر على جاده الوسط،كان مستعدا لسلوك هذه الطريقه بين أبناء نوعه،و هو خليفه اللّه فى أرضه،و إذا كان مثله حاكما بين الناس و كان زمام مصالحهم فى قبضه اقتداره لتنورت البلاد بأهلها،و صلحت أمور العباد بأسرها،و زاد الحرث و النسل و دامت بركات السماء و الأرض.

و غير خفى أن أشرف وجوه العدالات و أهمها و أفضل صنوف السياسات و أعمها هو عداله السلطان،إذ غيرها من العدالات مرتبطه بها و لولاه لم يتمكن أحد من رعايه العداله،كيف و تهذيب الأخلاق و تدبير المنزل يتوقف على فراغ البال و انتظام الأحوال،و مع جور السلطان أمواج الفتن متلاطمه، و أفواج المحن متراكمه،و عوائق الزمان متزاحمه،و بوائق (۱)الحدثان

۱- ۱) البائقه:الداهيه و الشر.يقال:رفعت عنك بائقه فلان أى غائلته و شره جمعه بوائق.

متصادمه،و طالبوا الكمال كالحيارى فى الصحارى لا يجدون إلى مناله سبيلا و لا إلى جداوله مرشدا و دليلا،و عرصات العلم و العمل دارسه الآثار، و منازلهما مظلمه الأرجاء و الأقطار،فلا يوجد ما هو الملاك فى تحصيل السعادات،أعنى تفرغ الخاطر و الاطمئنان و انتظام أمر المعاش الضرورى لأفراد الإنسان.و لذا لو تصفحت فى أمثال زماننا زوايا المدن و البلاد و اطلعت على بواطن فرق العباد،لم تجد من الألوف واحدا تمكن من إصلاح نفسه و يكون يومه خيرا من أمسه،بل لا تجد دينا إلا و هو باك على فقد الإسلام و أهله،و لا طالبا إلا و هو لعدم المكنه باق على جهله،و لعمرى إن هذا الزمان هو الزمان الذى

أخبر عنه سيد الأنام و عترته الأبرار الكرام عليه و عليهم أفضل الصلاه و السلام من أنه: «لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، و لا من القرآن إلا رسمه».

و بالجمله:المناط كل المناط فى تحصيل الكمالات و إخراج النفوس من الجهالات،هو عداله السلطان،و اعتناؤه بإعلاء الكلمه،و سعيه فى ترويج أحكام الدين و المله،

و لذا ورد فى الآثار: (إن السلطان إذا كان عادلا كان شريكا فى ثواب كل طاعه تصدر عن كل رعيه،و إن كان جائرا كان سهيما فى معاصيهم) .

و قال سيد الرسل صلى اللّه عليه و آله و سلم: «أقرب الناس يوم القيامه إلى اللّه تعالى الملك العادل و أبعدهم عنه الملك الظالم».

و ورد عنه صلى اللّه عليه و آله و سلم: «عدل ساعه خير من عباده سبعين سنه». و السر أن أثر عدل ساعه واحده ربما يصل إلى جميع المدن و الأمصار و يبقى على مر الدهور و الأعصار،و قال بعض الأكابر:لو علمت أنه يستجيب لى دعوه واحده لخصصتها بإصلاح حال السلطان حتى يعم نفعه.

تنویر (لا حاجه إلی العداله مع رابطه المحبه)

لو استحکمت رابطه المحبه و علاقه الموده بین الناس لم یحتاجوا إلی سلسله العداله،فإن أهل الوداد و المحبه فی مقام الإیثار و لو کان بهم خصاصه،فکیف یجور بعضهم علی بعض.و السر أن رابطه المحبه أتم و أقوی من رابطه العداله لأن المحبه وحده طبیعیه جبلیه،و العداله وحده قهریه قسریه.علی أنها لا تنتظم بدون المحبه،لکونها باعثه للإیجاد،کما أشیر إلیه

فی الحدیث القدسی «کنت کنزا مخفیا فاحببت أن أعرف» .فالمحبه هو السلطان المطلق،و العداله نائبها و خلیفتها (۱).

وصل (التکمیل الصناعی لاکتساب الفضائل علی طبق ترتیب الکمال الطبیعی)

لاکتساب الفضائل ترتیب ینبغی أن لا یتعدی عنه.و بیان ذلک:أن مبادئ الحرکات المؤدیه إلی الکمالات:إما طبیعیه کحرکه النطفه فی الأطوار المختلفه إلی بلوغ کمال الحیوانیه،أو صناعیه کحرکه الخشب بتوسط الآلات إلی بلوغ کمال السریریه.ثم الطبیعه و تحریکاتها لاستنادها إلی المبادئ العالیه تکون متقدمه علی الصناعیه المستنده إلی الإنسان،و لما کان کمال الثوانی أن تتشبه بالأوائل،فینبغی أن تقتدی الصناعیه فی تحریکاتها المؤدیه إلی کمالها بالطبیعیه.

۱- ۱) و لذلک أن الشریعه الإسلامیه أول ما دعت فیما دعت إلی الإخوه و التآلف بین الناس،و کثیر من أحکامها مثل الجماعه و الجمعه و الإیثار و الإحسان و تحریم الغیبه و النبز و نحو ذلک تستهدف إیجاد رابطه الحب بین الشعوب و القبائل و الأفراد،لیستغنوا عن الأخذ بقانون العدل الصارم المر.

و إذا ثبت ذلک فاعلم:أن تهذیب الأخلاق لما کان أمرا صناعیا لزم أن یقتضی فی تحصیله من حیث الترتیب بأفعال الطبیعه فی ترتیب حصولها،فنقول:

لا ریب فی أن أول ما یحصل فی الطفل قوه طلب الغذاء،و إذا زادت تلک القوه یبکی و یرفع صوته لأجل الغذاء،و إذا قویت حواسه و تمکن من حفظ بعض الصور یطلب صوره الأم أو الظئر (1)،و جمیع ذلک متعلق بالقوه الشهویه.و نهایه هذه القوه و کمالها أن یتم ما یتعلق بالشخص من الأمور الشهویه،و ینبعث منه المیل إلی استبقاء النوع،فیحدث میل النکاح و الوقاح. ثم تظهر فیه آثار القوه الغضبیه حتی یدفع عن نفسه ما یؤذیه و لو بالاستعانه بغیره.و غایه کمال هذه القوه حصول التمکن من حفظ الشخص و الإقدام علی حفظ النوع،فیحدث فیه المیل إلی ما یحصل به التفوق من أصناف الرئاسات و الکرامات.ثم تظهر فیه آثار قوه التمییز و تتزاید إلی أن یتمکن من تعقل الکلیات.

و هنا یتم ما یتعلق بالطبیعه من التدبیر و التکمیل،و یکون ابتداء التکمیل الصناعی،فلو لم یحصل الاستکمال بالکسب و الصناعه بقی علی هذه الحاله و لم یبلغ إلی الکمال الحقیقی الذی خلق الإنسان لأجله،لأنه لم یخلق أحد مجبولا علی الاتصاف بجمیع الفضائل الخلقیه إلا من أید من عند اللّه بالنفس القدسیه،و إن کان بعض الناس أکثر استعدادا لتحصیل بعض الکمالات من بعض آخر،فلا بد لجل الأنام فی تکمیل نفوسهم من الکسب و الاستعلام.

فظهر مما ذکر:أن الطبیعه تولد أولا قوه الشهوه،ثم قوه الغضب، ثم قوه التمییز،فیجب أن یقتدی به فی التکمیل الصناعی،فیهذب أولا القوه الأولی لیکتسب العفه،ثم الثانیه لیتصف بالشجاعه،ثم الثالثه لیتحلی

۱- ۱) یرید بها المرضعه.

بالحکمه،فمن حصل بعض الفضائل علی الترتیب الحکمی کان تحصیل الباقی له فی غایه السهوله،و من حصله لا- علی الترتیب،فلا یظن أن تحصیل الباقی حینئذ متعذر بل هو ممکن،و إن کان أصعب بالنسبه إلی تحصیله بالترتیب فإن عدم الترتیب یوجب عسر الحصول لا تعذره،کما أن الترتیب یوجب یسره لا مجرد إمکانه.فلا یترک السعی و الجد فی کل حال و لا ییأس من رحمه اللّه الواهب المتعال،و لیشمر ذیل الهمه علی منطقه الطلب حتی ییسر اللّه له الوصول إلی ما هو المقصد و المطلب.

ثم الفضیله إن کانت حاصله لزم السعی فی حفظها و إبقائها،و إن لم تکن حاصله بل کان ضدها حاصلا وجب تحصیلها بإزاله الضد،و لذا کان فن الأخلاق علی قسمین:(أحدهما)راجع إلی حفظ الفضائل،(و ثانیهما) نافع فی دفع الرذائل، فیکون شبیها بعلم الطب،من حیث انقسامه إلی قسمین:(أحدهما)فی حفظ الصحه،(و ثانیهما)فی دفع المرض، و لذا یسمی طبا روحانیا،کما أن الطب المتعارف یسمی طبا جسمانیا.و من هنا کتب جالینوس إلی روح اللّه علیه السلام:«من طبیب الأبدان إلی طبیب النفوس».فکما أن لکل من حفظ الصحه و دفع المرض فی الطب الجسمانی علاجا خاصا،فکذلک لکل من حفظ الفضائل و إزاله الرذائل فی الطب الروحانی معالجات معینه،کما نذکره إن شاء اللّه تعالی.

ص :۱۲۵

الباب الثالث فی طریق حفظ اعتدال الأخلاق المحموده و استحصالها بإزاله نقائضها المذمومه

اشاره

[المقدمه]

اشاره

الطریق لحفظ اعتدال الفضائل-قانون العلاج فی الطب الروحانی- طریقه معرفه الأمراض النفسیه-المعالجات الکلیه لأمراض النفس- المعالجات الخاصه لأمراض النفس.و له أربعه مقامات:

(الأول)ما یتعلق بالقوه العاقله من الرذائل و الفضائل و کیفیه علاج الرذائل.

(الثانی)ما یتعلق بالقوه الغضبیه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج (الثالث)ما یتعلق بالقوه الشهویه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج.

(الرابع)ما یتعلق بالقوی الثلاث أو باثنتین منها.

ص :۱۲۷

و فيه فصول (۱):

فصل (الطريق لحفظ اعتدال الفضائل)

اشاره

قد تقرر فى الطب الجسمانى أن حفظ الصحه بإيراد المثل و ملائم المزاج فيجب أن يكون حفظ اعتدال الفضائل أيضا بذلك.و إيراد المثل لحفظ اعتدالها يكون بأمور:

(منها)اختيار مصاحبه الأخيار،

و المعاشره مع أولى الفضائل الخلقيه و استماع كيفيه سلوكهم مع الخالق و الخليقه،و الاجتناب عن مجالسه الأشرار و ذوى الأخلاق السيئه،و الاحتراز عن استماع قصصهم و حكاياتهم و ما صدر عنهم من الأفعال و مزخرفاتهم،فإن المصاحبه مع كل أحد أقوى باعث على الاتصاف بأوصافه،فإن الطبع يسترق من الطبع كلا من الخير و الشر.و السر:أن النفس الإنسانيه ذات قوى بعضها يدعو إلى الخيرات و الفضائل و بعضها يقتضى الشرور و الرذائل،و كلما حصل لأحدهما أدنى باعث لما تقتضيه جبلته مال إليه و غلب على صاحبه إلى الخير،و لكون دواعى الشر من القوى أكثر من بواعث الخير منها،يكون الميل إلى الشر أسرع و أسهل بالنسبه إلى الميل إلى الخير،و لذا قيل:إن تحصيل الفضائل بمنزله الصعود إلى الأعالى و كسب الرذائل بمثابه النزول منها،و إلى ذلك يشير

قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «حفت الجنه بالمكاره و حفت النار بالشهوات».

(و منها)إعمال القوى فى شرائف الصفات،

و المواضبه على الأفعال التى هى آثار فضائل الملكات،و حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها

۱- ۱) هذه الفصول كتمهيد للمقامات الأربعه التى تتعلق بالعلاج الخاص لذمائم الأخلاق.

الخلق الـذی یریـد حفظه،فالحافظ لملکه الجود یجب أن یواظب علی إنفاق المال و بذله علی المستحقین،و یقهر علی نفسه عند وجـدان میلهـا إلی الإمسـاک، و الحافـظ لملکه الشـجاعه یجب ألاـ یترک الإقـدام فی الأخطـار و الأهوال بشـرط إشاره العقل،و یغضب علی نفسه عنـد وجـدان الجبن منهـا.و هکـذا الحال فی سائر الصـفات.و هـذا بمثابه الریاضه الجسـمانیه فی حفظ الصـحه البدنیه.

(و منها)أن یقدم التروی علی کل ما یفعله،

لئلا تصـدر عنه غفله خلاف ما تقتضـیه الفضـیله.و لو صـدر عنه أحیانا خلاف مقتضاها،فلیؤدب نفسه بارتکاب ما یضاده،و یشـق علیها عقوبه،بعـد تعییرها و توبیخها،کما إذا أکل ما یضـره من المطاعم فلیؤدبها بالصوم،و إذا صـدر عنه غضب مـذموم فی واقعه فلیؤدبهـا بإیقاعهـا فی مثلهـا مع الصبر علیهـا،أو فی معرض إهانه السـفهاء حتی یکسـر جاهه أو یؤدبها بارتکاب ما یشق علیها من النـذر و الصـدقه و غیر ذلـک.و ینبغی ألاـ یترک الجـد و السعی فی التحصـیل و الحفـظ و إن بلغ الغـایه لأن التعطیل یؤدی إلی الکساله و هی إلی انقطاع فیوضات عالم القدس، فتنسلخ الصوره الإنسانیه و تحصل الهلاکه الأبدیه،و السعی یوجب ازدیاد تجرد النفس و صـفائها و الأـنس بالحق و الألف بالصـدق (۱)،فیتنفر عن الکـذب و الباطـل،و یتصاعـد فی مـدارج الکمالات و مراتب السـعادات،حـتی تنکشـف له الأسـرار الإلـهیه و الغـوامض الربـانیه،و یتشـبه بالروحانیـات القـادسه و ینخرط فی سـلک الملائـکه المقدسه.و یجب أن یکون سـعیه فی أمور الدنیا بقدر الضـروره،و یحرم علی نفسه تحصـیل الزائد،لأنه لا شـقاوه أشد من صـرف الجوهر الباقی النورانی فی تحصیل الخزف الفانی الظلمانی الذی یفوت عنه و ینتقل إلی أعدائه من الوارث و غیرهم.

ص :۱۲۹

۱- ۱) کذا فی النسخ.و الصحیح«للصدق».

(و منها)أن يحترز عما يهيج الشهوه و الغضب رؤيه و سماعا و تخيلا،

و من هيجهما كمن هيج كلبا عقورا أو فرسا شموسا،ثم يضطر إلى تدبير الخلاص عنه.و إذا تحركتا بالطبع فليقتصر فى تسكينهما بما يسد الخله و لا ينافى حفظ الصحه،و هو القدر الذى جوزه العقل و الشريعه.

(و منها)أن يستقصى فى طلب خفايا عيوب نفسه،

و إذا عثر على شىء منها اجتهد فى إزالته.و لما كانت النفس عاشقه لصفاتها و أفعالها،فكثيرا ما يخفى عليها بعض عيوبها،فيلزم على كل طالب للصحه و حافظها أن يختار بعض أصدقائه ليتفحص عن عيوبه و يخبره بما اطلع عليه،و إذا أخبره بشىء منها فليفرح و ليبادر إلى إزالته حتى يثق صديقه بقوله،و يعلم أن إهداء شىء من عيوبه إليه أحسن عنده من كل ما يحبه و يهواه،و ربما كان العدو فى هذا الباب أنفع من الصديق،لأن الصديق ربما يستر العيب و لا يظهره، و العدو مصر على إظهاره،بل ربما يتجاوز إلى البهتان،فإذا أظهر الأعداء عيوبه فليشكر اللّه على ذلك و ليبادر إلى رفعها و قمعها.

و مما ينفع فى المقام أن يجعل صور الناس مرايا لعيوبه و يتفقد عيوبهم، و إذا عثر على عيب منهم تأمل فى قبحه،و يعلم أن هذا العيب إذا صدر عنه يكون قبيحا و يدرك غيره هذا القبح،فليجتهد فى إزالته.و ينبغى أن يحاسب نفسه فى آخر كل يوم و ليله،و يتفحص عن جميع ما صدر من الأفعال فيهما فإن لم يصدر عنه شىء من القبائح و الذمائم فليحمد اللّه على حسن تأييده، و إن صدر عنه شيء من ذلك فليعاتب نفسه و يتوب،و يجتهد فى ألا يصدر عنه بعد ذلك مثله.

قانون العلاج فی الطب الروحانی

اشاره

(تنبیه)قد تبین أن للطب الروحانی أسوه بالطب الجسمانی.و القانون فی معالجه الأمراض الجسمانیه أن یعرف جنس المرض أولا،ثم الأسباب و العلامات،ثم یبین کیفیه العلاج.و العلاج فیه إما کلی یتناول جمیع الأمراض،أو جزئی یختص بمرض دون مرض،فکذلک الحال فی الطب الروحانی.و نحن نشیر إلی ذلک فی فصول:

فصل (طریق معرفه الأمراض النفسانیه)

الأمراض النفسانیه هی انحرافات الأخلاق عن الاعتدال.و طریق معرفتها:أنک قد عرفت أن القوی الإنسانیه محصوره فی أنواع ثلاثه:

(أحدها)قوه التمییز،(و ثانیها)قوه الغضب و یعبر عنها بقوه الدفع، (و ثالثها)قوه الشهوه و یعبر عنها بقوه الجذب.و انحراف کل منها إما فی الکمیه او فی الکیفیه،و الانحراف فی الکمیه إما للزیاده من الاعتدال أو للنقصان عنه،و الانحراف فی الکیفیه إنما یکون برداءتها.فأمراض کل قوه إما بحسب الإفراط أو التفریط،أو بحسب رداءه الکیفیه.

فالإفراط فی قوه التمییز:کالجربزه و الدهاء،و التجاوز عن حد النظر، و المبالغه فی التنقیر (۱)،و التوقف فی غیر موضعه للشبه الواهیه،و الحکم علی المجردات بقوه الوهم،و إعمال الذهن فی إدراک ما لا یمکن درکه، و التفریط فیه کالبلاهه،و قصور النظر عن درک مقدار الواجب،کإجراء أحکام المحسوسات علی المجردات.و الرداءه کالسفسطه فی الاعتقاد،و المیل

۱- ۱) التنقیر:البحث و التتبع.

إلی العلوم الغیر الیقینیه-کعلم الجدل و الخلاف-أزید مما یمیل إلی الیقینیات و استعمالهما فی مقام الیقینیات،و الشوق إلی علم الکهانه و الشعبذه و أمثالهما للوصول إلی الشهوات الخسیسه.

و أما الإفراط فی قوه الدفع:کشده الغضب و الغیظ و فرط الانتقام بحیث یتشبه بالسباع.و أما التفریط،کعدم الغیره و الحمیه و التشبه بالأطفال و النسوان فی الأخلاق و الصفات.و أما الرداءه فیها:کالغیظ علی الجمادات و البهائم أو علی الناس لا بسبب موجب للانتقام.

و أما الإفراط فی قوه الجذب:فکالحرص علی الأکل و الجماع أزید من قدر الضروره.و التفریط فیه:فکالفتور عن تحصیل الأقوات الضروریه و تضییع العیال و الخمود عن الشهوه حتی ینقطع عنه النسل.أما الرداده فیها:کشهوه الطین و المیل إلی مقاربه الذکور.

ثم إنک قد عرفت أن أجناس الفضائل أربعه،فأجناس الرذائل بحسب الکمیه ثمانیه،لکل فضیله ضدان کل منهما ضد للآخر،و بحسب الکیفیه أربعه،و یحصل من ترکیبها و امتزاجها أنواع و أصناف لا یعد کثره،کما عرفت أکثرها.

فصل (أسباب الأمراض النفسانیه)

اعلم أن أسباب الانحراف فی الأخلاق،إما نفسیه حاصله فی النفس فی بدو فطرتها،أو حادثه من مزاولتها للأعمال الردیه،أو جسمیه-و هی الأمراض الموجبه لبعض الملکات الردیه-و السر فی ذلک أن النفس لما کانت متعلقه بالبدن علاقه ارتباطیه،فیتأثر کل منهما بتأثر الآخر،و کل

ص:١٣٢

کیفیه تحدث فی أحدهما تسری فی الآخر،کما أن غضب النفس أو تعشقها یوجب اضطراب البدن و ارتعاشه،و تأثر البدن بالأمراض،(لا)سیما إذا حدثت فی الأعضاء الرئیسیه یوجب النقص فی إدراک النفس و فساد تخیلها و کثیرا ما یحدث من بعض الأمراض السوداویه فساد الاعتقاد و الجبن و سوء الظن،و من بعضها التهور،و یحصل من أکثر الأمراض سوء الخلق.

فصل (المعالجات الکلیه لمرض النفس)

سبب الانحراف إن کان مرضا جسمانیا فیجب أن یبادر إلی إزالته بالمعالجات الطبیه،و إن کان نفسانیا فالمعالجه الکلیه هنا کالمعالجه الکلیه فی الطب الجسمانی.و المعالجه الکلیه فیه أن یعالج المرض أولا بالغذاء الذی هو ضد المرض طبعا،کأن یعالج المرض البارد بالغذاء الحار،فإن لم ینفع فبالدواء و إن لم ینجع فبالسمومات،و إن لم یحصل بها البرء فبالکی أو القطع،و هو آخر العلاج. فالقانون الکلی فی المعالجه هنا أیضا کذلک،و هو أن یبادر بعد معرفه الانحراف إلی تحصیل الفضیله التی هی ضده،و المواظبه علی الأفعال التی هی آثارها،و هذا بمنزله الغذاء المضاد للمرض،فکما أن حصول الحراره فی المزاج یدفع البروده الحادثه فیه.فکذا کل فضیله تحدث فی النفس تزیل الرذیله التی هی ضدها.فإن لم ینفع فلیوبخ النفس و یعیرها علی هذه الرذیله فکرا أو قولا أو عملا،و یعاتبها و یخاطبها بلسان الحال و المقال:أیتها النفس الأماره قد هلکت و تعرضت لسخط اللّه و غضبه،و عن قریب تعذبین فی النار مع الشیاطین و الأشرار.فإن لم یؤثر ذلک فلیرتکب آثار الرذیله التی هی ضد هذه الرذیله،بشرط محافظه التعدیل،فصاحب الجبن مثلا یعمل

ص:۱۳۳

أعمال المتهورين،فيخوض فی المخاوف و الأهوال،و يلقی نفسه فی موارد الحذر و الأخطار.و صاحب البخل يكثر من بذل الأموال،بشرط أن يكف إذا قرب زوال الجبن و البخل لئلا يقع فی التهور و الإسراف،و هذا بمنزله المداواه بالسم.فإن لم ينفع ذلک لقوه استحكام المرض فليعذب النفس بأنواع التكاليف الشاقه و الرياضات المتعبه المضعفه للقوه الباعثه على هذه الرذيله،و هذا بمثابه الكی و القطع،و هو آخر العلاج.

المعالجات الخاصه لمرض النفس

(تنبيه)لما عرفت المعالجه الكليه الشامله لجميع الرذائل بأجناسها و أنواعها و أصنافها،فلنشتغل الآن ببيان معالجه كل من الرذائل بخصوصه.

و قد عددنا قبل ذلک ما يتعلق بالقوى الثلاث من الرذائل و أضدادها من الفضائل مما له اسم مشهور،فههنا نذكر معالجه كل رذيله بخصوصها،و نذيله بذكر ما يضادها من الفضيله،و ما ورد فی مدحها عقلا و نقلا،لأن العلم بمعرفه كل فضيله و حسنه أعون شیء على إزاله ما يضادها من الرذيله.و ربما كانت جمله من الرذائل المختلفه فی الاسم مشتركه فی المعالجه،و ربما كان للرذائل أو الفضائل المتعدده ضد واحد منهما،فنحن نشير إلى ذلک،و نشير أيضا فی تلو كل رذيله و فضيله إلى ما يتولد منهما من أفعال الجوارح مع معالجته-إن كان له ذلک-و نراعی الترتيب المذكور فی مقام الإجمال:فنذكر أولا ما يتعلق بالقوه العاقله من الجنسين و أنواعهما،ثم ما يتعلق بالقوه الغضبيه،ثم ما يتعلق بالشهويه،ثم ما يتعلق بالثلاث و الاثنين منها،فهنا أربعه مقامات:

المقام الأول (فى معالجه الرذائل المتعلقه بالقوه العاقله)

اشاره

الجربزه و علاجها-الجهل البسيط و علاجه-شرف العلم و الحكمه-آداب التعلم و التعليم-العلم الإلهى و الأخلاق و الفقه أشرف العلوم-أصول العقائد المجمع عليها-الجهل المركب و الشك-اليقين-علامات صاحبه- مراتب اليقين-الشرك-التوحيد-التوكل على اللّه-حق التوكل بما ذا يحصل-مناجاه السر لأرباب القلوب-الخواطر النفسانيه و الوساوس- أقسام الخواطر و منها الإلهام-المطارده بين جندى الملائكه و الشياطين فى معركه النفس-العلائم الفارقه بين الإلهام و الوسوسه-علاج الوساوس- ما يتم به علاج الوساوس-ما يتوقف قطع الوساوس عليه-حديث النفس لا مؤاخذه عليه-الخاطر المحمود و التفكر-مجارى التفكر فى العوالم و المخلوقات

ص: ۱۳۵

أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

[فأولهما]:

الجربزه

الموجبه للخروج فی الفکر عن الحد اللائق و عدم استقامه الذهن علی شیء بل لا یزال یستخرج أمورا دقیقه غیر مطابقه للواقع و یتجاوز عن الحق و لا یستقر علیه،و ربما أدی فی العقلیات إلی الإلحاد و فساد الاعتقاد،بل إلی نفی حقائق الأشیاء رأسا کما للسوفسطائیه،و فی الشرعیات إلی الوسواس. (و علاجه) بعد تذکر قبحه و إیجابه للهلاک،أن یکلف نفسه علی الاستقامه علی مقتضی الأدله المعتبره عند أولی الأفهام المستقیمه،و لا یتجاوز عن معتقدات أهل الحق المعروفین بالتحقیق و استقامه القریحه،و لا یزال یکلف نفسه علی ذلک حتی یعتاد القیام علی الوسط.و ربما کان للاشتغال بالتعلیمات نفع فی ذلک.

[و ثانیهما]:

اشاره

الجهل البسیط

و قد عرفت أنه من باب التفریط،و هو خلو النفس عن العلم من دون اعتقاد بکونها عالمه.و هو فی البدایه غیر مذموم لتوقف التعلم علیه،إذ ما لم تعتقد النفس جهلها بالمعارف لم تنهض لتحصیلها.و أما الثبات علیه فهو من المهلکات العظیمه.و الطریق فی إزالته أمور: (الأول)أن یتذکر ما یدل علی قبحه و نقصه عقلا،و هو أن یعلم أن الجاهل لیس إنسانا بالحقیقه،و إنما یطلق علیه الإنسان مجازا،إذ فضل الإنسان عن سائر الحیوانات إنما هو إدراک

۱- ۱) أی القوه العاقله.

الکلی المعبر عنه بـالعلم،لمشارکتهـا معه فی سـائر الأـمور من الجسـمیه و القوی الغضبیه و الشـهویه و الصوت و غیر ذلک،فلو لا علمه بحقائق الأشیاء و خواصها لکان حیوانا بالحقیقه،و لذا تری أن من کان فی محل محاورات العلماء و کان جاهلا بأقوالهم لم یکن فرق بینه و بین البهائم بالنسـبه إلیهم.و أی هلاک أعظم من الخروج عن حدود الإنسانیه و الدخول فی حد البهیمیه. (الثانی) أن یتذکر ما ورد فی الشریعه من الذم علیه مثل

قوله-صـلی اللّه علیه و آله و سـلم-: «سـته یـدخلون فی النـار قبل الحساب لسـته» و عـد منهم أهل الرساتیق بالجهاله. (الثالث)أن یتذکر ما یدل علی فضـیله العلم عقلا و نقلا کما نذکره و إذا وقف علی جمیع ذلک فلیتیقظ عن سـنه الغفله،و یصـرف فی إزالته الهمه و یجتهد فی تحصیل العلم عن أهالیه،و یصرف فیه أیامه و لیالیه.

فصل (شرف العلم و الحکمه)

قد علم أن ضد الجنسین-أی الجربزه و السفسطه و الجهل-هو الحکمه، أعنی العلم بحقائق الأشیاء.فلنذکر أولا بعض ما یدل علی شرافته عقلا و نقلا ترغیبا للطالبین علی السعی فی تحصیله و إزاله الجهل عن نفوسهم،فنقول:

لا ریب فی أن العلم أفضل الفضائل الکمالیه و أشرف النعوت الجمالیه، بل هو أجل الصفات الربوبیه و أجمل السمات الألوهیه،و هو الموصـل إلی جوار رب العـالمین و الـدخول فی أفق الملاـئکه المقربین،و هو المؤدی إلی دار المقـامه التی لاـ تزول و محل الکرامه التی لا تحول،و قد تطابق العقل و البرهان و إجماع أرباب الأدیان علی:أن السعاده الأبدیه و القرب من اللّه سبحانه

لا یتیسران بدونه،و أی شیء أفضل مما هو ذریعه إلیهما.و أیضا قد ثبت فی الحکمه المتعالیه:أن العلم و التجرد متلازمان،فکلما تزداد النفس علما تزداد تجردا،و لا ریب فی أن التجرد أشرف الکمالات المتصوره للإنسان، إذ به یحصل التشبه بالملإ الأعلی و أهل القرب من اللّه تعالی.

و من جمله العلوم معرفه اللّه التی هی السبب الکلی لإیجاد العالم العلوی و السفلی،

کما دل علیه الخبر القدسی: «کنت کنزا مخفیا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» .علی أن العلم لذیذ فی نفسه محبوب فی ذاته،و ما یحصل منه من اللذه و الابتهاج قلما یحصل من غیره.و أسر فیه أن إدراک الأشیاء و الإحاطه بها نوع تملک و تصرف لها،إذ تتقرر فی ذات المدرک حقائقها و صورها،و مثل هذا التملک لدوامه و جزئیه المدرک للمدرک أقوی من ملکیه الأعیان المبائنه لذات المالک الزائله عنه.و التحقیق:أن إطلاق الملکیه علیه مجازی،و النفس لکونها من سنخ عالم الربوبیه تحت القهر و الاستیلاء علی الأشیاء و المالکیه لها بأی نحو کان،إذ معنی الربوبیه التوحید بالکمال و الاقتدار و الغلبه علی الأشیاء.

ثم من فوائد العلم فی الدنیا العز و الاعتبار عند الأخیار و الأشرار، و نفوذ الحکم علی الملوک و أرباب الاقتدار،فإن طباع الأنام من الخاص و العام مجبوله علی تعظیم أهل العلم و توقیرهم و وجوب إطاعتهم و احترامهم،بل جمیع الحیوانات من البهائم و السباع مطیعه للإنسان مسخره له،لاختصاصه بقوه الإدراک و مزید التمییز.و لو تصفحت آحاد الناس لم تجد أحدا له تفوق و زیاده علی غیره فی جاه أو مال أو غیر ذلک إلا-و هو راجع إلی اختصاصه بمزید تمییز و إدراک،و لو کان من باب المکر و الحیل.

هذا و ما یدل علی شرافه العلم من الآیات و الأخبار أکثر من أن تحصی

ص:۱۳۸

نبذه منها قوله تعالی:

إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ

(۱)

و قوله تعالی:

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ

(۲)

و قوله تعالی:

وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً

(۳)

و قوله تعالی:

وَ تِلْکَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا یَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ

(۴)

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «اللهم ارحم خلفائی.قیل:

یا رسول اللّه!من خلفاؤک؟قال:الذین یأتون من بعدی یروون حدیثی و سنتی» .

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-لأبی ذر: «جلوس ساعه عند مذاکره العلم أحب إلی اللّه تعالی من قیام ألف لیله یصلی فی کل لیله ألف رکعه و أحب إلیه من ألف غزوه،و من قراءه القرآن کله اثنی عشر ألف مره و خیر من عباده سنه صام نهارها و قام لیلها،و من خرج من بیته لیلتمس بابا من العلم کتب اللّه عز و جل له بکل قدم ثواب نبی من الأنبیاء،و ثواب ألف شهید من شهداء بدر،و أعطاه اللّه بکل حرف یسمع أو یکتب مدینه فی الجنه و طالب العلم یحبه اللّه و تحبه الملائکه و النبیون،و لا یحب العلم إلا السعید و طوبی لطالب العلم،و النظر فی وجه العالم خیر من عتق ألف رقبه،و من

۱- ۱) الفاطر،الآیه:۲۸.

۲- ۲) الزمر،الآیه:۹.

۳- ۳) البقره،الآیه:۲۶۹.

۴- ۴) العنکبوت،الآیه:۴۳.

أحب العلم وجبت له الجنه،و يصبح و يمسى فى رضى اللّه،و لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر و يأكل من ثمره الجنه،و لا يأكل الدود جسده و يكون فى الجنه رفيق خضر عليه السلام».

و قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كمال الدين طلب العلم و العمل به،و إن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال،و إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم،و قد ضمنه و سيفى لكم،و العلم مخزون عند أهله فاطلبوه».

و قوله عليه السلام: «إذا مات مؤمن و ترك ورقه واحده عليها علم،تكون تلك الورقه سترا بينه و بين النار،و أعطاه اللّه بكل حرف عليها مدينه أوسع من الدنيا سبع مرات».

و قول سيد الساجدين على بن الحسين-عليهما السلام-: «لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه،و لو بسفك المهج و خوض اللجج».

و قول الباقر عليه السلام: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»

و قول الصادق عليه السلام: «لو يعلم الناس ما فى فضل معرفه اللّه تعالى ما مدوا أعينهم إلى ما متع به الأعداء من زهره الحياه الدنيا و نعيمها،و كانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤن بأرجلهم،و لتنعموا بمعرفه اللّه و تلذذوا بها تلذذ من لم يزل فى روضات الجنان مع أولياء اللّه.إن معرفه اللّه تعالى أنس من كل وحشه،و صاحب من كل وحده،و نور من كل ظلمه،و قوه من كل ضعف و شفاء من كل سقم،قد كان قوم قبلكم يقتلون و يحرقون و ينشرون و تضيق عليهم الأرض برحبها،فما يردهم عما هم عليه شىء مما هم فيه من غير ترده وتروا من فعل ذلك بهم و لا أذى بما نقموا منهم:

إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

(١)

١- ١) البروج،الآيه:٨.

فاسألوا ربكم درجاتهم،و اصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم».

و عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام-عن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أنه قال: «طلب العلم فريضه على كل مسلم،فاطلبوا العلم فى مظانه،و اقتبسوه من أهله،فإن تعلمه للّه تعالى حسنه،و طلبه عباده، و المذاكره به تسبيح،و العمل به جهاد،و تعليمه من لا يعلمه صدقه،و بذله لأهله قربه إلى اللّه،لأنه معالم الحلال و الحرام،و منار سبيل الجنه،و المؤنس فى الوحشه،و الصاحب فى الغربه و الوحده،و المحدث فى الخلوه،و الدليل على السراء و الضراء،و السلاح على الأعداء.و الزين عند الأخلاء،يرفع اللّه به أقواما،و يجعلهم فى الخير قاده،تقتبس آثارهم،و يقتدى بأفعالهم و ينتهى إلى آرائهم،ترغب الملائكه فى خلتهم،و بأجنحتها تمسهم،و فى صلاتها تبارك عليهم،و يستغفر لهم كل رطب و يابس حتى حيتان البحر و هوامه و سباع البر و أنعامه.إن العلم حياه القلوب من الجهل،و ضياء الأبصار من الظلمه و قوه الأبدان من الضعف،يبلغ بالعبد منازل الأخيار و مجالس الأبرار و الدرجات العلى فى الآخره و الأولى.الذكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام.به يطاع الرب و يعبد،و به توصل الأرحام،و يعرف الحلال و الحرام العلم إمام و العمل تابعه،يلهمه السعداء و يحرمه الأشقياء،فطوبى لمن لم يحرمه اللّه من حظه».

آداب التعلم و التعليم

[تنبيه]لكل من التعلم و التعليم آداب و شروط:

[أما آداب التعلم]:

(فمنها)أن يجتنب المتعلم عن اتباع الشهوات و الهوى و الاختلاط بأبناء الدنيا.

و لقد قال بعض الأكابر:«كما أن الحاسه الجليديه إذا كانت مئوفه

برمد و نحوه فهی محرومه من الأشعه الفائضه عن الشمس،کذلک البصیره إذا کانت مءوفه بمتابعه الشهوات و الهوی و المخالطه بأبناء الدنیا فهی محرومه من إدراک الأنوار القدسیه و محجوبه عن ذوق اللذات الإنسیه».

(و منها)ان یکون تعلمه لمجرد التقرب إلی اللّه و الفوز بالسعادات الأخرویه،

و لم یکن باعثه شیئا من المراء و المجادله،و المباهاه و المفاخره، و الوصول إلی جاه و مال،أو التفوق علی الأقران و الأمثال.

قال الباقر علیه السلام: «من طلب العلم لیباهی به العلماء أو یماری به السفهاء أو یصرف به وجوه الناس فلیتبوأ مقعده من النار،إن الرئاسه لا تصلح إلا لأهلها»

و قال الصادق علیه السلام: «طلبه العلم ثلاثه،فاعرفهم بأعیانهم و صفاتهم صنف یطلبه للجهل (1)و المراء،و صنف یطلبه للاستطاله و الختل،و صنف یطلبه للفقه و العقل.فصاحب الجهل و المراء مؤذ ممار،متعرض للمقال فی أندیه الرجال بتذاکر العلم و صفه الحلم،و قد تسربل بالخشوع و تخلی من الورع،فدق اللّه من هذا خیشومه و قطع منه حیزومه،و صاحب الاستطاله و الختل ذو خب و ملق،یستطیل علی مثله من أشباهه،و یتواضع للأغنیاء من دونه،فهو لحلوانهم (2)هاضم و لدینه حاطم،فأعمی اللّه علی هذا خبره.

۱- ۱) (الجهل)هنا بمعنی الجفاء و الغلظه.

۲- ۲) قال الشیخ(ملا صالح المازندرانی)فی تعلیقته علی أصول الکافی عن هذا الحدیث:«الحلوان-بضم الحاء المهمله و سکون اللام-ما تأخذه الحکام و القضاه و الکاهن من الأجر و الرشوه علی أعمالهم،یقال:حلوته أحلوه حلوانا،فهو مصدر کالغفران،و نونه زائده،و أصله من الحلاوه، و فی بعض النسخ(بحلوائهم)-بالهمزه بعد الألف-و الحلوا.-بالمد و القصر-ما یتخذ من الحلاوه».

و قطع من آثار العلماء أثره.و صاحب الفقه و العقل ذو كآبه و حزن و سهر، قد تحنك فى برنسه و قام الليل فى حندسه،يعمل و يخشى و جلا- داعيا مشفقا مقبلا- على شأنه عارفا بأهل زمانه مستوحشا من أوثق إخوانه،فشد اللّه من هذا أركانه و أعطاه يوم القيامه أمانه».

(و منها)أن يعمل بما يفهم و يعلم،

فإن من عمل بما يعلم ورثه اللّه ما لم يعلم.

و قال الصادق عليه السلام: «العلم مقرون إلى العمل،من علم عمل و من عمل علم،و العلم يهتف بالعمل فإن أجابه و إلا ارتحل عنه».

و عن السجاد عليه السلام: «مكتوب فى الإنجيل:لا- تطلبوا علم ما لا تعملون و لما تعملوا بما علمتم،فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفرا و لم يزدده من اللّه إلا بعدا».

و عن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من أخذ العلم من أهله و عمل بعلمه نجا،و من أراد به الدنيا فهى حظه».

و عنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «العلماء رجلان:رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج،و عالم تارك لعلمه فهذا هالك،و أن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه،و أن أشد أهل النار ندامه و حسره رجل دعا عبدا إلى اللّه فاستجاب له و قبل منه،فأطاع اللّه فأدخله الجنه،و أدخل الداعى النار بترك عمله (۱)و اتباعه الهوى و طول الأمل،أما اتباع الهوى فيصد عن الحق و طول الأمل ينسى الآخره».

(و منها)أن يحافظ شرائط الخضوع و الأدب للمعلم،

و لا يرد عليه شيئا بالمواجهه،و يكون محبا له بقلبه،و لا ينسى حقوقه،لأنه والده المعنوى الروحانى،و هو أعظم الآباء الثلاثه.

قال الصادق عليه السلام: «اطلبوا

۱- ۱) صححناه على بعض نسخ أصول الكافى المصححه و فى نسخ جامع السعادات هكذا:(بتركه علمه).

العلم و تزینوا معه بالحلم و الوقار،و تواضعوا لمن تعلمونه العلم،و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم،و لا تکونوا علماء جبارین فیذهب باطلکم بحقکم».

هـذا و قد أشـرنا سابقا إلی أن اللازم لکل متعلم أن یطهر نفسه أولا من رذائل الأخلاق و ذمائم الأوصاف بأسـرها،إذ ما لم یجرد لوح نفسه عن النقوش الردیه لم تشرق علیه لمعات أنوار العلم و الحکمه من ألواح العقول الفعاله القدسیه.

(و أما آداب التعلیم):

(فمنها)ان یخلص المعلم تعلیمه للّه سبحانه

و لم یکن له فیه باعث دنیوی من طمع مالی أو جاه و رئاسه أو شـهره بین الناس،بل یکون الباعث مجرد التقرب إلی اللّه تعالی و الوصول إلی المثوبـات الأبـدیه،فـإن من علم غیره علما کان شـریکا،فی ثواب تعلیم هـذا الغیر لآخر،و فی ثواب تعلیم هـذا الآخر لغیره...و هکذا إلی غیر النهایه،فیصل بتعلیم واحد إلی مثوبات التعالیم الغیر المتناهیه،و کفی بهذا له فضلا و شرفا.

(و منها)أن یکون مشفقا علی المتعلم ناصحا له،

مقتصرا فی الإفاده علی قدر فهمه،متکلما معه باللین و الهشاشه لا بالغلظه و الفظاظه.

(و منها)أن لا یضن العلم من أهله و یمنعه عن غیر أهله،

لأن بذل الحکمه للجهال ظلم علیها،و منعها عن أهلها ظلم علیهم،کما ورد فی الخبر (۱).

(و منها)أن یقول ما یعلم و یسکت عما لا یعلم

حتی یرجع إلیه و یعلمه، و لا یخبر المتعلمین ببیان خلاف الواقع.و هذا الشرط لا یختص بالمعلمین،

۱- ۱) روی فی أصول الکـافی فی باب بـذل العلم عن الصادق علیه السـلام: «قام عیسـی بن مریم خطیبا فی بنی إسـرائیل فقال:یا بنی إسرائیل!لا تحدثوا الجهال بالحکمه فتظلموها و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

بل یعم کل من تصدر عنه المسائل العلمیه کالمفتی و القاضی و أمثالهما.

و قال الباقر علیه السلام: «حق اللّه علی العباد أن یقولوا ما یعلمون و یقفوا عند ما لا یعلمون» (۱)

و قال الصادق(ع): «إن اللّه تعالی خص عباده بآیتین من کتابه!ألا یقولوا حتی یعلموا و لا یردوا ما لم یعلموا،فقال:

أَ لَمْ یُؤْخَذْ عَلَیْهِمْ مِیثٰاقُ الْکِتٰابِ أَنْ لاٰ یَقُولُوا عَلَی اللّٰهِ إِلاَّ الْحَقَّ

(۲)

.و قال! بَلْ کَذَّبُوا بِمٰا لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّٰا یَأْتِهِمْ تَأْوِیلُهُ (۳).

و عنه(ع)! «إذا سئل الرجل منکم عما لا یعلم،فلیقل!لا أدری، و لا یقل:اللّه أعلم،فیوقع فی قلب صاحبه شکا.و إذا قال المسئول!لا أدری،فلا یتهمه السائل».

و عنه(ع): «إیاک و خصلتین ففیهما هلک من هلک إیاک أن تفتی الناس برأیک،أو تدین بما لا تعلم»،

و عن الباقر(ع) «من أفتی الناس بغیر علم و لا هدی لعنته ملائکه الرحمه و ملائکه العذاب و لحقه وزر من عمل بفتیاه».

و ربما کان لکل من المتعلم و المعلم آداب أخر تظهر لمن وقف علی فن الأخلاق.ثم العارف بأهل زماننا یعلم أن آداب التعلم و التعلیم کسائر الآداب و الفضائل فیهم مهجوره،و الأمر فی مثل الزمان کما قال فی وصفه بعض أهل

---

۱ - ۱) الحدیث المروی فی أصول الکافی هکذا:«عن زراره بن أعین قال سألت أبا جعفر-علیه السلام-ما حق اللّه علی العباد؟قال:أن یقولو ما یعلمون...»الی آخر الحدیث.

۲- ۲) الأعراف،الآیه

۳- ۳) یونس،الآیه:۳۹.

العرفان!«قد فسد الزمان و أهله،و تصدى للتدريس من قل علمه و كثر جهله، فانحطت مرتبه العلم و أصحابه،و اندرست مراسمه بين طلابه».

تتميم (العلم الإلهى و علم الأخلاق و الفقه أشرف العلوم)

العلم كله و إن كان كمالا- للنفس و سعاده،إلا- أن فنونه متفاوته فى الشرافه و الجمال و وجوب التحصيل و عدمه،فإن بعضها كالطب و الهندسه و العروض و الموسيقى و أمثالها،مما ترجع جل فائدته إلى الدنيا و لا يحصل بها مزيد بهجه و سعاده فى العقبى،و لذا عدت من علوم الدنيا دون الآخره،و لا يجب تحصيلها،و ربما وجب تحصيل بعضها كفايه.

و ما هو علم الآخره الواجب تحصيله،و أشرف العلوم و أحسنها هو العلم الإلهى المعرف لأصول الدين،و علم الأخلاق المعرف لمنجيات النفس و مهلكاتها، و علم الفقه المعرف لكيفيه العبادات و المعاملات،و العلوم التى مقدمات لهذه الثلاثه كالعربيه و المنطق و غيرهما يتصف بالحسن و وجوب التحصيل من باب المقدمه،و هذه العلوم الثلاثه و إن وجب أخذها إجمالا إلا أنها فى كيفيه الأخذ مختلفه!فعلم الأخلاق يجب أخذه عينا على كل أحد على ما بينته الشريعه و أوضحه علماء الأخلاق،و علم الفقه يجب أخذ بعضه عينا إما بالدليل أو التقليد من مجتهد حى،و التارك للطريقين غير معذور،و لذا ورد الحث الأكيد على التفقه فى الدين،

قال الصادق(ع)! «عليكم بالتفقه فى دين اللّه و لا تكونوا أعرابا،فإنه من لم يتفقه فى دين اللّه لم ينظر إليه يوم القيامه و لم يزك له عملا»،

و قال! «ليت السياط على رءوس أصحابى حتى يتفقهوا فى الحلال و الحرام»،

و قال(ع)! «إن آيه الكذاب أن يخبرك خبر السماء و الأرض و المشرق و المغرب،فإذا سألته عن حرام اللّه و حلاله لم يكن

عنده شیء».

و أما أصول العقائد فیجب أخذها عینا من الشرع و العقل،و هما متلازمان لا یتخلف مقتضی أحدهما عن مقتضی الآخر،إذ العقل هو حجه الله الواجب امتثاله و الحاکم العدل الذی تطابق أحکامه الواقع و نفس الأمر، فلا یرد حکمه،و لولاه لما عرف الشرع،

و لذا ورد! «أنه ما أدی العبد فرائض اللّه حتی عقل عنه،و لا بلغ جمیع العابدین فی فضل عبادتهم ما بلغ العاقل»

(۱)

،فهما متعاضدان و متظاهران،و ما یحکم به أحدهما یحکم به الآخر أیضا،و کیف یکون مقتضی الشرع مخالفا لمقتضی ما هو حجه قاطعه و أحکامه للواقع مطابقه،فالعقل هو الشرع الباطن و النور الداخل،و الشرع هو العقل الظاهر و النور الخارج،و ما یتراءی فی بعض المواضع من التخالف بینهما إنما هو لقصور العقل أو لعدم ثبوت ما ینسب إلی الشرع منه،فإن کل عقل لیس تاما،و کلما ینسب إلی الشرع لیس ثابتا منه،فالمناط هو العقل الصحیح و ما ثبت قطعا من الشریعه،و أصح العقول و أقواها و أمتنها و أصفاها هو عقل صاحب الوحی،و لذا یدرک بنوریته ما لا سبیل لأمثال عقولنا إلی درکه، کتفاصیل أحوال نشأه الآخره،فاللازم فی مثله أن نأخذه منه إذعانا و إن لم نعرف مأخذه العقلی.

أصول العقائد المجمع علیها

ثم ما أجمعت الأمه المختاره علیه من أصول العقائد هو!أن الواجب سبحانه موجود،و أنه واحد فی الألوهیه،و بسیط عن شوائب الترکیب، و منزه عن الجسمیه و عوارضها،و أن وجوده و صفاته عین ذاته،و أنه متقدم

۱- ۱) هذا الحدیث رواه فی أصول الکافی عن النبی-صلی اللّه علیه و آله فی کتاب العقل و الجهل فصححناه علیه،و فی نسخ جامع السعادات اختلاف عما هنا.

على الزمان و المكان و متعال عنهما،و أنه حى قديم أزلى قادر مريد عالم بجميع الأشياء،و علمه بها بعد إيجادها كعلمه بها قبله،و لا يزداد بإحداثها علما، و أن قدرته عامه بالنسبه إلى جميع الممكنات،و أنه يخلق ما يشاء و يفعل ما يريد و لا يكون شىء إلا بمشيئته،و أنه عدل فى حكمه صادق فى وعده،و بالجمله مستجمع لجميع الصفات الكماليه،و ليس كمثله شىء،و لا يتصور عقل و لا وهم مثله،بل هو تام فوق التمام.

و أن القرآن كلامه،و محمد-صلى اللّه عليه و آله و سلم-رسوله،ما أتى به من أمور النشأه الآخره من الجنه و النار و الحساب و الثواب و العقاب و الصراط و الميزان و الشفاعه و غير ذلك مما ثبت فى شريعته المقدسه حق ثابت،فيجب على كل مؤمن أن يأخذ بجميع ذلك و يتشبث به و يجرد باطنه له،بحيث لو أورد عليه ما ينقصه لم يقبله و لم يعرضه شك و ريب.

ثم إن المكلفين مختلفون فى كيفيه التصديق و الإذعان بالعقائد المذكوره، فبعضهم فيها على يقين مثل ضوء الشمس،بحيث لو كشف عنهم الغطاء ما ازدادوا يقينا (1)، و بعضهم على يقين دون ذلك،و أقل هؤلاء رتبه أن تصل مرتبه يقينهم إلى طمأنينه لا اضطراب فيها،و بعضهم على مجرد تصديق ظنى يتزلزل من الشبهات و إلقاء النقيض،و إلى هذا الاختلاف

أشار الإمام محمد ابن على الباقر-عليهما السلام-بقوله «ان المؤمنين على منازل:منهم على واحده، و منهم على اثنتين،و منهم على ثلاث،و منهم على أربع،و منهم على خمس،و منهم على ست،و منهم على سبع،فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحده ثنتين لم يقو،

ص:١۴٨

١- ١) كما قال أمير المؤمنين-عليه الصلاه و السلام-:«لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا».

و علی صاحب الثنتین ثلاثا لم یقو...إلی آخره» (۱).

و الإمام أبو عبد اللّه الصادق(ع)بقوله! «إن للإیمان حالات و درجات و طبقات و منازل،فمنه التام المنتهی تمامه،و منه الناقص البین نقصانه،و منه الراجح الزائد رجحانه» و لا ریب فی أن تحصیل ما یطمئن به القلب فی العقائد الواجبه أخذها مما لا بد منه لکل مکلف،و مجرد التصدیق من غیر اطمئنان القلب غیر کاف للنجاه فی الأخری و الوصول إلی مراتب المؤمنین.و مع حصول الاطمئنان تحصل النجاه و الفوز بالفلاح و إن لم یکن حصوله من تفاصیل البراهین الحکمیه و الدلائل الکلامیه،بل کان حاصلا من دلیل إجمالی برهانی أو إقناعی،إذ الشرع الشریف لم یکلف بأکثر من التصدیق و الجزم بظاهر العقائد المذکوره، و لم یکلف البحث و التفتیش عن کیفیاتها و حقائقها و عن تکلف ترتیب الأدله فی نظمها،فلو حصل لأحد طمأنینه فی اتصاف الواجب بجمیع الصفات الکمالیه و براءته عن الصفات السلبیه،بمجرد أن عدم الاتصاف بالأولی و الاتصاف بالثانیه نقص لا یلیق بذاته الأقدس،کان کافیا فی النجاه و الدخول فی زمره المؤمنین.و کذا إذا حصل له ذلک بمجرد أن هذا مما اتفق علیه فرق الأنبیاء و أساطین الحکماء و العلماء،و قوه عقولهم و دقه أفهامهم تأبی عن اتفاقهم علی محض الخطأ.و قس علی ذلک غیره مما یفید الاطمئنان کائنا ما کان.

قال العلامه«الطوسی»-ره-فی بعض تصانیفه!«أقل ما یجب اعتقاده علی المکلف هو ما ترجمه قول لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه،ثم إذا

۱- ۱) الحدیث مروی فی أصول الکافی فی باب درجات الإیمان و بقیته: «و علی صاحب الثلاث أربعا لم یقو،و علی صاحب الأربع خمسا لم یقو، و علی صاحب الخمس ستا لم یقو،و علی صاحب الست سبعا لم یقو...و علی هذه الدرجات».

صدق الرسول ينبغى أن يصدقه فى صفات اللّه و اليوم الآخر و تعيين الإمام المعصوم،كل ذلك مما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد برهان!أما فى صفات اللّه فبأنه حى عالم قادر مريد متكلم ليس كمثله شىء و هو السميع البصير،و اما فى الآخره فبالإيمان بالجنه و النار و الصراط و الميزان و الحساب و الشفاعه و غيرها،و لا يجب عليه أن يبحث عن حقيقه الصفات،و أن الكلام و العلم و غيرهما حادث أو قديم،بل لو لم تخطر هذه بباله و مات مات مؤمنا،فإن غلب على قلبه شك أو إشكال،فإن أمكن إزالته بكلام قريب من الأفهام و إن لم يكن قويا عند المتكلمين و لا مرضيا فذلك كاف،و لا حاجه إلى تحقيق الدليل،فإن الدليل لا يتم إلا بذكر الشبهه و الجواب،و مهما ذكرت الشبهه لا يؤمن أن تتشبث بالخاطر و القلب فيظنها حقه لقصوره عن إدراك جوابها، إذ الشبهه قد تكون جليه و الجواب دقيقا لا يحتمله عقله،و لذا ورد الزجر عن البحث و التفتيش فى الكلام،و إنما زجر ضعفاء العوام،و أما أئمه الدين فلهم الخوض فى غمره الإشكالات.و منع العوام عن الكلام يجرى مجرى منع الصبيان عن شاطئ دجله خوفا من الغرق،و رخصه الأقوياء فيه أيضا هى رخصه الماهر فى صنعه السباحه،إلا أن ههنا موضع غرور و منزله قدم، و هو أن كل ضعيف فى عقله يظن أنه يقدر على إدراك الحقائق كلها،و أنه من جمله الأقوياء فربما يخوضون و يغرقون فى بحر الجهالات من حيث لا يشعرون، فالصواب منع الخلق كلهم-إلا الشاذ النادر الذى لا تسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو اثنين-من تجاوز سلوك أهل العلم فى الإيمان المرسل و التصديق المجمل بكل ما أنزل اللّه و أخبر به رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- فمن اشتغل بالخوض فيه فقد أوقع نفسه فى شغل شاغل،إذ

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله و سلم- حين رأى أصحابه يخوضون،بعد أن غضب حتى

احمرت وجنتاه!أ فبهذا أمرتم؟تضربون كتاب اللّه بعضه ببعض!انظروا فيما أمركم اللّه فافعلوا و ما نهاكم عنه فانتهوا» فهذا على تنبيه منهج الحق.

ثم لا ريب فى أن نورانيه اليقين و وضوحه،بل و اطمئنان القلب و سكونه.لا يحصل من مجرد صنعه الجدل و الكلام،كما لا يحصل من محض التلقين و تقليد العوام.بل(الأول)-أعنى الاستضاءه بنور اليقين-يتوقف على ملازمه الورع و التقوى،و فطام النفس عن الهوى و إزاله كدرتها و صدأها! وَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها (۱).

و تطهيرها عن ذمائم الصفات و الاشتغال بمشاق الرياضه و المجاهدات،حتى يقذف فى قلبه نور إلهى تنكشف به الحجب و الأستار عن حقائق هذه العقائد، و هو غايه مقصد الطالبين و قره عيون الصديقين و المقربين و له درجات و مراتب، و الناس فيه مختلفون بحسب اختلافهم فى القوه و الاستعداد و السعى و الاجتهاد، كما هم مختلفون فى إدراك أنواع العلوم و الصنائع«و كل ميسر لما خلق له» (۲).

و أما(الثانى)-أعنى مجرد الاعتقاد الجازم الراسخ بظواهر تلك العقائد-فيمكن أن يحصل بما دون ذلك،بأن يشتغل-بعد تلقين هذه العقائد و التصديق بها-بوظائف الطاعات،و يصرف برهه من وقته فى شرائف العبادات،و يواظب على تفسير القرآن و تلاوته،و درس الحديث و درايته، و يحترز عن مخالطه أولى المذاهب الفاسده و ذوى الآراء الباطله،بل يجتنب كل الاجتناب عن مرافقه أرباب الهوى و أصحاب الشر و الشقاء،و يختار مصاحبه أهل الورع و اليقين،و مجالسه الأتقياء و الصالحين،و يلاحظ سيماهم و سيرتهم و هيئاتهم فى الخضوع للّه و الاستكانه،فيكون التلقين كالقاء البذر فى

۱- ۱) الشمس،الآيه:۹.

۲- ۲) حديث نبوى شريف مشهور تقدم ذكره صفحه«۲۶».

الصدر،و هذه الأمور كالسقی و التربیه له،فینمو ذلک البذر بها و یتقوی و یزداد رسوخا،حتی یرتفع شجره طیبه راسخه أصلها ثابت و فرعها فی السماء. ثم من وصل إلی مقام العقیده الجازمه إن اشتغل بالشواغل الدنیویه و لم یشتغل بالریاضه و المجاهده لم ینکشف له غیره،و لکنه إذا مات مات مؤمنا علی الحق و سلم فی الآخره،و إن اشتغل بتصقیل النفس و ارتیاضها انشرح صدره و انفتح له باب الإفاضه،و وصل إلی المرتبه الأولی.

أنواع الرذائل المتعلقه بالعاقله

اشاره

أما الأنواع المتعلقه بالعاقله

فمنها:

الجهل المرکب

و هو خلو النفس عن العلم و إذعانها بما هو خلاف الواقع،مع اعتقاد کونها عالمه بما هو الحق،فصاحبه لا یعلم،و لا یعلم أنه لا یعلم،و لذا سمی مرکبا.و هو أشد الرذائل و أصعبها،و إزالته فی غایه الصعوبه،کما هو ظاهر من حال بعض الطلبه.و قد اعترف أطباء النفوس بالعجز عن معالجته کما اعترف أطباء الأبدان بالعجز عن معالجه بعض الأمراض المزمنه،

و لذا قال عیسی-علیه السلام-: «إنی لا أعجز عن معالجه الأکمه و الأبرص و أعجز عن معالجه الأحمق». و السر فیه!أنه مع قصور النفس بهذا الاعتقاد الفاسد لا یتنبه علی نقصانها،فلا یتحرک للطلب،فیبقی فی الضلاله و الردی ما دام باقیا فی دار الدنیا.ثم إن کان المنشأ له اعوجاج السلیقه فأنفع العلاج له تحریض صاحبه علی تعلم العلوم الریاضیه من الهندسه و الحساب،فإنها موجبه لاستقامه الذهن لألفه لأجلها بالیقینیات فیتنبه علی خلل اعتقادها،فیصیر جهلها بسیطا،فینتهض للطلب.و إن کان خطأ فی الاستدلال،فلیوازن استدلاله لاستدلالات أهل التحقیق و المشهورین باستقامه القریحه،و یعرض

أدله المطلوب على القواعد الميزانيه باحتياط تام و استقصاء بليغ،حتى يظهر خطأه.و إن كان مانع من عصبيه أو تقليد أو غير ذلك فليجتهد فى إزالته.

و منها الشک و الحيره

اشاره

و هو من باب رداءه الكيفيه و هو عجز النفس عن تحقيق الحق و إبطال الباطل فى المطالب الخفيه،و الغالب حصوله من تعارض الأدله،و لا ريب أنه مما يهلك النفس و يفسدها،إذ الشك ينافى اليقين الذى لا يتحقق الإيمان بدونه.

قال أمير المؤمنين-عليه السلام-فى بعض خطبه: «لا ترتابوا فتشكوا و لا تشكوا فتكفروا، و كأن الارتياب فى كلامه-عليه السلام- مبدأ الشك.

و قال الباقر-عليه السلام-: «لا ينفع مع الشك و الجحود عمل».

و قال الصادق-عليه السلام-: «إن الشك و المعصيه فى النار ليس منا و لا إلينا».

و سئل-عليه السلام- عن قول اللّه تعالى! اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمٰانَهُمْ بِظُلْمٍ (۱).

قال:«بشك».

و قال-عليه السلام-: «من شك فى اللّه تعالى بعد مولده على الفطره لم يفئ إلى خير أبدا».

و قال-عليه السلام-: «من شك أو ظن فأقام على أحدهما احبط اللّه عمله،إن حجه اللّه هى الحجه الواضحه».

و قال-عليه السلام-: «من شك فى اللّه تعالى و فى رسوله -صلى اللّه عليه و آله و سلم-فهو كافر». و بمضمونه وردت أخبار أخر.و غير خفى أن المراد بالشك ما يضعف الاعتقاد و يزيل اليقين لا مجرد الوسوسه و حديث النفس،لما يأتى أنه لا ينافى الإيمان،بل الظاهر من بعض الأخبار أن إيجاب الشك للكفر إذا انجر إلى الجحود،

كما روى أن أبا بصير سأل الصادق-عليه السلام-ما تقول فيمن شك فى اللّه تعالى؟قال:«كافر»،

۱- ۱) الأنعام،الآيه:۸۲.

قال:فشک فی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-؟قال«کافر»،ثم التفت إلی زراره فقال:«انما یکفر إذا جحد».

ثم علاـجه أن یتـذکر أولاـ قضـیه بـدیهیه،هی:أن النقیضـین لا یجتمعان و لا یرتفعان،و منه یعلم إجمالا أن أحـد الشـقوق العقلیه المتصوره فی المطلوب ثـابت فی الواقع و نفس الأـمر و البواقی بـاطله،ثم یتصـفح المقـدمات المناسـبه للمطلوب و یعرضـها علی الأـقیسه المنطقیه باسـتقصاء بلیغ و احتیـاط تام فی کل طرف،حتی یقف علی موضع الخطأ و یجزم بحقیه أحـد الشـقوق و بطلان الآـخر.و الغرض من وضع المنطق(لا)سـیما مباحث القیاسات السوفسـطائیه المشـتمله علی المغالطات إزاله هـذا المرض.و لو کان ممن لاـ یقتـدر علی ذلـک، فالعلاـج فی حقه أن یواظب علی العبـاده و قراءه القرآن،و یشـتغل بمطالعه الأحادیث و سـماعها من أهلها،و یجالس الصلحاء و المتقین و أصحاب الورع و أهل الیقین،لتکتسب نفسه بذلک نورانیه یدفع بها ظلمه شکه.

وصل الیقین

قـد عرفت:أن ضـد الجهل المرکب و الحیره و الشک هو(الیقین)،و أول مراتبه اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غیر زائل بشـبهه و إن قویت، فالاعتقـاد الـذی لاـ یطـابق الواقع لیس یقینـا،و إن جزم به صاحبه و اعتقـد مطابقته للواقع،بل هو-کما أشـیر إلیه-جهل مرکب ینشأ عن اعوجـاج القریحه،أو خطأ فی الاسـتدلال،أو حصول مانع من إفاضه الحق کتقلیـد أو عصبیه أو غیر ذلک.فالیقین من حیث اعتبار الجزم فیه یکون ضد الحیره و الشک،و من حیث اعتبار المطابقه للواقع فیه یکون ضدا للجهل المرکب.

ثم العلم إن لم یعتبر فیه المطابقه للواقع ففرقه عن الیقین ظاهر،و إلا

فيتساويان و يتشاركان فى المراتب المثبته لليقين.

هذا و متعلق اليقين إما أجزاء الإيمان و لوازمه،من وجود الواجب و صفاته الكماليه و سائر المباحث الإلهيه من النبوه و أحوال النشأه الآخره، أو غيرها من حقائق الأشياء التى لا يتم الإيمان بدونها.و لا ريب فى أن مطلق اليقين أقوى أسباب السعاده،و إن كان اليقين فى المباحث الإلهيه أدخل فى تكميل النفس و تحصيل السعاده الأخرويه،لتوقف الإيمان عليه،بل هو أصله و ركنه،و غيره من المراتب فرعه و غصنه،و النجاه فى الآخره لا تحصل إلا به،و الفاقد له خارج عن زمره المؤمنين داخل فى حزب الكافرين.

و بالجمله:اليقين أشرف الفضائل الخلقيه و أهمها،و أفضل الكمالات النفسيه و أعظمها،و هو الكبريت الأحمر الذى لا يظفر به إلا أوحدى من أعاظم العرفاء أو ألمعى من أكابر الحكماء.و من وصل إليه فاز بالرتبه القصوى و السعاده العظمى.

قال سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أقل ما أوتيتم اليقين و عزيمه الصبر،و من أوتى حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار و قيام الليل»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «اليقين الإيمان كله»

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: ما آدمى إلا و له ذنوب،و لكن من كانت غريزته العقل و سجيته اليقين لم تضره الذنوب،لأنه كلما أذنب ذنبا تاب و استغفر و ندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنه».

و قال الصادق-عليه السلام-! «إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند اللّه تعالى من العمل الكثير على غير يقين»،

و عنه عليه السلام-! إن اللّه تعالى بعدله و قسطه جعل الروح و الراحه فى اليقين و الرضا،و جعل الهم و الحزن فى الشك و السخط».

و فى وصيه لقمان لابنه: «يا بنى!لا يستطاع العمل إلا باليقين،و لا يعمل المرء إلا بقدر يقينه،و لا يقصر عامل حتى ينقص يقينه».

علامات صاحب اليقين

ثم لصاحب اليقين علامات!

(منها)ألا يلتفت فی أموره إلی غیر اللّه سبحانه.

و لا یکون اتکاله فی مقاصده إلا علیه،و لا ثقته فی مطالبه إلا به.فیتبری عن کل حول و قوه سوی حول اللّه و قوته،و لا یری لنفسه و لا لأبناء جنسه قدره علی شیء و لا منشأیه لأثر.و یعلم أن ما یرد علیه منه تعالی و ما قدّر له و علیه من الخیر و الشر سیساق إلیه أ فتستوی عنده حاله الوجود و العدم.و الزیاده و النقصان و المدح و الذم.و الفقر و الغنی.و الصحه و المرض.و العز و الذل.و لم یکن له خوف و رجاء إلا منه تعالی.و السر فیه:أنه یری الأشیاء کلها من عین واحده هو مسبب الأسباب.و لا یلتفت إلی الوسائط،بل یراها مسخره تحت حکمه

قال الإمام أبو عبد اللّه-علیه السلام-! «من ضعف یقینه تعلق بالأسباب،و رخص لنفسه بذلک،و اتبع العادات و أقاویل الناس بغیر حقیقه،و السعی فی أمور الدنیا و جمعها و إمساکها،مقرا باللسان أنه لا مانع و لا معطی إلا اللّه،و أن العبد لا یصیب إلا ما رزق و قسم له،و الجهد لا یزید فی الرزق،و ینکر ذلک بفعله و قلبه، قال اللّه سبحانه:

یَقُولُونَ بِأَفْوٰاهِهِمْ مٰا لَیْسَ فِی قُلُوبِهِمْ وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا یَکْتُمُونَ

(۱)

.

۱- ۱) الآیه من سوره آل عمران:۱۶۱ و هذا الحدیث منقول عن(مصباح الشریعه و مفتاح الحقیقه)المنسوب إلی الصادق-علیه السلام-و هذا الکتاب قال فیه المجلسی-قدس سره-فی مقدمه البحار:«فیه ما یریب اللبیب الماهر،و اسلوبه لا یشبه سائر کلمات الأئمه و آثارهم»،ثم قال!«و إن سنده ینتهی إلی الصوفیه و لذا اشتمل علی کثیر من اصطلاحاتهم و علی الروایه عن مشایخهم».

و قال-علیه السلام-! «لیس شیء الا و له حد»قیل!فما حد التوکل؟قال!«الیقین»،قیل!فما حد الیقین؟قال!«ألا تخاف مع اللّه شیئا».

و عنه-علیه السلام-! «من صحه یقین المرء المسلم ألا یرضی الناس بسخط اللّه و لا یلومهم علی ما لم یؤته اللّه فإن الرزق لا یسوقه حرص حریص و لا ترده کراهیه کاره،و لو أن أحدکم فرّ من رزقه کما یفرّ من الموت لأدرکه رزقه کما یدرکه الموت».

(و منها)أن یکون فی جمیع الأحوال خاضعا للّه سبحانه.

خاشعا منه، قائما بوظائف خدمته فی السر و العلن،مواظبا علی امتثال ما أعطته الشریعه من الفرائض و السنن،متوجها بشراشره إلیه،متخضعا متذللا بین یدیه، معرضا عن جمیع ما عداه،مفرغا قلبه عما سواه،منصرفا بفکره إلی جناب قدسه،مستغرقا فی لجه حبه و أنسه،و السر أن صاحب الیقین عارف باللّه و عظمته و قدرته،و بأن اللّه تعالی مشاهد لأعماله و أفعاله،مطلع علی خفایا ضمیره و هواجس خاطره،و أن:

مَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ (1).

فیکون دائما فی مقام الشهود لدیه و الحضور بین یدیه،فلا ینفک لحظه عن الحیاء و الخجل و الاشتغال بوظائف الأدب و الخدمه،و یکون سعیه فی تخلیه باطنه عن الرذائل و تحلیته بالفضائل لعین اللّه الکالئه أشد من تزیین

۱- ۱) الزلزال،الآیه:۸-۹

ظاهره لأبناء نوعه.

و بـالجمله:من يقينه بمشاهـدته تعـالى لأعمـاله الباطنه و الظاهره و بالجزاء و الحساب،يكون أبـدا فى مقام امتثال أوامره و اجتناب نواهيه.

و من يقينه بمـا فعـل اللّه فى حقه من إعطـاء ضـروب النعم و الإحسـان، يكون دائمـا فى مقام الانفعال و الخجل و الشـكر لمنعمه الحقيقى.

و من يقينه بما يعطيه المؤمنين فى الدار الآخره من البهجه و السرور، و ما أعده لخلص عبيده مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب أحد،يكون دائما فى مقام الطمع و الرجاء.

و من يقينه باستناد جميع الأـمور إليه سـبحانه،و بأن صـدور ما يصـدر فى العالم إنما يكون بالحكمه و المصـلحه و العنايه الأزليه الراجعه إلى نظام الخير، يكون أبدا فى مقام الصبر و التسليم و الرضا بالقضاء من دون عروض تغير و تفاوت فى حاله.

و من يقينه بكون الموت داهيه من الدواهى العظمى و ما بعده أشد و أدهى،يكون أبدا محزونا مهموما.

و من يقينه بخساسه الدنيا و فنائها،لا يركن إليها.

قال الصادق-عليه السلام- فى الكنز الذى قال اللّه تعالى:

وَ كٰانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمٰا

(۱)

:

«بسـم اللّـه الرحمن الرحيم:عجبت لمن أيقن بـالموت كيـف يفرح، و عجبت لمن أيقن بالقـدر كيـف يحزن،و عجبت لمن أيقن بالدنيا و تقلبها بأهلها كيف يركن إليها».

و من يقينه بعظمه اللّه الباهره و قوته القاهره،يكون دائما فى مقام

۱- ۱) الكهف الآيه:۸۲.

الهیبه و الدهشه.

و قد ورد أن سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله و سلم-کان من شده خضوعه و خشوعه للّه تعالی و خشیته منه تعالی بحیث إذا کان یمشی یظن أنه یسقط علی الأرض.

و من یقینه بکمالاته الغیر المتناهیه و کونه فوق التمام،یکون دائما فی مقام الشوق و الوله و الحب.و حکایات أصحاب الیقین من الأنبیاء و المرسلین و الأولیاء و الکاملین فی الخوف و الشوق و ما یعتریهم من الاضطراب و التغیر و التلون و أمثال ذلک فی الصلاه و غیرها مشهوره،و فی کتب التواریخ و السیر مسطوره،و کذا ما یأخذهم من الوله و الاستغراق و الابتهاج و الانبساط باللّه سبحانه. و حکایه حصول تکرر الغشیات لمولانا أمیر المؤمنین-علیه السلام- فی أوقات الخلوات و المناجاه و غفلته عن نفسه فی الصلوات مما تواتر عند الخاصه و العامه.و کیف یتصور لصاحب الیقین الواقعی باللّه و بعظمته و جلاله و باطلاعه تعالی علی دقائق أحواله،أن یعصیه فی حضوره و لا یحصل له الانفعال و الخشیه و الدهشه و حضور القلب و التوجه التام إلیه عند القیام لدیه و المثول بین یدیه،مع أنا نری أن الحاضر عند من له أدنی شوکه مجازیه من الملوک و الأمراء مع رذالته و خساسته أولا و آخرا یحصل له من الانفعال و الدهشه و التوجه إلیه بحیث یغفل عن ذاته.

(و منها)أن یکون مستجاب الدعوات،

بل له الکرامات و خرق العادات.و السر فیه أن النفس کلما ازدادت یقینا ازدادت تجردا،فتحصل لها ملکه التصرف فی موارد الکائنات.

قال الإمام أبو عبد الصادق-علیه السلام-: الیقین یوصل العبد إلی کل حال سنی و مقام عجیب،کذلک أخبر رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-من عظم شأن الیقین حین ذکر عنده أن عیسی بن مریم-علیه السلام-کان یمشی علی الماء،فقال:لو زاد یقینه

لمشـی فی الهوی» .فهذا الخبر دل علی أن الکرامات تزداد بازدیاد الیقین، و أن الأنبیاء مع جلاله محلهم من اللّه متفاوتون فی قوه الیقین و ضعفه.

مراتب الیقین

و قـد ظهر ممـا ذکر:أن الیقین جـامع جمیع الفضائل و لا ینفک عن شـیء منها،ثم له مراتب: (أولها)علم الیقین،و هو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع-کما مر-و هو یحصل من الاسـتدلال باللوازم و الملزومات،و مثاله الیقین بوجود النار من مشاهـده الدخان. (و ثانیها)عین الیقین،و هو مشاهده المطلوب و رؤیته بعین البصیره و الباطن،و هو أقوی فی الوضوح و الجلاء من المشاهده بالبصر،و إلی هذه المرتبه

أشار أمیر المؤمنین(ع)بقوله! «لم أعبد ربا لم أره»بعد سؤال ذعلب الیمانی عنه-علیه السلام-!أ رأیت ربک؟

و بقوله-علیه السـلام-: «رأی قلبی ربی» .و هو إنمـا یحصـل من الریـاضه و التصـفیه و حصول التجرد التـام للنفس،و مثـاله الیقین بوجود النار عنـد رؤیتها عیانا، و(ثالثها)حق الیقین،و هو أن تحصل وحده معنویه و ربط حقیقی بین العاقل و المعقول،بحیث یری العاقل ذاته رشـحه من المعقول و مرتبطا به غیر منفک عنه،و یشاهـد دائما ببصـیرته الباطنیه فیضان الأنوار و الآثار منه الیه،و مثاله الیقیـن بوجـود النـار بالـدخول فیهـا مـن غیر احـتراق.و هـذا إنمـا یکـون لکمـل العـارفین بـاللّه المسـتغرقین فی لجـه حبـه و أنسه،المشاهـدین ذواتهم بل سائر الموجودات من رشـحات فیضه الأقـدس،و هم الصـدیقون الذین قصـروا أبصارهم الباطنه علی ملاحظه جماله و مشاهده أنوار جلاله.و حصول هذه المرتبه یتوقف علی مجاهدات شاقه و ریاضیات قویه،و ترک رسوم العادات و قطـع أصـول الشـهوات،و قلـع الخـواطر النفسـانیه و قمـع الهواجس الشـیطانیه، و الطهـاره عن أدنـاس جیفه الطـبیعه،و التنزه عن زخارف الدنیا الدنیه،و بدون

ذلک لا یحصل هذا النوع من الیقین و المشاهده:

و کیف تری لیلی بعین تری بها

سواها و ما طهرتها بالمدامع

ثم فوق ذلک مرتبه یثبتها بعض أهل السلوک و یعبرون عنه(بحقیقه حق الیقین و الفناء فی اللّه،و هو أن یری العارف ذاته مضمحلا فی أنوار اللّه محترقا من سبحات وجهه،بحیث لا یری استقلالا و لا تحصیلا أصلا، و مثاله الیقین بوجود النار بدخوله فیها و احتراقه منها.

ثم لا ریب فی أن الیقین الحقیقی النورانی المبری عن ظلمات الأوهام و الشکوک و لو کان من المرتبه الأولی لا یحصل من مجرد الفکر و الاستدلال، بل یتوقف حصوله علی الریاضه و المجاهده و تصقیل النفس و تصفیتها عن کدورات ذمائم الأخلاق و صدأها،لیحصل لها التجرد التام فتحاذی شطر العقل الفعال،فتتضح فیها جلیه الحق حق الاتضاح. و السر أن النفس بمنزله المرآه تنعکس إلیها صور الموجودات من العقل الفعال،و لا ریب فی أن انعکاس الصور من ذوات الصور إلی المرآه یتوقف علی تمامیه شکلها و صقاله جوهرها و حصول المقابله و ارتفاع الحائل بینهما و الظفر بالجهه التی فیها الصور المطلوبه،فیجب فی انعکاس حقائق الأشیاء من العقل إلی النفس: -۱-عدم نقصان جوهرها،فلا یکون کنفس الصبی التی لا تنجلی لها المعلومات لنقصانها -۲- و صفاؤها عن کدورات ظلمه الطبیعه و إخباث المعاصی،و نقاؤها عن رسوم العادات و خبائث الشهوات.و هو بمنزله الصقاله عن الخبث و الصدا -۳-و توجهها التام و انصراف فکرها إلی المطلوب،فلا یکون مستوعب الهم بالأمور الدنیویه و أسباب المعیشه و غیرهما من الخواطر المشوشه لها،و هو بمنزله المحاذاه -۴-و تخلیتها عن التعصب و التقلید.و هو بمثابه ارتفاع الحجب -۵-و استحصال المطلوب من تألیف مقدمات مناسبه للمطلوب علی

الترتيب المخصوص و الشرائط المقرره،و هو بمنزله العثور على الجهه التى فيها الصوره.

و لولا هذه الأسباب المانعه للنفوس عن إفاضه الحقائق اليقينيه إليها، لكانت عالمه بجميع الأشياء المرتسمه فى العقول الفعاله،إذ كـل نفس لكونهـا أمرا ربانيا و جوهرا ملكوتيا فهى بحسب الفطره صالحه لمعرفه الحقائق،و لـذا امتازت عن سائر المخلوقات من السـماوات و الأـرض و الجبـال،و صـارت قابله لحمل أمانه اللّه (۱)التى هى المعرفه و التوحيـد،فحرمـان النفس عن معرفه أعيـان الموجودات إنما هو لأحد هذه الموانع،و قد أشار سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-الى مانع التعصب و التقليد

بقوله-صـلى اللّه عليه و آله و سلم- «كل مولود يولد على الفطره حتى يكون أبواه يهودانه و يمجسانه (۲)و ينصرانه» ،و إلى مانع كدورات المعاصى و صدأها

بقوله-صـلى اللّه عليه و آله و سـلم-: «لو لا أن الشـياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السـماوات و الأرض». فلو ارتفعت عن النفس حجب السـيئات و التعصب و حاذت شـطر الحق الأول تجلت لها صوره عالم الملك و الشـهاده بأسـره،إذ هو

۱- ۱) إشاره إلى قوله تعالى: إِنّٰا عَرَضْنَا الْأَمٰانَةَ عَلَى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبٰالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّهُ كٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً الأحزاب،الآيه:۷۲.

۲- ۲) روى السـيد المرتضـى علم الهـدى هـذا الحـديث فى الجزء الثـالث من أمـاليه بـدون كلمه(يمجسـانه)،و كـذا فى غـوالى اللئالى،إلا أن المعروف فى روايته إضافه كلمه(يمجسانه)و لكنها بعد كلمه(ينصـرانه)،كما أرسـلها فى مجمع البيان:ج ۸ ص ۳۰۳ طبع صـيدا،و كـذا فى مجمع البحرين فى ماده (فطر)،و كذا فى صـحيح البخارى:ج ۱ ص ۲۰۶،و صحيح مسلم:ج ۲ ص ۴۱۳،و معالم التنزيل فى هامش تفسير الخازن:ج ۵ ص ۱۷۲،و غير هؤلاء.

متناه يمكن لها الإحاطه به،و صوره عالمی الملکوت و الجبروت بقدر ما يتمکن منه بحسب مرتبته،لأنهما الإسرار الغائبه عن مشاهده الأبصار المختصه بإدراک البصائر،و هی غير متناهيه،و ما يلوح منها للنفس متناه،و إن کانت فی نفسها و بالإضافه إلی علم اللّه سبحانه و غير متناهيه،و مجموع تلک العوالم يسمی ب(العالم الربوبی)،إذ کل ما فی الوجود من البدايه إلی النهايه منسوب إلی اللّه سبحانه،و ليس فی الوجود سوی اللّه سبحانه و أفعاله و آثاره،فالعالم الربوبی و الحضره الربوبيه هو العالم المحيط بکل الموجودات،فعدم تناهيه ظاهر بين،فلا يمکن للنفس أن تحيط بکله،بل يظهر لها منه بقدر قوتها و استعدادها. ثم بقدر ما يحصل للنفس من التصفيه و التزکيه و ما يتجلی لها من الحقائق و الأسرار،و من معرفه عظمه اللّه و معرفه صفات جلاله و نعوت جماله تحصل لها السعاده و البهجه و اللذه و النعمه فی نعيم الجنه،و تکون سعه مملکته فيها بحسب سعه معرفته باللّه و بعظمته و بصفاته و أفعاله،و کل منها لا نهايه له.و لذا لا تستقر النفس فی مقام من المعرفه.و البهجه و الکمال و التفوق و الغلبه تکون غايه طلبتها،و لا تکون طالبه لما فوقها.

و ما اعتقده جماعه من أن ما يحصل للنفس من المعارف الإلهيه و الفضائل الخلقيه هی الجنه بعينها فهو عندنا باطل،بل هی موجبه لاستحقاق الجنه التی هی دار السرور و البهجه.

و منها:

اشاره

الشرک

و هو أن يری فی الوجود مؤثرا غير اللّه سبحانه،فإن عبد هذا الغير -سواء کان صنما أو کوکبا أو إنسانا أو شيطانا-کان شرک عباده،و إن لم يعبده و لکن لاعتقاد کونه منشأ أثر أطاعه فيما لا يرضی اللّه فهو شرک طاعه

و الأول يسمى بالشرک الجلی،و الثانی یسمی بالشرک الخفی،و إلیه الإشاره بقوله تعالی:

وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ

(۱)

و کون الشرک أعظم الکبائر الموبقه و موجبا لخلود النار مما لا ریب فیه، و قد انعقد علیه إجماع الأمه،و الآیات و الأخبار الوارده به خارجه عن حد الإحصاء.

ثم للشرک مراتب تظهر فی بحث ضده الذی هو التوحید،و الشرک و إن کان شعبه من الجهل،کما أن التوحید الذی هو ضده من أفراد الیقین و العلم فذکرهما علی حده لم یکن لازما هنا،إلا أنه لما کان المتعارف ذکر التوحید فی کتب الأخلاق.فنحن أیضا ذکرنا له عنوانا علی حده تأسیا بها،و أشرنا إلی لمعه یسیره منه،إذ الاستقصاء فیه و الخوض فی غمراته مما لیس فی وسعنا و لا یلیق هنا،فإن التوحید هو البحر الخضم الذی لا ساحل له.

وصل (التوحید فی الفعل)

ضد الشرک(التوحید)،و هو إما توحید فی أصل الذات بمعنی عدم ترکیب خارجی و عقلی فی ذاته تعالی و عینیه وجوده و صفاته لذاته،و یلزمه کونه تعالی صرف الوجود و بحته،أو توحید فی وجوب وجوده بمعنی نفی الشرک فی وجوب الوجود عنه(و لا بحث لنا هنا عن إثبات هذین القسمین،لثبوتهما فی الحکمه المتعالیه)،أو توحید فی الفعل و التأثیر و الإیجاد،بمعنی أن لا فاعل و لا مؤثر إلا هو،و هو الذی نذکر هنا مراتبه و ما یتعلق به فنقول:

هذا التوحید-علی ما قیل-له أربع مراتب:قشر:و قشر القشر،و لب

۱- ۱) یوسف،الآیه:۱۰۶.

و لب اللب كالجوز الذى له قشرتان و له لب،و اللب دهن و هو لب اللب.

(فالمرتبه الأولى)أن يقول الإنسان باللسان:لا إله إلا اللّه،و قلبه منكر و غافل عنه،كتوحيد المنافقين،و هذا توحيد بمجرد اللسان و لا فائده فيه إلا حفظ صاحبه فى الدنيا من السيف و السنان. (الثانيه)أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه،كما هو شأن عموم المسلمين،و هو اعتقاد العوام و صاحبه موحد،بمعنى أنه معتقد بقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه.و هو عقد على القلب لا يوجب انشراحا و انفتاحا و صفاء له،و لكنه يحفظ صاحبه عن العذاب فى الآخره إن مات عليه و لم يضعف بالمعاصى. (الثالثه)أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطه نور الحق،و ذلك بأن يرى أشياء كثيره و لكن يراها بكثرتها صادره عن الواحد الحق،و هو مقام المقربين و صاحبه موحد بمعنى أنه لا يشاهد إلا فاعلا و مؤثرا واحدا،لأنه انكشف له الحق كما هو عليه. (الرابعه)ألا يرى فى الوجود إلا واحدا،و يسميه أهل المعرفه الفناء فى التوحيد،لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا، و إذا لم ير نفسه،لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه فى توحيده،بمعنى أنه فنى عن رؤيه نفسه،و هو مشاهده الصديقين،و صاحبه موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد،فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد.و هذا هى الغايه القصوى فى التوحيد.

فالمرتبه الأولى:كالقشره العليا من الجوز،و كما أن هذه القشره لا خير فيها أصلا،بل إن أكلتها فهى مر المذاق،و إن نظرت إلى باطنها فهو كريه المنظر،و إن اتخذتها حطبا أطفأت النار و أكثرت الدخان،و إن تركتها فى البيت ضيقت المكان،فلا تصلح إلا أن تترك مده على الجوز لحفظ القشره السفلى،ثم ترمى،فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر

مـذموم الظاهر و الباطن،لكن ينفع مـده فی حفظ المرتبه الثانيه إلى وقت الموت، و المرتبه الثانيه:كالقشـره السـفلى،فكما أن هذه القشـره ظـاهره النفـع بالإضـافه إلى القشـره العليـا،فإنهـا تصـون اللب عن الفسـاد عنـد الادخـار،و إذا فصـلت أمكن أن ينتفـع بها حطبـا،لكنها نازله القـدر بالإضافه إلى اللب، فكـذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالنسـبه إلى مجرد نطق اللسان،إذ تحصل به النجاه فی الآخره،لكنه ناقص القدر بالإضافه إلى الكشف و العيان الذی يحصل بانشـراح الصدر و انفتاحه بإشـراق نور الحق فيه. و المرتبه الثـالثه:كـاللب،و كمـا أن اللب نفيس فی نفسه بالإضـافه إلى القشـر و كـأنه المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصـاره بالإضـافه إلى الـدهن منه فكـذلك توحيـد الفعـل على طريق الكشف مقصـد عـال للسـالكين،إلاـ أنه لا يخلو عن شوب ملاـحظه الغير و الالتفـات إلى الكثره بالإضـافه إلى من لاـ يشاهـد سوى الواحـد الحق، و المرتبه الرابعه:كالـدهن المسـتخرج من اللب، و كما أن اللب هو المطلوب لذاته و المرغوب فی نفسه.فكذلك قصـر النظر على مشاهده الحق الأول هو المقصود لذاته و المحبوب فی نفسه.

[تنـبيه]إن قيـل:كيف يمكن تحقيق المرتبه الرابعه من التوحيـد لتوقفهـا على عـدم مشاهـده غير الواحـد،مع أن كـل أحـد يشـاهد الأرض و السماء و سائر الأجسام المحسوسه و هی كثيره،فكيف يكون الكثير واحدا؟ (قلنا):من تيقن أن الممكنات بأسرها أعدام صرفه فی نفسـها،و أن مـا به تحققها من اللّه سـبحانه،ثم أحاط على قلبه نور عظمته و جلاله بحيث بهره و غلب على قلبه الحب و الأنس حتى عن غيره أغفله،فأی استبعاد فی أن يوجب شده استغراقه فی لجه العظمه و الجلال و الكمال و الجمال و غلبه الحب و الأنس عليه،مع عدميه الكثره و وحده ما به التحقق عنده و رسوخ ذلك،

و ارتكازه فى قلبه أن لا يرى فى نظر شهوده إلا هو،و يغيب عنه غيره،لقصر نظر بصيرته الباطنه على ما هو الحقيقه و الواقع. و مما يكسر سوره استبعادك:

أن المشغول بالسلطان و المستغرق فى ملاحظه سطوته ربما غفل عن مشاهده غيره،و أن العاشق قد يستغرق فى مشاهده جمال معشوقه و يبهره حبه بحيث لا يرى غيره،مع تحقق الكثره عنده،و أن الكواكب موجوده فى النهار مع أنها لا ترى لمغلوبيه أنوارها و اضمحلالها فى جنب نور الشمس،فإذا جاز أن يغلب نور الشمس على نور الكواكب و يقهرها بحيث يضمحل و يغيب عن بصر الظاهر،فأى استبعاد فى أن يغلب نور الوجود الحقيقى القاهر على الموجودات الضعيفه الإمكانيه و يقهرها،بحيث يغيب عن نظر العقل و البصيره ثم هذه المشاهدات التى لا يظهر فيها إلا اللّه الواحد الحق لا تدوم،بل هى كالبرق الخاطف و الدوام فيها عزيز نادر.

فصل (ابتناء التوكل على حصر المؤثر فى اللّه تعالى)

اعلم:أنه لا يمكن التوكل على اللّه تعالى فى الأمور حق التوكل إلا بالبلوغ إلى المرتبه الثالثه من التوحيد،و هى التى يرتبط بها التوكل دون غيرها من المراتب،إذ المرتبه الرابعه لا يتوقف و لا يبتنى عليها التوكل،و الأولى مجرد نفاق لا يفيد شيئا-و الثانيه-أعنى مجرد التوحيد بالاعتقاد-لا يورث حال توكل كما ينبغى،فإنه موجود فى عموم المسلمين مع عدم وجود التوكل كما ينبغى فيهم.

فالمناط فى التوكل هو ثالث المراتب فى التوحيد،و هو أن ينكشف للعبد بنور الحق أن لا فاعل إلا اللّه،و أن كل موجود:من خلق و رزق و عطاء و منع و غنى و فقر،و صحه و مرض،و عز و ذل،و حياه و موت...إلى غير ذلك مما

يطلق عليه اسم،فالمتفرد بإبداعه و اختراعه هو اللّه تعالى لا شريك له فيه، و إذا انكشف له هذا لم ينظر إلى غيره،بل كان منه خوفه و إليه رجاؤه،و به ثقته و عليه اتكاله،فإنه الفاعل بالانفراد دون غيره،و ما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذره فى ملكوت السماوات و الأرض و إذا انفتح له أبواب المعارف اتضح له هذا اتضاحا أتم من المشاهده بالبصر،و إنما يصده الشيطان عن هذا التوحيد،و يوقع فى قلبه شائبه الشرك بالالتفات إلى بعض الوسائط التى يتراءى فى بادى النظر منشئيتها لبعض الأمور،كالاعتماد على الغيم فى نزول المطر،و على المطر فى خروج الزرع و نباته و نمائه،و على الريح فى استواء السفينه و سيرها،و على بعض نظرات الكواكب و اتصالاتها فى حدوث بعض الحوادث فى الأرض،و كالالتفات إلى اختيار بعض الحيوانات و قدرتها على بعض الافعال، فيوسوس الشيطان فى قلبه و يقول له:كيف ترى الكل من اللّه تعالى،و هذا الإنسان يعطيك رزقك باختياره فإن شاء أعطاك و إن شاء منع،و هذا الشخص قادر على جز رقبتك بسيفه فإن شاء جز رقبتك و إن شاء عفى عنك،فكيف لا تخافه و لا ترجوه و أمرك بيده،و أنت تشاهد ذلك و لا تشك فيه؟! و لا ريب فى أن أمثال هذه الالتفاتات جهل بحقائق الأمور،و من مكن الشيطان و سلطه على نفسه حتى يوقع هذه الوساوس فى قلبه فهو من الجاهلين بأبواب المعارف،إذ من انكشف له أمر العالم كما هو عليه،علم أن السماء و الكواكب و الريح و الغيم و المطر و الإنسان و الحيوان...و غير ذلك من المخلوقات كلهم مقهورون مسخرون للواحد الحق الذى لا شريك له،فيعلم أن الريح مثلا هواء،و الهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك،و هذا المحرك لا يحرك الهواء ما لم يحركه على التحريك محرك آخر...و هكذا إلى أن ينتهى

إلی المحرک الأول الـذی لا محرک له و لا هو متحرک فی نفسه.و کذا الحال فی توسط غیره من الأفلاک و نجومها،و کائنات الجو،و الموجودات علی الأرض من الجماد و النبات و الحیوان.

فالتفـات العبـد فی نجاته إلی بعض الأشـیاء من الریاح و الأمطار أو الإنسان أو الحیوان یضاهی التفاوت من أخـذ لتجز رقبته،فأمر الملک کاتبه بأن یکتب توقیعا بالعفو عنه و تخلیته،فأخـذ العبـد یشـتغل بمـدح الحبر أو الکاغـد أو القلم أو الکاتب،و یقول:لو لا الخبر أو القلـم أو الکاغـذ أو الکـاتب مـا تخلصـت،فیری نجـاته من الحـبر و الکاغـذ دون القلم أو من القلم دون محرکه -أعنی الکاتب-أو من الکاتب دون الملک الذی هو محرک الکاتب و مسخره.

و من علم أن القلم لاـ حکم له فی نفسه و إنمـا هو مسـخر فی یـد الکـاتب،و أن الکـاتب لاـ حکم له و إنمـا هو مسـخر تحت ید الملـک،لم یلتفت إلی القلم و الکـاتب و لم یشـکر إلاـ الملـک،بـل ربمـا یـدهشه فرح النجـاه و شـکر الملک عن أن یخطر بباله الکاغـد و الحبر و القلم و الکـاتب. و لا ریب فی أن جمیع المخلوقات من الشـمس و القمر و النجوم و الغیم و المطر و الأرض و کل حیوان أو جماد مسـخرات فی قبضه القدره،کتسـخیر القلم فی ید الکاتب و تسخیر الکاتب فی ید السلطان بل هذا تمثیل فی حق العبد لاعتقاده أن الملک الموقع هو الکاتب حقیقه،و لیس الأمر کذلک،إذ الحق أن الکاتب هو اللّه سبحانه کما قال تعالی.

وَ مٰا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ رَمیٰ

(۱)

فمن انکشـف له أن جمیـع مـا فی السـماوات و الأـرض مسـخرات للـواجب الحـق،لم یر فی الوجود مؤثرا إلاـ هو،و انصـرف عنه الشیطان خائبا،و أیس عن مزج توحیده بهذا الشرک.

۱- ۱) الأنفال،الآیه:۱۷.

و أما من لم ينشرح بنور اللّه صدره،قصرت بصيرته عن ملاحظه جبار السماوات و الأرض و مشاهده كونه وراء الكل،فوقف فى الطريق على بعض المسخرات،و هو جهل محض.و غلطه فى ذلك كغلط النمله مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد،و لم يمتد بصرها إلى الأصابع و اليد،فضلا عن صاحب اليد،و ظنت أن القلم هو المسود للبياض،و ذلك لقصور بصرها عن مجاوزه رأس القلم لضيق حدقتها.

فصل مناجاه السر لأرباب القلوب)

قال بعض العارفين (۱):أرباب القلوب و المشاهدات قد انطلق اللّه فى حقهم كل ذره فى الأرض و السماوات بقدرته التى أنطق بها كل شىء،حتى سمعوا تقديسها و تسبيحها و شهادتها على نفسها بالعجز،بلسان الواقع الذى هو ليس بعربى و لا أعجمى و ليس فيه حرف و صوت،و لا يسمعه أحد إلا بالسمع العقلى الملكوتى دون السمع الظاهر الحسى الناسوتى،و هذا النطق الذى لكل ذره من الأرض و السماوات مع أرباب القلوب إنما هو(مناجاه السر)،و ذلك مما لا ينحصر و لا يتناهى،فإنها كلمات تستعد (۲)من بحر كلام اللّه الذى لا نهايه له:

۱- ۱) المقصود به(أبو حامد الغزالى)فى إحياء العلوم،راجع الجزء الرابع ص ۱۱۴ المطبوع بالمطبعه العثمانيه بمصر سنه ۱۳۵۲،و سترى أن هذه الفصول مقتبسه منه بتغيير فى العباره و تقديم و تأخير.و كذلك هذا الفصل المنقول عنه فيه تغيير و اختصار كثير،و صاحب الكتاب اعترف-فيما سيأتى-باقتباس هذه الفصول من الغزالى.

۲- ۲) و فى نسختنا الخطيه:(لأنها كلام يستمد)،و لكن الموجود فى المطبوعه و فى نسخه إحياء العلوم كما أثبتناه فى المتن.

قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِمٰاتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً

(۱)

.

ثم إنها لما كانت مناجيه بأسرار الملك و الملكوت،و ليس كل أحد موضعا للسر،بل صدور الأحرار قبور الأسرار،فاختصت مناجاتها بالأحرار من أرباب القلوب.و هم أيضا لا يحكون هذه الأسرار لغيرهم،إذ إفشاء السر لؤم و هل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوجى بخفاياه فينادى بها على الملإ من الخلق،و لو جاز إفشاء كل سر لما نهى النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-عن إفشاء سر القدر،و لما خص أمير المؤمنين(ع)ببعض الأسرار،

و لما قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا» بل كان يذكر لهم ذلك حتى يبكون و لا يضحكون.

فإذن عن حكايات مناجاه ذرات الملك و الملكوت لقلوب أرباب المشاهده مانعان:(أحدهما)المنع عن إفشاء السر، (ثانيهما)خروج كلماتها عن الحصر و النهايه.و نحن نحكى فى فعل الكتابه قدرا يسيرا من مناجاه بعض ما يرى أسبابا و وسائط،و إقرارها بالعجز على أنفسها،ليقاس عليه جميع الأفعال الصادره عن جميع الأسباب و الوسائط المسخره تحت قدره اللّه،و يفهم به على الإجمال كيفيه ابتناء التوكل عليه،و نرد لضروره التفهم كلماتها الملكوتيه إلى الحروف و الأصوات،و إن لم تكن أصواتا و حروفا،فنقول:

قال بعض الناظرين عن مشكاه نور اللّه للكاغد،و قد رأى وجهه أسود بالحبر:«لم سودت وجهك و قد كان أبيض مشرقا؟».

فقال:«ما سودت وجهى،و إنما سوده الحبر،فاسأله لم فعل كذا؟».

۱- ۱) الكهف،الآيه:۱۰۹.

فسأل الحبر عن ذلک،فقال:«هذا السؤال علی القلم الذی أخرجنی من مستقری ظلما».

فسأل القلم،فأحاله إلی الید و الأصابع،و هی إلی القدره و القوه،و هی إلی الإراده،معترفا کل واحد منهم بعجز نفسه،و بکونه مقهورا مسخرا تحت قهر المحال علیه من دون استطاعه لمخالفته.

و لما سأل الإراده،قالت:«ما انتهضت بنفسی،بل بعثت علی إشخاص.

القدره و إنهاضها،و بحکم رسول قاهر ورد علی من حضره القلب بلسان العقل،و هذا الرسول هو العلم،فالسؤال عن انتهاضی یتوجه علی العقل و القلب و العلم».

و لما سألها قال(العقل):«أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسی و لکننی اشعلت».

و قال(القلب):«أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسی و لکننی بسطت».

و قال(العلم):«أما أنا فنقش نقشت فی لوح القلب لما أشرق سراج العقل،و ما انتقشت بنفسی بل نقشنی غیری،فسل القلم الذی نقشنی و رسمنی علی لوح القلب بعد اشتعال سراج العقل».

و عند هذا تحیر السائل و قال:«ما هذا القلم و هذا اللوح و هذا الخط و هذا السراج؟فإنی لا أعلم قلما إلا من القصب،و لا لوحا إلا من الحدید أو الخشب،و لا خطا إلا بالحبر،و لا سراجا إلا من النار.و إنی لأسمع فی هذا المنزل حدیث اللوح و القلم و الخط و السراج،و لا أشاهد من ذلک شیئا» فقال له(العلم):«فإذن بضاعتک مزجاه،و زادک قلیل،و مرکبک ضعیف،و المهالک فی الطریق الذی توجهت إلیه کثیره،فإن کنت راغبا فی استتمام الطریق إلی المقصد،فاعلم أن العوالم فی طریقک ثلاثه: (أولها)

عـالم الملـك و الشـهاده،و لقـد كـان الكاغـد و الحبر و القلم و اليـد و الأصـابع من هـذا العالم،و قـد جاوزت تلك المنازل على سهوله، (و ثانيها)عالم الملكوت الأسـفل و هو يشـبه السـفينه التى بين الأرض و الماء،فلا هى حد اضطراب الماء،و لا هى فى حد سكون الأـرض و ثباتهـا،و القـدره و الإـراده و العلم من منـازل هـذا العالم. (و ثالثها) عالم الملكوت الأعلى،و هو من ورائى،فإذا جـاوزتنى انتهيت إلى منازله.و أول منازله القلم الـذى يكتب به العلم على لوح القلب و فى هـذا العالم المهامه الفسـيحه و الجبال الشاهقه و البحار المغرقه».

فقـال له السائل السالك:«قـد تحيرت فى أمرى و لست أدرى أنى أقـدر على قطع هـذا الطريق المخوف أم لا،فهل لـذلك علامه أعرف بها تمكنى على قطع هذا الطريق؟».

فقال:«نعم!افتـح بصـرك،و اجمع ضوء عينك و حـدقه نحوى،فإن ظهر لك القلم الذى به يكتب فى لوح القلب،فيشـبه أن تكون أهلا لهذا الطريق،فإن كل من جاوز الملكوت الأسـفل و قرع أول باب من الملكوت الأعلى كوشف بالقلم.أ ما ترى النبى-صـلى اللّه عليه و آله و سلم-كوشف به و أنزل عليه قوله تعالى:

اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ... إلى قوله: اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ (۱).

و هـذا القلم قلم إلهى ليس بقصب و لاـ خشب.أ و ما سـمعت أن متاع البيت يشـبه رب البيت؟و قـد علمت أن اللّه تعالى لا تشـبه ذاته سائر الـذوات فليس فى ذاته بجسم و لا هو فى مكان،فكـذلك لا تشـبه يـده سائر الأيدى، و لا قلمه سائر الأقلام،و لا كلامه سائر الكلام،و لا خطه سائر الخطوط.

بل هذه أمور إلهيه من عالم الملكوت الأعلى،فليست يده من لحم و عظم

۱- ۱) العلق،الآيه:۳،۱-۵.

و دم،و لا قلمه من قصب،و لا لوحه من خشب،و لا كلامه من صوت و حرف،و لا خطه من نقش و رسم و رقم،و لا حبره من زاج و عفص.فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فأنت من أهل التشبيه و التجسم و ما عرفت ربك إذ لو نزهت ذاته تعالى و صفاته عن ذات الأجسام و صفاتها و نزهت كلامه عن الحروف و الأصوات،فما بالك تتوقف في يده و قلمه و لوحه و خطه، و لا تنزهها عن الجسميه و التشبيه بغيرها؟».

فلما سمع السائل السالك من العلم ذلك،استشعر قصور نفسه و فتح بصر بصيرته،بعد الابتهال إلى ربه،فانكشف له القلم الإلهى،فإذا هو كما وصفه العلم،ما هو من خشب و لا قصب،و لا له رأس و لا ذنب،و هو يكتب على الدوام في قلوب البشر أصناف العلم،فشكر العلم و ودعه،و سافر إلى حضره القلم الإلهى،و قال له:

«أيها القلم!ما لك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادات إلى انهاض القدره و إشخاصها و صرفها إلى المقدورات؟».

فقال له(القلم الإلهى):«أ فنسيت ما رأيت في عالم الملك و سمعته من جواب القلم الآدمى حيث أحالك إلى اليد؟فجوابى مثل جوابه،فإني مسخر تحت يد اللّه تعالى الملقبه:(يمين الملك)،فاسأله عن شأني فإني في قبضته و هو الذي يرددني،و أنا مقهور مسخر،فلا فرق بين القلم الإلهى و القلم الآدمى في معنى التسخير،و إنما الفرق في ظاهر الصوره».

فقال السائل:«من يمين الملك؟».

قال القلم:«أ ما سمعت قوله تعالى:

وَ السَّمٰاوٰاتُ مَطْوِيّٰاتٌ بِيَمِينِهِ؟

(1)

.»

1- 1) الزمر،الآيه:67.

قال:«نعم!سمعته».

قال:«و الأقلام أيضا فی قبضته و هو الذی یرددها».

فسافر السائل من عنـد القلم إلی الیمین،حتی شاهـده،و رأی من عجائبه ما یزید علی عجائب القلم،و رأی أنه یمین لا کالأیمان،و یدا کالأیدی، و إصبع لا کالأصابع،فرأی القلم متحرکا فی قبضته،فسأله عن سبب تحریکه القلم فقال:«جوابی ما سمعته من الیمین التی رأیتها فی عالم الشهاده،و هو الحواله علی القدره،إذ الید لا حکم لها فی نفسها،و إنما محرکها القدره».

فسافر إلی عالم القدره و رأی فیها من العجائب ما استحقر لأجلها ما قبلها فسألها عن سبب تحریکها الیمین.

فقالت:«إنما أنا صفه فاسأل القادر،إذ العهده علی الموصوف دون الصفه».

و عند هذا کاد أن یزیغ قلب السائل،و ینطلق بالجرأه لسان السؤال، فثبت بالقول الثابت و نودی من وراء سرادقات الحضره:

لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ

(۱)

.

فغشیته دهشه الحضره،فخر صعقا فی غشیته مده،فلما أفاق قال:

«سبحانک!ما أعظم شأنک و أعز سـلطانک،تبت إلیک و توکلت علیک، و آمنت بأنک الملک الجبار الواحد القهار،فلا أخاف غیرک و لاـ أرجو سواک و لاـ أعوذ إلا بعفوک من عقابک،و برضاک من سـخطک،و ما لی إلا أن أسألک و أتضـرع إلیک،و أقول:

(اشْرَحْ لِی صَدْرِی) لا عرفک، (وَ احْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسٰانِی) (۲)لأثنی علیک.

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۲۳.

۲- ۲) طه،الآیه:۲۵،۲۷.

فنودی من وراء الحجاب:«إیاک أن تطمع فی الثناء،

فإن سید الأنبیاء -صلی اللّه علیه و آله و سلم-ما زاد فی هذه الحضره إلی أن قال: (سبحانک لا أثنی ثناء علیک کما أنت أثنیت علی نفسک) .و إیاک أن تطمع فی المعرفه

فإن سید الأوصیاء قال: (العجز عن درک الإدراک إدراک،و الفحص عن سر ذات السر إشراک). فیکفیک نصیبا من حضرتنا أنک عاجز عن ملاحظه جلالنا و جمالنا،و قاصر عن إدراک دقائق حکمنا و أفعالنا».

فعند هذا رجع السائل السالک،و اعتذر عن أسئلته و معاتبته،و قال للقدره و الیمین و القلم و العلم و الإراده و القدره و ما بعدها:«أقبلوا عذری فإنی کنت غریبا جدید العهد بالدخول فی هذه البلاد.و الآن قد صح عندی عذرکم و انکشف لی أن المتفرد بالملک و الملکوت و العزه و الجبروت هو الواحد القهار و ما أنتم إلا مسخرون تحت قهره و قدرته،مرددون فی قبضته،و هو الأول بالإضافه إلی الوجود،إذ صدر منه الکل علی ترتیبه واحدا بعد واحد، و هو الآخر بالإضافه إلی سیر المسافرین إلیه،فإنهم لا یزالون مترقین من منزل إلی منزل إلی أن یقع الانتهاء إلی حضرته،فهو أول فی الوجود و آخر فی المشاهده و هو الظاهر بالإضافه إلی من یطلبه بالسراج الذی اشتعل فی قلبه بالبصیره الباطنه النافذه فی عالم الملکوت،و هو الباطن بالإضافه إلی العاکفین فی عالم الشهاده الطالبین لإدراکه بالحواس».

و هذا هو التوحید فی الفعل للسالکین،الذین انکشف لهم وحده الفاعل بالمشاهده و استماع کلام ذرات الملک و الملکوت،و هو موقوف علی الإیمان بعالم الملکوت و التمکن من المسافره إلیه و استماع الکلام من أهله.و من کان أجنبیا من هذا العالم و لم یکن له استعداد الوصول إلیه و لم یمکنه أن یسلک السبیل الذی ذکرناه،فینبغی أن یرد مثله إلی التوحید الاعتقادی الذی

یوجد فی عالم الشهاده،و هو أن یعلم ببعض الأدله وحده الفاعل،مثل أن یقال له:إن کل أحد یعلم أن المنزل یفسد بصاحبین و البلد یفسد بأمیرین، فإله العالم و مدبره واحد،إذ:

لَوْ کٰانَ فِیهِمٰا آلِهَهٌ إِلاَّ اللّٰهُ لَفَسَدَتٰا

(۱)

فیکون ذلک علی ذوق ما رآه فی عالم الشهاده،فینغرس اعتقاد التوحید فی قلبه بهذا الطریق بقدر عقله و استعداده،و قد کلفوا الأنبیاء أن یکلموا الناس علی قدر عقولهم.

ثم الحق أن هذا التوحید الاعتقادی إذا قوی یصلح أن یکون عمادا للتوکل و أصلا فیه،إذ الاعتقاد إذا قوی عمل عمل الکشف فی إثاره الأحوال إلا أنه فی الغالب یضعف و یتسارع إلیه الاضطراب،فیحتاج إلی من یحرسه بکلامه،و أما الذی شاهد الطریق و سلکه بنفسه،فلا یخاف علیه شیء من ذلک،بل لو کشف له الغطاء لما ازداد یقینا و إن کان یزداد وضوحا.

(تنبیه)اعلم أن ما یبتنی علیه التوحید المذکور،أعنی کون جمیع الأشیاء من الأسباب و الوسائط مقهورات مسخرات تحت القدره الأزلیه ظاهر.و سائر ما أوردنا فی هذا المقام مما ذکره أبو حامد الغزالی و تبعه بعض أصحابنا«و لا إشکال فیه إلا فی أفعال الإنسان و حرکاته» (۲).فإن البدیهه تشهد بثبوت نوع اختیار له،لأنه یتحرک إن شاء و یسکن إن شاء،مع أنه لو کان مسخرا مقهورا فی جمیع أفعاله و حرکاته،لزم الجبر و لم یصح التکلیف و الثواب و العقاب.و لتحقیق هذه المسأله موضع آخر،و لا یلیق ذکرها هنا.

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۲۲.

۲- ۲) هکذا فی المطبوعه و فی نسختنا الخطیه و النسخه الأخری:«و لا ریب فی لزوم الإشکال فی أفعال الإنسان و حرکاته».

و الحق أن كل ما قيل فيها لا يخلو عن قصور و نقصان،و الأولى فيها السكوت و التأدب بآداب الشرع (۱).

و منها:

اشاره

الخواطر النفسانيه و الوساوس الشيطانيه

اعلم أن الخاطر ما يعرض فی القلب من الأفكار فإن كان مذموما داعيا إلی الشر سمی(وسوسه)،و إن كان محمودا داعيا إلی الخير سمی(إلهاما).

و توضيح ذلک:أن مثل القلب بالنسبه إلی ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب،أو حوض تنصب إليه مياه مختلفه من الجداول،أو قبه ذات أبواب يدخل منها أشخاص متخالفه،أو مرآه منصوبه تجتاز إليها صور متباينه.فكما أن هذه الأمور لا تنفک عن تلک السوانح، فكذا القلب لا ينفک عن واردات الخواطر.فلا تزال هذه اللطيفه الإلهيه مضمارا لتطاردها و معركه لجولانها و تزاحمها،إلی أن يقطع ربطها عن البدن و لذاته،و يتخلص عن لدغ عقارب الطبع و حياته.

ثم لما كان الخاطر أمرا حادثا فلا بد له من سبب،فإن كان سببه شيطانا فهو الوسوسه،و إن كان ملكا فهو الإلهام.و ما يستعد به القلوب لقبول الوسوسه يسمی إغواءا و خذلانا،و ما يتهيأ به لقبول الإلهام يسمی لطفا و توفيقا.و إلی ذلک

أشار سيد الرسل-صلی اللّه عليه و آله و سلم-بقوله: «فی القلب

۱- ۱) هذا اعتراف بالعجز و هروب من حل هذه المعضله التأريخيه فی سر الخلق،و الحل الذی لم يسبق إليه البشر حتی عند فلاسفتهم الأقدمين و المتأخرين ما قاله إمامنا الصادق(ع):«لا جبر و لا تفويض،و لكن أمر بين أمرين» فإن الفاعل الذی منه الوجود هو اللّه تعالی وحده لا شريک له فی خلقه،و الفاعل الذی به الوجود هو العبد المختار فی فعله.

لمتان (۱):لمه من الملک ایعاد بالخیر و تصدیق بالحق،و لمه من الشیطان إیعاد بالشر و تکذیب بالحق».

و بقوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قلب المؤمن بین إصبعین من أصابع الرحمن».

فصل (أقسام الخواطر و منها الإلهام)

الخاطر ینقسم إلی ما یختلج بالبال من دون أن یکون مبدأ للفعل،و هی الأمانی الکاذبه و الأفکار الفاسده،و إلی محرک الإراده و العزم علی الفعل، إذ کل فعل مسبوق بالخاطر أولا،فمبدأ الأفعال الخواطر،و هی تحرک الرغبه و الرغبه العزم،و العزم النیه،و النیه تبعث الأعضاء علی الفعل،(و الثانی) کما عرفت إن کان مبدأ للخیر یکون إلهاما و محمودا،و إن کان مبدأ للشر یکون وسواسا و مذموما.(و الأول)له أنواع کثیره:

(منها)ما یرجع إلی التمی،سواء کان حصول ما یتمناه ممکنا أو محالا، و سواء کان المتمنی حسنا محمودا أو قبیحا مذموما،و سواء کان عدمه مستندا

۱- ۱) روی الحدیث فی إحیاء العلوم ج ۲ ص ۲۳ هکذا:«فی القلب لمتان: لمه من الملک إیعاد بالخیر و تصدیق بالحق،فمن وجد ذلک فلیعلم أنه من اللّه سبحانه و لیحمد اللّه.و لمه من العدو إیعاد بالشر و تکذیب بالحق و نهی عن الخیر،فمن وجد ذلک فلیستعذ باللّه من الشیطان الرجیم»،ثم تلا قوله تعالی:الشیطان یعدکم الفقر...الآیه. و هذا الحدیث لم نعثر علیه من طرقنا،و کذا الحدیث الآتی: فی نهایه ابن الأثیر:«فی حدیث ابن مسعود:لابن آدم لمتان:لمه من الملک و لمه من الشیطان-اللمه الهمه و الخطره تقع فی القلب،أراد إلمام الملک أو الشیطان به و القرب منه».

إلی قضاء اللّه و قدره أو إلی تقصیره و سوء تدبیره فیخطر بباله أنه یا لیت لم یفعل کذا أو فعل کذا.

(و منها)ما یرجع إلی تذکر الأحوال الغالبه،إما بدون اختیاره أو مع اختیار ما،بأن یتصور ما له من النفائس الفانیه فیستر به،أو یتخیل فقده فیحزن لأجله،أو یتفکر فی ما اعتراه من العلل و الأسقام و اختلال أمر المعاش و سوء الانتظام،أو یذهب وهمه إلی حساب المعاملین أو جواب المعاندین،و تصویر إهلاک الأعداء بالأنواع المختلفه من دون تأثیر و فائده.

(و منها)ما یرجع إلی التطیر،و ربما بلغ حدا یتخیل کثیرا من الأمور الاتفاقیه الداله علی وقوع مکروه بنفسه أو بما یتعلق به،و یضطرب بذلک، و إن لم تکن مشهوره بذلک عند الناس،و ربما حدثت فی القوه الوهمیه خباثه و شیطنه تذهب غالبا إلی ما یؤذیه و یکرهه و لا یذهب إلی ما یریده و یسره، فیتخیل ذهاب أمواله و أولاده و ابتلاءه بالأمراض و الأسقام و وصول المکروه من الغیر و مغلوبیته من عدوه،و ربما حصل لنفسه نوع إذعان لهذه التخیلات لمغلوبیه العاقله للواهمه.فیعتریه نوع اضطراب و انکسار،و قلما یذهب مثل هذه القوه الوهمیه فیما یشاء و یریده من تخیل الغلبه و حصول التوسعه فی الأموال و الأولاد،بحیث یحصل لنفسه نوع إذعان لها،فتنبسط و تهتز.و هذا شر الوساوس و أردؤها،و ربما کان المنشأ لبعضها نوع اختلال فی الدماغ.

و جمیع الأنواع المذکوره بأقسامها مفسده للنفس یحدث فیها نوع ذبول و انکسار و یصدها عما خلقت لأجله.

(و منها)ما یرجع إلی التفاؤل،و هذا لیس مذموما.

و قد ورد من رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: أنه یحب التفاؤل، و کثیرا ما یتفاءل ببعض الأمور.

(و منهـا)الوسواس فی العقائـد،بحیث لاـ یؤدی إلی الشـک المزیـل للیقین، فإنه قادح فی الإیمان کما تقـدم.و مرادنا بالوسوسه و حدیث النفس فی العقائد هنا ما لا یضر بالإیمان و لا یؤاخذ به-کما یأتی-.

(تـذنیب)قـد ظهر مما ذکر:أن أکثر جولان الخاطر إنما یکون فی فائت لا تدارک له،أو فی مسـتقبل لا بد و أن یحصل منه ما هو مقدر،و کیف کان هو تضییع لوقته،إذ آله العبد قلبه و بضاعته عمره،فإذا غفل القلب فی نفس واحد عن ذکر یستفید به أنسا باللّه أو عن فکر یسـتفید معرفه اللّه لیسـتفید بـالمعرفه حبـا للّه،فهو مغبون.و هـذا إن کـان فکره و وسواسه فی المباحات،مع أن الغالب لیس کـذلک،بـل یتفکر فی وجوه الحیـل لقضـاء الشـهوات،إذ لاـ یزال ینـازع فی البـاطن کل من فعل فعلا مخالفا لغرضه،أو من یتوهم أنه ینازعه و یخالفه فی رأیه،بل یقدر المخالفه من أخلص الناس فی حبه حتی فی أهله و ولده،ثم یتفکر فی کیفیه زجرهم و قهرهم و جوابهم عما یتعللون به فی مخالفتهم فلا یزال فی شغل دائم مضیع لدینه و دنیاه.

فصل (المطارده بین جندی الملائکه و الشیاطین فی معرکه النفس)

قـد عرفت أن الوسواس أثر الشـیطان الخناس،و الإلهام عمل الملائکه الکرام.و لا ریب فی أن کل نفس فی بدو فطرتها قابله لأثر کل منهما علی التساوی،و إنما یترجـح أحدهما بمتابعه الهوی و ملازمه الورع و التقوی، فإذا مالت النفس إلی مقتضـی شـهوه أو غضب وجد الشـیطان مجالا فیدخل بالوسوسه،و إذا انصـرفت إلی ذکر اللّه ضاق مجاله و ارتحل فیدخل،الملک بالإلهام.فلا یزال التطارد بین جندی الملائکه و الشیاطین فی معرکه النفس.

لهیولانیه وجودها و قابلیتها للأمرین بتوسط قوتیها العقلیه و الوهمیه،إلی أن

يغلب أحد الجندين و يسخر مملكه النفس و يستوطن فيها،و حينئذ يكون اجتياز الثانى على سبيل الاختلاس،و حصول الغلبه إنما هو بغلبه الهوى أو التقوى فإن غلب عليها الهوى و خاضت فيه صارت مرعى الشيطان و مرتعه و كانت من حزبه،و إن غلب عليها الورع و التقوى صارت مستقر الملك و مهبطه و دخلت فى جنده،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «خلق اللّه الإنس ثلاثه أصناف:صنف كالبهائم،قال اللّه تعالى:

لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ يَفْقَهُونَ بِهٰا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لاٰ يُبْصِرُونَ بِهٰا (۱).

و صنف أجسادهم أجساد بنى آدم و أرواحهم أرواح الشياطين،و صنف كالملائكه فى ظل اللّه يوم لا ظل إلا ظله».

و لا ريب فى أن أكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين و ملكوها،و يتصرفون فيها بضروب الوساوس الداعيه إلى إيثار العاجله و إطراح الآجله.و السر فيه:

أن سلطنه الشيطان ساريه فى لحم الإنسان و دمه و محيطه بمجامع قلبه و بدنه، كما أن الشهوات ممتزجه بجميع ذلك، و من هنا

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن الشيطان ليجرى من بنى آدم مجرى الدم» ،و قال اللّه سبحانه-حكايه عن لسان اللعين-:

لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرٰاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمٰانِهِمْ

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۱۷۹.

وَ عَنْ شَمٰائِلِهِمْ

(۱)

.

فالخلاص من أیدی الشیاطین یحتاج إلی مجاهده عظیمه ریاضه شاقه،فمن لم یقم فی مقام المجاهده کانت نفسه هدفا لسهام وساوسهم و داخله فی أحزابهم

فصل (تسویلات الشیطان و وساوسه)

لما کانت طرق الباطل کثیره و طریق الحق واحده،فالأبواب المفتوحه للشیطان إلی القلب کثیره،و باب الملائکه واحده،

و لذا روی أن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-خط یوما لأصحابه خطا و قال!«هذا سبیل اللّه»،ثم خط خطوطا عن یمینه و شماله فقال:«هذه سبل علی کل سبیل منها شیطان یدعو إلیه» ،ثم تلا قوله سبحانه:

وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ

(۲)

.

ثم لسهوله میل النفس إلی الباطل و عسر انقیادها للحق تکون الطرق المؤدیه إلی الباطل التی هی أبواب الشیطان جلیه ظاهره،فکانت أبواب الشیطان مفتوحه أبدا،و الطرق المؤدیه إلی الحق التی هی باب الملائکه خفیه.

فکان باب الملائکه مسدودا دائما،فما أصعب بالمسکین ابن آدم أن یسد هذه الأبواب الکثیره الظاهره المفتوحه و یفتح بابا واحدا خفیا مسدودا،علی أن

۱- ۱) الأعراف الآیه:۱۷،۱۶.

۲- ۲) الأنعام،الآیه:۱۵۳.

اللعین ربما یلبس بین طریق الحق و الباطل و یعرض الشر فی موضع الخیر، بحیث یظن أنه لمه الملک و إلهامه،لا وسوسه الشیطان و إغواؤه،فیهلک و یضل من حیث لا یعلم،کما یلقی فی قلب العالم أن الناس لکثره غفلتهم أشرفوا علی الهلاک،و هم من الجهل موتی،و من الغفله هلکی،أ ما لک رحمه علی عباد اللّه؟أ ما ترید الثواب و السعاده فی العقبی؟فما بک لا تنبههم عن رقده الغفلات بوعظک،و لا تنقذهم من الهلاک الأبدی بنصحک؟و قد من اللّه علیک بقلب بصیر و علم کثیر و لسان ذلق و لهجه مقبوله!فکیف تخفی نعم اللّه تعالی و لا تظهرها؟فلا یزال یوسوسه بأمثال ذلک و یثبتها فی لوح نفسه، إلی أن یسخره بلطائف الحیل و یشتغل بالوعظ،فیدعوه إلی التزین و التصنع و التحسن بتحسین اللفظ،و السرور بتملق الجماعه،و الفرح بمدحهم إیاه، و الانبساط بتواضعهم لدیه،و انکسارهم بین یدیه،لا یزال فی أثناء الوعظ یقرر فی قلبه شوائب الریاء و قبول العامه،و لذه الجاه و حب الریاسه،و التعزز بالعلم و الفصاحه،و النظر إلی الخلق بعین الحقاره،فیهدی الناس و یضل نفسه و یعمر یومه و یخرب أمسه،و یخالف اللّه و یظن أنه فی طاعته،و یعصیه و یحسب انه فی عبادته،فیدخل فی جمله من قال اللّه فیهم:

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمٰالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً

(۱)

.

ص :۱۸۴

۱- ۱) الکهف الآیه ۱۰۳-۱۰۴.

و يكون

ممن قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-فيهم: «إن اللّه ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم،و«إن اللّه ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». فلا نجاه من مصائد الشيطان و مكائده إلا ببصيره باطنه نورانيه و قوه قدسيه ربانيه،كما لا نجاه للمسافر الحيران فی باديه كثيره الطرق غامضه المسلک فی ليله مظلمه إلا بعين بصيره صحيحه و طلوع شمس مشرقه نيره.

فصل (العلائم الفارقه بين الإلهام و الوسوسه)

من تمكن من معرفه الخير و الشر سهل عليه التفرقه بين الإلهام و الوسوسه و قد قيل إلهام الملک و وسوسه الشيطان يقع فی النفوس على وجوه و علامات:

(أحدها)كالعلم و اليقين الحاصلين من جانب يمين النفس و تقابله الشهوه و الهوى الحاصلان من جانب شمالها. (و ثانيها)كالنظر إلى آيات الآفاق و الأنفس على سبيل النظام و الأحكام المزيل للشكوک و الأوهام،و المحصل للمعرفه و الحكمه فی القوه العاقله هی جانب الأيمن من النفس و يقابله النظر إليها على سبيل الاشتباه و الغفله و الإعراض عنها،الناشئه منها الشبه و الوساوس فی الواهمه و المتخيله التی على الجانب الأيسر منها،فإن الآيات المحكمات بمنزله الملائكه المقدسه من العقول و النفوس الكليه،لأنها مبادئ العلوم اليقينيه،و المتشابهات الوهميات بمنزله الشياطين و النفوس الوهمانيه،لأنها مبادئ المقدمات السفسطيه. (و ثالثها)كطاعه الرسول المختار و الأئمه الأطهار فی مقابله أهل الجحود و الإنكار و أرباب التعطيل و التشبيه من الكفار.فكل من سلک سبيل الهدايه فهو بمنزله الملائكه المقدسين الملهمين للخير،و من سلک سبيل الضلال فهو بمنزله الشياطين المغوين بالشرور. «و رابعها» كتحصيل العلوم و الإدراكات التی هی فی الموضوعات العاليه و الأعيان الشريفه

كـالعلم بـاللّه و ملاـئكته و رسـله،و اليوم الآـخر،و البعث،و قيـام الساعه،و مثول الخلائق بين يـدى اللّه تعالى،و حضور الملائكه و النبيين و الشـهداء و الصالحين، فى مقابله تحصيل العلوم و الإدراكات التى هى من باب الحيل و الخديعه و السفسطه،و التأمل فى أمور الـدنيا الغير الخـارجه عن دار المحسوسـات،فـإن الأـول يشـبه الملاـئكه الروحـانيه و جنود الرحمن الـذين هم سـكان عـالم الملكوت السـماوى،و الثانى يشبه الأبالسه المطروده عن باب اللّه،الممنوعه من ولوج السماوات،المحبوسه فى الظلمات،المحرومه فى الدنيا عن الارتقاء،و المحجوبه فى الآخره عن دار النعيم.

فصل (علاج الوساوس)

الوسـاوس إن كـانت بواعث الشـرور و المعاصـى،فالعلاـج فى دفعها أن يتـذكر سوء عاقبه العصـيان و وخامه خاتمته فى الـدنيا و الآخره،و يتذكر عظيم حق اللّه و جسيم ثوابه و عقابه،و يتذكر أن الصبر عما تدعو إليه هذه الوساوس أسهل من الصبر على نار لو قـذف شـراره منهـا إلى الأرض أحرقت نبتها و جمادها فإذا تـذكر هـذه الأمور و عرف حقيقتها بنور المعرفه و الإيمان،حبس عنه الشـيطان و قطع عنه وسواسه،إذ لاـ يمكن أن ينكر عليه هـذه الأـمور الحقه،إذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك و يخيبه،بحيث يرجع هاربا خائبا.فإن التهاب نيران (١)البراهين بمنزله رجوم الشياطين،فإذا قوبلت بها وساوسهم فرت فرار الحمر من الأسد.

و إن كانت مختلجه بالبال بلا إراده و اختيار،من دون أن تكون مبادئ الأفعال،فقطعها بالكليه فى غايه الصـعوبه و الإشـكال،و قد اعترف أطباء

١- ١) و فى نسختنا الخطيه هكذا:«فإن نيرات البراهين».

النفوس بأنها الداء العضال و يتعسر دفعه بالمره،و ربما قيل بتعذره،و لكن الحق إمكانه،

لقول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من صلی رکعتین لم تتحدث نفسه فیهما بشیء غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر»، و لو لا إمکانه لم یتصور ذلک.

و السر فی صعوبه قطعها بالکلیه أن للشیطان جندین:جندا یطیر و جندا یسیر،و الواهمه جنده الطیار،و الشهوه جنده السیار،لأن غالب ما خلقتا منه هی النار التی خلق منها الشیطان،فالمناسبه اقتضت تسلطه علیهما و تبعیتهما له.

ثم لما کانت النار بذاتها مقتضیه للحرکه،إذ لا تتصور نار مشتعله لا تتحرک،بل لا تزال تتحرک بطبعها،فشأن کل من الشیطان و القوتین أن یتحرک و لا یسکن،إلا أن الشیطان لما خلق من النار الصرفه من دون امتزاج شیء آخر بها فهو دائم الحرکه و التحریک للقوتین بالوسوسه و الهیجان، و القوتان لما امتزج بغالب مادتهما-أعنی النار-شیء من الطین لم تکونا بمثابه ما خلق من صرف النار فی الحرکه،إلا أنهما استعدتا لقبول الحرکه منه،فلا یزال الشیطان ینفخ فیهما و یحرکهما بالوسوسه و الهیجان و یطیر و یجول فیهما ثم الشهوه لکون الناریه فیها أقل فسکونها ممکن،فیحتمل أن یکف تسلط الشیطان عن الإنسان فیها،فیسکن بالکلیه عن الهیجان.و أما الواهمه فلا یمکن أن یقطع تسلطه عنها،فیمتنع قطع وسواسه عن الإنسان،إذ لو أمکن قطعه أیضا بالمره،لصار اللعین منقادا للإنسان مسخرا له،و انقیاده له هو سجوده له،إذ روح السجود و حقیقته هو الانقیاد و الإطاعه،و وضع الجبهه حالته و علامته،و کیف یتصور أن یسجد الملعون لأولاد آدم علیه السلام مع عدم سجوده لأبیهم و استکباره من أن یطمئن عن حرکته ساجدا له معللا بقوله:

خَلَقْتَنِی مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

فلا یمکن أن یتواضع لهم بالکف عن الوسوسه،بل هو من المنظرین لإغوائهم إلی یوم الـدین،فلا یتخلص منه أحد إلا من أصبح و همومه هم واحد فیکون قلبه مشتغلا باللّه وحده،فلا یجد الملعون مجالا فیه،و مثله من المخلصین الداخلین فی الاستثناء (۲)عن سلطنه هـذا اللعیـن،فلاـ تظنـن أنه یخلـو عنه قلب فـارغ،بـل هـو سـیال یجری من ابن آدم مجری الـدم،و سـیلانه مثـل الهـواء فی القدح،فإنک إن أردت أن تخلی القدح عن الهواء من غیر أن تشغله بمثل الماء فقد طمعت فی غیر مطمع،بل بقدر ما یدخل فیه الماء یخلو عن الهواء، فکـذلک القلب إذا کان مشغولا بفکر مهم فی الـدین یمکن أن یخلو من جولان هذا اللعین،و أما لو غفل عن اللّه و لو فی لحظه،فلیس له فی تلک اللحظه قرین إلا الشیطان،کما قال سبحانه:

وَ مَنْ یَعْشُ عَنْ ذِکْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَیِّضْ لَهُ شَیْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِینٌ

(۳)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه یبغض الشاب الفارغ» ،لأن الشاب إذا تعطل عن عمل مباح یشغل باطنه لا بـد أن یـدخل فی قلبه الشیطان و یعیش فیه و یبیض و یفرخ،و هکـذا یتوالد نسل الشیطان توالدا أسرع من توالد الحیوانات،لأن الشیطان طبعه من النار،و الشهوه

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۲.

۲- ۲) إشاره إلی قوله تعالی: قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَغْوَیْتَنِی لَأُزَیِّنَنَّ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ إِلاّٰ عِبٰادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ الحجر الآیه:۴۰.

۳- ۳) الزخرف،الآیه ۳۵.

فی نفس الشاب کالحلفاء (۱)الیابسه،فإذا وجدها کثره تولده و تولدت النار من النار و لم تنقطع أصلا.

فظهر أن وسواس الخناس لا یزال یجاذب قلب کل إنسان من جانب إلی جانب،و لا علاج له إلا قطع العلائق کلها ظاهرا و باطنا،و الفرار عن الأهل و المال و الولد و الجاه و الرفقاء،ثم الاعتزال إلی زاویه،و جعل الهموم هما واحدا هو اللّه.و هذا أیضا غیر کاف ما لم یکن له مجال فی الفکر و سیر فی الباطن فی ملکوت السماوات و الأرض و عجائب صنع اللّه،فإن استیلاء ذلک علی القلب و اشتغاله به یدفع مجاذبه الشیطان و وسواسه،و إن لم یکن له سیر بالباطن فلا ینجیه إلا الأوراد المتواصله المترتبه فی کل لحظه من الصلوات و الأذکار و الأدعیه و القراءه.و یحتاج مع ذلک إلی تکلیف القلب الحضور، إذ الأوراد الظاهره لا تستغرق القلب،بل التفکر بالباطن هو الذی یستغرقه و إذا فعل کل ذلک لم یسلم له من الأوقات إلا بعضها،إذ لا یخلو فی بعضها عن حوادث تتجدد و تشغله عن الفکر و الذکر،کمرض أو خوف أو إیذاء و طغیان،و لو من مخالطه بعض لا یستغنی عنه فی الاستعانه فی بعض أسباب المعیشه.

فصل (ما یتم به علاج الوسواس)

لو أمکن العلاج فی القطع الکلی للوساوس فإنما یتم بأمور ثلاثه:

(الأول)سد الأبواب العظیمه للشیطان فی القلب،

و هی الشهوه، و الغضب،و الحرص،و الحسد و العداوه،و العجب،و الحقد،و الکبر، و الطمع،و البخل،و الخفه و الجبن،و حب الحطام الدنیوی الدائر،و الشوق

۱- ۱) الحلفاء:نبت أطرافه محدده کأنها سعف النخل و الخوص،ینبت فی مغایض المیاه.الواحده(حلفه و حلفاء).

إلى التزین بالثیاب الفاخره،و العجله فی الأمر،و خوف الفاقه و الفقر، و التعصب لغیر الحق،و سوء الظن بالخالق و الخلق...و غیر ذلک من رؤس ذمائم الصفات و رذائل الملکات،فإنها أبواب عظیمه للشیطان،فإذا وجد بعضها مفتوحا یدخل منه فی القلب بالوساوس المتعلقه به،و إذا سدت لم یکن له إلیه سبیل إلا علی طریق الاختلاس و الاجتیاز.

(الثانی)عماره القلب بأضدادها

من فضائل الأخلاق و شرائف الاوصاف،و الملازمه للورع و التقوی،و المواظبه علی عباده ربه الأعلی.

(الثالث)کثره الذکر بالقلب و اللسان،

فإذا قلعت عن القلب أصول ذمائم الصفات المذکوره التی هی بمنزله الأبواب العظیمه للشیطان،زالت عنه وجوه سلطنته و تصرفاته،سوی خطراته و اجتیازاته،و الذکر یمنعها و یقطع تسلطه و تصرفه بالکلیه،و لو لم یسد أبوابه أولا لم ینفع مجرد الذکر اللسانی فی إزالتها،إذ حقیقه الذکر لا یتمکن فی القلب إلا بعد تخلیته عن الرذائل و تحلیته بالفضائل،و لولاهما لم یظهر علی القلب سلطانه،بل کان مجرد حدیث نفس لا یندفع به کید الشیطان و تسلطه،فإن مثل الشیطان مثل کلب جائع،و مثل هذه الصفات المذمومه مثل لحم أو خبز أو غیرهما من مشتهیات الکلب،و مثل الذکر مثل قولک له:اخسأ.و لا ریب فی أن الکلب إذا قرب إلیک و لم یکن عندک شیء من مشتهیاته فهو ینزجر عنک بمجرد قولک:

اخسأ،و إن کان عندک شیء منها لم یندفع عنک بمجرد هذا القول ما لم یصل إلی مطلوبه. فالقلب الخالی عن قوت الشیطان یندفع عنه بمجرد الذکر،و أما القلب المملو منه فیدفع الذکر إلی حواشیه،و لا یستقر فی سویدائه،لاستقرار الشیطان فیه.و أیضا الذکر بمنزله الغذاء المقوی،فکما لا تنفع الأغذیه المقویه ما لم ینق البدن عن الأخلاط الفاسده و مواد الأمراض الحادثه،کذلک

لا ینفع الـذکر ما لم یطهر القلب عن الأخلاق الـذمیمه التی هی مواد مرض الوسواس،فالذکر إنما ینفع للقلب إذا کان متطهرا عن شوائب الهوی و منورا بأنوار الورع و التقوی،کما قال سبحانه.

إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّیْطانِ تَذَکَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ

(۱)

و قال سبحانه:

إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ

(۲)

و لو کان مجرد الذکر مطردا للشیطان لکان کل أحد حاضر القلب فی الصلاه،و لم یخطر بباله فیها الوساوس الباطله و الهواجس الفاسـده،إذ منتهی کـل ذکر و عبـاده إنما هو فی الصـلاه مع أن من راقب قلبه یجـد أن خطور الخواطر فی صـلاته أکثر من سائر الأوقـات،و ربما لا یتـذکر ما نسـیه من فضول الـدنیا إلا فی صـلاته،بل یزدحم عنـدها جنود الشـیاطین علی قلبه و یصـیر مضـمارا لجولانـهم،و یقلبونه شـمالا و یمینـا بحیث لاـ یجـد فیه إیمانـا و لاـ یقینـا و یجـاذبونه إلی الأـسواق و حسـاب المعـاملین و جواب المعانـدین،و یمرون به فی أودیه الـدنیا و مهالکهـا،و مع ذلک کله لا تظنن أن الـذکر لا ینفع فی القلوب الغافله أصـلا،فإن الأمر لیس کذلک،إذ للذکر عند أهله أربع مراتب کلها تنفع الذاکرین،إلا أن لبه و روحه و الغرض الأصلی من ذلک المرتبه الأخیره:

(الأولی)اللسانی فقط.

(الثانیه)اللسانی و القلبی،مع عدم تمکنه من القلب،بحیث احتیاج

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۲۰۱.

۲- ۲) ق،الآیه:۳۶.

القلب إلى مراقبته حتى يحضر مع الذكر،و لو خلى و طبعه استرسل فى أوديه الخواطر.

(الثالثه)القلبى الذى تمكن من القلب و استولى عليه،بحيث لم يمكن صرفه عنه بسهوله،بل احتاج ذلک إلى سعى و تکلف،کما احتيج فى الثانيه إليهما فى قراره معه و دوامه عليه.

(الرابعه)القلبى الذى يتمكن المذكور من القلب بحيث انمحى عند الذكر،فلا يلتفت القلب إلى نفسه و لا إلى الذكر،بل يستغرق بشراشره فى المذكور،و أهل هذه المرتبه يجعلون الالتفات إلى الذكر حجابا شاغلا.

و هذه المرتبه هى المطلوبه بالذات و البواقى مع اختلاف مراتبها مطلوبه بالعرض لكونها طرقا إلى ما هو المطلوب بالذات.

فصل (ما يتوقف عليه قطع الوساوس)

السر فى توقف قطع الوساوس بالكليه على التصفيه و التخليه أولا،ثم المواظبه على ذكر اللّه:إن بعد حصول هذه الأمور للنفس تحصل لقوتها العاقله ملكه الاستيلاء و الاستعلاء على القوى الشهويه و الغضبيه و الوهميه،فلا تتأثر عنها و تؤثر فيها على وفق المصلحه،فتتمكن من ضبط الواهمه و المتخيله بحيث لو أرادت صرفهما عن الوساوس لأمكنها ذلک،و لم تتمكن القوتان من الذهاب فى أوديه الخواطر بدون رأيها،و إذا حصلت للنفس هذه الملكه و توجهت إلى ضبطهما كلما أرادتا الخروج عن الانقياد و الذهاب فى أوديه الوساوس و تكرر منها هذا الضبط،حصل لهما ثبات الانقياد بحيث لم يحدث فيهما خاطر سوء مطلقا،بل لم يخطر فيهما إلا خواطر الخير من خزائن الغيب و حينئذ تستقر النفس على مقام الاطمئنان،و تنسد عنها أبواب الشيطان و تنفتح فيها أبواب

الملائکه،و یصیر مستقرها و مستودعها،فتستضاء بشروق الأنوار القدسیه من مشکاه الربوبیه،و یشملها خطاب:

یٰا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً (۱) و مثل هذه النفس أحسن النفوس و أشرفها،و تقابلها النفس المنکوسه المملوه من الخبائث الملوثه بأنواع الذمائم و الرذائل،و هی التی انفتحت فیها أبواب الشیطان و انسدت منها أبواب الملائکه،و یتصاعد منها دخان مظلم إلیها،فتملأ جوانبها و یطفئ نور الیقین و یضعف سلطان الإیمان، حتی تخمد أنواره بالکلیه،و لا یخطر فیها خاطر خیر أبدا،و تکون دائما محل الوساوس الشیطانیه،و مثلها لا یرجع إلی الخیر أبدا،و علامتها عدم تأثرها من النصائح و المواعظ،و لو أسمعت الحق عمیت عن الفهم و صمت عن السمع،و إلی مثلها أشیر بقوله سبحانه:

أَ رَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ أَ فَأَنْتَ تَکُونُ عَلَیْهِ وَکِیلاً (۲)و بقوله تعالی:

خَتَمَ اللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلیٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلیٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَهٌ

(۳)

و بقوله سبحانه:

إِنْ هُمْ إِلاّٰ کَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً

(۴)

۱- ۱) الفجر،الآیه:۲۷-۲۸.

۲- ۲) الفرقان،الآیه:۴۳.

۳- ۳) البقره،الآیه:۷.

۴- ۴) الفرقان،الآیه:۴۴.

و بقوله تعالی:

وَ سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ

(۱)

و بقوله عز و جل:

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ

(۲)

و بین هاتین النفسین نفس متوسطه فی السعاده و الشقاوه،و لها مراتب مختلفه فی اتصافها بالفضائل و الرذائل بحسب الکم و الکیف و الزمان فیختلف فیها فتح أبواب الملائکه و الشیاطین بالجهات المذکوره،فتاره یبتدئ فیها خاطر الهوی فیدعوها إلی الشر،و تاره یبتدئ فیها خاطر الإیمان فیبعثها علی الخیر،و مثلها معرکه تطارد جندی الشیاطین و الملائکه و تجاذبهما،فتاره یصول الملک علی الشیطان فیطرده،و تاره یحمل الشیطان علی الملک فیغلبه، و لا تزال متجاذبه بین الحزبین متردده بین الجندین،إلی أن تصل إلی ما خلقت لأجله لسابق القضاء و القدر.ثم النفس الأولی فی غایه الندره،و هی نفوس الکمل من المؤمنین الموحدین،و الثانیه فی نهایه الکثره و هی نفوس الکفار بأسرهم،و الثالثه نفوس أکثر المسلمین،و لها مراتب شتی و درجات لا تحصی و لها عرض عریض،فیتصل أحد طرفین بالنفس الأولی،و آخرهما بالثانیه

فصل (حدیث النفس لا مؤاخذه علیه)

قد عرفت أن الوساوس بأقسامها مشترکه فی إحداث ظلمه و کدره فی النفس،إلا أن مجرد الخواطر-أی(حدیث النفس)و ما یتولد عنه بلا

۱- ۱) یس،الآیه:۱۰.

۲- ۲) یس،الآیه:۷.

اختيار،كالميل و هيجان الرغبه-لا مؤاخذه عليهما،و لا يكتب بهما معصيه لعدم دخولهما تحت الاختيار،فالمؤاخذه عليهما ظلم،و النهى عنهما تكليف بما لا يطاق،و الاعتقاد و حكم القلب بأنه ينبغى أن يفعل هذا فيؤاخذ به لكونه اختياريا،و كذا الهم بالفعل و العزم عليه،إلا أنه إن يفعل مع الهم خوفا من اللّه و ندم عنه كتبت له حسنه،و إن لم يفعل لمانع منعه لا لخوف اللّه سبحانه كتبت عليه سيئه.

و الدليل على هذا التفصيل:أما على عدم المؤاخذه على مجرد الخاطر،

فما روى فى الكافى: «إنه جاء رجل إلى النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-فقال يا رسول اللّه!هلكت.فقال له هل أتاك الخبيث فقال لك من خلقك؟فقلت اللّه تعالى،فقال لك:اللّه من خلقه؟فقال له:أى و الذى بعثك بالحق لكان كذا.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-.ذاك و اللّه محض الإيمان» و مثله

ما روى: أن رجلا أتى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-فقال «يا رسول اللّه نافقت!فقال و اللّه ما نافقت!و لو نافقت ما أتيتنى تعلمنى،ما الذى رابك؟ أظن أن العدو الحاضر أتاك،فقال:من خلقك؟فقلت:اللّه تعالى خلقنى.

فقال لك:من خلق اللّه؟فقال:أى و الذى بعثك بالحق لكان كذا،فقال:إن الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقو عليكم،فأتاكم من هذا الوجه لكى يستزلكم،فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم اللّه وحده». و قريب منه

ما روى: أن رجلا كتب إلى أبى جعفر عليه السلام يشكو إليه لمما يخطر على باله،فأجابه فى بعض كلامه:«إن اللّه إن شاء ثبتك فلا يجعل لإبليس عليك طريقا.قد شكى قوم إلى النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لمما يعرض لهم لأن تهوى بهم الريح أو يقطعوا أحب إليهم من أن يتكلموا به،فقال رسول اللّه:أ تجدون ذلك؟قالوا:نعم!قال:و الذى نفسى بيده إن ذلك

لصريح الإيمان،فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا باللّه و رسوله و لا حول و لا قوه إلا باللّه»

و سئل الصادق عليه السلام عن الوسوسه و إن كثرت،فقال.

«لا شيء فيها،تقول لا اله الا اللّه ».

و عن جميل بن دراج قال: قلت للصادق عليه السلام:إنه يقع فى قلبى أمر عظيم،فقال: «قل لا اله الا اللّه» ،قال جميل فكلما وقع فى قلبى قلت لا اله الا اللّه ،فيذهب عنى.

و مما يدل على عدم المؤاخذه عليه و على الميل و هيجان الرغبه إذا لم يكونا داخلين تحت الاختيار

ما روى. أنه لما نزل قوله تعالى.

وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ

(۱)

جاء ناس من الصحابه إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و قالوا كلفنا ما لا نطيق،إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت فى قلبه، ثم يحاسب بذلك؟فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-.«لعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل.سمعنا و عصينا،قولوا.سمعنا و أطعنا، فقالوا.سمعنا و أطعنا،فأنزل اللّه الفرج بعد سنه بقوله تعالى.

لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا

(۲)

و ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى قوله سبحانه.

«وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ» .«إن هذه الآيه عرضت على الأنبياء و الأمم السابقه فأبوا أن يقبلوها من ثقلها،و قبلها رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و عرضها على أمته فقبلوها.فلما رأى اللّه

۱- ۱) البقره الآيه:۲۸۴.

۲- ۲) البقره الآيه:۲۸۶.

عز و جل منهم القبول على أنهم لا يطيقونها،قال.أما إذا قبلت الآيه بتشديدها و عظم ما فيها و قد عرضتها على الأمم السابقه فأبوا أن يقبلوها و قبلتها أمتك،فحق على أن أرفعها عن أمتك،و قال عز من قائل: لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها»

و ما روى عن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أنه قال «وضع عن أمتى تسع خصال:الخطأ،و النسيان،و ما لا يعلمونه،و ما لا يطيقونه،و ما اضطروا عليه،و ما استكرهوا عليه،و الطيره و الوسوسه فى التفكر فى الخلق،و الحسد ما لم يظهر بلسان أويد».

و ما روى أنه سئل الصادق عليه السلام عن رجل يجىء منه الشىء على حد الغضب يؤاخذه اللّه تعالى؟ فقال عليه السلام.«إن اللّه تعالى أكرم من أن يستغلق على عبده»، و المراد من الغضب فيه.الغضب الذى سلب الاختيار.

و بالجمله القطع حاصل بعدم المؤاخذه و المعصيه على ما لا يدخل تحت الاختيار من الخواطر و الميل و هيجان الرغبه،إذ النهى عنها مع عدم كونها اختياريه تكليف بما لا تطاق،و إن لم ينفك عن إحداث خباثه فى النفس.

و أما (1)على أنه يكتب سيئه على الاعتقاد و اللهم بالفعل و التصميم عليه مع تركه لمانع لا لخوف من اللّه،فهو أن كلا من الاعتقاد و الهم بالمعصيه فعل من الأفعال الاختياريه للقلب،و قد ثبت فى الشريعه ترتب الثواب و العقاب على فعل القلب إذا كان اختياريا،قال اللّه سبحانه:

إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً

(2)

و قال سبحانه:

1- 1) أى و أما الدليل على أنه يكتب سيئه.

2- 2) بنى إسرائيل،الآيه:38.

لاّ يُؤٰاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمٰانِکَمْ وَ لٰکِنْ یُؤٰاخِذُکُمْ بِمٰا کَسَبَتْ قُلُوبُکَمْ

(۱)

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إنما یحشر الناس علی نیاتهم» .

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا التقی المسلمان بسیفهما فالقاتل و المقتول فی النار»،قیل:یا رسول اللّه هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال:«لأنه أراد قتل صاحبه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم: «لکل امرئ ما نوی» و الآثار الوارده فی ترتب العقاب علی الهم بالمعصیه کثیره،و إطلاقها محمول علی غیر صوره الترک خوفا من اللّه،لما یأتی من أنه فی هذه الصوره تکتب بها حسنه،و کیف لا یؤاخذ علی أعمال القلوب مع أن المؤاخذه علی الملکات الردیه من الکبر و العجب و الریاء و النفاق و الحسد و غیرها قطعی الثبوت من الشرع،مع کونها أفعالا قلبیه،و قد ثبت فی الشریعه أن من وطأ امرأه ظانا أنها أجنبیه کان عاصیا و إن کانت زوجته.

و أما علی أنه یکتب حسنه علی الترک بعد الهم خوفا من اللّه،

فما روی عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-أنه قال: «قالت الملائکه:رب ذاک عبدک یرید أن یعمل سیئه و هو أبصر،فقال:راقبوه فإن عملها فاکتبوها علیه بمثلها،و إن ترکها فاکتبوها له حسنه إنما ترکها لأجلی».

و ما روی عن الإمام محمد بن علی الباقر-علیهما السلام-: «ان اللّه تعالی جعل لآدم فی ذریته من هم بحسنه و لم یعملها کتبت له حسنه،و من هم بحسنه و عملها کتبت له عشرا،و من هم بسیئه و لم یعملها لم تکتب علیه سیئه،و من هم بها و عملها کتبت علیه سیئه»،

و قوله: «لم یکتب علیه» محمول علی صوره عدم

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۲۵.

العمل خوفا من اللّه.لما تقدم من أنه إن لم يعملها لمانع غير خوف اللّه كتبت عليه سيئه.

و ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال: «ما من مؤمن إلا و له ذنب يهجره زمانا ثم يلم به و ذلك قوله تعالى:

إِلاَّ اللَّمَمَ

(۱)

و قال:«و اللمم:الرجل يلم بالذنب فيستغفر اللّه منه» ،و قد وردت بهذا المضمون اخبار أخر.

وصل (الخاطر المحمود و التفكر)

قد عرفت أن ضد الوسوسه الخاطر المحمود المستحسن شرعا و عقلا،لأن القلب إذا كان مشغولا بشيء لا يمكن أن يشغله شيء آخر،فإذا كان مشغولا بشيء من الخواطر المحموده لا سبيل للخواطر المذمومه إليه،و ربما كان للغفله التى هى ضد النيه تقابل لكل من الوسوسه و الخاطر المحمود،إذ عند الغفله لا يتحقق شيء منهما،إلا أن خلو القلب عن كل نيه و خاطر بحيث يكون ساذجا فى غايه الندره،على أن الظاهر أن مرادهم من الغفله خلو الذهن من القصد الباعث و إن كان مشغولا بالوساوس الباطله،كما يأتى تحقيقه.

ثم الخاطر المحمود إن كان قصدا و نيه لفعل جميل معين كان متعلقا بالقوه التى يتعلق هذا الفعل بها،و إلا كان راجعا إما إلى الذكر القلبى أو إلى التدبر فى العلوم و المعارف و التفكر فى عجائب صنع اللّه و غرائب عظمته، أو إلى التدبر الإجمالى الكلى فيما يقرب العبد إلى اللّه سبحانه أو ما يبعده عنه

۱- ۱) النجم،الآيه:۳۲.

تعالی،و لیس وراء ذلک خاطر محمود متعلق بالدین أو غیر ذلک من الخواطر المذمومه المتعلقه بالدنیا.

و إذا عرفت ذلک فاعلم:أنه من معالجات مرض الوسواس معرفه شرافه ضده الذی هو الخاطر المحمود،لیبعثه علی المواظبه علیه الموجبه لدفع الوساوس.و فضیله الخواطر المحموده الباعثه علی الأفعال الجمیله یأتی ذکرها فی باب النیه و ربما یعلم من بیان فضیله نفس هذه الأفعال أیضا کما یأتی ذکرها فی باب النیه،و فضیله الذکر القلبی یعلم فی باب مطلق الذکر.

أما بیان شرافه التفکر و بعض مجاریه من أفعال اللّه تعالی و الإشاره إلی کیفیه التفکر فیها و فیما یقرب العبد إلی اللّه تعالی و فیما یبعده عنه،فلنشر إلی مجمل منه هنا لتعلقه بالقوه النظریه،فنقول:

التفکر:هو سیر الباطن من المبادئ إلی المقاصد،و المبادئ :هی آیات الآفاق و الأنفس،و المقصد:هو الوصول إلی معرفه موجودها و مبدعها و العلم بقدرته القاهره و عظمته الباهره،و لا یمکن لأحد أن یترقی من حضیض النقصان إلی أوج الکمال إلا بهذا السیر.و هو مفتاح الأسرار و مشکاه الأنوار،و منشأ الاعتبار و مبدأ الاستبصار،و شبکه المعارف الحقیقه و مصیده الحقائق الیقینیه،و هو أجنحه النفس للطیران إلی وکرها القدسی،و مطیه الروح للمسافره إلی وطنها الأصلی و به تنکشف ظلمه الجهل و أستاره و تنجلی أنوار العلم و أسراره،و لذا ورد علیه الحث و المدح فی الآیات و الأخبار کقوله سبحانه:

أَ وَ لَمْ یَتَفَکَّرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ

(۱)

.»

۱- ۱) الروم الآیه:۸.

و قوله تعالی:

أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ

(۱)

و قوله تعالی:

فَاعْتَبِرُوا يٰا أُولِي الْأَبْصٰارِ

(۲)

و قوله تعالی:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

(۳)

و قوله تعالی:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ ... لَآيٰاتٍ لِأُولِي الْأَلْبٰابِ (۴)و قوله تعالی:

وَ فِي الْأَرْضِ آيٰاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ

(۵)

و قوله تعالی:

ص :۲۰۱

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۸۵.

۲- ۲) الحشر،الآیه:۳.

۳- ۳) العنکبوت،الآیه:۲۰.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۱۹۰.

۵- ۵) الذاریات،الآیه:۲۰-۲۱.

اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيٰاماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ

(١)

.

و قول رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «التفكر حياه قلب البصير»

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم: «فكره ساعه خير من عباده سنه» ،و لا ينال منزله التفكر إلا من خصه اللّه عز و جل بنور التوحيد و المعرفه،

و قوله -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أفضل العباده إدمان التفكر فى اللّه و فى قدرته»

(٢)

،و مراده من التفكر فى اللّه التفكر فى قدرته و صنعه و فى عجائب أفعاله و مخلوقاته و غرائب آثاره و مبدعاته،لا التفكر فى ذاته،لكونه ممنوعا عنه فى الأخبار،و معللا بأنه يورث الحيره و الدهشه و اضطراب العقل،

و قد ورد: «إياكم و التفكر فى اللّه،و لكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه». و اشتهر

عن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أنه قال: «تفكروا فى آلاء اللّه و لا تفكروا فى اللّه،فإنكم لن تقدروا قدره»،

و قول أمير المؤمنين عليه السلام: «التفكر يدعو إلى البر و العمل به» ،

و قوله عليه السلام: «نبه بالتفكر قلبك،و جاف عن الليل جنبك،و اتق اللّه ربك»،

و قول الباقر عليه السلام: «بإجاله الفكر يستدر الرأى المعشب»

و قول الصادق عليه السلام: «الفكر مرآه الحسنات و كفاره السيئات،و ضياء للقلوب و فسحه للخلق،و إصابه فى صلاح المعاد،و اطلاع على العواقب،و استزاده فى العلم و هى خصله لا يعبد اللّه بمثلها»،

و قول الرضا عليه السلام: «ليس العباده كثره فى الصلاه و الصوم،إنما العباده التفكر فى أمر الله عز و جل».

١- ١) آل عمران،الآيه ١٩١.

٢- ٢) روى هذه الأحاديث فى الكافى فى(باب التفكر)عن أبى عبد اللّه -عليه السلام-كما هنا.

تكمله (مجارى التفكر فى المخلوقات)

الموجودات بأسرها مجارى التفكر و مطارح النظر،إذ كل ما فى الوجود سوى واجب الوجود فهو من رشحات وجوده و آثاره فيضه و جوده،و كل موجود و مخلوق من جوهر أو عرض مجرد أو مادى،فلكى أو عنصرى، بسيط أو مركب فعل اللّه و صنعه،و ما من ذره من ذرات العالم إلا و فيها ضروب من عجائب حكمته و غرائب عظمته،بحيث لو تشمر عقلاء الأقطار و حكماء الأمصار مدى الأعصار لاستنباطها،انقضت أعمارهم دون الوقوف على عشر عشيرها و قليل من كثيرها.

ثم إن الموجودات المخلوقه منقسمه إلى ما لا يعرف أصله فلا يمكننا التفكر فيه،و إلى ما يعرف أصله و مجمله من دون معرفه تفاصيله فيمكننا التفكر فى تفصيله لتزداد لنا معرفه و بصيره بخالقه.و هو إلى ما لا يدرك بحس البصر و يسمى ب(الملكوت)،كالملائكه و الجن و الشياطين و عوالم العقول و النفوس المجرده،و لها أجناس و طبقات لا يحيط بها إلا موجدها،و إلى ما يدرك به،و له أجناس ثلاثه:عالم السماوات المشاهده بكواكبها و نجومها و دورانها فى طلوعها و غروبها،و عالم الأرض المحسوسه ببحارها و جبالها و وهادها و تلالها و معادنها و أنهارها و نباتها و أشجارها و حيوانها و جمادها،و عالم الجو المدرك بسحبه و غيومه و أمطاره و ثلوجه و شهبه و بروقه و رياحه و رعوده،و كل من هذه الأجناس الثلاثه ينقسم إلى أنواع،و يتشعب كل نوع إلى أقسام و أصناف غير متناهيه،مختلفه فى الصفات و الهيئات،و اللوازم و الآثار و الخواص، و المعانى الظاهره و الباطنه،و ليس شىء منها إلا و موجده هو اللّه سبحانه،

ص:٢٠٣

و فی وجوده و حرکته و سکونه حکم و مصالح لا تحصی.

و کل ذلک مجاری التفکر و التدبر لتحصیل المعرفه و البصیره بخالقها الحکیم و موجدها القیوم العلیم،إذ کلها شواهد عدل و بینات صدق علی وحدانیته و حکمته و کمال کبریائه و عظمته،فمن قدم قدم حقیقته،و دار عالم الوجود و فتح عین بصیرته،و شاهد مملکه ربه الودود،لظهر له فی کل ذره من ذرات الخلق عجائب حکمه و غرائب قدره،بهر منها عقله و وهمه، و حسر دونها لبه و فهمه.

ثم لا ریب فی أن طبقات العوالم المنتظمه المرتبه علی النحو الأصلح و النهج الأحسن بأمر موجدها الحکیم و مدبرها العلیم،مبتدأه فی الصدور من الأشرف فالأشرف،حتی ینتهی إلی أسفل العوالم و أخسها،و هو عالم الأرض بما فیه،و کل عالم أسفل لا قدر له بالنسبه إلی ما فوقه،فلا قدر للأرض بالنظر إلی عالم الجو،و لا للجو بالقیاس إلی عالم السماوات،و لا للسماوات بالنسبه إلی عالم المثال،و لا للمثال بالنظر إلی عالم الملکوت،و لا للملکوت بالقیاس إلی الجبروت،و لا للجمیع بالنسبه إلی ما لا سبیل لنا إلی درکه تفصیلا و إجمالا من عوالم الألوهیه،کما ظهر لعلماء الطبیعه و أهل الرصد و الهندسه،و وضح لأرباب المکاشفه و العرفان و أصحاب المشاهده و العیان.

ثم أخس العوالم الذی عرفت حاله-أعنی الأرض-لا قدر لما علی ظهرها من الحیوان و النبات و الجماد،بالنظر إلی نفسها،و لذا یفسد من أدنی تغیر لها جل ما علیها،و لکل جنس مما علیها أنواع و أقسام و أصناف غیر متناهیه. و أضعف أنواع الحیوان البعوضه و النحل و أشرف أنواعه الإنسان فنحن نشیر إلی نبذه یسیره من الحکم و العجائب المودعه فیها،و کیفیه التفکر فیها،لیقاس علیها البواقی إجمالا.فإن بیان مجاری التفکر

بأسرها فی حین المحال،و ما یمکن منه خارج عن حیطه الضبط و التدوین، و لذا تری أن البارعین من الحکماء و الفائقین من أجله العرفاء بذلوا وسعهم فی بیان مجاری التفکر و مطارحه و شرح بمجال النظر و مسارحه فسطروا فیه الأساطیر و ملأوا منه الطوامیر،و خاضوا فی غمرات بحار الأفکار و غاصوا فی تیار لجج الأنظار،و مع ذلک لم یعودوا بالنظر إلی ما هو الواقع إلا صفر الیدین و رجعوا آخر الأمر(بخفی حنین).و نحن لو تعرضنا لشرح ما یمکن لنا درکه من الحکم و الغرائب المودعه فی عضو واحد من أعضائها علی التفصیل لخرجنا عن وضع الکتاب،و ارتکبنا ما یعمل الناظرین من الإطناب،فنشیر إجمالا إلی بعض ما فیها من الحکم و العجائب،تنبیها للطالبین علی کیفیه التفکر فی الصنائع الإلهیه،فنقول:

أما(البعوض)

فانظر کیف خلقه اللّه علی صغر قدره علی شکل الفیل الذی هو أعظم الحیوانات،إذ خلق له خرطوما کخرطومه،و خلق له مع صغره جمیع الأعضاء التی خلقها للفیل بزیاده جناحین،فقسم أعضاءه الظاهره، فأنبت جناحیه و أخرج یدیه و رجلیه،و شق سمعه و بصره و دبر فی باطنه أعضاء الغذاء،و رکب فیها من القوی الغاذیه و الجاذبه و الدافعه و الماسکه و الهاضمه ما رکب فی الحیوانات العظیمه-کما یأتی فی الإنسان-ثم هداه إلی غذائه الذی هو دم الإنسان و غیره من الحیوانات،فأنبت له آله الطیران إلی الإنسان،و خلق له الخرطوم الطویل و هو محدد الرأس،و هداه إلی الامتصاص من مسام بشره الإنسان حتی یضع خرطومه فی واحد من مسامه، و یغرز فیه و یمص الدم و یتجرعه،و خلق خرطومه-مع دقته-مجوفا حتی یجری فیه الدم الصافی الرقیق و ینتهی إلی باطنه و ینتشر فی معدته و فی سائر أعضائه،و عرفه أن الإنسان یقصده بیده فعلمه حیله الهرب،و خلق له

السمع الذی یسمع به حفیف حرکه الید مع کونها بعیده منه،فیترک المص و یهرب،و إذا سکنت الید عاد،و خلق له حدقتین حتی یبصر مواضع غذائه فیقصده مع صغر حجم وجهه.و لما کانت حدقه کل حیوان صغیره بحیث لا یحتمل الأجفان لصغره،و کانت الأجفان مصقله لمرأه الحدقه عن القذی و الغبار،خلق للبعوض و الذباب و غیرهما من الحیوانات الصغیره یدین لیمسح بهما حدقتیه و یطهرهما عن الغبار و القذی،أ و لا تری الذباب أنه علی الدوام یمسح حدقتیه بیدیه.و أما الإنسان و غیره من الحیوانات العظیمه خلق لحدقتیه الأجفان حتی ینطبق أحدهما علی الآخر و أطرافهما حاده،فیجمع الغبار الذی یلحق الحدقه و یرمیها إلی أطراف الأهداب.فهذه لمعه یسیره من عجائب صنع اللّه فیه،و فیها من العجائب الظاهره و الباطنه ما لو اجتمع الأولون و الآخرون علی الإحاطه بکنهها عجزوا عن حقیقتها.

أما(النحل)

-فانظر کیف أوحی اللّه تعالی إلیها حتی اتخذت! مِنَ الْجِبالِ بُیُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمّا یَعْرِشُونَ (1)و استخرج من لعابها الشمع و العسل،و جعل أحدهما ضیاء و الآخر شفاء و انظر فی عجائب أمرها فی تناولها الأزهار و الأنهار و اجتنابها عن النجاسات و الأقذار،و فی طاعتها و انقیادها لواحد من جملتهم،و أکبرهم شخصا،و هو أمیرهم.و انظر کیف علم اللّه أمیرهم أن یحکم بالعدل و الإنصاف بینهم، حتی أنه لیقتل علی باب النفذ کل ما وقع منها علی نجاسه.ثم انظر إلی بناء بیوتها من الشمع و اختیارها من جمله الأشکال المسدس،فلا یبنی مستدیرا و لا مربعا و لا مخمسا،بل اختار المسدس لخاصیه یقصر عن درکها أفهام المهندسین،و هو أن أوسع الأشکال و أجودها المستدیر،ثم ما یقرب منه،

١- ١) النحل،الآیه:٦٨.

فإن المربع تخرج منه زوايا ضايعه،و شكل النحل مستدير مستطيل،فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغه،و لو بناها مستديره لبقيت خارج البيوت فرج ضايعه،لأن الأشكال المستديره إذا اجتمعت لم تجتمع متراصه و لا شكل فى الإشكال ذوات الزوايا يقرب فى الوسعه و الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجمله منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجه إلا المسدس،فهذه خاصيه هذا الشكل. فانظر كيف علم اللّه النحل مع صغر جرمها لطفا بها و عنايه بوجودها ليهنأ عيشها،فسبحانه ما أعظم شأنه.و ما ذكرناه قدر يسير من عجائب الحكمه المودعه فيها،و ما فيها من العجائب الظاهره و الباطنه مما لا يمكن الإحاطه به.

و أما(الإنسان)

فنقول:لا ريب فى أن أول كل إنسان قطره من ماء قذره،لو خليت بنفسها لأنتنها الهواء و أفسدها،و كانت متفرقه فى جميع أجزاء بدن الذكر، فألقى اللّه بلطائف حكمته محبه بينه و بين الأنثى و قادهما بسلاسل الشهوه إلى الاجتماع،و استخرج هذه النطفه المنتنه بحركه الوقاع و أعطى لآله الرجل قوه دافعه،و لرحم الأنثى قوه جاذبه،حتى جذبتها من فم الإحليل إلى نفسها،و امتزجت بمنى الأنثى بحيث صارتا واحده،و استقرت فى الرحم،و جعل مبدأ عقد الصوره فى منى الذكر،و مبدأ انعقادها فى منى الأنثى،فهما بالنظر إلى الجنين كالأنفحه و اللبن بالقياس إلى الجبن،و الحق إن لكل من المنيين القوه العاقده و المنعقده،إلا أن الأولى فى الذكورى و الثانيه فى الأنوثى أقوى،و إلا لم يتحدا شيئا واحدا،و لم ينعقد الذكورى حتى يصير جزءا من الولد.فلو كان مزاج الأنثى ذكوريا كما فى النساء الشريفه النفوس القويه القوى،و كان مزاج كبدها حارا،كان المنى المنفصل عن كليتها اليمنى أحر كثيرا من المنفصل عن كليتها اليسرى،فإذا اجتمعا فى الرحم،

و كان مزاج الرحم قويا فى الإمساك و الجذب،قام المنفصل عن الكليه اليمنى مقام منى الذكر فى شده قوه العقد،و المنفصل من اليسرى مقام منى الأنثى فى قوه الانعقاد،فيختلق الولد،و بهذا تتصحح ولاده مريم البتول-عليها السلام- حيث تمثل لها روح القدس بشرا سويا حسن الصوره،فمع تحقق ما ذكر لها تأيدت به-أى بروح القدس-و سرى أثر اتصالها به إلى الطبيعه و البدن و تغير مزاجها و مد جميع القوى فى أفعالها بالمدد الروحانى،فصارت أقدر على أفعالها بما لا ينضبط بالقياس.

ثم ابتدأ خلق الجنين فى استقرار الماءين فى الرحم،و شبه بالعجين إذا ألصق بالتنور،فغيره اللّه تعالى سبحانه عن حاله قليلا،كالبذر إذا نبت من الأرض،فصارت نطفه،فاستجلب دم الحيض من أعماق العروق إليها،حتى ظهرت فيها نقط دمويه منه و صارت علقه.ثم أظهر فيها حمره ظاهره حتى صار شبيها بالدم الجامد،و هيج فيها ريحا حاره فصارت مضغه.ثم أظهر فيها رسوم الأعضاء و شكلها و صورها،فأحسن تصويرها،فقسم أجزاءها المتشابهه إلى أجزاء مختلفه من العظام و الأعصاب و العروق و الأوتار و اللحم و الشحم.

ثم ركب الأعضاء الظاهره و الباطنه من اللحم و العروق و الأعصاب، فدور الرأس،و شق البصر و السمع و الفم و الأنف و سائر المنافذ،و مد اليد و الرجل،و قسم رءوسها بالأصابع و قسم الأصابع بالأنامل،و خلق كل واحد من القلب و الدماغ و الكبد و الطحال و المعده و الرئه و الرحم و المثانه و الأمعاء و غيرها من الأعضاء على شكل مخصوص،و جعل لكل واحد منها عملا معينا و فعلا مخصوصا،و جميع ذلک يحصل للجنين و هو فى ظلمه الأحشاء محبوس و فى دم الحيض مغموس،منضم فى صره،كفاه على خديه،و مرفقاه على حقويه،جمعت ركبتاه على صدره و ذقنه على رأس ركبتيه،و هو كشبه

نـائم،سـر ته متصـله بسـره أمه يمتص منهـا الغـذاء،و وجهه إلى وجهها إن كان أنثى و إلى ظهرها إن كان ذكرا.فتتوارد عليه تلك النقـوش العجيبـه و التصـويرات الغريبـه مـن غير خـبر منهـا لـه و للرحم،و لاـ للأـب و الأـم،و لاـ يرى داخـل النطفه أو الرحم و لا خارجهما نقاش يصل إليه أثر نقشه،فكأن الجنين بلسان حاله ينادى قلوب العارفين بنغمات تهيجها و ترقصـها:تصوروني في ظلمه الأحشـاء مغموسـا بـدم الحيض،كيف يظهر التخطيـط و التصوير على وجهي، فينقش النقـاش أجفاني و حـدقتي،و يصور المصور خـدى و شـفتي،و لاـ يزال يظهر على نقش بعـد نقش و صوره بعـد صوره،و لاـ أرى نقاشـا و لا مصورا، أ و لا تتعجبون من هـذا النقاش الذى لا يحتاج إلى تماس و مزاوله و لا يفتقر إلى آله و مباشـره،أ و لا تنتقلون من عجيب صنعه إلى عظيم قدرته و جسيم عظمته، أ و ليس لكم أعين بها تبصـرون أو قلوب بها تفقهون،فكيف تنظرون إلى تكون أعضائى و عجائبها و لا تعتبرون؟! فانظر الآـن-يا حبيبى-فى نبـذ من العجائب و الحكم المودعه فى بعض من هـذه الأعضاء،فتأمل فى(العظام)التى هى أجسام قويه صـلبه كيف خلقهـا من نطفه سـخيفه رقيقه،و أحكمهـا و صـلبها فى الرحم بين المياه،مع أن صـلابه المائع فى الماء محال عاده،و جعلها قوامـا و دعامه للبـدن،و لـذا صـلبها و أحكمها لئلا تنكسـر عنـد الحركات العنيفه،و قـدرها مقادير مختلفه و شـكلها على أشـكال متفاوته،ففيها صـغير و كبير و طويل و قصـير و مسـتقيم و مسـتدير و دقيق و عريض و مجوف و مصمت،على ما اقتضته الحكمه و المصـلحه،و لمـا كـان الإنسـان محتاجـا إلى الحركه،تاره بجمله بـدنه،و تاره ببعض أعضائه،لم يخلقه من عظم واحـد،بل جعل له عظامـا كثيره بينهـا مفاصـل،حتى تتيسـر له الحركه بجمله بـدنه و بعض أعضـائه،و قـدر شـكل كـل واحـد منها على وفق الحركه المطلوبه

بهـا،و مـا لم تكن فيه فائـده سوى كونه عمادا للبـدن خلقه مصـمتا،و إن جعل فيه المسام و الخلل التى لا بـد منها،و ما يحتاج إليه للحركه أيضـا،زاد فى تجويفه ليكون أخف،و جعل تجويفه فى الوسط واحـدا لئلا يحتاج فى وصول الغـذاء إليه إلى التجاويف و الخلل المتفرقه،فيصـير رخوا،بل صـلبه مع تجويفه،لئلا ينكسـر عنـد الحركات العنيفه،و ما كانت الحاجه فيه إلى الوثاقه أشد جعل تجويفه أقـل،و مـا كـان الاحتيـاج فيه إلى الخفه أكـثر جعـل تجويفه أزيـد،و جمع غـذاءه و هو المـخ فى حشوه ليغـذوه و يرطبه دائما،لئلا يتفتت بتجفيف الحركه.

ثم وصـل مفاصـلها و ربـط بعضـها بـالبعض بأوتار أنبتها من أحـد العظمين و ألصـقها بالآخر،كالرباط،و خلق فى أحـدهما زوائد خـارجه منه و فى الآـخر حفرا غـائصه فيه موافقه لشـكل الزوائـد،ليـدخل فيها و ينطبق عليها،و لـذلك لو أراد الإنسان أن يحرك جزءا من بدنه دون سائر أعضائه لم يتعسر عليه، و لو لا المفاصل لتعذر عليه ذلك.

ثـم وسـط بيـن العظـام الصـلبه و اللحـوم الرخـوه(الغضـاريف)و هى مـن العظـم ألين و من اللحم أصـلب،ليحسن اتصـال الصـلب باللين،فلا يتأذى منه،خصوصا عند الضربه و الضغطه،و ليحسن به مجاوره المفاصل المتحاكه فلا تتراض لصلابتها.

ثم انظر-يا أخى-فى(العروق)و ما فيها من العجائب و الحكم،فانها خلقت على نوعين:(أحدهما)الشـرايين:و هى العروق الضوارب المتحركه و منبتها القلب.و لما كان القلب ينبوع الحياه و منبع الروح و الحراره الغريزيه خلقت هذه العروق مبتدأه منه منتشـره فى سائر الأعضاء لإيصال الروح و الحياه منه إليها،و لها حركتان،انقباضيه يقبض بها الأبخره الدخانيه عن القلب

و انبساطيه يجذب بها صافى النسيم إليه،ليستريح،و لو لا هذا القبض و الجذب لاختنق القلب بالبخار الدخانى،و خلقت ذات صفاقين لئلا تنشق بقوه حركتها و لئلا يتحلل ما فيها من الروح،و جعل الصفاق الداخل أصلب لأنه الملاقى لقوه الحراره الغريزيه و مصادمه حركه الروح،فأوجب الحكمه الإلهيه زياده إحكامها حفظا لها عن الانشقاق،لقوه حركه الروح،و تقويه المحل الحراره الغريزيه،لئلا يتحلل شىء منها بتحلل محلها.و واحد من هذه الشرايين و يسمى الشريان الوريدى،لما كان حاملا لغذاء الريه لأن غذاءها من القلب فيغوص فيها و يصير شعبا،فخلق لذلك ذا صفاق واحد لئلا يزاحم بصلابته الريه لرخاوتها و لينها،مع عدم مصادمه لحمها له عند الحركه لكثره لينه و رخاوته.فلم تكن حاجه إلى زياده استحكامه،على أن الريه تحتاج إلى الغذاء على سبيل الترشح بسرعه و سهوله،و كثره الصلابه منافيه لذلك.

(و ثانيهما)العروق الساكنه:و تسمى الأورده،و شأنها جذب الغذاء من المعده إلى الكبد و منه إلى سائر الأعضاء،و هى ذات صفاق واحد لأنها ساكنه فلا يخشى انشقاقها.و جعل واحد منها و يسمى الوريد الشريانى ذا صفاقين لنفوذه فى التجويف الأيمن من القلب،فكان اللازم زياده وثاقته لئلا يعتريه انشقاق بقوه حركه القلب و صلابته،و هو الذى يأتى بغذاء الريه إلى القلب،و إذا خلص عن القلب و جاوزه يأخذ الشريان الوريدى منه الغذاء و يذهب به إلى الريه.

فانظر-يا أخى-إلى عجيب حكمه ربك،فإن حامل غذاء الريه ما دام نافذا فى القلب و مصادما لحركته خلق صلبا ذا صفاقين،و إذا خلص عنه إلى الريه التى لا تتحمل الصلب جعل رخوا ذا صفاق واحد،فسبحانه ما أجل شأنه و أعظم برهانه.

ثم تفکر أیها المتفکر فی(الرأس)و عجیب خلقه،حیث رکبه من عظام مختلفه الأشکال و الصور،و ألف بعضها إلی بعض حتی استوت کره کما تراه،و جعله مجمع الحواس،و لذا جعله مستدیرا،لأن المستدیر أبعد من الآفات بالقیاس إلی ذی الزاویه،و أعظم مساحه منه مع تساوی إحاطتهما و جعل استدارته إلی طول،لأن منابت الأعصاب الدماغیه موضوعه فی الطول فلو لم یتسع منبتها لازدحمت و انضغطت،و ألف قحفه (۱)من سته أعظم:

اثنان بمنزله السقف و أربعه بمثابه الجدران،و وصل بعضها ببعض بالدروز و الشؤن،و جعل الجدران أصلب من الیافوخ الذی هو السقف،لأن الصدمات علیها أکثر،و تخلخل الیافوخ مما لا بد منه لخروج الأبخره المتحلله(و عدم ثقله علی الدماغ) (۲)و فائده الدروز أن تخرج منها الأبخره المتحلله فی الدماغ لئلا یؤدی مکثها إلی الصداع و غیره من الأمراض الدماغیه،و جعل أصلب الجدران مؤخرها لأنه غائب عن البصر فلا یحرسه فاحتاج إلی زیاده وثاقه.

و خلق فیها الدماغ لینا دسما،لتنطبع فیه المحسوسات بسهوله،و لتکون الأعصاب النابته منه لزجه لئلا تنکسر،و جعل مزاجه رطبا باردا لتنفعل القوی المودعه فیه عن مدرکاتها،و لئلا یشتعل بالحراره الحاصله عن الحرکات الفکریه و جعل مقدمه الذی هو منبت الأعصاب الحسیه ألین من مؤخره الذی هو منبت أعصاب الحرکه،لأن الحرکه لا تحصل إلا بالقوه،و القوه إنما تحصل بالصلابه.ثم جلل الدماغ بغشاءین:(أحدهما)رقیق لین ملاصق

۱- ۱) القحف:العظم فوق الدماغ و ما انفلق من الجمجمه فبان قال فی القاموس:«و لا یدعی قحفا حتی یبین أو ینکسر منه شیء».

۲- ۲) هذه الجمله مطابقه لنسختنا الخطیه و المطبوعه،لکنها غیر موجوده فی النسخه الخطیه الأخری.

لجوهره،و(ثانيهما)غليظ صلب ملاصق للقحف،و هو مثقب بثقب كثيره لاندفاع الفضول منه،و انشعبت منه شعب دقاق تصعد من دروز القحف إلى ظاهره،ليتشبث بها هذا الغشاء بالقحف و لا ينفصل عنه،و جعل بين جزئى الدماغ المقدم و المؤخر حجابا لطيفا ليحجب عن مماسه الألين بالأصلب فيتأذى منه،و خلق تحت الدماغ بين الغشاء الغليظ و العظم نسيجه (1)شبيهه بالشباك،و قد تكونت من الشرايين الصاعده من القلب و الكبد إلى الدماغ،و قد فرشت هذه الشبكه تحت الدماغ،ليبرد فيها الدم الشريانى و الروح،و يتشبه بالمزاج الدماغى بعد النضج،ثم يتخلص إلى الدماغ على التدريج،و لولاه لم يصلح الدم الكبدى و الروح القلبى لكثره حرارتهما لتغذيه الدماغ،و لم يناسبا جوهره،و جعل الفرج التى بين فروع هذه الشريانات محشوه بلحم غددى لئلا تبقى خاليه،و لتعتمد عليه تلك الفروع و تبقى على أوضاعها.

ثم لما كان الدماغ مبدأ الحس و الحركه.و لم يكن لسائر الأعضاء حس و حركه بذاتها،و كان اللازم إيصالهما منه إليهما،و لم يكن ذلك ممكنا بدون واسطه فى الإيصال،فخلق(الأعصاب)من جوهره،و وصلها منه إلى سائر الأعضاء من العظام و غيرها،ليفيدها الدماغ بتوسطها حسا و حركه،و ليشد و يتقوى بها اللحم و البدن،و أيضا لم يجعلها متصله بالعظم مفرده،بل بعد اختلاطها باللحم و الرباط،لئلا يتأذى من صلابته.

ثم لما كان نزول جميع الأعصاب التى يحتاج إليها من الدماغ موجبا لثقل الرأس و عظمه،خلق اللّه من جوهر الدماغ أشبه شىء به و هو(النخاع)، و جعل فى أسفل القحف ثقبا و أخرجه منها،و خصه بالعنق و الصلب،

١- ١) الموجود فى نسختنا الخطيه:«فسحه»بدل(نسيجه).

و أخرج منه كثيرا من الأعصـاب المحتاج إليها إلى الأعضاء.فالـدماغ بمنزله العين و الينبوع للحس و الحركه،و النخاع بمثابه النهر العظيم الجارى منه، و الأعصاب كالجداول.و المنبع ألين من النهر و النهر ألين من الجداول.

ثم انظر-يـا حبيبى-كيف خلق(العين)و فتحها و أحسن شـكلها و لونها و هيئتها و رتب لها سبع طبقات و ثلاث رطوبات كل منها على شـكل خـاص و لون مخصوص،لو تغير شـىء منها عما عليه لاختل أمر الإبصار،و تأمل كيف أظهر فى حـدقتها التى بمقـدار العـدسه صوره السـماء مع اتساع أكنافها و تباعـد أقطارها،و حماها بالأجفان ليسترها و يحفظها و يصـقلها،و جعلها وقايه لها يدفع بهـا الأقـذاء عنها،و يمنعها عن وصول الغبار و الـدخان و الشـعاع إليها عنـد انطباقها،و جعل الجفن الأسـفل أصـغر من الأعلى،لأن الأعلى يستر الحـدقه تاره و يكشـفها أخرى لتحركه،و أما الأسـفل فغير متحرك،فلو زيـد على هـذا القـدر يستر شـيئا من الحـدقه دائما،و يجتمع فيه الفضول و لا تسيل ثم زين الأجفان:(الأهداب)ليمنع من الحدقه بعض الأشياء التى لا يمنعها الأجفان مع انفتاح العين-كما ترى عنـد هبوب الرياح التى يأتى بالأقـذاء-فيفتح العين أدنى فتح،و تتصل الأهداب الفوقانيه بالسـفلانيه فيحصل شـبه شباك ينظر من ورائه،فتحصل الرؤيه مع دفع القذى.

ثم انظر كيف شق(الأذن)و أودعها ما يحفظ سـمعها و يدفع الهوام عنها و جعل ثقبها محاطه بصدفه مرتفعه لئلا تتأذى من البرد و الحر و غيرهما مما يؤذى،و ليجتمع فيها الهواء المتحرك من الأصوات فينفذ فيها و يحرك الهواء الذى فى داخلها و يموجه-كما ترى من دوائر المـاء إذا وقع فيه شـىء- حتى يصل إلى العصـبه المفروشه على الصـماخ التى فيها قوه السـمع،فيـدرك الصوت.و جعل فى منفذها تجويفات و اعوجاجات كثيره لتكثر حركه ما يدب

فیها و یطول طریقها،فیتنبه صاحبها إذا قصدته دابه مؤذیه فیدفع شرها، و خلق فیها جرما نتنا عفنا لتنفر عنه الدواب المؤذیه و لا تدخلها.

ثم تأمل کیف زین الوجه ب(الحاجبین)و حسنهما بدقه الشعر و استقواس الشکل.

و زین وجه الرجل ب(اللحیه)و وجه المرأه بعدمها،و المتأمل یعرف أن اللحیه زین للرجل و شین للمرأه،و هذا من عجائب الحکمه.

و زین الوجه برفع(الأنف)من وسطه،و حسن شکله و فتح منخریه، و أودع فیهما حاسه الشم لیستدل باستنشاق الروائح علی مطاعمه و أغذیته و لیستنشق الهواء الطیب الصافی،و یدفع الهواء الحار الدخانی،و ترویحا لقلبه،و جعل له منخرین لتمیل الفضلات النازله من الدماغ غالبا إلی أحدهما،و یبقی الآخر مفتوحا،فلا تسد طرق الاستنشاق بأسرها.

ثم انظر إلی(الفم)و عجائبه و إلی اللسان و غرائبه،فإنه سبحانه لعظیم قدرته و حکمته فتح الفم،و أودعه اللسان و جعله ناطقا معربا عما فی القلب و مکنه من التکلم باللغات المتخالفه و تقطیع الأصوات و إخراج الحروف المتباینه،و جعل له قدره علی الحرکه فی مخارج مختلفه تختلف بها الحروف لیتسع طریق النطق بکثرتها.و خلق(الفکین)و رکب فیهما الأسنان لتکون آله للطحن و القطع و الکسر،فأحکم أصولها،و حسن لونها،و رتب صفوفها متساویه الرءوس متناسقه الترتیب،کالدرر المنظومه،مختلفه الأشکال باختلاف الأغراض و المقاصد،متفاوته الأوضاع بتفاوت الغایات و الفوائد و لما کان الطعام یحتاج تاره إلی الکسر و تاره إلی القطع و أخری إلی الطحن فقسم الأضراس إلی عریضه طواحن کالأضراس،و إلی حاده قواطع کالرباعیات،و إلی ما یصلح للکسر کالأنیاب.و الأضراس التی فی الفک

إلا على لما كانت معلقه جعل أصولها ثلاثه أو أربعه،و التى فى الفك الأسفل اكتفى فى أصولها باثنين أو ثلاثه لعدم الاحتياج،و جعل لسائر الأسنان أصلا واحدا لعدم ثقل فيها.ثم جعل مفصل(الفكين)متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل و يتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى،و هو ثابت لا يتحرك،فيتم الطحن بذلك.فانظر فى عجيب صنع اللّه فى هذه الرحى حيث يدور الأسفل منها على الأعلى على خلاف سائر الأرحيه،لدوران الأعلى منها على الأسفل.و الحكمه فى تحرك الأسفل دون الأعلى:أن الأعلى مجمع الدماغ و الحواس،فتحركه كان موجبا لأذيتهما و اضطرابهما،و أيضا هو مفصل الرأس و العنق،فلو تحرك لم يستحكم،مع أن الوثاقه فيه لازمه ثم لما كان مضغ الطعام محتاجا إلى تحركه فيما تحت الأسنان،فأعطى اللّه سبحانه قدره اللسان على أن يطوف فى جوانب الفم و يرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجه.و لما كان الطعام يابسا فلم يمكن ابتلاعه إلا بنوع رطوبه،فخلق تحت اللسان عينا جاريه يفيض منها اللعاب و ينصب بقدر الحاجه،حتى يعجن به الطعام و يقدر على ابتلاعه.

ثم تفكر كيف خلق(الحناجر)و هيأها لخروج الأصوات،و جعلها مختلفه الأشكال فى الضيق و السعه و الخشونه و الملاسه و الطول و القصر و صلابه الجوهر و رخاوته،حتى اختلفت بها الأصوات،فلا يتشابه صوتان،بل يظهر به بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع أصوات آحاد الناس بمجرد سماعها فى الظلمه و الغيبه.

ثم مد(العنق)و جعله مركبا للرأس،و كبه من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تجويفات و زيادات و نقصان،لينطبق البعض على البعض، و لما كان أكثر منافعه فى الحركه جعل مفاصله سلسه،و لم يجعل زوائدها المفصليه

كبيره كزوائد فقرات الصلب،لتكون حركاته أسرع،و تدارك تلك السلاسه بأعصاب و عضلات كثيره محيطه به.

ثم انظر إلى عجائب(المعده)و آلاتها التى يتم بها الأكل،فجعل سطح الفم متصلا بفم المعده بحيث كأنهما سطح واحد،حتى يحصل أولا-نوع انهضام بالمضغ،ثم هيأ(المرىء) (۱)و الحنجره،و جعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق و تنضغط حتى يهوى الطعام من دهليز المرى إلى المعده،و إذا ورد عليها لا-يصلح لأن يصير عظما و لحما و دما على هذه الهيئه،بل لا بد أن ينطبخ انطباخا تاما تتشابه أجزاؤه،فخلق اللّه المعده على هيئه قدر يقع فيه الطعام و تنغلق عليه الأبواب،و خلق فيها حراره صالحه للطبخ،و مع ذلك جعلها محاطه من جوانبها الأربعه بالحراره المنبجسه من الكبد و الطحال و الثرب و لحم الصلب،فمن هذه الحرارات ينطبخ الطعام فى المعده و ينهضم،حتى يصير كيلوسا (۲)أى جوهرا سيالا ليشبه ماء الكشك (۳)الثخين.

ثم خلق اللّه بعظيم حكمته و رأفته لإيصال صفو ما طبخ فى المعده إلى الكبد قسمين من العروق:(أحدهما)العروق المخلوقه فى تحت المعده المتصله بالمعاء المسماه ب(ماساريقا) (۴)،و جعل لها فوهات كثيره لينصب لطيف المطبوخ فيها،و(ثانيهما)العرق المسمى بباب الكبد النافذ فيه بعد تفرقه بعروق شعريه ليفيه منتشره فى اجزائه،و جعل الماساريقا متصله بباب الكبد،فإذا انصب خالص الكيلوس فى الماساريقا يوصله إلى باب الكبد،

۱- ۱) هو الخرطوم المتصل بالأوداج الأربعه إلى الحنجره.

۲- ۲) كلمه يونانيه،المراد منه هو الطعام المطبوخ فى المعده طبخا ناقصا.

۳- ۳) ماء الكشك:هو ماء الشعير.

۴- ۴) أى العروق تحت المعده المتصله بالمعاء.و الكلمه يونانيه.

و ينصب منه إلى العروق الليفيه المتفرقه فى جوهر الكبد،فتستولى قوه الكبد على هذا الكيلوس،بحيث يلاقى كله كله،و لذا يصير فعله فيه أشد و أسرع،فيمتصه و يجذبه إلى نفسه فيطبخه و يفيده الحراره و الحمره،حتى ينصبغ بلون الدم،و من هذا الطبخ يحصل شىء كالرغوه و هى(الصفراء)، و شىء كالدودى و هو(السوداء)،و شىء كبياض البيض و هو(البلغم)، و هو كما يتكون من هذا الطبخ يتكون من الطبخ الأول أيضا،و قد يصير شىء من هذا البلغم إلى الكبد مع عصاره الطعام،و يبقى المتصفى من هذه الجمله دما ناضجا ذا رطوبه مائيه منتشره فى العروق الشعريه،فلو بقيت الصفراء و السوداء و البلغم و المائيه مختلطه بالدم و لم تنفصل عنه لفسد مزاج البدن، فخلق اللّه بحكمته الكليتين و المراره و الطحال،و جعل لكل منهما عنقا ممدودا فى الكبد،و جعل عنقى الآخرين داخلا فى تجويف الكبد،و لم يجعل عنقى الكليتين داخلا فى تجويفه،بل جعلهما متصلين بالعروق الطالعه من حدبه الكبد حتى يجذبا مائيته بعد الطلوع من العروق الدقيقه التى فى الكبد،اذ لو اجتذبت قبل ذلك لغلظت و لم تخرج بسهوله عن العروق الدقيقه الشعريه.

ثم إذا انجذبت المائيه من جانب محدب الكبد من طريق العروق الطالعه منه إلى الكليتين،حملت مع نفسها من الدم ما يكون صالحا كما و كيفا لغذائهما فتغذوان الدسومه و الدمويه من تلك المائيه،و يندفع باقيها إلى المثانه،و منها إلى الإحليل.و أما(المراره)فتأخذ الرغوه الصفراويه من محدب الكبد بعنقها الذى اتصل بالكبد،و تقذفها من منفذ آخر لها إلى الأمعاء،ليلذعها بحدتها فتحركها على دفع الأثقال التى بقيت من الكيلوس بعد ذهاب صفوه إلى الكبد،فينضغط حتى تندفع منها الأثقال،و بخروجها تخرج تلك الرغوه الصفراويه،و صفرتها لذلك.و أما(الطحال)فيأخذ بعنقه المتصل بمحدب

الکبد منه الرسوب السوداوی و یحیله حتی یکتسب قبضا و حموضه،ثم یرسل منه فی کل یوم شیئا إلی فم المعده لتنبه بالجوع،فیحرک الشهوه بحموضته و قبضه،ثم یخرج بخروج الثقل أیضا.و أما(الدم)فیتوجه إلی الأعضاء و یتوزع علیها فی شعب العرق الأجوف العظیم النابت من محدب الکبد،فیسلک فی الأورده المتشعبه منه فی جداول،ثم فی سواقی الجداول، ثم فی رواضع السواقی،ثم فی العروق الشعریه اللیفیه،ثم یترشح من فوهاتها فی الأعضاء بتقدیر خالق الأرض و السماء.

و مما ذکر ظهر أنه لو حدث بواحد من المراره و الطحال و الکلیتین آفه، فسد الدم و حصلت أمراض الخلط الذی یجذبه من الکبد،فلو عرضت آفه بالمراره حدثت الأمراض الصفراویه،و لو حصلت آفه بالطحال حصلت أمراض سوداویه،و لو لم تندفع المائیه إلی الکلی بعروض آفه لها حصل مرض الاستسقاء، و أما(البلغم)فما یتکون فی الکبد أو یصیر إلیه مع عصاره الطعام انهضم فیه و صار دما،و ما بقی منه فی الأمعاء و لم ینحدر إلی الکبد انغسل بمره الصفراء التی شأنها تنقیه الأمعاء من الفضول بحرافتها و حدتها و سیلانها،و من البلغم ما یبقی فی البدن لاحتیاجه إلیه فی حرکه المفاصل و ترطیب الأمعاء،و منه ما یخرج من الفم بالقیء و البصاق أو ینحدر من الرأس إلی الفم و یخرج منه بالتنخع.

ثم انظر-یا أخی-فی(القلب)و عجائبه،حیث خلقه جسما صنوبریا و جعله منبعا لروح الحیاه،و لذا خلقه صلبا لیکون محفوظا من الواردات، و جعل هذا الروح جرما حارا لطیفا نورانیا شفافا،و جعله مطیه للنفس و قواها،و أناط به حیاه الإنسان و بقاءه،فیبقی ببقائه و یفنی بفنائه،فکل عضو

يفيض عليه من سلطان نوره يكون حيا،و إلا كان ميتا،و لذا لو حصل بعضو سده مانعه من نفوذه فيه بطل حسه و حركته،و يتوزع هـذا الروح من القلب الـذى هو منبعه إلى سائر الأعضـاء العـاليه و السافله،بوساطه سفراء الشـرايين و الأورده،فما يصـعد منه إلى الـدماغ بأيـدى خوادم الشـرايين،و يعتـدل بكسب البروده من جوهر الدماغ،ثم يفيض على الأعضاء المدركه و المتحركه منبثا فى جميع البـدن،يسـمى(روحا نفسانيا).و ما ينزل بصـحابه أمناء الأورده إلى الكبد الذى هو مبدأ القوى النباتيه،و منه يتفرق إلى سائر الأعضاء،يسـمى(روحا طبيعيا).و قـد خلق اللّه سـبحانه هذا الروح من لطائف الأمشاج الأربعه،كما خلق الأعضاء من كثائفها.و هذا الروح مثاله جرم نار السـراج،و القلب الذى محله كالمسـرجه له،و الدم الأسود الذى فى باطن القلب و يتكون هذا البخار اللطيف منه بمنزله الفتيله له،و الغـذاء له كـالزيت و الحياه الظاهره فى جميع أجزاء البـدن بسـببه كالضوء للسـراج فى جمله البيت،كما أن السـراج إذا انقطع زيته انطفأ،فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه و كما أن الفتيله قد تحترق و تصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت،فكذلك الدم الأسود الذى فى باطن القلب قد يحترق بحيث لا يقبل الغذاء الذى تبقى الروح به،كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به،و كما أن السـراج ينطفئ تاره بسـبب من داخل-كما ذكرنا-و تاره بسـبب من خارج،كهبوب ريح أو إطفاء إنسـان،فكـذلك انطفـاء الروح تـاره يكون بسـبب من داخل و تاره بسـبب من خارج،كالقتل،و كما أن انطفاء السـراج هو منتهى وقت وجوده كـذلك انطفـاء الروح هو منتهى وقت وجود الإنسان،و هو أجله الـذى أجل له فى أم الكتاب.و كما أن السـراج إذا انطفأ أظلم البيت كله كذلك الروح اذا انطفا أظلم البدن كله،و فارقته أنواره التى كان يستفيدها من الروح،و هى

أنوار الإحساسات و القدره و الإرادات و سائر ما يجمعها معنى الحياه.

ثم انظر-يا حبيبى-إن كنت من أهل اليقظه فى(اليدين)و حكمتهما، حيث طولهما لتمتدا إلى المقاصد،و عرّض الكف و وضع عليها الأصابع الخمس،و قسم كل إصبع بثلاث أنامل،و جعل الإبهام فى جانب،و البواقى فى جانب،ليدور عليها،و لو اجتمع الأولون و الآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر فى وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام من الأربع و ترتبها فى صف واحد و تفاوتها فى الطول و القصر،على أن يكون هذا الوجه أزين و أصلح منه أو مثله و شبهه فى الزينه و المصلحه لم يقدروا عليه،إذ بهذا الترتيب صلحت للقبض و الإعطاء،فإن بسطتها كانت لك طبقا تضيع عليها ما تريد،و إن جمعتها كانت لك آله للضرب،و إن نشرتها ثم ضممتها كانت آله للقبض،و إن ضممتها ضما غير تام كانت لك مغرفه،و إن وضعت الإبهام على السبابه كانت لك مخرقه،و إن بسطت الكف مع اتصال الأصابع كانت لك مجرفه و إن بسطت الكف و جمعت عليها الأصابع كانت لك محرزه،إلى غير ذلك من المنافع.

ثم خلق(الأظفار)على رءوسها،زينه للأنامل و عمادا لها من ورائها، حتى لا تنفت،و ليلتقط بها الأشياء الدقيقه التى لا تتناولها الأنامل،و ليحك بها بدنه عند الحاجه،فالظفر الذى هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان و حدثت به حكمه لكان أضعف الخلق و أعجزهم،ثم هدى(اليد)إلى موضع الحك حتى تمتد إليه و لو فى حاله النوم و الغفله،من غير حاجه إلى فحص و طلب،و لو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك.

ثم خلق(الرجلين)مركبتين من الفخذ و الساق و القدم،كل منها على شكل خاص و تركيب خاص،ليتحرك بهما الإنسان إلى أى موضع أراد،و لو

تغير شیء من الشکل أو الوضع أو الترکیب فی جزء من إجزائهما لأختل أمر الحرکه،و وضع علیهما جمله البدن و جعلهما دعامه و أساسا له و حاملین لثقله،مع خفتهما و صغر جثتهما بالنسبه إلیه،إذ حسن الترکیب و سهوله الحمل و الحرکه فی مثل هذا الخلق لا یتصور بدون ذلک.فانظر فی عجیب حکمه ربک حیث جعل الأخف و الأدق و الأصغر أساسا و حاملا للأثقل و الأغلظ و الأکبر،مع أن کل بناء یکون أساسه أکبر و أغلظ مما یبنی علیه،و کل حامل یکون أعظم جثه من المحمول،فسبحانه من خالق لا نهایه لعجائب حکمته و غرائب قدرته.

ثم خلق جمیع ذلک فی النطفه جوف الرحم فی ظلمات ثلاث،و لو کشف عنها الغطاء و امتد إلیها البصر،لکان یری التخطیط و التصویر یظهر علیها شیئا فشیئا،و لا یری المصور و لا آلته،فسبحانه من مصور فاعل یتصرف فی مصنوعه من دون احتیاج إلی مباشره آله و لا افتقار إلی مکادحه عمل.

تذنیب

ثم تأمل-أیها المتأمل-فی عجائب حکم ربک:إنه لما کبر الصبی و ضاق عنه الرحم کیف هداه السبیل إلی الخروج حتی تنکس و تحرک،و خرج من ذلک المضیق کأنه عاقل بصیر،و لما خرج و کان محتاجا إلی الغذاء و لم یحتمل بدنه الأغذیه الکثیفه للینه و رخاوته خلق له اللبن اللطیف،و استخرجه من بین الفرث و الدم،خالصا سائغا،و خلق الثدیین و جمع فیهما هذا اللبن، و أنبت منهما الحلمه علی قدر ما ینطبق فم الصبی،و هداه إلی التقامها،و فتح فیها ثقبا ضیقه جدا،حتی لا یخرج اللبن إلا بعد المص تدریجیا،لأن الطفل

لا یطیق منه إلا القلیل،ثم هداه إلی الامتصاص حتی یستخرج من مثل هذا المضیق اللبن الکثیر عند شده الجوع،و أخر خلق الأسنان إلی تمام الحولین، لأنه لا یحتاج فیهما إلیهما باللبن،و ما دام مغتذیا به لما کان فی دماغه رطوبه کثیره سلط علیه البکاء،لتسیل به تلک الرطوبه،فلا تنزل إلی بصره أو إلی غیره من أعضائه فتفسده،ثم لما کبر و لم یوافقه اللبن الخفیف و افتقر إلی الأغذیه الغلیظه المحتاجه إلی المضغ و الطحن أنبت له الأسنان عند الحاجه من دون تقدیم و تأخیر،و حنن علیه قلوب الوالدین بالقیام علی تربیته و تکفل حاله ما دام عاجزا عن تدبیر نفسه.

ثم رزقه الإدراک و الفهم و القدره و العقل علی التدریج حتی بلغ ما بلغ و أودع فی نفسه المجرده و قواها الباطنه أسرارا عجیبه تحیر طوامح العقول و تدهش منها ثواقب الأنظار و الفهوم.فانظر إلی قوه الخیال بعرضیتها الغیر المنقسمه کیف تطوی السماء و الأرض و تتحرک من المغرب إلی المشرق فی آن واحد،و إلی قوه الوهم کیف تستنبط کثره المعانی الجزئیه فی لحظه واحده، و تأخذها من حواق الأشیاء،و إلی المتخیله کیف ترکب بعضها بالبعض و تأخذ منها ما فیه الصلاح و الرشاد فی أمر المعاش و المعاد.

ثم انظر فی عجائب النفس و عالمها:من إحاطتها بالبدن کله و تدبیرها له، مع تنزهها عن صقع المکان و اتصافها بالعلم و القدره و سائر الصفات الکمالیه، و تمکنها من الإحاطه علی حقائق الأشیاء بأسرها،و تصرفها فی الملک و الملکوت بقوتها العقلیه و العملیه و مع ذلک عاجزه عن معرفه ذاتها و حقیقتها، و من تطوراتها فی الأطوار المختلفه،و تقلبها فی النشآت المتباینه،و ترقیاتها بحسب درجاتها و مقاماتها،من لدن تعلقها بالنطفه القذره إلی صیرورتها عالما ربانیا محیطا بحقائق الأشیاء متصلا بالملکوت الأعلی،و من اجتماع

عوالم السباع و البهائم و الملائكه و الشياطين فيه (۱)،و إطاعه جميع الموجودات له،حتى السباع تخضع لديه و الطيور تخفض أجنحه الذل بين يديه، و يستخدم الجن و يسخر الكواكب و روحانيتها،و من عجائب عالمه الطبع الموزون و الصوت الحسن،و علمه بصناعه الموسيقى،و استنباطه أنواع الصنائع من الأرض،و قد يتعدى إلى عالم العجيبه و الحرف الغريبه.

و منها أمر الرؤيا و إخباره بالمغيبات لاتصاله بالجواهر الروحانيه،و تأثيره فى مواد الأكوان بنزع صوره و إلباس أخرى،فيؤثر بانقطاعه إلى اللّه فى استحاله الهواء إلى الغيم و نزول الأمطار،و إزاله أنواع الأمراض،و إهلاك قوم و إنجائهم،و تمكنه من فعل أو تحريك يخرج عن وسع مثله،و إمساكه عن القوت مده غير معتاده،و اقتداره على إظهار بدنه المثالى فى مواضع مختلفه فى وقت واحد،و إحضاره ما يريده من المطاعم و الملابس،و مصاحبته مع الملائكه و أخذ العلوم منهم.فانظر-يا أخى-إن كنت من أهل اليقظه إلى قدره ربك العظيم حيث أودع جميع ذلك فيما عرفت حاله من النطفه السخيفه القذره،و هذه النطفه هى التى قد تصير ملكا شديد الهمه و البطش مسخرا للربع المسكون،بحيث ينوط به انتظام النوع و اختلاله،و قد يصير بحيث تظهر منه خوارق العادات و غرائب المعجزات فى عالم الأرض،و قد يتعدى إلى عالم الأفلاك،فينشق القمر و يرد الشمس.

و ليت شعرى إن الناس كيف يتعجبون من صيروره الميت حيا،مع أنه جثته كانت موجوده و إنما أفيض عليه مجرد حس و حركه،و لا يتعجبون من بلوغ قطره ماء قذره إلى المراتب التى عرفتها.و ليس المنشأ لذلك إلا كثره مشاهدتهم و تكرر ملاحظتهم له مع أن هذا لا يدفع العجب و الغرابه لو

ص: ۲۲۴

۱- ۱) تذكير الضمير هنا و فيما يأتى باعتبار الإنسان،و تقدم مثله صفحه(۱۱).

نظروا بعين العبره و البصيره،إذ منشأهما إما عظم الصنع و حسن الإبداع، فهما فى بلوغ النطفه إلى المراتب المذكوره أقوى و أشد من إحياء ميت،أو دلاله هذا الصنع و الفعل على صانع حكيم و فاعل عليم،فلا ريب أيضا فى أن دلاله الأول على ذلك أشد من دلاله الثانى عليه،إذ كل من رزق أدنى حظ من البصيره يعلم أن بلوغ قطره ماء قذره إلى المراتب المذكوره ليس إلا من قدره قادر حكيم و صنع صانع عليم،أو من حدوث الفعل من دون مشاهده سبب مباشر،فهذا فى أمر النطفه أظهر،و على أى تقدير كان يكون التعجب و الغرابه فى بلوغ النطفه السخيفه القذره إلى المراتب المذكوره أشد و أحرى من التعجب فى إحياء ميت أو إبراء أكمه أو أبرص أو تكلم حيوان أو نبات أو جماد أو غير ذلك من خوارق العادات و غرائب المعجزات،فالنظر الذى لا يقتضى منه العجب إنما هو نظره حمقاء لم ينشأ عن حقيقه الروايه و الاتقان و لم يصدر عن ذى قلب يقظان.و بالجمله:الحكم و العجائب المودعه فى النشأه الإنسانيه أكثر من أن تحصى.و إنما أشرنا إلى نبذه قليله منها تبصره لمن استبصر،و تنبيها على كيفيه التفكر فى سائر مجارى الفكر و النظر،

قال الإمام أبو عبد اللّه الصادق(ع): «إن الصوره الإنسانيه أكبر حجه للّه على خلقه،و هى الكتاب الذى كتبه بيده،و هى الهيكل الذى بناه بحكمته،و هى مجموع صور العالمين،و هى المختصر من العلوم فى اللوح المحفوظ،و هى الشاهد على كل غائب،و هى الحجه على كل جاحد،و هى الطريق المستقيم إلى كل خير، و هى الصراط الممدود بين الجنه و النار».

و إذا عرفت نبذا من عجائب نفسك و بدنك،فقس عليه عجائب الأرض التى هى مقرك،بوهادها،و تلالها،و سهلها،و جبالها،و أشجارها،و أنهارها،و بحارها

و أزهارهـا،و برارهـا،و عمارهـا و مـدنها،و أمصارهـا،و معادنها،و جمادها، و حيوانها،و نباتها،فإن كل ما نظرت إليه منها لو تأملته لوجدته مشتملا على غرائب حكم لا تعد و عجائب مصالح لا تحد،و لرأيته آيه باهره على عظمه مبدعه و حجه قاطعه على جلاله موجده.

فانظر-أولا-إلى(رواسى الجبال)و شوامخ الصم الصلاب،

كيف أحكم بها جوانب الأرض و أودع المياه تحتها،فانفرجت من هـذه الأحجار اليابسه و التربه الكدره مياه عذبه صافيه،و أودع فيهـا الجواهر النفيسه العـاليه و هـدى النـاس إلى اسـتخراجها و اسـتعمالها فيمـا ينبغى،و خلق فى الأرض معـادن يحتاج إليها نوع الإنسـان،و لو فقـد واحـدا منهـا لم يتم انتظامه،و لم يترك معموره لم يكن فى قربها هـذه المعادن،و جعل ما يكون الاحتياج إليه أشد و أكثر أعم وجودا و أقرب مسافه،كالملح و مثله.

ثم انظر إلى(أنواع النبات)

بكثرتها و اختلافها فى الإشـكال و الألوان و الطعوم و الروائـح و الخواص و المنافع،فهـذا يغـذى،و هـذا يقوى،و هـذا يقتل،و هذا يحيى،و هذا يسخن،و هذا يبرد،و هذا يجفف،و هذا يرطب و هذا يسهر،و هذا ينوم،و هذا يحزن،و هذا يفرح...إلى غير ذلك من المنـافع المختلفه و الفوائـد المتبـاينه،مع اشتراكهـا فى السـقى من مـاء واحـد، و الخروج من أرض واحـده.(فـإن قلت):اختلافها لاختلاف بذورها، (قلنا):متى كانت فى النواه نخله مطوقه بعناقيد الرطب؟و متى كانت فى حبه واحده سـبع سـنابل فى كل سـنبله مـائه حبه؟و انظر إلى كـل شـجر و نبت إذا أنزل عليهـا المـاء كيـف يهـتز و يربـو و يخضـر و ينمـو بجميـع أجزائه من الأصول و الأغصان و الأوراق و الأثمار على نسـبه واحده،من غير زياده لجزء على آخر لوصول الماء إليها على نسـبه واحده و قسـمته عليها بالسويه،فمن هذا القاسم

العدل فی فعل ما لیس له شعور و لا إدراک؟فتبا لأقوام یسندون هذه الحکم المتقنه الظاهره و المصالح المحکمه الباهره إلی ما لا خبر له بوجوده و ذاته و لا بأفعاله و صفاته.

ثم انظر إلی(أنواع الحیوانات)

و أصنافها و کثرتها و اختلافها:من الطیور و الوحوش و السباع و البهائم،کیف هدی اللّه کل واحد منها إلی ترتیب المنزل و تحصیل القوت،و جعل ما لا یتم معاش الإنسان بدونه من الإنعام و البهائم مأنوسا به غیر متوحش عنه،و غیره وحشیا عنه غیر ألف به،و جعل فی کل منها من عجائب الحکم و غرائب المصالح ما تتحیر منه العقول،فمن ذا الذی یقدر أن یحیط بعجائب خلق العنکبوت و النحله-بل البقه و النمله- و غرائب أفعالها مع کونها من صغار الحیوانات،من وضع منازلها و جمیع أقواتها و ادخارها لنفسها و هدایتها إلی حوائجها؟فأی مهندس یقدر علی رسم بیوت النحل و العنکبوت علی هذا التناسب الهندسی؟و انظر کیف جعل العنکبوت بیته شبکه لیصید بها البق و الذباب.و بالجمله:کل شخص من الحیوان أودع فیه من العجائب ما لا یمکن وصفه،و کل أحد إنما یدرک قدر ما یصل إلیه فهمه.

ثم انتقل من عالم الأرض إلی(عالم البحر)و عجائبه من الحیوانات و الجواهر و النفائس،فإن العجائب المودعه فیه أضعاف عجائب الأرض،کما أن سعته أضعاف سعته،و کل حیوان یوجد فی الأرض یوجد فیه،و فیه حیوانات أخر لیس لها نظیر فی البر أصلا،و قد یوجد فیه من الحیوانات ما عظمه بقدر جزیره عظیمه،و کثیرا ما ینزل الرکبان علیه فیتحرک.أو من عجائبه خلق اللؤلؤ فی صدفه تحت الماء و إنبات المرجان من صم الصخور تحته،مع کونه علی هیئه شجر ثابته نامیه...و قس علیه الغیر و سائر النفائس التی یقذفها البحر و تستخرج منه.و بالجمله عجائب البحر أضعاف عجائب البر،و قد صنف

جماعه فيها مجلدات من الكتب،و مع ذلك لم يأتوا إلا باليسير،و لم يذكروا إلا قليلا من كثير.

ثم انتقل إلى(عالم الجو)و عجائبه.من السبح و الغيوم و الأمطار و الثلوج و الشهب و البروق و الصواعق و الرعود،فانظر إلى السحاب الخفيف مع رخاوته كيف يحمل الماء الثقيل و يسكن فى جو صاف لا يتحرك إلا أن يأذن اللّه سبحانه فى إرساله الماء،و تقطيع القطرات كل قطره بالقدر الذى شاء و أراد،فينزل قطرات متفاصله لا تدرك قطره منها أخرى،و لا يتقدم المتأخره و لا يتأخر المتقدم،حتى يصيب الأرض قطره قطره،و عين كل قطره لجزء من الأرض أو قوتا لحيوان معين،و لو كنت-يا حبيبى-ذا قلب لشاهدت فى كل قطره خطا إليها مكتوبا بقلم إلهى:إنه يصيب الجزء الفلانى من الأرض،أو رزق للحيوان الفلانى فى الموضع الفلانى.

ثم ارفع رأسک إلى هذا(السقف الأخضر)

قائلا:سبحانک!ما خلقت هذا باطلا.و انظر إلى هذه الأجرام النوريه و عجائبها،و اصرف برهه من وقتک فى الفحص عن حقائق غرائبها:من الشمس و إضاءتها عالم الأكوان، و القمر و اختلاف تشكلاته فى الزياده و النقصان،و سائر الأنجم الدائره، و الكواكب الثابته و السائره،و اختلاف صورها و أشكالها و مقاديرها و أوضاعها،و تفاوت مشارقها و مغاربها،و تباين منازلها و مواضعها،و اجتماعها و اتصالها،و تفرقها و انفصالها،و طلوعها و أفولها،و كسوفها و خسوفها، و انتظام حركاتها و اتساق دورانها،و حسن وضعها و ترتيبها و عجيب نضدها و ترصيعها،بحيث حصل من كيفيه نضدها و وضعها صور جميع الحيوانات:

من العقرب و الحمل و الثور و الجدى و الإنسان و الحوت و السرطان،بل صور

غير الحيوان:من السنبله و الميزان و القوس و الدلو و غير ذلك.حتى ما من صوره فى الأرض إلا و لها تمثال فى السماء أ يظن عاقل أن وضع هذه الكواكب على هذه الصوره و اختلاف بعضها فى اللون:ككموده زحل، و حمره المريخ،و قلب العقرب،و صفره عطارد،و رصاصيه الزهره و المشترى،بمجرد الاتفاق،و ليس لخالقها فى ذلك حكمه و مصلحه فما أشد جهلا و حمقا من توهم ذلك!

ثم انظر إلى حركه(الشمس)

يسير فلكها و إتمامها الدور بهذا السير فى سنه،و به تقرب من وسط السماء و تبعد عنه،و بسير آخر تطلع و تغرب فى كل يوم و تتم الدور بيوم و ليله،فلو لا سيرها الأول الموجب لغايه قربها إلى وسط السماء مده،و غايه بعدها عنه تاره،و توسطها بين الغايتين مرتين، لم تحصل الفصول الأربعه الموجبه لنشوء النباتات و الثمار و نضجها و بلوغها إلى غاياتها المطلوبه،و لو لا سيرها الثانى لم يختلف الليل و النهار،فلم يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحه،و لم تعرف المواقيت من الشهور و الأعوام و الساعات و الأيام.و تأمل فى أنه لو لم تكن السماوات مستديره و حركاتها دوريه،لم يتم شىء من الفوائد و الحكم المطلوبه من الحركه و الزمان و ما ارتبط بها من أمور العالم السفلى.

ثم انظر إلى عظم أقدار هذه الأجرام السماويه،

حتى لا قدر لجميع العوالم السفليه من الأرض و البحار و عالم الجو بالنسبه إليها،فلا يمكن أن يقال جميع ذلك بالنسبه إليها،بل بالنسبه إلى فكل الشمس فقط-مثلا-كنسبه قطره إلى البحر المحيط،و قد قال المهندسون:إن جرم كوكب الشمس فقط مائه و نيف و ستون ضعف الأرض بجميعها،بل قال بعضهم أكثر من ذلك، و مع ذلك بينوا أن ثخن فلك المريخ ثلاثه أمثال غلظ فلك الشمس،مع

ما فيه من أفلاك الزهره و عطارد و القمر و العناصر الأربعه،ثم أصغر كوكب تراه فى السماء هو مثل جميع الأرض ثمانى مرات،و أكبرها ينتهى إلى قريب من مائه و عشرين مثلا للأرض.

ثم انظر مع هذا العظم إلى سرعه حركتها و خفتها،

فإن شده سرعه حركتها مما لا يمكن دركها،إلا أنك لا تشك فى أن كل جزء من الفلك فى لحظه يسيره يسير مقدار عرض كوكب،و الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه فى غايه القله.و قد علمت أن هذا الكواكب إما مثل الأرض مائه و نيف و ستين مره أو أكثر أو مائه و عشرين مره أو مائه مره،و الأقل قدرا أن يكون مثلها ثمانى مرات،فقد دار كل جزء من الفلك فى هذه اللحظه مثل الأرض مائه و سبعين مره أو مائه و عشرين مره.و قد عبر روح الأمين عليه السلام عن سرعه حركه الفلك،إذا

قال سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «هل زالت الشمس؟»قال:لا-نعم!فقال له:كيف تقول لا-نعم!فقال:من حيث قلت:لا،إلى أن قلت نعم،سارت الشمس مسيره خمسمائه عام.

فتيقظ-يا أخى-من نوم الطبيعه،و تأمل من الذى حرك هذه الأجسام الثقيله العظيمه بهذه الحركه السريعه الخفيفه،و أدخل صورتها مع اتساع أكنافها فى حدقه العين بصغرها،و تفكر من ذا الذى سخرها و أدار رحاها، فقل: بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرٰاهٰا وَ مُرْسٰاهٰا ،و لو نظرت إليها بعين البصيره،لعلمت أنها عباد طائعون خاضعون،و عشاق إلهيون والهون،و بإشاره من ربهم إلى يوم القيامه رقاصون دائرون.

و بالجمله:لو نظرت بعين العبره فى ذرات الوجود لا تجد ذره من ملكوت السماوات و الأرض إلا و فيها غرائب حكمه يكل البيان عن وصفها،و لو

كـان لـك قلب و ألقيت السـمع و أنت شـهيد،لعلمت أن جميع ذرات الكائنات شواهـد ظاهره و آيات متظافره على عظمه ربك الأعلى،و ما من ذره إلا و هى بلسان حالها ناطقه و عن جلاله بارئها مفصحه،قائله لأصحاب الشهود بحركاتها و سكناتها،و مناديه لأربـاب القلوب بنغماتهـا:أ و مـا تنظرون إلى خلقى و تكوينى و تصويرى و تركيـبى و اختلاـف صـفاتى و حالاـتى و تحولى فى أطوارى و تقلباتى؟أ و لا تشاهـدون كثره فوائـدى و منافعى و غرائب حكمى و مصالحى؟أ تظنون أنى تكونت بنفسـى أو خلقنى أحد من جنسـى؟أو تسـتحيون تنظرون فى كلمه مرقومه من ثلاثه أحرف،فتجزمون أنها صـنعه آدمى مريد عالم و متكلم قادر،ثم تنظرون إلى عجـائب الخطوط الإلهيه المرقومه على صـفحات وجهى و العجائب الربانيه المودعه فى باطنى و ظاهرى،و مع ذلك عن عظمه ربى غافلون و عن علمه و حكمته ذاهلون؟!

تتميم

قـد دريت إجمالا أن التفكر النافع محصور بين التفكر فى صـفات اللّه و عجائب أفعاله،و التفكر فى ما يقرب العبد إلى اللّه ليفعله و فيمـا يبعـده عنـه ليـتركه.و غير ذلـك من الأفكـار ليس نافعـا و لاـ متعلقـا بالـدين.مثال ذلـك أن حـال السـائر إلى اللّه الطـالب للقـائه،كحال العاشق المسـتهتر،فكما أن تفكره لا يتجاوز عن التفكر فى معشوقه و جماله و فى صـفاته و أفعاله و فى أفعال نفسـه الـتى تقربه منه و تحببه إليه ليتصف بهـا،أو الـتى تبعـده عنه و تسـقطه عن عينه ليتنزه عنهـا،و لو تفكر فى غير ذلـك كـان نـاقص العشق،كـذلك المحب الخـالص للّه ينبغى أن يحصـر فكره فى اللّه و فى صـفاته و أفعـاله و فيمـا يقربه منه و يحببه اليه أو يبعـده عنه،و لو تفكر فى غير ذلك كان كاذبا فيما يدعيه من الشوق و الحب

ثم التفکر فی ذات اللّه،بـل فی بعض صـفاته مما لا یجوز،و قـد منعته الشـریعه الحقه الإلهیه و الحکمه المتعالیه الحقیقیه،لأن ذاته أجل من أن تکون مرقی لأقـدام الأفهام،أو مرمی لسـهام الأوهام،فطرح النظر إلیه یورث اختلاط الـذهن و الحیره،و جولان الفکر فیه یوجب اضـطراب العقل و الـدهشه و بعض الصـدیقین المتجردین عن جلباب البـدن لو أطاقوا إلیه مد البصـر فإنما هو کالبرق الخاطف،و لو تجاوزوا عن ذلک لاحترقوا من سبحات وجهه.

و حال الصدیقین فی ذلک کحال الإنسان فی النظر إلی الشـمس،فإنه و إن قدر علی مد البصر إلیها،إلا أن إدامته یورث الضعف و العمش،بل لا مشابهه بین الحالین،و إنما هو مجرد تقریب و تفهیم،فإن المناسـبه بین نور الشمس و نور البصر فی الجمله ثابته،و أین مثل هذه المناسـبه بین نور البصر و نور الأنوار القاهر علی کل نور بالإحاطه و الغلبه،و ما من نور إلا و هو منبجس من نوره و مترشح عن ظهوره،فکل نور فی مرتبه نوره زائل،و کل ظهور فی جنب ظهوره و شروقه مضمحل باطل.

و لما کان التفکر فی ذاته تعالی مذموما،فانحصر التفکر الممدوح فی التفکر فی عجائب صنعه و بدائع خلقه-و قد تقدم-و فی ما یقرب العبـد إلی اللّه من الفضائـل الخلقیه و الطاعـات العضویه،و مـا یبعـده عنه من الملکـات الباطنه و المعاصـی الظاهره.و هـذه الملکات و الأفعال هی المعبر عنها بالمنجیات و المهلکات و الطاعات و السـیئات التی تذکر فی هذا الکتاب و فی غیره من کتب الأخلاـق،و المراد بـالتفکر فیهـا ههنـا أن یتفکر العبـد فی کـل یوم و لیله فی وقت واحـد أو أوقـات متعـدده فی أخلاقه الباطنه و أعمـاله الظـاهره، و یتفحص عن حـال قلبه و أعضائه،فإن وجـد قلبه مسـتقیما علی جاده العـداله متصـفا بجمیع الفضائل الخلقیه و مجتنبا عن الرذائل الباطنه،و وجد أعضاءه

ملازمه للطاعات و العبادات المتعلقه بها تارکه للمعاصی المنسوبه إلیها،فلیشکر اللّه علی عظیم توفیقه،و إن وجد فی قلبه شیئا من الرذائل أو رآه خالیا عن بعض الفضائل،فلیبادر إلی العلاج بالقوانین المقرره،بعد التفکر فی سوء خاتمته و أدائه إلی مقت اللّه و هلاکه،و کذلک إن عثر بالتفکر علی صدور معصیه أو ترک طاعه منه فلیتدارکه بالندم و التوبه و قضاء تلک الطاعه.

و لا ریب فی أن هذا القسم من التفکر له مجال متسع و القدر الضروری منه یستغرق الیوم بلیلته،و الاستقصاء فیه خارج عن حیطه شهر و سنه،إذ اللازم منه أن یتفکر فی کل یوم و لیله فی کل واحد من الملکات المهلکه:

من البخل،و الکبر،و العجب،و الریاء،و الحقد،و الحسد.و الجبن،و شده الغضب و الحرص و الطمع و شره الطعام و الوقاع،و حب المال،و حب الجاه، و النفاق،و سوء الظن،و الغفله،و الغرور...و غیر ذلک.و ینظر بنور الفکره و البصیره فی زوایا قلبه،و یتفقد منها هذه الصفات،فإن وجدها بظنه خالیه عنها،فلیتفکر فی کیفیه امتحان القلب و الاستشهاد بالعلامات الداله علی البراءه الیقینیه،فإن النفس قد تلبس الأمر علی صاحبها:فإن ادعت البراءه من الکبر،فینبغی أن یمتحن بحمل قربه ماء أو حزمه حطب فی السوق، فإن ادعت البراءه من الغضب فلیجرب بإیقاعها فی معرض إهانه السفهاء، و هکذا فلیمتحن فی غیرهما من الصفات بالامتحانات التی کان الأولون و السلف الصالحون یجربون بها أنفسهم،حتی یطمئن بانقطاع أصولها و فروعها من قلبه.و لو وجد بالامتحان أو تصریح المشاهده و العیان شیئا منها فی قلبه.

فلیتفکر فی کیفیه الخلاص من المعالجه بالضد أو بالموعظه و النصیحه و التوبیخ و الملامه،أو ملازمه أولی الأخلاق الفاضله و مجالسه أصحاب الورع و التقوی، أو بالریاضه و المجاهده و غیر ذلک.فإن نفع شیء منها فی الإزاله بالسهوله

فلیحمد اللّه علی ذلک،و إلا فلیواظب علی هذه المعالجات و تکررها حتی یوفقه اللّه للخلاص بمقتضی وعده.

ثم یتفکر فی کل واحد من الفضائل المنجیه:کالیقین،و التوکل، و الصبر علی البلاء،و الرضا بالقضاء،و الشکر علی النعماء،و اعتدال الخوف و الرجاء،و الشجاعه و السخاء،و الزهد و الورع،و الإخلاص فی العمل، و ستر العیوب،و الندم علی الذنوب،و حسن الخلق مع الخلق،و حب اللّه و الخشوع له...و غیر ذلک،فإن وجد قلبه متصفا بالجمیع فلیجربه بالعاملات حتی یطمئن من تلبیس النفس-کما علمت طریقه-و إن وجد قلبه خالیا من شیء منها فلیتفکر فی طریق تحصیله-کما أشیر إلیه-.ثم یتوجه إلی کل واحد من أعضائه و یتفکر فی المعاصی المتعلقه به،مثل أن ینظر فی لسانه و یتفکر فی أنه هل صدر منه شیء من الغیبه،أو الکذب،أو الفحش،أو فضول الکلام أو النمیمه،أو الثناء علی النفس،أو غیر ذلک.ثم ینظر فی سمعه،و یتفکر فی أنه هل سمع شیئا من ذلک.ثم ینظر فی بطنه هل عصی اللّه بأکل حرام أو شبهه،أو کثره مانعه عن صفاء النفس و غیر ذلک...

و هکذا یفعل فی کل عضو عضو.

ثم یتفکر فی الطاعات المتعلقه بکل واحد منها و فیما خلق هذا العضو لأجله من الفرائض و النوافل،فإن وجد-بعد التفکر-عدم صدور شیء من المعاصی عن شیء منها-و إتیانها بالطاعات المفروضه علیها بأسرها و بالنوافل المرغبه إلیها بقدر الیسر و الاستطاعه فلیحمد اللّه علی ذلک،و إن عثر علی صدور شیء من المعاصی أو ترک شیء من الفرائض،فلیتفکر أولا فی الأسباب الباعثه علی ذلک،من الاشتغال بفضول الدنیا أو مصاحبه أقران السوء أو غیر ذلک،فلیبادر إلی قطع السبب،ثم التدارک بالتوبه و الندم،

لئلا یکون غده مثل یومه.و هذا القدر من التفکر فی کل یوم و لیله لازم لکل دیّن معتقد بالنشأه الآخره،و قد کان ذلک عاده و دیدنا لسلفنا المتقین فی صبیحه کل یوم أو عشیه کل لیله،بل کانت لهم جریده یکتبون فیها رءوس المهلکات و المنجیات و یعرضون فی کل یوم و لیله صفاتهم علیها،و مهما اطمأنوا بقطع رذیله أو الاتصاف بفضیله یخطون علیها فی الجریده،و یدعون الفکر فیها،ثم یقبلون علی البواقی،و هکذا یفعلون حتی یخطوا علی الجمیع، و من کان أقل مرتبه منهم من الصلحاء ربما یثبتون فی جریدتهم بعض المعاصی الظاهره من أکل الحرام،و الشبهه،و إطلاق اللسان،و الکذب،و الغیبه و المزاء،و النمیمه،و المداهنه مع الخلق بترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر...و غیر ذلک،و یفعلون بمثل ما مر.

و بالجمله:کان إخواننا السالفون و سلفنا الصالحون لا ینفکون عن هذا النوع من التفکر،و یرونه من لوازم الإیمان بالحساب،فأف علینا حیث ترکنا بهم التأسی و القدوه،و خضنا فی غمرات الغفله،و لعمری إنهم لو رأونا لحکموا بکفرنا و عدم إیماننا بیوم الحساب،کیف و أعمالنا لا تشابه أعمال من یؤمن بالجنه و النار.فإن من خاف شیئا هرب منه،و من رجا شیئا طلبه،و نحن ندعی الخوف من النار و نعلم أن الهرب منها بترک المعاصی و مع ذلک منهمکون فیها،و ندعی الشوق إلی الجنه و نعلم أن الوصول إلیها بکثره الطاعات و مع ذلک مقصرون فی فعلها.

ثم هذا النوع من التفکر إنما هو تفکر العلماء و الصالحین،و أما تفکر الصدیقین فأجل من ذلک،لأنهم مستغرقون فی لجه الحب و الأنس،و منقطعون بشراشرهم إلی جناب القدس،ففکرهم مقصور علی جلال اللّه و جماله و قلبهم مستهتر به،بحیث فنی عن نفسه و نسی صفاته و أحواله،فحالهم أبدا کحال

العشاق المستهترين عند لقاء المعشوق،و لا تظن أن هذا التفكر-بل أدنى مراتب التلذذ بالتفكر فى عظمه اللّه و جلاله-ممكن الحصول بدون الانفكاك عن جميع الرذائل المهلكه و الاتصاف بجميع الفضائل المنجيه،فإن حال المتفكر فى جلال اللّه و عظمته مع اتصافه بالأخلاق الرذيله،كحال العاشق الذى خلى بمحبوبته،و كان تحت ثيابه حيات و عقارب تلدغه مره بعد أخرى، فتمنعه عن لذه المشاهده و الأنس.و لا يتم ابتهاجه إلا بإخراجها عن ثيابه و لا ريب أن الملكات الرذيله كلها كالحيات و العقارب مؤذيات و مشوشات، و من كان له أدنى معرفه و توجه إلى مناجاه ربه و كان فى نفسه شيء منها،يجد أنه كيف يشوشه و يصده عن الابتهاج،ثم إن لدغ هذه الصفات لا يظهر ظهورا بينا للمنهمكين فى علائق الطبيعه،و بعد مفارقه النفس عن البدن يشتد ألم لدغها بحيث يزيد على ألم لدغ الحيات و العقارب بمراتب شتى.

نصيحه

تيقظ-يا حبيبى-من نوم الغفله،و تفكر اليوم لغدك،قبل أن تنشب مخالب الموت فى جسدك،و لا تنفك قوتك العاقله عن التفكر فى صفاتك و أحوالك،و اعلم على سبيل القطع و اليقين أن كل ما فى نفسك من فضيله أو رذيله و كل ما يصدر عنك من طاعه أو معصيه يكون بإزائه جزاء عند رحلتك عن هذه الدار الفانيه،و اسمع

قول سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و لو كنت ذا قلب لكفاك إيقاظا و تنبيها،حيث قال: «إن روح القدس نفث فى روعى:أحب ما أحببت فإنك مفارقه،و عش ما شئت فإنك ميت،و اعمل ما شئت فإنك مجزى به». و لعمرى إنك إن كنت مؤمنا بالمبدإ و المعاد لكفاك هذا الكلام واعظا و حائلا بينك و بين الالتفات إلى الدنيا و أهلها.و بالجمله:ينبغى للمؤمن ألا يخلو فى كل يوم و ليله عن الفكر

ص:۲۳۶

فی صفاته و أفعاله،و إذا صرف برهه من وقته فی هذا التفکر و برهه أخری فی التفکر فی عجائب قدره ربه،و صار ذلک معتادا له،حصل لنفسه کمال قوتیها العقلیه و العملیه،و خلصت عن الوساوس الشیطانیه و الخواطر النفسانیه،وفقنا اللّه بعظیم فضله الموصول إلی ما خلقنا لأجله.

(و منها)-أی و من رذائل القوه العاقله-استنباط وجوده.

المکر و الحیل

للوصول إلی مقتضیات قوتی الغضب و الشهوه.و اعلم أن المکر، و الحیله،و الخدعه،و النکر،و الدهاء:ألفاظ مترادفه،و هی فی اللغه قد تطلق علی شده الفطانه،و أرباب المعقول یطلقونها علی استنباط بعض الأمور من المآخذ الخفیه البعیده علی ما تجاوز عن مقتضی استقامه القریحه،و لذا جعلوها ضدا للذکاء و سرعه الفهم،و العرف خصصها باستنباط هذه الأمور إذا کانت موجبه لإصابه مکروه إلی الغیر من حیث لا یعلم،و ربما فسر بذلک فی اللغه أیضا،و هذا المعنی هو المراد هنا.

و لترکبه من إصابه المکروه إلی الغیر و من التلبیس علیه،یکون ضده استنباط الأمور المؤدیه إلی الخیریه،و النصیحه لکل مسلم،و استواء العلانیه للسریریه.

ثم فرق المکر و مرادفاته عن التلبیس و الغش و الغدر و أمثالها،إما باعتبار خفاء المقدمات و بعدها فیها دونها.أو بتخصیص الأولی بنفس استنباط الأمور المذکوره و الثانیه بارتکابها،و لذا عدت الأولی من رذائل القوه الوهمیه أو العاقله للعذر المذکور،و الثانیه من رذائل الشهویه،و ربما کان استعمالهما علی الترادف،و أطلق کل منهما علی ما تطلق علیه الأخری.

هـذا و للمكر مراتب شتى و درجـات لاـ تحصـى من حيث الظهور و الخفـاء، فربمـا لم يكن فيه كثير دقه و خفاء فيشعر به من له أدنى شعور،و ربمـا كـان فى غايه الغموض و الخفاء بحيث لم يتفطن به الأذكياء.و من حيث الموارد و المواضع كالباعث لظهور المحبه و الصـداقه و اطمئنان عاقل،ثم التهجم عليه بالإيـذاء و المكروه،و الباعث لظهور الأمانه و الديانه و تسـليم الناس أموالهم و نفائسـهم إليه على سبيـل الوديعه أو المشـاركه أو المعامله،ثم أخـذها و سـرقها على نحو آخر من وجوه المكر،و كالباعث لظهور ورعه و عدالته و اتخاذ الناس إياه إماما أو أميرا فيفسد عليهم باطنا دينهم و دنياهم.و قس على ذلك غيره من الموارد و المواضع.

ثم المكر من المهلكات العظيمه،لأنه أظهر صـفات الشيطان،و المتصف به أعظم جنوده،و معصيته أشد من معصيه إصابه المكروه إلى الغير فى العلاـنيه،إذ المطلع بـإراده الغير إيـذاءه يحتـاط و يحافـظ نفسـه عنـه،فربمـا دفع أذيته،و أمـا الغافـل فليس فى مقـام الاحتياط،لظنه أن هـذا المكار المحيل محب و ناصـح له،فيصل إليه ضـره و كيـده فى لباس الصداقه و المحبه.فمن أحضـر طعاما مسـموما عنـد الغير مريـدا إهلاكه فهو أخبث نفسا و أشد معصـيه ممن شـهر سـيفه علانيه مريدا قتله،إذ الثانى أظهر ما فى باطنه و اعلم هذا الغير بإرادته،فيجزم بأنه عدو محارب له فيتعرض لصـرف شـره و منع ضـره،فربما تمكن من دفعه،و أما الأول فظاهره فى مقـام الإحسـان و باطنه فى مقام الإيـذاء و العـدوان،و الغافل المسـكين لا خبر له عن خباثه باطنه،فيقطع بأنه يحسن إليه،فلا يكون معه فى مقام الدفع و الاحتياط،بل فى مقام المحبه و الوداد،فيقتله و هو يعلم أنه يحسن إليه،و يهلكه و هو فى مقام الخجل منه.

و بالجمله:هذه الرذيله أخبث الرذائل و أشدها معصيه،و لذلك

قال

رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لیس منا من ماکر مسلما».

و قال أمیر المؤمنین(ع): «لو لا أن المکر و الخدیعه فی النار لکنت أمکر الناس» ،

و کان(ع)کثیرا ما یتنفس الصعداء و یقول: «وا ویلاه یمکرون بی و یعلمون أنی بمکرهم عالم و أعرف منهم بوجوه المکر،و لکنی أعلم أن المکر و الخدیعه فی النار فأصبر علی مکروهم و لا ارتکب مثل ما ارتکبوا».

و طریق علاجه-بعد الیقظه-أن یتأمل فی سوء خاتمته و وخامه عاقبته،و فی تأدیته إلی النار و مجاوره الشیاطین و الأشرار،و یتذکر أن وبال کل مکر و حیله یرجع فی الدنیا إلی صاحبه،کما نطقت به الآیات و الأخبار و شهدت به التجربه و الاعتبار.ثم یتذکر فوائد ضد المکر و محامده،أعنی استنباط ما یوجب النصیحه و الخیریه للمسلمین و موافقه ظاهره لباطنه فی أفعاله و أقواله-کما یأتی فی محله-و بعد ذلک لو کان عاقلا مشفقا علی نفسه لاجتنب عنه کل الاجتناب،و ینبغی أن یقدم التروی فی کل فعل یصدر عنه لئلا یکون له فیه مکر و حیله،و إذا عثر علی فعل یتضمنه فلیترکه معاتبا لنفسه،و إذا تکرر منه ذلک تزول عن نفسه أصول المکر و فروعه بالکلیه بعون اللّه و توفیقه.

ص:۲۳۹

المقام الثانی (فیما یتعلق بالقوه الغضبیه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج)

اشاره

التهور و الجبن و الشجاعه-الخوف-الخوف المذموم و أقسامه- الخوف المحمود و أقسامه و درجاته-بم یتحقق الخوف-الخوف من اللّه أفضل الفضائل-الخوف إذا جاوز حده کان مذموما-طرق تحصیل الخوف الممدوح-خوف سوء الخاتمه و أسبابه-الفرق بین الاطمئنان و الأمن من مکر اللّه-التلازم بین الخوف و الرجاء-مواقع الخوف و الرجاء و ترجیح أحدهما علی الآخر-العمل علی الرجاء أعلی منه علی الخوف-مداواه الناس بالخوف و الرجاء علی اختلاف أمراضهم-صغر النفس و کبرها و صلابتها-الثبات- دناءه الهمه و علوها-الغیره و الحمیه و عدمها-الغیره علی الدین و الحریم و الأولاد-العجله-الأناه و التوقف و الوقار و السکینه-سوء الظن-حسن الظن-الغضب-الإفراط و التفریط و الاعتدال فی قوته-ذم الغضب- إمکان إزاله الغضب و طرق علاجه-فضیله الحلم و کظم الغیظ-الانتقام و العفو-العنف و الرفق-فضیله الرفق-المداراه-سوء الخلق بالمعنی الأخص-طرق اکتساب حسن الخلق-الحقد-العداوه الظاهره-الضرب و الفحش و اللعن و الطعن-العجب-ذمه آفاته-علاجه إجمالا و تفصیلا-انکسار النفس-الکبر-ذمه-التکبر علی اللّه و الناس-درجات الکبر-علاجه علما و عملا-التواضع-الذله-الافتخار-البغی-تزکیه النفس-العصبیه- کتمان الحق-الإنصاف و الاستقامه علی الحق-القساوه.

ص :۲۴۱

فنقول: أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

«فأحدهما»:

التهور

كما علم،و هو من طرف الإفراط:أی الإقدام علی ما لا ینبغی و الخوض فی ما یمنعه العقل و الشرع من المهالک و المخاوف.و لا ریب فی أنه من المهلکات فی الدنیا و الآخره.و یدل علی ذمه کل ما ورد فی وجوب محافظه النفس و فی المنع عن إلقائها فی المهالک،کقوله تعالی:

وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ

(۲)

و غیر ذلک من الآیات و الأخبار.و الحق أن من لا یحافظ نفسه عما یحکم العقل بلزوم المحافظه عنه فهو غیر خال من شائبه من الجنون،و کیف یستحق اسم العقل من ألقی نفسه من الجبال الشاهقه و لم یبال بالسیوف الشاهره،أو وقع (۳)فی الشطوط الغامره الجاریه و لم یحذر من السباع الضاریه.کیف و من ألقی نفسه فیما یظن به العطب،فهلک،کان قاتل نفسه بحکم الشریعه،و هو یوجب الهلاکه الأبدیه و الشقاوه السرمدیه.

و علاجه-بعد تذکر مفاسده فی الدنیا و الآخره-أن یقدم التروی فی کل فعل یرید الخوض فیه،فإن جوزه العقل و الشرع و لم یحکما بالحذر عنه ارتکبه،و إلا ترکه و لم یقدم علیه.و ربما احتیاج فی معالجته أن یلزم نفسه الحذر و الاجتناب عن بعض ما یحکم العقل بعدم الحذر عنه،حتی یقع فی طرف التفریط،و إذا علم من نفسه زوال التهور ترکه و أخذ بالوسط الذی هو الشجاعه.

۱- ۱) أی القوه الغضبیه.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۹۵.

۳- ۳) کذا فی النسختین،و لعل الصحیح(أو أوقع نفسه).

«و ثانيهما»:

اشاره

الجبن

و هو سكون النفس عن الحركه إلى الانتقام أو غيره،مع كونها أولى.

و الغضب إفراط فى تلك الحركه،فله ضديه للغضب باعتبار،و للتهور باعتبار آخر.و على الاعتبارين هو فى طرف التفريط من المهلكات العظيمه،و يلزمه من الأعراض الذميمه،مهانه النفس،و الذله،و سوء العيش،و طمع الناس فيما يملكه،و قله ثباته فى الأمور،و الكسل،وجب الراحه،و هو يوجب الحرمان عن السعادات بأسرها و تمكين الظالمين من الظلم عليه،و تحمله للفضائح فى نفسه و أهله،و استماع القبائح من الشتم و القذف،و عدم مبالاته بما يوجب الفضيحه و العار،و تعطيل مقاصده و مهماته،و لذلك ورد فى ذمه من الشريعه ما ورد

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا ينبغى للمؤمن أن يكون بخيلا و لا جبانا» ،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-.

«اللهم إنى أعوذ بك من البخل،و أعوذ بك من الجبن،و أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر».

و علاجه-بعد تنبيه نفسه على نقصانها و هلاكها-أن يحرك الدواعى الغضبيه فيما يحصل به الجبن،فإن القوه الغضبيه موجوده فى كل أحد،و لكنها تضعف و تنقص فى بعض الناس فيحدث فيهم الجبن،و إذا حركت و هيجت على التواتر تقوى و تزيد،كما أن النار الضعيفه تتوقد و تلتهب بالتحريك المتواتر،و قد نقل عن الحكماء أنهم يلقون أنفسهم فى المخاطرات الشديده و المخاوف العظيمه دفعا لهذه الرذيله.و مما ينفع من المعالجات أن يكلف نفسه على المخاصمه مع من يأمن غوائله،تحريكا لقوه الغضب،و إذا وجد من نفسه حصول ملكه الشجاعه فليحافظ نفسه لئلا يتجاوز و يقع فى طرف الإفراط.

وصل الشجاعه

قد عرفت أن ضد هذين الجنسين هو(الشجاعه)،فتذكر مدحها و شرافتها،و كلف نفسك المواظبه على آثارها و لوازمها،حتى يصير ما تكلفته طبعا و ملكه،فترتفع عنك آثار الضدين بالكليه.و قد عرفت أن الشجاعه طاعه قوه الغضب للعاقله فى الإقدام على الأمور الهائله و عدم اضطرابها بالخوض فى ما يقتضيه رأيها.و لا ريب فى أنها أشرف الملكات النفسيه و أفضل الصفات الكماليه،و الفاقد لها برىء عن الفحليه و الرجوليه،و هو بالحقيقه من النسوان دون الرجال،و قد وصف اللّه خيار الصحابه بها فى قوله أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ (۱)و أمر اللّه نبيه بها بقوله: وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ (۲)إذ الشده و الغلظه من لوازمها و آثارها،و الأخبار مصرحه باتصاف المؤمن بها.

قال أمير المؤمنين(ع) فى وصف المؤمن:«نفسه أصلب من الصلد».

و قال الصادق عليه السلام: «المؤمن أصلب من الجبل إذ الجبل يستفل (۳)منه و المؤمن لا يستقل من دينه».

۱- ۱) الفتح،الآيه ۲۹.

۲- ۲) التوبه،الآيه ۷۳.

۳- ۳) استفل الشیء:أخذ منه أدنى جزء كعشره.

و أما الأنواع و لوازمها المتعلقه بالقوه الغضبيه

اشاره

فمنها:

اشاره

الخوف

و هو تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال مشكوك الوقوع،فلو علم أو ظن حصوله سمى توقعه انتظار مكروه،و كـان تألمه أشـد من الخوف،و كلامنا فى كليهما.و فرقه عن الجبن على ما قررناه من حـدهما ظاهر،فإن الجبن هو سـكون النفس عمـا يسـتحسن شـرعا و عقلاـ من الحركه إلى الانتقام أو شـىء آخر،و هـذا السـكون قـد يتحقق من غير حـدوث التألم الـذى هو الخوف،مثلاـ من لاـ يجـترئ على الـدخول فى السـفينه أو النوم فى الـبيت وحـده أو التعرض لـدفع من يظلمه و يتعرض له يمكن اتصـافه بالسـكون المـذكور مع عـدم تـألم بالفعـل،فمثله جبـان و ليس بخائف.و من كان له ملكه الحركه إلى الانتقام و غيره من الأفعال التى يجوزها الشرع و العقل ربما حصل له التألم المذكور من توقع حدوث بعض المكاره،كما إذا أمر السلطان بقتله،فمثله خائف و ليس بجبان.

ثم الخوف على نوعين:(أحدهما)مذموم بجميع أقسامه،و هو الذى لم يكن من اللّه و لا من صـفاته المقتضـيه للهيبه و الرعب،و لا من معاصـى العبـد و جنايـاته،بـل يكون لغير ذلـك من الأـمور التى يـأتى تفصـيلها.و هـذا النوع من رذائل قوه الغضب من طرف التفريـط،و من نتائـج الجبن.و(ثانيهما) محمود و هو الـذى يكون من اللّه و من عظمته و من خطأ العبـد و جنايته،و هو من فضائل القوه الغضبيه،إذ العـاقله تـأمر به و تحسـنه،فهو حاصـل من انقيادهـا لهـا.و لنفصل القول فى أقسام النوعين،و بيان العلاج فى إزاله أقسام الأول و تحصيل الثانى:

فصل الخوف المذموم و أقسامه

للنوع الأول أقسام يقبحها العقل بأسرها و لا يجوزها،فلا ينبغی للعاقل أن يتطرقها إلی نفسه.بيان ذلک:أن باعث هذا الخوف يتصور علی أقسام

(الأول)أن يكون أمرا ضروريا لازم الوقوع،

و لم يكن دفعه فی مقدره البشر.و لا ريب فی أن الخوف من مثله خطأ محض،و لا يترتب عليه فائده سوی تعجيل عقوبه بصده عن تدبير مصالحه الدنيويه و الدينيه.و العاقل لا يتطرق علی نفسه مثل ذلک،بل يسلی نفسه و يرضيها بما هو كائن إدراكا لراحه العاجل و سعاده الآجل.

(الثانی)أن يكون أمرا ممكنا لم يجزم بشیء من طرفيه،

و لم يكن لهذا الشخص مدخليه فی وقوعه و لا وقوعه.و لا ريب فی أن الجزم بوقوع مثله و التألم لأجله خلاف مقتضی العقل،بل اللازم إبقاؤه علی إمكانه من دون جزم بحصوله،ف:

لَعَلَّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِکَ أَمْراً

(۱)

و هذا القسم مع مشاركته للأول فی استلزامه تعجيل العقوبه بلا سبب، لعدم مدخليته لاختياره فيه،يمتاز عنه بعدم الجزم بوقوعه،فهو بعدم الخوف أولی منه.

(الثالث)أن يكون أمرا ممكنا فاعله هذا الشخص،

و هو ناشیء عن سوء اختياره،فعلاجه ألا يرتكبه و لا يقدم علی فعل يخاف من سوء عاقبته.

فإنه إما فعل غير قبيح من شأنه التأدی إلی ما يضره،و لا ريب فی أن

۱- ۱) الطلاق،الآيه:۱.

ارتکاب مثله خلاف حکم العقل،و لو ظهر التأدی بعد إیقاعه فیکون من الثانی،أو فعل قبیح لو ظهر أوجب الفضیحه و المؤاخذه،و إنما فعله ظنا منه أنه لا یظهر،ثم یخاف من الظهور و المؤاخذه،و لا ریب فی أن هذا الظن ناشیء عن الجهل،إذ کل فعل یصدر عن کل فاعل و لو خفیه یمکن أن یظهر، و إذا ظهر یمکن إیجابه للفضیحه و المؤاخذه.و العاقل العالم بطبیعه الممکن لا یرتکب مثله،فباعث الخوف فی الثانی هو الحکم علی الممکن بالوجوب، و فی هذا الحکم علیه بالامتناع،و لو حکم علیه بما یقتضی ذاته أمن من الخوفین.

(

الرابع)أن یکون مما توحش منه الطباع،بلا داع عقلی و لا باعث نفس أمری،

کالمیت و الجن و أمثالهما،(لا)سیما فی اللیل مع وحدته، و لا ریب فی أن هذا ناشیء عن قصور العقل و مقهوریته عن الواهمه،فلیحرک القوه الغضبیه و یهیجها لتغلب به العاقله علی الوهم.و ربما ینفع إلزام نفسه علی الوحده فی اللیالی المظلمه و الصبر علیها،حتی یزول عنه هذا الخوف علی التدریج.

ثم لما کان خوف الموت أشد أقسام هذا النوع و أعمها،فلنشر إلی علاجه بخصوصه،فنقول:

باعث خوف الموت یحتمل أمورا:

(الأول)تصور فناء ذاته بالکلیه

و صیرورته عدما محضا بالموت.

و لا ریب فی کونه ناشئا عن محض الجهل إذ الموت لیس إلا قطع علاقه النفس عن بدنه،و هی باقیه أبدا،کما دلت علیه القواطع العقلیه و الشواهد الذوقیه و الظواهر السمعیه،و لعل ما تقدم یکفی لإثبات هذا المطلوب.و مع قطع النظر عن ذلک نقول:کیف یجوز لمن له أدنی بصیره أن یجتمع عظماء نوع الإنسان بحذافیرهم،کأهل الوحی و الإلهام و أساطین الحکمه و العرفان علی محض الکذب و صرف الباطل!فمن تأمل أدنی تأمل یتخلص من هذا الخوف.

(الثانی)تصور إیجابه ألما جسمانیا عظیما لا یتحمل مثله و لم یدرک فی الحیاه شبهه.

و هذا أیضا من الخیالات الفاسده،فإن الألم فرع الحیاه،و الألم الجسمانی ما دامت الحیاه لا یکون أشد مما رآه کل إنسان فی حیاته من الأوجاع و قطع الاتصال،و بعد زوال الحیاه لا معنی لوجوده،إذ کل جسمانی إدراکه بواسطه الحیاه،و بعد انقطاعها لا إدراک،فلا ألم.

(الثالث)تصور عروض نقصان لأجله.

و هو أیضا غفله عن حقیقه الموت و الإنسان،إذ من علم حقیقتهما یعلم أن الموت متمم الإنسانیه و آثارها و المائت جزء لحد الإنسان.و لذا قال أوائل الحکماء:(الإنسان حی ناطق مائت)،و حد الشیء یوجب کماله لا نقصانه،فبالموت تحصل التمامیه دون النقصان«نشنیده ای که هر که بمرد أو تمام شد» (۱)فالإنسان الکامل یشتاق إلی الموت،لاقتضائه تمامیته و کماله،و خروجه عن ظلمه الطبیعه و مجاوره الأشرار إلی عالم الأنوار و مرافقه الأخیار من العقول القادسه و النفوس الطاهره،و أی عاقل لا یرجح الحیاه العقلیه و الابتهاجات الحقیقیه علی الحیاه الموحشه الهیولانیه،المشوبه بأنواع الآلام و المصائب و أصناف الأسقام و النوائب! فیا حبیبی!تیقظ من نوم الغفله و سکر الطبیعه،و استمع النصیحه ممن هو أحوج منک إلی النصیحه:حرک الشوق الکامن فی جوهر ذاتک إلی عالمک الحقیقی و مقرک الأصلی،و انسلخ عن القشورات الهیولانیه،و انقض عن روحک القدسی ما لزقه من الکدورات الجسمانیه،و طهر نفسک الزکیه عن أدناس دار الغرور و أرجاس عالم الزور،و اکسر قفصک الترابی الظلمانی و طر

۱- ۱) هذه الجمله من الکلمات الحکمیه القصار،و معناها:(أ ما سمعت بأن کل من مات صار إنسانا کاملا).

بجناح همتك إلى وكرك القدسى النورانى،و ارتفع عن حضيض الجهل و النقصان إلى أوج العزه و العرفان،و خلص نفسك عن مضيق سجن الناسوت و سيرها فى فضاء قدس اللاهوت،فما بالك نسيت عهود الحمى و رضيت بمصاحبه من لا ثبات له و لا وفاء؟! زد سحر طائر قدسم ز سر سدره صفير كه در اين دامگه حادثه آرام مگير (۱)

(الرابع)صعوبه قطع علاقته من الأولاد و الأموال و المناصب و الأحباب

و معلوم أن هذا ليس خوفا من الموت فى نفسه،بل هو حزن على مفارقه بعض الزخارف الفانيه.و علاجه:أن يتذكر أن الأمور الفانيه مما لا يليق بالعاقل أن يرتبط بها قلبه،و كيف يحب العاقل خسائس عالم الطبيعه و يطمئن إليها مع علمه بأنه عن قريب يفارقها،فاللازم أن يخرج حب الدنيا و أهلها عن قلبه ليتخلص من هذا الألم.

(الخامس)تصور سرور الأعداء و شماتتهم بموته.

و هذا وسوسه شيطانيه صادره عن محض التوهم،إذ مسره الأعداء أو شماتتهم لا توجب ضررا فى

---

۱ - ۱) هذا البيت للشاعر الفارسى الفيلسوف الشهير(حافظ الشيرازى) و هو من أبيات العرفان.و أراد(بالسحر)على سبيل الرمز وقت استكمال النفس و تنبهها،و(بالطائر القدسى)ما يرمز إليه العرفا المسمى عندهم أيضا(البيضانى)،و هو أحد العقول المجرده الذى بصفيره يوقظ الراقدين فى مراقد الظلمات،و بصوته ينبه الغافلين عن تذكر الآيات،و(بالسدره) سدره المنتهى المقصود منها منتهى قوس الصعود فى سلسله الممكنات. و حاصل معنى البيت المطابقى:قد صفر الطائر القدسى المنسوب إلى من على السدره فى السحر،و يقول فى صفيره:لا تستقر فى المصيده المخيفه(و هى الدنيا و عوالم السفليات)،و المراد أن يذهب عنها إلى عالم المجردات النورانى حرا طليقا.

إیمانه و دینه،و لا ألما فی روحه و جسمه،علی أن ذلک لا یختص بالموت، إذ العدو یشمت و یفرح بما یرد علیه فی حال الحیاه أیضا من البلایا و المحن فمن کره ذلک فلیجتهد فی قطع العداوه و إزالتها بالمعالجات المقرره للحقد و الحسد

(السادس)تصور تضییع الأولاد و العیال،و هلاک الأعوان و الأنصار

و هذا أیضا من الوساوس الباطله الشیطانیه و الخواطر الفاسده النفسانیه، إذ ذلک یوجب ظن منشئیته لاستکمال الغیر و عزته،و مدخلیته فی قوته و ثروته،و ذلک ناشیء من جهله باللّه و بقضائه و قدره،إذ فیضه الأقدس اقتضی إیصال کل ذره من ذرات العالم إلی ما یلیق بها و إبلاغها إلی ما خلقت لأجله،و لیس لأحد أن یغیر ذلک أو یبدله و لذا تری أکثر الأفاضل یجتهدون فی تربیه أولادهم و لا ینجح سعیهم أصلا،و تشاهد غیر واحد من الأغنیاء یخلفون لأولادهم أموالا کثیره و تخرج عن أیدیهم فی مده قلیله، و تری کثیرا من أیتام الأطفال لا تربیه لهم و لا مال،و مع ذلک یبلغون بالتربیه الأزلیه مدارج الکمال،أو یحصلون ما لا حصر له من الأموال.و الغالب أن الأیتام الذین ذهب عنهم الآباء فی حاله الصبی تکون ترقیاتهم فی الآخره و الدنیا أکثر من الأولاد الذین نشأوا فی حجر الآباء.و التجربه شاهده بأن من اطمأن من أولاده بمال یخلفه لهم أو ذی قوه یفوض إلیه أمورهم، اعتراهم بعده الفقر و الفاقه و الذله و المهانه،و ربما صار ذلک سببا لهلاکهم و انقراضهم.و من فوض أمورهم إلی رب الأرباب و خالق العباد ازداد لهم بعده عزا و قوه و کثره و ثروه.فاللائق بالعقلاء أن یفوضوا أمور الأولاد و غیرهم من الأقارب و الأنصار إلی من خلقهم و رباهم،و یوکلهم إلی موجدهم و مولاهم،و هو نعم المولی و نعم الوکیل.و قد ظهر أن الخوف من الموت لأجل البواعث المذکوره لا وجه له.

ثم ینبغی للعاقل أن یتفکر فی أن کل کائن فاسد البته،کما تقرر فی

الحکمه.و هو من الکائنات.و الفساد ضروری له.فمن أراد وجود بدنه أراد فساده اللازم له،فتمنی دوام الحیاه من الخیالات الممتنعه،و العاقل لا یحوم حولها و لا یتمنی مثلها.بل یعلم یقینا أن ما یوجد فی النظام الکلی هو الأصلح الأکمل و تغییره ینافی الحکمه و الخیریه،فیرضی بما هو واقع علی نفسه و غیره من غیر ألم و کدوره. ثم من یتمنی طول عمره فمقصوده منه إن کان حب اللذات الجسمیه و امتداد زمانها،فلیعلم أن الشیب إذا أدرکه ضعفت الأعضاء و اختلت القوی و زالت عنه الصحه التی هی عمده لذاته فضلا عن غیرها،فلا یلتذ بالأکل و الإجماع و سائر اللذات الحسیه،و لا یخلو لحظه عن مرض و ألم،و تتراجع جمیع أحواله،فتتبدل قوته بالضعف و عزه بالذل،و کذا سائر أحواله،کما أشیر إلیه فی الکتاب الإلهی بقوله تعالی:

وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَکِّسْهُ فِی الْخَلْقِ

(۱)

.

و مع ذلک لا یخلو کل یوم من مفارقه حبیب أو شفیق،و مهاجره قریب أو رفیق.و ربما ابتلی بأنواع المصیبات،و یهجم علیه الفقر و الفاقه و النکبات،و طالب العمر فی الحقیقه طالب هذه الزحمات.و إن کان مقصوده منه اکتساب الفضائل العلمیه و العملیه،فلا ریب فی أن تحصیل الکمالات بعد أوان الشیخوخه فی غایه الصعوبه،فمن لم یحصل الفضائل الخلقیه إلی أن أدرکه الشیب،و استحکمت فیه الملکات المهلکه من الجهل و غیره،فإنی یمکنه بعد ذلک إزالتها و تبدیلها بمقابلاتها،إذ رفع ما رسخ فی النفس مع الشیخوخه التی لا یقتدر معها علی الریاضات و المجاهدات غیر ممکن.

و لذا ورد فی الآثار: «إن الرجل إذا بلغ أربعین سنه و لم یرجع إلی الخیر،جاء الشیطان و مسح علی وجهه و قال:بأبی وجه من لا یفلح أبدا». علی أن

۱- ۱) یس،الآیه:۶۸.

الطـالب للسـعاده ينبغی أن يكون مقصور الهم فی كـل حال علی تحصـيلها،و من جملتها دفع طول الأمل و الرضا بما قـدر له من طول العمر و قصره،و يكون سعيه أبدا فی تحصيل الكمالات بقدر الإمكان و التخلص عن مزاحمه الزمان و المكان،و قطع علاقته من الـدنيا و زخارفها الفانيه و الميل إلی الحياه و اللذات الباقيه،و الاهتمام فی كسب الابتهاجات العقليه و الاتصال التام بالحضـره الإلـهيه،حـتی يتخلص عن سـجن الطـبيعه و يرتقی إلی أوج عـالم الحقيقه،فيتفق له الموت الإرادی الموجب للحيـاه الطبيعيه،كما قال(معلم الإشـراق):«مت بالإراده تحيی بالطبيعه»، فينقل إلی مقعد صدق هو مسـتقر الصديقين،و يصل إلی جوار رب العالمين،و حينئـذ يشـتاق للموت و لاـ يبـالی بتقـديمه و تـأخيره، و لا يركن إلی ظلمات البرزخ الـذی هو منزل الأشـقياء و الفجار و مسـكن الشياطين و الأشرار،و لا يتمنی الحياه الفانيه أصلا و ينطق بلسان الحال:

خرم آن روز كزين منزل ويران بروم

راحت جان طلبم و ز پی جانان بروم

بهوای لب أو ذره صفت رقص كنان

تا لب چشمه خورشيد درخشان بروم (۱)

(السابع)تصور العذاب الجسمانی و الروحانی المترتب علی ذمائم الأعمال و قبائح الأفعال.

و لا ريب فی أن الخوف من ذلك ممدوح،و هو

---

۱ – ۱) البيتـان للشـاعر الفيلسوف(حافـظ الشـيرازی).و معنی الأول:«إن سـروری يكون فی يوم الرحيل من هـذه الـدار الخربه طلبا لراحه نفسـی و لقاء الحبيب».و يقصـد بحبيبه:الحق الأول،و براحه نفسه:النعيم الأبدی، و بالرحيل عن الدار الخربه:انتقال نفسه من بـدنه بـالموت. و معنی البيت الثـانی:«أنی لشوقی إلی إلقـاء الحبيب اهتز اهتزاز الـذره فی ضوء الشـمس لكی أصل إلی لقاء عين الشمس المتوهجه».و يقصد بعين الشمس: خالق الكائنات.

معـدود من أقسام النوع الثانى،إلا أن البقاء عليه و عـدم السـعى فيما يدفعه من ترك الخطيئات و كسب الطاعات جهل و بطاله،إذ هذا الخوف ناشىء من سوء الاختيار،و قد بعث اللّه الرسل و أوصياءهم لاستخلاص الناس عنه.

فعلاـجه ترك المعاصـى و تحصـيل معالى الأخلاق.و معلوم أن المنهمك فى المعاصـى مع خوفه من العـذاب كالملقى نفسه فى البحر أو النـار مع خوفه من الغرق و الحرق،و لاـ ريب فى أن إزاله هـذا الخوف باختيـاره،فليترك المعاصـى و يجتهـد فى كسـب وظـائف الطاعـات ليتخلص عنه،و اهتمـام أكـابر الـدين من الأنبيـاء و المرسـلين و الحكمـاء و الصـديقين فى وظـائف الطاعات و صبرهم على مشاق العبادات و مجاهدتهم مع جنود الشياطين إنما هو لدفع هذا الخوف عن نفوسهم،فهو فى الحقيقه ناشىء منك و من سوء اختيـارك،فبـادر إلى تقليله بـالمواظبه على صوالـح الأعمال و فضائل الأفعال.و قـد يأتى أن هـذا الخوف هو سوط الله الباعث على العمل،و معه لو كان مفرطا فليعالـج بأسـباب الرجاء، و بدونه فلا بد أن يكون حتى يبعثه عليه،على أنه مع عظم جرمه و قصور بـاعه عن تـداركه فلاـ ينبغى أن ييـأس من روح اللّه،فلعل واسع الرحمه السابقه على الغضب يـدركه بسابقه من القضاء و القدر.

فصل الخوف المحمود و أقسامه و درجاته

و للنوع الثانى من الخوف أقسام:(الأول)أن يكون من اللّه سـبحانه و من عظمته و كبريائه،و هذا هو المسـمى بالخشيه و الرهبه فى عرف أرباب القلوب.(الثانى)من جنايه العبـد باقترافه المعاصـى.(الثالث)أن يكون منهما جميعا.و كلما ازدادت المعرفه بجلال اللّه و عظمته و تعاليه و بعيوب

نفسه و جنایاته،ازداد الخوف،إذ إدراک القدره القاهره و العظمه الباهره و القوه القویه و العزه الشدیده،یوجب الاضطراب و الدهشه،و لا ریب فی أن عظمه اللّه و قدرته و سائر صفاته الجلالیه و الجمالیه غیر متناهیه شده و قوه و یظهر منها علی کل نفس ما یطیقه و یستعد له.و أنی لأحد من أولی المدارک أن یحیط بصفاته علی ما هی علیه،فإن المدارک عن إدراک غیر المتناهی قاصره.نعم،لبعض المدارک العالیه أن یدرکه علی الإجمال.مع أن ما یظهر للعقلاء من صفاته لیس هو من حقیقه صفاته،بل هو غایه ما تتأدی إلیه عقولهم و یتصور کمالا،و لو ظهر قدر ذره من حقیقه بعض صفاته لأقوی العقول و أعلی المدارک،لاحترق من سبحات وجهه،و تفرقت أجزاؤه من نور ربه.و لو انکشف من بعضها الغطاء لزهقت النفوس و تقطعت القلوب فغایه ما للمدارک العالیه من العقول و النفوس القادسه،أن یتصور عدم تناهیها فی الشده و القوه،و کونها فی الکمال و البهاء غایه ما یمکن و یتصور و یحتمله ظرف الواقع و نفس الأمر،کما هو الشأن فی ذاته سبحانه.و إدراک هذه الغایه أیضا یختلف باختلاف علو المدارک،فمن کان فی الدرک أقوی و أقدم کان بربه أعرف،و من کان به أعرف کان منه أخوف،و لذا قال تعالی:

إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ

(۱)

و قال سید الرسل: «أنا أخوفکم من اللّه». و قد قرع سمعک حکایات خوف زمره المرسلین و من بعدهم من فرق الأولیاء و العارفین،و عروض الغشیات المتواتره فی کل لیله لمولانا أمیر المؤمنین علیه السلام.

و هذا مقتضی کمال المعرفه الموجب لشده الخوف،إذ کمال المعرفه

۱- ۱) الفاطر،الآیه:۲۸.

یوجب احتراق القلب،فیفیض أثر الحرقه من القلب إلی البدن بالنحول و الصفار و الغشیه و البکاء،و إلی الجوارح بکفها عن المعاصی و تقییدها بالطاعات تلافیا لما فرط فی جنب اللّه،و من لم یجتهد فی ترک المعاصی و کسب الطاعات فلیس علی شیء من الخوف،و لذا قیل:لیس الخائف من یبکی و یمسح عینیه،بل من یترک ما یخاف أن یعاقب علیه. و قال بعض الحکماء:«من خاف شیئا هرب منه،و من خاف اللّه هرب إلیه»،و قال بعض العرفاء:

«لا یکون العبد خائفا حتی ینزل نفسه منزله السقیم الذی یحتمی مخافه طول السقام».و إلی الصفات بقمع الشهوات و تکدر اللذات،فتصیر المعاصی المحبوبه عنده مکروهه،کما یصیر العسل مکروها عند من یشتهیه إذا عرف کونه مسموما،فتحترق الشهوات بالخوف،و تتأدب الجوارح،و یحصل فی القلب الذبول و الذله و الخشوع و الاستکانه،و تفارقه ذمائم الصفات،و یصیر مستوعب الهم بخوفه و النظر فی خطر عاقبته،فلا یتفرغ لغیره،و لا یکون له شغل إلا المجاهده و المحاسبه و المراقبه و الضنه بالأنفاس و اللحظات، و مؤاخذه النفس فی الخطرات و الکلمات،و یشتغل ظاهره و باطنه بما هو خائف منه لا متسع فیه لغیره،کما أن من وقع فی مخالب ضاری السبع یکون مشغول اللهم به و لا شغل له بغیره.و هذا حال من غلبه الخوف و استولی علیه کما جری علیه جماعه من الصحابه و التابعین و من یحذوهم من السلف الصالحین فقوه المجاهده و المحاسبه بحسب شده الخوف الذی هو حرقه القلب و تألمه،و هو بحسب قوه المعرفه بجلال الله و عظمته و سائر صفاته و أفعاله، و بعیوب النفس و ما بین یدیها من الأخطار و الأهوال.

و أقل درجات الخوف مما یظهر أثره فی الأعمال أن یکف عن المحظورات و یسمی الکف منها(ورعا)،فإن زادت قوته کف عن الشبهات،یسمی

ذلك(تقوى)إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يربيه،و قد يحمله على ترك ما لا بأس به مخافه ما به بأس،و هو الصدق فى التقوى،فإذا انضم إليه التجرد للخدمه،و صار ممن لا يبنى ما لا يسكنه،و لا يجمع ما لا يأكله،و لا يلتفت إلى دنيا يعلم أنه يفارقها،و لا يصرف إلى غير الله نفسا عن أنفاسه، فهو(الصدق)،و يسمى صاحبه(صديقا)،فيدخل فى الصدق التقوى، و فى التقوى الورع،و فى الورع العفه،لأنها عباره عن الامتناع من مقتضى الشهوات.

فإذن يؤثر الخوف فى الجوارح بالكف و الإقدام.

فصل بم يتحقق الخوف

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه،و المكروه إما أن يكون مكروها فى ذاته كالنار،أو مكروها لإفضائه إلى المكروه فى ذاته كالمعاصى المفضيه إلى المكروه لذاته فى الآخره،و لا بد لكل خائف أن يتمثل فى نفسه مكروه من أحد القسمين،و يقوى انتظاره فى قلبه حتى يتألم قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه،و يختلف مقام الخائفين فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحظوره:

فالذين يغلب على قلوبهم خوف المكروه لذاته،فإما أن يكون خوفهم من سكرات الموت و شدته و سؤال النكيرين و غلظته،أو عذاب القبر و وحدته و هول المطلع و وحشته،أو من الموقف بين يدى اللّه و هيبته و الحياء من كشف سريرته،أو من الحساب و دقته و الصراط وحدته،أو من النار و أ هوالها و الجحيم و أغلالها،أو الحرمان من دار النعيم و عدم وصوله إلى الملك

المقیم،أو من نقصان درجاته فی العلیین و عدم مجاورته المقربین،أو من اللّه سبحانه بأن یخاف جلاله و عظمته و البعد و الحجاب منه و یرجو القرب منه، و هذا أعلاها رتبه،و هو خوف أرباب القلوب العارفین من صفاته ما یقتضی الهیبه و الخوف،و العالمین بلذه الوصال و ألم البعد و الفراق و المطلعین علی سر قوله:

وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ

(۱)

،و قوله: اِتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ (۲).

و قیل:ذلک خوف العابدین و الزاهدین و کافه العاملین.

و أما الذین غلب علی قلوبهم خوف المکروه لغیره،فإما یکون خوفهم من الموت قبل التوبه،أو نقضها قبل انقضاء المده،أو من ضعف القوه عن الوفاء بتمام حقوق اللّه،أو تخلیته مع حسناته التی اتکل علیها و تعزز بها فی عباد اللّه،أو من المیل عن الاستقامه،أو إلی اتباع الشهوات المألوفه استیلاء للعاده،أو تبدیل رقه القلب إلی القساوه،أو تبعات الناس عنده من الغش و العداوه،أو من الاشتغال عن اللّه بغیره،أو حدوث ما یحدث فی بقیه عمره،أو من البطر و الاستدراج بتواتر النعم،أو انکشاف غوائل طاعته حتی یبدو له من اللّه ما لم یعلم،أو من الاغترار بالدنیا و زخارفها الفانیه،أو تعجیل العقوبه بالدنیا و افتضاحه بالعلانیه،أو من اطلاع اللّه علی سریرته و هو عنه غافل،و توجهه إلی غیره و هو إلیه ناظر،أو من الختم له عند الموت بسوء الخاتمه،أو مما سبق له فی الأزل من السابقه.و هذه کلها مخاوف العارفین.

و لکل واحد منها خصوص فائده،هو الحذر عما یفضی إلی الخوف،

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۲۸.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۵۲.

فالخائف من تبعات الناس يجتهد فی براءه ذمته عنها،و من استیلاء العاده یواظب علی فطام نفسه عنها.و من اطلاع اللّه علی سریرته یشتغل بتطهیر قلبه عن الوساوس.و هکذا فی بقیه الأقسام.

و أغلب هذه المخاوف علی المتقین خوف سوء الخاتمه،و هو الذی قطع قلوب العارفین،إذ الأمر فیه مخطر-کما یأتی-و أعلی الأقسام و أدلها علی کمال المعرفه خوف السابقه،لأن الخاتمه فرع السابقه،و یترتب علیها بعد تخلل أسباب کثیره،و لذا قال العارف الأنصاری:«الناس یخافون من الیوم الآخر و أنا أخاف من الیوم الأول».فالخاتمه تظهر ما سبق به القضاء فی أم الکتاب،

و إلیه أشار النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فی المنبر، حیث رفع یده الیمنی قابضا علی کفه،ثم قال:«أ تدرون أیها الناس ما فی کفی؟»، قالوا:اللّه و رسوله أعلم،قال:«أسماء أهل الجنه و أسماء آبائهم و قبائلهم إلی یوم القیامه».ثم رفع یده الیسری و قال:«أیها الناس!أ تدرون ما فی کفی؟» قالوا:اللّه و رسوله أعلم،فقال:أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم إلی یوم القیامه».ثم قال:«حکم اللّه و عدل،حکم اللّه»:

فَرِیقٌ فِی الْجَنَّهِ وَ فَرِیقٌ فِی السَّعِیرِ

(۱)

.

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «یسلک بالسعید فی طریق الأشقیاء حتی یقول الناس:ما أشبهه بهم بل هو منهم،ثم تتدارکه السعاده.و قد یسلک بالشقی طریق السعداء حتی یقول الناس:ما أشبهه بهم،بل هو منهم،ثم یتدارکه الشقاء.إن من کتبه اللّه سعیدا و إن لم یبق من الدنیا إلا فواق ناقه ختم له بالسعاده» (۲)،

۱- ۱) الشوری،الآیه:۷.

۲- ۲) هذا الحدیث مروی فی أصول الکافی فی(باب السعاده و الشقاوه)عن أبی عبد الله الصادق-علیه السلام-

فصل الخوف من اللّه أفضل الفضائل

الخوف منزل من منازل الدين و مقام من مقامات الموقنين،و هو أفضل الفضائل النفسانيه،إذ فضيله الشيء بقدر إعانته على السعاده،و لا سعاده كسعاده لقاء اللّه و القرب منه،و لا وصول إليها إلا بتحصيل محبته و الأنس به،و لا يحصل ذلك إلا بالمعرفه،و لا تحصل المعرفه إلا بدوام الفكر، و لا يحصل الأنس إلا بالمحبه و دوام الذكر،و لا تتيسر المواظبه على الفكر و الذكر إلا بانقلاع حب الدنيا من القلب،و لا ينقلع ذلك إلا بقمع لذاتها و شهواتها،و أقوى ما تنقمع به الشهوه هو نار الخوف،فالخوف هو النار المحرقه للشهوات،فإذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات و يكف من المعاصي و يحث على الطاعات،و يختلف ذلك باختلاف درجات الخوف -كما مر-.

و قيل:من أنس باللّه،و ملك الحق قلبه،و بلغ مقام الرضا،و صار مشاهدا لجمال الحق:لم يبق له الخوف،بل يتبدل خوفه بالأمن،كما يدل عليه قوله سبحانه:

أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ

(۱)

إذ لا يبقى له التفات إلى المستقبل،و لا كراهيه من مكروه،و لا رغبه إلى محبوب،فلا يبقى له خوف و لا رجاء،بل صار حاله أعلى منهما.نعم، لا يخلو عن الخشيه-أي الرهبه من اللّه و من عظمته و هيبته-و إذا صار متجليا بنظر الوحده لم يبق فيه أثر من الخشيه أيضا،لأنه من لوازم التكثر،

۱- ۱) الأنعام الآيه:۸۲.

و قد زال.و لذا قیل:«الخوف حجاب بین اللّه و بین العبد».و قیل أیضا:

«إذا ظهر الحق علی السرائر لا یبقی فیها محل لخوف و لا رجاء».و قیل أیضا:«المحب إذا شغل قلبه فی مشاهده المحبوب بخوف الفراق کان ذلک نقصا فی دوام الشهود الذی هو غایه المقامات».

و أنت خبیر بأن هذه الأقوال مما لا التفات لنا إلیها،فلنرجع إلی ما کنا بصدده من بیان فضیله الخوف،فنقول:الآیات و الأخبار الداله علیه أکثر من أن تحصی،و قد جمع اللّه للخائفین العلم و الهدی و الرحمه و الرضوان، و هی مجامع مقامات أهل الجنان،فقال:

إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ

(۱)

.و قال: هُدیً وَ رَحْمَهٌ لِلَّذِینَ هُمْ لِرَبِّهِمْ یَرْهَبُونَ (۲).و قال: رَضِیَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِکَ لِمَنْ خَشِیَ رَبَّهُ (۳).

و کثیر من الآیات مصرحه بکون الخوف من لوازم الإیمان، کقوله تعالی:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ إِذٰا ذُکِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (۴)و قوله: وَ خٰافُونِ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۵)و مدح الخائفین بالتذکر فی قوله:

۱- ۱) الفاطر،الآیه:۲۸.

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۵۴.

۳- ۳) البینه،الآیه:۸.

۴- ۴) الانفال،الآیه:۲.

۵- ۵) آل عمران،الآیه:۱۷۵.

سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ

(۱)

و وعدهم الجنه و جنتين،بقوله:

وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ

(۲)

.و قوله: وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ (۳).

و فى الخبر القدسى: «و عزتى لا أجمع على عبدى خوفين و لا أجمع له أمنين،فإذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامه،و إذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامه».

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «رأس الحكمه مخافه اللّه»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من خاف اللّه أخاف اللّه منه كل شيء،و من لم يخف اللّه أخافه اللّه من كل شيء»

(۴)

،

و قال لابن مسعود:«إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أتمكم عقلا أشدكم اللّه خوفا».

و عن ليث بن أبى سليم قال: «سمعت رجلا من الأنصار يقول:بينما رسول اللّه مستظل بظل شجره فى يوم شديد الحر،إذ جاء رجل فنزع ثيابه، ثم جعل يتمرغ فى الرمضاء،يكوى ظهره مره،و بطنه مره،و جبهته مره، و يقول:يا نفس ذوقى،فما عند اللّه أعظم مما صنعت بك.و رسول اللّه ينظر إليه ما يصنع.ثم إن الرجل لبس ثيابه،ثم أقبل،فأومى إليه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم- بيده و دعاه،فقال له:يا عبد اللّه!رايتك صنعت شيئا

۱- ۱) الأعلى،الآيه:۱۰.

۲- ۲) النازعات،الآيه:۴۰-۴۱

۳- ۳) الرحمن،الآيه:۴۶.

۴- ۴) روی الحديث فی أصول الكافی فی باب الخوف و الرجاء عن الصادق(ع)

ما رأيت أحدا من الناس صنعه،فما حملك على ما صنعت؟فقال الرجل:

حملنى على ذلك مخافه اللّه،فقلت لنفسى:يا نفس ذوقى فما عند اللّه أعظم مما صنعت بك.فقال النبى-صلى الله عليه و آله و سلم-:لقد خفت ربك حق مخافته،و إن ربك ليباهى بك أهل السماء،ثم قال لأصحابه:يا معشر من حضر!ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم.فدنوا منه،فدعا لهم،و قال اللهم اجمع أمرنا على الهدى و اجعل التقوى زادنا،و الجنه مآبنا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعه،و إن كانت مثل رأس الذباب،من خشيه اللّه،ثم يصيب شيئا من حر وجهه،إلا حرمه اللّه على النار»،

و قال: «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشيه اللّه تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها»،

و قال: «لا يلج النار أحد بكى من خشيه اللّه حتى يعود اللبن فى الضرع».

و قال سيد الساجدين(ع) فى بعض أدعيته:

«سبحانك!عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك»

.

و قال الباقر عليه السلام: «صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق،فلما انصرف وعظهم،فبكى و أبكاهم من خوف اللّه،ثم قال:أما و اللّه لقد عهدت أقواما على عهد خليلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:و أنهم ليصبحون و يمسون شعثا غبرا خمصا بين أعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجدا و قياما، يراوحون بين أقدامهم و جباههم،يناجون ربهم فى فكاك رقابهم من النار و اللّه لقد رأيتهم مع هذا و هم خائفون مشفقون»،

و فى روايه أخرى: «و كأن زفير النار فى آذانهم،إذا ذكر اللّه عندهم مادوا كما تميد الشجر،كأنما القوم باتوا غافلين»،

ثم قال عليه السلام: «فما رئى عليه السلام بعد ذلك ضاحكا حتى قبض».

و قال الصادق عليه السلام: «من عرف اللّه خاف اللّه و من خاف اللّه سخت نفسه عن الدنيا».

و قال عليه السلام: «إن من العباده

شده الخوف من اللّه تعالی یقول: إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ .و قال:

فَلاٰ تَخْشَوُا النّٰاسَ وَ اخْشَوْنِ

(۱)

.قال: وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲).

و قال:«إن حب الشرف و الذکر لا یکونان فی قلب الخائف الراهب»

و قال علیه السلام: «المؤمن بین مخافتین:ذنب قد مضی ما یدری ما صنع اللّه فیه،و عمر قد بقی لا یدری ما یکتسب فیه من المهالک،فهو لا یصبح إلا خائفا و لا یصلحه إلا الخوف»،

و قال(ع): «خف اللّه کأنک تراه،و إن کنت لا تراه فإنه یراک،و إن کنت تری أنه لا یراک،فقد کفرت،و إن کنت تعلم أنه یراک ثم برزت له بالمعصیه فقد جعلته من أهون الناظرین إلیک»،

و قال(ع) «لا یکون المؤمن مؤمنا حتی یکون خائفا راجیا،و لا یکون خائفا راجیا حتی یکون عاملا لما یخاف و یرجو»،

و قال(ع): «مما حفظ من خطب النبی -صلی اللّه علیه و آله و سلم-أنه قال:أیها الناس!إن لکم معالم فانتهوا إلی معالمکم،و إن لکم نهایه فانتهوا إلی نهایتکم،ألا إن المؤمن یعمل بین مخافتین بین أجل قد مضی لا یدری ما اللّه صانع فیه و بین أجل قد بقی لا یدری ما اللّه قاض فیه،فلیأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه و من دنیاه لآخرته،و من الشبیبه قبل الکبر،و فی الحیاه قبل الممات،فو الذی نفس محمد بیده ما بعد الدنیا من مستعتب و ما بعدها من دار إلا الجنه أو النار».

ثم الأخبار الوارده فی فضل العلم و التقوی و الورع و البکاء و الرجاء تدل علی فضل الخوف،لان جمله ذلک متعلقه به تعلق السبب أو تعلق

۱- ۱) المائده،الآیه:۴۴.

۲- ۲) الطلاق،الآیه:۲.

المسبب،إذ العلم سبب الخوف،و التقوى و الورع يحصلان منه و يترتبان عليه-كما ظهر مما سبق-و البكاء ثمرته و لازمه،و الرجاء يلازمه و يصاحبه إذ كل من رجا محبوبا فلا بد أن يخاف فوته،إذ لو لم يخف فوته لم يحبه فلا ينفك أحدهما عن الآخر،و إن جاز غلبه أحدهما على الآخر،إذ من شرطهما تعلقهما بالمشكوك،لأن المعلوم لا يرجى و لا يخاف،فالمحبوب المشكوك فيه تقدير وجوده يروح القلب و هو الرجاء،و تقدير عدمه يؤلمه و هو الخوف،و التقديران يتقابلان.نعم أحد طرفى الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب،و يسمى ذلك ظنا،و مقابله وهما،فإذا ظن وجود المحبوب قوى الرجاء و ضعف الخوف بالإضافه إليه،و كذا بالعكس،و على كل حال فهما متلازمان،و لذلك قال اللّه سبحانه.

وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً

(۱)

.و قال: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً (۲).

و قد ظهر أن ما يدل على فضل الخمسه يدل على فضيلته،و كذا ما ورد فى ذم الأمن من مكر اللّه يدل على فضيلته،لأنه ضده،و ذم الشيء مدح لضده الذى ينفيه.و مما يدل على فضيلته ما ثبت بالتواتر من كثره خوف الملائكه و الأنبياء و أئمه الهدى-عليهم السلام-كخوف جبرائيل،و ميكائيل، و إسرافيل،و حمله العرش،و غيرهم من الملائكه المهيمين و المسلمين.و كخوف نبينا،و إبراهيم،و موسى،و عيسى،و داود،و يحيى...و غيرهم.و خوف أمير المؤمنين و سيد الساجدين و سائر الأئمه الطاهرين-عليهم السلام-و حكايه

۱- ۱) الأنبياء،الآيه:۹۰.

۲- ۲) السجده،الآيه:۱۶.

خوف کل منهم فی کتب المحدثین مذکوره و فی زبرهم مسطوره،فلیرجع إلیها من أراد،و من اللّه العصمه و السداد.

فصل الخوف إذا جاوز حده کان مذموما

اعلم أن الخوف ممدوح إلی حد،فإن جاوزه کان مذموما.و بیان ذلک:

أن الخوف سوط اللّه الذی سوق به العباد إلی المواظبه علی العلم و العمل، لینالوا بهما رتبه القرب إلیه تعالی و لذه المحبه و الأنس به،و کما أن السوط الذی تساق به البهیمه و یأدب به الصبی،له حد فی الاعتدال.لو قصر عنه لم یکن نافعا فی السوق و التأدیب،و لو تجاوز عنه فی المقدار أو الکیفیه أو المبالغه فی الضرب کان مذموما لأدائه إلی إهلاک الدابه و الصبی،فکذلک الخوف الذی هو سوط اللّه لسوق عباده له حد فی الاعتدال و الوسط،و هو ما یوصل إلی المطلوب،فإن کان قاصرا عنه کان قلیل الجدوی،و کان کقضیب ضعیف یضرب به دابه قویه،فلا یسوقها إلی المقصد.و مثل هذا الخوف یجری مجری رقه النساء عند سماع شیء محزن یورث فیهن البکاء،و بمجرد انقطاعه یرجعن إلی حالهن الأولی،أو مجری خوف بعض الناس عند مشاهده سبب هائل،و إذا غاب ذلک السبب عن الحس رجع القلب إلی الغفله.

فهذا خوف قاصر قلیل الجدوی.فالخوف الذی لا یؤثر فی الجوارح بکفها عن المعاصی و تقییدها بالطاعات حدیث نفس و حرکه خاطر لا یستحق أن یسمی خوفا.و لو کان مفرطا ربما جاوز إلی القنوط و هو ضلال:

وَ مَنْ یَقْنَطُ مِنْ رَحْمَهِ رَبِّهِ إِلاَّ الضّالُّونَ

(۱)

ص:۲۶۵

۱- ۱) الحجر،الآیه:۵۶.

أو إلی اليأس و هو کفر:

لاٰ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْکٰافِرُونَ

(۱)

و لا ريب فی أن الخوف المجاوز إلی اليأس و القنوط يمنع من العمل، لرفعهما نشاط الخاطر الباعث علی الفعل،و إيجابهما کساله الأعضاء المانعه من العمل.و مثل هذا الخوف محض الفساد و النقصان و عين القصور و الخسران و لا رجحان له فی نظر العقل و الشرع مطلقا،إذ کل خوف بالحقيقه نقص لکونه منشأ العجز،لأنه متعرض لمحذور لا يمکنه دفعه،و باعث الجهل لعدم اطلاعه علی عاقبه أمره،إذ لو علم ذلک لم يکن خائفا،لما مر من أن الخوف هو ما کان مشکوکا فيه،فبعض أفراد الخوف إنما يصير کمالا بالإضافه إلی نقص أعظم منه، و باعتبار رفعه المعاصی و إفضائه إلی ما يترتب عليه من الورع و التقوی و المجاهده و الذکر و العباده و سائر الأسباب الموصله إلی قرب اللّه و أنسه،و لو لم يؤد إليها کان فی نفسه نقصا لا کمالا،إذ الکمال فی نفسه هو ما يجوز أن يوصف اللّه تعالی به،کالعلم و القدره و أمثالهما،و ما لا يجوز وصفه به ليس کمالا فی ذاته،و ربما صار محمودا بالإضافه إلی غيره و بالنظر إلی بعض فوائده،فما لا يفضی إلی فوائده المقصوده منه لإفراطه فهو مذموم، و ربما أوجب الموت أو المرض أو فساد العقل،و هو کالضرب الذی يقتل الصبی أو يهلک الدابه أو يمرضها أو يکسر عضوا من أعضائها.و إنما مدح صاحب الشرع الرجاء و کلف الناس به ليعالج به صدمه الخوف المفرط المفضی إلی اليأس أو إلی أحد الأمور المذکوره.فالخوف المحمود ما يفضی إلی العمل مع بقاء الحياه و صحه البدن و سلامه العقل،فإن تجاوز إلی إزاله شی منها فهو مرض يجب علاجه،و کان بعض مشائخ العرفاء يقول للمرتاضين من

۱- ۱) يوسف،الآيه:۸۷.

مریـدیه الملازمین للجوع أیامـا کثیره:احفظوا عقولکم،فإنه لم یکن للّه تعالی ولی ناقص العقل،و ما قیل:«إن من مات من خوف اللّه تعالی مات شـهیدا، معناه أن موته بالخوف أفضل من موته فی هـذا الوقت بـدونه،فهو بالنسـبه إلیه فضـیله،لا بالنظر إلی تقدیر بقائه و طول عمره فی طاعه اللّه و تحصـیل المعارف إذ للمترقی فی درجات المعارف و الطاعات له فی کل لحظه ثواب شهید أو شهداء فأفضل السعادات طول العمر فی تحصیل العلم و العلم،فکل ما یبطل العمر أو العقل و الصحه فهو خسران و نقصان.

فصل طرق تحصیل الخوف الممدوح

لتحصیل الخوف الممدوح و جلبه طرق:

(الأول)أن یجتهد فی تحصیل الیقین.

أی قوه الإیمـان بـاللّه،و الیوم الآخر،و الجنه،و النـار،و الحسـاب،و العقـاب.و لا ریب فی کونه مهیجـا للخوف من النـار و الرجاء للجنه.ثم الخوف و الرجـاء یؤدیـان إلی الصبر علی المکاره و المشاق،و هو إلی المجاهـده و التجرد لـذکر اللّه تعالی و الفکر فیه علی الـدوام،و یقـوی دوام الـذکر علی الأنس،و دوام الفکر علی کمـال المعرفه، و یؤدی الأنس و کمـال المعرفه إلی المحبه،و یتبعها الرضا و التوکل و سائر المقامات.و هـذا هو الترتیب فی سلوک منازل الـدین،فلیس بعـد أصل الیقین مقام سوی الخوف و الرجاء،و لا بعـدهما مقام سوی الصبر،و لا بعـده سوی المجاهده و التجرد للّه ظاهرا و باطنا،و لا بعده سوی الهدایه و المعرفه،و لا بعـدهما سـوی الأنس و المحبـه.و مـن ضـروره المحبـه الرضـا بفعـل المحبـوب و الثقـه بعنـایه،و هـو التوکل.فـالیقین هـو سـبب الخوف،فیجب تحصیل

السبب ليؤدى إلى المسبب.

(الثانى)ملازمه التفكر فى أحوال القيامه،

و أصـناف العـذاب فى الآخره و اسـتماع المواعظ المنـذره،و النظر إلى الخـائفين و مجالسـتهم،و مشاهـده أحـوالهم و اسـتماع حكايـاتهم.و هـذا ممـا يستجلب الخوف من عـذابه تعـالى،و هو خوف عموم الخلق،و هو يحصـل بمجرد أصل الإيمان بالجنه و النـار،و كونهما جزاءين على الطاعه و المعصـيه،و إنما يضـعف للغفله أو ضـعف الإيمان، و تزول الغفله و الضـعف بما ذكر.و أما الخوف من اللّه بأن يخاف البعـد و الحجاب و يرجو القرب و الوصال،و هو خوف أرباب القلوب،العارفين من صـفاته ما يقتضـى الخوف و الهيبه،المطلعين على سر قوله:

وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ

(۱)

.و قوله: اِتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ (۲).

فالعلاج فى تحصـيله الارتقاء إلى ذروه المعرفه،إذ هذا الخوف ثمره المعرفه باللّه و بصفات جلاله و جماله،و من لم يمكنه ذلك فلاـ يترك سـماع الأخبار و الآثار و ملاحظه أحوال الخائفين من هيبته و جلاله،كالأنبياء و الأولياء و زمره العرفاء،فإنه لا يخلو عن تأثير.

(الثالث)أن يتأمل فى أن الوقف على كنه صفات اللّه فى حيز المحال،

و أن الإحـاطه بكنه الأمور ليس فى مقـدره البشـر،إذ هى مرتبطه بالمشـيه ارتباطا يخرج عن حـد المعقول و المألوف.و من عرف ذلك على التحقيق يعلم أن الحكم على أمر من الأمور الآتيه غير ممكن بالحدس و القياس،فضلا

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۲۸.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۱۰۲.

عن القطع و التحقيق،و حينئذ يعظم خوفه و يشتد ألمه،و إن كانت الخيرات كلها له ميسره و نفسها عن الدنيا بالمره منقطعه.و إلى اللّه بشراشرها ملتفته، إذ خطر الخاتمه و عسر الثبات على الحق مما لا يمكن دفعه،و كيف يحصل الاطمئنان من تغير الحال،و قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن، و أنه أشد تقلبا من القدر فى غليانها،و قد قال مقلب القلوب:

إِنَّ عَذٰابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (۱)فإنى للناس أن يطمئنوا و هو يناديهم بالتحذر،و لذا قال بعض العرفاء:

«لو حالت بينى و بين من عرفته بالتوحيد خمسين سنه أسطوانه فمات لم أقطع له بالتوحيد،لأنى لا أدرى ما ظهر له من التقلب» (۲).

فصل خوف سوء الخاتمه و أسبابه

قد أشير إلى أن أعظم المخاوف خوف سوء الخاتمه،و له أسباب مختلفه ترجع إلى ثلاثه:

(الأول)و هو الأعظم،و هو أن يغلب على القلب عند سكرات الموت و ظهور أ هواله،

إما الجحود أو الشك،فتقبض الروح فى تلك الحاله،و تصير عقده الجحود أو الشك حجابا بينه و بين اللّه تعالى،و ذلك يقتضى البعد الدائم،و الحرمان اللازم،و خسران الأبد،و العذاب المخلد.

ثم هذا الجحود أو الشك إما يتعلق ببعض العقائد الأصوليه،كالتوحيد

۱- ۱) المعارج،الآيه:۲۸.

۲- ۲) نقل هذه الكلمه فى أحياء العلوم(ج ۴ ص ۱۴۹)عن بعض العارفين و لم يذكر اسمه أيضا.

و علمه تعالی أو غیر ذلک من صفاته الکمالیه،أو بضروریات أمر الآخره و النبوه.و کل واحد من ذلک کاف فی الهلاک و زهوق النفس علی الزندقه.

أو یتعلق بجمیعها إما إصاله أو سرایه، و المراد بالسرایه أن الرجل ربما اعتقد فی ذات اللّه و صفاته و أفعاله خلاف ما هو الحق و الواقع،إما برأیه و معقوله،أو بالتقلید،فإذا قرب الموت و ظهرت سکراته و اضطرب القلب بما فیه،ربما انکشف بطلان ما اعتقده جهلا،إذ حال الموت حال کشف الغطاء،و یکون ذلک سببا لبطلان بقیه اعتقاداته أو الشک فیها،و إن کانت صحیحه مطابقه للواقع،إذ لم یکن عنده أولا فرق بین هذا الاعتقاد الفاسد الذی انکشف فساده و بین سائر عقائده الصحیحه،فإذا علم خطأه فی البعض لم یبق له الیقین و الاطمئنان فی البواقی.کما نقل أن(الفخر الرازی)بکی یوما،فسألوه عن سبب بکائه،قال:«اعتقدت فی مسأله منذ سبعین سنه علی نحو انکشف الیوم لی بطلانه،فما أدرانی أن لا تکون سائر عقائدی کذلک» و بالجمله:إن اتفق زهوق روحه فی هذه الخطره قبل أن ینیب و یعود إلی أصل الإیمان،فقد ختم له بالسوء و خرجت روحه علی الشرک،أعاذنا اللّه منه، و ثبتنا علی الاعتقاد الحق لدیه،و هم المقصودون من قوله:

وَ بَدٰا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مٰا لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ

(۱)

.

و من قوله: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمٰالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً (۲).

۱- ۱) الزمر،الآیه:۴۷.

۲- ۲) الکهف،الآیه:۱۰۳-۱۰۴.

و البله:أعنی الذین آمنوا باللّه و رسوله و الیوم الآخر إیمانا مجملا راسخا، بمعزل عن هذا الخطر،

و لذلک ورد :أن أکثر أهل الجنه البله. و ورد المنع من البحث و النظر و الخوض فی الکلام،و الأخذ بظواهر الشرع،مع اعتقاد کونه تعالی منزها عن النقص متصفا بما هو الغایه و النهایه من صفات الکمال و السر فی ذلک:أن البله إذا أخذوا بما ورد من الشرع و اعتقدوا به،یثبتون علیه لقصور أذهانهم عن درک الشبهات و عدم اعتیادهم بالتشکیک،فلا یختلج ببالهم شک و شبهه و لو عند الموت.

و أما الخائضون فی غمرات البحث و النظر،و الآخذون عقائدهم من عقولهم المزجاه،فلیس لهم تثبت علی عقائدهم،إذ العقول عن درک صفات اللّه و سائر العقائد الأصولیه علی ما هی علیه قاصره،و الأدله التی یستخرجها مضطربه متعارضه.و أبواب الشکوک و الشبهات بالخوض و البحث تصیر مفتوحه.

فأذهانهم دائما محل تعارض العقائد و الشکوک،فربما ثبتت لهم عقیده بملاحظه بعض دلائله،فیحصل لهم فیها طمأنینه،ثم یعرض لهم شک یرفعها أو یضعفها،فهم دائما فی غمرات الحیره و الاضطراب.فإذا کان حالهم هذا فأخذتهم سکرات الموت،فأی استبعاد فی أن یختلج لهم حینئذ شک فی بعض عقائدهم.و مثله مثل من انکسرت سفینته و هو فی ملتطم الأمواج یرمیه موج إلی موج،و الغالب فی مثله الهلاک،و إن اتفق نادرا أن یرمیه موج إلی الساحل.

و قد نقل عن(نصیر الدین الحلی)-و هو من أعاظم المتکلمین-أنه قال:

«إنی تفکرت فی العلوم العقلیه سبعین سنه،و صنفت فیها من الکتب ما لا یحصی،لم یظهر لی منها شیء سوی أن لهذا المصنوع صانعا،و مع ذلک عجائز القوم فی ذلک أشد یقینا منی». فالصواب تلقی أصل الإیمان و العقائد من صاحب الوحی،مع تطهیر الباطن عن خبائث الأخلاق،و الاشتغال

بالطاعات و صوالح الأعمال،و عدم التعرض لما هو خارج عن طاقتهم من التفكر فی حقائق المعارف،إلا من أیده اللّه بالقوه القدسیه و القریحه المستقیمه،و أشرق نور الحکمه فی قلبه.و شمله خفی الألطاف من ربه،فله الخوض فی غمرات العلوم.و أما غیره فینبغی أن یأخذ منه أصول عقائده الوارده من الشرع،و یشتغل بخدمته حتی تشمله برکات أنفاسه،فإن العاجز عن المجاهده فی صف القتال ینبغی أن یسقی القوم و یتعهد دوابهم،لیحشر یوم القیامه فی زمرتهم و إن کان فاقدا لدرجتهم.

(الثانی)ضعف الإیمان فی الأصل،

و مهما ضعف الإیمان ضعف حب اللّه و قوی حب الدنیا فی القلب،و استولی علیه بحیث لا یبقی فی القلب موضع لحب اللّه إلا من حیث حدیث النفس،فلا یظهر له أثر فی مخالفه النفس و الشیطان،فیورث ذلک الانهماک فی اتباع الشهوات،حتی یظلم القلب و یسود،و تتراکم ظلمه الذنوب علیه،و لا یزال یطفئ ما فیه من نور الإیمان حتی ینطفئ بالکلیه،فإذا جاءت سکره الموت ازداد حب اللّه ضعفا،و ربما عدم بالمره،لما یستشعر من فراقه محبوبه الغالب علی قلبه و هو الدنیا،فیتألم و یری ذلک من اللّه،فیختلج ضمیره بإنکاره ما قدره اللّه من الموت،و ربما یحدث فی باطنه بغض اللّه بدل الحب،لما یری أن موته من اللّه،کما أن من یحب ولده حبا ضعیفا،إذا أخذ مالا له هو أحب إلیه منه و أتلفه،انقلب حبه بغضا.فإن اتفق زهوق روحه فی تلک اللحظه التی خطر فیها هذه الخطره فقد ختم له بالسوء.نعوذ باللّه من ذلک.

و قد ظهر أن السبب المفضی إلی ذلک غلبه حب الدنیا مع ضعف الإیمان الموجب لضعف حب اللّه،فمن وجد فی قلبه حب اللّه أغلب من حب الدنیا فهو أبعد من هذا الخطر،و إن أحب الدنیا أیضا،و من وجد فی قلبه عکس

ذلـک فهو قریب من هـذا الخطر.و السـبب فی قله حب اللّه قله المعرفه به،إذ لا یحب اللّه إلا من عرفه،و إلی هـذا القسم من سوء الخاتمه أشیر فی الکتاب الإلهی بقوله:

قُلْ إِنْ کٰانَ آبٰاؤُکُمْ وَ أَبْنٰاؤُکُمْ وَ إِخْوٰانُکُمْ وَ أَزْوٰاجُکُمْ وَ عَشِیرَتُکُمْ وَ أَمْوٰالٌ اقْتَرَفْتُمُوهٰا وَ تِجٰارَهٌ تَخْشَوْنَ کَسٰادَهٰا وَ مَسٰاکِنُ تَرْضَوْنَهٰا أَحَبَّ إِلَیْکُمْ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهٰادٍ فِی سَبِیلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّٰی یَأْتِیَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ

(۱)

فمن فـارقته روحه فی حـاله کراهه فعـل اللّه و بغضه له فی تفریقه بینه و بین أهله و ماله و سائر محابه،فیکون موته قـدوما علی ما أبغضه و فراقا لما أحبه فیقدم علی اللّه قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به علی مولاه قهرا،و لا یخفی ما یسـتحق مثله من الخزی و النکال و أما الـذی یموت علی حب اللّه و الرضا بفعله کان قـدومه قدوم العبد المحسن المشـتاق إلی مولاه،و لا یخفی ما یلقاه من الفرح و السرور.

(و الثالث)کثره المعاصی و غلبه الشهوات،و إن قوی الإیمان.

و بیـان ذلـک:أن مفـارقه المعاصـی سـببها غلبه الشـهوات و رسوخهـا فی القلب بکثره الألف و العاده،و جمیع ما ألفه الإنسان فی عمره یعود ذکره فی قلبه عنـد موته،فـإن کان أکثر میله إلی الطاعات کان أکثر ما یحضـره عنـد الموت طاعه اللّه،و إن کان أکثر میله إلی المعاصی غلب ذکرها علی قلبه عنده،و إن کان أکثر

۱- ۱) التوبه،الآیه:۲۴.

شغله السخریه و الاستهزاء و المزاح و أمثال ذلک کان الغالب عند الموت ذلک،و هکذا الحال فی جمیع الأشغال و الأعمال الغالبه فی عمره،فإنها تغلب علی قلبه عند موته،فربما یقبض روحه عند غلبه شهوه من شهوات الدنیا و معصیه من المعاصی،فیعتقد بها قلبه،و یصیر محجوبا عن اللّه تعالی.

و هو المراد بالختم علی السوء.فالذی غلبت علیه المعاصی و الشهوات،و کان قلبه أمیل إلیها منه إلی الطاعه،فهذا الخطر قریب فی حقه و لا یمیل إلیها أصلا،فهو بعید منه جدا.و من غلبت علیه الطاعات و لم یقارف المعاصی إلا نادرا،فلعل الراجح فی حقه النجاه منه،و إن أمکن حصوله.و من لم یغلب شیء من طاعاته و معاصیه علی الآخر فأمره فی هذا الخطر إلی اللّه،و لا یمکن لنا الحکم بشیء من القرب و البعد فی حقه.

و السر فی ذلک:أن الغشیه المتقدمه علی الموت شبیهه بالنوم،فکما أن الإنسان یری فی منامه جمله من الأحوال التی عهدها طول عمره و ألفها،حتی أنه لا یری فی منامه إلا ما یماثل مشاهداته فی الیقظه،و حتی أن المراهق الذی یحتلم لا یری صوره الوقاع،فکذلک حاله عند سکرات الموت و ما یتقدمه من الغشیه،لکونه شبیها بالنوم و إن کان فوقه، فیقتضی ذلک تذکر المألوفات و عودها إلی القلب،فربما یکون غلبه الألف سببا لأن تتمثل صوره فاحشه فی قلبه و تمیل نفسه إلیها و تقبض علیها روحه،و یکون ذلک سبب سوء خاتمته،و إن کان أصل الإیمان باقیا بحیث یرجی له الخلاص منها بعنایه اللّه و فضله.و کما أن ما یخطر بالبال فی الیقظه إنما یخطر بسبب خاص لا یعلمه بحقیقته أحد إلا اللّه،فکذلک ما یری فی آحاد المنامات و ما یختلج فی القلب عند سکرات الموت له أسباب عند اللّه لا نعرف بعضها،و ربما نتمکن من معرفه بعضه،فإنا نعلم أن الخاطر ینتقل من الشیء إلی ما یناسبه،إما بالمشابهه

بـأن ينظر إلى جميل فيتـذكر جميلا آخر،و إما بالمضاده،بأن ينظر إلى جميل فيتـذكر قبيحا،و إما بالمقارنه،بأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان،و قد ينتقل الخاطر من شـىء إلى شىء،و لا يدرى وجه المناسبه له،و ربما ينتقل إلى شىء لا يعرف سـببه أصـلا.و كذلك انتقالات الخواطر بالمنام و عند سـكرات الموت لها أسباب لا نعرف بعضها و نعرف بعضها بالنحو المذكور. و من أراد أن يكف خاطره عن الانتقال إلى المعاصى و الشهوات،فلا طريق له إلا المجاهده طول عمره فى فطام نفسه عنها،و فى قمع الشهوات عن قلبه،فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار،و يكون طول المجاهده و المواظبه على العلم و تخليه السر عن الشواغل الدنيويه و تقييده بالتوجه إلى اللّه و حبه و أنسه عده و ذخيره لحاله سكرات الموت،

إذ المرء يموت على ما عاش عليه،و يحشر على ما مات عليه،كما ورد فى الخبر (۱).

و قد دلت المشاهده على أن كل أحد يكون عند موته مشـغول القلب بما هو الغالب عليه طول عمره،حيث يظهر منه عند ذلك،و إنمـا المخوف الموجب لسوء الخـاتمه هو خاطر سوء يخطر،و منه عظم خوف العارفين،إذ اختلاج الخواطر و الاتفاقات المقتضـيه لكونها مـذمومه أو ممـدوحه لا يـدخل تحت الاختيار دخولا كليا،و إن كان لطول الألف و العاده تأثير و مـدخليه،و لـذا إذا أراد الإنسان ألا يرى فى المنام إلا الأنبياء و الأئمه-عليهم السـلام- و أحوال الصالحين و العبادات لم يتيسـر له،و إن كانت كثره الحب و المواظبه على الصـلاح و الطاعه مؤثره فيه. و بالجمله:اضـطرابات الخيال لا تدخل بالكليه تحت الضبط،و إن كان الغالب مناسبه ما يظهر فى النوم لما غلب فى

۱- ۱) لم نعثر على مصدر لهذا الخبر،و جاء ذكر هذا الخبر مرسـلا فى(الحقائق) -ص ۸۸ طبع إيران-للشيخ(ملا محسن الفيض)و لم يذكر المصدر له.

اليقظه.و بـذلك يعلـم أن أعمـال العبـد كلهـا ضـائعه إن لـم يسـلم فى النفس الأـخير الـذى عليه خروج الروح،و أن السـلامه مع اضطراب أمواج الخواطر مشكله و لذلك

قال رسول اللّه-صـلى اللّه عليه و آله و سـلم-: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنه خمسـين سـنه حتى لا يبقى بينه و بين الجنه إلا فواق ناقه، فيختم له بما سبق به الكتاب» و معلوم أن فواق الناقه لا يتسع لأعمال توجب الشـقاوه،بل هى الخواطر التى تضـطرب و تخطر خطور البرق الخاطف.و من هنا قيل (١):«إنى لا أعجب ممن هلك،كيف هلك،و لكنى أعجب ممن نجا كيف نجا»،

و ورد (٢): «أن الملاـئكه إذا صـعدت بروح المؤمن،و قـد مات على الخير و الإسـلام،تعجبت الملائكه منه،و قالوا:كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا». و لذلك قيل (٣):من وقعت سفينته فى لجه البحر،و هجمت عليه الرياح العاصفه،و اضطربت الأمواج،كانت النجاه فى حقه أبعد من الهلاك،و قلب المؤمن أشد اضـطرابا من السفينه،و أمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر،و مقلب القلوب هو اللّه.و من هنا يظهر سر

قوله:

«النـاس كلهم هلكى إلا العالمون،و العالمون كلهم هلكى إلا العاملون، و العاملون كلهم هلكى إلا المخلصون،و المخلصون على خطر عظيم» (۴).

۱- ۱) القائل هو(مطرف بن عبد اللّه)كما فى إحياء العلوم:ج ۴ ص ۱۵۵

۲- ۲) يظهر من كلمه(ورد)أن هذا حديث.و فى إحياء العلوم-ج ۴ ص ۱۵۵-كلام ينقله عن(حامد اللفاف).

۳- ۳) القائل هو(الغزالى)فى إحياء العلوم،فى الصفحه المتقدمه.

۴- ۴) جـاء نص هـذا الكلام فى أثناء كلام(الغزالى)فى إحياء العلوم-ج ۴ ص ۱۵۶-و كأنه من كلام نفسه.إلا أنه جاء نص هـذه العبـاره فى(مجمـوعه الشـيخ ورام)ص ۳۲۰،عـن النبـى-صـلى اللّه عليـه و آلـه و سـلم-مرسـلا.و كـذلك جـاء فى(مصـباح الشريعه)المنسوب إلى الصادق-عليه السلام-فى الباب- ۷۷ ما يقرب من هذا النص.فما ذا نظن أراد المؤلف بقوله:(سر قوله)،هل أراد الغزالى ما ترى؟

و لأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهاده مطلوبه و موت الفجأه مكروها، إذ موت الفجأه ربما يتفق عند غلبه خاطر سوء و استيلائه على القلب.

و أما الشهاده فى سبيل اللّه فإنها عباره عن قبض الروح فى حاله لم يبق فى القلب غير حب اللّه،و خرج حب الدنيا و المال و الولد،فإن من هجوم على صف القتال بأمر اللّه و أمر رسوله يكون موطنا نفسه على الموت لرضا اللّه و حبه، بائعا دنياه بآخرته،راضيا بالبيع الذى بايعه اللّه به فى قوله:

إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ

(۱)

.

و بذلك يظهر أن القتل لا بسبب الشهاده التى حقيقتها ما فسر،لا يفيد الاطمئنان من هذا الخطر،و إن كان ظلما،و إن كان فى الجهاد،إذا لم تكن هجرته فيه إلى اللّه و رسوله،بل إلى دنيا يصيبها أو امرأه يأخذها.

و قد ظهر مما ذكر:أن سوء الخاتمه باختلاف أسبابه راجع إلى أحوال القلب،و حاله القلب إما خاطر خير أو خاطر سوء أو خاطر مباح،فمن زهق روحه على خاطر مباح لم يمكن الحكم بأنه ختم على خير أو سوء،بل أمره إلى اللّه،و إن كانت النجاه له أقرب بعد غلبه صالحات أعماله على فاسداتها،و من زهق روحه على خاطر سوء و هو أحد الخواطر المتقدمه:

فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً بَعِيداً ،و خَسِرَ خُسْرٰاناً مُبِيناً (۲) و من زهق روحه على خاطر خير و هو أن يكون قلبه فى حاله الموت

۱- ۱) التوبه،الآيه:۱۱۱.

۲- ۲) النساء،الآيه:۱۱۹،۱۱۶.

متوجها إلى اللّه ممتليا من حبه و أنسه«فقد فاز فوزا عظيما».و هذا موقوف على المجاهده فى فطام النفس عن الشهوات الحيوانيه،و إخراج حب الدنيا عنها رأسا،و الاحتراز عن فعل المعاصى و مشاهداتها و التفكر فيها،و عن مجالسه أهلها و استماع حكاياتهم،بل عن مباحات الدنيا بالكليه،و تخليه السر عما سوى اللّه،و الانقطاع بشراشره إليه،و إخراج محبه كل شىء سوى محبته عن قلبه،حتى يصير حبه سبحانه و الأنس به ملكه راسخه،ليغلب على القلب عند سكره الموت،و بدون ذلك لا يمكن القطع بذلك،كيف و قد علمت أن الغشيه المتقدمه على الموت شبه النوم،و أنت فى غالب الرؤيا الظاهره عليك فى المنام لا تجد فى قلبك حبا للّه و أنسا به و توجها إليه،بل لا يخطر ببالك أن لك ربا متصفا بالصفات الكماليه،بل ترى ما كنت تألفه و تعتاده من الأمور الباطله و الخيالات الفاسده،فإن زهق روحك عند اشتغال خاطرك بشىء من الأمور الدنيويه،و لم يكن متوجها إلى اللّه و مستحضرا معرفته و مبتهجا بحبه و أنسه،لبقيت على تلك الحاله أبدا،و هو الشقاوه العظمى و الخيبه الكبرى.

فتيقظ-يا حبيبى-من سنه الغفله،و تنبه عن سكر الطبيعه،و اخرج حب الدنيا عن قلبك،و توجه بشراشرك إلى جناب ربك،و اكتف من الدنيا بقدر ضرورتك و لا تطلب منها فوق حاجتك،و اقنع من الطعام ما يقيم صلبك و لا تكثر التناول منه ليزيل من ربك قربك،و ارض من اللباس بما يستر عورتك و لا يظهر للناس سوءتك،و اكتف من المسكن بما يحول بينك و بين الأبصار و يدفع عنك حر الشمس و برد الأمطار،فإن جاوزت عن ذلك تشعبت همومك و تكثرت غمومك،و أحاط بك الشغل الدائم و العناء اللازم و ذهب عنك جل خيراتك و ضاعت بركات أوقاتك.و بعد ذلك راقب قلبك

فی جمیع الأوقات،و إیاک أن تهمله لحظه من اللحظات،و احفظه من أن یکون محلاـ لغیر معرفه اللّه و حبه،و لیکن القرب إلی اللّه و الأنس به غایه همک،إذ العاقل إنما یمیل و یشتاق إلی ما هو الأشرف و الأکمل،و یسر و یرتاح بما له أحسن و أنفع،و لا ریب فی أن أشرف الموجودات و أکملها هو سبحانه،بل هو الموجود الحقیقی و الکمال الواقعی،و غیره من الموجودات و الکمالات من لوازم فیضه و رشحات وجوده و فضله،و له غایه ما یتصور من العلو و الکمال و البهاء و الجلال،و إن معرفته و حبه أحسن الأشیاء و أنفعها لکل أحد،لأنه الباعث للسعاده الأبدیه و البهجه الدائمیه،فلا ینبغی للعاقل أن یترک ذلک اشتغالا بفضول الدنیا و خسائسها،بل یلزم علیها أن یترک حبلها علی غاربها،و یخلص نفسه الشریفه عن مخالبها،و یتوجه بکلیته إلی جناب ربه،و لم یکن فرحه و ابتهاجه إلا بحبه و أنسه.

فصل الفرق بین الاطمئنان و الأمن من مکر اللّه

ضد الخوف المذموم هو اطمئنان القلب فی الأمور المذکوره،و لا ریب فی کونه فضیله و کمالا،إذ قوه القلب و عدم اضطرابه مما یحکم العقل بعدم الحذر عنه صفه کمال،و نقیضه نقص و رذیله.

و أما الخوف الممدوح،فضده الأمن من مکر اللّه،و هو من المهلکات، و قد ورد به الذم فی الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

فَلاَ یَأْمَنُ مَکْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ

(۱)

و قد ثبت بالتواتر:أن الملائکه و الأنبیاء کانوا خائفین من مکره،

کما

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۹۹.

روی: «أنه لما ظهر علی إبلیس ما ظهر،طفق جبرئیل و میکائیل یبکیان، فأوحی اللّه إلیهما:ما لکما تبکیان؟فقالا:یا رب!لا نأمن مکرک.فقال اللّه هکذا کونا،لا تأمنا مکری».

و روی: «أن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم- و جبرئیل بکیا من خوف اللّه تعالی،فأوحی اللّه إلیهما:لم تبکیان و قد أمنتکما؟ فقالا:و من یأمن مکرک؟» و کأنهما لم یأمنا أن یکون قوله(قد أمنتکما) ابتلاء لهما و امتحانا،حتی أن سکن خوفهما (۱)ظهر أنهما قد أمنا المکر و ما وفیا بقولهما،کما أن إبراهیم علیه السلام لما وضع فی المنجنیق قال:حسبی اللّه و کان هذا القول منه من الدعاوی العظیمه،فامتحن و عورض بجبرئیل علیه السلام فی الهواء حتی قال:أ لک حاجه؟قال:أما إلیک فلا.و کان ذلک وفاء بمقتضی قوله،فأخبر اللّه تعالی عنه و قال:

وَ إِبْرٰاهِیمَ الَّذِی وَفّٰی

(۲)

و بالجمله:ینبغی للمؤمن ألا یأمن من مکر ربه،کما لم یأمن منه الملائکه و الأنبیاء،و إذا لم یأمن منه کان خائفا منه دائما.

تتمیم التلازم بین الخوف و الرجاء

الرجاء ارتیاح القلب لانتظار المحبوب،و هو یلازم الخوف،إذ الخوف -کما عرفت-عباره عن التألم من توقع مکروه ممکن الحصول،و ما یمکن حصوله یمکن عدم حصوله أیضا،و ما کان حصوله مکروها کان عدم حصوله محبوبا،فکما أنه یتألم بتوقع حصوله یرتاح لیتوقع عدم حصوله أیضا، فالخوف عن شیء وجودا یلزمه الرجاء عدما،و عنه عدما یلزمه الرجاء

۱- ۱) هذه العباره لبیان الابتلاء و الامتحان،یعنی:أنهما یخشیان إذا سکن خوفهما أن یظهر أنهما قدامنا المکر و لم یوفیا بقولهما فیکون ذلک امتحانا لهما

۲- ۲) النجم،الآیه:۳۷.

وجـودا. و قس عليه اسـتلزام الرجـاء للخوف،فهمـا متلازمـان،و إن أمكن غلبه أحـدهما نظرا إلى كـثره حصول أسـبابه.و إن تيقن الحصول أو عدمه لم يكن انتظارهما خوفا و رجاء،بل سمى انتظار مكروه أو انتظار محبوب.

ثم كما أن الخوف من متعلقات قوه الغضب،و أن الممدوح منه من فضائلها،لكونه مقتضى العقل و الشرع،و باعثا للعمل من حيث الرهبه، فكـذا الرجـاء متعلق بهـا و من فضائلهـا،لكونه مقتضاهمـا و باعثا للعمل من حيث الرغبه.إلا أن الخوف لترتبه على ضـعف القلب يكون أقرب إلى طرف التفريط،و الرجاء لترتبه على قوته يكون أقرب إلى طرف الإفراط،و إن كان كلاهما ممـدوحين.ثم لاـ بـد أن يحصل أكثر أسـباب حصول المحبوب حتى يصـدق اسم الرجاء على انتظاره،كتوقع الحصاد ممن ألقى بـذرا جيـدا فى أرض طيبه يصلها الماء.و أما انتظار ما لم يحصل شىء من أسبابه فيسمى غرورا و حماقه، كتوقع من ألقى بذرا فى أرض سبخه لا يصلها الماء.و انتظار ما كان أسبابه مشكوكه يسمى تمنيا،كما إذا صلحت الأرض و لا ماء.

و تفصـيل ذلك:أن الدنيا مزرعه الآخره،و القلب كالأرض،و الإيمان كالبذر،و الطاعات هى الماء الذى تسقى به الأرض،و تطهير القلب من المعاصـى و الأخلاـق الـذميمه بمنزله تنقيه الأـرض من الشوك و الأحجـار و النباتـات الخـبيثه،و يوم القيـامه هو وقت الحصاد.فينبغى أن يقاس رجاء العبـد(المغفره) برجاء صاحب الزرع(التنميه)،و كما أن من ألقى البـذر فى أرض طيبه،و ساق إليها المـاء فى وقته،و نقاهـا الشوك و الأحجار،و بـذل جهـده فى قلع النباتات الخبيثه المفسـده للزرع،ثم جلس ينتظر كرم اللّه و لطفه مؤملاـ أن يحصـل له وقت الحصـاد مـائه قفيز مثلاـسـمى انتظـاره رجاء ممـدوحا،فكـذلك العبـد إذا طهر أرض قلبه عن شوك الأخلاق الرديه و بث فيه بذر الإيمان بماء

الطاعات،ثم انتظر من فضل اللّه تثبيته إلى الموت و حسن الخاتمه المفضيه إلى المغفره،كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه.و كما أن من تغافل عن الزراعه و اختار الراحه طول السنه،أو ألقى البذر فى أرض سبخه مرتفعه لا ينصب إليها ماء،و لم يشتغل بتعهد البذر و إصلاح الأرض من النباتات المفسده للزرع،ثم جلس منتظرا إلى أن ينبت له زرع يحصده،سمى انتظاره حمقا و غرورا.كذلك من لم يلق بذر الإيمان فى أرض قلبه،أو ألقاه فيه مع كونه مشحونا برذائل الأخلاق منهمكا فى خسائس الشهوات و اللذات، و لم يسق إليها ماء الطاعات،ثم انتظر المغفره،كان انتظاره حمقا و غرورا.

و كما أن من بث البذر فى أرض طيبه لا ـ ماء لها،و جلس ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار،و إن لم يمتنع أيضا،سمى انتظاره تمنيا.كذلك من ألقى بذر الإيمان فى أرض قلبه،و لكنه لم يسق إليه ماء الطاعات و انتظر المغفره بلطفه و فضله،كان انتظاره تمنيا.

فإذن،اسم(الرجاء)إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخله تحت اختيار العبد،و لم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، و هو فضل اللّه تعالى بصرف القواطع و المفسدات.فالأحاديث الوارده فى الترغيب على الرجاء و فى سعه عفو اللّه و جزيل رحمته و وفور مغفرته، إنما هى مخصوصه بمن يرجو الرحمه و الغفران بالعمل الخاص المعد لحصولهما، و ترك الانهماك فى المعاصى المفوت لهذا الاستعداد.فاحذر أن يغرك الشيطان و يثبطك عن العمل و يقنعك بمحض الرجاء و الأمل.و انظر إلى حال الأنبياء و الأولياء و اجتهادهم فى الطاعات و صرفهم العمر فى العبادات ليلا و نهارا، أ ما كان يرجون عفو اللّه و رحمته؟بلى و اللّه!إنهم كانوا أعلم بسعه رحمه اللّه و أرجى لها منك و من كل أحد،و لكن علموا أن رجاء الرحمه من دون العمل

غرور محض و سفه بحت،فصرفوا فی العبادات أعمارهم و قصروا علی الطاعات لیلهم و نهارهم.

و نحن نشیر(أولا)إلی بعض ما ورد فی الرجاء من الآیات و الأخبار، ثم نورد نبذا مما یدل علی أنه لا معنی للرجاء بدون العمل،لیعلم أن إطلاق الأول محمول علی الثانی.فنقول:

الظواهر الوارده فی الرجاء أکثر من أن تحصی،و هی علی أقسام:
(الأول)ما ورد فی النهی عن القنوط و الیأس من رحمه اللّه

کقوله تعالی:

یا عِبادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ

(۱)

:

و قول علی(ع) لرجل أخرجه الخوف إلی القنوط لکثره ذنوبه:

«أیا هذا!یأسک من رحمه اللّه أعظم من ذنوبک».

و ما روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-لما قال:لو تعلمون ما أعلم لضحکتم قلیلا و لبکیتم کثیرا و لخرجتم إلی الصعدات تلدمون صدورکم و تجأرون إلی ربکم.فهبط جبرئیل (ع)فقال:إن ربک یقول:لم تقنط عبادی؟فخرج علیهم و رجاهم و شوقهم».

و ما ورد: «أن رجلا من بنی إسرائیل کان یقنط الناس و یشدد علیهم،فیقول اللّه له یوم القیامه:الیوم أویسک من رحمتی کما کنت تقنط عبادی منها».

(الثانی)ما ورد فی الترغیب علی خصوص الرجاء و کونه سبب النجاه،

کما ورد فی أخبار یعقوب من«أنه تعالی أوحی إلیه أ تدری لم فرقت بینک و بین یوسف؟لقولک:

وَ أَخٰافُ أَنْ یَأْکُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غٰافِلُونَ

(۲)

.

۱- ۱) الزمر،الآیه:۵۳.

٢- ٢) يوسف،الآيه:١٣.

لم خفت الذئب و لم ترجنی؟و لم نظرت إلی غفله إخوته و لم تنظر إلی حفظی؟»

و قول أمیر المؤمنین(ع) لرجل قال عند النزع:أجدنی أخاف ذنوبی و أرجو رحمه ربی:«ما اجتمعا فی قلب عبد فی هذا الموطن إلا أعطاه اللّه ما رجا و أمنه مما یخاف»

(۱)

،

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه تعالی یقول للعبد یوم القیامه،ما منعک إذ رأیت المنکر أن تنکره؟فإن لقنه اللّه حجته،قال:رب رجوتک و خفت الناس،فیقول اللّه:قد غفرته لک».

و ما روی عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أن رجلا یدخل النار فیمکث فیها ألف سنه ینادی یا حنان یا منان،فیقول اللّه لجبرئیل:اذهب فأتنی بعبدی،فیجیء به،فیوقفه علی ربه،فیقول اللّه له:کیف وجدت مکانک؟فیقول:شر مکان،فیقول:رده إلی مکانه.قال:فیمشی و یلتفت إلی ورائه،فیقول اللّه عز و جل:إلی أی شیء تلتفت؟فیقول:لقد رجوت ألا تعیدنی إلیها بعد إذ أخرجتنی منها،فیقول اللّه تعالی:اذهبوا به إلی الجنه».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قال اللّه تعالی:لا یتکل العاملون علی أعمالهم التی یعملونها لثوابی،فإنهم لو اجتهدوا و أتعبوا أنفسهم أعمارهم فی عبادتی،کانوا مقصرین غیر بالغین فی عبادتهم کنه عبادتی،فیما یطلبون عندی من کرامتی،و النعیم فی جناتی،و رفیع الدرجات العلی فی جواری،و لکن برحمتی فلیثقوا،و إلی حسن الظن بی فلیطمئنوا،و فضلی فلیرجوا (۲)،فإن رحمتی عند ذلک تدرکهم،و منی یبلغهم رضوانی،و مغفرتی تلبسهم عفوی فإنی أنا اللّه الرحمن الرحیم و بذلک تسمیت».

و عن أبی جعفر(ع)قال:

۱- ۱) روی(احیاء العلوم:ج ۴ ص ۱۲۵)هذا الحدیث عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-.

۲- ۲) فی الکافی فی(باب حسن الظن باللّه عز و جل)تقدیم و تأخیر عما هنا، فقد جاء فیه:«و فضلی فلیرجوا و إلی حسن الظن بی فلیطمئنوا».

«وجدنا فی کتاب علی(ع)أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-قال و هو علی منبره.و الذی لا إله إلا هو ما أعطی مؤمن قط خیر الدنیا و الآخره إلا بحسن ظنه باللّه و رجائه له و حسن خلقه و الکف عن اغتیاب المؤمنین و الذی لا إله إلا هو لا یعذب اللّه مؤمنا بعد التوبه و الاستغفار إلا بسوء ظنه باللّه و تقصیره من رجائه و سوء خلقه و اغتیابه للمؤمنین،و الذی لا إله إلا هو لا یحسن ظن عبد مؤمن باللّه إلا کان اللّه عند ظن عبده المؤمن،لان اللّه کریم بیده الخیرات یستحیی (1)أن یکون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم یختلف ظنه و رجاءه،فأحسنوا باللّه الظن و ارغبوا إلیه».

(الثالث)ما ورد فی استغفار الملائکه و الأنبیاء للمؤمنین

کقوله تعالی:

وَ الْمَلاٰئِکَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِی الْأَرْضِ

(2)

.

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «حیاتی خیر لکم و موتی خیر لکم،أما حیاتی فأسن لکم السنن و أشرع لکم الشرائع،و أما موتی فإن أعمالکم تعرض علی،فما رأیت منها حسنا حمدت اللّه علیه و ما رأیت منها سیئا استغفرت اللّه لکم».

(الرابع)ما ورد فی تأجیل المذنب إلی أن یستغفر،

کقول الباقر-علیه السلام: «إن العبد إذا أذنب أجل من غدوه إلی اللیل،فإن استغفر لم یکتب علیه» (3).

و قول الصادق(ع): «من عمل سیئه أجل فیها

۱- ۱) فی الکافی فی(باب حسن الظن):(یستحی).

۲- ۲) الشوری،الآیه:۵.

۳- ۳) روی الکافی فی(باب الاستغفار من الذنب)هذا الحدیث عن الصادق-علیه السلام-.

سبع ساعات من النهار،فإن قال: أستغفر اللّه الذی لا إله إلا هو الحی القیوم و أتوب إلیه ثلاث مرات، لم تکتب علیه».

(الخامس)ما ورد فی شفاعه النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-

کقوله تعالی:

وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ

(۱)

.

و قد ورد فی تفسیره أنه لا یرضی محمد و واحد من أمته فی النار،

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ادخرت شفاعتی لأهل الکبائر من أمتی» ،و کذا ما ورد فی شفاعه الأئمه و المؤمنین.

(السادس)ما ورد من البشارات للشیعه و من عدم خلودهم فی النار،

و من أن حب النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و العتره الطاهره ینجیهم من العذاب،و إن فعلوا ما فعلوا.

(السابع)ما دل علی أن النار إما أعدها اللّه لأعدائه من الکافرین،

و إنما یخوف بها أولیاءه،کقوله تعالی.

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّٰارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذٰلِکَ یُخَوِّفُ اللّٰهُ بِهِ عِبٰادَهُ

(۲)

،و قوله: وَ اتَّقُوا النّٰارَ الَّتِی أُعِدَّتْ لِلْکٰافِرِینَ (۳)و قوله: لاٰ یَصْلاٰهٰا إِلاَّ الْأَشْقَی اَلَّذِی کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی (۴).

۱- ۱) الضحی،الآیه:۵.

۲- ۲) الزمر،الآیه:۱۶.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۳۱.

۴- ۴) اللیل،الآیه:۱۵-۱۶.

(الثامن)ما ورد فی سعه عفو اللّه و مغفرته و وفور رأفته و رحمته،

کقوله:

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّاسِ عَلیٰ ظُلْمِهِمْ

(۱)

و ما روی فی تفسیر قوله تعالی:

یَوْمَ لاٰ یُخْزِی اللّٰهُ النَّبِیَّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ

(۲)

«أن اللّه أوحی إلی نبیه:أنی أجعل حساب أمتک إلیک،فقال:لا یا رب!أنت خیر لهم منی (۳)،فقال إذن لا أخزیک فیهم»

و ما روی:«أنه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-قال یوما: یا کریم العفو!فقال جبرئیل:أ تدری ما تفسیر یا کریم العفو؟هو:أنه یعفو عن السیئات برحمته ثم یبدلها حسنات بکرمه» (۴).

و ما ورد: أن العبد إذا أذنب فاستغفر،یقول اللّه لملائکته:

انظروا إلی عبدی أذنب ذنبا،فعلم أنه له ربا یغفر الذنوب و یأخذ بالذنب أشهدکم أنی قد غفرت له.

و ما ورد فی الخبر القدسی: إنما خلقت الخلق لیربحوا علی،و لم أخلقهم لأربح علیهم» .

و ما ورد من«أنه لو لم یذنبوا، لخلق اللّه تعالی خلقا یذنبون لیغفر لهم

و قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«و الذی نفسی بیده.اللّه أرحم بعبده المؤمن من الوالده الشفیقه بولدها»

و ما ورد من«أنه سبحانه لیغفرن یوم القیامه مغفره ما خطرت قط علی قلب أحد حتی أن إبلیس یتطاول لها رجاء أن تصیبه». و الآیات و الاخبار الوارده فی هذا المعنی متجاوزه عن حد التواتر.

۱- ۱) الرعد،الآیه ۶.

۲- ۲) التحریم،الآیه ۸.

۳- ۳) فی(احیاء العلوم:ج ۴ ص ۱۲۸)هکذا:«أنت أرحم بهم منی»، و کذا بدل لا أخزیک:«لا نخزیک».

۴- ۴) فی(إحیاء العلوم:ص ۱۲۹ من ج ۴)هکذا:«هو إن عفا عن السیئات برحمته بدلها حسنات بکرمه».

(التاسع)ما دل على أن ابتلاء المؤمن فى الدنيا بالبلايا و الأمراض كفاره لذنوبه،

كقوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الحمى من قيح جهنم، و هى حظ المؤمن من النار».

(العاشر)-ما ورد فى أن الإيمان لا يضر معه عمل،

كما أن الكفر لا ينفع معه عمل،و فى أنه قد يغفر اللّه عبدا و يدخله الجنه لأجل مثقال ذره من الإيمان أو عمل جزئى من الأعمال الصالحه.

(الحادى عشر)ما ورد فى الترغيب على حسن الظن باللّه،

كقوله -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يموتن أحدكم إلا و هو يحسن الظن باللّه»

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يقول اللّه تعالى:أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء».

و قول الرضا(ع): «أحسن الظن باللّه،فإن اللّه عز و جل يقول:أنا عند ظن عبدى لى،إن خيرا فخير و إن شرا فشر».

و قول الصادق(ع): «حسن الظن باللّه:ألا ترجو إلا اللّه،و لا تخاف إلا ذنبك» و قد تقدم بعض أخبار أخر فى هذا المعنى.ثم إيجاب حسن الظن للرجاء و جلبه له مما لا ريب فيه.

(الثانى عشر)ما دل على أن الكافر أو النصاب يكونون يوم القيامه فداء للمؤمنين أو الشيعه،

كما روى أنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-قال:

«أمتى أمه مرحومه لا عذاب عليها فى الآخره،و عجل عقابها فى الدنيا بالزلزال و الفتن،فإذا كان يوم القيامه دفع إلى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب، فقيل هذا فداؤك من النار».

و عن أهل البيت-عليهم السلام-: «أن النصاب يجعلون فداء لشيعتنا بظلمهم إياهم و وقيعتهم فيهم».

و عن الصادق(ع): «سيؤتى بالواحد من مقصرى شيعتنا فى أعماله،بعد أن صان الولايه و التقيه و حقوق إخوانه،و يوقف بإزائه ما بين مائه و أكثر من ذلك إلى مائه ألف من النصاب،فيقال

له:هؤلاء فداؤک من النار،فیدخل هؤلاء المؤمنون إلی الجنه و أولئک النصاب إلی النار،و ذلک ما قال اللّه تعالی:

رُبَمٰا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کٰانُوا مُسْلِمِینَ

(۱)

فی الدنیا منقادین للإمامه،لیجعل مخالفوهم من النار فداءهم».

و أما(الثانی)-أعنی ما یدل علی أن رجاء المغفره و العفو و الرحمه إنما هو بعد العمل

-فأکثر من أن یحصی،کقوله تعالی:

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ أُولٰئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّٰهِ

(۲)

.و قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْکِتٰابَ یَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنیٰ وَ یَقُولُونَ سَیُغْفَرُ لَنٰا (۳).

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «الکیس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت،و الأحمق من اتبع نفسه هواها و تمنی علی اللّه الجنه».

و ما روی عن الصادق علیه السلام أنه قیل له:قوم یعملون بالمعاصی و یقولون:نرجوا فلا یزالون کذلک حتی یأتیهم الموت،فقال:«هؤلاء قوم یترجحون فی الأمانی کذبوا لیسوا براجین،«إن» (۴)من رجا شیئا طلبه،و من خاف من شیء هرب منه»

و عن علی بن محمد،قال: قلت له علیه السلام:إن قوما من موالیک یلمون بالمعاصی و یقولون نرجوا،فقال:«کذبوا،لیسوا لنا بموال

۱- ۱) الحجر،الآیه:۲.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۱۸.

۳- ۳) الأعراف،الآیه:۱۶۹.

۴- ۴) روی الحدیث فی الکافی(باب الرجاء)و لیس فیه کلمه«إن».

أولئک قوم ترجحت بهم الأمانی.من رجا شیئا عمل له،و من خاف شیئا هرب منه».

و عنه قال: «لا یکون المؤمن مؤمنا حتی یکون خائفا راجیا،و لا یکون خائفا راجیا حتی یکون عاملا لما یخاف و یرجو».

فصل مواقع الخوف و الرجاء و ترجیح أحدهما علی الآخر

قد عرفت أن الخوف و الرجاء محمودان،لکونهما باعثین علی العمل، و دواءین یداوی بهما أمراض القلوب،فضل کل منهما إنما هو بحسب ما یترتب علیه من فائده العمل و معالجه المرض.

و هذا یختلف باختلاف الأشخاص:فمن کان تأثیر الخوف فی بعثه علی العمل أکثر من تأثیر الرجاء فیه،فالخوف له أصلح من الرجاء و من کان بالعکس فبالعکس و من غلب علیه مرض الأمن من مکر اللّه و الاغترار به، فالخوف له أصلح.و من غلب علیه الیأس و القنوط،فالرجاء له أصلح.و من انهمک فی المعاصی،فالخوف له أصلح.و من ترک ظاهر الإثم و باطنه و خفیه و جلیه،فالأصلح له أن یعتدل خوفه و رجاؤه.

و الوجه فی ذلک:أن کل ما یراد به المقصود،ففضله إنما یظهر بالإضافه إلی مقصوده لا إلی نفسه،فلو فرض تساویهما فی البعث علی العمل و لم یغلب شیء من المذکورات،فالأصلح اعتدالهما،

کما قال أمیر المؤمنین علیه السلام لبعض ولده: «یا بنی!خف اللّه خوفا تری أنک إن أتیته بحسنات أهل الأرض لم یتقبلها منک،و ارج اللّه رجاء کأنک لو أتیته بسیئات أهل الأرض غفرها لک».

و قال الباقر علیه السلام: «لیس من عبد مؤمن إلا و فی قلبه نوران:نور خیفه،و نور رجاء،لو وزن هذا لم یزد علی هذا،و قد جمع اللّه سبحانه بینهما فی وصف من أثنی علیهم،فقال:یدعون ربهم خوفا و طمعا

و قال:يدعوننا رغبا و رهبا».

و عن الحارث بن المغيره قال: قلت للصادق عليه السلام:ما كان فى وصيه لقمان؟قال:«كان فيها الأعاجيب،و كان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه:خف اللّه عز و جل خيفه لو جئته ببر الثقلين لعذبك،و ارج اللّه رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك»،ثم قال عليه السلام: «كان أبى عليه السلام يقول:إنه ليس من عبد مؤمن إلا و فى قلبه نوران.نور خيفه،و نور رجاء،لو وزن هذا لم يزد على هذا،و لو وزن هذا لم يزد على هذا».

و قال عليه السلام: «الخوف رقيب القلب،و الرجاء شفيع النفس،و من كان باللّه عارفا كان من اللّه خائفا و إليه راجيا،و هما جناحا الإيمان،يطير العبد المحلق بهما إلى رضوان اللّه،و عينا عقله،يبصر بهما إلى وعد اللّه و وعيده، و الخوف طالع عدل اللّه و ناعى وعيده،و الرجاء داعى فضل اللّه،و هو يحيى القلب،و الخوف يميت النفس...و من عبد اللّه على ميزان الخوف و الرجاء لا يضل،و يصل إلى مأموله،و كيف لا يخاف العبد و هو غير عالم بما تختم صحيفته،و لا له عمل يتوسل به استحقاقا،و لا قدره له على شيء و لا مفر، و كيف لا يرجو و هو يعرف نفسه بالعجز،و هو غريق فى بحر آلاء اللّه و نعمائه من حيث لا تحصى و لا تعد،و المحب يعبد ربه على الرجاء بمشاهده أحواله بعين سهر (۱)،و الزاهد يعبد على الخوف» (۲).

۱- ۱) هكذا فى نسخ هذا الكتاب و نسخه البحار،و لم نعثر على استعمال (سهر)للمبالغه فى معنى ساهره.

۲- ۲) هذه الروايه نقلها فى البحار(الجزء الثانى من المجلد ۱۵ فى باب الخوف و الرجاء)عن مصباح الشريعه.و قد تقدم رأى صاحب البحار فى مصباح الشريعه ص ۱۲۱ فى تعليقتنا و هذه الروايه ظاهره أنها ليست من أسلوب كلام الإمام-عليه السلام-.

و قد ظهر مما ذكر:أن الرجاء أصلح و أفضل فی موضعین:(أحدهما)فی حق من تفتر نفسه عن فضائل الأعمال و یقتصر علی الفرائض،و کان الرجاء باعثا له علی التشمیر و النشاط للطاعات،و مثله ینبغی أن یرجی نفسه نعم اللّه تعالی و ما وعد اللّه به الصالحین فی العلیین،حتی ینبعث من رجائه نشاط العباده. (و ثانیهما)فی حق العاصی المنهمک إذا خطر له خاطر التوبه،فیقنطه الشیطان من رحمه اللّه،و یقول له:کیف تقبل التوبه من مثلک؟فعند هذا یجب علیه أن یقمع قنوطه بالرجاء و یتذکر ما ورد فیه،کقوله تعالی:

لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ

(۱)

و قوله: وَ إِنِّی لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ (۲).

و یتوب و یتوقع المغفره مع التوبه لا بدونها،إذ لو توقع المغفره مع الإصرار کان مغرورا.و الرجاء الأول یقمع الفتور المانع من النشاط و التشمیر و الثانی یقطع القنوط المانع من التوبه.

فصل العمل علی الرجاء أعلی منه علی الخوف

العمل علی الرجاء أعلی منه علی الخوف،لأن أقرب العباد أحبهم إلیه، و الحب یغلب بالرجاء.و اعتبر ذلک بملکین یخدم أحدهما خوفا من عقابه و الآخر رجاء لعطائه،و لذلک عیر اللّه أقواما یظنون السوء باللّه،قال:

وَ ذٰلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ أَرْدٰاکُمْ

(۳)

.

۱- ۱) الزمر،الآیه:۵۳

۲- ۲) طه،الآیه:۸۲.

۳- ۳) فصلت،الآیه:۲۳.

و قال:

وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً

(۱)

و ورد فی الرجاء و حسن الظن ما ورد- کما تقدم-

و فی الخبر: «أن اللّه تعالی أوحی إلی داود:أحبنی و أحب من یحبنی و حببنی إلی خلقی،فقال:

یا رب!کیف أحببک إلی خلقک؟قال:اذکرنی بالحسن الجمیل،و اذکر آلائی و إحسانی،و ذکرهم ذلک،فإنهم لا یعرفون منی إلا الجمیل». و رأی بعض الأکابر فی النوم-و کان یکثر ذکر أبواب الرجاء-فقال:«أوقفنی اللّه بین یدیه،فقال:ما الذی حملک علی ذلک؟فقلت:أردت أن أحببک إلی خلقک.فقال:قد غفرت لک».

هذا مع أن الرجاء أفضل من الخوف للعبد بالنظر إلی مطلعهما،إذ الرجاء مستقی من بحر الرحمه و الخوف مستقی من بحر الغضب.و من لاحظ من صفات اللّه ما یقتضی اللطف و الرحمه کانت المحبه علیه أغلب،و لیس وراء المحبه مقام.و أما الخوف فمستنده الالتفات إلی الصفات التی تقتضی الغضب فلا تمازجه المحبه کممازجتها للرجاء.نعم،لما کانت المعاصی و الاغترار علی الخلق أغلب،(لا)سیما علی الموجودین فی هذا الزمان،فالأصلح لهم غلبه الخوف،بشرط ألا یخرجهم إلی الیأس و قطع العمل،بل یحثهم علی العمل، و یکدر شهواتهم،و یزعج قلوبهم عن الرکون إلی دار الغرور،و یدعوهم إلی التجافی عن عالم الزور،إذ مع غلبه المعاصی علی الطاعات لا ریب فی أصلحیه الخوف،(لا)سیما أن الآفات الخفیه:من الشرک الخفی،و النفاق،و الریاء و غیر ذلک من خفایا الأخلاق الخبیثه فی أکثر الناس موجوده،و محبه الشهوات و الحطام الدنیوی فی بواطنهم کامنه،و أهوال سکرات الموت و اضطراب

۱- ۱) الفتح،الآیه:۱۱.

الاعتقاد عنده ممكنه،و مناقشات الحساب و رد أعمالهم الصالحه لأسباب خفيه محتمله، فمن عرف حقائق هذه الأمور،فإن كان ضعيف القلب جبانا فی نفسه غلب خوفه علی رجائه،و إن كان قوی القلب ثابت الجأش تام المعرفه استوی خوفه و رجاؤه.و أما أن يغلب رجاؤه فلا،بل غلبته إنما هو من الاغترار و قله التدبر،كما فی غالب الناس،بل الأصلح لهم غلبه الخوف، و لكن قبل الإشراف علی الموت،و أما عنده فالأصلح لهم غلبه الرجاء و حسن الظن،لأن الخوف جار مجری السوط الباعث علی العمل،و قد انقضی وقته و هو لا يطيق هنا أسباب الخوف،لأنها تقطع نياط قلبه و تعين علی تعجيل موته و أما روح الرجاء فيقوی قلبه و يحبب إليه ربه الذی إليه رجاؤه.

و ينبغی أن لا يفارق أحد الدنيا إلا محبا للّه،ليكون محبا للقائه،و من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه،و من أحب اللّه و لقاءه،و علم أنه تعالی أيضا يحب لقاءه،اشتقاق إليه تعالی،و كان فرحانا بالقدوم عليه،إذ من قدم علی محبوبه عظم سروره بقدر محبته،و من فارق محبوبه اشتد عذابه و محنته،فمهما كان الغالب علی القلب عند الموت حب الأهل و الولد و المال كانت محابه كلها فی الدنيا،فكانت الدنيا جنته،إذ الجنه هی البقعه الجامعه لجميع المحاب، فكان موته خروجا عن الجنه و حيلوله بينه و بين ما يشتهيه.و هذا أول ما يلقاه كل محب للدنيا،فضلا عما أعد اللّه له من ضرور الخزی و النكال و السلاسل و الأغلال. و أما إذا لم يكن له محبوب سوی اللّه و سوی معرفته و حبه و أنسه،فالدنيا و علائقها شاغله له عن المحبوب،فالدنيا أول سجنه،إذ السجن هی البقعه المانعه عن الوصول إلی محابه،فموته خلاص له من السجن و قدوم علی المحبوب،و لا يخفی حال من خلص من السجن و خلی بينه و بين محبوبه، و هذا أول ابتهاج يلقاه من كان محبا للّه غير محب للدنيا و ما فيها،فضلا عما

أعده اللّه مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

فصل مداواه الناس بالخوف أو الرجاء على اختلاف أمراضهم

قد عرفت أن المحتاج إلى تحصيل دواء الرجاء من غلب عليه اليأس فترك العباده أو غلب عليه الخوف فأسرف فيها حتى أضر بنفسه و أهله.و أما المنهمكون فى طغيان الذنوب و المغرورون بما هم فيه من الفساد و الخوف -كأكثر أبناء زماننا-فأدويه الرجاء بالنسبه إليهم سموم مهلكه،إذ لا يزداد سماعهم لها إلا تماديا فى طغيانهم و فسادا فى فسادهم و عصيانهم،فواعظ الخلق ينبغى أن يعرف أمراضهم و ينظر إلى مواقع عللهم،و يعالج كل عله بما يضادها لا بما يزيدها،ففى مثل هذا الزمان ينبغى ألا يذكر لهم بواعث الرجاء،بل يبالغ فى ذكر أسباب الخوف،لئلا يهلكهم و يرديهم بالكليه،و لا يقصد بموعظته استماله القلوب و توقع الثناء من الناس،فينتقل إلى الترغيب على الرجاء لكونه أخف على القلوب و ألذ عند النفوس،فيهلك و يهلكهم و يضل و يضلهم.

و بالجمله:الطريق إلى تحصيل الرجاء لمن يحتاج إليه:أن يتذكر الآيات و الأخبار المتواتره الوارده فيه و فى سعه رحمته و وفور عفوه و رأفته-كما تقدم شطر منها-ثم يتأمل فى لطائف نعمائه و عجائب آلائه لعباده فى دار الدنيا،حتى أعد لهم كل ما هو ضرورى لهم فى دوام الوجود،بل لم يترك لهم شيئا جزئيا يحتاجون إليه نادرا يفوت بفقده ما هو الأصلح الأولى لهم من الزينه و الجمال.فإذا لم تقصر العنايه الإلهيه عن عباده فى جميع ما يحب و يحسن لهم من اللطف و الإحسان فى دار الدنيا-و هى حقيقه دار البليه و المحنه

لا دار النعمه و الراحه-و لم یرض أن یفوته شیء من المزائد و المزایا فی الحاجه و الزینه،فکیف یرضی فی دار الآخره التی هی دار الفیض و الجود بسیاقهم إلی الهلاک المؤبد و العذاب المخلد،مع أنه تعالی أخبر بأن رحمته سابقه علی غضبه؟!و أقوی ما یجلب به الرجاء أن یعلم أن اللّه تعالی خیر محض لا شریه فیه أصلا،و فیاض علی الإطلاق،و إنما أوجد الخلق لإفاضه الجود و الإحسان علیهم،فلا بد أن یرحمهم و لا یبقیهم فی الزجر الدائم.

از خیر محض جز نکوئی ناید

خوش باش که عاقبت نکو خواهد شد (۱)

و منها:

صغر النفس

و هو ملکه العجز عن تحمل الواردات،و هو من نتائج الجبن،و من خبائث الصفات.و تلزمه الذله و المهانه،و عدم الاقتحام فی معالی الأمور، و المسامحه فی النهی عن المنکر و الأمر بالمعروف،و الاضطراب بعروض أدنی شیء من البلایا و المخاوف.

و قد ورد فی الأخبار بأن المؤمن بریء عن ذله النفس،

قال الصادق علیه السلام: «إن الله عز و جل فوض إلی المؤمن أموره کلها و لم یفوض إلیه أن یکون ذلیلا:أ ما تسمع اللّه تعالی یقول:

وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ

(۲)

فالمؤمن یکون عزیزا و لا یکون ذلیلا،إن المؤمن أعز من الجبل،

۱- ۱) و حاصل معنی هذا البیت!(أن الخیر المحض لا یصدر عنه إلا الجمیل فکن مطمئنا أن عاقبتک ستکون إلی الجمیل).

۲- ۲) المنافقون،الآیه:۸.

الجبل يستقل منه (۱)بالمعاول و المؤمن لا يستقل من دينه شیء».

و قال(ع) «إن اللّه فوض إلی المؤمن کل شیء إلا إذلال نفسه». و قد وردت بهذا المضمون أخبار أخر.و علاجه ما تقدم فی معالجه الجبن.

وصل کبر النفس و صلابتها

و ضده(کبر النفس و صلابتها)،و قد عرفت أنه ملکه التحمل لما یرد علیه کائنا ما کان.و قد دلت الأخبار علی أن المؤمن ذو صلابه و عزه و مهابه، و کل ذلک فرع کبر النفس.

قال الباقر(ع): «المؤمن أصلب من الجبل»،

و قال(ع): «إن اللّه أعطی المؤمن ثلاث خصال:العز فی الدنیا و الآخره، و الفلح فی الدنیا و الآخره،و المهابه فی صدور الظالمین». و صاحب هذه الملکه لا یبالی بالکرامه و الهوان،و یتساوی عنده الفقر و الیسار و الغنی و الإعسار،بل الصحه و المرض و المدح و الذم،و لا یتأثر بتقلب الأمور و الأحوال.و هی ملکه شریفه لیست شریعه لکل وارد،و لا یصل إلیها إلا واحد بعد واحد،بل لا یحوم حولها إلا أوحدی من أفاضل الحکماء،أو المعی قوی القلب من أماثل العرفاء.و طریق تحصیلها-بعد تذکر شرافتها-أن یتکلف فی المواظبه علی آثارها و الاجتناب عما ینافیها، حتی تحصل بالتدریج.

---

۱ - ۱) تقدم فی صفحه(۲۰۸)مضمون هذا الحدیث،و رجعنا فیه کلمه (یستفل)بدل(یستقل)و فسرناها ثم بعد التحقیق وجدنا ذلک الحدیث المتقدم فی أصول الکافی فی باب صفات المؤمن بکلمه(یستقل)-بالقاف-و کذلک نسخ جامع السعادات هنا و هناک.و جاء فی البحار(الجزء الأول من المجلد ۱۵- باب علامات المؤمن و صفاته ص ۵۹۶)فی شرح هذا الحدیث هکذا:«الجبل یستقل منه:من القله،أی ینقص و یؤخذ منه بعضه بالفأس و المعول و نحوهما»

تتميم الثبات أخص من كبر النفس

قد عرفت أن الثبات أخص من كبر النفس،و هو ملكه التحمل على الخوض فی الأهوال،و قوه المقاومه مع الشدائد و الآلام،بحيث لا يعتريه الانكسار،و إن زادت و كثرت.و ضده الاضطراب فی الأهوال و الشدائد، و من جمله الثبات فی الإيمان،و هو اطمئنان النفس فی عقائدها، بحيث لا يتزلزل فيها بالشبهات،قال اللّه تعالی:

يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّٰابِتِ فِی الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ فِی الْآخِرَهِ

(۱)

.

و هذا الاطمئنان من شرائط كسب الكمال و فضائل الأعمال،إذ ما لم تستقر النفس على معتقداتها فی المبدإ و المعاد لم يحصل لها العزم البالغ على تحصيل ما يتوقف فائدته عليها فمن ليس له هذا الثبات لا تجده ثابتا و مواظبا على شیء من الأعمال الفاضله،بل هو:

كَالَّذِی اسْتَهْوَتْهُ الشَّيٰاطِينُ فِی الْأَرْضِ حَيْرٰانَ

(۲)

.

و المتصف به مواظب لها دائما من غير فتور.و عدم هذا الثبات لعدم البصيره الباطنه أو لضعف فی النفس.فوجوده يحصل من المعرفه و قوه النفس، فهو من فضائل العاقله و قوه الغضب،و عدمه من رذائل إحداهما أو كليهما،

۱- ۱) إبراهيم،الآيه:۲۷.

۲- ۲) الانعام،الآيه:۷۱.

و منها:

دناءه الهمه

و هو قصور النفس عن طلب معالی الأمور و قناعتها بأدانیها،و هو من نتائج ضعف النفس و صغرها.و ضده(علو الهمه).و هو ملکه السعی فی تحصیل السعاده و الکمال و طلب معالی الأمور،من دون ملاحظه منافع الدنیا و مضارها،حتی لا یعتریه السرور بالوجدان و لا الحزن بالفقدان،بل لا یبالی فی طریق الطلب بالموت و القتل و أمثالهما.و صاحب هذه الملکه هو المؤمن الحقیقی الشائق للموت،و الموت تحفه له،و أعظم سرور یصل إلیه، کما ورد فی الأخبار.و هو الذی یقول:

آن مرد نیم کز عدمم بیم آید

کان بیم مرا خوشتر از این بیم آید

جانی است مرا بعاریت داده خدا

تسلیم کنم چو و قد تسلیم آید (۱)

و یقول:

مرگ اگر مرد است گو نزد من آی

تا در آغوشش در آرم تنگ تنگ

---

۱ - ۱) الأبیات کلها ل(حافظ الشیرازی)المتقدم ذکره.و معنی البیتین: (لست بذلک الرجل الذی یخشی من فناء نفسه،فإن ما أخشی منه-و هو الموت-أحسن عندی من نفس الخوف منه،لأن نفسی قد أعارنیها اللّه تعالی، فعلی أن أسلمها عند ما یطلب تسلیم العاریه).

من از آن عمری ستانم جاودان

آن ز من دلقی ستاند رنگ رنگ (۱)

و یقول:

این جان عاریت که بحافظ سپرده دوست

روزی رخش ببینم و تسلیم وی کنم (۲)

و هـذه الملكه من نتائـج كبر النفس و شـجاعتها،و هی أعظم الفضائـل النفسـانيه،إذ كل من وصل إلى المراتب العظيمه و الأمور العـاليه فإنمـا وصـل إليها لأجلها،إذ صاحبها لا يرضـی بالمراتب الـدنيه،و يشـمر لتحصـيل المراتب العاليه و الأمور المتعاليه،و فی جوهر الإنسان و جبلته أن يصل إلى كل ما يجتهد فی طلبه:

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(۳)

.

من طلب الشـیء و جـدّ وجـد.و من أفراد علو الهمه الشـهامه،و هو الحرص على اقتنـاء عظائم الأمور توقعا لجميل الـذكر على مر الدهور.

و منها:

عدم الغيره و الحميه

و هو الإهمال فی محافظه ما يلزم محافظته:من الـدين،و العرض، و الأولاد،و الأموال.و هو من نتائـج صـغر النفس و ضـعفها،و من المهلكات العظيمه،و ربما يؤدی إلى الدياثه و القياده.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه

ص: ۳۰۰

۱- ۱) معنى البيتين:(لو أن الموت رجل،فقل له:يأتينی حتى أحتظنه شوقا إليه، و ألزه لزا،و ذلک لأنی آخـذ منه الحياه الخالـده و يأخذ منی هذه الزخارف الفانيه للوارث).

۲- ۲) معنى البيت:(أن هذه النفس العاريه التی أمنها الحبيب عند حافظ-و يعنی نفسه- لا بد أن أسلمها فی يوم من الأيام عند ما

أرى وجه الحبيب-يعنى بالحبيب:اللّه تعالى)
۳- ۳) العنكبوت،الآيه:۶۹.

و آله و سلم- إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا غير الرجل فى أهله أو بعض مناكحه من مملوكته فلم يغر، بعث اللّه إليه طائرا يقال له(القندر)حتى يسقط على عارضه بابه،ثم يمهله أربعين يوما،ثم يهتف به:إن اللّه غيور يحب كل غيور،،فإن هو غار و غير و أنكر ذلك فأكبره،و إلا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه،فينزع اللّه منه بعد ذلك روح الإيمان،و تسميه الملائكه:

الديوث».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «كان إبراهيم غيورا و أنا أغير منه،و جدع اللّه أنف من لا يغار على المؤمنين و المسلمين».

و قال أمير المؤمنين(ع): «يا أهل العراق!نبئت أن نساءكم يدافعن الرجال فى الطريق، أ ما تستحيون؟».

و قال(ع): «أ ما تستحيون و لا تغارون،نساؤكم يخرجن إلى الأسواق و يزاحمن العلوج؟».

وصل الغيره و الحميه

و ضده(الغير و الحميه)،و هو السعى فى محافظه ما يلزم محافظته،و هو من نتائج الشجاعه و كبر النفس و قوتها.و هى شرائف الملكات،و بها تتحقق الرجوليه و الفحليه،و الفاقد لها غير معدود من الرجال.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن سعدا لغيور،و أنا أغير من سعد،و اللّه أغير منى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه لغيور،و لأجل غيرته حرم الفواحش»

و قال: «إن اللّه يغار،و المؤمن يغار،و غيره اللّه أن يأتى الرجل المؤمن ما حرم اللّه عليه».

و قال الصادق(ع): «إن اللّه تعالى غيور و يحب الغيره،و لغيرته حرم الفواحش ظاهرها و باطنها».

فصل الغیره علی الدین و الحریم و الأولاد

مقتضی الغیره و الحمیه فی(الدین)

أن یجتهـد فی حفظه عن بدع المبتدعین،و انتحال المبطلین،و قصاص المرتدین،و إهانه من یسـتخف به من المخالفین،و رد شـبه الجاحـدین،و یسـعی فی ترویجه و نشـر أحکـامه،و یبـالغ فی تبیین حلالـه و حرامه،و لاـ یتسامـح فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و مقتضی الغیره علی(الحریم)

ألا یتغافل عن مبادئ الأمور التی تخشی غوائلها،فیحفظهن عن أجانب الرجال،و یمنعهن عن الدخول فی الأسواق.

قـال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله و سـلم-لفـاطمه(ع):«أی شـیء خیر للمرأه؟قـالت:أن لاـ تری رجلا و لا یراها رجل.فضـمها إلیه،و قال:

ذریه بعضـها من بعض». و کان أصحاب النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم- یسدون الثقب و الکوی فی الحیطان،لئلا تطلع النساء علی الرجال.

و قال -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من أطاع امرأته أکبه اللّه علی وجهه فی النار»

و ما روی أنه-صـلی اللّه علیه و آله و سـلم-:أذن للنساء فی حضور المساجـد، و قال:«لا تمنعوا إماء اللّه مساجـد اللّه»، فالظاهر انه کان مختصا بنساء عصـره-صـلی اللّه علیه و آله و سـلم-:لعلمه بعدم ترتب فساد علی حضورهن فیها.و الصواب الیوم أن یمنع من حضور المساجـد و الـذهاب إلی المشاهد إلا العجائز منهن،للقطع بترتب الفساد و المعصـیه علی خروج نساء هذا العصـر إلی أی موضع کان.

و سئل الصادق(ع)عن خروج النساء فی العیدین، فقال:«لا!إلا العجوز علیها منقلاها» ،یعنی الخفین.

و فی روایه أخری أنه(ع):«سئل عن خروج النساء فی العیدین و الجماعه،فقال:لا! إلا امرأه مسنه».

و بالجمله:من اطلع على أحوال نساء أمثال عصرنا يعلم أن مقتضى الغيره أن يبالغ فى حفظهن عن جميع ما يحتمل أن يؤدى إلى فتنه و فساد،سواء كان فى نفسه محرما كالنظر إلى الرجال الأجانب و استماع كلامهم بلا ضروره شرعيه و ارتكاب الملاهى المحرمه،أولا،كالخروج عن البيت بلا داع شرعى أو ضرورى،و لو إلى المساجد و المشاهد المشرفه و مجامع تعزيه مولانا أبى عبد اللّه الحسين(ع)،إذ ذلك و إن كان فى نفسه راجحا إلا أن الغالب عدم انفكاكه عما ينافى الغيره و الحميه على ما هو المشاهد فى عصرنا،فإن أقل ما فى الباب أنه لا ينفك عن نظرهن إلى الأجانب و استماع كلامهم،بل عن نظرهم إليهن و استماع كلامهن،و هذا خروج للطرفين إلى الانحراف عن قانون العفه مع أنا نعلم قطعا أن خروج أكثرهن لا يخلو عن غرض فاسد أو مرجوح، و ما أقل فيهن أن يكون خروجها إلى أحد المواضع المذكوره لمحض القربه و الثواب.فالصواب أن يمنعن فى أمثال هذا العصر عن مطلق الخروج،إلا إلى سفر واجب كالحج،أو إلى بيت عالم عادل لأخذ ما يجب عليهن من المسائل،إذا لم يتمكن أزواجهن من أخذها و إيصالها إليهن.نعم،لو فرض خروجها إلى أحد المشاهد أو إلى مجمع تعزيه من مجامع النساء بل إلى مجمع العرس على نحو اطمأن الزوج منها و تيقن عدم حدوث ما ينافى الغيره و عدم ترتب فساد و معصيه و ريبه عليه،فالظاهر جواز الإذن بل رجحانه.و جميع ذلك إنما هو فى الشواب من النساء،و أما العجائز فلا بأس بخروجهن إلى المواضع المذكوره!و مقتضى الغيره أن يمنعن من استماع الكلمات الملهيه و الحكايات المهيجه للشهوه،و عن مجالسه العجائز اللاتى يحضرن مجامع الرجال و ينقلن حكاياتهم و قصصهم لأنهن ناقصات العقل و الإيمان،و مع ذلك شهوتهن فى غايه القوه و الغلبه،فاستماعهن لشىء من المذكورات يوجب ثوران الشهوه

و هیجانها فیهن فلما لم یکن فیهن قاهر العقل و مانع الإیمان فربما أدی ذلک إلی فساد عظیم.و لذلک ورد فی الأخبار منعهن عن تعلم سوره یوسف(ع)، إذ استماعهن لأمثال القصه المذکوره فیها ربما أدی إلی انحرافهن عن طریق العفه.

قال أمیر المؤمنین(ع) «لا تعلموا نساءکم سوره یوسف و لا تقرءوهن إیاها فإن فیها الفتن،و علموهن سوره النور فإن فیها المواعظ».

و قال(ع):

«لا تحملوا الفروج علی السروج فتهیجوهن للفجور».

و قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا تنزلوا النساء الغرف و لا تعلموهن الکتابه و علموهن الغزل و سوره النور».

و بالجمله:مقتضی العقل و النقل أن یمنعن عن جمیع ما یمکن أن یؤدی إلی فساد و ریبه،و عن مبادئ الأمور التی تخاف غوائلها،و ینبغی لصاحب الغیره أن یجعل نفسه مهیبا فی نظرها،حتی تکون منه علی خوف و حذر، و لا تطمئن منه فتتبع هواها و ما تقتضیه جبلتها،و أن یجعلها مشغوله فی کل وقت بأمر من الأمور،کتدبیر المنزل و إصلاح أمر المعیشه،أو بکسب من المکاسب،حتی یکون لها دائما شغل شاغل،و لا تکون فارغه عنه فی وقت من الأوقات،إذ لو خلت عن الأشغال و تعطلت عن المهمات أوقعها الشیطان فی أودیه الأفکار الردیه،فتمیل إلی الزینه و الخروج و التفرج،و النظر إلی أجانب الرجال،و الملاعبه و المضاحکه للنسوان،فینجر أمرها إلی الفساد، و ینبغی أیضا لصاحب الغیره أن یعطی امرأته ما تحتاج إلیه من القوت و اللباس و سائر الضروریات،حتی لا تضطر إلی ارتکاب ما لا ینبغی من الحرکات و الأفعال توصلا إلی أخذ شیء من ذلک من غیر زوجها.

ثم ینبغی ألا توقعه الغیره فی طرف الإفراط فیبالغ فی إساءه الظن و العتنت و تجسس البواطن،

فقد نهی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«أن يتبع عورات النساء و أن يتعنت بهن».

و فى الخبر المشهور: أن المرأه كالضلع،إن أردت أن تقيمه كسرته،فدعه تستمتع به على عوج».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من الغيره غيره يبغضها اللّه و رسوله،و هى غيره الرجل على أهله من غير ريبه»

و قال أمير المؤمنين(ع): «لا تكثر الغيره على أهلك فترمى بالسوء من أجلك».

و قال(ع) فى رسالته إلى الحسن (ع):«إياك و التغاير فى غير موضع الغيره،فإن ذلك يدعوهن إلى السقم، و لكن احكم أمرهن،فإن رأيت عيبا فعجل النكير على الصغير و الكبير،بأن تعاقب منهن البريئه فتعظم الذنب و تهون العيب». و بالجمله:لا ينبغى المبالغه فى الفحص و التفتيش،إذ لا ينفك ذلك عن سوء الظن الذى نهينا عنه،فإن بعض الظن إثم.

و أما مقتضى الغيره على(الأولاد):

أن تراقبهم من أول أمرهم، فاستعمل فى حضانه كل مولود له و إرضاعه امرأه صالحه تأكل الحلال،إذ الصبى الذى تتكون أعضاؤه من اللبن الحاصل من غذاء حرام يميل طبعه إلى الخبائث،لأن طينته انعجنت من الخبث.

و إذا بدأت فيه مخائل التمييز فينبغى أن يؤدب بآداب الأخيار.و لما كان أول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام،فينبغى أن يؤدب فيه بأن يؤمر بألا يأخذ إلا بيمينه،و يقول(باسم اللّه)عند أكله،و يأكل مما يليه،و لا يبادر إلى الطعام قبل غيره،و لا يحدق إلى الطعام و لا إلى من يأكل،و لا يسرع فى الأكل،و يمضغ الطعام مضغا جيدا،و لا يلطخ ثوبه و لا يده.

و يقبح عنده كثره الأكل بأن يذم كثير الأكل و يشبه بالبهائم،و يمدح الصبى الذى يقنع بالقليل و يحبب إليه الإيثار بالطعام و قله المبالاه به

و القناعه بأى طعام اتفق.ثم يؤدب فى أمر اللباس،حتى لا يخرج فيه عن زى الأبرار و أهل الورع،فيحبب إليه ثياب القطن و البيض،دون الإبريسم الملون،و يقرر عنده بأن ذلك شأن النساء و المخنثين،و الرجال يستنكفون منه،و يحفظ من الصبيان الذين تعودوا التنعم و الترفه و الزينه. ثم يؤدب فى الأخلاق و الأفعال و يبالغ فى ذلك،لأن الصبى إذا أهمل فى أول نشوه خرج فى الأكثر ردى الأخلاق و الأفعال،فيكون كذابا،حسودا،لجوجا، عنودا،سارقا،خائنا،ذا ضحك و فضول،و ربما صار مخنثا مائلا إلى الفسوق و الفجور.فينبغى أن يحفظ من قرناء السوء،و هو الأصل فى تأديبه.و يسلم إلى معلم دين صالح،يعلمه القرآن و أحاديث الأخيار و حكايات الأبرار، لينغرس فى نفسه حب الصالحين.و يحفظ عن الأشعار التى فيها ذكر الفسوق و أهله.إذ ذلك يغرس فى قلبه بذر الفساد.و ينبغى أن يعود الصبر و السكوت إذا ضربه المعلم،حتى لا يكثر الصراخ و الشغب و لا يستشفع بأحد حينئذ، و يذكر له أن ذلك دأب الرجال و الشجعان،و أن كثره الصراخ دأب المماليك و النسوان.و ينبغى أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب باللعب المباح الجميل حتى يستريح من تعب الأدب،و لا يموت قلبه،و لا ينقص ذكاء.و يعلم محاسن الأخلاق و الأفعال،و يجنب عن خبائث الصفات و رذائل الأعمال.

فيخوف من الحسد،و العداوه،و الجبن،و البخل،و الكبر،و العجب.

و يحذر من السرقه،و أكل الحرام،و الكذب،و الغيبه،و الخيانه،و الفحش، و اللعن،و السب،و لغو الكلام...و غير ذلك.و يرغب فى الصبر، و الشكر،و التوكل،و الرضا،و الشجاعه،و السخاء،و الصدق،و النصيحه...

و غير ذلك من محاسن الأخلاق و فضائلها.و يمدح عنده الأخيار و يذم الأشرار،حتى يصير الخير عنده محبوبا،و يصير الشر عنده مبغوضا.

و إذا بلغ سن التمييز،يؤمر بالطهاره و الصلاه و الصوم فى بعض الأيام من شهر رمضان،و يعلم أصول العقائد و كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع.و مهما ظهر منه خلق جميل أو فعل محمود،فينبغى أن يكرم عليه و يجازى لأجله بما يفرح به،و يمدح بين أظهر الناس.و إن ظهر منه فعل قبيح مره واحده ينبغى أن يتغافل عنه و لا يهتك ستره،و لا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله،(لا)سيما إذا ستره الصبى و اجتهد فى إخفائه، فإن إظهار ذلك ربما يفيده جساره حتى لا يبالى بالمكاشفه بعد ذلك،فإن عاد ثانيا إلى مثله،فينبغى أن يعاتب عليه سرا و يعظم الأمر فيه،و يقال له:إياک أن يطلع على فعلک هذا أحد فتفتضح عند الناس.و لا يكثر العتاب عليه حتى يسقط وقع الكلام من قلبه. و ليكن الأب حافظا هيبته فى الكلام و الحركات معه.و ينبغى للأم أن تخوفه بالأب.و ينبغى أن يمنع من كل ما يفعله خفيه، فإنه لا يخفيه إلا و هو يعتقد أنه قبيح،فإذا ترک يعود فعل القبيح.و يعود الوقار و الطمأنينه فى المشى و سائر الحركات و الأفعال،و عدم كشف أطرافه، و التواضع و الإكرام لكل من عاشره،و التلطف معه فى الكلام.و يعلم طاعه والديه،و معلمه،و مؤدبه،و كل من هو أكبر سنا منه،من قريب و بعيد،و يعود النظر إليهم بعين التعظيم و الجلاله و ترک اللعب بين أيديهم و يمنع من الفخر على أقرانه بشىء مما تملكه نفسه أو والده.و يخوف من أخذ شىء من الصبيان أو الرجال،أو يذكر له أن الرفعه فى العطاء،و الأخذ لؤم و خسه و مهانه و ذله،فإنه دأب الكلب،إذ هو يتبصبص فى انتظار لقمه، و يقبح عنده حب الذهب و الفضه،و يحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات و العقارب،اذ آفه حبهما أكثر من آفه السموم،و قد هلک لأجله كل من هلک العالم. و يعود ألا يبصق فى مجلسه،و لا يتمخط،و لا يتمطط،و لا

يتثأب بحضره غيره،و لا يستدبر غيره،و لا يضع رجلا على رجل و لا يضرب كفه تحت ذقنه،لأنه دليل الكسل.و يعلم كيفيه الجلوس و الحركه و السكون.و يمنع من النوم فى النهار،و من التنعم فى المفرش و الملبس و المطعم بل يعود الخشونه فيها حتى تنصلب أعضاؤه،و لا يستخف بدنه،و يذكر له أنها خلقت لدفع الضرر و الألم لا لأجل اللذه،و أن الأطعمه أدويه يتقوى الإنسان بها على عباده اللّه،و أن الدنيا كلها لا أصل لها و لا بقاء لها،و أن الموت يقطع نعيمها،و أنها دار ممر لا دار مقر.و أن الآخره هى دار القرار و محل الراحه و اللذات،و الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخره. و ينبغى أن يمنع من كثره الكلام،و من الكذب،و اليمين و لو كان صدقا،و من اللهو و اللعب و السخريه و كثره المزاح،و من أن يبتدئ بالكلام،و يعود ألا يتكلم إلا جوابا و بقدر السؤال،و أن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر سنا منه،و أن يقوم لمن هو أكبر منه،و يوسع له المكان و يجلس بين يديه.

فإذا تأدب الصبى بهذه الآداب فى صغره صارت له بعد بلوغه ملكات راسخه،فيكون خيرا صالحا.و إن نشأ على خلاف ذلك،حتى ألف اللعب، و الفحش،و الوقاحه،و الخرق،و شره الطعام.و اللباس،و التزين و التفاخر بلغ و هو خبيث النفس كثيف الجوهر،و كان وبالا لوالديه،و صدر منه ما يوجب الفضيحه و العار.فيجب على كل والد ألا يتسامح فى تأديب ولده فى حاله الصبا،لأنه أمانه اللّه عنده،و قلبه الطاهر جوهره نفيسه ساذجه عن كل نقش و صوره،و قابل للخير و الشر،و أبواه يميلان به إلى أحدهما،فإن عود الخير نشأ عليه و سعد فى الدنيا و الآخره،و شاركه فى ثوابه أبواه و كل معلم و مؤدب،و إن عود الشر و أهمل شقى و هلك،و كان الوزر فى رقبه أبيه

أو من كان قيما و وليا له.

ثم الصبيه تؤدب بمثـل مـا مر،إلا فيما يتفاوت به الصبى و الصبيه، فيسـتعمل ما يليق بها،و يجب السـعى فى جعلها ملازمه للبيت،و الحجاب، و الوقار،و العفه و الحياء،و سائر الخصال التى ينبغى أن تتصف بها النساء.

ثم ينبغى أن يتفرس من حال الصبى أنه مسـتعد لأى علم و صـناعه، فيجعل مشـغولا باكتسابه و يمنع من اكتساب غيره،لئلا يضـيع عمره و لا تترتب عليه فائده،إذ كل أحد ليس مسـتعدا لكل صـناعه،و إلا لاشـتغل الجميع بأشـراف الصناعات،و اختلاف الناس و تفاوتهم فى هذا الاستعداد لتوقف قوام النوع و انتظام العالم عليه.

و أما الغيره على(المال)،

فلاـ تظن أنهـا ليست ممـدوحه لسـرعه فناء المال و عـدم اعتناء الأخيار،إذ كل إنسان ما دام فى دار الـدنيا محتاج إليه،و تحصـيل الآخره أيضا يتوقف عليه،إذ كسب العلم و العمل موقوف على بقاء البـدن، و هو موقوف على بـدل مما يتحلل عنه من الأغـذيه و الأقوات.فلا بد لكل عاقل أن يعتنى بالمال و يجتهد فى حفظه و ضـبطه،بعد تحصيله من المداخل الطيبه و المكاسب المحموده،و مقتضـى السـعى فى حفظه المعبر عنه بـالغيره عليه ألاـ يصـرفه فى مصـرف لاـ تترتب عليه فائـده لآـخرته أو دنياه،كإنفاقه للرياء و المفاخره و التضيف،أو بذله على غير المستحقين بلا داع دينى أو دنيوى أو عادى،أو تمكينه الظلمه و السارقين و أهل الخيانه من أخذه علانيه أو سـرا،أو عدم مبالاته بتضـييعه من غير أن يصل نفعه إلى أحد،أو إسـرافه فى بذله،أو غير ذلك من المصارف التى ليست راجحه بحسب العقل و الشرع و لا يعود إليه عوض فى الآخره و الدنيا. بل مقتضى الغيره عليه أن يصرف

جمیع أمواله فی حیاته فی المصارف التی تعود فائدتها إلی نفسه،و لا یترک شیئا منها لوارثه إلا للأخیار من أولاده،إذ بقائهم بمنزله بقائه،و یترتب علی وجودهم-مع حسن حالهم و عیشهم-جمیل الذکر و جزیل الثواب له بعد موته و کیف یرضی صاحب الغیره أن یترک ماله الذی أتعب نفسه فی اکتسابه و فنی عمره فی تحصیله و یحاسب علیه فی عرصات القیامه.لزوج امرأته،فیأکله و یجامعها،و غایه رضی هذه المرأه الخبیثه التی لیست لها حمیه و وفاء و لا لها مطلوب أهم من مقاربه الرجال،أن یأکل هذا الرجل صفو ماله لیتقوی علی مجامعتها،و هذا محنه لا یتحمل مثلها أهل الدیانه و القیاده،فضلا عن صاحب الغیره و الحمیه،و قس علی ذلک تخلیف الأموال لسائر الوراث الذین لا یعرفون الحقوق،و لیسوا من أهل الخیر و الصلاح و الوفاء،من أولاد السوء و أزواج البنات،و سائر الأقارب من الإخوان و الأخوات و الأعمام و العمات و الأخوال و الخالات.و هؤلاء و إن لم یکونوا بمثابه زوج امرأته،إلا أن ترک الأموال لهم إذا لم یکونوا من أهل الخیر و الصلاح لا تثمر له فائده سوی الوزر و الوبال و ذکره بالسوء و الشتم و الفحش کما هو المشاهد فی زماننا هذا.

و منها:

العجله

و هی المعنی الراتب فی القلب،الباعث علی الإقدام علی الأمور بأول خاطر،من دون توقف و استبطاء فی اتباعها و العمل بها.و قد عرفت أنه من لوازم ضعف النفس و صغرها،و هو من الأبواب العظیمه للشیطان،قد أهلک به کثیرا من الناس،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«العجله من الشیطان.و التأنی من اللّه». و قد خاطب اللّه تعالی نبیه-صلی اللّه

علیه و آله و سلم-بقوله:

وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضیٰ إِلَیْکَ وَحْیُهُ

(۱)

،

و قد روی: «أنه لما ولد عیسی(ع)أتت الشیاطین إبلیس،فقالت:

أصبحت الأصنام قد نکست رءوسها.فقال:هذا حادث قد حدث، مکانکم.فطار حتی جاء خافقی الأرض،فلم یجد شیئا،ثم وجد عیسی(ع) قد ولد،و إذا الملائکه قد حفت حوله،فرجع إلیهم،فقال:إن نبیا قد ولد البارحه،ما حملت أنثی قط و لا وضعت إلا و أنا بحضرتها،إلا هذا،فایأسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه اللیله،و لکن ائتوا بنی آدم من قبل العجله و الخفه».

و الظواهر فی ذم العجله أکثر من أن تحصی،و لذلک أفتی بعض علماء العامه بالمنع من التعجیل لمن خاف فوت صلاه الجمعه.و السر فی شده ذمها:

أن الأعمال ینبغی أن تکون بعد المعرفه و البصیره،و هما موقوفان علی التأمل و المهله،و العجله تمنع من ذلک،فمن یستعجل فی أمر یلقی الشیطان شره علیه من حیث لا یدری.و التجربه شاهده بأن کل أمر یصدر علی العجله یوجب الندامه و الخسران،و کل ما یصدر علی التأنی و التثبت لا تعرض بعده ندامه، بل یکون مرضیا،و بأن کل خفیف عجول ساقط عن العیون،و لا وقع له عند القلوب.و المتأمل فی الأمور یعلم أن العجله هو السبب الأعظم لتبدیل نعیم الآخره و ملک الأبد بخسائس الدنیا و مزخرفاتها.

و بیان ذلک:أنه لا ریب فی أن أحب اللذات و ألذها للنفس هو الغلبه و الاستیلاء،لأنها من صفات الربوبیه التی هی مطلوبه بالطبع للنفوس المجرده.

۱- ۱) طه،الآیه:۱۱۴.

و السر فیه:أن کل معلول من سنخ علته،و یناسبها فی صفاتها و آثارها،و غایه ابتهاجه أن یتصف بمثل کمالاتها،و لذا قیل:«کل ما یصدر عن شیء لا یمکن أن یکون من جمیع الجهات هو هو،و لا أن یکون من جمیع الجهات لیس هو بل من جهه هو هو و من جهه لیس هو».و هذا معنی کلام قدماء الحکمه:

(الممکن زوج ترکیبی).و لا ریب فی أن جمیع الموجودات معلومه للواجب سبحانه،صادره عن محض وجوده و مترشحه عن فیضه و وجوده،فهو غایه الکل و الکل طالبه نحو کمالاته،إلا أن ما هو فی سلسله الصدور إلیه أقرب و الواسطه بینهما أقل،تکون مناسبه له أتم و شوقه إلی الاتصاف بکماله أشد و لا ریب فی أن الذوات المجرده النوریه التی هی من عالم الأمر مقتبسه من مشکاه نوره،فلها غایه القرب إلیه فی سلسله الصدور،فتکون شدیده الشوق إلی الاتصاف بنحو کماله.و النفس الإنسانیه لکونها منها و من عالم الأمر -کما قال اللّه تعالی-:

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی

(۱)

تکون مثلها فی القرب إلیه تعالی أو فی المناسبه له،فلها غایه الشوق فی الاتصاف بصفاته و کمالاته التی من جملتها الغلبه و الاستعلاء و لیس ذلک مذموما،إذ ینبغی لکل عبد أن یطلب ملکا عظیما لا آخر له،و سعاده دائمیه لا نفاد لها،و بقاء لا فناء فیه،و عز لا ذل معه،و أمنا لا خوف فیه،و غنی لا فقر معه،و کمالا لا نقصان فیه.و هذه کلها من أوصاف الربوبیه،و طالبها طالب للعلو و العز و الکمال لا محاله.

فالمذموم من الرئاسه و الاستیلاء إنما هو الغلط الذی وقع للنفس بسبب تغریر اللعین المبعد عن عالم الأمر،إذ حسدها علی کونها من عالم الأمر،

۱- ۱) الإسراء،الآیه:۸۵.

فأضلها و أغواها من طريق العجله،فزين فی نظره الملک الفانی المشوب بأنواع الآلام،لکونه عاجلا،و صده عن الملک المخلد الدائم الذی لا یشوبه کدر و لا یقطعه قاطع،لکونه آجلا.و المسکین المخذول ابن آدم لما خلق عجولا راغبا فی العاجله،لما جاءه المطرود من عالم الأمر،و توسل إلیه بواسطه العجله التی فی طبعه،و استغواه بالعاجله،و أمال قلبه إلی عدم الاعتناء بالآجله، و زین له الحاضره،و وعده بالغرور و بالتمنی علی اللّه فی باب الآخره،فانخدع بغروره و اشتغل بطلب ملک الدنیا و مزخرفاتها مع فنائها،و ترک سلطنه الآخره مع بقائها،و لم یتأمل المسکین فی أن ملک الدنیا و رئاستها لیس کمالا و لا علوا و استیلاء فی الحقیقه،بل هو صفه نقص یصده عن الکمال الحقیقی و الرئاسه المعنویه. مثال ذلک:أنه لا ریب فی أن الحب و العشق صفه کمال، و لکن إذا وقع فی موقعه،و ذلک إذا کان المحبوب شریفا کاملا فی ذاته و صفاته،فحب اللّه سبحانه أشرف الصفات الکمالیه،و حب الجمادات و خسائس الحیوانات أخس الرذائل النفسیه،فکل من کان جاهلا بحقائق الأمور ینخدع بغروره،و یختار الملک العاجل الفانی علی السلطنه الآجله الباقیه،و أما العالم الموفق فلا یتدلی بحبل غروره،إذ علم مداخل مکره، فأعرض عن العاجله و اختیار الآجله.

و لما استطار مکر اللعین فی کافه الخلق،أرسل اللّه إلیهم الأنبیاء،و اشتغلوا بدعوتهم من الملک المجازی الذی لا أصل له و لا دوام ان سلم إلی الملک الحقیقی الذی لا زوال له أصلا،فنادوا فیهم:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مٰا لَکُمْ إِذٰا قِیلَ لَکُمُ انْفِرُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ اثّٰاقَلْتُمْ إِلَی الْأَرْضِ أَ رَضِیتُمْ بِالْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا مِنَ

الْآخِرَهِ فَمٰا مَتٰاعُ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا فِی الْآخِرَهِ إِلاّٰ قَلِيلٌ

(۱)

و ذموا من اختار العاجله الفانيه علی الآخره الباقيه كما قال سبحانه:

إِنَّ هٰؤُلاٰءِ يُحِبُّونَ الْعٰاجِلَهَ وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً

(۲)

و قال: كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَهَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَهَ (۳) فالغرض من بعثه الرسل ليس إلا دعوه الخلق إلی الملك المخلد،ليكونوا ملوكا فی الآخره بسبب القرب من اللّه تعالی،و درك بقاء لا فناء فيه،و عز لا ذل معه،و قره عين أخفيت لا يعلمها أحد.و الشيطان يدعوهم من طريق العجله إلی ملك الدنيا الفانی،لعلمه بأن ما سمی ملك الدنيا،مع أنه لا يسلم و لا يخلو عن المنازعات و المكدرات و طول الهموم فی التدبيرات،يفوت به ملك الآخره،إذ الدنيا و الآخره ضرتان.بل يفوت به الملك الحاضر الذی هو الزهد فی الدنيا،إذ معناه أن يملك العبد شهوته و غضبه،فينقادان لباعث الدين و إشاره الإيمان.و هذا ملك بالاستحقاق،إذ به يصير صاحبه حرا و باستيلاء الشهوه يصير عبد لبطنه و فرجه و سائر أعضائه،فيكون مسخرا مثل البهيمه،مملوكا يسخره زمام الشهوه،أخذ المخنقه إلی حيث يريد و يهوی فما أعظم اغترار الإنسان،إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكا،و ينال الربوبيه بأن يصير عبدا. و مثل هذا هل يكون إلا معكوسا فی الدنيا منكوسا فی الآخره؟.فقد ظهر أن منشأ الخسران فی الدنيا و الآخره هو العجله.

۱- ۱) التوبه،الآيه:۳۸.

۲- ۲) الدهر،الآيه:۲۷.

۳- ۳) القيامه،الآيه:۲۰-۲۱.

و الطریق فی علاجها:أن یتذکر فسادها،و سوء عاقبتها،و إیجابها للخفه و المهانه عند الناس،و تأدیتها إلی الندامه و الخسران.ثم یتذکر شرافه الوقار الذی هو ضده،و کونه صفه الأنبیاء و الأخیار،فیوطن نفسه علی ألا یرتکب فعلا إلا بعد التأمل و المهلکه،و لا یترک الطمأنینه و السکون باطنا و ظاهرا فی جمیع أفعاله و سکناته،فإذا فعل ذلک مده،و لو بالتکلف و التعمل،یصیر ذلک عاده له،فتزول عنه هذه الصفه،و تحدث صفه الوقار و السکینه.

وصل الأناه و التوقف و الوقار و السکینه

ضد العجله(الأناه) (۱)،و هو المعنی الراتب فی القلب،الباعث علی الاحتیاط فی الأمور و النظر فیها،و التأنی فی اتباعها و العمل بها.

ثم(التوقف)قریب من التأنی و الأناه،و الفرق بینهما:أن التوقف هو السکون قبل الدخول فی الأمور حتی یستبین له رشدها،و التأنی سکون و طمأنینه بعد الدخول فیها،حتی یؤدی لکل جزء منها حقه،و ضد التوقف و التعسف.

و(الوقار)یتناول الأناه و التوقف کلیهما،فهو طمأنینه النفس و سکونها فی الأقوال و الأفعال و الحرکات قبل الدخول فیها و بعدها.و هو من نتائج قوه النفس و کبرها.و ما قل من الفضائل النفسانیه أن یبلغ مرتبته فی الشرافه،و لذا یمدح به الأنبیاء و الأصفیاء،

و ورد فی الأخبار: «أن المؤمن متصف به البته» فینبغی لکل مؤمن أن یتکلف آثاره فی الحرکات

۱- ۱) فی النسخ(الأناءه)،فصححناه کما هنا.

و الأفعال،حتی یصیر بالتدریج ملکه،و تکلف الطمأنینه فی الأفعال و الحرکات قبل أن تصیر ملکه یختص باسم الوقار،و إذا صارت ملکه سمیت سکینه، إذ هی طمأنینه الباطن،و الوقار اطمئنان الظاهر.

و منها:

سوء الظن بالخالق و المخلوق

و هو من نتائج الجبن و ضعف النفس،إذ کل جبان ضعیف النفس تذعن نفسه لکل فکر فاسد یدخل فی وهمه و یتبعه،و قد یترتب علیه الخوف و الغم و هو من المهلکات العظیمه،و قد قال اللّه سبحانه:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا کَثِیراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

(۱)

.و قال تعالی: وَ ذٰلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ (۲).و قال: وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ کُنْتُمْ قَوْماً بُوراً (۳).

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «ضع أمر أخیک علی أحسنه حتی یأتیک ما یغلبک منه،و لا تظنن بکلمه خرجت من أخیک سوءا و أنت تجد لها فی الخیر محملا». و لا ریب فی أن من حکم بظنه علی غیره بالشر،بعثه الشیطان علی أن یغتابه أو یتوانی فی تعظیمه و إکرامه،أو یقصر فیما یلزمه من القیام بحقوقه،أو ینظر إلیه بعین الاحتقار و یری نفسه خیرا منه و کل ذلک من

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۲.

۲- ۲) فصلت،الآیه:۲۳.

۳- ۳) الفتح،الآیه:۱۲.

المهلكات.على أن سوء الظن بالناس من لوازم خبث الباطن و قذراته،كما أن حسن الظن من علائم سلامه القلب و طهارته،فكل من يسيء الظن بالناس و يطلب عيوبهم و عثراتهم فهو خبيث النفس سقيم الفؤاد،و كل من يحسن الظن بهم و يستر عيوبهم فهو سليم الصدر طيب الباطن،فالمؤمن يظهر محاسن أخيه،و المنافق يطلب مساويه،و كل إناء يترشح بما فيه.

و السر فى خباثه سوء الظن و تحريمه و صدوره عن خبث الضمير و إغواء الشيطان:أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب،فليس لأحد أن يعتقد فى حق غيره سوء إلا إذا انكشف له بعيان لا يقبل التأويل،إذ حينئذ لا يمكنه ألا يعتقد ما شاهده و علمه،و أما ما لم يشاهده و لم يعلمه و لم يسمعه و إنما وقع فى قلبه،فالشيطان ألقاه إليه،فينبغى أن يكذبه،لأنه أفسق الفسقه،و قد قال اللّه:

إِنْ جٰاءَكُمْ فٰاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهٰالَهٍ

(1)

.

فلا يجوز تصديق اللعين فى نبأه،و إن حف بقرائن الفساد، ما احتمل التأويل و الخلاف فلو رأيت عالما فى بيت أمير ظالم لا تظنن أن الباعث طلب الحطام المحرمه،لاحتمال كون الباعث إغاثه مظلوم.و لو وجدت رائحه الخمر فى فم مسلم فلا تجز من بشرب الخمر و وجوب الحد،إذ يمكن أنه تمضمض بالخمر و مجه و ما شربه،أو شربه إكراها و قهرا.فلا يستباح سوء الظن إلا بما يستباح به المال،و هو صريح المشاهده،أو قيام بينه فاضله.

و لو أخبرك عدل واحد بسوء من مسلم،وجب عليك أن تتوقف فى

١- ١) الحجرات،الآيه:۶.

إخباره من غير تصديق و لا تكذيب،إذ لو كذبته لكنت خائنا على هذا العدل،إذ ظننت به الكذب،و ذلك أيضا من سوء الظن،و كذا إن ظننت به العداوه أو الحسد أو المقت لتتطرق لأجله التهمه،فترد شهادته،و لو صدقته لكنت خائنا على المسلم المخبر عنه،إذ ظننت به السوء،مع احتمال كون العدل المخبر ساهيا،أو التباس الأمر عليه بحيث لا يكون فى إخباره بخلاف الواقع آثما و فاسقا.و بالجمله:لا ينبغى أن تحسن الظن بالواحد و تسىء بالآخر،فتذكر المذكور حاله على ما كان فى الستر و الحجاب،إذ لم ينكشف لك حاله بأحد القواطع،و لا بحجه شرعيه يجب قبولها،و تحمل خبر العدل على إمكان تطرق شبهه مجوزه للخبار و إن لم يكن مطابقا للواقع ثم المراد بسوء الظن هو عقد القلب و ميل النفس دون مجرد الخواطر و حديث النفس،بل الشك أيضا،إذ المنهى عنه فى الآيات و الأخبار إنما هو أن يظن،و الظن هو الطرف الراجح الموجب لميل النفس إليه.و الأمارات التى بها يمتاز العقد عن مجرد الخواطر و حديث النفس،هو أن يتغير القلب منه عما كان من الألف و المحبه إلى الكراهه و النفره،و الجوارح عما كانت عليه من الأفعال اللازمه فى المعاشرات إلى خلافها. و الدليل على أن المراد هو ما ذكر،

قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم -ثلاث فى المؤمن لا تستحسن و له منهن مخرج،فمخرجه من سوء الظن ألا يحققه» ،أى لا يحقق فى نفسه بعقد و لا فعل لا فى القلب و لا فى الجوارح.

ثم لكون سوء الظن من المهلكات،منع الشرع من التعرض للتهمه، صيانه لنفوس الناس عنه،

فقال-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «اتقوا مواقع التهم».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرض نفسه للتهمه فلا يلومن من أساء به الظن».

و روى: «أنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان يكلم زوجته

صفیه بنت حی ابن أخطب،فمر به رجل من الأنصار،فدعاه رسول اللّه، و قال:یا فلان!هذه زوجتی صفیه.فقال:یا رسول اللّه أ فنظن بک إلا خیرا؟ قال:إن الشیطان یجری من ابن آدم مجری الدم،فخشیت أن یدخل علیک» فانظر کیف أشفق رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-علی دینه فحرسه و کیف علم الأمه طریق الاحتراز عن التهمه،حتی لا یظن العالم الورع المعروف بالتقوی و الدین أن الناس لا یظنون به إلا خیرا،إعجابا منه بنفسه،فإن ما لا جزم بتحققه فی حق سید الرسل و أشرفهم،فکیف یجزم بتحققه فی حق غیره،و إن بلغ من العلم و الورع ما بلغ.و السر فی ذلک:أن أورع الناس و أفضلهم لا ینظر الناس کلهم إلیه بعین واحده،بل إن نظر إلیه بعضهم بعین الرضا ینظر إلیه بعض آخر بعین السخط:

و عین الرضا عن کل عیب کلیله

و لکن عین السخط تبدی المساویا

فکل عدو و حاسد لا ینظر إلا بعین السخط،فیکتم المحاسن و یطلب المساوی،و کل شریر لا یظن بالناس کلهم إلا شرا،و کل معیوب مفتضح عند الناس یحب أن یتفضح غیره و تظهر عیوبه عندهم،لأن البلیه إذا عمت هانت،و لأن یشتغل الناس به فلا تطول ألسنتهم فیه.فاللازم لکل مؤمن ألا یتعرض لموضع التهمه حتی یوقع الناس فی المعصیه بسوء الظن،فیکون شریکا فی معصیتهم،إذ کل من کان سببا لمعصیه غیره یکون شریکا له فی هذه المعصیه.و لذا قال اللّه تعالی:

وَ لاٰ تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَیَسُبُّوا اللّٰهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ

(1)

.

1- 1) الأنعام،الآیه:108.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «كيف ترون من يسب أبويه؟فقالوا:هل من أحد يسب أبويه؟فقال:نعم!يسب أبوى غيره فيسبون أبويه».

ثم طريق المعالجه فى إزالته-بعد تذكر ما تقدم من فساده و ما يأتى من فضيله ضده-أنه إذا خطر لك خاطر سوء على مسلم،لا تتبعه،و لا تحققه و لا تغير قلبك عما كان عليه بالنسبه إليه،من المراعاه و التفقد و الإكرام و الاعتماد بسببه،بل ينبغى أن تزيد فى مراعاته و إعظامه و تدعو له بالخير، فإن ذلك يقنط الشيطان و يدفعه عنك،فلا يلقى إليك خاطر السوء خوفا من اشتغالك بالدعاء و زياده الإكرام.و مهما عرفت عثره من مسلم فانصحه فى السر و لا تبادر إلى اغتيابه،و إذا وعظته فلا تعظه و أنت مسرور باطلاعك على عيبه،لتنظر إليه بعين الحقاره،مع أنه ينظر إليك بعين التعظيم،بل ينبغى أن يكون قصدك استخلاصه من الإثم،و تكون محزونا كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان،و ينبغى أن يكون تركه ذلك العيب من غير نصيحتك أحب إليك من تركه بنصيحتك،و إذا فعلت ذلك جمعت بين أجر نصيحته و أجر الحزن بمصيبته و أجر الإعانه على آخرته.

وصل حسن الظن

قد عرفت أن ضد سوء الظن بالخالق و المخلوق هو(حسن الظن بهما) و لما كان الأول من لوازم ضعف النفس و صغرها،فالثانى من نتائج قوتها و ثباتها،و فوائده أكثر من أن تحصى،و قد تقدمت الظواهر الوارده فى مدحه، فينبغى لكل مؤمن ألا ييأس من روح اللّه،و لا يظن أنه لا يرحمه

و یعـذبه البته و لاـ یخلصه من العقاب،و أن ما یرد علیه فی الـدنیا من البلایا و المصائب هو شـر له و عقوبه،بل ینبغی أن یعلم أنه أرحم و أرأف به من والـدیه،و إنمـا خلقه لأجـل الفیض و الجود،فلاـ بـد أن یرحمه فی دار الآخره، و خلصه من عـذاب الأبـد و یوصله إلی نعیم السرمد،و ما یرد علیه من المصائب و البلایا فی دار الدنیا خیر له و صلاح،و ذخیره له فی یوم المعاد.

و کذا لا یظن السوء و الشر بالمسـلمین،و لا یحملن ما له وجه صحیح من أعمالهم و أقوالهم علی وجه فاسد،بل یجب أن یحمل کـل مـا یشاهـده من أفعـالهم و حرکـاتهم علی أحسن الوجوه و أصـحها،مـا لـم یجزم بفساده،و یکـذب وهمه و سائر حواسه،فیما یـذهب إلیه من المحامل الفاسده و الاحتمالات القبیحه المحرمه،و یکلف نفسه علی ذلک،حتی یصـیر ذلک ملکه له،فترتفع عنه ملکه سوء الظن بالکلیه.نعم،الحمل علی الوجه الصـحیح علی تقدیر عدم مطابقته للواقع،لو کان باعثا لضرر مالی أو فساد دینی أو عرضـی، لزم فیـه الحزم و الاحتیـاط،و عـدم تعلیـق أمـوره الـدینیه و الـدنیویه علیه،لئلاـ یـترتب علیه الخسـران و الإضـرار،و تلزمه الفضیحه و العار.

و منها:

الغضب

و هو کیفیه نفسـانیه موجبه لحرکه الروح من الـداخل إلی الخـارج للغلبه، و مبـدؤه شـهوه الانتقـام،و هو من جـانب الإفراط،و إذا اشـتد یوجب حرکه عنیفه،یمتلئ لأجلها الـدماغ و الأعصاب من الدخان المظلم،فیستر نور العقل و یضـعف فعله،و لذا لا یؤثر فی صاحبه الوعظ و النصیحه،بل تزیده الموعظه غلظه و شده.قال بعض علماء الأخلاق:«الغضب شعله نار اقتبست من نار

اللّه الموقده،إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئده،و إنها لمستكنه فى طى الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد،و تستخرجها حميه الدين من قلوب المؤمنين، أو حميه الجاهليه و الكبر الدفين من قلوب الجبارين،التى لها عرق إلى الشيطان اللعين،حيث قال:

خَلَقْتَنِی مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

.

فمن شأن الطين السكون و الوقار،و من شأن النار التلظى و الاستعار».

ثم قوه الغضب تتوجه عند ثورانها إما إلى دفع المؤذيات إن كان قبل وقوعها أو إلى التشفى و الانتقام إن كان بعد وقوعها،فشهوتها إلى أحد هذين الأمرين و لذتها فيه،و لا تسكن إلا به.فإن صدر الغضب على من يقدر أن ينتقم منه،و استشعر باقتداره على الانتقام،انبسط الدم من الباطن إلى الظاهر،و احمر اللون،و هو الغضب الحقيقى.و إن صدر على من لا يتمكن أن ينتقم منه لكونه فوقه،و استشعر باليأس عن الانتقام.انقبض الدم من الظاهر إلى الباطن،و صار حزنا.و إن صدر على من يشك فى الانتقام منه انبسط الدم تاره أو انقبض أخرى،فيحمر و يصفر و يضطرب.

فصل الإفراط و التفريط و الاعتدال فى قوه الغضب

الناس فى هذه القوه على إفراط و تفريط و اعتدال.فالإفراط:أن تغلب هذه الصفه حتى يخرج عن طاعه العقل و الشرع و سياستهما،و لا تبقى له فكره و بصيره.و التفريط:أن يفقد هذه القوه أو تضعف بحيث لا يغضب عما ينبغى الغضب عليه شرعا و عقلا.و الاعتدال:أن يصدر غضبه فيما ينبغى

۱- ۱) الأعراف،الآيه ۱۲.و ص،الآيه:۷۶.

و لا يصدر فی ما لا ینبغی،بحیث یخرج عن سیاسه الشرع و العقل،بل یکون تابعا لهما فی الغضب و عدمه،فیکون غضبه و انتقامه بأمرهما.و لا ریب فی أن الاعتدال لیس مذموما،و لا معدودا من الغضب،بل هو من الشجاعه.

و التفریط مذموم معدود من الجبن و المهانه،و ربما کان أخبث من الغضب، إذ الفاقد لهذه القوه لا حمیه له،و هو ناقص جدا.و من آثاره عدم الغیره علی الحرم و صغر النفس.و الجور،و تحمل الذل من الأخساء،و المداهنه فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و الفحشاء.و لذا قیل:«من استغضب فلم یغضب فهو حمار» (۱).و قد وصف اللّه خیار الصحابه بالحمیه و الشده،فقال:

أَشِدّٰاءُ عَلَی الْکُفّٰارِ

(۲)

.

و خاطب نبیه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-بقوله:

وَ اغْلُظْ عَلَیْهِمْ

(۳)

و الشده و الغلظه من آثار قوه الغضب،ففقد هذه القوه بالکلیه أو ضعفها مذموم.و قد ظهر أن الغضب المعدود من الرذائل هو حد الإفراط الذی یخرجه عن مقتضی العقل و الدین،و حد التفریط و إن کان رذیله إلا أنه لیس غضبا،بل هو ضد له معدود من الجبن،و حد الاعتدال فضیله و ضد له و معدود من الشجاعه،فانحصر الغضب بالأول.

ثم الناس کما هم مختلفون فی أصل قوه الغضب،کذلک مختلفون فی حدوثه و زواله سرعه و بطأ،فیکونان فی بعضهم سریعین،و فی بعضهم بطیئین و فی بعضهم یکون أحدهما سریعا و الآخر بطیئا،و فی بعضهم یکون کلاهما

۱- ۱) هذه الکلمه منسوبه للشافعی-علی ما فی إحیاء العلوم:ج ۳ ص ۱۴۵ و ۱۵۶-

۲- ۲) الفتح،الآیه:۲۹.

۳- ۳) التوبه،الآیه:۷۳.

أو أحدهما متوسطا بين السرعه و البطء.و ما كان من ذلک بإشاره العقل فهو ممدوح معدود من أوصاف الشجاعه،و غیر مذموم محسوب من آثار الغضب أو الجبن.

فصل (الغضب)

(الغضب)من المهلکات العظیمه،و ربما أدى إلى الشقاوه الأبدیه، من القتل و القطع،و لذا قیل:(إنه جنون دفعی).

قال أمیر المؤمنین(ع):

«الحده ضرب من الجنون،لأن صاحبها یندم،فإن لم یندم فجنونه مستحکم» و ربما أدى إلى اختناق الحراره،و یورث الموت فجأه.و قال بعض الحکماء:

«السفینه التی وقعت فی اللجج الغامره،و اضطربت بالریاح العاصفه و غشیتها الأمواج الهائله أرجى إلى الخلاص من الغضبان الملتهب».و قد ورد به الذم الشدیده فی الأخبار،

قال رسول اللّه-صلى اللّه علیه و آله و سلم-: «الغضب یفسد الإیمان کما یفسد الخل العسل»،

و قال الباقر(ع)، إن هذا الغضب جمره من الشیطان توقد فی قلب ابن آدم،و إن أحدکم إذا غضب احمرت عیناه و انتفخت أوداجه و دخل الشیطان فیه،فإذا خاف أحدکم ذلک من نفسه فلیلزم الأرض،فإن رجز الشیطان لیذهب عنه عند ذلک».

و قال الصادق (ع):«و کان أبی(ع)یقول: أی شیء أشد من الغضب؟إن الرجل یغضب فیقتل النفس التی حرم الله،و یقذف المحصنه»

و قال(ع) (۱): «إن الرجل لیغضب فما یرضى أبدا حتى یدخل النار».

و قال الصادق(ع):

ص: ۳۲۴

۱- ۱) أی:الباقر-علیه السلام و قد روى هذه الأخبار المذکوره هنا الکافی فی باب الغضب،فروى هذا الخبر عنه-علیه السلام-لا عن الصادق-علیه السلام.

«الغضب مفتاح كل شر».

و قال(ع): «الغضب ممحقه لقلب الحكيم».

و قال(ع): من لم يملک غضبه لم يملک عقله».

ثم مما يلزم الغضب من الآثار المهلکه الذميمه،و الأغراض المضره القبيحه:انطلاق اللسان بالشتم و السب،و إظهار السوء و الشماته بالمساءه و إفشاء الأسرار و هتک الأستار و السخريه و الاستهزاء،و غير ذلک من قبيح الکلام الذی يستحيی منه العقلاء،و توثب الأعضاء بالضرب و الجرح و التمزيق و القتل و تألم القلب بالحقد و الحسد و العداوه و البغض و مما تلزمه الندامه بعد زواله، و عداوه الأصدقاء،و استهزاء الأراذل،و شماته الأعداء،و تغير المزاج، و تألم الروح و سقم البدن،و مكافاه العاجل و عقوبه الآجل.

و العجب ممن توهم أن شده الغضب من فرط الرجوليه،مع أن ما يصدر عن الغضبان من الحرکات القبيحه إنما هو أفعال الصبيان و المجانين دون الرجال و العاقلين،کيف و قد تصدر عنه الحرکات غير المنتظمه،من الشتم و السب بالنسبه إلى الشمس،و القمر،و السحاب،و المطر،و الريح،و الشجر، و الحيوانات و الجمادات،و ربما يضرب القصعه على الأرض،و يکسر المائده، و يخاطب البهيمه و الجماد کما يخاطب العقلاء،و إذا عجز عن التشفی،ربما مزق ثوبه،و لطم وجهه،و قد يعدو عدو المدهوش المتحير،و ربما اعتراه مثل الغشيه،أو سقط على الأرض لا يطيق النهوض و العدو.و کيف يکون مثل هذه الأفعال القبيحه من فرط الرجوليه

و قد قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الشجاع من يملک نفسه عند غضبه».

ص :۳۲۵

فصل (إمكان إزاله الغضب و طرق علاجه)

قد اختلف علماء الأخلاق فی إمكان إزاله الغضب بالكليه و عدمه، فقيل:قمع أصل الغضب من القلب غير ممكن،لأنه مقتضی الطبع،إنما الممكن كسر سورته و تضعيفه،حتی لا يشتد هيجانه،و أنت خبير بأن الغضب الذی يلزم إزالته هو الغضب المذموم،إذ غيره مما يكون بإشاره العقل و الشرع ليس غضبا فيه كلامنا،بل هو من آثار الشجاعه،و الاتصاف به من اللوازم،و إن أطلق عليه اسم الغضب أحيانا حقيقه أو مجازا،

كما روی عن أمير المؤمنين (ع)أنه قال: «كان النبی-صلی اللّٰه عليه و آله و سلم-لا يغضب للدنيا،و إذا أغضبه الحق لم يصرفه أحد،و لم يقم لغضبه شیء حتی ينتصر له». و لا ريب أن الغضب الذی يحصل لرسول اللّٰه-صلی اللّٰه عليه و آله و سلم-لم يكن غضبا مذموما،بل كان غضبا ممدوحا يقتضيه منصب النبوه،و توجيه الشجاعه النبويه.ثم الغضب المذموم ممكن الزوال،و لو لا إمكانه لزوم وجوده للأنبياء و الأوصياء،و لا ريب فی بطلانه.

ثم علاجه يتوقف علی أمور،

و ربما حصل ببعضها:

(الأول)إزاله أسبابه المهيجه له،

إذ علاج كل عله بحسم مادتها، و هی:العجب،و الفخر،و الكبر،و الغدر،و اللجاج،و المراء،و المزاح، و الاستهزاء،و التعيير،و المخاصمه،و شده الحرص علی فضول الجاه و الأموال الفانيه،و هی بأجمعها أخلاق رديه مهلكه،و لا خلاص من الغضب مع بقائها،فلا بد من إزالتها حتی تسهل إزالته.

(الثانی)أن يتذكر قبح الغضب و سوء عاقبته،

و ما ورد فی الشريعه

من الذم عليه،كما تقدم.

(الثالث)أن يتذكر ما ورد من المدح و الثواب على دفع الغضب فى موارده،

و يتأمل فيما ورد من فوائد عدم الغضب،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من كف غضبه عن الناس كف اللّه تبارك و تعالى عنه عذاب يوم القيامه».

و قول الباقر(ع): «مكتوب فى التوراه:فيما ناجى اللّه به موسى:أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبى».

و قول الصادق(ع): «أوحى اللّه تعالى إلى بعض أنبيائه:يا بن آدم!اذكرنى فى غضبك أذكرك فى غضبى،و لا أمحقك فيمن أمحق،و إذا ظلمت بمظلمه فارض بانتصارى لك،فإن انتصارى لك خير من انتصارك لنفسك».

و قوله(ع):

«سمعت أبى يقول: أتى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-رجل بدوى:

فقال:إنى أسكن الباديه،فعلمنى جوامع الكلم.فقال:آمرك ألا تغضب.

فأعاد الأعرابى عليه المسأله ثلاث مرات،حتى رجع الرجل إلى نفسه، فقال:لا أسألك عن شىء بعد هذا،ما أمرنى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-إلا بالخير».

و قوله(ع): «إن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- أتاه رجل،فقال:يا رسول اللّه!علمنى عظه أتعظ بها،فقال له:انطلق و لا تغضب،ثم عاد عليه،فقال له:انطلق و لا تغضب...ثلاث مرات»

و قوله (ع): «من كف غضبه ستر اللّه عورته»... إلى غير ذلك من الأخبار.

(الرابع)ان يتذكر فوائد ضد الغضب،أعنى الحلم و كظم الغيظ،

و ما ورد من المدح عليهما فى الأخبار-كما يأتى-و يواظب على مباشرته و لو بالتكلف،فيتحلم و إن كان فى الباطن غضبانا،و إذا فعل ذلك مده صار عاده مألوفه هنيئه على النفس،فتنقطع عنها أصول الغضب.

(الخامس)

أن يقدم الفكر و الرويه على كل فعل أو قول يصدر عنه،

و یحافظ نفسه من صدور غضب عنه.

(السادس)أن یحترز عن مصاحبه أرباب الغضب،

و الذین یتبجحون بتشفی الغیظ و طاعه الغضب،و یسمون ذلک شجاعه و رجولیه،فیقولون:

نحن لا نصبر علی کذا و کذا،و لا نحتمل من أحد أمرا.و یختار مجالسه أهل الحلم،و الکاظمین الغیظ،و العافین عن الناس.

(السابع)أن یعلم أن ما یقع إنما هو بقضاء اللّه و قدره،

و أن الأشیاء کلها مسخره فی قبضه قدرته،و أن کل ما فی الوجود من اللّه،و أن الأمر کله للّه،و أن اللّه لا یقدر له ما فیه الخیره،و ربما کان صلاحه فی جوعه،أو مرضه،أو فقره،أو جرحه أو قتله،أو غیر ذلک.فإذا علم بذلک غلب علیه التوحید،و لا یغضب علی أحد،و لا یغتاظ عما یرد علیه،إذ یری-حینئذ- أن کل شیء فی قبضه قدرته أسیر،کالقلم فی ید الکاتب.فکما أن من وقع علیه ملک بضرب عنقه لا یغضب علی القلم،فکذلک من عرف اللّه و علم أن هذا النظام الجملی صادر منه علی وفق الحکمه و المصلحه،و لو تغیرت ذره منه عما هی علیه خرجت عن الأصلحیه،لا یغضب علی أحد،إلا أن غلبه التوحید علی هذا الوجه کالکبریت الأحمر و توفیق الوصول إلیه من اللّه الأکبر.و لو حصل لبعض المتجردین عن جلباب البدن یکون کالبرق الخاطف،و یرجع القلب إلی الالتفات إلی الوسائط رجوعا طبیعیا،و لو تصور دوام ذلک لأحد لتصور لفرق الأنبیاء،مع أن التفاتهم فی الجمله إلی الوسائط مما لا یمکن إنکاره.

(الثامن)أن یتذکر أن الغضب مرض قلب و نقصان عقل،

صادر عن ضعف النفس و نقصانها،لا عن شجاعتها و قوتها،و لذا یکون المجنون أسرع غضبا من العاقل،و المریض أسرع غضبا من الصحیح.و الشیخ الهرم أسرع

غضبا من الشاب،و المرأه أسرع غضبا من الرجل،و صاحب الأخلاق السيئه و الرذائل القبيحه أسرع غضبا من صاحب الفضائل.فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمه،و البخيل يغاظ لبخله إذا فقد الحبه،حتى يغضب لقد أدنى شيء على أعزه أهله و ولده.و النفس القويه المتصفه بالفضيله أجل شأنا من أن تتغير و تضطرب لمثل هذه الأمور،بل هى كالطود الشاهق و لا تحركه العواصف،

و لذا قال سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ليس الشديد بالصرعه،إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب». و إن شككت فى ذلك فافتح عينيك و انظر إلى طبقات الناس الموجودين،ثم ارجع إلى كتب السير و التواريخ،و استمع إلى حكايات الماضين،حتى تعلم:أن الحلم و العفو و كظم الغيظ شيمه الأنبياء و الحكماء و أكابر الملوك و العقلاء،و الغضب خصله الجهله و الأغبياء.

(التاسع)أن يتذكر أن قدره اللّه عليه أقوى و أشد من قدرته

على هذا الضعيف الذى يغضب عليه،و هو أضعف فى جنب قوته القاهره بمراتب غير متناهيه من هذا الضعيف فى جنب قوته،فليحذر،و لم يأمن إذا أمضى غضبه عليه أن يمضى اللّه عليه غضبه فى الدنيا و الآخره،

و قد روى: «أنه ما كان فى بنى إسرائيل ملك إلا و معه حكيم،إذا غضب أعطاه صحيفه فيها:(ارحم المساكين،و اخش الموت،و اذكر الآخره)،فكان يقرأها حتى يسكن غضبه»

و فى بعض الكتب الإلهيه: «يا ابن آدم!اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب،فلا امحقك فيمن أمحق» (۱).

---

۱ - ۱) روى الكافى فى باب الغضب نفس هذا الحديث عن الصادق-عليه السلام-بهذه العباره:«أن فى التوراه مكتوبا:يا بن آدم:اذكرنى حين تغضب أذكرك عند غضبى،فلا امحقك فيمن أمحق...»و قد تقدم مثله ص ۲۹۱.

(العاشر)

أن يتـذكر أن من يمضـى عليه غضـبه ربمـا قوى و تشـمر لمقابلته و جرد عليه لسانه بإظهار معائبه و الشـماته بمصائبه،و يؤذيه فى نفسه و أهله و ماله و عرضه.

(الحادى عشر)أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه إلى الغيظ و الغضب

فـإن كـان خوف الـذله و المهانه و الاتصاف بالعجز و صـغر النفس عنـد الناس، فليتنبه أن الحلم و كظم الغيظ و دفع الغضب عن النفس ليست ذله و مهانه، و لم يصدر من ضـعف النفس و صـغرها،بل هو من آثار قوه النفس و شـجاعتها و أضدادها تصدر من نقصـان النفس و خورها.فـدفع الغضـب عن نفسه لاـ يخرجه من كـبر النفس فى الواقـع،و لـو فرض خروجه به منه فى أعين جهله الناس فلا يبالى بذلك،و يتذكر أن الاتصاف بالذله و الصـغر عند بعض أراذل البشر أولى من خزى يوم المحشر و الافتضاح عند اللّه الملـك الأـكبر، و إن كان السـبب خوف أن يفوت منه شـىء مما يحبه،فليعلم أن ما يحبه و يغضب لفقـده إما ضـرورى لكل أحد،كالقوت و المسكن و اللباس و صحه البدن، و هو الذى أشار إليه سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم

-بقوله: «من أصبح آمنا فى سربه،معافى فى بدنه،و له قوت يومه،فكأنما خيرت له الدنيا بحذافيرها» .أو غير ضرورى لأحد،كالجاه و المنصب و فضول الأموال.

او ضـرورى لبعض النـاس دون بعض،كالكتـاب للعـالم،و أدوات الصـناعات لأربابهـا.و لاـ ريب أن كل ما ليس من هـذه الأقسام ضروريا فلا يليق أن يكون محبوبا عند أهل البصيره و ذوى المروات،إذ ما لا يحتاج إليه الإنسان فى العاجل لا بد له من تركه فى الآجل،فما بال العاقل أن يحبه و يغضب لفقده و إذا علم ذلك لم يغضب على فقد هذا القسم البته.و أما ما هو ضـرورى للكل أو البعض،و إن كان الغضب و الحزن من فقده مقتضى الطبع لشده الاحتياج

إليه،إلا أن العاقل إذا تأمل يجد أن ما فقد عنه من الأشياء الضروريه إن أمكن رده و الوصول إليه يمكن ذلك بدون الغيظ و الغضب أيضا،و إن لم يمكن لم يمكن معهما أيضا.و على أى حال بعد التأمل يعلم أن الغضب لا ثمره له سوى تألم العاجل و عقوبه الآجل،و حينئذ لا يغضب،و إن غضب يدفعه عن نفسه بسهوله.

(الثانى عشر)أن يعلم أن اللّه يحب منه ألا يغضب،

و الحبيب يختار البته ما يحب محبوبه،فإن كان محبا للّه فليطفئ شده حبه له غضبه.

(الثالث عشر)أن يتفكر فى قبح صورته و حركاته عند غضبه،

بأن يتذكر صوره غيره و حركاته عند الغضب.

تتميم

اعلم أن بعض المعالجات المذكوره يقتضى قطع أسباب الغضب و حسم مواده،حتى لا يهيج و لا يصدر،و بعضها يكسر سورته أو يدفعه إذا صدر و هاج.و من علاجه عند الهيجان الاستعاذه من الشيطان،و الجلوس إن كان قائما،و الاضطجاع إن كان جالسا،و الوضوء أو الغسل بالماء البارد،و إن كان غضبه على ذى رحم فليدن منه و ليمسه،فإن الرحم إذا مست سكنت، كما ورد فى الأخبار (۱).

وصل (فضيله الحلم و كظم الغيظ)

قد عرفت أن الحلم هو طمأنينه النفس،بحيث لا يحركها الغضب بسهوله و لا يزعجه المكروه بسرعه،فهو الضد الحقيقى للغضب،لأنه المانع من حدوثه

۱- ۱) روى ذلك فى الكافى فى باب الغضب عن الباقر-عليه السلام-.

و بعد هيجانه لما كان كظم الغيظ مما يضعفه و يدفعه،فمن هذه الحيثيه يكون كظم الغيظ أيضا ضدا له.فنحن نشير إلى فضيله الحلم و شرافته،ثم إلى فوائد كظم الغيظ و منافعه،ليجتهد طالب إزاله الغضب فى الاتصاف بالأول فلا يحدث فيه أصلا،و بالثانى،فيدفعه عند هيجانه.فنقول:

أما(الحلم)

فهو أشرف الكمالات النفسانيه بعد العلم،بل لا ينفع العلم بدونه أصلا،و لذا كلما يمدح العلم أو يسأل عنه يقارن به،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «اللهم أغننى بالعلم و زينى بالحلم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «خمس من سنن المرسلين.و عد منها الحلم.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ابتغوا الرفعه عند اللّه».قالوا:و ما هى يا رسول اللّه!؟قال:«تصل من قطعك،و تعطى من حرمك،و تحلم عمن جهل عليك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم: «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجه الصائم القائم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه يحب الحى الحليم،و يبغض الفاحش البذى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث من لم تكن فيه واحده منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله:

تقوى تحجزه عن معاصى اللّه،و حلم يكف به السفيه،و خلق يعيش به فى الناس».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا جمع الخلائق يوم القيامه نادى مناد:أين أهل الفضل؟فيقوم ناس-و هم يسير-فينطلقون سراعا إلى الجنه،فتتلقاهم الملائكه فيقولون:إنا نراكم سراعا إلى الجنه؟فيقولون نحن أهل الفضل.فيقولون:ما كان فضلكم؟فيقولون:كنا إذا ظلمنا صبرنا و إذا أسىء إلينا عفونا،و إذا جهل علينا حلمنا.فقال لهم:ادخلوا الجنه فنعم أجر العاملين».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما أعز اللّه بجهل قط، و لا أذل بحلم قط».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك

ص:٣٣٢

و ولدک،و لکن الخیر أن یکثر علمک و یعظم حلمک».

و قال علی بن الحسین -علیهما السلام-: «إنه لیعجبنی الرجل أن یدرکه حلمه عند غضبه»

و قال الصادق-علیه السلام-: «کفی بالحلم ناصرا».

و قال علیه السلام: «و إذا لم تکن حلیما فتحلم».

و قال علیه السلام: «إذا وقع بین رجلین منازعه نزل ملکان،فیقولان للسفیه منهما:قلت و قلت و أنت أهل لما قلت،و ستجزی بما قلت،و یقولان للحلیم منهما:صبرت و حلمت سیغفر لک إن أتممت ذلک.

قال علیه السلام:فان رد الحلیم علیه ارتفع الملکان».

و بعث علیه السلام غلاما له فی حاجه فأبطأ،فخرج علی أثره فوجده نائما،فجلس عند رأسه یروحه حتی انتبه،فقال له:«یا فلان!و اللّه ما ذلک لک!تنام اللیل و النهار لک اللیل و لنا منک النهار».

و قال الرضا-علیه السلام-: «لا یکون الرجل عابدا حتی یکون حلیما».

و اما(کظم الغیظ)

-فهو و إن لم یبلغ مرتبه الحلم فضیله و شرافه،لأنه التحلم:أی تکلف الحلم،إلا أنه إذا واظب علیه حتی صار معتادا تحدث بعد ذلک صفه الحلم الطبیعی،بحیث لا یهیج الغیظ حتی یحتاج إلی کظمه،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إنما العلم بالتعلم و الحلم بالتحلم» فمن لم یکن حلیما بالطبع لا بد له من السعی فی کظم الغیظ عند هیجانه،حتی تحصل له صفه الحلم.و قد مدح اللّه سبحانه کاظمی الغیظ فی محکم کتابه، و تواترت الأخبار علی شرافته و عظم أجره،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من کظم غیظا و لو شاء أن یمضیه أمضاه،ملأ اللّه قلبه یوم القیامه رضا»

(۱)

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ما جرع عبد جرعه أعظم أجرا من جرعه غیظ کظمها ابتغاء وجه اللّه تعالی»:

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن لجهنم بابا لا یدخله إلا من شفی غیظه بمعصیه اللّه تعالی».

۱- ۱) روی الحدیث الکافی فی باب کظم الغیظ عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من كظم غيظا و هو يقدر على أن ينفذه دعاه اللّه يوم القيامه على رءوس الخلائق،حتى يخير من أى الحور شاء» (۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من أحب السبيل (۲)إلى اللّه تعالى جرعتان:جرعه غيظ يردها بحلم.و جرعه مصيبه يردها بصبر».

و قال سيد الساجدين عليه السلام: «و ما تجرعت جرعه أحب إلى من جرعه غيظ لا أكافى بها صاحبها».

و قال الباقر-عليه السلام-: «من كظم غيظا و هو يقدر على إمضائه،حشا اللّه تعالى قلبه أمنا و إيمانا يوم القيامه».

و قال-عليه السلام- لبعض ولده (۳): «يا بنى!ما من شىء أقر لعين أبيك من جرعه غيظ عاقبتها صبر و ما يسرنى أن لى بذل نفسى حمر النعم».

و قال الصادق-عليه السلام- «نعم الجرعه الغيظ لمن صبر عليها.فإن عظيم الأجر البلاء.و ما أحب اللّه قوما إلا ابتلاهم».

و قال-عليه السلام-: «ما من عبد كظم غيظا إلا زاده اللّه -عز و جل-عزا فى الدنيا و الآخره.و قد قال اللّه-عز و جل-:

وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النّاسِ وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(۴)

۱- ۱) صححنا هذا الحديث على ما فى البحار(الجزء الثانى من المجلد ۱۵- فى باب الحلم)رواه عن جامع الأخبار للشيخ الجليل الحسن بن فضل الطبرسى و فيه اختلاف كثير عما فى نسخ جامع السعادات.

۲- ۲) كذا وجدنا الحديث فى البحار و الكافى و نسخ جامع السعادات.و الظاهر أن الأصح(السبل).

۳- ۳) فى الكافى فى باب كظم الغيظ روى هذا الحديث هكذا:«عن أبى جعفر -عليه السلام-قال:قال لى أبى:يا بنى!ما من شىء...»إلى آخر الحديث فالقائل هو سيد الساجدين لا الباقر-عليهما السلام-.

۴- ۴) آل عمران.الآيه:۱۳۴

و أثابه اللّه مكان غيظه ذلک».

و قال أبو الحسن الأول-علیه السلام-:

«اصبر علی أعداء النعم،فإنک لن تکافی من عصی اللّه فیک بأفضل من أن تطیع اللّه فیه».

و منها:

الانتقام

بمثل ما فعل به،أو بالأزید منه-و إن کان محرما ممنوعا من الشریعه- و هو من نتائج الغضب،إذ کل انتقام لیس جائزا،فلا یجوز مقابله الغیبه بالغیبه،و الفحش بالفحش،و البهتان بالبهتان،و السعایه إلی الظلمه بمثلها.

و هکذا فی سائر المحرمات.

قال سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«إن امرؤ عیرک بما فیک فلا تعیره بما فیه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «المستبان شیطانان یتهاتران».

و قد ورد. أن رجلا شتم أبا بکر بحضره النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و هو ساکت،فلما ابتدأ لینتصر منه،قام رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و قال مخاطبا له:«إن الملک کان یجیب عنک،فلما تکلمت ذهب الملک و جاء الشیطان،فلم أکن لأجلس فی مجلس فیه الشیطان».

فکل فعل أو قول یصدر من شخص بالنسبه إلی غیره ظلما،إن کان له فی الشرع قصاص و غرامه،فیجب ألا یتعدی عنه،و إن کان العفو عن الجائر أیضا أفضل و أولی و أقرب إلی الورع و التقوی،و إن لم یرد له بخصوصه من الشرع حکومه معینه،وجب أن یقتصر فی الانتقام و ما یحصل به التشفی علی ما لیس فیه حرمه و لا کذب،مثل أن یقابل الفحش و الذم و غیرهما من الأذایا التی لم یقدر لها فی الشرع حکومه معینه،بقوله:یا قلیل الحیاء و یا سیء الخلق!و یا صفیق الوجه!...و أمثال ذلک،إذا کان متصفا بها و مثل

قوله:جزاك اللّه و انتقم منك!و من أنت؟و هل أنت إلا من بنى فلان؟ و مثل قوله:يا جاهل!و يا أحمق!.و هذا ليس فيه كذب مطلقا،إذ ما من أحد إلا و فيه جهل و حمق،(أما الأول)فظاهر،(و أما الثانى)فلما ورد من أن الناس كلهم حمقى فى ذات اللّه.

و الدليل على جواز هذا القدر من الانتقام،

قول النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم- «المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يتعدى المظلوم» (1).

و قول الكاظم عليه السلام فى رجلين يتسابان:«البادئ منهما أظلم،و وزره و وزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم» (2). و هما يدلان على جواز الانتصار لغير البادئ من دون وزر ما لم يتعد،و معلوم أن المراد بالسب فيهما أمثال الكلمات المذكوره دون الفحش و الكلمات الكاذبه،و لا ريب فى أن الاقتصار على مجرد ما وردت به الرخصه بعد الشروع فى الجواب مشكل،و لعل السكوت عن أصل الجواب و حواله الانتقام إلى رب الأرباب أيسر و أفضل.ما لم يؤد إلى فتور الحميه و الغيره،إذ أكثر الناس لا يقدر على ضبط نفسه عند فور الغضب.لاختلاف حالهم فى حدوث الغضب و زواله.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى،منهم بطىء الغضب سريع الفىء.و منهم سريع الغضب سريع الفىء فتلك بتلك.و منهم سريع الغضب بطىء الفىء،و منهم بطىء الغضب بطىء الفىء.ألا و إن خيرهم البطىء الغضب السريع الفىء،و شرهم السريع الغضب البطىء الفىء»

و قد ورد فى خبر آخر: «إن المؤمن سريع الغضب سريع الرضا،فهذه بتلك»

ص:336

1- 1) صححنا الحديث على ما فى إحياء العلوم(ج 3 ص 106)و على نسختنا الخطيه و فى المطبوعه:«حتى يعتذر إلى المظلوم».

2- 2) صححنا الحديث على ما فى أصول الكافى فى باب السفه و فى نسختنا الخطيه و المطبوعه:«ما لم يعتذر إلى المظلوم».

ثم طريق العلاج فى ترك الانتقام:أن يتنبه على سوء عاقبته فى العاجل و الآجل،و يتذكر فوائد تركه،و يعلم أن الحواله إلى المنتقم الحقيقى أحسن و أولى،و أن انتقامه أشد و أقوى،ثم يتأمل فى فوائد العفو و فضيلته، كما يأتى،

وصل (العفو)

ضد الانتقام(العفو)،و هو إسقاط ما يستحقه من قصاص أو غرامه، ففرقه عن الحلم و كظم الغيظ ظاهر،و الآيات و الأخبار فى مدحه و حسنه أكثر من أن تحصى،قال اللّه تعالى سبحانه:

خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ

(۱)

و قال:

وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا

(۲)

.و قال: وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ (۳)

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث و الذى نفسى بيده إن كنت حالفا لحلفت عليهن:ما نقصت صدقه من مال فتصدقوا، و لا عفا رجل من مظلمه يبتغى بها وجه اللّه إلا زاده اللّه بها عزا يوم القيامه، و لا فتح رجل على نفسه باب مسأله إلا فتح اللّه عليه باب فقر».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «العفو لا يزيد العبد إلا عزا،فاعفوا يعزكم اللّه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لعقبه:«أ لا أخبرك بأفضل أخلاق أهل

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۱۹۹.

۲- ۲) النور،الآيه:۲۲.

۳- ۳) البقره،الآيه:۲۳۷.

الدنیا و الآخره:تصل من قطعک و تعطی من حرمک.و تعفو عمن ظلمک» (1)

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قال موسی،یا رب!أی عبادک أعز علیک؟قال:الذی إذا قدر عفی».

و قال سید الساجدین(ع) «إذا کان یوم القیامه،جمع اللّه الأولین و الآخرین فی صعید واحد،ثم ینادی مناد،أین أهل الفضل؟قال:فیقوم عنق من الناس،فتلقاهم الملائکه،فیقولون:و ما فضلکم؟فیقولون،کنا نصل من قطعنا،و نعطی من حرمنا،و نعفو عمن ظلمنا،قال:فیقال لهم:صدقتم،ادخلوا الجنه».

و قال الباقر(ع): «الندامه علی العفو أفضل و أیسر من الندامه علی العقوبه».

و قال الصادق(ع):

«ثلاث من مکارم الدنیا و الآخره:تعفو عمن ظلمک...إلی آخر الحدیث.

و قال أبو الحسن(ع) «ما التقت فئتان قط إلا نصر أعظمهما عفوا». و کفی للعفو فضلا و شرافه أنه من أجمل الصفات الإلهیه،و قد یمدح اللّه تعالی به فی مقام الخضوع و التذلل،

قال سید الساجدین(ع):

أنت الذی سمیت نفسک بالعفو،فاعف عنی»

.

و قال(ع)، «أنت الذی عفوه أعلی من عقابه».

و منها:

العنف

و هو الغلظه و الفظاظه فی الأقوال أو الحرکات أیضا،و هو من نتائج الغضب،و ضده(الرفق)،أی اللین فیهما،و هو من نتائج الحلم.و لا ریب فی أن الغلظه فی القول و الفعل ینفر الطباع و یؤدی إلی اختلال أمر المعاش و المعاد،و لذلک نهی اللّه-سبحانه-نبیه عنه فی مقام الإرشاد،و قال:

1- 1) فی أصول الکافی فی باب العفو:«أ لا أدلکم علی خیر أخلاق الدنیا و الآخره تصل من قطعک...»إلی آخر الحدیث.

وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

(۱)

.

و روى عن سلمان:«أنه قال: إذا أراد اللّه تعالى هلاک عبد نزع منه الحياء،فإذا نزع منه الحياء،لم يلقه إلا خائنا مخوفا،و إذا كان خائنا مخوفا نزعت منه الأمانه،فإذا نزعت منه الأمانه لم يلقه إلا فظا غليظا،فإذا كان فظا غليظا نزعت منه ربقه الإيمان،فإذا نزعت منه ربقه الإيمان لم يلقه إلا شيطان ملعونا».

و يظهر من هذا الكلام أن من كان من أهل الغلظه و الفظاظه فهو الشيطان حقيقه،فيجب على كل عاقل أن يجتنب عن ذلک كل الاجتناب،و يقدم التروى على كل ما يصدر عنه من القول و الفعل،ليحافظ نفسه عن التعنف و الغلظه فيه،و يتذكر ما ورد فى فضيله الرفق،و يرتكبه فى حركاته،و لو بالتكلف،إلى أن يصير ملكه،و تزول عن نفسه آثار العنف بالكليه.

وصل (فضيله الرفق)

الأخبار فى فضيله الرفق و فوائده أكثر من أن تحصى،و نحن نشير إلى شطر منها هنا،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لو كان الرفق خلقا يرى،ما كان فيما خلق اللّه شيء أحسن منه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-، «إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه،و لا ينزع من شيء إلا شانه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-، «لكل شيء قفل،و قفل الإيمان الرفق».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه رفيق يحب

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۵۹.

الرفيق،و يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف» (۱).

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-، «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجرا و أحبهما إلى اللّه تعالى،أرفقهما بصاحبه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-، «الرفق يمن، و الخرق شؤم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من كان رفيقا فى أمره نال ما يريده من الناس».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا أحب اللّه أهل بيت أدخل عليهم الرفق».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-، «من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا و الآخره،و من حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنيا و الآخره».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا أحب اللّه عبدا أعطاه الرفق،و من يحرم الرفق يحرم الخير كله».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أ تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب».

و قال الكاظم(ع): «الرفق نصف العيش».

و قال(ع) لمن جرى بينه و بين رجل من القوم كلام:«إرفق بهم،فإن كفر أحدكم فى غضبه،و لا خير فيمن كان كفره فى غضبه».

ثم التجربه شاهده بأن إمضاء الأمور و إنجاح المقاصد موقوف على الرفق و اللين مع الخلائق،فكل ملك كان رفيقا بجنده و رعيته انتظم أمره و دام ملكه،و إن كان فظا غليظا اختل أمره و انفض الناس من حوله،و زال ملكه و سلطانه فى أسرع زمان.و قس عليه غيره من طبقات الناس من العلماء و الأمراء و غيرهما،من ذوى المناصب الجليله،و أرباب المعامله و المكاسبه، و أصحاب الصنايع و الحرف.

۱- ۱) روى هذان الحديثان فى أصول الكافى،فى باب الرفق،عن أبى جعفر الباقر-عليهما السلام-.

تکمله (المداراه)

(المداراه):قریب من الرفق معنی،لأنها ملائمه الناس،و حسن صحبتهم،و احتمال أذاهم،و ربما فرق بینهما باعتبار تحمل الأذی فی المداراه دون الرفق،و قد ورد فی مدحها و فوائدها الدنیویه و الأخرویه أخبار کثیره

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «المداراه نصف الإیمان» ،

و قوله -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ثلاث من لم یکن فیه لم یتم عمله:ورع یحجزه عن معاصی اللّه،و خلق یداری به الناس،و حلم یرد به جهل الجاهل،

و قوله -صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «أمرنی ربی بمداراه الناس کما أمرنی بأداء الفرائض».

و قول الباقر(ع): «فی التوراه مکتوب:فیما ناجی اللّه عز و جل-به موسی بن عمران(ع):یا موسی!اکتم مکتوم سری فی سریرتک و أظهر فی علانیتک المداراه عنی لعدوی و عدوک من خلقی...إلی آخر الحدیث» (۱).

و قول الصادق(ع): «جاء جبرئیل إلی النبی(ص)فقال:

یا محمد!ربک یقرئک السلام،و یقول:دار خلقی».

و قوله(ع): «إن قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فنفوا (۲)من قریش،و أیم اللّه ما کان

۱- ۱) و تمام الحدیث فی أصول الکافی فی باب المداراه:«و لا تستسب لی عندهم بإظهار مکتوم سری،فتشرک عدوی و عدوک فی سبی».قال فی الوافی،«و لا تستسب لی:أی لا تطلب سبی،فان من لم یفهم السر یسب من تکلم به،فتشرک:أی تکون شریکا له،لانک أنت الباعث له علیه.

۲- ۲) هکذا فی النسخه المطبوعه.و فی بعض نسخ الکافی المصححه«فانفوا»، و فی بعضها«فالقوا».قال فی الوافی،«فانفوا»،کأنه صیغه مجهول من الأنفه بمعنی الاستنکاف،إذا لم یأت الإنفاء بمعنی النفی.و فی بعض النسخ،فألقوا من الإلقاء،و لعله الأصح».

بإحسابهم بأس،و إن قوما من غير قريش حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع... ثم قال:من كف يده عن الناس،فإنما يكف عنهم يدا واحده و يكفون عنه أيدى كثيره».

و منها:

سوء الخلق بالمعنى الأخص

و هو التضجر،و انقباض الوجه،و سوء الكلام،و أمثال ذلك.و هو أيضا من نتائج الغضب،كما أن ضده-أعنى(حسن الخلق بالمعنى الأخص) و هو أن تلين جناحك،و تطيب كلامك،و تلقى أخاك ببشر حسن-من نتائج الحلم،و أكثر ما يطلق سوء الخلق و حسنه فى الأخبار يراد به هذا المعنى و لا ريب فى أن سوء الخلق مما يبعد صاحبه عن الخالق و الخلق،و التجربه شاهده بأن الطباع متنفره عن كل سيء الخلق،و يكون دائما أضحوكه للناس و لا ينفك لحظه عن الحزن و الألم،

و لذا قال الصادق(ع): «من ساء خلقه عذب نفسه»، و قد يعتريه لأجله الضرر العظيم.هذا كله مع سوء عاقبته فى الآخره و أدائه إلى العذاب الأبدى،و لذا ورد به الذم الشديد من الشريعه

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لما خلق اللّه الإيمان قال:

اللهم قونى،فقواه بحسن الخلق و السخاء.و لما خلق اللّه الكفر قال:اللهم قونى،فقواه بالبخل و سوء الخلق».

و روى أنه قيل له-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:«إن فلانه تصوم النهار و تقوم الليل و هى سيئه الخلق تؤذى جيرانها بلسانها.قال:لا خير فيها!هى من أهل النار».

و عنه-صلى اللّه

علیه و آله و سلم- «سوء الخلق یفسد العمل کما یفسد الخل العسل (۱).

و عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن العبد لیبلغ من سوء خلقه أسفل درک جهنم».

و عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أبی اللّه لصاحب الخلق السیء بالتوبه،قیل فکیف ذاک یا رسول اللّه!؟قال:«لأنه إذا تاب من ذنب وقع فی ذنب أعظم منه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «سوء الخلق ذنب لا یغفر».

و قال الإمام جعفر بن محمد-علیهما السلام-: «إذا خلق اللّه العبد فی أصل الخلق کافرا لم یمت حتی یحبب اللّه إلیه الشر،فیقرب منه.فابتلاه بالکبر و الجبروت،فقسی قلبه،و ساء خلقه،و غلظ وجهه، و ظهر فحشه،و قل حیاؤه،و کشف اللّه تعالی سره،و رکب المحارم و لم ینزع عنها،ثم رکب معاصی اللّه،و أبغض طاعته،و وثب علی الناس لا یشبع من الخصومات،فاسألوا اللّه العافیه و اطلبوها منه». و قال بعض الأکابر:«لئن یصحبنی فاجر حسن الخلق أحب إلی من أن یصحبنی عابد سیء الخلق».

و طرق العلاج فی إزالته:أن یتذکر أولا أنه یفسد آخرته و دنیاه، و یجعله ممقوتا عند الخالق و الخلق،فیعد نفسه لإزالته،ثم یقدم التروی و التفکر عند کل حرکه و تکلم،فیحفظ نفسه عنده-و لو بالتحمل و التکلف- من صدور سوء الخلق،و یتذکر ما ورد فی مدح حسن الخلق الذی هو ضده -کما یأتی-و یواظب حتی تزول علی التدریج آثاره بالکلیه.

وصل (طرق اکتساب حسن الخلق)

قد عرفت أن ضد هذه الرذیله(حسن الخلق بالمعنی الأخص)،فمن

۱- ۱) روی هذا الحدیث أصول الکافی فی باب سوء الخلق عن الصادق-علیه السلام-و لکن جاء فیه«لیفسد العمل»بدل«یفسد العمل».

معالجاتها أن يواظب عليه حتى ترتفع آثارها بالكليه.و أقوى البواعث على اكتسابه و المواظبه عليه أن يتذكر ما يدل على شرافته و مدحه عقلا و نقلا:

أما حكم العقل على مدحه فظاهر لا يحتاج إلى بيان،و أما النقل فالأخبار التى وردت به أكثر من أن تحصى،و نحن نورد شطرا منها تذكره لمن أراد أن يتذكر،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما يوضع فى ميزان امرئ يوم القيامه أفضل من حسن الخلق»

و قال: «يا بنى عبد المطلب!إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم.فالقوهم بطلاقه الوجه،و حسن البشر».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه استخلص هذا الدين لنفسه،و لا يصلح لدينكم إلا السخاء و حسن الخلق،ألا فزينوا دينكم بهما».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «حسن الخلق خلق اللّه الأعظم».

و قيل له-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:أى المؤمنين أفضلهم إيمانا؟قال:«أحسنهم خلقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «إن أحبكم إلى و أقربكم منى مجلسا يوم القيامه أحسنكم خلقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث من لم يكن فيه واحده منهن فلا يعتد بشىء من عمله:تقوى تحجزه عن محارم اللّه و حلم يكف به السيئه،و خلق يعيش به فى الناس».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن الخلق الحسن يميت الخطيئه،كما تميت الشمس الجليد (۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخره و أشرف المنازل،و إنه يضعف العباده».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لأم حبيبه: «إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا و الآخره

۱- ۱) روى هذا الحديث فى الكافى فى باب حسن الخلق عن أبى عبد اللّه الصادق-عليه السلام،و فى نهايه ابن الأثير:فى الحديث:حسن الخلق يذيب الخطيئه كما تذيب الشمس الجليد»،و يذيب بمعنى يميت.

و قال لها-بعد ما سألته إن المرأه يكون لها زوجان فی الدنيا فتموت و يموتان و يدخلان الجنه لا يهما هی؟-:«إنها لأحسنهما خلقا».

و قال صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجه الصائم القائم» (۱).

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أكثر ما يلج به أمتی الجنه تقوى اللّه و حسن الخلق».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أفضلكم أحسنكم أخلاقا،الموطئون أكنافا (۲)الذين يألفون و يؤلفون».

و قال أمير المؤمنين (ع): «المؤمن مألوف،و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف». و لا ريب فی أن سیء الخلق تتنفر عنه الطباع،فلا يكون مألوفا.

و قال الإمام أبو جعفر الباقر-عليهما السلام-: «إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»،

و قال (ع): «أتى رجل رسول اللّه،فقال:يا رسول اللّه!أوصنی فكان فيما أوصاه أن قال:(الق أخاك بوجه منبسط)»

و قال الصادق(ع): «ما يقدم المؤمن على اللّه-عز و جل-بعمل بعد الفرائض أحب إلى اللّه تعالى من أن يسع الناس بخلقه»

و قال(ع): «البر و حسن الخلق يعمران الديار و يزيدان فی الأعمار».

و قال(ع): «إن اللّه تبارك و تعالى ليعطی العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطی المجاهد فی سبيل اللّه يغدو عليه و يروح».

و قال(ع):

«ثلاث من أتى اللّه بواحده منهن أوجب اللّه له الجنه:الإنفاق من إقتار، و البشر لجميع العالم،و الإنصاف من نفسه».

و قال(ع): «صنايع المعروف و حسن البشر يكسبان المحبه و يدخلان الجنه،و البخل و عبوس الوجه يبعدان من اللّه و يدخلان النار».

۱- ۱) هذا الحديث مروی فی الكافی فی باب حسن الخلق عن أبی عبد اللّه-عليه السلام-

۲- ۲) قال المبرد فی الكامل ص ۳:«قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:الموطؤن أكنافا،مثل،و حقيقته:أن التوطئه هی التذليل و التمهيد...فأراد القائل بقوله:موطأ الأكناف،أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى و لا ناب به موضعه

و من تأمل فی هذه الأخبار،و رجع إلی الوجدان و التجربه،و تذکر أحوال الموصوفین بسوء الخلق و حسنه،یجد أن کل سیء الخلق بعید من اللّه و من رحمته،و الناس یبغضونه و یشمئزون منه،و لذا یحرم من برهم و صلتهم و کل حسن الخلق محبوب عند اللّه و عند الناس،فلا یزال محلا لرحمه اللّه و فیوضاته،و مرجعا للمؤمنین بإیصال نفعه و خیره إلیهم،و إنجاح مقاصده و مطالبه منهم،و لذلک لم یبعث اللّه سبحانه نبیا إلا و أتم فیه هذه الفضیله، بل هی أفضل صفات المرسلین و أشرف أعمال الصدیقین،و لذا قال اللّه تعالی لحبیبه مثنیا علیه و مظهرا نعمته لدیه.

وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ

(۱)

و لعظم شرافته بلغ رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فیه ما بلغ من غایته،و تمکن علی ذروته و نهایته،

حتی ورد: بینا رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-ذات یوم جالس فی المساجد،اذ جاءت جاریه لبعض الأنصار و هو قائم (۲)فأخذت بطرف ثوبه،فقام لها النبی(ص)فلم تقل شیئا و لم یقل لها النبی(ص)شیئا،حتی فعلت ذلک ثلاث مرات،فقام لها النبی(ص)فی الرابعه،و هی خلفه،فأخذت هدبه من ثوبه ثم رجعت.فقال لها الناس:

فعل اللّه بک و فعل! (۳)حبست رسول اللّه ثلاث مرات لا تقولین له شیئا و لا هو یقول لک شیئا!ما کانت حاجتک إلیه؟قالت:إن لنا مریضا فأرسلنی

۱- ۱) القلم،الآیه:۴.

۲- ۲) قال فی البحار-ج ۱۵ فی باب حسن الخلق ص ۲۰۷-،«حال عن بعض الأنصار»أی ان القائم هذا البعض صاحب الجاریه لا النبی-صلی اللّه علیه و آله

۳- ۳) قال فی البحار-فی الموضع المتقدم-:«کنایه عن کثره الدعاء علیها بإیذائها النبی-صلی اللّه علیه و آله-و هذا شائع فی عرف العرب و العجم».

أهلى لآخذ هدبه من ثوبه يستشفى (۱)بها.فلما أردت أخذها رآنى فقام، استحييت أن آخذها و هو يرانى،و أكره أن استأمره فى أخذها،فأخذتها» (۲).

و منها:

الحقد

و قد عرفت أنه إضمار العداوه فى القلب،و هو من ثمره الغضب،لأن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال،رجع إلى الباطن و احتقن فيه فصار حقدا،و هو من المهلكات العظيمه.

و قد قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «المؤمن ليس بحقود». و الغالب أن الحقد يلزمه من الآفات:

الحسد،و الهجره،و الانقطاع عن المحقود،و إيذاؤه بالضرب،و التكلم فيه بما لا يحل:من الكذب،و الغيبه،و البهتان،و إفشاء السر،و هتك الستر، و إظهار العيوب،و الشماته بما يصيبه من البلاء و السرور به،و الانبساط بظهور عثراته و هفواته،و المحاكاه عنه بالاستهزاء و السخريه،و الإعراض عنه استصغارا له،و منع حقوقه من دين أو رد مظلمه أو صله رحم.و كل ذلك حرام يؤدى إلى فساد الدين و الدنيا.و أضعف مراتبه أن يحترز عن الآفات المذكوره،و لا يرتكب لأجله ما يعصى اللّه به،و لكن يستثقله بالباطن،و لا ينتهى قلبه عن بغضه.

ص: ۳۴۷

۱- ۱) قال فى البحار-فى الموضع المذكور ص ۲۰۸-:«فى بعض النسخ- بل أكثرها-:ليستشفى».

۲- ۲) صححنا الحديث على أصول الكافى فى باب حسن الخلق،و فى نسخ جامع السعادات اختلاف كثير عما أثبتناه،و قد جاء فى أصول الكافى فى صدر الحديث:«قال أبو عبد اللّه-عليه السلام- يا بحر حسن الخلق يسر...ثم قال:أ لا أخبرك بحديث ما هو فى يدى أحد من أهل المدينه؟قلت بلى!قال:بينا رسول اللّه...إلى آخر الحديث».

و هو أيضـا من الأـمراض المؤلمه للنفس،المانعه لها عن القرب إلى اللّه و الوصول إلى الملأ الأعلى.و يمنع صاحبه عما ينبغى أن يصـدر عنه بالنسـبه إلى أهـل الإيمـان:من الهشاشه و الرفق و التواضع و القيام بحوائجهم و المجالسه معهم و الرغبه إلى إعانتهم و مواساتهم...و غير ذلك.و هذا كله مما ينقص درجته فى الدين،و يحول بينه و بين مرافقه المقربين.

و لما كانت حقيقته عباره عن العداوه الباطنه،فجميع الأخبار الوارده فى ذم المعاداه تدل على ذمه،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«ما كان جبرئيل يأتينى إلا قال:يا محمد!اتق شحناء الرجال و عداوتهم».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما عهد إلى جبرئيل قط فى شىء ما عهد إلى فى معاداه الرجال».

و قول الصادق(ع): «من زرع العداوه حصد ما بذر»... و قس عليها غيرها.

و طريـق العلاـج فى إزالته:أن يتـذكر أن هـذه العـداوه البـاطنه تؤلمه فى العاجـل،إذ الحقود المسـكين لاـ يخلو عن التـألم و الهم لحظه،و يعذبه فى الآجل و مع ذلك لا يضـر المحقود أصـلا،و العاقل لا يدوم على حاله تكون مضـره لنفسه و نافعه لعدوه.و بعد هذا التذكر،فليجتهد فى أن يعامله معامله أحبائه:

مـن مصـاحبته بالانبسـاط و الرفـق،و القيـام بحـوائجه،و غير ذلـك،بـل يخصـه بزيـاده الـبر و الإحسـان،مجاهـده للنفس و إرغـاما للشـيطان،و لاـ يزال يكرر ذلـك حتى ترتفع عن نفسه آثـاره هـذه الرذيله بـالكليه.ثم لما كان الحقـد عباره عن العـداوه الباطنه،و حقيقتها اضـمار الشـر و كراهه الخير لمن يعاديه،فضـده (النصـيحه)التى هى قصـد الخير و كراهه الشـر،لا المحبه-كما يتراءى فى بادى الرأى-إذ هى ضـد الكراهه دون العداوه-كما يأتى فى محله-فمن معالجات الحقد أن يتذكر فوائد النصـيحه و مدحها-كما يأتى-ليعين على إزالته.

ص :٣٤٨

و منها:

العداوه الظاهره

و هی من لوازم الحقد،لأنه إذا قوی قوه لا یقدر معها علی المجامله أظهر العداوه بالمکاشفه.و الأخبار الوارده فی ذمها کثیره،و قد تقدم بعضها.و علاجها کما تقدم فی الحقد،و ضدها النصیحه الظاهره،أعنی فعلیه الخیر و الصلاح لا مجرد قصدهما،فلیکلف نفسه علیها،حتی تصیر ملکه له و یزیل ضدها.

و منها:

الضرب و الفحش و اللعن و الطعن

و هذه ناشئه غالبا عن العداوه و الحقد،و ربما صدرت من مجرد الغضب و سوء الخلق،و ربما صدر الفحش من الاعتیاد الحاصل من مخالطه الفساق، و ربما کان الباعث فی بعض أفرادها حب المال و فقده المعدود من رذائل قوه الشهوه،إلا أن الفاعل المباشره لهذه الأمور هی القوه الغضبیه،أو النفس لهیجان قوه الغضب.و إن کان الهیجان حاصلا بوساطه فعل قوه الشهوه.و علی أی تقدیر یکون من رذائل القوه الغضبیه علی قاعدتنا،و لذا أدرجناها تحتها فقط.

ثم لا ریب فی کون هذه الأمور مذمومه محرمه فی الشریعه،موجبه لحبط الأعمال و خسران المال.و جمیع ما یدل علی ذم الإیذاء و الإضرار یدل علی ذمها،لکونها بعض أفرادهما.و العقل و الشرع متطابقان علی شده قبح کل واحد منها بخصوصه و إیجابه للهلاک:

أما(الضرب)

-فلأنه لا ريب فى أن ضرب مسلم بلا داع شرعى مما يقبحه كل عاقل،و يذمه جميع طوائف العالم،حتى نفاه الأديان،و الأخبار الوارده فى ذمه كثيره،و فى عده

منها: «إن من ضرب رجلا سوطا لضربه اللّه سوطا من النار».

و أما(الفحش و السب و بذاءه اللسان)

-فلا ريب فى كونه صادرا عن خباثه النفس.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ليس المؤمن بالطعان و لا اللعان،و لا الفاحش و لا البذى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إياكم و الفحش،فإن اللّه لا يحب الفحش و التفحش».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الجنه حرام على كل فاحش أن يدخلها».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن الفحش و التفحش ليسا من الإسلام فى شيء-

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «البذاء و البيان شعبتان من شعب النفاق»

و روى: أن المراد بالبيان:كشف ما لا يجوز كشفه.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أربعه يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى»...وعد منهم:رجلا يسيل فوه قيحا،و هو من كان فى الدنيا فاحشا.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوه منهم» (۱).

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه حرم الجنه على كل فحاش بذى قليل الحياء لا يبالى ما قال و لا ما قيل له،فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغيه (۲)أو شرك شيطان».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا رأيتم الرجل لا يبالى ما قال و لا ما قيل فيه فإنه-لغيه أو شرك شيطان».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه ليبغض الفاحش البذى و السائل الملحف».

و قال

١- ١) و فى بعض نسخ الكافى فى باب السباب،(بينهم)بدل(منهم).

٢- ٢) قال فى القاموس فى ماده(غوى):«ولد غيه-و يكسر-أى زنيه- فيكون معنى(لغيه)أى(لزنيه).

-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن من شرار عباد اللّه من تكره مجالسته لفحشه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «سباب المؤمن فسوق،و قتاله كفر،و أكل لحمه معصيه،و حرمه ماله كحرمه دمه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «سباب المؤمن كالمشرف على الهلكه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «شر الناس عند اللّه تعالى يوم القيامه الذين يكرمون اتقاء شرهم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «المتسابان شيطانان متعاديان و متهاتران».

و قال الصادق(ع): «من علامات شرك الشيطان الذى لا يشك فيه أن يكون فحاشا لا يبالى ما (۱)قال و لا ما (۲)قيل فيه».

و قال(ع):

«البذاء من الجفاء،و الجفاء فى النار».

و قال(ع): «من خاف الناس لسانه فهو فى النار»،

و قال: «إن أبغض خلق اللّه تعالى عبد اتقى الناس لسانه».

و عن الكاظم(ع) فى رجلين يتسابان:«فقال:البادى منهما أظلم،و وزره و وزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم» (۳).

(تنبيه)اعلم أن حقيقه الفحش هو التعبير عن الأمور المستقبحه بالعباره الصريحه.و يجرى أكثر ذلك فى ألفاظ الوقاع و آلاته و ما يتعلق بهما فإن لأهل الفساد عبارات صريحه فاحشه يستعملونها فيه،و أهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها،بل يكنون عنها و يعبرون عنها بالرموز.قال بعض الصحابه:«إن اللّه حى كريم يعف و يكنى،كنى باللمس عن الجماع».

فالمس،و اللمس،و الدخول،و الصحبه،كنايات عن الوقاع،و ليست بفاحشه و عنه عبارات فاحشه يستقبح ذكرها.و ليس هذا يختص بالوقاع،بل

۱- ۱) و فى بعض نسخ الكافى فى باب البذاء(بما)فى الموضعين.

۲- ۲) و فى بعض نسخ الكافى فى باب البذاء(بما)فى الموضعين.

۳- ۳) قد مضى فى الصفحه(۳۰۰)تصحيح الحديث على ما فى أصول الكافى فى باب السفه.فصححناه هنا أيضا.

الکنایه بقضاء الحاجه عن التبول و التغوط أولی من لفظه التغوط و الخراء و غیرهما،و کذا التعبیر عن المرأه،فهذا أیضا مما یخفی و یستحیی منه،فلا ینبغی أن تذکر ألفاظه الصریحه باللسان،بل یکنی عنها،فلا یقال:قالت زوجک أو امرأتک،بل یقال:قیل فی الحجره،أو قیل من وراء الستر، و قالت أم الأولاد،و أمثال ذلک،و کذلک من به عیوب یستحی منها،فلا ینبغی أن یعبر عنها بصریح لفظها،کالبرص،و القرح،و البطن،و أمثال ذلک بل یکنی عنها بعبارات غیر صریحه،مثل العارض الذی عرض و ما یجری مجراه،إذ التصریح بجمیع ذلک داخل فی الفحش.

ثم ألفاظ الفحش لا ریب-حینئذ-فی کونها محظوره بأسرها مذمومه،و إن کان بعضها أفحش من بعض،فیکون أثمه أشد،سواء استعمل فی الشتم و الإیذاء أو لا یستعمل فیه،بل فی المزاح و الهزل و غیرهما.و حینئذ لما کانت هذه العبارات متفاوته فی الفحش بعضها أفحش من بعض،و ربما اختلف بعاده البلاد،فیکون بعضها مکروها و بعضها محظورا،فإن من قال لغیره مزاحا أو اعتیادا حاصلا من مخالطه الفساق:(فرج امرأتک ضیق أم لا؟)لا ریب فی کونه فحشا محرما مذموما،مع أنه لم یستعمل فی الشتم.

و بالجمله:أوائل هذه العبارات مکروهه و أواخرها محظوره،و بینهما درجات تتردد بین الکراهه و الحرمه.

و أما(اللعن)

-فلا ریب فی کونه مذموما،لأنه عباره عن الطرد و الإبعاد من اللّه تعالی،و هذا غیر جائز إلا علی من اتصف بصفه تبعده بنص الشریعه.و قد ورد علیه الذم الشدید فی الأخبار،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «المؤمن لیس بلعان».

و عن الباقر(ع)قال: «خطب رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-الناس،فقال:أ لا أخبرکم بشرارکم؟قالوا

بلی یا رسول اللّه!قال:الذی یمنع رفده،و یضرب عبده،و یتردد وحده.

فظنوا أن اللّه لم یخلق خلقا هو شر من ذلک،ثم قال:أ لا أخبرکم بمن هو شر من ذلک؟قالوا:بلی یا رسول اللّه!قال.المفتحش اللعان الذی إذا ذکر عنده المؤمنون لعنهم،و إذا ذکروه لعنوه».

و قال الباقر علیه السلام:

«إن اللعنه إذا خرجت من فم صاحبها ترددت بینهما فإن وجدت مساغا و إلا رجعت إلی صاحبها».

ثم لما کان اللعن هو الحکم بالبعد أو طلب الإبعاد من اللّه.(و الأول) غیب لا یطلع علیه إلا اللّه.(و الثانی)لا یجوز إلا علی من اتصف بصفه تبعده منه،فینبغی ألا یلعن أحدا إلا من جوز صاحب الشرع لعنه، و المجوز من الشرع إنما هو اللعن علی الکافرین و الظالمین و الفاسقین،کما ورد فی القران و لا ریب فی جواز ذلک بالوصف الأعم.کقولک:لعنه اللّه علی الیهود و النصاری.

و الحق جواز اللعن علی شخص معین علم اتصافه بصفه الکفر أو الظلم أو الفسق.(و ما قیل)من عدم جواز ذلک إلا علی من یثبت لعنه من الشرع کفرعون و أبی جهل.لأن کل شخص معین کان علی إحدی الصفات الثلاثه ربما رجع عنها،فیموت مسلما أو تائبا،فیکون مقربا عند اللّه لا مبعدا عنه (کلام ینبغی)أن یطوی و لا یروی،إذا المستفاد من کلام اللّه تعالی و کلام رسوله- صلی اللّه علیه و آله و سلم-و کلام أئمتنا الراشدین:جواز نسبته إلی الشخص المعین،بل المستفاد منها أن اللعن علی بعض أهل الجحود و العناد من أحب العبادات و أقرب القربات،قال اللّه سبحانه:

أُولٰئِکَ عَلَیْهِمْ لَعْنَهُ اللّٰهِ وَ الْمَلاٰئِکَهِ وَ النّٰاسِ

أَجْمَعِینَ

(۱)

.و قال: أُولٰئِکَ یَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَ یَلْعَنُهُمُ اللاّٰعِنُونَ (۲).

و قال النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لعن اللّه الکاذب و لو کان مازحا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم فی جواب أبی سفیان حین هجاء بألف بیت.«اللهم إنی لا أحسن الشعر و لا ینبغی لی،اللهم العنه بکل حرف ألف لعنه» .و قد لعن أمیر المؤمنین علیه السلام جماعه.

و روی أنه کان یقنت فی الصلاه المفروضه بلعن معاویه و عمرو بن العاص و أبی موسی الأشعری و أبی أعور الأسلمی،مع أنه أحلم الناس و أشدهم صفحا عمن یسوء به، فلو لا أنه کان یری لعنهم من الطاعات لما یتخیر محله فی الصلوات المفروضات.

و روی الشیخ الطوسی: «أن الصادق علیه السلام کان ینصرف من الصلاه بلعن أربعه رجال». و من نظر إلی ما وقع للحسن علیه السلام مع معاویه و أصحابه و کیف لعنهم،و تتبع ما ورد من الأئمه فی الکافی و غیره من کتب الأخبار و الأدعیه فی لعنهم من یستحق اللعن من رؤساء الضلال و التصریح بأسمائهم یعلم أن ذلک من شعائر الدین،بحیث لا یعتریه شک و مریه.

و ما ورد من قوله-علیه السلام- «لا تکونوا لعانین» .و مثله.نهی عن اللعن علی غیر المستحقین،

و ما روی: أن أمیر المؤمنین-علیه السلام-نهی عن لعن أهل الشام، فإن صح،فلعله کان یرجو إسلامهم و رجوعهم إلیه،کما هو شأن الرئیس المشفق علی الرعیه.

و بالجمله:اللعن علی رؤساء الظلم و الضلال و المجاهرین بالکفر و الفسق جائز،بل مستحب،و علی غیرهم من المسلمین غیر جائز،إلا أن یتیقن

۱- ۱) البقره،الآیه:۱۶۱.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۵۹

باتصافه بإحدى الصفات الموجبه له.و ينبغى ألا يحكم باتصافه بشىء منها بمجرد الظن و التخمين،إذ لا يجوز أن يرم مسلم بكفر و فسق من غير تحقيق،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يرم رجل رجلا بالكفر فلا يرميه بالفسق إلا ارتد عليه إن لم يكن كذلك».

ثم اللعن على الأموات أشد وزرا و أعظم إثما،

لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا تسبوا الأموات،فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا». و لا ينبغى أن يلعن الجماد و الحيوان أيضا.

لما روى: «أنه ما لعن أحد الأرض إلا قالت:

اللعن على أعصانا للّه»،

و ما روى: «أن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم أنكر على أمراه لعنت ناقه،و على رجل لعن بعيرا». ثم الدعاء على المسلم بالشر قريب من اللعن عليه،فلا ينبغى ارتكابه و لو على الظالم،إلا إذا اضطر إليه لشره و إضراره،

و قد ورد أن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضيله يوم القيامه.

و قال على بن الحسين-عليهما السلام- «إن الملائكه إذا سمعوا المؤمن يذكر أخاه بالسوء و يدعو عليه قالوا:بئس الأخ أنت لأخيك!كف أيها المستر على ذنوبه و عورته،و أربع على نفسك، و أحمد اللّه الذى ستر عليك! (1)ثم ضد ذلك-أعنى الدعاء للأخ المسلم بما يحب لنفسه-من أحب الطاعات و أقرب القربات،و فوائده أكثر من أن تحصى،بل عند التحقيق دعاؤك له دعاء لنفسك،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك:و لك مثل ذلك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يستجاب للرجل فى أخيه ما لا يستجاب له فى نفسه».

و قال على بن الحسين-عليهما السلام-: «إن الملائكه إذا

ص :355

1- 1) هذه الروايه من تتمه الروايه الآتيه عن على بن الحسين عليهما السلام

سمعوا المؤمن یدعو لأخیه المؤمن بظهر الغیب أو یذکره بخیر،قالوا:نعم الأخ أنت لأخیک!تدعو له بالخیر و هو غائب عنک،و تذکره بالخیر.قد أعطاک اللّه-عز و جل-مثلی ما سألت له،و أثنی علیک مثلی ما أثنیت علیه، و لک الفضل علیه». و مثله ورد عن الباقر-علیه السلام-أیضا.و الأخبار فی فضیله الدعاء للإخوان أکثر من أن تحصی،و أی کرامه أعظم لک من أن تصل منک إلی المؤمن و هو تحت إطباق الثری هدایا الاستغفار و الأدعیه، و هل تدری کیف تسر روحه منک بهذا العمل؟فإن أهله یقسمون میراثه و یتنعمون بما خلف،و أنت متفرد بحزنک تدعو له فی ظلمه اللیل،

و قد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «مثل المیت فی قبره مثل الغریق یتعلق بکل شیء،ینتظر دعوه من ولد أو والد أو أخ أو قریب،» و أنه لیدخل علی قبور الأموات من دعاء الأحیاء من الأنوار مثل الجبال،و هو للأموات بمنزله الهدایا للأحیاء،فیدخل الملک علی المیت معه طبق من نور علیه مندیل من نور،فیقول:هذه هدیه لک من عند أخیک،فلان،من عند قریبک فلان فیفرح کما یفرح الحی بالهدیه (۱).

و أما(الطعن)

-فهو أیضا من ذمائم الأفعال،و یورث الضرر فی الدنیا و العذاب فی الأخری.

قال الباقر-علیه السلام-: «إیاکم و الطعن علی المؤمنین».

و قال-علیه السلام-: «ما من إنسان یطعن فی عین مؤمن إلا مات شر میته،و کان قمنا ألا یرجع إلی خیر».

و اعلم أن هذه الأمور-أعنی الفحش و اللعن و الطعن و أمثالها مما یأتی

۱- ۱) هذا الکلام من بعد الحدیث الذی وضعناه بین قوسین رواه فی إحیاء العلوم-ج ۲ ص ۱۶۴-عن بعض السلف،و بمضمونه أحادیث مرویه عن آل البیت(ع).روی منها فی الوسائل فی أبواب الاحتضار من کتاب الطهاره (باب استحباب الصلاه عن المیت و الصوم و الحج).

فی موضعه:من الغیبه.و الکذب،و البهتان،و الاستهزاء،و المزاح، و الخوض فی الباطل،و التکلم بالفضول و ما لا یعنی:من آفات اللسان،و یأتی أن لجمیع آفات اللسان ضدا عاما هو الصمت،و یأتی بیان فضیلته و کثره فوائده.و یأتی أیضا ما یدل بعمومه علی ذم جمیع آفات اللسان-أعنی ما ورد فی ذم اللسان،و کون شره أعظم من شر سائر الأعضاء-فإنه بعمومه یدل علی ذم هذه الأمور.

و منها-أی و من رذائل القوه الغضبیه-:

العجب

و هو استعظام نفسه لأجل ما یری لها من صفه کمال،سواء کانت له تلک الصفه فی الواقع أم لا.و سواء کانت صفه کمال فی نفس الأمر أم لا، و قیل:«هو إعظام النعمه و الرکون إلیها مع نسیان إضافتها إلی المنعم»و هو قریب مما ذکر،و لا یعتبر فی مفهومه رؤیه نفسه فوق الغیر فی هذا الکمال و هذه النعمه،و بذلک یمتاز عن الکبر،إذ الکبر هو أن یری لنفسه مزیّه علی غیره فی صفه کمال،و بعباره أخری هو الاسترواح و الرکون إلی رؤیه النفس فوق المتکبر علیه،فالکبر یستدعی متکبرا علیه و متکبرا به.

و العجب لا یستدعی غیر المعجب،بل لو لم یخلق الإنسان إلا وحده تصور أن یکون معجبا،و لا یتصور أن یکون متکبرا،إلا أن یکون مع غیره و هو یری نفسه فوق ذلک الغیر فی صفه الکمال و لا یکفی أن یستعظم نفسه لیکون متکبرا،فإنه قد یستعظم نفسه،و لکن یری فی غیره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا یتکبر علیه،فهو معجب و لیس متکبرا و لا یکفی أن یستحقر غیره،فإنه مع ذلک لو رأی نفسه أحقر أو رأی غیره مثل

نفسه لم یکن متکبرا،بل المتکبر هو أن یری لنفسه مرتبه و لغیره مرتبه، ثم یری مرتبه نفسه فوق مرتبه غیره.

و الحاصل:أن العجب مجرد إعظام النفس لأجل کمال أو نعمه،و إعظام نفس الکمال و النعمه مع الرکون و نسیان إضافتهما إلی اللّه.فإن لم یکن معه رکون و کان خائفا علی زوال النعمه مشفقا علی تکدرها أو سلبها بالمره،أو کان فرحا بها من حیث أنها من الله من دون إضافتها إلی نفسه لم یکن معجبا، فالمعجب ألا یکون خائفا علیها،بل یکون فرحا بها مطمئنا إلیها،فیکون فرحه بها من حیث إنها صفه کمال منسوبه إلیه،لا من حیث إنها عطیه منسوبه إلی اللّه تعالی.و مهما غلب علی قلبه أنها نعمه من اللّه مهما شاء سلبها زال العجب.

ثم لو انضاف إلی العجب-أی غلب علی نفس المعجب-أن له عند اللّه حقا،و أنه منه بمکان،و استبعد أن یجری علیه مکروه،و کان متوقعا منه کرامه لعمله،سمی ذلک(إدلالا)بالعمل،فکأنه یری لنفسه علی اللّه داله فهو وراء العجب و فوقه إذ کل مدل معجب،و رب معجب لا یکون مدلا، إذ العجب مجرد الاستعظام و نسیان الإضافه إلی اللّه من دون توقع جزاء علی عمله،و الإدلال یعتبر فیه توقع الجزاء بعمله،إذ المدل یتوقع إجابه دعوته و یستنکر ردها بباطنه و یتعجب منه،فالإدلال عجب مع شیء زائد.

و علی هذا،فمن أعطی غیره شیئا،فإن استعظمه و من علیه کان معجبا، و إن استخدمه مع ذلک أو اقترح علیه الاقتراحات و استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه کان مدلا علیه و کما أن العجب قد یکون مما یراه صفه کمال و لیس کذلک العجب بالعمل قد یکون بعمل هو مخطئ فیه و یراه حسنا،کما قال سبحانه:

أَ فَمَنْ زُیِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً

(۱)

۱- ۱) الفاطر،الآیه:۸.

و قال أبو الحسن-عليهما السلام-: «العجب درجات:و منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا،فيعجبه و يحسب أنه يحسن صنعا.و منها أن يؤمن العبد بربه،فيمن على اللّه-عز و جل-و للّه عليه فيه المن».

فصل (ذم العجب)

العجب من المهلكات العظيمه و أرذل الملكات الذميمه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث مهلكات:شح مطاع،و هوى متبع، و إعجاب المرء بنفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا رأيت شحا مطاعا،و هوى متبعا،و إعجاب كل ذى رأى برأيه،فعليك نفسك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك،العجب العجب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «بينما موسى(ع)جالس (۱)،إذ أقبل عليه إبليس و عليه برنس ذو ألوان، فلما دنى منه خلع البرنس،و قام إلى موسى(ع)فسلم عليه،فقال له موسى:

من أنت؟فقال:أنا إبليس،قال أنت:فلا قرب اللّه دارك،قال:إنى إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من اللّه،فقال له موسى(ع):فما هذا البرنس قال:به اختطف قلوب بنى آدم،فقال موسى:فأخبرنى بالذنب الذى إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه،قال:إذا أعجبته نفسه و استكثر عمله و صغر فى عينه ذنبه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «قال اللّه-عز و جل- يا داود!بشر المذنبين و أنذر الصديقين،قال:كيف أبشر المذنبين و أنذر الصديقين؟قال:بشر المذنبين أنى أقبل التوبه و أعفو عن الذنب،و أنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم،فإنه ليس عبدا نصبه للحساب إلا هلك».

ص:۳۵۹

۱- ۱) و فى بعض نسخ الكافى فى باب العجب هكذا:(جالسا)-بالنصب-

و قال الباقر(ع): «دخل رجلان المسجد،أحدهما عابد و الآخر فاسق، فخرجا من المسجد و الفاسق صديق و العابد فاسق،و ذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها،فتكون فكرته في ذلك،و تكون فكره الفاسق فى الندم على فسقه،و يستغفر اللّه مما صنع من الذنوب».

و قال الصادق(ع) «إن اللّه علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب،و لو لا ذلك ما ابتلى مؤمنا بذنب أبدا».

و قال(ع): «من دخله العجب هلك».

و قال(ع): «إن الرجل ليذنب فيندم عليه،و يعمل العمل فيسره ذلك،فيتراخى عن حاله تلك،فلأن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه».

و قال(ع): «أتى عالم عابدا فقال له:كيف صلاتك؟فقال:مثلى يسأل عن صلاته و أنا أعبد اللّه منذ كذا و كذا،قال:فكيف بكاؤك؟قال:أبكى حتى تجرى دموعى، فقال له العالم:فإن ضحكك و أنت خائف أفضل من بكائك و أنت مدل،إن المدل لا يصعد من عمله شيء».

و قال(ع): «العجب ممن يعجب بعمله و هو لا يدرى بما يختم له،فمن أعجب بنفسه و فعله،فقد ضل عن نهج الرشاد و ادعى ما ليس له،و المدعى من غير حق كاذب و إن أخفى دعواه و طال دهره.و إن أول ما يفعل بالمعجب نزع ما أعجب به ليعلم أنه عاجز حقير،و يشهد على نفسه ليكون الحجه عليه أوكد،كما فعل بإبليس.و العجب نبات حبها الكفر،و أرضها النفاق و ماؤها البغى،و أغصانها الجهل،و ورقها الضلاله،و ثمرها اللعنه و الخلود فى النار،فمن اختار العجب فقد بذر الكفر و زرع النفاق،و لا بد أن يثمر» (۱)

و قيل له(ع):الرجل يعمل العمل و هو خائف مشفق،ثم يعمل شيئا من البر

۱- ۱) صححنا هذه الروايه على ما فى البحار-الجزء الثالث من المجلد الخامس عشر فى باب العجب-و قد نقلها عن مصباح الشريعه،و فيه اختلاف عن نسخ جامع السعادات.

فيدخله شبه العجب به،فقال:«هو فى حاله الأولى و هو خائف أحسن حالا منه فى حال عجبه».

و قال(ع): «إن عيسى بن مريم-عليهما السلام-كان من شرائعه السيح في البلاد،فخرج فى بعض سيحه و معه رجل من أصحابه قصير، و كان كثير اللزوم لعيسى،فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم اللّه ،بصحه يقين منه،فمشى على ظهر الماء.فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى جازه بسم اللّه ،بصحه يقين منه،فمشى على الماء،و لحق بعيسى-صلى اللّه عليه-، فدخله العجب بنفسه،فقال:هذا عيسى روح اللّه يمشى على الماء و أنا أمشى على الماء،فما فضله على؟!قال:فرمس فى الماء،فاستغاث بعيسى(ع)،فتناوله من الماء فأخرجه،ثم قال له:ما قلت يا قصير؟!قال قلت:هذا روح اللّه يمشى على الماء و أنا أمشى،فدخلنى من ذلك عجب،فقال له عيسى:لقد وضعت نفسك فى غير الموضع الذى وضعك اللّه،فمقتك اللّه على ما قلت،فتب إلى اللّه-عز و جل- مما قلت،قال:فتاب الرجل،و عاد إلى مرتبته التى وضعه اللّه فيها» (۱).

فصل (آفات العجب)

العجب آفاته كثيره:(منها)الكبر لأنه أحد أسبابه-كما يأتى- (و منها)أنه يدعو إلى نسيان الذنوب و إهمالها،فلا يتذكر شيئا منها،و إن تذكر بعضا منها يستصغرها و لا يستعظمها،فلا يجتهد فى تداركها و تلافيها، بل يظن أنها تغفر له.و أما العبادات،فيستعظمها و يتبجح بها و يمن على اللّه بفعلها،و ينسى نعمه اللّه عليه بالتوفيق و التمكين منها،و إذا أعجب بها عمى عن آفاتها.و من لم يتفقد آفات الأعمال ضل سعيه،إذ الأعمال الظاهره إذا

۱- ۱) صححنا أكثر هذه الأحاديث على الكافى فى باب العجب و الحسد.

لم تكن خالصه نقيه عن الشوائب قلما تنفع،و إنما يتفقد الخائف المشفق دون المعجب،لأنه يغتر بنفسه و برأيه و يأمن مكر اللّه و عـذابه،و يظن أنه عنـد اللّه بمكـان،و أن له عنـد اللّه حقـا بأعمـاله التى هى من عطايـاه تعـالى و نعمه، و ربما يخرجه العجب إلى تزكيه نفسه و الثناء عليها.و إن أعجب برأيه و عقله و علمه منعه ذلك من السؤال و الاستفاده و الاستشاره،فيستبد بنفسه و رأيه و يستنكف عن سؤال الأعلم،و ربمـا يعجب بـالرأى الخطأ الـذى خطر له، فيفرح بكونه من خواطره و لا يعتنى بخواطر غيره،فيصر عليه،و لا يسمع نصح ناصح و لا وعظ واعظ،بل ينظر إلى غيره بعين الاستحقار و الاستجهال،فإن كان رأيه الفاسد متعلقا بأمر دنيوى أضره و فضحه،و إن كان متعلقا بأمر دينى-(لا)سيما فى أصول العقائد-أضله و أهلكه.و لو اتهم نفسه و لم يثق برأيه،و استعان بعلماء الدين و سؤال أهل البصيره،لكان خيرا له و أحسن،و موصلا له إلى الحق المتيقن.و من آفاته أنه يفتر فى الجد و السعى،لظنه أنه قد استغنى و فاز بما ينجيه،و هو الهلاك الصريح الذى لا شبهه فيه.

فصل (علاج العجب إجمالا و تفصيلا)

اعلم أن للعجب علاجين:إجماليا و تفصيليا (۱)

أما العلاج الإجمالى

-فهو أن يعرف ربه،و أنه لا تليق العظمه و العزه إلا به،و أن يعرف نفسه حق المعرفه،ليعلم أنه بذاته أذل من كل ذليل و أقل من كل قليل،و لا تليق به إلا الذله و المهانه و المسكنه،فما له و العجب

ص: ۳۶۲

۱- ۱) و فى النسخ،(اجمالى و تفصيلى).

و استعظام نفسه،فإنه لا ريب فی كونه ممكنا،و كل ممكن فی ذاته صرف العدم و محض اللاشیء،كما ثبت فی الحكمه المتعاليه،و وجوده و تحققه و كماله و آثاره جميعا من الواجب الحق،فالعظمه و الكبرياء إنما تليق بمفيض وجوده و كمالاته،لا لذاته التی هی صرف العدم و محض الليس،فإن شاء أن يستعظم شيئا و يفتخر به فليستعظم ربه و به افتخر،و يستحقر نفسه غايه الاستحقار و حتی يراها صرف العدم و محض اللاشیء.و هذا المعنی يشترك فيه كل ممكن كائنا من كان.

و أما المهانه و الذله التی تخص هذا المعجب و بنی نوعه،فكون أوله نطفه قذره و آخره جيفه عفنه،و كونه ما بين ذلك حمال نجاسات منتنه،و قد مرّ علی ممر البول ثلاث مرات.و تكفيه آيه واحده من كتاب اللّه تعالی لو كان له بصيره،و هی قوله:

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.

مِنْ نُطْفَهٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ

(۱)

.

فقد أشارت الآيه إلی أنه كان أولا فی كتم العدم غير المتناهی،ثم خلقه من أقذر الأشياء الذی هو نطفه مهينه،ثم أماته و جعله جيفه منتنه خبيثه.

و أی شیء أخس و أرذل ممن بدايته محض العدم،و خلقته من أنتن الأشياء و أقذرها،و نهايته الفناء و صيرورته جيفه خبيثه.و هو ما بين المبدإ و المنتهی عاجز ذليل،لم يفوض إليه أمره،و لم يقدر علی شیء لنفسه و لا لغيره،إذ سلطت عليه الأمراض الهائله،و الأسقام العظيمه،و الآفات

۱- ۱) عبس الآيه:۱۷-۲۲.

المختلفه،و الطبائع المتضاده،من المره و الدم و الريح و البلغم،فيهدم بعض أجزائه بعضا،شاء أم أبى،رضى أم سخط،فيجوع كرها،و يعطش كرها، و يمرض كرها،و يموت كرها،لا يملك لنفسه نفعا و ضرا و لا خيرا و شرا.

يريد أن يعلم الشىء فيجهله،و يريد أن يذكر الشىء فينساه،و يريد أن ينسى الشىء فلا ينساه،و يريد أن ينصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول فى أوديه الوساوس و الأفكار بالاضطرار.فلا يملك قلبه قلبه،و لا نفسه نفسه.

يشتهى الشىء و فيه هلاكه و يكره الشىء و فيه حياته،يستلذ ما يهلكه و يرديه و يستبشع ما ينفعه و ينجيه،و لا يأمن فى لحظه من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه و بصره و علمه و قدرته،و تفلج أعضاؤه،و يختلس عقله،و تختطف روحه، و يسلب جميع ما يهواه فى دنياه،و هو مضطر ذليل،أن ترك فنى،و أن خلى ما بقى،عبد مملوك،لا يقدر على شىء من نفسه و لا من غيره،فأى شىء أذل منه لو عرف نفسه؟و أنى يليق العجب به لو لا جهله؟.و هذا وسط أحواله.

و أما آخره،فهو الموت-كما عرفت-فيصير جيفه منتنه قذره،ثم تضمحل صورته،و تبلى أعضاؤه،و تنخر عظامه،و تتفتت أجزاؤه،فيصير رميما رفاتا،ثم يصير روثا فى أجواف الديدان،يهرب منه الحيوان، و يستقذره كل إنسان،و أحسن أحواله أن يعود إلى ما كان،فيصير ترابا تعمل منه الكيزان،و يعمر منه البنيان،فما أحسنه لو ترك ترابا،بل يحيى بعد طول البلى ليقاسى شدائد البلا،فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقه،و يساق إلى عرصات القيامه،فيرى سماء مشققه،و أرضا مبدله، و جبالا مسيره،و نجوما منكدره،و شمسا منكسفه،و جحيما مسعره،و جنه مزينه،و موازين منصوبه،و صحائف منشوره،فإذا هو فى معرض المؤاخذه و الحساب و عليه ملائكه غلاظ شداد،فيعطى كتابه إما بيمينه أو شماله،

فیری فیه جمیع أعماله و أفعاله،من قلیل و کثیر و نقیر و قطمیر.فإن غلبت سیئاته علی حسناته و کان مستحقا للعذاب و النار،تمنی أن یکون کلبا أو خنزیرا لصیر مع البهائم ترابا و لا یلقی عقابا و لا عذابا. و لا ریب فی أن الکلب و الخنزیر أحسن و أطیب ممن عصی ربه القهار و یعذب فی النار،إذ أولهما و آخرهما التراب،و هو بمعزل عن العقارب و العذاب،و الکلب و الخنزیر لا یهرب منهما الخلق،و لو رأی أهل الدنیا من یعذب فی النار لصعقوا من وحشه خلقته و قبح صورته.و لو وجدوا ریحه لماتوا من نتنه،و لو وقعت قطره من شرابه الذی یسقاه فی بحار الدنیا صارت أنتن من الجیفه المنتنه.

فما لمن هذه حاله و العجب و استعظام نفسه!و ما أغفله من التدبر فی أحوال یومه و أمسه!و لو لم یدرکه العذاب و لم یؤمر به إلی النار فإنما ذلک للعفو،لأنه ما من عبد إلا و قد أذنب ذنبا،و کل من أذنب ذنبا استحق عقوبه،فلو لم یعاقب فإنما ذلک للعفو.و لا ریب فی أن العفو لیس یقینا،بل هو مشکوک فیه،فمن استحق عقوبه و لا یدری أ یعفی عنها أم لا،یجب أن یکون أبدا محزونا خائفا ذلیلا،فکیف یستعظم نفسه و یلحقه العجب، أ لا تری أن من جنی علی بعض الملوک بما استحق به ألف سوط مثلا،فأخذ و حبس فی السجن.و هو منتظر أن یخرج إلی العرض و تقام علیه العقوبه علی ملإ من الخلق،و لیس یدری أ یعفی عنه أم لا،کیف یکون ذله فی السجن؟ أ فتری أنه مع هذه الحاله یکون معجبا بنفسه؟!و لا أظنک أن تظن ذلک.

فما من عبد مذنب،و لو أذنب ذنبا واحدا،إلا و قد استحق عقوبه من اللّه، و الدنیا سجنه،و لا یدری کیف یکون أمره،فیکفیه ذلک خوفا و مهانه و ذله.فلا یجوز له أن یعجب و یستعظم نفسه.

هذا هو العلاج الإجمالی للعجب.

و أما التفصيلی

-فهو أن يقطع أسبابه-أعنی ما به العجب-و هی العلم، و المعرفه،و العباده،و الطاعه،و غير ذلک من الکمالات النفسيه،کالورع، و الشجاعه،و السخاوه،و النسب،و الحسب،و الجمال،و المال،و القوه، و البطش،و الجاه،و الاقتدار،و کثره الأعوان و الأنصار،و الکياسه، و التفطن لدقائق الأمور،و الرأی الخطإ.

أما(العجب بالعلم):

فعلاجه أن يعلم أن العالم الحقيقی هو الذی يعرف نفسه و خطر الخاتمه،و أن من تليق به العظمه و العزه و الکبرياء هو اللّه سبحانه،و ما عداه هالک الهويه و الذات فاقد الکمال و الصفات.و هذا العلم يزيد الخوف و الذله و المهانه و المسکنه،و الاعتراف بالقصور و التقصير فی أداء حقوق اللّه،و الشکر بإزاء نعمه،و لذا قيل:«من ازداد علما ازداد وجعا».

فالعلم الذی لا يوجب ذلک و يورث العجب،إما ليس علما حقيقيا،بل هو من العلوم الدنيويه التی ينبغی أن تسمی صناعات لا علوما،إذ صاحبه خاض فيه و هو خبيث النفس ردی الأخلاق لم يهذب نفسه أولا و لم يزکها بالمجاهدات و لم يرضها فی عباده ربه،فيبقی خبيث الجوهر،فإذا خاض فی العلم و إن کان علما حقيقيا صادف من قلبه منزلا خبيثا،فلم يطب ثمره و لم يظهر فی الخبر اثره،فإن العلم مثله مثل الغيث ينزل من السماء عذبا صافيا،فإذا شربته الأشجار و النباتات ازداد المر مراره و الحلو حلاوه،کذلک العلم إذا صادف القلوب ازداد القلب المظلم الخبيث ظلمه و خباثه.و الطيب الصافی طيبا و صفاء و إذا علم ذلک،يعرف أنه لا ينبغی العجب بالعلم،و يجب أيضا أن يعلم أنه إذا أعجب بنفسه صار ممقوتا عند اللّه مبغوضا لديه،لما تقدم من الأخبار و قد أحب اللّه منه الذله و الحقاره عند نفسه.

و قال بواسطه سفرائه: «إن لک عندی قدرا ما لم تر لنفسک قدرا،فإن رأيت لنفسک قدرا فلا قدر لک

عندی» (۱).

و قال: «صغروا أنفسکم لیعظم عندی محلکم». فلا بد أن یکلف نفسه ما یحب مولاه،و أن یعلم أن حجه اللّه علی أهل العلم أوکد،و أنه یتحمل من الجاهل ما لا یتحمل عشره من العالم،لأن العالم إذا زل زل بزلته کثیر من الناس،و لأن من عصی اللّه عن علم و معرفه کانت جنایته أفحش إذا لم یقض حق نعمه اللّه علیه فی العلم،و لذلک

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«یؤتی بالعالم یوم القیامه فیلقی فی النار،فتندلق أقتابه،فیدور بها کما یدور الحمار بالرحی،فیطیف به أهل النار،فیقولون:ما لک؟فیقول:کنت آمر بالخیر و لا آتیه و أنهی عن الشر و آتیه». و قد مثل اللّه تعالی علماء(الیهود) بالحمار (۲)،و بلعلم بن باعوراء بالکلب (۳)،لعدم عملهم بما علموه.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «یکون قوم یقرؤن القرآن لا یجاوز حناجرهم،یقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا و من أعلم منا»ثم التفت إلی أصحابه فقال:«أولئک منکم أیها الأمه،أولئک هم وقود النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن أهل النار لیتأذون من ریح العالم التارک لعلمه و إن أشد أهل النار ندامه و حسره رجل دعا عبدا إلی اللّه فاستجاب له و قبل منه،فأطاع اللّه فأدخله اللّه الجنه،و أدخل الداعی النار بترکه علمه و اتباعه الهوی و طول الأمل»

و قال روح اللّه(ع): «ویل لعلماء السوء (۴)کیف

۱- ۱) هذا کلام بنصه مذکور فی إحیاء العلوم-ج ۳ ص ۳۱۲-و یظهر منه أنه من کلامه هو أو مقتبس من مضامین الأخبار،لا أنه نص حدیث،و کذا ما بعده و هو قوله:«صغروا...».
۲- ۲) إشاره إلی قوله تعالی-فی سوره الجمعه الآیه ۵-: «مَثَلُ الَّذِینَ حُمِّلُوا التَّوْرٰاهَ ثُمَّ لَمْ یَحْمِلُوهٰا کَمَثَلِ الْحِمٰارِ یَحْمِلُ أَسْفٰاراً» .
۳- ۳) إشاره إلی قوله تعالی-فی سوره الأعراف الآیه ۱۷۶-: «فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ الْکَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَیْهِ یَلْهَثْ أَوْ تَتْرُکْهُ یَلْهَثْ» .
۴- ۴) فی النسخ المصححه للکافی-باب لزوم الحجه علی العالم-هکذا:«للعلماء السوء بتعریف العلماء-و نحن رجحنا نسخه جامع السعادات المطبوعه فأثبتناه بلا تعریف قال صاحب مجمع البحرین-ماده(سوء)-:«تقول هذا رجل سوء بالإضافه ثم تدخل علیه الألف و اللام،فتقول هذا رجل السوء.و لا یقال الرجل السوء.کذا قاله الجوهری».

تتلظى عليهم النار».

و قال الصادق(ع): يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

و لا ريب فى أن كل عالم يأمر الناس بالتواضع و ذل النفس و انكسارها، و ينهاهم عن العجب و الكبر،و هو معجب متكبر،يكون من علمـاء السوء، و ممن لم يعمـل بعلمه،فيكون داخلا تحت هـذه الأخبار.و أى عالم يتصور فى أمثال هـذه الأزمنه أن يجزم بأنه عمـل بجميع مـا علم و أمر به،و لم يضع شيئا من أوامر ربه من الجنايات الظاهره و الـذنوب الباطنه،كالرياء و الحسـد و العجب و النفاق و غير ذلك؟و كيف يمكنه القطع بأنه امتثل ما أمر به من التكاليف العامه و الخاصه به؟فخطره أعظم من خطر غيره،كيف

و قد روى:

«أن حذيفه صـلى بقوم،فلما سـلم قال:لتلتمس إماما غيرى أو لتصلن وحدانا،فإنى رأيت فى نفسى أنه ليس فى القوم أفضل منى». فإذا كان مثله لا يسـلم،فكيف يسـلم الضـعفاء من متأخرى هـذه الأمه،فما أعز على بسيط الأرض فى هـذه الأعصار علماء الآخره الذين أقبلوا على شأنهم،و استوحشوا من أوثق إخوانهم،و شغلهم عظيم الأمر عن الالتفات إلى الدنيا و زهرتها، و أزعجهم خوف الرحمـن عـن مضـاجعهم فى حنـادس الليـالى و ظلمتهـا،و لا يشـتهون مـن نعيم الـدنيا حـارا و لا بـاردا،و صـارت همـومهم هما واحـدا،هيهـات!فأنى يسـمح آخر الزمان بمثلهم،فهم أرباب الإقبال و أصـحاب الـدول،و قـد انقرضوا فى القرون الأول،بل يعز أن يوجد فى زماننا هذا عالم لا تكون له استطاله و خيلاء،و لم يكن متكبرا على الفقراء،و متواضعا للأغنياء.فينبغى لكل

عالم أن يتفكر فی أحواله و أعماله و ما أريد منه،و فی عظم خطره حتی تنكسر نفسه،و يظهر خوفه و حزنه و يبطل كبره و عجبه.

و أما(العجب بالعباده و الطاعه):

فعلاجه أن يعلم أن الغرض من العباده هو إظهار الذل و الانكسار،و صيرورتهما ملكه للنفس ليحصل له معنی العبوديه و حقيقتها،فالعجب لمنافاته الغرض المقصود منها يبطلها،و بعد بطلانها فلا معنی للعجب بها و أيضا آفات العباده الموجبه لحبطها كثيره، و كذلك شرائطها و آدابها التی لا يصح بدونها كثيره،فيمكن أن تدخلها بعض الآفات،أو تفقد عنها بعض الشرائط و الآداب،فلا تكون مقبوله عند اللّه، و مع إمكان ردها و عدم قبولها كيف يعجب العاقل بها؟و من يمكنه القطع بسلامه طاعاته و عباداته عن جميع الآفات؟و من قطع بذلك فهو فی غايه الجهل بحقائق الأمور.علی أن فائده العباده إنما هو إذا كان عند اللّه سعيدا،و من جوز أن يكون عند اللّه شقيا،و قد سبق القضاء الآلهی بشقوته،فأی نفع يتصور لعبادته حتی يعجب بها؟و لا ريب فی أنه لا يخلو عبد عن هذا التجويز،فما لأحد إلی العجب و التكبر فی حال من الأحوال سبيل.

و أما(العجب بالورع،و التقوی،و الصبر،و الشكر،و السخاوه، و الشجاعه،و غيرها من الفضائل النفسيه):

فعلاجه أن يعلم أن هذه الفضائل إنما تكون نافعه و منجيه إذا لم يدخلها العجب،و إذا دخلها العجب أبطلها و أفسدها، فما للعاقل أن يرتكب رذيله تضيع ما له من الفضائل،و أنی له لا يظهر الذله و التواضع فی نفسه حتی يزيد فضيله علی فضائلها،و يختم لأجلها الجميع بالخير، و تصير عاقبته محموده،و تكون مساعيه مقبوله مشكوره. و ينبغی أن يعلم أن كل واحد من الفضائل التی يثبتها لنفسه موجوده مع الزياده فی كثير من بنی نوعه،و إذا علم اشتراك الناس معه فی هذه الفضيله زال إعجابه بها. و قد نقل أن

واحدا من مشاهير الشجعان إذا قابل خصمه اصفر لونه و ارتعدت فرائصه و اضطرب قلبه،فقيل له،ما هذه الحاله و أنت أشجع الناس و أقواهم؟فقال إنى لم أمتحن خصمى،فلعله أشجع منى.و أيضا النصر و الغلبه و حسن العاقبه مع الذله و المسكنه،لا مع الإعجاب بالقوه و الشجاعه،فإن اللّه عند المنكسره قلوبهم.

و من المعالجات النافعه للعجب بكل واحد من الصفات الكماليه:أن يقابل سببه بضده،إذ علاج كل عله بمقابله سببها بضده،و لما كانت عله العجب هو الجهل المحض،فعلاجه المعرفه المضاده له،فنقول:

الكمال الذى به يعجب إما أن يكون يعجب به من حيث إنه فيه و هو محله و مجراه،أو من حيث إنه نشأ منه و حصل بسببه و قوته و قدرته،فإن كان(الأول)،فهو محض الجهل،لأن المحل مسخر،و إنما يجرى ما يجرى فيه و عليه من جهه غيره،و لا مدخل له فى الإيجاد و التحصيل،فكيف يعجب بما ليس له.و إن كان(الثانى)،فينبغى أن يتأمل فى قدرته و إرادته و أعضائه،و سائر الأسباب التى بها يتم كماله و عمله،أنها من أين كانت له:فإن كان علم أن جميع ذلك نعمه من اللّه إليه من غير حق سبق له،فينبغى أن يكون إعجابه بجود اللّه تعالى و كرمه و فضله،إذ أفاض عليه ما لا يستحقه،و آثره به على غيره من غير سابقه و وسيله،فإن ظن أنه تعالى وفقه لهذا العمل لاتصافه ببعض الصفات الباطنه المحموده،كحبه له تعالى أو مثله،فيقال له الحب و العمل كلاهما نعمتان من عنده،ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك،إذ لا وسيله لك و لا علاقه،فليكن الإعجاب بجوده،إذ أنعم بوجودك و بوجود صفاتك و أعمالك و أسباب أعمالك.

فإذا لا معنى لعجب العالم بعلمه،و عجب العابد بعبادته،و عجب الشجاع

بشجاعته،و عجب الجميل بجماله،و عجب الغنی بماله،لأن کل ذلک من فضل اللّه،و إنما هو محل لفیضان فضل اللّه و جوده.و المحل أیضا من فضله و جوده، فإنه هو الذی خلقک،و خلق أعضاءک،و خلق فیها القوه و القدره و الصحه، و خلق لک العقل و العلم و الإراده،و لو أردت أن تنفی شیئا من ذلک لم تقدر علیه.ثم خلق الحرکات فی أعضائک مستبدا باختراعها من غیر مشارکه لک معه فی الاختراع،إلا أنه خلقها علی ترتیب،فلم یخلق الحرکه ما لم یخلق فی العضو قوه و فی القلب إراده،و لم یخلق العلم ما لم یخلق القلب الذی هو محله، فتدریجه فی الخلق شیئا بعد شیء هو الذی خیل إلیک أنک مستقل بإیجاد عملک،و قد غلطت،فإن تحریک البواعث،و صرف العوائق،و تهیئه الأسباب کلها من اللّه،لیس شیء منها إلیک.

و من العجائب أن تعجب بنفسک،و لا تعجب بمن إلیه الأمر کله، و لا تعجب بجوده و کرمه،و فضله فی إیثاره إیاک علی الفساق من عباده، إذ مکنهم من أسباب الشهوات و اللذات،و زواها عنک،و صرف عنهم بواعث الخیر و هیاها لک،حتی یتیسر لک الخیر من غیر وسیله سابقه منک.

روی: «أن أیوب(ع)قال:(إلهی إنک ابتلیتنی بهذا البلاء،و ما ورد علی أمر إلا آثرت هواک علی هوای).فنودی من غمامه بعشره آلاف صوت:یا أیوب!أنی لک ذلک؟قال:فأخذ رمادا فوضعه علی رأسه،و قال منک یا رب!فرجع عن نسیانه،و أضاف ذلک إلی اللّه تعالی،و لذلک قال اللّه تعالی:

وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ مٰا زَکیٰ مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً

(۱)

.

۱- ۱) النور،الآیه:۲۱.

و قال النبي-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما منكم من أحد ينجيه عمله»،قالوا:و لا أنت يا رسول اللّه!قال:«و لا أنا إلا أن يتغمدني اللّه برحمته».

(فإن قيل):ما ذكرت من استناد الصفات و الأفعال و محلها جميعا إلى اللّه تعالى،يؤدى إلى الجبر و نفى التكليف،و بطلان الثواب و العقاب،(قلنا):

هذا فرع باب مسأله يتعلق بعلم آخر،و لا يليق بيانها هنا (۱).و نحن لم نسلب القدره و الاختيار عن العبد بالكليه فى متعلق التكليف-أعنى أفعاله العرضيه- بل نفينا استقلاله فيها.نعم،فى غيرها من المحال و الأسباب و الصفات اللازمه،و التوفيق،و تحريك البواعث،و صرف الموانع،لا قدره له فيها أصلا،و لا يلزم منه فساد.

و أما(العجب بالحسب و النسب):فعلاجه يتم بمعرفه أمور:
الأول-أن يعلم أن التعزز بكمال الغير غايه السفاهه و الجهل،

فإنه لو كان خسيسا فى صفات ذاته،فمن أين يجبر خسته كمال غيره،و لو كان أباه أوجده،بل لو كان الذى يعجب به بالانتساب حيا لكان له أن يقول:

الفضل لى لا لك و أنت دوده خلقت من فضلتى،أ فترى أن الدوده التى خلقت من فضله الإنسان أشرف من الدوده التى خلقت من فضله حمار؟!هيهات! فإنهما متساويان فى الخسه،ان الشرف للإنسان لا للدوده،

و لذا قال أمير المؤمنين(ع):

أنا ابن نفسى و كنيتى أدبى

من عجم كنت أو من العرب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا

ليس الفتى من يقول كان أبى

و قيل:

۱- ۱) تقدم ذكر هذا الأمر ص ۱۴۱.

لئن فخرت بآباء ذوی شرف

لقد صدقت و لکن بئس ما ولدوا

و قد روی: «أن أبا ذر قال بحضره النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم- لرجل:(یا ابن السوداء!)،فقال النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

(یا أبا ذر!طف الصاع طف الصاع،لیس لابن البیضاء علی ابن السوداء فضل).

فاضطجع أبو ذر و قال لرجل:قم فطأ علی خدی».

و روی: «أن بلالا لما أذن یوم الفتح علی الکعبه،قال جماعه:هذا العبد الأسود یؤذن!فنزل قوله تعالی:

یا أَیُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی وَ جَعَلْناکُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاکُمْ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه قد أذهب عنکم عیبه الجاهلیه-أی کبرها-کلکم بنو آدم و آدم من تراب». و نقل:

أن واحدا من رؤساء الیونان افتخر علی غلام،فقال له:إن کان منشأ افتخارک آبائک فالتفوق لهم لا لک،و إن کان لباسک فالشرافه له دونک، و إن کان مرکوب فالفضیله له لا لک.فلیس لک شیء یصلح للعجب و المفاخره

و لذا قال متمم مکارم الأخلاق-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا تأتونی بأنسابکم و ائتونی بأعمالکم».

الثانی-أن یعرف نسبه الحقیقی،

فإن أباه القریب نطفه قذره، و جده البعید تراب ذلیل.و قد عرفه اللّه نسبه فقال:

وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ. ثُمَّ جَعَلَ

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۳

نَسْلَهُ مِنْ سُلاٰلَهٍ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ

(۱)

.

و الأصل الذی یوطأ بالأقدام أو تغسل منه الأجسام أی رفعه یکون لفرعه!

الثالث

-أن یعلم أن من یعجب بهم بالانتساب من أسلافه،إن کانوا من أهل الدیانه و الخصال المرضیه و الشرافه الحقیقیه،فظاهر أنه ما کان من أخلاقهم العجب،بل الذله و الإزراء علی النفس و مذمتها و استعظام الخلق،فإن اقتدی بهم فی أخلاقهم فلا یلیق به العجب و التعزز،و إلا کان طاعنا فی نسبه بلسان حاله.و إن لم یکونوا من أهل الدیانه الواقعیه و الشرافه العلمیه و العملیه بل کان لهم مجرد شوکه ظاهریه،کالسلاطین الظلمه و أعوانهم،فأف لمن یفتخر بهم و یعجب بنفسه لأجلهم!إذ الانتساب إلی الکلاب و الخنازیر أحسن من الانتساب إلیهم،کیف و أنهم ممقوتون عند اللّه معذبون فی النار، بحیث لو نظر إلی صورهم فی النار و ما لحقهم فیها من النتن و القذاره،لاستنکف منهم و تبرأ من الانتساب إلیهم،

و لذلک قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«لیدعن قوم الفخر بآبائهم و قد صاروا فحما فی جهنم،أو لیکونن أهون علی اللّه من الجعلان التی تدوف بآنافهم القذر»

و روی، أنه افتخر رجلان عند موسی(ع)،فقال أحدهما:أنا فلان بن فلان،حتی عد تسعه،فأوحی اللّه تعالی إلی موسی:«قل للذی افتخر،بل التسعه من أهل النار و أنت عاشرهم!».

و أما(العجب بالجمال):

فعلاجه أن یعلم أنه فی معرض الزوال بالعلل و الآلام و الأمراض و الأسقام،و أی عاقل یعجب بشیء تزیله حمی یوم أو قرحه أو جدری!

۱- ۱) السجده،الآیه ۷-۸.

بر مال و جمال خویشتن غرّه مشو

کآن را بشبی برند و این را به تبی (۱)

و لو لم یرتفع بها،فهل یشک عاقل بزواله بذهاب الشباب و مجیء الشیب و بالموت الذی لا بد أن تذوقه کل نفس؟فانظر إلی الوجوه الجمیله و الأبدان الناعمه،کیف تمزقت فی التراب و انتنت فی القبور،بحیث استقذرتها الطباع علی أنه لو نظر العقلاء فی باطنه عند اتصافه بغایه جماله،لرأی من الفضائح ما یکدر علیه العجب و التعزز به،فإنه وکلت إلیه (۲)الأقذار فی جمیع أجزائه:(البصاق)فی فمه،(و المخاط)فی أنفه،(و الوسخ)فی أذنه،(و النتن)تحت إبطه،(و الصدید)تحت بشرته،(و الفضلات)فی معدته،(و الرجیع)فی أمعائه،(و الدیدان)فی أحشائه،(و البول)فی مثانته،(و الصفراء)فی مرارته،یتردد إلی الخلاء کل یوم مرتین،و یغسل الغائط کل یوم بیده مرتین،یخرج من باطنه ما لو رآه بعینه لاستقذره فضلا أن یمسه أو یشمه.و فی أول أمره خلق من الأقذار الشنیعه الصور،من النطفه و دم الحیض،و خرج من مجاری الأقذار،أعنی الصلب و الذکر و الرحم و الفرج.و لو ترک نفسه فی حیاته یوما لم یتعهده بالغسل و التنظیف، لثارت منه الأنتان و الأقذار،و صار أقذر و أنتن من الدواب المهمله.هذا أوله و وسطه،و سیموت فیصیر جیفه أقذر من سائر الأقذار.فما للعاقل أن یعجب و یتعزز بهیئه حاصله لبدن هذه حقیقته.

و أما(العجب بالمال):

فهو عجب بأمر خارج عن ذات الإنسان،فهو أقبح أنواع العجب.و علاجه أن یتفکر فی آفات المال،و کونه فی معرض

۱- ۱) معنی البیت:(لا تغتر بمالک و جمالک،فإن ذاک یذهب بلیله و هذا بحمی واحده).

۲- ۲) و فی النسخ:«و کل به»،و رجحنا ما أثبتناه.

الفناء و الزوال،من الغضب و النهب و الحرق و الغرق،و غیر ذلک من الآفات السماویه و الأرضیه،و یتذکر أن فی الیهود و الهند و من یزید علیه فی المال.

و أفّ لشرف یسبقه الیهود و الهند!و أف لشرف یأخذه السارق فی لحظه فیعود صاحبه ذلیلا مفلسا!!و یتذکر ما ورد فی ذم المال و حقاره الأغنیاء، و فی فضیله الفقر و شرافه الفقراء،و سبقهم إلی الجنه فی القیامه،و ما ورد فی عقوبه المعجب بالمال بخصوصه، کقوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «بینما رجل یتبختر فی حله له قد أعجبته نفسه،إذ أمر اللّه الأرض فأخذته،فهو یتجلجل فیها إلی یوم القیامه» (۱)،أشار به إلی عقوبه إعجابه بماله و نفسه و کیف یتصور المؤمن العاقل أن یعجب بالمال و یفرح به،مع کثره حقوقه و عظم غوائله،و إیجابه المؤاخذه و طول المحاسبه فی القیامه،و العقوبه و النکال إن کان حراما،و انحطاط المرتبه و الدرجه إن کان حلالا،بل ینبغی له ألا یخلو ساعه عن الخوف من تقصیره،فی القیام بحقوقه،و أخذه من حله، و وضعه فی حقه.

و أما(العجب بالقوه و شده البطش):

فعلاجه أن یتذکر ما سلط علیه من العلل و الأمراض،و أن حمی یوم تضعف قوته و یتحلل منها ما لا ینجبر فی مده،و أنه لو وجع عرق واحد من بدنه صار أعجز من کل عاجز و أذل من کل ذلیل،و أنه لو سلبه الذباب شیئا لم یستنقذه منه.و أن بقه لو دخلت فی أنفه أو نمله دخلت فی أذنه لقتلته،و أن شوکه لو دخلت فی رجله لأعجزته.ثم أقوی إنسان لا یکون أقوی من حمار أو جمل أو فیل أو بقر، و أی عجب و افتخار فی صفه یسبقه البهائم فیها،هذا مع أن الغالب أن من یعجب بقوته یسلبها اللّه تعالی عنه بأدنی آفه یسلطها علیه.

۱- ۱) هذا الحدیث صححناه علی ما فی إحیاء العلوم-۳:۳۲۲-.

و أما(العجب بالجاه،و المنصب،و ولايه السلاطين،و كثره الأتباع و الأنصار:

من الأولاد و الأقارب و القبائل و العشائر و الخدم و الغلمان):

فعلاجه أن يعلم أن كل ذلك فى معرض الانقطاع،و عن قريب يقع بينه و بينها المفارقه إما بفنائه و موته أو بفنائها و هلاكها،بل العاقل يجدها كسراب بقيعه،و إنما هى خيالات تظن شيئا و ليست بشىء،و ستفترق عنه إذا مات و دفن فى قبره ذليلا مهينا وحده،لا يرافقه أهل و أولاد و لا أعوان و أتباع، فيسلمونه إلى البلاء و إلى العقارب و الحيات و الديدان،و لا يغنون عنه شيئا، و هو فى أحوج أوقاته إليهم،و كيف يعجب العاقل بمن يفارقه فى أشد أحواله! على أنهم فى الدنيا يتبعونه ما دام يحصل منه ما يشتهونه من البذل و الإعطاء فلا بد له من إيقاع نفسه فى المهالك و تعرضه لسخط اللّه و عقوبته،لتحصيل الأموال من الوجوه المحرمه و صرفها إليهم،ليستمروا على متابعته و إعانته، و لو نقص شىء مما يتمنونه تعرضوا لمقته و عداوته،فضلا عن بقائهم على حمايته و إطاعته.ثم المعجب بتمكين السلطان و ولايته بناء أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر،إذ لو تغير عليه كان أذل الخلق.

و أما(العجب بالعقل و الكياسه و التفطن لدقائق الأمور):

فعلاجه أن يعلم أن ذلك يزول عنه بأدنى مرض يصيب دماغه،و ربما زال عقله دفعه.

مع أنه إن كان فى الواقع فطنا كيسا فى الأمور يلزم عليه أن يشكر اللّه تعالى على ذلك،و يستصغر (1)عقله و فطانته،ليبقى اللّه تعالى عليه تلك النعمه و لا يسلبها عنه لأجل عجبه.

و أما(العجب بالرأى الخطإ الذى يزين له بجهله):

فهو أقبح أنواع العجب،إذ جميع أهل البدع و الضلال و الفرق الذين اختاروا مذاهب باطله

۱- ۱) فى النسخ:«يستغفر»،:فرجحنا ما أثبتناه.

و آراء فاسده إنما أصروا عليها لعجبهم بها،و لذا يفتخرون بمذاهبهم على غيرهم،و بذلك هلكت الأمم إذا افترقت فرقا،و كل معجب برأيه،و:

كُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

(۱)

.

فكل من استحسن ما يسوقه إليه الهوى و الشبهه-مع ظن كونه حقا- يكون له هذا العجب،

و قد أخبر رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمه». و علاجه أشد من علاج غيره،لأن صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطإه،و لو عرفه لتركه.و لا يعالج الداء الذى لا يعرف إذ العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله و يزيله عنه إذا لم يكن معجبا برأيه و جهله،و إذا كان معجبا به يتهمه و لا يصغى إليه حتى يعالجه،فقد سلطت عليه بليه تهلكه و هو يظن أنها نعمه.و كيف يطلب الهرب مما يعتقد أنه سبب سعادته!و إنما علاجه فى الجمله أن يكون متهما لرأيه لا يغتر به،إلا أن يشهد له قاطع عقلى أو نقلى لا يعتريه ريب و شبهه.

و معرفه أدله الشرع و العقل و شروطها و مكان الغلط فيها موقوفه على عقل ثابت،و قريحه تامه مستقيمه،مع جد و تشمير فى الطلب،و ممارسه الكتاب و السنه،و مجالسه أهل العلم و مدارسه العلوم طول العمر،و مع ذلك لا يؤمن عليه الغلط.فالصواب للكل-إلا من أيده اللّه بقوه قدسيه يتمكن بها من الخوض فى غمرات العلوم-ألا يخوض فى المذاهب الباطله و لا يصغى إليها،و يتبع أهل الوحى فيما جاءوا به من عند اللّه فى الأصول و الفروع.

۱- ۱) المؤمنون،الآيه:۵۳.

وصل (انکسار النفس)

ضد العجب انکسار النفس و استحقارها و کونها فی نظره ذلیله مهینه.

و کما أن العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار استصغار الغیر معه،فکذا ضده مجرد استحقار النفس من دون اشتراط إعظام الغیر معه،إذ الأول مع اعتبار الثانی تکبر،و الثالث مع اشتراط الرابع تواضع،و هما ضدان.

ثم لا ریب فی فوائد انکسار النفس و استصغارها،و کل من بلغ مرتبه عظیمه فإنما بلغ بهذه الصفه،لأن اللّه تعالی عند المنکسره قلوبهم،

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ما من أحد إلا و معه ملکان و علیه حکمه (۱)یمسکانها،فإن هو رفع نفسه جبذاها (۲)ثم قالا:اللهم ضعه،و إن وضع نفسه قالا:اللهم ارفعه» (۳).

و روی: «أنه أوحی اللّه تعالی إلی موسی(ع):أن یا موسی!أ تدری لم اصطفیتک بکلامی دون خلقی؟قال:یا رب!و لم ذلک؟فأوحی اللّه تبارک و تعالی إلیه:أنی قلبت عبادی ظهرا لبطن،فلم أجد فیهم أحدا أذل نفسا لی منک،یا موسی!إنک إذا صلیت وضعت خدک علی التراب».

و روی: «أنه لما أوحی اللّه تعالی إلی الجبال.أنی واضع سفینه نوح عندی علی جبل منکن،فتطاولت و شمخت، و تواضع الجودی،و هو جبل عندکم،فضربت السفینه بجؤجؤها الجبل، فقال نوح عند ذلک:(یا ماری اتقن)و هو بالسریانیه:رب أصلح» (۴)

۱- ۱) الحکمه بالتحریک:ما أحاط بحنکی الفرس من لجامه.

۲- ۲) بمعنی جذباها.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی ما فی احیاء العلوم-ج ۲ ص ۳۲۹-.

۴- ۴) هذا الحدیث و ما قبله رواهما الکافی فی باب التواضع.فصححناهما علیه

و منها:

الکبر

و قد عرفت:أنه الرکون إلی رؤیه النفس فوق الغیر،و بعباره أوضح:

هو عزه و تعظیم یوجب رؤیه النفس فوق الغیر و اعتقاد المزیه و الرجحان علیه،فهو یستدعی متکبرا علیه.و به ینفصل عن العجب،إذ العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار رؤیتها فوق الغیر،فالعجب سبب الکبر و الکبر من نتائجه.

ثم الکبر-أی العزه الموجبه لرؤیه النفس فوق الغیر-هو خلق الباطن یقتضی أعمالا فی الظاهر هی ثمراته،و تسمی تلک الأعمال الظاهره الصادره منه تکبرا،و لذا من تعزز و رأی نفسه باطنا فوق الغیر،من دون صدور فعل علی جوارحه،یقال له(کبر)،و إذا ظهرت الأعمال یقال له(تکبر) و هذه الأعمال الظاهره التی هی ثمرات خلق الکبر أفعال و أقوال توجب تحقیر الغیر و الإزراء به،کالترفع عن مؤاکلته و مجالسته،و الاستنکاف عن مرافقته و مصاحبته،و إبعاده عن نفسه،و إبائه عن الجلوس بجنبه،و انتظاره أن یسلم علیه،و توقعه أن یقوم ماثلا بین یدیه،و الاستنکاف من قبول وعظه،و تعنیفه فی إرشاده و نصحه،و تقدمه علیه فی المحافل و الطرقات، و عدم الالتفات إلیه فی المحاورات،و توقع التقدیم علیه فی کل ما یدل علی التعظیم عرفا. و بالجمله،الأعمال الصادره عن الکبر کثیره،و لا حاجه إلی إحصائها،لکونها مشهوره معروفه،و من جملتها الاختیال فی المشی و جر الثیاب،إذ فاعلهما یری نفسه فوق الأکثر و یقصد بهما استحقارهم،فهما یقتضیان متکبرا علیه،فیکونان من أنواع التکبر،و ما ورد فی ذمهما یدل

أیضا علی ذمه،کما یأتی.و هـذه الأفعال المعبر عنها بالتکبر قـد تصدر عن الحقد أو الحسد أو الریاء،و إن لم تکن فی النفس عزه و تعظم.

فصل (ذم الکبر)

الکبر آفه عظیمه و غـائلته هـائله،و به هلک خواص الأنام فضـلا عن غیرهم من العوام،و هو الحجاب الأعظم للوصول إلی أخلاق المؤمنین،إذ فیه عز یمنع عن التواضع،و کظم الغیـظ،و قبول النصـح،و الـدوام علی الصـدق،و ترک الغضب و الحقـد و الحسـد و الغیبه و الإزراء بالناس،و غیر ذلک.فما من خلق مذموم إلا و صاحب الکبر مضـطر إلیه،لیحفظ به عزه، و ما من خلق محمود إلا و هو عاجز عنه.خوفا من فوات عزه.و لذا ورد فی ذمه ما ورد من الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

کَذٰلِکَ یَطْبَعُ اللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ قَلْبِ مُتَکَبِّرٍ جَبّٰارٍ

(۱)

.

و قال: سَأَصْرِفُ عَنْ آیٰاتِیَ الَّذِینَ یَتَکَبَّرُونَ (۲).و قال:

وَ الْمَلاٰئِکَهُ بٰاسِطُوا أَیْدِیهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَکُمُ ...إلی قوله: وَ کُنْتُمْ عَنْ آیٰاتِهِ تَسْتَکْبِرُونَ (۳).و قال: اُدْخُلُوا أَبْوٰابَ جَهَنَّمَ خٰالِدِینَ فِیهٰا فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ (۴).

و قال: فَالَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ قُلُوبُهُمْ مُنْکِرَهٌ وَ هُمْ

۱- ۱) غافر،الآیه:۳۵.

۲- ۳) الأنعام،الآیه ۹۳.

۳- ۲) الأعراف،الآیه:۱۴۶.

۴- ۴) الزمر،الآیه:۷۲.

مُسْتَكْبِرُونَ

(۱)

.و قال: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ (۲).و قال: إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاّ كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا یدخل الجنه من کان فی قلبه مثقال حبه من خردل من کبر» (۴)،

و قال: «من تعظم فی نفسه و اختال فی مشیته،لقی اللّه و هو علیه غضبان».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا ینظر اللّه إلی رجل یجز إزاره بطرا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قال اللّه.الکبریاء ردائی و العظمه إزاری،فمن نازعنی فی واحد منهما ألقیته فی جهنم» .

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا یزال الرجل یذهب بنفسه حتی یکتب فی الجبارین،فیصیبه ما أصابهم من العذاب».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «یخرج من النار عنق له أذنان تسمعان و عینان تبصران و لسان ینطق،یقول وکلت بثلاثه،بکل جبار عنید، و بکل من دعا مع اللّه إلها آخر،و بالمصورین».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا یدخل الجنه جبار،و لا بخیل،و لا سیء الملکه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: ثلاثه لا یکلمهم اللّه و لا ینظر إلیهم یوم القیامه، و لا یزکیهم و لهم عذاب ألیم:شیخ زان،و ملک جبار،و مقل مختال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «بئس العبد عبد تجبر و اعتدی و نسی

۱- ۱) النحل،الآیه:۲۳.

۲- ۲) غافر،الآیه: ۶۰.

۳- ۳) غافر،الآیه:۵۶.

۴- ۴) روی الحدیث فی الکافی عن أحد الصادقین-علیهما السلام-فی باب الکبر،و جاء فیه هکذا:«الکبر»بتعریف کبر..

الجبار الأعلى،بئس العبد عبد تبختر و اختال و نسى الكبير المتعال،و بئس العبد عبد غفل و سها و نسى المقابر و البلى،بئس العبد عبد عتا و بغى و نسى المبدأ و المنتهى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أ لا أخبركم بأهل النار:كل عتل جواظ جعظرى متكبر» (۱).

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن أبغضكم إلينا و أبعدكم منا فى الآخره الثرثارون المتشدقون المتفيهقون»: أى المتكبرون.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يحشر المتكبرون يوم القيامه فى مثل صور الذر،تطأهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال،يعلوهم كل شىء من الصغار،ثم يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له (بولس)،تعلوهم نار شر أنيار (۲)،يسقون من طينه الخبال و عصاره أهل النار».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: يحشر الجبارون و المتكبرون يوم القيامه فى صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على اللّه تعالى»،

و قال «ان فى جهنم واديا يقال له(هبهب)،حق على اللّه أن يسكنه كل جبار»،

و قال:

«إن فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون و يطبق عليهم»،

و قال: «إذا مشت أمتى المطيطاء و خدمتهم(فارس)و(الروم)سلط اللّه بعضهم على بعض»، و المطيطاء:مشيه فيها اختيال.

و قال عيسى بن مريم: «كما أن الزرع ينبت فى السهل و لا ينبت على الصفاء،كذلك الحكمه تعمر فى قلب المتواضع و لا تعمر فى قلب المتكبر،أ لا ترون أنه من يتشمخ برأسه إلى السقف شجه، و من يطأطئ أظله و أكنه».

و لما حضرت نوحا الوفاه،دعا ابنيه فقال:

۱- ۱) صححنا الحديث على كنز العمال-ج ۲ ص ۱۰۷-.و الجواظ:المتكبر الجافى،و الجعظرى:الفظ الغليظ.

۲- ۲) كذا فى النسخ.و فى نسخه احياء العلوم-ج ۲ ص ۲۹۰-:(نار الأنيار)،و لم نعثر على جمع نار على أنيار،و إنما من جمله جموعها(نيار).

«إنی آمرکما باثنتین و أنهاکما عن اثنتین:أنهاکما عن الشرک و الکبر و آمرکما بلا إله إلا اللّه و سبحان اللّه و بحمده».

و قال سلیمان بن داود یوما للطیر و الجن و الإنس و البهائم:«اخرجوا،فخرجوا فی مائتی ألف من الإنس و مائتی ألف من الجن،فرفع حتی سمع زجل الملائکه بالتسبیح فی السماوات، ثم خفض حتی مست أقدامه البحر،فسمع صوتا یقول:لو کان فی قلب صاحبکم مثقال ذره من کبر لخسفت به أبعد مما رفعته.

و قال الباقر(ع): «الکبر رداء اللّه،و المتکبر ینازع اللّه رداءه»،

و قال: «العز رداء اللّه و الکبر إزاره،فمن تناول شیئا منه أکبه اللّه فی جهنم

و قال الصادق(ع): «إن فی جهنم لوادیا للمتکبرین یقال له(سقر)شکی إلی اللّه شده حره و سأله أن یأذن له أن یتنفس،فتنفس فاحرق جهنم».

و قال (ع): «إن المتکبرین یجعلون فی صور الذر،یتوطأهم الناس حتی یفرغ اللّه من الحساب».

و قال(ع): ما من رجل تکبر أو تجبر إلا لذله وجدها فی نفسه،

و قال(ع): «إن فی السماء ملائکه موکلین بالعباد،فمن تواضع رفعاه،و من تکبر وضعاه».

و قال(ع): «الجبار الملعون من غمض الناس و جهل الحق»،قال الراوی،أما الحق فلا أجهله،و الغمض لا أدری ما هو قال:«من حقر الناس و تجبر علیهم فذلک الجبار».

و قال(ع): «ما من عبد إلا و فی رأسه حکمه و ملک یمسکها،فإذا تکبر قال له:اتضع وضعک اللّه،فلا یزال أعظم الناس فی نفسه و أصغر الناس فی أعین الناس،و إذا تواضع رفعها اللّه-عز و جل-ثم قال له:انتعش نعشک اللّه،فلا یزال أصغر الناس فی نفسه و أرفع الناس فی أعین الناس».

فصل (التكبر على اللّه و على الناس)

التكبر قد يكون على اللّه،كما كان لنمرود و فرعون،و سببه الطغيان و محض الجهل،و هو أفحش أنواع الكبر،إذ هو أعظم أفراد الكفر،و لذا تكررت فى ذمه الآيات،كقوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دٰاخِرِينَ

(۱)

.و قوله: وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً (۲).و قوله:تعالى:: ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا (۳)و قوله: فَالَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَهٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (۴).

و قد يكون على الرسل من حيث تعزز النفس و ترفعها عن انقيادهم، كما كان لمن يقول:

أَ هٰؤُلاٰءِ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنٰا

(۵)

.و لمن يقول:

أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنٰا

(۶)

. إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ

ص: ۳۸۵

۱- ۱) غافر،الآيه:۶۰.

۲- ۴) النحل،الآيه:۲۳.

۳- ۲) النساء،الآيه:۱۷۲.

۴- ۵) الانعام،الآيه:۵۳.

۵- ۳) مريم،الآيه:۶۹.

۶- ۶) المؤمنون،الآيه:۴۷.

مِثْلُنا

(۱)

. وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (۲).و لمن قال: لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاٰئِكَهُ أَوْ نَرىٰ رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً (۳).

و هذا فى الشناعه قريب من التكبر على اللّه،و إن كان دونه.

و قد يكون على العباد بأن يستعظم نفسه و يستصغرهم،و هذا و إن كان دون الأولين،إلا أنه من المهلكات العظيمه،من حيث إنه يؤدى إلى مخالفه اللّه سبحانه،إذ صاحبه إذا سمع من عبد استنكف من قبوله و اشمأز بجحده، و من حيث إن العز و العظمه و العلى لا يليق إلا بالعلى الأعلى،فمهما تكبر العبد نازع اللّه فى صفه من صفاته،

و لذا قال اللّه سبحانه: «العظمه إزارى و الكبرياء ردائى،فمن نازعنى فيهما تصمته».

فصل (درجات الكبر)

للكبر درجات ثلاث:

(الأولى)أن يكون مستقرا فى قلبه،يرى نفسه خيرا من غيره، و يظهره فى أفعاله:بالرفع فى المجالس،و التقدم على الأقران،و أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم،و يعبس وجهه،و يقطب جبينه.و فى أقواله:

۱- ۱) إبراهيم،الآيه ۱۰.

۲- ۲) المؤمنون،الآيه:۳۴.

۳- ۳) الفرقان،الآيه:۲۱.

بإظهار الإنكار على من يقصر فيما يتوقعه،من التعظيم،و إبداء الدعوى، و المفاخره و المباهاه،و تزكيه النفس،و التشمير لغلبه الغير فى العلم و العمل، و هذه الدرجه أقبح الدرجات و أشدها،إذ صاحبها قد رسخت فى قلبه شجره الكبر و ارتفعت أغصانها و فروعها،بحيث أحاطت على جميع جوارحه.

(الثانيه)كالأولى،إلا فى إظهاره على اللسان،

و هى دون الأولى، لكونها أقل أغصانا منها.

(الثالثه)ان يكون مستقرا فى قلبه

بحيث رأى نفسه خيرا من غيره، إلا أنه يجتهد فى التواضع،و يفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه.و هذا و إن رسخت فى قلبه شجره الكبر،إلا أنه قطع أغصانها بالكليه،فإن كان مع ذلك منكرا على نفسه فيما رسخ فيها،و مغضبا عليها و متشمرا لإزالتها إلا أنه لم يقدر على دفعه بسرعه و سهوله،و تميل النفس إلى ما تشتهيه فى بعض الأحيان بدون اختيار،و لكنه كان فى مقام المجاهده،فلعله لم يكن عليه كثير إثم،و مثله يوفقه اللّه للوصول إلى ما يطلبه بمقتضى وعده.

فصل (علاج الكبر علما و عملا)

الكبر كالعجب فى كيفيه العلاج إجمالا و تفصيلا،إذ الكبر لما تظمن معنى العجب-أى استعظام النفس-و كان العجب منشأ له،فما ذكر لعلاج مطلق العجب هو العلاج لمطلق الكبر أيضا.و لكن ما به الكبر-أعنى بواعثه-هى بواعث العجب بعينها،فما ذكر لعلاج العجب بالواعث المذكوره مشترك بينهما.

و من المعالجات المختصه بالكبر:أن يتذكر ما ورد فى ذمه من الآيات

و الأخبار المذكوره و غيرها،و يتأمل فيما ورد فی مدح ضده-أعنی التواضع كما يأتی.و لكون الكبر مشتملا على شیء زائد على العجب هو رؤيه النفس فوق الغير،فينبغی أن يعلم أن الحكم بخيريه نفسه من الغير غايه الجهل و السفاهه،فلعل فی الغير من خفايا الأخلاق الكريمه ما ينجيه،و فيه من الملكات الذميمه ما يهلكه و يرديه.و كيف يجترئ صاحب البصيره أن يرجح نفسه على الغير،مع إبهام الخاتمه و خفاء الأخلاق الباطنه و اشتراك الكل فی الانتساب إلى اللّه تعالى،و فی صدورها و ترشحها منه و معلوليتها و لازميتها له،فالواقف بخطر الخاتمه و إناطه النجاه و الهلاك بالواطن لا يرى لنفسه مزيه على غيره،و العارف بكون كل فرد من أفراد الموجودات أثرا من آثار ذاته و لمعه من لمعات أنوار صفاته،بل رشحه من رشحات فضله و جوده و قطره من قطرات تيار فيض وجوده،لا ينظر إلى أحد بنظر السوء و العداوه،بل يشاهد الكل بعين الخيريه و المحبه.

اشكال و حل

(فإن قيل):كيف يحسن أن يتواضع العالم الورع للجاهل الفاسق و يراه خيرا من نفسه،مع ظهور جهله و فسقه،و قطعه باتصاف نفسه بالعلم و الورع و خلوه عنهما؟و كيف يجوز له أن يحب فاسقا أو كافرا أو مبتدعا و يتواضع له و لا يعاديه،مع أنه مبغوض عند اللّه،فيكون مأمورا ببغضه، و الجمع بين الحب و التواضع و بين البغض جمع بين النقيضين؟ (أجبنا)عن(الأول)بأن حقيقه التواضع ألا يرى النفس لذاتها مزيه واقعيه و خيريه حقيقيه على الغير،لا ألا يرى مزيه لذاتها عليه فی الصفات الظاهره التی يجزم باتصاف نفسه بها و عدم اتصافه بها،كالعلم و العباده و السخاوه و العداله و الاجتناب عن الأموال المحرمه و غير ذلك،إذ العالم ببعض

العلوم لا یمکنه أن یدفع عن نفسه القطع بکونه عالما بها و کون فلان العامی غیر عالم بها.لکن المزیه الواقعیه و الخیریه النفس الآمریه إنما هو بالتقرب إلی اللّه و الوصول إلی السعاده الدائمیه،و لا شک فی أن ذلک لا یحصل بمجرد تعلم بعض العلوم و المواظبه علی بعض العبادات أو غیر ذلک من الصفات المحموده،بل المناط فیه حسن الخاتمه،و هو أمر مبهم،إذ العواقب مطویه عن العباد،فیمکن أن یسلم الکافر و یختم له بالإیمان و یضل هذا العالم الورع و یختم له بالکفر،فعلی کل عبد إن رأی من هو شرا منه ظاهرا أن یقول:

لعل هذا ینجو و أهلک أنا،فلا یراه شرا من نفسه فی الواقع خائفا من العاقبه و یقول:لعل بر هذا باطن،بأن یکون فیه خلق کریم بینه و بین اللّه فیرحمه اللّه و یتوب علیه و یختم له بأحسن الأعمال،و برّی ظاهر لا آمن أن تدخله الآفات فتحبطه. و بالجمله:ملاحظه الخاتمه و السابقه و العلم بأن الکمال فی القرب من اللّه و سعاده الآخره دون ما یظهر فی الدنیا من الأعمال الظاهره- یوجب نفی الکبر و التواضع لکل أحد.

و عن(الثانی)أن الحب ینبغی أن یکون لأجل النسبه الشریفه المذکوره و التواضع لأجل ملاحظه الخاتمه،و بغضه و غضبه علیه لأجل ما ظهر منه من الکفر و الفسوق.و أی منافاه بین الغضب للّه فی صدور معصیه من عبد،و بین عدم الکبر و الإذلال؟إذ الغضب إنما هو لله لا لنفسک،إذ أمرک بأن تغضب عند مشاهده المنکر،و التواضع و عدم الکبر إنما هو بالنظر إلی نفسک،بأ لا تری نفسک ناجیا و صاحبک هالکا فی حال غضبک علیه لأمر اللّه،بل یکون خوفک علی نفسک مما علم اللّه من خفایا ذنوبک أکثر من خوفک علیه مع الجهل بالخاتمه،فلیس من ضروره الغضب و البغض للّه أن تتکبر علی المغضوب علیه،و تری قدرک فوق قدره.

و مثال ذلک.أن یکون لملک غلام و ولـد،و قـد وکل الملک الغلام علی ولده بأن یراقبه و یضـربه مهما ساء أدبه،و یغضب علیه إذا اشـتغل بمـا لاـ یلیق به،فـإن کان الغلام مطیعا محبا لمولاه یغضب علیه إذا ساء أدبه امتثالا لأمر مولاه،و مع ذلک یحبه لانتسابه إلی مولاه بالولاده،و لا یتکبر علیه و یتواضع له،و یری قدره عند مولاه فوق قدر نفسه،لأن الولد أعز لا محاله من الغلام.

تذنیب (العلاج العملی للکبر)

مـا ذکرنـاه لعلاـج الکبر إنمـا هو العلاـج العلمی،و أمـا(العلاـج العملی) فهو أن یتواضع بالفعـل للّه و لسـائر الخلق،و یواظب علی أخلاق المتواضـعین، و یکلف نفسه علی ذلک إلی أن تقطع عن قلبه شـجره الکبر بأصولها و فروعها، و یصـیر التواضع ملکه له.و للقطع الکلی و حصول ملکه التواضع امتحانـات یعرفـان بهـا،فلاـ بـد أن یمتحن نفسه بهـا حتی یطمئن بـأنه متواضع،إذ النفس قد تضمر التواضع و تدعی البراءه من الکبر،فإذا وقعت الواقعه عادت إلی طبعها و نسیت وعدها:

(الأول)ان یناظر مع أقرانه فی بعض المسائل،

فإذا ظهر شـیء من الحق علی لسانهم،فإن اعترف به مع السـرور و الاهتزاز و الشـکر لهم لتنبیههم إیاه علی ما غفل عنه فهو علامه التواضع،و إن ثقل علیه القبول و الاعتراف و لم یسر بظهور الحق علی لسانه فهو دلیل بقاء الکبر بعد.فلیعالجه من حیث العلم بأن یتـذکر سوء عـاقبته و خسه نفسه و خباثتهـا،من حیث إن قبول الحق یثقـل علیهـا،و من حیث العلم بـأن یکلف نفسه علی مـا یثقل علیهـا من الاـعتراف بـالحق و إطلاق اللسان بالثناء و الشـکر،و الإقرار علی نفسه بالعجز و القصور، و یقول:ما أحسن فطانتک!لقد أرشدتنی إلی الحق،فجزاک اللّه خیرا،فإذا

واظب على ذلک مراتب متوالیه،صار ذلک له طبعا،و سقط ثقل الحق عن قلبه و طاب له قبوله،و إن لم یثقل علیه فی الخلوه و ثقل علیه فی الملإ،فلیس فیه کبر،بل فیه ریاء،فلیعالج بما یأتی فی معالجه الریاء.

(الثانی)ان یقدم الأقران و الأمثال علی نفسه فی المحافل،

و یمشی خلفهم فی الطرق،فإن لم یثقل ذلک علیه فهو متواضع،و إلا فمتکبر، فلیقدمهم بالتکلف،و یجلس تحتهم،و یظهر السرور و الارتیاح بذلک،حتی یسقط عنه ثقله.

قال أبو عبد اللّه الصادق(ع): «إن من التواضع أن یجلس الرجل دون شرفه».

و قال(ع): «من التواضع أن ترضی بالمجلس دون المجلس،و أن تسلم علی من تلقی،و أن تترک المراء و إن کنت محقا،و لا تحب أن تحمد علی التقوی». و من المتکبرین من إذا لم یجد مکانا فی الصدر یجلس فی صف النعال،أو یجعل بینه و بین الأقران بعض الأراذل و لا یجلس تحتهم و غرضهم من ذلک استحقار الأقران أو إیهام أن ترکهم للصدر إنما هو بالتفضل،فهو أشد أنواع التکبر.

(الثالث)أن یجیب دعوه الفقیر،

و یمر إلی السوق فی حاجه الرفقاء و الأقارب،و یحمل حاجتهم و حاجه نفسه منه إلی البیت،فإن لم یثقل علیه ذلک فی الخلوه و الملأ فلیس فیه کبر و ریاء،و إن ثقل علیه فیهما ففیه کبر و ریاء،و إن ثقل علیه عند مشاهده الناس دون الخلوه ففیه ریاء دون الکبر.

قال أمیر المؤمنین(ع): «لا ینقص الرجل الکامل من کماله ما حمل من شیء إلی عیاله».

و روی: «أنه اشتری لحما بدرهم فحمله فی ملحفته،فقال له بعضهم احمل عنک یا أمیر المؤمنین؟فقال:لا!أبو العیال أحق أن یحمل».

و روی:

«أن الصادق(ع):نظر إلی رجل من أهل المدینه قد اشتری لعیاله شیئا و هو یحمله.فلما رآه الرجل استحیی منه،فقال له أبو عبد اللّه(ع):اشتریته

لعيالك و حملته إليهم،أما و اللّه لو لا أهل المدينه لأحببت أن اشترى لعيالى الشىء ثم أحمله إليهم».

(الرابع)ان يلبس ثيابا بذله،

فإن لم يثقل عليه ذلك أصلا فليس فيه كبر و رياء،و إلا كان متكبرا أو مرائيا،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من اعتقل البعير و لبس الصوف فقد برىء من الكبر».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إنما أنا عبد آكل فى الأرض،و ألبس الصوف،و أعقل البعير،و ألعق أصابعى،و أجيب دعوه المملوك،فمن رغب عن سنتى فليس منى» و قيل لسلمان:لم لا تلبس ثوبا جديدا؟فقال:

«إنما أنا عبد،فإذا اعتقت يوما لبست جديدا»:أشار به إلى العتق فى الآخره.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم -البذاذه-أى الدون من اللباس-من الإيمان».

و عوتب أمير المؤمنين-عليه السلام-فى إزار مرقوع،فقال:«يقتدى به المؤمن و تخشع له القلوب».

(الخامس)أن يأكل مع خدامه و غلمانه،

فإن لم يثقل عليه فهو متواضع و إلا فمتكبر.

و روى رجل من أهل بلخ،قال: كنت مع الرضا(ع)فى سفره إلى خراسان،فدعا يوما بمائده،فجمع عليها مواليه من السودان و غيرهم،فقلت:جعلت فداك!لو عزلت لهؤلاء مائده،فقال(ع):إن الرب تعالى واحد،و الدين واحد،و الأم واحده،و الأب واحد،و الجزاء بالأعمال».

و الامتحانات لبقاء الكبر ليست منحصره بما ذكر،بل هى كثيره:

كأن يحب قيام الناس له أو بين يديه،

قال أمير المؤمنين(ع): «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد و بين يديه قوم قيام».

و قال بعض الصحابه: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول اللّه.

ص: ۳۹۲

و كانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك».

و أن يحب أن يمشى خلفه غيره،

و قد روى «أنه لا يزال العبد يزداد من اللّه بعد ما مشى خلفه». و كان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- فى بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب،فيأمرهم بالتقدم و يمشى فى غمارهم.

و ألا يزور غيره،و إن كان فى زيارته فائده دينيه.و أن يستنكف من مجالسه الفقراء و المعلولين و المرضى.

روى أنه دخل على رسول اللّه رجل و عليه جدرى قد تقشر،و عنده ناس من أصحابه يأكلون،فما جلس عند أحد إلا قام من جنبه.فأجلسه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-إلى جنبه.

و كان -صلى اللّه عليه و آله و سلم-فى نفر من أصحابه يأكلون فى بيته،إذ دخل عليهم رجل به زمانه تنكره الناس لأجلها فأجلسه رسول اللّه على فخذه و قال له:«اطعم»،و كأن رجلا من قريش اشمأز منه و تكره،فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانه مثلها.

و مر سيد الساجدين-عليه السلام- على المجذومين (1)و هو راكب حماره،و هم يتغدون،فدعوه إلى الغداء، فقال:«أما إنى لو لا أنى صائم لفعلت»،فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع،و أمر أن يتنوقوا فيه،ثم دعاهم،فتغدوا عنده و تغدى معهم...

و قس على هذه غيرها من الامتحانات.

و لقد كانت سيره رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-جامعه لجميع ما يمتحن به التواضع،بريئه عن جميع ما يصدر من الكبر من الأفعال و الحركات،فينبغى لكل مؤمن أن يقتدى به.

و قد روى أبو سعيد الخدرى:

«أنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان يعلف الناضح،و يعقل البعير،و يقم

1- 1) و فى بعض نسخ الكافى المصححه فى باب التواضع هكذا:(المجذمين).

البيت،و يحلب الشاه،و يخصف النعل،و يرقع الثوب،و يأكل مع خادمه، و يطحن عنه إذا أعيى،و يشرى الشىء من السوق،و لا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجمله فى طرف ثوبه و ينقلب إلى أهله.يصافح الغنى و الفقير و الصغير و الكبير،و يسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاه،ليست له حله لمدخله و لا حله لمخرجه،لا يستحيى من أن يجيب إذا دعى،و إن كان أشعث أغبر،و لا يحقر ما دعى إليه و إن لم يجد إلا حشف الرّقل (۱)،لا يدفع غداء لعشاء و لا عشاء لغداء.

هين المؤنه،لين الخلق،كريم الطبيعه،جميل المعاشره،طلق الوجه،بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس،شديدا فى غير عنف.و متواضعا فى غير مذله،جوادا من غير سرف،رحيما لكل ذى قربى،قريبا من كل ذمى و مسلم،رقيق القلب،دائم الإطراق،لم يبسم قط من شبع،و لا يمد يده إلى طمع». هذا

و قال أبو الحسن-عليهما السلام-: «التواضع:أن تعطى الناس ما تحب أن تعطاه».

و سئل عن حد التواضع الذى إذا فعله العبد كان متواضعا،فقال:«التواضع درجات:منها أن يعرف المرء قدر نفسه،فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب أن يأتى إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه،إن رأى سيئه درأها بالحسنه،كاظم الغيظ عاف عن الناس،و اللّه يحب المحسنين».

وصل (التواضع و مدحه)

قد أشير إلى أن ضد الكبر(التواضع)،و هو انكسار للنفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزيه على الغير،و تلزمه أفعال و أقوال موجبه لاستعظام

۱- ۱) فى إحياء العلوم-ج ۳ ص ۳۰۶-هكذا:(الدقل)،و كل من النسختين يصح به المعنى.

الغير و إکرامه،و المواظبه علیها أقوی معالجه لإزاله الکبر.و لا بد من الإشاره إلی الأخبار الوارده فی مدح التواضع و فوائده،تحریکا للطالبین إلی السعی فی تحصیله الموجب لإزاله ضده،و هذه الأخبار کثیره خارجه عن حد الإحصاء،فنکتفی بإیراد بعض منها:

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «ما تواضع أحد للّه إلا رفعه اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «طوبی لمن تواضع فی غیر مسکنه،و أنفق مالا جمعه من غیر معصیه،و رحم أهل الذله و المسکنه، و خالط أهل الفقه و الحکمه».

و روی: «أن اللّه سبحانه أوحی إلی موسی:

إنما أقبل صلاه من تواضع لعظمتی و لم یتعاظم علی خلقی و ألزم قلبه خوفی و قطع نهاره بذکری و کف نفسه عن الشهوات من أجلی».

و قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-لأصحابه: «ما لی لا أری علیکم حلاوه العباده! قالوا:و ما حلاوه العباده؟قال:التواضع».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«إذا تواضع العبد رفعه اللّه إلی السماء السابعه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا هدی اللّه عبدا الإسلام و حسن صورته و جعله فی موضع غیر شائن له و رزقه مع ذلک تواضعا،فذلک من صفوه اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «أربع لا یعطیهن اللّه إلا من یحبه:الصمت و هو أول العباده،و التوکل علی اللّه،و التواضع،و الزهد فی الدنیا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لیعجبنی أن یحمل الرجل الشیء فی یده یکون مهنه لأهله یدفع به الکبر عن نفسه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من تواضع للّه رفعه اللّه،و من تکبر خفضه اللّه،و من اقتصد فی معیشه رزقه اللّه،و من بذر حرمه اللّه،و من أکثر ذکر الموت أحبه اللّه،و من أکثر ذکر اللّه أظله اللّه فی جنته».

و روی: «أنه أتی رسول اللّه-صلی اللّه علیه

و آله و سلم-ملک،فقال:إن اللّه تعالی یخیرک أن تکون عبدا رسولا متواضعا أو ملکا رسولا.فنظر إلی جبرئیل(ع)و أومی بیده أن تواضع،فقال:

عبدا متواضعا رسولا،فقال الرسول-یعنی الملک-:مع أنه لا ینقصک مما عند ربک شیئا».

و قال عیسی بن مریم(ع): «طوبی للمتواضعین فی الدنیا! هم أصحاب المنابر یوم القیامه،طوبی للمصلحین بین الناس فی الدنیا!هم الذین یرثون الفردوس یوم القیامه:طوبی للمطهره قلوبهم فی الدنیا هم الذین ینظرون إلی اللّه تعالی یوم القیامه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «إن التواضع لا یزید العبد إلا رفعه،فتواضعوا برحمکم اللّه».

و أوحی اللّه تعالی إلی داود (ع):«یا داود!کما أن أقرب الناس إلی اللّه المتواضعین کذلک أبعد الناس من اللّه المتکبرون».

و روی: «أن سلیمان بن داود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنیاء و الأشراف حتی یجیء إلی المساکین فیقعد معهم،و یقول مسکین مع مساکین».

و روی: «أنه ورد علی أمیر المؤمنین(ع)أخوان له مؤمنان،أب و ابن،فقام إلیهما و أکرمهما و أجلسهما فی صدر مجلسه و جلس بین أیدیهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأکلا منه،ثم جاء قنبر بطست و إبریق خشب و مندیل، و جاء لیصب علی ید الرجل،فوثب أمیر المؤمنین و أخذ الإبریق لیصب علی ید الرجل،فتمرغ الرجل فی التراب،و قال یا أمیر المؤمنین!اللّه یرانی و أنت تصب علی یدی!قال:اقعد و اغسل،فإن اللّه-عز و جل-یراک و أخوک الذی لا یتمیز منک و لا ینفصل عنک یخدمک،یرید بذلک فی خدمته فی الجنه مثل عشره أضعاف عدد أهل الدنیا.فقعد الرجل.و قال له علی(ع):

أقسمت علیک بعظیم حقی الذی عرفته لما غسلت مطمئنا کما کنت تغسل لو کان الصاب علیک قنبر،ففعل الرجل ذلک،فلما فرغ ناول الإبریق محمد بن الحنفیه،و قال:یا بنی!لو کان هذا الابن حضرنی دون أبیه لصببت علی یده، و لکن اللّه-عز و جل-یأبی أن یسوی بین ابن و أبیه إذا جمعهما مکان،

ص: ۳۹۶

لکن قد صب الأب علی الأب فلیصب الابن علی الابن،فصب محمد بن الحنفیه علی الابن» (۱).

و قال الصادق(ع): «التواضع أصل کل شرف نفیس و مرتبه رفیعه، و لو کان للتواضع لغه یفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما فی مخفیات العواقب.

و التواضع ما یکون للّه و فی اللّه،و ما سواه فکبر.و من تواضع للّه شرفه اللّه علی کثیر من عباده.و لأهل التواضع سیماء یعرفها أهل السماوات من الملائکه و أهل الأرض من العارفین.قال اللّه عز و جل.

وَ عَلَی الْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ یَعْرِفُونَ کُلاًّ بِسِیمٰاهُمْ

(۲)

.

و أصل التواضع من إجلال اللّه و هیبته و عظمته.و لیس للّه عز و جل عباده یقبلها و یرضاها إلا و بابها التواضع.و لا یعرف ما فی معنی حقیقه التواضع إلا المقربون من عباده المستقلین بوحدانیته،قال اللّه عز و جل:

وَ عِبٰادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِینَ یَمْشُونَ عَلَی الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذٰا خٰاطَبَهُمُ الْجٰاهِلُونَ قٰالُوا سَلاٰماً

(۳)

.

و قد أمر اللّه-عز و جل-أعز خلقه و سید بریته محمدا-صلی اللّه علیه و آله-بالتواضع،فقال عز و جل:

وَ اخْفِضْ جَنٰاحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ

(۴)

۱- ۱) روی هذا الحدیث فی البحار-فی الجزء الرابع من المجلد الخامس عشر ص ۱۴۹ باب التواضع-عن الاحتجاج و التفسیر المنسوب إلی الإمام العسکری(ع).

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۴۶.

۳- ۳) الفرقان،الآیه ۶۳.

۴- ۴) الشعراء الآیه:۲۱۵.

و التواضع مزرعه الخضوع و الخشوع و الخشيه و الحياء،و إنهن لا يأتين إلا منها و فيها،و لا يسلم الشرف التام الحقيقى إلا للمتواضع فى ذات اللّه تعالى (۱).

و قال الإمام أبو محمد الحسن بن على العسكرى عليهم السلام:

«أعرف الناس بحقوق أخوانهم و أشدهم قضاء لهم أعظمهم عند اللّه شأنا، و من تواضع فى الدنيا لإخوانه فهو عند اللّه من الصديقين و من شيعه على بن أبى طالب-عليه السلام-حقا» (۲).

تتميم (الذله)

لما عرفت أن كل فضيله وسط له طرفان مذمومان،فأحد طرفى التواضع (الكبر)-كما عرفت-و هو من طرف الإفراط،و آخرهما(الذله)و التخاسس و هو من طرف التفريط.فكما أن الكبر مذموم،فكذلك المذله و التخاسس أيضا مذموم،إذ كلا طرفى الأمور ذميم،و المحمود:هو التواضع من دون الخروج إلى شيء من الطرفين،إذ أحب الأمور إلى اللّه أوسطها،و هو أن يعطى كل ذى حق حقه،و هو العدل،فلو وقع فى طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه،فالعالم إذا دخل عليه إسكاف فخلى له مجلسه و اجلسه فيه،و ترك تعليمه و إفادته،و إذا قام عدا إلى الباب خلفه،فقد تخاسس و تذلل،و هو غير محمود،بل هو رذيله فى طرف التفريط.فاللازم إذا وقع فيه أن يرفع نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذى هو الصراط المستقيم فإن العدل أن يتواضع بمثل ما ذكر لأمثاله و لمن يقرب درجته.فأما تواضعه للسوقى،فبالبشر فى الكلام،و الرفق فى السؤال،و إجابه دعوته،و السعى

۱- ۱) روى هذا الحديث فى البحار أيضا فى الموضع المتقدم عن مصباح الشريعه.

۲- ۲) هذا الحديث من نفس الحديث المتقدم عن الاحتجاج و التفسير المنسوب إلى الإمام

فی حاجته،و أمثال ذلک،و ألا یری نفسه خیرا منه،نظرا إلی خطر الخاتمه.

ثم ینبغی ألاـ یتواضع للمتکبرین،إذ الانکسار و التذلل لمن یتکبر و یتعزز مع کونه من التخاسس و المذله المذمومه یوجب إضلال هذا المتکبر، و تقریره علی تکبره،و إذا لم یتواضع له الناس و تکبروا علیه ربما تنبه و ترک التکبر،إذ المتکبر لا یرضی بتحمل المذله و الإهانه من الناس،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إذا رأیتم المتواضعین من أمتی فتواضعوا لهم،و إذا رأیتم المتکبرین فتکبروا علیهم،فإن ذلک لهم مذله و صغار».

و منها:

الافتخار

أی المباهاه باللسان بما توهمه کمالا،و الغالب کون المباهاه بالأمور الخارجه عن ذاته،و هو بعض أصناف التکبر-کما أشیر إلیه-فکل ما ورد فی ذمه یدل علی ذمه،و الأسباب الباعثه علیه هی أسباب التکبر.و قد تقدم أن شیئا منها لا یصلح لأن یکون منشأ للافتخار،فهو ناش من محض الجهل و السفاهه.

قال سید الساجدین(ع): «عجبا للمتکبر الفخور الذی کان بالأمس نطفه ثم(هو) (۱)غدا جیفه».

و قال الباقر(ع): «عجبا للمختال الفخور،و إنما خلق من نطفه ثم یعود جیفه،و هو فیما بین ذلک لا یدری ما یصنع به».

و قال(ع): «صعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم- المنبر یوم فتح مکه،فقال:أیها الناس!إن اللّه قد أذهب عنکم نخوه الجاهلیه و تفاخرها بآبائها،ألا إنکم من آدم و آدم من طین،ألا إن خیر عباد اللّه عبد اتقاه».

و قال له(ع)عقبه بن بشیر الأسدی:أنا فی الحسب الضخم عزیز

۱- ۱) فی بعض نسخ الکافی فی باب الفخر و الکبر زیاده کلمه(هو).

فی قومی،فقال له:«تمن علینا بحسبک!إن اللّه تعالی رفع بالإیمان من کان الناس یسمونه وضیعا إذا کان مؤمنا،و وضع بالکفر من کان الناس یسمونه شریفا إذا کان کافرا.فلیس لأحد فضل علی أحد إلا بتقوی اللّه».

و قال الصادق (ع):«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: آفه الحسب الافتخار و العجب».

و قال(ع)، «أتی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-رجل،فقال:

یا رسول اللّه!أنا فلان بن فلان...حتی عد تسعه،فقال رسول اللّه:أما إنک عاشرهم فی النار!».

و نقل: أن قریشا تفاخروا عند سلمان،فقال:«لکننی خلقت من نطفه قذره ثم أعود جیفه منتنه ثم إلی المیزان،فإن ثقل فأنا کریم و إن خف فأنا لئیم». ثم ضده استحقاره نفسه و ترجیح غیره علیها بالقول.

و منها:

البغی

و یسمی البذخ أیضا،و هو صعوبه الانقیاد و التابعیه لمن یجب أن ینقاد(له)،و قد فسر بمطلق العلو و الاستطاله،سواء تحقق فی ضمن عدم الانقیاد لمن یجب أن ینقاد(له)،أو فی ضمن أحد أفعال الکبر،أو فی ضمن الظلم و التعدی علی الغیر.و علی أی تقدیر هو أفحش أنواع الکبر إذ عدم الانقیاد لمن یجب أن ینقاد(له)-کالأنبیاء و أوصیائهم-یؤدی إلی الکفر الموجب للهلاک الأبدی.و لقد هلک بذلک أکثر طوائف الکفار،کالیهود و النصاری و کفار قریش و غیرهم.و کذا الظلم و التعدی علی المسلم و إذ لا له بالمقهوریه و المغلوبیه من المهلکات العظیمه،و لذا ورد فی ذمه ما ورد،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إن أعجل الشر عقوبه البغی».

و قال -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «حق علی اللّه عز و جل ألا یبغی شیء علی شیء

إلا أذله اللّه،و لو أن جبلا بغى على جبل لهد اللّه الباغى منهما».

و قال أمير المؤمنين(ع): «أيها الناس!إن البغى يقود أصحابه إلى النار.و إن اول من بغى على اللّه عناق بنت آدم،و أول قتيل قتله اللّه عناق،و كان مجلسها جريبا فى جريب،و كان لها عشرون إصبعا فى كل إصبع ظفران مثل المنجلين، فسلط اللّه عليها أسدا كالفيل،و ذئبا كالبعير،و نسرا كالبغل،فقتلنها.و قد قتل اللّه تعالى الجبابره على أفضل أحوالهم و آمن ما كانوا».

و قال الصادق(ع):

«يقول إبليس لجنوده:ألقوا بينهم الحسد و البغى فإنهما يعدلان عند اللّه الشرك».

و كتب(ع)إلى بعض أصحابه: «انظر ألا تكلمن بكلمه بغى أبدا، و إن أعجبتك نفسك و عشيرتك».

و علاجه:أن يتذكر-أولا-هذه الأخبار الوارده فى ذمه،و-ثانيا- ما ورد فى مدح ضده-أعنى التسليم و الانقياد لمن يلزم إطاعته و تابعيته-

كقولهم-عليهم السلام- :«شيعتنا المسلمون». و الآيات و الاخبار الوارده فى وجوب إطاعه اللّه و إطاعه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و أولى الأمر، و غيرهم من العلماء و الفقهاء الذين هم نواب الأئمه فى زمن الغيبه.و بعد ذلك يكلف نفسه التابعيه و الإطاعه لمن يجب أن يطاع،و يتخضع له قولا و فعلا،حتى يصير ذلك له ملكه.

و منها:

تزكيه النفس

أى نفى النقائص عنها،و إثبات الكمالات لها.و هو من نتائج العجب.

و قبحه أظهر من أن يخفى.إذ من عرف حقيقه الإمكان،ثم اطلع على خلق الإنسان،يعلم أنه عين القصور و النقصان،فلا يطلق بمدح نفسه اللسان.

على أنه يتضمن بخصوصه قبحا يشهد به الذوق و الوجدان،و لذا

قال أمير المؤمنين(ع): «تزكيه المرء لنفسه قبيحه» .و قد تقدم ما يكفيك لمعرفه حقاره الإنسان و خساسته.

ثم ضد التزكيه عدم تبرئه نفسه من العيوب و الإقرار بها و إثبات النقائص لها،فإذا كلف نفسه عليه و فعل ذلك مرات متواليه،يصير معتادا له،و يزول عنه ما اعتاده من مدح نفسه.

و منها:

العصبيه

و هى السعى فى حمايه نفسه أو ماله إليه نسبه:من الدين،و الأقارب، و العشائر،و أهل البلد،قولا أو فعلا:فإن كان ما يحميه و يدفع عنه السوء مما يلزم حفظه و حمايته،و كانت حمايته بالحق من دون خروج من الإنصاف و الوقوع فى ما لا يجوز شرعا،فهو الغيره الممدوحه التى هى من فضائل قوه الغضب-كما مر-.و إن كان مما يلزم حمايته،أو كانت حمايته بالباطل،بأن يخرج عن الإنصاف و ارتكب ما يحرم شرعا،فهو التعصب المذموم،و هو من رداءه قوه الغضب.

و إلى ذلك يشير كلام سيد الساجدين(ع) حيث سئل عن العصبيه،فقال:«العصبيه التى يأثم عليها صاحبها:أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين،و ليس من العصبيه أن يحب الرجل قومه،و لكن من العصبيه أن يعين قومه على الظلم».

و الغالب إطلاق العصبيه فى الأخبار على التعصب المذموم،و لذا ورد بها الذم،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«من كان فى قلبه حبه من خردل من عصبيه بعثه اللّه يوم القيامه مع أعراب الجاهليه».

و قال السجاد(ع): «لم يدخل الجنه حميه غير حميه حمزه بن عبد المطلب،و ذلك حين أسلم عصبا للنبى-صلى اللّه عليه و آله- فى حديث السلى الذى ألقى على النبى-صلى اللّه عليه و آله-».

و قال الصادق(ع): «إن الملائكه كانوا يحسبون أن إبليس منهم،و كان فى علمه أنه ليس منهم، فاستخرج ما فى نفسه بالحميه و العصب،فقال:

خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

.

و منها:

كتمان الحق

و الانحراف عنه.و باعثه إما العصبيه أو الجبن،فهو من نتائج واحده منهما،فعلى(الأول)يكون من رذائل قوه الغضب من جانب الإفراط، و على(الثانى)يكون من رذائلها من جانب التفريط،و ربما كان الباعث فى بعض أفراده الطمع المالى،إلا أن الظاهر كون الفاعل المباشر النفس مع رداءه قوه الغضب،كما فى نفس الغضب و غيره،إذ ما لم يحصل فى النفس ضعف و فى القوه الغضبيه خمود لم يتحقق كتمان الحق.و يندرج تحته الميل فى الحكم،و كتمان الشهاده،و شهاده الزور،و تصديق المبطل،و تكذيب المحق،و غير ذلك.

و الظواهر الداله على ذمه مطلقا،و على كل واحد من الأصناف المندرجه تحته كثيره،و لا حاجه إلى ذكرها لاشتهارها.و علاج العصبيه و كتمان الحق:أن يتذكر-أولا-إيجابهما لسخط اللّه و مقته،و ربما تأديا

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۱۲.ص،الآيه:۷۶.

إلى الكفر،و-ثانيا-فوائد ضدهما،أعنى الإنصاف و الاستقامه على الحق.

و بعد ذلک يكلف نفسه على إظهار ما هو الحق و العمل به،و لو بالمشقه الشديده،إلى أن يصير ذلک عاده له،فيزول عن نفسه ما صار لها ملكه من التعصب و كتمان الحق.

وصل (الإنصاف و الاستقامه على الحق)

لما كان ضدهما الإنصاف و الاستقامه على الحق،فلنشر إلى بعض ما ورد فى مدحهما تحريكا للطالبين إلى الأخذ بهما،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال:

الإنفاق من الاقتار،و الإنصاف من نفسه،و بذل السلام».

و كان-صلى اللّه عليه و آله-يقول فى آخر خطبته: «طوبى لمن طاب خلقه،و طهرت سجيته،و صلحت سريرته،و حسنت علانيته،و أنفق الفضل من ماله، و أمسک الفضل من قوله،و أنصف الناس من نفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسک...»إلى آخره.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من واسى الفقير من ماله و أنصف الناس من نفسه،فذلک المؤمن حقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«ثلاث خصال من كن فيه أو واحده منهن كان فى ظل عرش اللّه يوم لا ظل إلا ظله:رجل أعطى الناس عن نفسه ما هو سائلهم...»الحديث.

و قال أمير المؤمنين(ع)فى كلام له: «ألا إنه من ينصف من نفسه لم يزده اللّه إلا عزا».

و قال الصادق(ع): «من يضمن لى أربعه بأربعه أبيات فى الجنه:أنفق و لا تخف فقرا،و أفش السلام فى العالم،و اترک المراء و إن

كنت محقا،و أنصف الناس من نفسك».

و قال(ع): «ألا أخبركم بأشد ما فرض اللّه على خلقه؟»،فذكر ثلاثه أشياء أولها:(إنصاف الناس من نفسك).

و قال(ع): «من أنصف الناس من نفسه رضى به حكما لغيره».

و قال(ع): «ما تدارى اثنان فى أمر قط فأعطى أحد النصف صاحبه فلم يقبل منه إلا أديل منه».

و قال(ع): «ثلاثه هم أقرب الخلق إلى اللّه تعالى يوم القيامه حتى يفرغ من الحساب:رجل لم تدعه قدره فى حال غضبه على أن يحيف على من تحت يده،و رجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بعشيره،و رجل قال بالحق فيما له و عليه».

و قال-عليه السلام-:

«إن للّه جنه لا يدخلها إلا ثلاثه،أحدهم من حكم فى نفسه بالحق» (۱).

و منها:

القساوه

و هى ملكه عدم التأثر عن ألم أبناء النوع.و لا ريب فى كونه ناشئا من غلبه السبعيه،و أكثر ذمائم الصفات:من الظلم و الإيذاء،و عدم إغاثه المظلومين،و عدم مواساه الفقراء و المحتاجين و غير ذلك يترتب عليه.و ضده الرحمه و الرقه،و هو التأثر عن مشاهده تألم أبناء نوعه،و يترتب عليه من الصفات المرضيه أضداد ما ذكر.و قد ورد به المدح و الترغيب فى الأخبار الكثيره،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يقول اللّه تعالى:

اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم،فإنى جعلت فيهم رحمتى.و لا تطلبوه من القاسيه قلوبهم،فإنى جعلت فيهم سخطى».

و كقول الصادق(ع): «اتقوا اللّه و كونوا إخوه برره متحابين فى اللّه متواصلين

۱- ۱) هذا الحديث رواه فى الكافى فى باب الإنصاف و العدل عن الباقر عليه السلام

متراحمين...إلخ» .

و قوله(ع): «تواصلوا و تباروا و تراحموا و كونوا إخوه برره كما أمركم اللّه» .

و قوله(ع): «يحق على المسلمين الاجتهاد فى التواصل و التعاون على التعاطف و المواساه لأهل الحاجه و تعاطف بعضهم على بعض،حتى تكونوا كما أمركم اللّه عز و جل:رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-».

و قد ورد: أن من ترحم على العباد يرحمه اللّه. و الأخبار الوارده فى فضيله مطلق الرحمه،و فى فضيله خصوص كل واحد واحد فيما يندرج تحته:من إعانه المحتاج،و إغاثه المظلوم، و مواساه الفقير،و الاغتمام بمصائب المؤمنين،و أمثال ذلك،أكثر من أن تحصى.

ثم إن إزاله القساوه و اكتساب الرحمه فى غايه الإشكال،إذ القساوه صفه راسخه فى القلب لا يقدر على تركها بسهوله،فطريق العلاج أن يترك لوازمها و آثارها من الأفعال الظاهره،و يواظب على ما يترتب على الرحمه من الصفات الاختياريه،و يكلف نفسه على ذلك حتى يرتفع على التدريج مبدأ الأولى و يحصل مبدأ الثانيه.

(انتهى الجزء الأول)

ص :۴۰۶

المجلد ۲

اشاره

[تتمه الباب الثالث]

اشاره

ص :۱

المقام الثالث (فيما يتعلق بالقوه الشهويه من الرذائل و الفضائل و كيفيه العلاج)

اشاره

الشره-فوائد الجوع-الشهوه الجنسيه-خمود الشهوه-العفه-الاعتدال فى الشهوه-حب الدنيا-لابد للمؤمن من مكسب-الدنيا المذمومه هى الهوى-ذم الدنيا و أنها عدوه اللّه و الإنسان-خسائس صفات الدنيا- تشبيهات الدنيا و أهلها-عاقبه حب الدنيا و بغضها-الجمع بين ذم المال و مدحه-حب المال-ذم المال-غوائل المال و فوائده-الأمور المنجيه من غوائل المال -الزهد-مدح الزهد-اعتبارات الزهد و درجاته-الزهد الحقيقى-ذم الغنى-الفقر-اختلاف أحوال الفقراء-مراتب الفقر و مدحه-الموازنه بين الفقر و الغنى-ما ينبغى للفقير-وظيفه الفقراء-موارد قبول العطاء و ردّها-لا يجوز السؤال من غير حاجه-الحرص و ذمه-القناعه-علاج الحرص-الطمع و ذمه-الاستغناء عن الناس-البخل-ذم البخل-السخاء معرفه ما يجب أن يبذل-الإيثار-علاج البخل-الزكاه-سر وجوب الزكاه و فضيله سائر الانفاقات-الحث على التعجيل فى الإعطاء-فضيله اعلان الصدقه الواجبه-ذم المن و الأذى فى الصدقه-ما ينبغى للمعطى- ما ينبغى للفقراء فى أخذ الصدقه-زكاه الأبدان- الخمس-الإنفاق على الأهل و العيال-ما ينبغى فى الإنفاق على العيال-صدقه التطوع-فضيله الإسرار فى الصدقه المندوبه-الهديه-الضيافه-ما ينبغى أن يقصد فى الضيافه-آداب الضيافه-الحق المعلوم و حق الحصاد و الجذاذ-القرض- إنظار المعسر و التحليل-بذل الكسوه و السكنى و نحوهما-ما يبذل لوقايه العرض و النفس-ما ينفق فى المنافع العامه-الفرق بين الإنفاق و البر

ص: ٣

و المعروف-طلب الحرام-عزه تحصيل الحلال-أنواع الأموال-الفرق بين الرشوه و الهديه-الورع عن الحرام-مدح الورع-مداخل الحلال- درجات الورع-الغدر-أنواع الفجور-الخوض فى الباطل-التكلم بما لا يعنى-حد التكلم بما لا يعنى-أسباب الخوض فيما لا يعنى-الصمت، فنقول:

أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

فأحدهما:

اشاره

الشره

و هو إطاعه شهوه البطن و الفرج،و شده الحرص على الأكل و الجماع و ربما فسر باتباع القوه الشهويه فى كل ما تدعو إليه:من شهوه البطن و الفرج،و حب المال،و غير ذلك،ليكون أعم من سائر رذائل قوه الشهوه،و تتحقق جنسيته،و على الأول يكون بعض رذائلها كحب الدنيا المتعلق بها أعم منه،إلا أن القوم لما فسروه بالأول فنحن اتبعناهم، إذ الأمر فى مثله هين.

و بالجمله:رذيله الشره من طرف الإفراط و لا ريب فى كونه أعظم المهلكات لابن آدم،

و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-:

«من وقى شر قبقبه و ذبذبه و لقلقه فقد وقى» ،و القبقب:البطن، و الذبذب:الفرج،و اللقلق:اللسان.

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم:- «ويل للناس من القبقبين!فقيل:و ما هما يا رسول اللّه؟!قال:الحلق و الفرج».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «أكثر ما يلج به أمتى النار الأجوفان:البطن و الفرج».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-:

«ثلاث أخافهن على أمتى من بعدى:الضلاله بعد المعرفه،و مضلات

١- ١) أى القوه الشهويه.

الفتن،و شهوه البطن و الفرج».

و يدل علی ذم(الأول)-أعنی شهوه البطن و الحرص علی الأكل و الشرب

قوله-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه،حسب ابن آدم لقیمات یقمن صلبه»و إن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه و ثلث لشرابه و ثلث لنفسه»،

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «لا تمیتوا القلوب بكثره الطعام و الشراب،فإن القلب كالزرع یموت إذا كثر علیه الماء».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-:

«أفضلكم منزله عند اللّه أطولكم جوعا و تفكرا،و أبغضكم إلی اللّه تعالی كل نؤم أكول شروب»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «المؤمن یأكل فی معاء واحد و المنافق یأكل فی سبعه أمعاء»، أی یأكل سبعه أضعاف ما یأكله المؤمن أو تكون شهوته سبعه أمثال شهوته،فالمعاء كنایه عن الشهوه.

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «إن أبغض الناس إلی اللّه المتّخمون الملأی،و ما ترك عبد أكله یشتهیها إلا كانت له درجه فی الجنه».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «بئس العون علی الدین قلب نخیب و بطن رغیب و نعظ شدید»

(۱)

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «أطول الناس جوعا یوم القیامه أكثرهم شبعا فی الدنیا

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «لا یدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه».

و فی التوراه: «إن اللّه لیبغض الحبر السمین» ،لأن السمن یدل علی الغفله و كثره الأكل.

و فی بعض الآثار: «إن اللّه یبغض القارئ السمین».

و قال لقمان لابنه:«یا بنی!إذا امتلأت المعده فامت الفكره

۱- ۱) صححنا الحدیث علی نسخ الوسائل المصححه فی كتاب الأطعمه،و الوافی ۶۶:۱۰-.و كذا ذكره فی مجمع البحرین ماده(نخب)،و النخیب:الجبان الذی لا فؤاد له.و الرغیب:الواسع.

و خرست الحکمه،و قعدت الأعضاء عن العباده».

و قال الباقر-علیه السلام- «إذا شبع البطن طغی».

و قال-علیه السلام-: «ما من شیء أبغض إلی اللّه-عز و جل-من بطن مملو».

و قال الصادق-علیه السّلام-:

«إن البطن لیطغی من أکله،و أقرب ما یکون العبد من اللّه إذا خف بطنه و أبغض ما یکون العبد إلی اللّه إذا امتلأ بطنه».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «لیس لابن آدم بد من أکله یقیم بها صلبه،فإذا أکل أحدکم طعاما،فلیجعل ثلث بطنه للطعام،و ثلث بطنه للشراب،و ثلثه للنفس،و لا تسمنوا تسمن الخنازیر للذبح».

و قال-علیه السلام-:

«ما من شیء أضر لقلب المؤمن من کثره الأکل و هی مورثه شیئین:

(قسوه)القلب،و(هیجان)الشهوه.و الجوع إدام للمؤمن،و غذاء للروح،و طعام للقلب،و صحه للبدن».

و الأخبار الوارده بهذه المضامین کثیره،و لا ریب فی أن أکثر الأمراض و الأسقام تترتب علی کثره الأکل.

قال الصادق-علیه السلام-:

«کل داء من التخمه إلا الحمی فإنها ترد ورودا».

و قال-علیه السلام-:

«الأکل علی الشبع یورث البرص». و کفی لشهوه البطن ذما أنها صارت منشأ لإخراج آدم و حواء من دار القرار إلی دار الذل و الافتقار،إذ نهیا عن أکل الشجره فغلبتهما شهوتهما حتی أکلا منها،فبدت لهما سوآتهما.

و البطن منبت الأدواء و الآفات و ینبوع الشهوات،إذ تتبعها شهوه الفرج شده السبق إلی المنکوحات،و تتبع شهوه المطعم و المنکح شده الرغبه فی الجاه و المال،لیتوسل بهما إلی التوسع فی المطعومات و المنکوحات،و یتبع ذلک أنواع الرعونات،و ضروب المحاسدات و المنافسات،و تتولد من ذلک آفه الریاء،و غائله التفاخر و التکاثر و العجب و الکبر،و یداعی ذلک إلی الحقد و العداوه و البغضاء،و یفضی ذلک بصاحبه إلی اقتحام البغی و المنکر

و الفحشاء.و كـل ذلـك ثمره إهمـال المعـده و ما يتولـد من بطر الشـبع و الامتلاء و لو ذلل العبـد نفسه بالجوع،و ضـيق مجارى الشيطان،لم يسلك سبيل البطر و الطغيان،و لم ينجر به إلى الانهماك فى الدنيا و الانغمار فيما يفضيه إلى الهلاك و الردى،

و لـذا ورد فى فضـيله الجوع و الصبر عليه مـا ورد من الأخبـار،قال رسول اللّه-صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم-: «جاهـدوا أنفسـكم بالجوع و العطش، فإن الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل اللّه،و أنّه ليس من عمل أحب إلى اللّه من جوع و عطش»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «أفضل الناس من قل مطعمه و ضحكه،و رضى بما يستر عورته».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «سيد الأعمال الجوع،و ذل النفس لباس الصوف»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «اشربوا و كلوا فى أنصاف البطون فإنه جزء من النبوه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «قله الطعام هى العباده».

و قـال-صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم-: «إن اللّه يباهى الملائكه بمن قلّ مطعمه فى الـدنيا»يقول:انظروا إلى عبـدى ابتليته بالطعام و الشراب فى الدنيا فصبر و تركهما،اشهدوا يا ملائكتى:ما من أكله يدعها إلا أبدلته بها درجات فى الجنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- «أقرب الناس من اللّه-عز و جل-يوم القيامه من طال جوعه و عطشه و حزنه فى الدنيا».

و قال عيسى(ع): «أجيعوا أكبادكم و أعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى اللّه-عز و جل-».

و قالت بعض زوجاته-صـلّى اللّه عليه و آله-: «إنّ رسول اللّه لم يمتل قط شبعا،و ربما بكيت رحمه مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيـدى،و أقول:نفسـى لك الفداء!لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك و يمنعك من الجوع،فيقول:إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا،فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم و أجزل ثوابهم،فاجدنى أستحى إن

ترفهت فی معیشتی أن یقصر بی غدا دونهم،فاصبر أیاما یسیره أحب إلی من أن ینقص بی حظی غدا فی الآخره و ما من شیء أحب إلی من اللحوق بأصحابی و إخوانی».

و روی: «أنه جاءت فاطمه-علیها السلام- و معها کسیره من خبز،فدفعتها إلی النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-فقال:

ما هذه الکسیره؟قالت:قرص خبزته للحسن و الحسین-علیهما السلام-جئتک منه بهذه الکسیره،فقال:أما إنه أول طعام دخل فم أبیک منذ ثلاث» (۱).

فوائد الجوع

ثم للجوع فوائد:هی صفاء القلب و رقته،و اتقاد الذهن و حدته و الالتذاذ بالمناجاه و الطاعه،و الابتهاج بالذکر و العباده،و الترحم لأرباب الفقر و الفاقه،و التذکر بجوع یوم القیامه.و الانکسار المانع عن الطغیان و الغفله،و تیسر المواظبه علی الطاعه و العباده،و کسر شهوات المعاصی المسئولیه بالشبع،و دفع النوم الذی یضیع العمر و یکل الطبع و یفوت القیام و التهجد،و التمکن من الإیثار و التصدیق بالزائد،و خفه المؤنه الموجبه للفراغ عن الاهتمام بالتحصیل و الإعداد،و صحه البدن و دفع الأمراض،إذ المعده بیت کل داء و الحمیه رأس کل دواء،

و ورد: «کلوا فی بعض بطونکم تصحوا» ،و أضداد هذه الفوائد من المفاسد یترتب علی الشبع.

ثم علاج الشره بالأکل و الشرب:أن یتذکر الأخبار الوارده فی ذمه،و ینبه نفسه علی رذاله المأکولات و خساستها،و علی خسه الشرکاء من الحیوانات،و یتأمل فی المفاسد المترتبه علی الولوع به:من الذله،و المهانه و سقوط الحشمه و المهابه،و فتور الفطنه،و ظهور البلاده،و حدوث العلل

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی سفینه البحار-۱:۱۹۵.

و الأمراض الكثيره،و بعد ذلك يحافظ نفسه عن الإفراط فى الأكل و لو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عاده.

الشهوه الجنسيه

(و أما الثانى)-أعنى طاعه شهوه الفرج و الإفراط فى الوقاع- فلا ريب فى أنه يقهر العقل حتى يجعل الإنسان مقصور الهم على التمتع بالنسوان و الجوارى،فيحرم من سلوك طريق الآخره،أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش و ربما انتهت هذه الشهوه بمن غلب و همه على عقله إلى العشق البهيمى الذى ينشأ من استيلاء الشهوه،فيسخر الوهم العقل لخدمه الشهوه،و قد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوه،و هذا مرض قلوب فارغه خلت عن محبه اللّه و عن الهمم العاليه.

و يجب الاحتراز من أوائله بترك معاوده الفكر و النظر،و إذا استحكم عسر دفعه،و كذلك حب باطل من الجاه و المال و العقار و الأولاد،فمثل من يكسره فى أول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابه عند توجهها إلى باب ليدخله،و ما أهون منعها بصرف عنانها،و مثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابه حتى تدخل و تتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها و يجرها إلى ورائها،و ما أعظم التفاوت بين الأمرين فى اليسر و العسر.

فليكن الاحتراز و الاحتياط فى بدايات الأمور،إذ فى أواخرها لا تقبل العلاج إلا بجهد شديد يكاد يوازى نزع الروح.

و ربما انتهى إفراط هذه الشهوه بطائفه إلى أن يتناولوا ما يقويها ليستكثروا من الجماع،و مثلهم كمثل من بلى بسباع ضاريه تغفل عنه فى

بعض الأوقات فيحتال لإثارتها و تهييجها فى هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها و إصلاحها.و التجربه شاهده بأن من ينقاد لهذه الشهوه و يسعى فى تكثير ما يهيجها من النسوان و تجديدهن و التخيل و النظر و تناول الأغذيه و الأدويه المحركه لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر،و قد ينجر إفراطها إلى سقوط القوه و اختلال القوى الدماغيه و فساد العقل-كما برهن عليه فى الكتب الطبيه-. و الوقاع أضر الأشياء بالدماغ،إذ جل المواد المنويه يجلب منه،و لذا شبه الغزالى هذه الشهوه بالعامل الظالم الذى لو أطلقه السلطان و لم يمنعه من ظلمه أخذ أموال الرعيه على التدريج بأسرها و ابتلاهم بالفقر و الفاقه،فأهلكهم الجوع و عدم تمكنهم من تحصيل القوت،و كذا هذه القوه لو لم يقهرها سلطان العقل و لم يقمها على طريق الاعتدال صرفت جميع المواد الصالحه و الأخلاط المحموده التى اكتسبتها القوى الغذائيه لبدل ما يتحلل من الأعضاء فى مصارف نفسها و جعلها بأسرها منيا،و تبقى جميع الأعضاء بلا قوت،فتضعف و يدركها الفناء بسرعه.و لو كانت مطيعه للعقل،بحيث تقدم على ما يأمرها به و تنزجر عما ينهاها عنه،كانت كالعامل الذى يأخذ الخراج على طريق العدل و المروه،و يصرفه فى مصارف المملكه من سد الثغور و إصلاح القناطر و خروج العساكر،و تبقى سائر أموال الرعيه لأنفسهم،فيبقى لهم القوت و سائر ما يحتاجون إليه.

و لعظم آفه هذه الشهوه و اقتضائها هلاك الدين و الدنيا إن لم تضبط و لم ترد إلى حد الاعتدال،ورد فى ذمها ما ورد من الأخبار،

و قال رسول اللّه -صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-فى بعض دعواته:

«اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى و بصرى و قلبى و شر منى»

.

و روى: «أنه إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله»

و ورد فى تفسير قوله تعالى:

وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ

(۱)

أی:و من شر الذکر إذا قام أو دخل.

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «النساء حبائل الشیطان»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-:

«ما بعث اللّه نبیا فیما خلا إلا لم ییأس إبلیس أن یهلکه بالنساء،و لا شی أخوف عندی منهن» (۲)

و قال-صلّی اللّه علیه و آله- «اتقوا فتنه النساء،فإن أول فتنه بنی إسرائیل کانت من قبل النساء»

و روی: «أن الشیطان قال لموسی علیه السلام:لا تخل بأمرأه لا تحل لک.فإنه ما خلا رجل بامرأه لا تحل له إلا کنت صاحبه دون أصحابی حتی أفتنه بها».

و روی أیضا: «أن الشیطان قال:المرأه نصف جندی،و هی سهمی الذی أرمی فلا أخطئ،و هی موضع سری،و هی رسولی فی حاجتی» و لا ریب فی أنه لو لا هذه الشهوه لما کان للنساء تسلط علی الرجال.

و قد ظهر بالعقل و النقل:أن الإفراط فی هذه الشهوه و کثره الطروقه و النزو علی النسوان مذموم.و لا تغرنک کثره نکاح رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-فإنه کان لا یشغل قلبه جمیع ما فی الدنیا،و کان استغراقه فی حب اللّه بحیث یخشی احتراق قلبه و السرایه منه إلی قالبه،فکان-صلّی اللّه علیه و آله-یکثر من النسوان و یشغل نفسه الشریفه بهن،لیبقی له نوع التفات إلی الدنیا،و لا یؤدی به کثره الاستغراق إلی مفارقه الروح عن البدن،

و لذا إذا غشیته کثره الاستغراق و خاض فی غمرات الحب و الأنس،یضرب یده علی فخذ عائشه و یقول-صلّی اللّه علیه و آله-:

۱- ۱) الفلق،الآیه:۳.

۲- ۲) فی إحیاء العلوم-۳:۸۶ ان هذا الکلام من قول سعید بن المسیب لا من کلام النبی-صلّی اللّه علیه و آله-.

«کلمینی و اشغلینی یا حمیراء!» و هی تشغله بکلامها عن عظیم ما هو فیه لقصور طاقه قالبه عنه.

ثم لما کانت جبلته الأنس باللّه،و کان أنسه بالخلق عارضا یتکلفه رفقا ببدنه،فإذا طالت مجالسته معهم لم یطق الصبر معهم و ضاق صدره

فیقول: «أرحنا یا بلال!» ،حتی یعود إلی ما هو قره عینه.فالضعیف إذا لاحظ أحواله فهو معذور،لأن الأفهام تقصر عن الوقوف علی أسرار أفعاله (۱).

ثم علاج إفراط هذه الشهوه-بعد تذکر مفاسدها المذکوره-کسرها بالجوع،و سد الطرق المؤدیه إلیها:من التخیل و النظر و التکلم و الخلوه، فإن أقوی الأسباب المهیجه لها هو النظر و الخلوه،و لذا قال اللّه تعالی:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِینَ یَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ

(۲)

و قال النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «النظره سهم مسموم من سهام إبلیس،فمن ترکها خوفا من اللّه تعالی أعطاه اللّه إیمانا یجد حلاوته فی قلبه».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لکل عضو من أعضاء ابن آدم حظ من الزنا فالعینان تزنیان و زناهما النظر».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا تدخلوا علی المغیبات-أی التی غاب عنها زوجها-فإن الشیطان یجری من أحدکم مجری الدم».

و قال عیسی بن مریم-علیهما السّلام-: «إیاکم و النظره،فإنها تزرع فی القلب شهوه،و کفی بها فتنه».

و قیل لیحیی بن زکریا:ما بدء

۱- ۱) هذا الکلام کله عن تعلیل کثره طروق النبی-صلّی اللّه علیه و آله مأخوذ من کلام الغزالی فی احیاء العلوم-۳:۸۷-.
۲- ۲) النور،الآیه:۳۰.

الزنا؟قال:«النظره و التمنی».

و قال داود-علیه السّلام-لابنه:

«یا بنی!امش خلف الأسد(و) (۱)الأسود و لا تمش خلف المرأه».

و قال إبلیس:«النظره قوسی و سهمی الذی لا أخطئ به».

و لکون النظر مهیجا للشهوه،حرم فی الشریعه نظر کل من الرجل و المرأه إلی الآخر،و کذا حرم استماع کل منهما لکلام الآخر، إلا مع الضروره و عموم الحاجه،و کذا حرم نظر الرجال إلی المرد من الصبیان إذا کان مورثا للفتنه،و لذا کان کبراء الأخیار و عظماء الأبرار فی الأعصار و الأمصار محترزین عن النظر إلی وجوه الصبیان،حتی قال بعضهم «ما أنا بأخوف علی الشباب الناسک من سبع ضار کخوفی علیه من غلام أمرد یجلس إلیه».

ثم إن لم تنقمع الشهوه بالجوع و الصوم و حفظ النظر،فینبغی کسرها بالنکاح،بشرط الاستطاعه و الأمن من غوائله.

قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «معاشر الشباب!علیکم بالباءه،فمن لم یستطع فعلیه بالصوم،فإن الصوم له وجاء».

و قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن المرأه إذا أقبلت أقبلت بصوره شیطان،فإذا رأی أحدکم امرأه فأعجبته فلیأت أهله،فإن معها مثل الذی معها».

(و ثانیهما) -أی ثانی جنسی رذائل قوه الشهوه-: الخمود

اشاره

۱- ۱) حرف(و)موجود فی نسختنا الخطیه و فی احیاء العلوم-۳:۸۷-، و لکنه قد شطب علیها فی النسخه المطبوعه.

و هو التفریط فی کسب ضروری القوت،و الفتور عما ینبغی من شهوه النکاح،بحیث یؤدی إلی سقوط القوه و تضییع العیال و انقطاع النسل و لا ریب فی کون ذلک مذموما غیر مستحسن فی الشرع،إذ تحصیل المعارف الإلهیه و اکتساب الفضائل الحلقیه و العبادات البدنیه موقوف علی قوه البدن،فالتفریط فی إیصال بدل ما یتحلل إلی البدن یوجب الحرمان عن تحصیل السعادات.و هو غایه الخسران.و کذا إهمال قوه شهوه النکاح یوجب الحرمان عن الفوائد المترتبه علیها،فإن هذه القوه إنما سلطت علی الإنسان لبقاء النسل و دوام الوجود،و لأن یدرک لذته فیقیس بها لذات الآخره،فإن لذه الوقاع لو دامت لکانت أقوی اللذات الجسمانیه،کما أن ألم النار أعظم الآلام الجسدانیه،فالترغیب و الترهیب یسوقان الخلق إلی سعاداتهم،و لیس ذلک إلا بلذه مدرکه و ألم محسوس مشابهین للذات و الآلام الأخرویه.

و لبقاء النسل فوائد:موافقه محبه اللّه بالسعی فی تحصیل الولد لبقاء نوع الإنسان،و عدم قطعه السلسله التی وصلت إلیه من مبدأ النوع،و طلب محبه رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-فی تکثیر من به مباهاته،و طلب التبرک بدعاء الولد الصالح بعده،و طلب الشفاعه بموت الولد الصغیر إذا مات قبله،کما استفاضت به الأخبار.

و من فوائد النکاح:کسر التوقان و التحرز من الشیطان،بغض البصر و حفظ الفرج و قطع الوساوس و خطرات الشهوه من القلب،و إلیه الإشاره

بقوله-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه» و من فوائد النكاح:تفريغ القلب عن تدبير المنزل،و التكفل بشغل الطبخ و الفرش و الكنس،و تنظيف الأوانى و تهيئه أسباب المعيشه،فإن الفراغ عن ذلك أعون شيء على تحصيل العلم و العمل،

و لذا قال النبى -صلّى اللّه عليه و آله-: «ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا و قلبا شاكرا و زوجه مؤمنه صالحه تعينه على آخرته».

و منها:مجاهده النفس و رياضتها بالسعى فى حوائج الأهل و العيال، و الاجتهاد فى إصلاحهم و إرشادهم إلى طريق الدين،و فى تحصيل المال الحلال لهم من المكاسب الطيبه،و القيام بتربيه الأولاد،و الصبر على أخلاق النساء،و كل ذلك من الفضائل العظيمه،

و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «الكاد فى نفقه عياله كالمجاهد فى سبيل اللّه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من حسنت صلاته،و كثر عياله و قل ماله،و لم يغتب المسلمين:كان معى فى الجنه كهاتين».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من الذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من كانت له ثلاث بنات فأنفق عليهن و أحسن إليهن حتى يغنيهن اللّه عنه أوجب اللّه تعالى له الجنه».

و لا ريب فى أن الخمود عن الشهوه يلزمه الحرمان عن الفوائد المذكوره فهو مرجوح.

ثم لما كان للنكاح آفات أيضا،كالاحتياج إلى المال و صعوبه تحصيل الحلال منه-لا سيما فى أمثال زماننا-و العجز عن القيام بحقوق النسوان، و الصبر على أخلاقهن،و احتمال الأذى منهن،و تفرق الخاطر لأجل القيام بتدبير المعيشه و تهيئه ما يحتاجون إليه،و تأديه ذلك غالبا إلى ما لا ينبغى من

الانغمار فی الدنیا و الغفله عن اللّه-سبحانه-و عما خلق لأجله،فاللائق أن یلاحظ فی کل شخص أن الراجح فی حقه ما ذا؟-بعد ملاحظه الفوائد و المفاسد-فیأخذ به.

وصل العفه

قد عرفت أن ضد الجنسین(العفه)،و هو انقیاد قوه الشهوه للعقل فی الإقدام علی ما یأمرها به من المأکل و المنکح کما و کیفا،و الاجتناب عما ینهاها عنه،و هو الاعتدال الممدوح عقلا و شرعا،و طرفاه من الإفراط و التفریط مذمومان،فإن المطلوب فی جمیع الأخلاق و الأحوال هو الوسط، إذ خیر الأمور أوساطها،و کلا طرفیها ذمیم،فلا تظنن مما ورد فی فضیله الجوع أن الإفراط فیه ممدوح،فإن الأمر لیس کذلک،بل من أسرار حکمه الشریعه أن کلما یطلب الطبع فیه طرف الإفراط بالغ الشرع فی المنع عنه علی وجه یتوهم الجاهل منه أن المطلوب طرف التفریط،و العالم یدرک أن المقصود هو الوسط،فإن الطبع إذا طلب غایه الشبع،فالشرع ینبغی أن یطلب غایه الجوع،حتی یکون الطبع باعثا و الشرع مانعا،فیتقاومان و یحصل الاعتدال.و لما بالغ النبی-صلّی اللّه علیه و آله-فی الثناء علی قیام اللیل و صیام النهار،ثم علم من حال بعضهم أنه یقوم اللیل کله و یصوم الدهر کله،فنهی عنه. و الأخبار الوارده فی مدح العفه و فضیلتها کثیره،

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أفضل العباده العفاف».

و قال الباقر علیه السّلام: «ما من عباده أفضل من عفه بطن و فرج».

و قال علیه السّلام: «ما عبد اللّه بشیء أفضل من عفه بطن و فرج»

و قال علیه

السّلام: «أى الاجتهاد أفضل من عفه بطن و فرج». و فى معناها أخبار أخر.

و إذا عرفت هذا،فاعلم أن الاعتدال فى الأكل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعده و لا بألم الجوع،بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلا، فإن المقصود من الأكل بقاء الحياه و قوه العباده،و ثقل الطعام يمنع العباده و ألم الجوع أيضا يشغل القلب و يمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا معتدلا بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر،ليكون متشبها بالملائكه المقدسين عن ثقل الطعام و ألم الجوع،و إليه الإشاره بقوله تعالى:

وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا

(۱)

و هذا يختلف بالنسبه إلى الأشخاص و الأحوال و الأغذيه،و المعيار فيه ألا يأكل طعاما حتى يشتهيه،و يرفع يده عنه و هو يشتهيه:و ينبغى ألا يكون غرضه من الأكل التلذذ،بل حفظ القوه على تحصيل ما خلق لأجله،فيقتصر من أنواع الطعام على خبز البر فى بعض الأوقات،و على خبز الشعير فى بعضها،و لو ضم إليه الأدام فيكتفى بأدام واحد فى بعض الأحيان،و لا يواظب على اللحم،و لا يتركه بالمره،

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه،و من داوم عليه أربعين يوما قسى قلبه».

(الاعتدال فى الشهوه)

و الاعتدال أن يكتفى فى اليوم بليلته بأكله واحده فى وقت السحر، بعد الفراغ عن التهجد أو بعد صلاه العشاء،أو بأكلتين:التغدى و التعشى-

---

۱- ۱) الأعراف،الآيه: ۳۰.

إن لم يقدر على الاكتفاء بمره واحده-و قد استفاضت أخبار أئمتنا الراشدين -عليهم السّلام-بالحث على التعشى.

ثم للعرفاء ترغيبات على الجوع و تصريحات على كثره فوائده،و على توقف كشف الأسرار الإلهيه و الوصول إلى المراتب العظيمه عليه،و لهم حكايات فى إمكان الصبر عليه،و على عدم الأكل شهرا أو شهرين أو سنه و نقلوا حصوله عن بعضهم،و هذا أمر وراء ما وردت به السنه و كلفت به عموم الأمه،فإن كان ممدوحا فإنما هو لقوم مخصوصين.

و أما الجماع،فالاعتدال فيه أن يقتصر فيه على ما لا ينقطع عن النسل و يحصل له التحصن،و تزول به خطرات الشهوه،و لا يؤدى إلى ضعف البدن و القوى.

و أما غير الجنسين من الأنواع و النتائج و الآثار المتعلقه بالقوه الشهويه

اشاره

-و إن كان بعضها أعم الجنسين أو مساويا لهما-:

فمنها:

اشاره

حب الدنيا

اعلم أن للدنيا ماهيه فى نفسها و ماهيه فى حق العبد،أما ماهيه الدنيا و حقيقتها فى نفسها،فعباره عن أعيان موجوده:هى الأرض و ما عليها و الأرض هى العقار و الضياع و أمثالهما،و ما عليها تجمعه المعادن و النبات و الحيوان،و المعادن تطلب لكونها إما من الآلات و الزينه كالنحاس و الرصاص و الجواهر و أمثالها،أو من النقود كالذهب و الفضه،و النبات يطلب لكونه

من الأقوات أو الأدويه،و الحيوانات تطلب إما لملكيه أبدانها و استخدامها كالعبيد و الغلمان أو لملكيه قلوبها و تسخيرها ليترتب عليه التعظيم و الإكرام و هو الجاه،أو للتمتع و التلذذ بها كالجوارى و النسوان،أو للقوه و الاعتضاد كالأولاد.هذه هى الأعيان المعبر عنها بالدنيا،و قد جمعها اللّه سبحانه فى قوله:

زُيِّنَ لِلنّٰاسِ حُبُّ الشَّهَوٰاتِ مِنَ النِّسٰاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنٰاطِيرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعٰامِ وَ الْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتٰاعُ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا

(۱)

.

و حب جميع ذلك من رذائل قوه الشهوه،إلا حب تسخير القلوب لقصد الغلبه و الاستيلاء،فإنه من رذائل قوه الغضب-كما تقدم- و بذلك يظهر أن حب الدنيا المتعلق بقوه الشهوه أعم من الشره بأول تفسيريه -كما أشير إليه-.

و أما ماهيتها فى حق العبد،فعباره عن جميع ما له قبل الموت،كما أن بعد الموت عباره عن الآخره،فكل ما للعبد فيه نصيب و شهوه و حظ و غرض و لذه فى عاجل الحال قبل الوفاه فهى الدنيا فى حقه،و للعبد فيه علاقتان،علاقه بالقلب:و هو حبه له،و علاقه بالبدن:و هو إشغاله بإصلاحه،ليستوفى منه حظوظه.إلا أن جميع ما له إليه ميل و رغبه ليس بمذموم،و ذلك لأن ما يصحبه فى الدنيا و تبقى ثمرته معه بعد الموت-أعنى العلم النافع و العمل الصالح-فهو من الآخره فى الحقيقه،و إنما سمى بالدنيا

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۴.

باعتبار دنوه،فإن كلا من العالم و العابد قد يلتذ بالعلم و العباده بحيث يكون ذلك ألذ الأشياء عنده،فهو و إن كان حظا عاجلا له فى الدنيا إلا أنه ليس من الدنيا المذمومه،بل هو من الآخره فى الحقيقه،و إن عد من الدنيا من حيث دخوله فى الحس و الشهاده،فإن كل ما يدخل فيهما فهو من عالم الشهاده-أعنى الدنيا-و لذا جعل نبينا-صلّى اللّه عليه و آله- الصلاه من الدنيا،

حيث قال: «حبب إلى من دنياكم ثلاث:الطيب و النساء،و قره عينى فى الصلاه» ،مع أنها من أعمال الآخره.

فالدنيا المذمومه عباره عن حظ عاجل،لا يكون من أعمال الآخره و لا وسيله إليها،و ما هو إلا التلذذ بالمعاصى و التنعم بالمباحات الزائده على قدر الضروره فى تحصيل العلم و العمل.

و أما قدر الضروره من الرزق،فتحصيله من الأعمال الصالحه-كما نطقت به الأخبار-

قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: العباده سبعون جزءا،أفضلها طلب الحلال».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:

ملعون من ألقى كله على الناس».

و قال السجاد عليه السّلام: «الدنيا دنياءان:دنيا بلاغ،و دنيا ملعونه»

و قال الباقر عليه السلام: «من طلب الدنيا استعفافا عن الناس،و سعيا على أهله،و تعطفا على جاره،لقى اللّه- عز و جل-يوم القيامه و وجهه مثل القمر ليله البدر».

و قال الصادق عليه السّلام: «الكاد على عياله كالمجاهد فى سبيل اللّه».

و قال عليه السّلام «إن اللّه تبارك و تعالى ليحب الاغتراب فى طلب الرزق».

و قال عليه السّلام: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته و لا آخرته لدنياه».

و قال -عليه السّلام-: «لا تكسلوا فى طلب معايشكم،فإن آباءنا كانوا يركضون فيها و يطلبونها».

و قال له عليه السّلام رجل:«إنا لنطلب الدنيا و نحب أن نؤتاها،فقال:تحب أن تصنع بها ما ذا؟قال:أعود بها على نفسى

و عیالی،و أصل بها و أتصدق،و أحج و أعتمر،فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام:لیس هذا طلب الدنیا،هذا طلب الآخره».

و کان أبو الحسن علیه السّلام یعمل فی أرض قد استنقعت قدماه فی العرق،فقیل له:

«جعلت فداک!أین الرجال؟فقال:و قد عمل بالید من هو خیر منی فی أرضه و من أبی،فقیل:و من هو؟فقال:رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-و أمیر المؤمنین و آبائی کلهم کانوا قد عملوا بأیدیهم،و هو من عمل النبیین و المرسلین و الأوصیاء و الصالحین» و قد ورد بهذه المضامین أخبار کثیره أخر مشهوره.

تذنیب (لا بد للمؤمن من مکسب)

قد ظهر من هذه الأخبار أن الراجح-بل اللازم-لکل مؤمن أن یکون له مکسب طیب یحصل منه ما یحتاج إلیه من الرزق و غیره من المخارج المحموده،و قد صرح بذلک فی أخبار کثیره أخر،

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أوحی اللّه-عز و جل-إلی داود علیه السّلام:إنک نعم العبد لو لا أنک تأکل من بیت المال و لا تعمل بیدک شیئا،قال:فبکی داود أربعین صباحا،فأوحی اللّه-عز و جل-إلی الحدید أن لن لعبدی داود فألان اللّه له الحدید،و کان یعمل کل یوم درعا فیبیعها بألف درهم،فعمل ثلاثمائه و ستین درعا فباعها بثلاثمائه و ستین ألفا،و استغنی عن بیت المال».

و قال الصادق علیه السّلام «من أحبنا أهل البیت فلیأخذ من الفقر جلبابا

أو تجفافا»، و الجلباب:کنایه عن الستر علی فقره،و التجفاف (۱):

کنایه عن کسب طیب یدفع فقره.

و قیل له فی رجل قال:لأقعدن فی بیتی،و لأصومن،و لأعبدن ربی،فأما رزقی فسیأتینی:قال أبو عبد اللّه «هذا أحد الثلاثه الذین لا یستجاب لهم».

و هذا-أی ملکه تحصیل المال الحلال من المکاسب الطیبه و صرفها فی المخارج المحموده-هو الحریه بأحد المعنیین،إذ للحریه إطلاقان:

(أحدهما)ذلک،و هو الحریه بالمعنی الأخص،(و ثانیهما)التخلص عن أسر الهوی و عبودیه القوه الشهویه،و هو الحریه بالمعنی الأعم المرادفه، و ضده الرقیه بالمعنی الأعم الذی هو طاعه قوه الشهوه و متابعه الهوی.

و ضد الأول-أعنی الرقیه بالمعنی الأخص-هو افتقاره إلی الناس فیما یحتاج إلیه من الرزق،و القاء نظره إلی أیدیهم،و حواله رزقه علی أموالهم،إما علی وجه محرم،کالغصب و النهب و السرقه و أنواع الخیانات أو غیر محرم،کأخذ وجوه الصدقات و أوساخ الناس،بل مطلق الأخذ منهم إذا جعل یده یدا سفلی و یدهم یدا علیا.و لا ریب فی کون الرقیه بهذا المعنی مذمومه،إذ(الوجه الأول)محرم فی الشریعه و موجب للهلاک الأبدی،و(الوجه الثانی)و إن لم یکن محرما إذا کان فقیرا مستحقا، إلا أنه لإیجابه التوقع من الناس و کون نظره إلیهم یقتضی المذله و الانکسار و التخضع للناس و الرقیه و العبودیه لهم،و هذا یرفع الوثوق باللّه و الاعتماد و التوکل علیه،و ینجر ذلک إلی سلب التوکل علی اللّه بالکلیه،و ترجیح المخلوق علی الخالق،و هذا ینافی مقتضی الإیمان و المعرفه الواقعیه باللّه سبحانه

۱- ۱) التجفاف:آله للحرب یتقی بها کالدرع و عن تفسیر أمثال هذا الحدیث راجع الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من البحار ص ۶۵،ففیه تفصیل معناه و قد نقل عن ابن الأثیر فی النهایه،و ابن أبی الحدید فی شرحه:کلاما فی هذا الباب.

فصل (الدنيا المذمومه هی الهوی)

قد ظهر مما ذکر:أن الدنیا المذمومه حظ نفسک الذی لا حاجه إلیه لأمر الآخره،و یعبر عنه بالهوی،و إلیه أشار قوله تعالی:

وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَویٰ فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِیَ الْمَأْویٰ

(۱)

.

و مجامع الهوی هی المذکوره فی قوله تعالی:

أَنَّمَا الْحَیٰاهُ الدُّنْیٰا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَهٌ وَ تَفٰاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَ تَکٰاثُرٌ فِی الْأَمْوٰالِ وَ الْأَوْلاٰدِ

(۲)

.

و الأعیان التی تحصل منها هذه الأمور هی المذکوره فی قوله سبحانه:

زُیِّنَ لِلنّٰاسِ حُبُّ الشَّهَوٰاتِ مِنَ النِّسٰاءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَنٰاطِیرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَیْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعٰامِ وَ الْحَرْثِ ذٰلِکَ مَتٰاعُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ اللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ

(۳)

.

فهذه أعیان الدنیا،و للعبد معها علاقتان:

۱- ۱) النازعات،الآیه:۴۰.

۲- ۲) الحدید،الآیه:۲۰.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۴.

(علاقه مع القلب):و هی حبه لها و حظه منها و انصراف همه إلیها حتی یصیر قلبه کالعبد أو المحب المستهتر بها،و یدخل فی هذه العلاقه جمیع صفات القلب المتعلقه بالدنیا:کالریاء،و السمعه،و سوء الظن،و المداهنه و الحسد،و الحقد،و الغل،و الکبر،و حب المدح،و التفاخر و التکاثر.

فهذه هی الدنیا الباطنه،و الظاهره هی الأعیان المذکوره.

و(علاقه مع البدن):و هو اشتغاله بإصلاح هذه الأعیان لتصلح لحظوظه و حظوظ غیره،و هذا الاشتغال عباره عن الصناعات و الحرف التی اشتغل الناس بها،بحیث أنستهم أنفسهم و خالقهم و أغفلتهم عما خلقوا لأجله،و لو عرفوا سبب الحاجه إلیها و اقتصروا علی قدر الضروره،لم یستغرقهم اشتغال الدنیا و الانهماک فیها،و لما جهلوا بالدنیا و حکمتها و حظهم منها لم یقتصروا إلا علی قدر الاحتیاج،فأوقعوا أنفسهم فی أشغالها،و تتابعت هذه الأشغال و اتصلت بعضها ببعض،و تداعت إلی غیر نهایه محدوده، فغفلوا عن مقصودها،و تاهوا فی کثره الأشغال.فإن أمور الدنیا لا یفتح منها باب إلا و تنفتح لأجله عشره أبواب أخر،و هکذا یتداعی إلی غیر حد محصور،و کأنها هاویه لا نهایه لعمقها،و من وقع فی مهواه منها سقط منها إلی أخری...و هکذا علی التوالی.أ لا تری أن ما یضطر إلیه الإنسان بالذات منحصر بالمأکل و الملبس و المسکن؟و لذلک حدثت الحاجه إلی خمس صناعات هی أصول الصناعات:الفلاحه،و الرعایه للمواشی،و الحیاکه و البناء و الاقتناص-أی تحصیل ما خلق اللّه من الصید و المعادن و الحشائش و الأحطاب-و تترتب علی کل من هذه الصناعات صناعات أخر،و هکذا إلی أن حدثت جمیع الصناعات التی نراها فی العالم،و ما من أحد إلا و هو مشتغل بواحده منها أو أکثر،إلا أهل البطاله و الکساله،حیث غفلوا عن الاشتغال فی أول الصبا،أو منعهم مانع و استمروا علی غفلتهم و بطالتهم،حتی نشأوا

بلا شغل و اكتساب،فاضطروا إلى الأخذ مما يسعى فيه غيرهم،و لذلك حدثت حرفتان خبيثتان هى(اللصوصيه)و(الكديه) (۱)و لكل واحد منهما أنواع غير محصوره لا تخفى على المتأمل.

فصل (ذم الدنيا و أنها عدوه اللّه و الإنسان)

اعلم أن الدنيا عدوه للّه و لأوليائه و لأعدائه:أما عداوتها للّه،فإنها قطعت الطريق على العباده،و لذلك لم ينظر إليها مذ خلقها،كما ورد فى الأخبار (۲)و أما عداوتها لأوليائه و أحبائه،فإنها تزينت لهم بزينتها و عمتهم بزهرتها و نضارتها،حتى تجرعوا مراره الصبر فى مقاطعتها.و أما عداوتها لأعدائه،فإنها استدرجتهم بمكرها و مكيدتها و اقتنصتهم بشباكها و حبائلها حتى وثقوا بها و عولوا عليها،فاجتبوا منها حيره و ندامه تنقطع دونها الأكباد،ثم حرمتهم عن السعاده أبد الآباد،فهم على فراقها يتحسرون و من مكائدها يستغيثون و لا يغاثون،بل يقال لهم:

اِخْسَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تُكَلِّمُونِ

(۳)

. أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا بِالْآخِرَهِ فَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ (۴).

۱- ۱) قال فى المنجد:الكديه:الاستعطاء و حرفه السائل الملح.

۲- ۲) سيأتى الخبر بهذا المعنى-ص ۲۶-و هو عامى.

۳- ۳) المؤمنون،الآيه:۱۰۹.

۴- ۴) البقره،الآيه:۸۶.

و الآیات الوارده فی ذم الـدنیا و حبها کثیره،و أکثر القرآن مشـتمل علی ذلک و صـرف الخلق عنها و دعوتهم إلی الآخره،بل هو المقصود من بعثه الأنبیاء،فلا حاجه إلی الاستشـهاد بآیات القرآن لظهورها.فلنشر إلی نبذه من الأخبار الوارده فی ذم الدنیا و حبها و فی سرعه زوالها،

قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لو کانت الدنیا تعدل عند اللّه جناح بعوضه ما سقی کافرا منها شربه ماء».

و قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «الدنیا ملعونه،ملعون ما فیها إلا ما کان للّه منها»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم- :«الدنیا سجن المؤمن و جنه الکافر»

و قـال-صـلّی اللّه علیه و آله و سـلم-: «من أصبـح و الـدنیا أکبر همه فلیس من اللّه فی شـیء،و ألزم اللّه قلبه أربع خصـال:هما لا ینقطع عنه أبدا،و شغلا لا یتفرغ منه أبدا و فقرا لا ینال غناه أبدا.و أملا لا یبلغ منتهاه أبدا،

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «یا عجبا کل العجب للمصدق بدار الخلود و هو یسعی لدار الغرور!».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «لتأتینکم بعدی دنیا تأکل إیمانکم کما تأکل النار الحطب».

و قـال: «ألهـاکم التکـاثر،یقول ابن آدم:مـالی مـالی.و هـل لـک من مالـک إلاـ مـا تصـدقت فـأبقیت،أو أکلت فأفنیت،أو لبسـت فأبلیت؟».

و قال: «أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی:لا ترکنن إلی حب الدنیا،فلن تأتین بکبیره هی أشد علیک منها»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «حب الدنیا رأس کل خطیئه».

و قال -صلّی اللّه علیه و آله-: «من أحب دنیاه أضر بآخرته و من أحب آخرته أضر بدنیاه،فآثروا ما یبقی علی ما یفنی».

و مر-صـلّی اللّه علیه و آله-علی مزبله،فوقف علیهـا و قال:«هلموا إلی الـدنیا!و أخـذ خرقا قـد بلیت علی تلک المزبله و عظاما قد نخرت،فقال:ذه الدنیا!»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله- «إن اللّه لم یخلق خلقا أبغض إلیه

من الدنيا،و إنه لم ينظر إليها منذ خلقها».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله- «الدنيا دار من لا دار له و مال من لا مال له،و لها يجمع من لا عقل له،و عليها يعادى من لا علم عنده،و عليها يحسد من لا فقه له،و لها يسعى من لا يقين له».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «لما هبط آدم من الجنه إلى الأرض قال له:إن للخراب ولد للفناء».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «لتجيئن أقوام يوم القيامه و أعمالهم كجبال تهامه.فيؤمر بهم إلى النار،فقيل:يا رسول اللّه!أ مصلين؟قال:

نعم،!كانوا يصومون و يصلون و يأخذون هنيئه من الليل،فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «هل منكم من يريد أن يذهب اللّه عنه العمى و يجعله بصيرا؟ألا إنه من رغب فى الدنيا و طال فيها أمله أعمى اللّه قلبه على قدر ذلك،و من زهد فى الدنيا و قصر أمله فيها أعطاه اللّه علما بغير تعلم و هدى بغير هدايه».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «فو اللّه ما الفقر أخشى عليكم،و لكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم،فتنافسوها كما تنافسوها،و تهلككم كما اهلكتهم»

و قال: «أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج اللّه لكم من بركات الأرض،فقيل:ما بركات الأرض؟قال:

زهره الدنيا».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه و هو لا يشعر».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «سيأتى قوم بعدى يأكلون أطايب الطعام و أنواعها،و ينكحون أجمل النساء و ألوانها،و يلبسون ألين الثياب و ألوانها و يركبون أقوى الخيل و ألوانها،لهم بطون من القليل لا تشبع،و أنفس بالكثير لا تقنع،عاكفين على الدنيا،يغدون و يروحون إليها،اتخذوها آلهه دون إلههم و ربا دون ربهم إلى أمرهم ينتهون و هواهم يلعبون،فعزيمه

من محمـد بن عبـد اللّه لمن أدرك ذلـک الزمـان من عقب عقبکم و خلف خلفکم أبـدا لا یسـلم علیهم و لا یعود مرضاهم و لا یتبع جنائزهم و لا یوقر کبیرهم و من فعل ذلک فقد أعان علی هدم الإسلام».

و قـال-صـلّی اللّه علیه و آله-: «مـا لی و للـدنیا و مـا أنـا و الـدنیا؟!إنمـا مثلی و مثلها کمثل راکب سار فی یوم صائف،فرفعت له شجره،فقال تحت ظلها ساعه،ثم راح و ترکها»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «احذروا الدنیا،فإنها أسحر من هاروت و ماروت».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «حق علی اللّه ألا یرفع شیئا من الدنیا إلا وضعه».

و قـال عیسـی بـن مریم-علیه السّـلام- «ویـل لصـاحب الـدنیا!کیـف یمـوت و یترکهـا،و یأمنهـا و تغره،و یثـق بهـا و تخـذله،ویل للمغترین!کیف ألزمهم ما یکرهون،و فارقهم ما یحبون، و جاءهم ما یوعدون،ویل لمن أصـبحت الدنیا همه و الخطایا عمله!کیف یفتضح غدا بذنبه».

و قال-علیه السّلام-: «من ذا الذی یبنی علی أمواج البحر دارا تلکم الدنیا،فلا تتخذوها قرارا».

و قال علیه السّلام «لا یستقیم حب الدنیا و الآخره فی قلب مؤمن،کما لا یستقیم الماء و النار فی إناء واحد».

و أوحی اللّه-تعـالی-إلی موسـی:«یـا موسـی:!مـا لـک و لـدار الظـالمین!إنها لیست لک بـدار،اخرج منها همک و فارقها بعقلک فبئست الدار هی،إلا لعامل یعمل فیها فنعمت الدار هی،یا موسی! إنی مرصد للظالم حتی آخذ منه للمظلوم».

و أوحی إلیه:«یا موسی! لا ترکنن إلی حب الدنیا،فلن تأتین بکبیره هی أشد منها».

و مر موسـی علیه السّـلام برجل و هو یبکی،و رجع و هو یبکی،فقال موسـی:«یا رب عبدک یبکی من مخافتک،فقال تعالی:یا بن عمران!لو نزل دماغه مع عینیه و رفع یدیه حتی یسقطا لم أغفر له و هو یحب الدنیا!».

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام بعد ما قیل له صف لنا الدنیا-:

«و ما أصف لک من دار من صح فیها سقم،و من أمن فیها ندم،و من افتقر فیها حزن،و من استغنی فیها افتتن،فی حلالها الحساب،و فی حرامها العقاب».

و قال-علیه السّلام-: «إنما مثل الدنیا کمثل الحیه ما ألین مسها و فی جوفها السم الناقع،یحذرها الرجل العاقل و یهوی إلیها الصبی الجاهل».

و قال فی وصف الدنیا: «ما أصف من دار أولها عناء و آخرها فناء،فی حلالها حساب و فی حرامها عقاب،من استغنی فیها فتن،و من افتقر فیها حزن،و من ساعاها فاتته،و من قعد عنها آتته، و من بصر بها بصرته،و من أبصر إلیها أعمته»،

و قال علیه السّلام فی بعض مواعظه: «ارفض الدنیا،فإن حب الدنیا یعمی و یصم و یبکم و یذل الرقاب،فتدارک ما بقی من عمرک،و لا تقل غدا و بعد،فإنما هلک من کان قبلک بإقامتهم علی الأمانی و التسویف،حتی أتاهم أمر اللّه بغته و هم غافلون فنقلوا علی أعوادهم إلی قبورهم المظلمه الضیقه،و قد أسلمهم الأولاد و الأهلون،فانقطع إلی اللّه بقلب منیب.من رفض الدنیا و عزم لیس فیه انکسار و لا انخذال».

و قال-علیه السّلام-: «لا تغرنکم الحیاه الدنیا فإنها دار بالبلاء محفوفه،و بالفناء معروفه،و بالغدر موصوفه،فکل ما فیها إلی زوال،و هی بین أهلها دول و سجال،لا تدوم أحوالها،و لا یسلم من شرها نزالها،بینا أهلها منها فی رخاء و سرور إذا هم منها فی بلاء و غرور أحوال مختلفه،و تارات متصرمه،العیش فیها مذموم،و الرخاء فیها لا یدوم،و إنما أهلها فیها أغراض مستهدفه،ترمیهم بسهامها،و تفنیهم بحمامها. و اعلموا عباد اللّه انکم و ما أنتم فیه من هذه الدنیا علی سبیل من قد مضی،ممن کان أطول منکم أعمارا،و أشد منکم بطشا،و أعمر دیارا و أبعد آثارا،فأصبحت أصواتهم هامده خامده من بعد طول تقلبها، و أجسادهم بالیه،و دیارهم علی عروشها خاویه،و آثارهم عافیه،استبدلوا

بالقصور المشيده و السرر و النمارق الممهده الصخور و الأحجار المسنده فى القبور اللاطئه الملحده فمحلها مقترب،و ساكنها مغترب،بين أهل عماره موحشين،و أهل محله متشاغلين،لا يستأنسون بالعمران،و لا يتواصلون تواصل الجيران الإخوان،على ما بينهم من قرب الجوار و دنو الدار،و كيف يكون بينهم تواصل،و قد طحنهم بكلكله البلاء،و أكلتهم الجنادل و الثرى و أصبحوا بعد الحياه أمواتا،و بعد نضاره العيش رفاتا،فجع بهم الأحباب و سكنوا تحت التراب،و ظعنوا فليس لهم إياب،هيهات هيهات! كَلاّٰ إِنَّهٰا كَلِمَهٌ هُوَ قٰائِلُهٰا وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (۱).

فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى و الوحده فى دار المثوى، و ارتهنتم فى ذلك المضجع،و ضمكم ذلك المستودع،و كيف بكم لو عاينتم الأمور،و بعثرت القبور،و حصل ما فى الصدور،و أوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل،فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب،و هتكت عنكم الحجب و الأستار،فظهرت منكم العيوب و الأسرار،هنالك.

تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ

(۲)

.

و قال أيضا-عليه السّلام-فى بعض خطبه: «أوصيكم بتقوى اللّه و الترك للدنيا التاركه لكم،و إن كنتم لا تحبون تركها،المبليه أجسامكم و أنتم تريدون تجديدها،فإنما مثلكم و مثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا طريقا

۱- ۱) المؤمنون،الآيه:۱۰۱.

۲- ۲) المؤمن،الآيه:۱۷.

و كأنهم قد قطعوه،و أفضوا إلى علم،فكأنهم قد بلغوه،و كم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى إلى الغايه،و كم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا،و طالب حثيث يطلبه حتى يفارقها،فلا تجزعوا لبؤسها و ضرائها فإنه إلى انقطاع،و لا تفرحوا بمتاعها و نعمائها فإنه إلى زوال،عجبت لطالب الدنيا و الموت يطلبه،و غافل و ليس بمغفول عنه».

و قال السجاد-عليه السّلام-: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبره، و إن الآخره قد ارتحلت مقبله،و لكل واحده منهما بنون،فكونوا من أبناء الآخره و لا تكونوا من أبناء الدنيا،ألا و كونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخره،ألا إن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطا و التراب فراشا و الماء طيبا،و قرضوا من الدنيا تقريضا،ألا و من اشتاق إلى الجنه سلا عن الشهوات،و من أشفق من النار رجع عن المحرمات،و من زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب،ألا إن للّه عبادا كمن رأى أهل الجنه فى الجنه مخلدين،و كمن رأى أهل النار فى النار معذبين،شرورهم مأمونه و قلوبهم محزونه،أنفسهم عفيفه،و حوائجهم خفيفه،صبروا أياما قليله،فصاروا بعقبى راحه طويله، أما الليل فصافون أقدامهم،تجرى دموعهم على خدودهم،و هم يجأرون إلى ربهم،يسعون فى فكاك رقابهم،و أما النهار فحلماء علماء برره أتقياء كأنهم القداح،قد براهم الخوف من العباده، ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى،و ما بالقوم من مرض،أم خولطوا، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار و ما فيها».

و قال-عليه السّلام- «ما من عمل بعد معرفه اللّه-عز و جل-و معرفه رسوله-صلّى اللّه عليه و آله-أفضل من بغض الدنيا،فإن ذلك لشعبا كثيره،و للمعاصى شعبا فأول ما عصى اللّه به الكبر معصيه إبليس حين أبى و استكبر و كان من الكافرين ثم الحرص،و هى معصيه آدم و حواء حين قال اللّه-عز و جل-لهما:

فَكَلاٰ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمٰا وَ لاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَكُونٰا مِنَ الظّٰالِمِينَ

(۱)

.

فأخذا ما لا حاجه بهما إليه،فدخل ذلک علی ذریتهما إلی یوم القیامه و ذلک أن أکثر ما یطلب ابن آدم ما لا حاجه به إلیه.ثم الحسد،و هو معصیه ابن آدم حیث حسد أخاه فقتله،فتشعب من ذلک حب النساء و حب الدنیا،و حب الرئاسه،و حب الراحه،و حب الکلام،و حب العلو و الثروه،فصرن سبع خصال،فاجتمعن کلهن فی حب الدنیا.فقال الأنبیاء و العلماء-بعد معرفه ذلک-:حب الدنیا رأس کل خطیئه، و الدنیا دنیاءان:دنیا بلاغ و دنیا ملعونه».

و قال الباقر علیه السّلام لجابر:

«یا جابر!إنه من دخل قلبه صافی خالص دین اللّه شغل قلبه عما سواه یا جابر!ما الدنیا و ما عسی أن تکون الدنیا؟!هل هی إلا طعام أکلته أو ثوب لبسته،أو امرأه أصبتها؟یا جابر!إن المؤمنین لم یطمئنوا إلی الدنیا ببقائهم فیها،و لم یأمنوا قدومهم الآخره.یا جابر!الآخره دار قرار،و الدنیا دار فناء و زوال،و لکن أهل الدنیا أهل غفله،و کان المؤمنون هم الفقهاء أهل فکره و عبره،لم یصمهم عن ذکر اللّه-جل اسمه-ما سمعوا بآذانهم،و لم یعمهم عن ذکر اللّه ما رأوا من الزینه بأعینهم ففازوا بثواب الآخره کما فازوا بذلک العلم» (۲)

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۹.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الکافی فی باب ذم الدنیا،و صدر الحدیث هکذا: «قال جابر:دخلت علی أبی جعفر-علیه السّلام-فقال:یا جابر!و اللّه لمحزون! و إنی لمشغول القلب،قلت:جعلت فداک!و ما شغلک و ما حزن قلبک...»إلی آخر الحدیث.

و قال الصادق-علیه السّلام-: «مثل الدنیا کمثل ماء البحر،کلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتی یقتله».

و قال: فیما ناجی اللّه-عز و جل-به موسی:

«یا موسی!لا ترکن إلی الدنیا رکون الظالمین و رکون من اتخذها أبا و أما یا موسی!لو وکلتک إلی نفسک لتنظر لها إذن لغلب علیک حب الدنیا و زهرتها یا موسی!نافس فی الخیر أهله و استبقهم إلیه،فإن الخیر کاسمه،و اترک من الدنیا ما بک الغنی عنه و لا تنظر عینک إلی کل مفتون بها و موکل إلی نفسه،و اعلم أن کل فتنه بدؤها حب الدنیا،و لا تغبط أحدا بکثره المال فإن مع کثره المال تکثر الذنوب لواجب الحقوق و لا تغبطن أحدا برضی الناس عنه.حتی یتعلم أن اللّه راض عنه،و لا تغبطن مخلوقا بطاعه الناس له،فإن طاعه الناس له و اتباعهم إیاه علی غیر الحق هلاک له و لمن تبعه»

و أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی و هارون لما أرسلهما إلی فرعون:«لو شئت أن أزینکما بزینه من الدنیا،یعرف فرعون حین یراها أن مقدرته تعجز عما أوتیتما لفعلت،و لکنی أرغب لکما عن ذلک و أزوی ذلک عنکما و کذلک أفعل بأولیائی،إنی لأزویهم عن نعیمها،کما یزوی الراعی الشفیق غنمه عن مواقع الهلکه،و إنی لأجنبهم عیش سلوتها،کما یجنب الراعی الشفیق إبله عن مواقع الغره،و ما ذلک لهوانهم علی،و لکن لیستکلموا نصیبهم من کرامتی سالما موفرا،إنما یتزین لی أولیائی:بالذل و الخشوع و الخوف و التقوی».

و قال الکاظم-علیه السّلام-: «قال أبو ذر -رحمه اللّه-:جزی اللّه الدنیا عن مذمه بقدر رغیفین من الشعیر،أتغدی بأحدهما و أتعشی بالآخر،و بعد شملتی الصوف،أتزر بأحداهما و أتردی بالأخری».

و قال لقمان لابنه:«یا بنی!بع دنیاک بآخرتک تربحهما جمیعا،و لا تبع آخرتک بدنیاک تخسرهما جمیعا.و قال له:«یا بنی! إن الدنیا بحر عمیق،قد غرق فیها ناس کثیر،فلتکن سفینتک فیها تقوی

اللّه-عز و جل-و حشوها الإيمان،و شراعها التوكل على اللّه،لعلك ناج و ما أراك ناجيا».و قال:«يا بنى!إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا و لم يبق من جمعوا له،و إنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل و وعدت عليه أجرا،فأوف عملك و استوف أجرك،و لا تكن فى هذه الدنيا بمنزله شاه وقعت فى زرع أخضر فأكلت حتى سمنت،فكان حتفها عند سمنها،و لكن اجعل الدنيا بمنزله قنطره على نهر جزت عليها و تركتها،و لم ترجع إليها آخر الدهر،أخر بها و لا تعمر،فإنك لم تؤمر بعمارتها،و اعلم أنك ستسأل غدا إذا وقفت بين يدى اللّه-عز و جل-عن أربع:شبابك فيما أبليته،و عمرك فيما أفنيته،و مالك مما اكتسبته.

و فيما أنفقته،فتأهب لذلك،و أعد له جوابا،و لا تأس على ما فاتک من الدنيا.فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه،و كثيرها لا يؤمن بلاؤه،فخذ حذرك و جد فى أمرك،و اكشف الغطاء عن وجهك،و تعرض لمعروف ربك، و جدد التوبه فى قلبك،و اكمش فى فراغك قبل أن يقصد قصدك،و يقضى قضاؤك،و يحال بينك و بين ما تريد».

و قال بعض الحكماء:«الدنيا دار خراب،و أخرب منها قلب من يعمرها.و الجنه دار عمران،و أعمر منها قلب من يعمرها».و قال بعضهم:«الدنيا لمن تركها،و الآخره لمن طلبها».و قال بعضهم:

«إنك لن تصبح فى شىء من الدنيا إلا و قد كان له أهل قبلك،و يكون له أهل بعدك،و ليس لک من الدنيا إلا عشاء ليله و غداء يوم،فلا تهلك نفسك فى أكله،و صم الدنيا،و أفطر على الآخره،فإن رأس مال الدنيا الهوى،و ربحها النار». و قال بعض أكابر الزهاد:«الدنيا تخلق الأبدان و تجدد الآمال،و تقرب المنيه،و تبعد الأمنيه،و من ظفر بها تعب،و من فاتته نصب»،و قال بعضهم:«ما فى الدنيا شىء يسرك إلا و قد التزق

به شیء یسؤک».و قال آخر:«لا تخرج نفس ابن آدم من الدنیا إلا بحسرات ثلاث:إنه لم یشبع مما جمع،و لم یدرک ما أمل،و لم یحسن الزاد لما قدم علیه» و قال حکیم:کانت الدنیا و لم أکن فیها،و تذهب و لا أکون فیها،فکیف أسکن إلیها؟فإن عیشها نکد،و صفوها کدر،و أهلها منها علی وجل،إما بنعمه زائله،أو بلیه نازله،أو منیه قاضیه».

و قال بعض العرفاء:«الدنیا حانوت الشیطان،فلا تسرق من حانوته شیئا،فیجیء فی طلبک و یأخذک».و قال بعضهم:«لو کانت الدنیا من ذهب یفنی و الآخره من خزف یبقی،لکان ینبغی أن یختار العاقل خزفا یبقی علی ذهب یفنی،فکیف و الآخره ذهب یبقی و الدنیا أدون من خزف یفنی؟»

و قد ورد: «أن العبد إذا کان معظما للدنیا،یوقف یوم القیامه،و یقال:هذا عظم ما حقره اللّه».

و روی: «أنه لما بعث النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-أتت إبلیس جنوده،فقالوا:قد بعث نبی و أخرجت أمه،قال:یحبون الدنیا؟قالوا:نعم!قال:إن کانوا یحبونها ما أبالی ألا یعبدوا الأوثان،و أنا أغدو علیهم و أروح بثلاثه:

أخذ المال من غیر حقه،و إنفاقه فی غیر حقه،و إمساکه عن حقه، و الشر کله لهذا تبع».

و روی: «أنه أوحی اللّه تعالی إلی بعض أنبیائه احذر مقتک،فتسقط من عینی،فاصب علیک الدنیا صبا». و قال بعض الصحابه:«ما أصبح أحد من الناس فی الدنیا إلا و هو ضیف،و ما له عاریه.فالضیف مرتحل،و العاریه مردوده».و قال بعضهم:«إن اللّه جعل الدنیا ثلاثه أجزاء:جزء للمؤمن،و جزء للمنافق،و جزء للکافر.

فالمؤمن یتزود،و المنافق یتزین،و الکافر یتمتع».و قیل:«من أقبل علی الدنیا أحرقته نیرانها حتی یصیر رمادا،و من أقبل علی الآخره صفته نیرانها فصار سبیکه ذهب ینتفع بها،و من أقبل علی اللّه سبحانه،أحرقته

نیران التوحید،فصار جوهرا لا حد لقیمته». و قیل أیضا:«العقلاء ثلاثه:من ترک الدنیا قبل أن تترکه،و بنی قبره قبل أن یدخله و أرضی خالقه قبل أن یلقاه».و سأل بعض الأمراء رجلا بلغ عمره مائتی سنه عن الدنیا،فقال:

«سنیات بلاء و سنیات رخاء،یوم فیوم،و لیله فلیله،یولد ولد،و یهلک هالک، فلو لا المولود باد الخلق،و لو لا الهالک لضاقت الدنیا بمن فیها»،فقال له الأمیر:سل ما شئت،قال:«أرید منک أن ترد علی ما مضی من عمری،و تدفع عنی ما حضر من أجلی»،قال:لا أملک ذلک،قال:

«فلا حاجه لی إلیک».

و الأخبار و الآثار فی ذم الدنیا و حبها،و فی سرعه زوالها و عدم الاعتبار بها،و فی هلاک من یطلبها و یرغب إلیها،و فی ضدیتها للآخره،أکثر من أن تحصی.و ما ورد فی ذلک من کلام أئمتنا الراشدین،(لا)سیما عن مولانا أمیر المؤمنین-صلوات اللّه علیهم أجمعین إلی یوم الدین-فیه بلاغ لقوم زاهدین.و من تأمل فی خطب علی علیه السّلام و مواعظه کما فی نهج البلاغه و غیره-یظهر له خساسه الدنیا و رذالتها. و قضیه السؤال و الجواب بین روح الأمین و نوح فی کیفیه سرعه زوال الدنیا مشهوره، و حکایه مرور روح اللّه علی قریه هلک أهلها من حب الدنیا معروفه (۱) و لعظم آفه الدنیا و حقارتها و مهانتها عند اللّه،لم یرضها لأحد من أولیائه و حذرهم عن غوائلها،فتزهدوا فیها و أکلوا منها قصدا،و قدموا فضلا أخذوا منها ما یکفی،و ترکوا ما یلهی،لبسوا من الثیاب ما ستر العوره، و أکلوا من الطعام ما سد الجوع،نظروا إلی الدنیا بعین أنها فانیه،و إلی الآخره أنها باقیه،فتزودوا منها کزاد الراکب،فخربوا الدنیا و عمروا

۱- ۱) ذکرها(الکافی)عن أبی عبد اللّه الصادق(ع)فی باب حب الدنیا بتمامها.

بها الآخره،و نظروا إلى الآخره بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم صبروا قليلا و نعموا طويلا.

فصل (خسائس صفات الدنيا)

اعلم أن للدنيا صفات خسيسه قد مثلت فى كل صفه بما تماثله فيها فمثالها فى سرعه الفناء و الزوال و عدم الثبات:مثل النبات الذى اختلط به ماء السماء فاخضر،ثم أصبح هشيما تذروه الرياح،أو كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه،أو كقنطره تعبر عنها و لا تمكث عليها.و فى كونها مجرد الوهم و الخيال،و كونها مما لا أصل لها و لا حقيقه،كفىء الظلال، أو خيالات المنام و أضغاث الأحلام،فإنك قد تجد فى منامك ما تهواه، فإذا استيقظته ليس معك منه شيء.

و فى عداوتها لأهلها و إهلاكها إياهم:بامرأه تزينت للخطاب،حتى إذا نكحتهم ذبحتهم.

فقد روى: «أن عيسى عليه السّلام كوشف بالدنيا فرآها فى صوره عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينه،فقال لها:كم تزوجت؟قالت:لا أحصيهم،قال:فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟قالت:بل كلهم قتلت،فقال عيسى-عليه السّلام-:بؤسا لأزواجك الباقين،كيف لا يعتبرون بالماضين؟كيف تهلكينهم واحدا واحدا و لا يكونون منك على حذر؟!».

و فى مخالفه باطنها لظاهرها:كعجوز متزينه تخدع الناس بظاهرها.

فإذا وقفوا على باطنها و كشفوا القناع عن وجهها،ظهرت لهم قبائحها

روی: «أنه یؤتی بالدنیا یوم القیامه فی صوره عجوز شمطاء زرقاء،أنیابها بادیه،مشوه خلقها،فتشرف علی الخلائق،و یقال لهم:تعرفون هذه فیقولون:نعوذ باللّه من معرفه هذه!فیقال:هذه الدنیا التی تفاخرتم علیها،و بها تقاطعتم الأرحام،و بها تحاسدتم و تباغضتم و أغررتم،ثم یقذف بها فی جهنم،فتنادی:أی رب!أین أتباعی و أشیاعی؟فیقول اللّه -عز و جل-:ألحقوا بها أتباعها و أشیاعها».

و فی قصر عمرها لکل شخص بالنسبه إلی ما تقدمه من الأزل و ما یتأخر عنه من الأبد:کمثل خطوه واحده،بل أقل من ذلک،بالنسبه إلی سفر طویل،بل بالنسبه إلی کل مسافه الأرض أضعافا غیر متناهیه.

و من رأی الدنیا بهذه العین لم یرکن إلیها،و لم یبال کیف انقضت أیامه فی ضیق و ضر أو فی سعه و رفاهیه،بل لا یبنی لبنه علی لبنه.توفی سید الرسل صلّی اللّه علیه و آله و ما وضع لبنه علی لبنه و لا قصبه علی قصبه.

و رأی بعض أصحابه یبنی بیتا من جص،فقال:«أری الأمر أعجل من هذا». و إلی هذا

أشار عیسی علیه السّلام حیث قال: «الدنیا قنطره، فاعبروها و لا تعمروها».

و فی نعومه ظاهرها و خشونه باطنها:مثل الحیه التی یلین مسها و یقتل سمها.

و فی قله ما بقی منها بالإضافه إلی ما سبق:مثل ثوب شق من أوله إلی آخره،فبقی متعلقا فی آخره،فیوشک ذلک الخیط أن ینقطع.

و فی قله نسبتها إلی الآخره:کمثل ما یجعل أحد إصبعه فی الیم،فلینظر بم یرجع إلیه من الأصل.

و فی تأدیه علائقها بعض إلی بعض حتی ینجر إلی الهلاک:کماء البحر کلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتی یقتله.

و فی تـأدیه الحرص علیها إلی الهلاک غما:کمثل دوده القز کلما ازدادت علی نفسـها لفا کان أبعـد لها من الخروج حتی تموت غما.

و فی تعذر الخلاص من تبعاتها و استحاله عدم التلوث بقاذوراتها بعد الخوض فیها:کالماشی فی الماء،فإنه یمتنع ألا تبتل قدماه.

و فی نضـاره أولهـا و خباثه عاقبتها:کالأطعمه التی تؤکل،فکما أن الطعام کلما کان ألـذ طعما و أکثر دسومه کان رجیعه أقـذر و أشـد نتنـا، فکـذلک کـل شـهوه من شـهوات الـدنیا التی کانت للقلب أشـهی و أقوی، فنتنها و کراهیتها و التأذی بها عنـد الموت أشد،و هذا مشاهد فی الدنیا.

فإن المصیبه و الألم و التفجع فی کل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده و حرصه علیه و حبه له،و لذا تری أن من نهبت داره و أخذت أهله و أولاده، یکون تفجعه و ألمه أشـد مما إذا أخـذ عبـد من عبیده،فکل ما کان عند الوجود أشـهی عنده و الذ،فهو عند الفقد أدهی و أمر،و ما للموت معنی إلا فقد ما فی الدنیا.

و فی تنعم الناس بها ثم تفجعهم علی فراقها:مثل طبق ذهب علیه بخور و ریاحین،فی دار رجل هیأه فیها،و دعا الناس علی الترتیب واحـدا بعـد واحـد لیـدخلوا داره،و یشـمه کل واحـد و ینظر إلیه،ثم یترکه لمن یلحقه،لا لیتملکه و یأخـذه،فـدخل واحـد و جهل رسـمه،فظن أنه قـد وهب ذلـک له،فتعلق به قلبه،لمـا ظن أنه له،فلما استرجع منه ضـجر و تألم، و من کان عالما برسـمه انتفع به و شکره و رده بطیب قلب و انشـراح صدر.فکذلک من عرف سـنه اللّه فی الدنیا،علم أنها دار ضیافه سبلت علی المجتازین لینتفعوا بما فیها،کما ینتفع المسافر بالعواری،ثم یترکوها و یتوجهوا إلی مقصدهم من دون صـرف قلوبهم إلیها،حتی تعظم مصـیبتهم عند فراقها،و من جهل سنه اللّه فیها،ظن أنها مملوکه له،فیتعلق بها

قلبه،فلما أخذت منه عظمت بليته و اشتدت مصيبته.

و فی اغترار الخلق بها و ضعف إيمانهم بقوله تعالى فی تحذيره إياهم غوائلها:كمفازه غبراء لا نهايه لها،سلكوها قوم و تاهوا فيها بلا زاد و ماء و راحله،فأيقنوا بالهلاك،فبيناهم كذلك إذ خرج عليهم رجل و قال:

أ رأيتم إن هديتكم إلى رياض خضر و ماء رواء ما تعملون؟قالوا:لا نعصيك فی شیء.فأخذ منهم عهودا و مواثيق على ذلك،فأوردهم ماء رواء و رياضا خضراء،فمكث فيهم ما شاء اللّه،ثم قال:الرحيل!قالوا:إلى أين؟قال:إلى ماء ليس كمائكم،و إلى رياض ليست كرياضكم.فقال أكثرهم:لا نريد عيشا خيرا من هذا،فلم يطيعوه.و قالت طائفه -و هم الأقلون-:ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم و مواثيقكم باللّه ألا تعصوه و قد صدقكم فی أول حديثه؟فو اللّه إنه صادق فی هذا الكلام أيضا! فأتبعه هذا الأقل،فذهب فيهم إلى أن أوردهم فی ماء و رياض أحسن بمراتب شتى مما كانوا فيه أولا،و تخلف عنه الأكثرون،فبدرهم عدو، فأصبحوا من بين قتيل و أسير.

تذنيب (تشبيها الدنيا و أهلها)

قد شبه بعض الحكماء حال الإنسان و اغتراره بالدنيا،و غفلته عن الموت و ما بعده من الأهوال،و انهماكه فی اللذات العاجله الفانيه الممتزجه بالكدورات:بشخص مدلى فی بئر،مشدود وسطه بحبل،و فی أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه إليه،منتظر سقوطه،فاتح فاه لالتقامه، و فی أعلى ذلك البئر جرذان أبيض و أسود،لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا،و لا يفتران عن قرضه آنا من الآنات،و ذلك الشخص،

مع أنه يرى ذلك الثعبان و يشاهد انقراض الحبل آنا فآنا،قد أقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر و امتزج بترابه و اجتمعت عليه زنابير كثيره،و هو مشغول بلطعه منهمك فيه،ملتذ بما أصاب منه،مخاصم لتلك الزنابير عليه،قد صرف باله بأجمعه إلى ذلك،غير ملتفت إلى ما فوقه و إلى ما تحته.فالبئر هو الدنيا،و الحبل هو العمر،و الثعبان الفاتح فاه هو الموت،و الجرذان الليل و النهار القارضان للعمر،و العسل المختلطه بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجه بالكدورات و الآلام،و الزنابير هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها.

و شبه بعض العرفاء الدنيا و أهلها،فى اشتغالهم بنعيمها و غفلتهم عن الآخره،و حسراتهم العظيمه بعد الموت،من فقدهم نعيم الجنه بسبب انغمارهم فى خسائس الدنيا:بقوم ركبوا السفينه،فانتهت بها إلى جزيره فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجه،و حذرهم المقام فيها،و خوفهم مرور السفينه و استعجالها،فتفرقوا فى نواحى الجزيره،فقضى بعضهم حاجته،و بادر إلى السفينه،فصادف المقام خاليا،فأخذ أوسع الأماكن و أوفقها بمراده.و بعضهم توقف فى الجزيره،و اشتغل بالنظر إلى أزهارها و أنوارها و أشجارها و أحجارها و نغمات طيورها،ثم تنبه لخطر فوات السفينه فرجع إليها،فلم يصادف إلا مكانا ضيقا،فاستقر فيه.و بعضهم، بعد التنبه لخطر مرور السفينه،لما تعلق قلبه ببعض أحجار الجزيره و أزهارها و ثمارها،لم تسمح نفسه بأهمالها،فاستصحت منها جمله و رجع إلى السفينه فلم يجد فيها إلا مكانا ضيقا لا يسعه إلا بالتكلف و المشقه،و ليس فيه مكان لوضع ما حمله،فصار ذلك ثقلا عليه وبالا،فندم على أخذها،و لم يقدر على رميها،فحملها فى السفينه على عنقه متأسفا على أخذها.و بعضهم اشتغل بمشاهده الجزيره،بحيث لم يتنبه أولا من خطر مرور السفينه و من

نداء الملاح،حتى امتلأت السفينه،فتنبه أخيرا و رجع إليها،مثقلا بما حمله من أحجار الجزيره و حشائشها،و لما وصل إلى شاطئ البحر سارت السفينه،أ و لم يجد فيها موضعا أصلا،فبقى على شاطئ البحر. و بعضهم لكثره الاشتغال بمشاهده الجزيره و ما فيها نسوا المركب بالمره،و لم يبلغهم النداء أصلا،لكثره انغمارهم فى أكل الثمار و شرب المياه و التنسم بالأنوار و الأزهار و التفرج بين الأشجار،فسارت السفينه و بقوا فى الجزيره من دون تنبههم بخطر مرورها،فتفرقوا فيها،فبعضهم نهشته العقارب و الحيات و بعضهم افترسته السباع،و بعضهم مات فى الأوحال،و بعضهم هلك من الندامه و الحسره و الغصه،و أما من بقى على شاطئ البحر فمات جوعا، و أما من وصل إلى المركب مثقلا بما أخذه،فشغله الحزن بحفظها و الخوف من فوتها،و قد ضيق عليه مكانه،فلم يلبث إن ذبلت ما أخذه من الأزهار،و عفنت الثمار،و كمدت ألوان الأحجار،فظهر نتن رائحتها، فتأذى من نتن رائحتها و لم يقدر على إلقائها فى البحر لصيرورتها جزءا من بدنه،و قد أثر فيه ما أكل منها،و لم ينته إلى الوطن إلا بعد إحاطه الأمراض و الأسقام عليه لأجل ما لم ينفك عنه من النتن،فبلغ إليه سقيما مدنفا،فبقى على سقمه أبدا،أو مات بعد مده،و أما من رجع إلى المركب بعد تضيق المكان،فما فاته إلا سعه المحل،فتأذى بضيق المكان مده، و لكن لما وصل إلى الوطن استراح،و من رجع إليه أولا و وجد المكان الأوسع فلم يتأذ من شىء أصلا و وصل إلى الوطن سالما. فهذا مثال أصناف أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجله،و نسيانهم وطنهم الحقيقى،و غفلتهم عن عاقبه أمرهم.و ما أقبح بالعاقل البصير أن تغره بأحجار الأرض و هشيم النبت،مع مفارقته عند الموت و صيرورته كلا و وبالا عليه.

ص :۴۲

فصل (عاقبه حب الدنيا و بغضها)

اعلم أنه لا يبلغ مع العبد عند الموت إلا صفاء القلب،أعنى طهارته عن أدناس الدنيا و حبه للّه و أنسه بذكره،و صفاء القلب و طهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا،و الحب لا يحصل إلا بالمعرفه،و المعرفه لا تحصل إلا بدوام الفكره،و الأنس لا يحصل إلا بكثره ذكر اللّه و المواظبه عليه،و هذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت،و هى الباقيات الصالحات.

أما طهاره القلب عن أدناس الدنيا،فهى الجنه بين العبد و بين عذاب اللّه،

كما ورد فى الخبر: «أن اعمال العبد تناضل عنه،فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه،و إذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقه تدفع عنه...»الحديث.

و أما الحب و الأنس،فهما يوصلان العبد إلى لذه المشاهده و اللقاء.

و هذه السعاده تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل الجنه،فيصير القبر روضه من رياض الجنه،و كيف لا يصل صاحب الصفات الثلاث بعد موته غايه البهجه و نهايه اللذه بمشاهده جمال الحق،و لا يكون القبر عليه روضه من الرياض الخلد،و لم يكن له إلا محبوب واحد،و كانت العوائق تعوقه عن الأنس بدوام ذكره و مطالعه جماله،و بالموت ارتفعت العوائق و أفلت من السجن و خلى بينه و بين محبوبه،فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق؟ و كيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا و لم يكن له محبوب إلا الدنيا،و قد غصبت منه و حيل بينه و بينها،و سدت عليه طرق

الحیله فی الرجوع إلیه؟و لیس الموت عـدما،إنما هو فراق لمحاب الـدنیا و قدوم علی اللّه،فإذن سالک طریق الآخره هو المواظب علی أسـباب هـذه الصـفات الثلاث،و هی:الـذکر،و الفکر،و العمل الـذی یفطمه عن شـهوات الدنیا و یبغض إلیه ملاذها و یقطعه عنهـا.و کـل ذلـک لاـ یمکن إلا بصـحه البـدن،و صـحه البـدن لا تنال إلا بالقوت و الملبس و المسـکن،و یحتاج کل واحـد إلی أسباب،فالقـدر الـذی لا بـد منه من هـذه الثلاثه إذا أخـذه العبـد من الدنیا للآخره لم یکن من أبناء الدنیا و کانت الدنیا فی حقه مزرعه الآـخره،و إن أخـذ ذلـک علی قصـد التنعم و حـظ النفس صـار من أبنـاء الـدنیا و الراغبین فی حظوظها.إلاـ أن الرغبه فی حظوظ الـدنیا تنقسم إلی ما یعرض صاحبه لعذاب اللّه فی الآخره،و سـمی ذلک حراما،و إلی ما یحول بینه و بین الدرجات العلی و یعرضه لطول الحساب،و یسـمی ذلک حلالا.و البصـیر یعلم أن طول الموقف فی عرصات القیامه لأجل المحاسبه أیضا عذاب، فمن نوقش فی الحساب عذب،و لذلک

قـال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-: «فی حلالهـا حسـاب و فی حرامهـا عقـاب». بـل لو لم یکن الحسـاب،لکان ما یفوت عن الـدرجات العلی فی الجنه و مـا یرد علی القلب من التحسـر علی تفویتهـا بحظوظ حقیره خسـیسه لاـ بقـاء لهـا،هو أیضا عـذاب و یرشـدک إلی ذلـک حالـک فی الـدنیا إذا نظرت إلی أقرانک،و قـد سـبقوک إلی السـعادات الـدنیویه،کیف ینقطع قلبک علیها حسـرات،مع علمک بأنها سـعادات متصـرمه لا بقاء لها،و منغصه بکدورات لا صـفاء لها، فما حالک فی فوات سـعادات لا یحیط الوصف بعظمتهـا و تنقطع الأذهـان و الـدهور دون غایتهـا؟و کـل من تنعم فی الـدنیا،و لو بسـماع صوت من طـائر أو بـالنظر إلی خضره أو بشربه ماء بارد،فهو ینقص من حظه فی الآخره و التعرض لجواب السؤال فیه ذل،و حذر،و خوف،و خطر،و خجل

و انكسار،و مشقه،و انتظار،و كل ذلك من نقصان الحظ.

فالـدنيا-قليلها و كثيرها،حلالها و حرامها-ملعونه،إلا ما أعان على تقوى اللّه،فإن ذلك القدر ليس من الـدنيا،و كل من كانت معرفته أقوى و أتم كان حذره من نعيم الدنيا أشد و أعظم،حتى

أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رمى به،إذ تمثل له إبليس و قال رغبت فى الدنيا.

و حتى أن سليمان-عليه السلام-فى ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الأطعمه و هو يأكل خبز الشعير، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا و شده،فإن الصبر من لذيذ الأطعمه مع وجودها أشد.و لذا زوى اللّه-تعالى-الدنيا على نبينا-صلى اللّه عليه و آله- فكان يطوى أياما،و كان يشد الحجر على بطنه من الجوع،و لهذا سلط اللّه المحن و البلاء على الأنبياء و الأولياء،ثم الأمثل فالأمثل فى درجات العلى.كل ذلك نظرا لهم و امتنانا عليهم،ليتوفر من الآخره حظهم،كما يمنع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواكه و الأطعمه و يلزمه الفصد و الحجامه،شفقه عليه و حبا له لا بخلا به عليه. و قد عرفت بهذا أن كل ما ليس للّه فهو من الدنيا و ما هو للّه فليس من الدنيا.

ثم الأشياء على أقسام ثلاثه:

(الأول)ما لا يتصور أن يكون للّه،بل من الدنيا صوره و معنى و هى أنواع المعاصى و المحظورات و أصناف التنعم بالمباحات،و هى الدنيا المحضه المذمومه على الإطلاق.

(الثانى)ما صورته من الـدنيا،كالأكل و النوم و النكاح و أمثالها، و يمكن أن يجعل معناه للّه،فإنه يمكن أن يكون المقصود منه حظ النفس فيكون معناه كصورته أيضا من الـدنيا،و يمكن أن يكون المقصود منه الاستعانه على التقوى،فهو للّه بمعناه و إن كانت صورته صوره الدنيا،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من طلب من الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى اللّه و هو عليه غضبان،و من طلبها استعفافا عن المسأله و صيانه لنفسه جاء يوم القيامه و وجهه كالقمر ليله البدر».

(الثالثه)ما صورته للّه،و يمكن أن يجعل معناه من الدنيا بالقصد، و هو ترك الشهوات،و تحصيل العلم،و عمل الطاعات و العبادات.فهذه الثلاث إذا لم يكن لها باعث سوى أمر اللّه و اليوم الآخر فهى للّه صوره و معنى،و لم تكن من الدنيا أصلا،و إن كان الغرض منها حفظ المال و الحميه و الاشتهار بالزهد و الورع و طلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفه صار من الدنيا معنى و إن كان يظن بصورته أنه للّه.

و منها:

اشاره

حب المال

و هو من شعب حب الدنيا،إذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل،و المال بعض أجزاء الدنيا،كما أن الجاه بعضها،و اتباع شهوه البطن و الفرج بعضها،و تشفى الغيظ بحكم الغضب و الحسد بعضها،و الكبر و طلب العلو بعضها.

و بالجمله:لها أبعاض كثيره يجمعها كل ما لإنسان فيه حظ عاجل، فآفات الدنيا كثيره الشعب و الأرجاء،واسعه الأرجاء و الأكناف،و لكن أعظم آفاتها المتعلقه بالقوه الشهويه هو(المال)،اذ كل ذى روح محتاج إليه و لا غناء له عنه،فإن قد حصل الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا و إن وجد حصل منه الطغيان الذى لا تكون عاقبه أمره إلا خسرا،فهو

لاـ یخلو من فوائد و آفات،و فوائده من المنجیات و آفاته من المهلکات، و تمییز خیرها و شرها من المشکلات،إذ من فقده تحصل صفه الفقر،و من وجوده تحصل صفه الغناء،و هما حالتان یحصل بهما الامتحان.

ثم(للفاقد)حالتان:القناعه،و الحرص،و أحداهما محموده و الأخری مذمومه.و(للحریص)حالتان:تشمر للحرف و الصنائع مع الیأس عن الخلق،و طمع بما فی أیدیهم.و إحدی الحالتین شر من الأخری.و (للواجد)حالتان:إمساک،و إنفاق.و أحدهما مذموم و الآخر ممدوح و(للمنفق)حالتان:إسراف،و اقتصاد،و الأول مذموم و الثانی ممدوح و هذه أمور متشابهه لا بد أولا من تمییزها،ثم الأخذ بمحمودها و الترک لمذمومها،حتی تحصل النجاه من غوائل المال و فتنتها.و من هنا قال بعض الأکابر:الدرهم عقرب،فإن لم تحسن رقیته فلا تأخذه،فإنه إن لدغک قتلک سمه.قیل و ما رقیته؟قال:أخذه من حله،و وضعه فی حقه.

فصل الکتاب و السنه متظاهران فی ذم المال و کراهه حبه،

قال اللّه سبحانه:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِکُمْ أَمْوٰالُکُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّٰهِ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ

(۱)

.

و قال: وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا أَمْوٰالُکُمْ وَ أَوْلاٰدُکُمْ فِتْنَهٌ (۲).

ص: ۴۷

۱- ۱) المنافقون،الآیه:۹.

۲- ۲) الأنفال،الآیه:۲۸.

و قال: اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِينَهُ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا... الآيه (۱).

و قال رسول الله-صلی اللّه علیه و آله-: «حب المال و الشرف ینبتان النفاق،کما ینبت الماء البقل».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما ذئبان ضاریان أرسلا فی زریبه غنم بأکثر فسادا من حب المال و الجاه فی دین الرجل المسلم»،

و قال: «شر أمتی الأغنیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یقول اللّه-تعالی-:یا ابن آدم!مالی،مالی!و هل لک من مالک إلا ما تصدقت فأمضیت،أو أکلت فأفنیت،أو لبست فأبلیت؟!»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أخلاء ابن آدم ثلاثه:واحد یتبعه إلی قبض روحه و هو ماله،و واحد یتبعه إلی قبره و هو أهله، و واحد یتبعه إلی محشره و هو عمله».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «یجاء بصاحب الدنیا الذی أطاع اللّه فیها و ماله بین یدیه،کلما یکفأ به الصراط قال له ماله:امض و قد أدیت حق اللّه فی.ثم یجاء بصاحب الدنیا الذی لم یطع اللّه فیها و ماله بین کفیه،کلما یکفأ به الصراط قال ماله:ویلک ألا أدیت حق اللّه فی؟...فما یزال کذلک حتی یدعو بالثبور و الویل»

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «إن الدینار و الدرهم أهلکا من کان قبلکم، و هما مهلکاکم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «لکل أمه عجل،و عجل هذه الأمه الدینار و الدرهم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «یؤتی برجل یوم القیامه،و قد جمع مالا من حرام و أنفقه فی حرام فیقال:اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حلال و أنفقه فی حرام،فیقال اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حرام و أنفقه فی حلال فیقال اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حلال و أنفقه فی

۱- ۱) الکهف،الآیه:۴۷.

حلال،فيقال له:قف لعلك قصرت فی طلب هذا بشیء مما فرضت عليک من صلاه لم تصلها لوقتها،و فرطت فی شیء من ركوعها و سجودها و وضوئها،فيقول:لا يا رب!كسبت من حلال و أنفقت فی حلال، و لم أضيع شيئا مما فرضت،فيقال:لعلك اختلت فی هذا المال فی شیء من مركب أو ثوب باهيت به،فيقول:لا يا رب!لم اختل و لم أباه فی شیء،فيقال:لعلك منعت حق أحد أمرتک أن تعطيه من ذوی القربی و اليتامی و المساكين و ابن السبيل،فيقول:لا يا رب!لم أضيع حق أحد أمرتنی أن أعطيه.فيجیء أولئك فيخاصمونه،فيقولون:يا رب أعطيته و أغنيته و جعلته بين أظهرنا و أمرته أن يعطينا،فإن كان قد أعطاهم و ما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض و لم يختل فی شیء،فيقال:قف الآن هات شكر نعمه أنعمتها عليک من أكله أو شربه أو لقمه أو لذه...فلا يزال يسأل».

فليت شعری-يا أخی-إن الرجل الذی فعل فی الحلال،و أدی الفرائض بحدودها،و قام بالحقوق كلها،إذا حوسب بهذه المحاسبه، فكيف يكون حال أمثالنا الغرقی فی فتن الدنيا و تخاليطها،و شبهاتها و شهواتها و زينتها،فيا لها من مصيبه ما أفظعها،و رزيه ما أجلها،و حسره ما أعظمها لا ندری ما تفعل بنا الدنيا غدا فی الموقف عند يدی الجبّار.

و لخوف هذا الخطر قال بعض الصحابه:«ما يسرنی أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال و أنفقها فی طاعه اللّه،و لم يشغلنی الكسب عن صلاه الجماعه»،قالوا له:و لم ذلک رحمک اللّه؟قال:«لأنی غنی عن مقامی يوم القيامه،فيقول اللّه:عبدی من أين اكتسبت و فی أی شیء أنفقت؟».

فينبغی لكل مؤمن تقی ألا يتلبس بالدنيا،فيرضی بالكفاف،و إن

کان معه فضل فلیقدمه لنفسه،إذ لو بقی بعده لکان له مفاسد و آفات.

روی: «أنه قال رجل:یا رسول اللّه،ما لی لا أحب الموت؟فقال:

هـل معـک من مال؟قال:نعم یا رسول اللّه،قال:قـدم مالک أمامک فإن قلب المؤمن مع ماله،إن قـدمه أحب أن یلحقه،و إن خلفه أحب أن یتخلف معه».

و وضع أمیر المؤمنین-علیه السلام-درهما علی کفه ثم قال:«أما إنک ما لم تخرج عنی لا تنفعنی».

و روی: «أن أول ما ضرب الدینار و الدرهم رفعهما إبلیس،ثم وضعهما علی جبهته،ثم قبلهما و قال:من أحبکما فهو عبدی حقا».

و قال عیسی علیه السـلام: «لا تنظروا إلی أموال أهل الدنیا،فإن بریق أموالهم یذهب بنور إیمانکم». و قال بعض الأکابر:«مصیبتان لم یسمع الأولون و الآخرون بمثلهما للعبد فی ماله عند موته»،قیل:و ما هما؟قال:«یؤخذ منه کله،و یسأل عنه کله».

ثم جمیع ما ورد فی ذم الغنی و مـدح الفقر-کما یأتی بعضه-،و جمیع ما ورد فی ذم الدنیا-کما تقدم بعضه-یتناول ذم المال،لأنه أعظم أرکان الدنیا.

فصل (الجمع بین ذم المال و مدحه)

أعلم أنه کما ورد ذم المال فی الآیات و الأخبار ورد مدحه فیهما أیضا و قد سماه اللّه خیرا فی مواضع،فقال:

إِنْ تَرَکَ خَیْراً الْوَصِیَّهُ...

(۱)

.و قال فی مقام الامتنان:

۱- ۱) البقره،الآیه:۱۸۰.

وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكَمْ جَنّٰاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكَمْ أَنْهٰاراً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- :«نعم المال الصالح للرجل الصالح». و كل ما جاء فى ثواب الصدقه،و الضيافه،و السخاء،و الحج و غير ذلك مما لا يمكن الوصول إليه إلا بالمال،فهو ثناء عليه.

و وجه الجمع بين الظواهر المادحه و الذامه هو:أن المال قد يكون وسيله إلى مقصود صحيح هو السعاده الأخرويه،إذ الوسائل إليها فى الدنيا ثلاث،و هى:الفضائل النفسيه،و الفضائل البدنيه،و الفضائل الخارجيه التى عمدتها المال.و قد يكون وسيله إلى مقاصد فاسده و هى المقاصد الصاده عن السعاده الأخرويه و الحياه الأبديه،و الصاده سبيل العلم و العمل.فهو إذن محمود و مذموم بالإضافه إلى المقصودين.فالظواهر الذامه محموله على صوره كونه وسيله إلى مقاصد فاسده،و المادحه على صوره كونه وسيله إلى مقاصد صحيحه.و لما كانت الطبائع مائله إلى اتباع الشهوات القاطعه لسبيل اللّه،و كان المال مسهلا لها و آله إليها،عظم الخطر فى ما يزيد على قدر الكفايه،فاستعاذ طوائف الأنبياء و الأولياء من شره، حتى

قال نبينا-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا»

و قال-صلى اللّه عليه و آله- : «اللهم أحينى مسكينا و أمتنى مسكينا».

۱- ۱) نوح،الآيه:۱۲.

فصل (غوائل المال و فوائده)

قد ظهر مما ذکر:أن المال مثل حیه فیها سم و تریاق،فغوائله سمه،و فوائده تریاقه،فمن عرفهما أمکنه أن یحترز من شره و یستدر منه خیره.

و لبیان ذلک نقول:

إن غوائله إما دنیویه أو دینیه:
و الدنیویه:

هی ما یقاسیه أرباب الأموال:من الخوف،و الحزن، و الهم،و الغم،و تفرق الخاطر،و سوء العیش،و التعب فی کسب الأموال و حفظها،و دفع الحساد و کید الظالمین،و غیر ذلک.

و الدینیه:ثلاثه أنواع:
أولها-أداؤه إلی المعصیه.

إذ المال من الوسائل إلی المعاصی،و نوع من القدره المحرکه لداعیتها.فإذا استشعرها الإنسان من نفسه،انبعثت الداعیه،و اقتحم فی المعاصی،و ارتکب أنواع الفجور.و مهما کان آیسا عن القدره لم یتحرک داعیه إلیها:إذ العجز قد یحول بین المرء و بین المعصیه،و من العصمه ألا یقدر،و أما مع القدره فإن اقتحم ما یشتهیه هلک، و إن صبر وقع فی شده.إذ الصبر مع القدره أشد،و فتنه السراء من فتنه الضراء أعظم.

و ثانیها-أداؤه إلی التنعم فی المباحات.

فإن الغالب أن صاحب المال یتنعم بالدنیا و یمرن علیه نفسه،فیصیر التنعم محبوبا عنده مألوفا، بحیث لا یصبر عنه،و یجره البعض منه إلی البعض.و إذا اشتد ألفه به و صار عاده له،ربما لم یقدر علیه من الحلال،فیقتحم فی الشبهات

و يخوض فى المحرمات:من الخيانه،و الظلم،و الغصب،و الرياء،و الكذب و النفاق،و المداهنه،و سائر الأخلاق المهلكه،و الأشغال الرديه،لينتظم أمر دنياه و يتيسر له تنعمه.و ما أقل لصاحب الثروه و المال ألا يصير التنعم مألوفا له،إذ متى يقدر أن يقنع بخبز الشعير و لبس الخشن و ترك لذيذ الأطعمه بأسرها،فإنما ذلك شأن نادر من أولى النفوس القويه القدسيه كسليمان بن داود عليه السلام و أمثاله.على أن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس،و من احتاج إلى الناس فلا بد أن ينافقهم و يسخط اللّه فى طلب رضاهم،فإن سلم من الآفه الأولى،أعنى مباشره المحرمات،فلا يسلم من هذه أصلا.و من الحاجه إلى الناس تثور العداوه و الصداقه، و يحصل الحقد،و الحسد،و الكبر،و الرياء،و الكذب،و الغيبه،و البهتان و النميمه،و سائر معاصى القلب و اللسان،و كل ذلك يلزم من شؤم المال و الحاجه إلى حفظه و إصلاحه.

و ثالثها-و هو الذى لا ينفک عنه أحد من أرباب الأموال،

و هو أنه يلهيه إصلاح ماله و حفظه عن ذكر اللّه تعالى،و كل ما يشغل العبد عن اللّه تعالى فهو خسران و وبال.

و لذا قال روح اللّه عليه السلام: «فى المال ثلاث آفات،أن يأخذه من غير حله»،فقيل:إن أخذه من حله؟ قال:«يضعه فى غير حقه»،فقيل:إن وضعه فى حقه؟فقال:

«يشغله إصلاحه عن اللّه». و هذا هو الداء العضال،إذ أصل العبادات و روحها و حقيقتها هو الذكر و الفكر فى جلال اللّه تعالى،و ذلک يستدعى قلبا فارغا.و صاحب الضيعه يصبح و يمسى متفكرا فى خصومه الفلاح و محاسبته و خيانته،و منازعه الشركاء و خصومتهم فى الماء و الحدود،و خصومه أعوان السلطان فى الخراج،و خصومه الإجراء فى التقصير فى العماره و غير ذلک.و صاحب التجاره يكون متفكرا فى خيانه الشركاء و انفرادهم بالربح

و تقصیرهم فی العمل و تضییعهم المال،و یکون غالبا فی بلاد الغربه متفرق الهم محزون القلب من کساد ما یصحبه من مال التجاره.و کذلک صاحب المواشی و غیره من أرباب أصناف الأموال.و أبعدها عن کثره الشغل النقد المکنون تحت الأرض،و صاحبه أیضا لا یزال متفکرا مترددا فیما یصرف إلیه،و فی کیفیه حفظه،و فی الخوف ممن یعثر علیه،و فی دفع طمع الخلق منه. و بالجمله:أودیه أفکار أهل الدنیا لا نهایه لها،و الذی لیس معه إلا قوت یومه أو سنته،و لا یطلب أزید من ذلک،فهو فی سلامه من جمیع ذلک.

و أما فوائده:فهی أیضا دنیویه و دینیه:

أما الدنیویه:

فهی ما یتعلق بالحظوظ العاجله:من الخلاص من ذل السؤال،و حقاره الفقر،و الوصول إلی العز و المجد بین الخلق،و کثره الإخوان و الأصدقاء و الأعوان،و حصول الوقار و الکرامه فی القلوب.

و أما الدینیه:فثلاثه أنواع:

أولها-أن ینفقه علی نفسه فی عباده،

کالحج و الجهاد،أو فیما یقوی علی العباده،کالمطعم و الملبس و المسکن.

و ثانیها-أن یصرفه إلی أشخاص معینه:

کالصدقه،و المروه، و وقایه العرض،و أجره الاستخدام.و أما الصدقه بأنواعها،فلا یحصی ثوابها،و ربما نشیر إلی فضیلتها فی موضعها،و أما المروه،و نعنی بها صرف المال إلی الأغنیاء و الأشراف فی ضیافه أو هدیه أو إعانه و ما یجری مجراها مما یکتسب به الإخوان و الأصدقاء و یجلب به صفه الجود و السخاء، إذ لا یتصف بالجود إلا من یصطنع المعروف و یسلک سبیل الفتوه و المروه، فلا ریب فی کونه مما یعظم ثوابه.فقد وردت أخبار کثیره فی الهدایا و الضیافات و إطعام الطعام،من غیر اشتراط الفقر و الفاقه فی مصارفها.

و أما وقايه العرض،و نعنى بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء،و هجو الشعراء،و قطع ألسنه الفاحشين و المغتابين،و منع شر الظالمين و أمثال ذلك فهو أيضا من الفوائد الدينيه.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

«ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقه»، و أما أجره الاستخدام،فلا ريب فى إعانته على أمور الدين،إذ الأعمال التى يحتاج إليها الإنسان لتهيئه أسبابه كثيره،و لو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته،و تعذر عليه سلوك سبيل الآخره بالفكر و الذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين،و من لا مال له يحتاج أن يتولى بنفسه جميع الأعمال التى يحتاج إليها فى الدنيا،حتى نسخ الكتاب الذى يفتقر إليه،و كلما يتصور أن يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران و ندامه.

و ثالثها-أن يصرفه إلى غير معين يحصل به خير عام،

و هى الخيرات الجاريه:من بناء المساجد،و المدارس،و القناطر،و الرباطات،و نصب الخشيات فى الطرق،و إجراء القنوات،و نسخ المصاحف و الكتب العلميه و غير ذلك من الأوقاف المرصده للخيرات المؤبده،الدائره بعد الموت، المستجلبه ببركه أدعيه الصالحين إلى أوقات متماديه.

فصل (الأمور المنجيه من غوائل المال)

من أراد النجاه من غوائل المال،فليحافظ على أمور:

الأول-أن يعرف مقصود المال و باعث خلقه و عله الاحتياج إليه حتى لا يكتسب و لا يحفظ إلا قدر حاجته.

الثانى-أن يراعى جهه دخله،فيجتنب الحرام و المشتبه،و الجهات

المکروهه القادحه فی المروه و الحریه،کالهدایا المشوبه بالرشوه،و السؤال الذی فیه الانکسار و الذله.

الثالث-أن یراعی جهه الخرج،و یقتصد فی الإنفاق،غیر مبذر و لا مقتر.قال اللّه تعالی:

وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً

(۱)

.

و قال النبی صلی اللّه علیه و آله-: «ما عال من اقتصد». ثم للاقتصاد فی المطعم و الملبس و المسکن درجات ثلاث:أدنی و أوسط و أعلی،و ربما کان المیل إلی الأول أحری و أولی،لیدخل فی زمره المخفین یوم القیامه.

الرابع-أن یضع ما اکتسبه من حله فی حقه،و لا یضعه فی غیر حقه،فإن الإثم فی الأخذ من غیر حله و الوضع فی غیر حقه سواء.

الخامس-أن یصلح نیته فی الأخذ و الترک و الإنفاق و الإمساک، فیأخذ ما یأخذ استعانه به علی ما خلق لأجله،و یترک ما یترک زهدا فیه و استحقارا له و اجتنابا عن وزره و ثقله،و إذا فعل ذلک لم یضره وجوده

قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «لو أن رجلا أخذ جمیع ما فی الأرض و أراد به وجه اللّه فهو زاهد،و لو ترک الجمیع و لم یرد به وجه اللّه فلیس بزاهد».

فینبغی لکل مؤمن أن یکون باعث جمیع أفعاله التقرب إلی اللّه لیصیر الجمیع عباده.فإن أبعد الأفعال عن العباده الأکل و الوقاع و قضاء الحاجه و یصیر بالقصد عباده.فمن أخذ من المال ما یحتاج إلیه فی طریق الدین،

ص: ۵۶

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۶۷.

و بذل ما فضل منه على إخوانه المؤمنين،فهو الذى أخذ من حيه المال ترياقها،و اتقى سمها،فلا تضره كثره المال.إلا أنه لا يتأتى ذلك إلا لمن كثر علمه و استحكمت فى الدين قدمه.و العامى إذ يشتبه به فى الاستكثار من المال،فشأنه شأن الصبى الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ بالحيه و يتصرف بها ليأخذ ترياقها،فيقتدى به و يأخذها مستحسنا صورتها و شكلها و مستلينا جلدها فتقتله فى الحال.إلا أن قتيل الحيه يدرى أنه قتيل،و قتيل المال قد لا يعرف ذلك.و كما يمتنع أن يتشبه الأعمى بالبصير فى التخطى قلل الجبال و أطراف البحار و الطرق المشوكه،فيمتنع أن يتشبه العامى الجاهل بالعالم الكامل فى الاستكثار من المال.

وصل (الزهد)

ضد حب الدنيا و الرغبه إليها هو(الزهد)،و هو ألا يريد الدنيا بقلبه،و يتركها بجوارحه،إلا بقدر ضروره بدنه.و بعباره أخرى:هو الإعراض من متاع الدنيا و طيباتها،من الأموال و المناصب و سائر ما يزول بالموت.و بتقرير آخر:هو الرغبه عن الدنيا عدولا إلى الآخره،أو عن غير اللّه،عدولا إلى اللّه،و هو الدرجه العليا.فمن رغب عن كل ما سوى اللّه حتى الفراديس،و لم يحب إلا اللّه،فهو الزاهد المطلق.و من رغب عن حظوظ الدنيا خوفا من النار أو طمعا فى نعيم الجنه،من الحور و القصور و الفواكه و الأنهار،فهو أيضا زاهد،و لكنه دون الأول.و من ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض،كالذى يترك المال دون الجاه،أو يترك التوسع فى الأكل دون التجمل فى الزينه،لا يستحق اسم الزاهد مطلقا.

و بما ذكر يظهر:أن الزهد إنما يتحقق إذا تمكن من نيل الدنيا و تركها،و كان باعث الترك هو حقاره المرغوب عنه و خساسته،أعنى الدنيا بالإضافه إلى المرغوب إليه و هو اللّه و الدار الآخره .فلو كان الترك لعدم قدرته عليها،أو لغرض غير اللّه تعالى غير الدار الآخره،من حسن الذكر،و استماله القلوب،أو الاشتهار بالفتوه و السخاء،أو الاستثقال لما فى حفظ الأموال من المشقه و العناء،أو أمثال ذلك،لم يكن من الزهد أصلا.

فصل (مدح الزهد)

الزهد أحد منازل الدين و أعلى مقامات السالكين.قال اللّه سبحانه:

فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ ... وَ قٰالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوٰابُ اللّٰهِ خَيْرٌ (١).

فنسب الزهد إلى العلماء،و وصف أهله بالعلم،و هو غايه المدح.

و قال:

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ

(٢)

.

١- ١) القصص،الآيه:٧٩-٨٠.

٢- ٢) طه،الآيه:١٣.

و قال: وَ مَنْ كٰانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيٰا نُؤْتِهِ مِنْهٰا وَ مٰا لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ (۱).

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «من أصبح و همه الدنيا، شتت اللّه عليه أمره،و فرق عليه ضيعته،و جعل فقره بين عينيه،و لم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له.و من أصبح و همه الآخره،جمع اللّه له همه،و حفظ عليه ضيعته،و جعل غناه فى قلبه،و أتته الدنيا و هى راغمه»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إذا رأيتم العبد قد أعطى صمتا و زهدا فى الدنيا فاقتربوا منه،فإنه يلقى الحكمه».

و قال صلى اللّه عليه و آله:

«من أراد أن يؤتيه اللّه علما بغير تعلم،و هدى بغير هدايه،فليزهد فى الدنيا».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «ازهد فى الدنيا يحبك اللّه.و ازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا على،من عرضت له دنياه و آخرته فاختار الآخره و ترك الدنيا فله الجنه،و من اختار الدنيا استخفافا بآخرته فله النار»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «سيكون بعدى قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل و التجبر،و لا الغنى إلا بالفخر و البخل،و لا المحبه إلا باتباع الهوى.ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم،فصبر على الفقر و هو يقدر على الغناء،و صبر للبغضاء و هو يقدر على المحبه،و صبر على الذل و هو يقدر على العز،لا يريد بذلك إلا وجه اللّه،أعطاه اللّه ثواب خمسين صديقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: بعد ما سئل على معنى شرح الصدر للإسلام-:«إن النور إذا دخل القلب انشرح له و انفسح

۱- ۱) الشورى،الآيه:۲۰.

قیل:یا رسول اللّه،و هل لذلک من علامه؟قال:«نعم!التجافی عن دار الغرور،و الإنابه إلی دار الخلود،و الاستعداد للموت قبل نزوله»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «استحیوا من اللّه حق الحیاء»،قالوا إنا لنستحیی منه تعالی،قال:«فلیس کذلک،تبنون ما لا تسکنون، و تجمعون ما لا تأکلون».

و روی: «أنه قدم علیه بعض الوفود.و قالوا إنا مؤمنون.قال:و ما علامه إیمانکم؟فذکروا الصبر عند البلاء،و الشکر عند الرخاء،و الرضی بمواقع القضاء،و ترک الشماته بالمصیبه إذا نزلت بالأعداء.فقال-صلی اللّه علیه و آله-:إن کنتم کذلک،فلا تجمعوا ما لا تأکلون،و لا تبنوا ما لا تسکنون،و لا تنافسوا فیما عنه ترحلون»، فجعل الزهد من مکملات إیمانهم.

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من جاء بلا إله إلا اللّه،لا یخلط معها غیرها،وجبت له الجنه»، و فسر (غیرها)(بحب الدنیا و طلبها.

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من زهد فی الدنیا،أدخل اللّه الحکمه قلبه،فأنطق بها لسانه،و عرفه داء الدنیا و دواءها،و أخرجه منها سالما إلی دار السلام».

و روی: «أن بعض زوجاته بکت مما رأت به من الجوع،و قالت له:یا رسول اللّه،ألا تستطعم اللّه فیطعمک؟فقال:و الذی نفسی بیده!لو سألت ربی أن یجری معی جبال الدنیا ذهبا لأجراها حیث شئت من الأرض،و لکنی اخترت جوع الدنیا علی شبعها،و فقر الدنیا علی غنائها،و حزن الدنیا علی فرحها.إن الدنیا لا تنبغی لمحمد و لا لآل محمد.إن اللّه لم یرض لأولی العزم من الرسل إلا الصبر علی مکروه الدنیا و الصبر عن محبوبها،ثم لم یرض لی إلا أن یکلفنی مثل ما کلفهم،فقال:

فَاصْبِرْ کَمٰا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

(۱)

.

۱- ۱) الاحقاف،الآیه:۳۵.

و اللّه ما لی بد من طاعته!و إنی و اللّه لأصبرن کما صبروا بجهدی و لا قوه إلا باللّه!»..

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «لا یستکمل العبد الإیمان حتی یکون ألا یعرف أحب إلیه من أن یعرف،و حتی یکون قله الشیء أحب إلیه من کثرته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «إذا أراد اللّه بعبد خیرا،زهده فی الدنیا،و رغبه فی الآخره،و بصره بعیوب نفسه»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من اشتاق إلی الجنه سارع إلی الخیرات و من خاف من النار لهی عن الشهوات،و من ترقب الموت ترک اللذات، و من زهد فی الدنیا هانت علیه المصیبات».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«إن ربی عز و جل عرض علی أن یجعل لی بطحاء مکه ذهبا،فقلت:

لا یا رب،و لکن أجوع یوما و أشبع یوما،فأما الیوم الذی أجوع فیه فأتضرع إلیک و أدعوک،و أما الیوم الذی أشبع فیه فأحمدک و أثنی علیک».

و روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله-:خرج ذات یوم یمشی و معه جبرئیل،فصعد علی الصفا،فقال له رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

یا جبرئیل،و الذی بعثک بالحق!ما أمسی لآل محمد کف سویق و لا سفه دقیق فلم یتم کلامه بأسرع من أن سمع هده من السماء أفزعته،فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:أمر اللّه القیامه أن تقوم؟قال:لا! و لکن هذا إسرافیل علیه السلام قد نزل إلیک حین سمع کلامک.فأتاه إسرافیل،فقال:إن اللّه-عز و جل-سمع ما ذکرت،فبعثنی بمفاتیح الأرض،و أمرنی أن أعرض علیک إن أحببت أن أسیر معک جبال تهامه زمردا و یاقوتا و ذهبا و فضه فعلت،و إن شئت نبیا ملکا،و إن شئت نبیا عبدا.فأومأ إلیه جبرئیل أن تواضع للّه.فقال:«نبیا عبدا،ثلاثا»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «قال اللّه تعالی:إن من أغبط أولیائی عندی رجلا حفیف الحال ذا حظ من صلاه،أحسن عباده ربه بالغیب

و كان غامضا فی الناس،جعل رزقه كفافا فصبر عليه،عجلت منيته فقل تراثه و قل بواكيه»

(۱)

و عن علی بن الحسین-صلوات اللّه علیهما- قال: «مر رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:براعی إبل،فبعث یستسقیه،فقال:أما ما فی ضروعها فصبوح الحی،و أما فی آنیتنا فغبوقهم فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: اللهم کثر ماله و ولده .ثم مر براعی غنم،فبعث إلیه یستسقیه،فحلب له ما فی ضروعها و اکفأ ما فی إناءه فی إناء رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-،و بعث إلیه بشاه،و قال:هذا ما عندنا،و إن أحببت أن نزیدک زدناک،قال:رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: اللهم ارزقه الکفاف .فقال له بعض أصحابه:یا رسول اللّه دعوت للذی ردک بدعاء عامتنا نحبه،و دعوت للذی أسعفک بحاجتک بدعاء کلنا نکرهه.فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله:إن ما قل و کفی خیر مما کثر و ألهی. اللهم ارزق محمدا و آل محمد الکفاف»

(۲)

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «الناس ثلاثه:زاهد،و صابر،و راغب.

فأما الزاهد،فقد خرجت الأحزان و الأفراح من قلبه،فلا یفرح بشیء من الدنیا و لا یأسی علی شیء منها فاته،فهو مستریح.و أما الصابر، فإنه یتمناها بقلبه،فإذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها و شناءتها و لو اطلعت علی قلبه لعجبت من عفته و تواضعه و حزمه.و أما الراغب، فلا یبالی من أین جاءته،من حلها أو حرامها،و لا یبالی ما دنس فیها عرضه و أهلک نفسه و اذهب مروته،فهم فی غمرته یعمهون و یضطربون».

و قال علیه السلام: «إن من أعون الأخلاق علی الدین الزهد فی الدنیا»

ص :۶۲

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی):باب الکفاف.قال فی(الوافی): الحفیف-بالمهمله-:العیش السوء و قله المال.و الغامض:الخامل الذلیل.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی ما فی(أصول الکافی):باب الکفاف.

و قـال عليه السـلام: «من جمع ست خصـال لم يـدع للجنه مطلبـا و لاـ عن النار مهربا:عرف اللّه فأطاعه،و عرف الشـيطان فعصاه،و عرف الدنيا فتركها،و عرف الآخره فطلبها،و عرف الباطل فاتقاه،و عرف الحق فاتبعه».

و قال-عليه السـلام-: «من اشـتاق الجنه سارع إلى الخيرات و من خاف النار نهى عن الشهوات،و من ترقب الموت ترك اللذات، و من زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات».

و قال عليه السـلام: «إن علامه الراغب فى ثواب الآخره زهـده فى عاجل زهره الـدنيا،أما إن زهـد الزاهد فى هذه الدنيا لا ينقصـه ممـا قسم اللّه عز و جـل له فيها و إن زهـد و إن حرص الحريص على عاجل زهره الـدنيا لا يزيـده فيها و إن حرص.فالمغبون من حرم حظه من الآخره (۱)

و قـال على بن الحسـين-عليهمـا السـلام-: «مـا من عمل بعـد معرفه اللّه عز و جل و معرفه رسوله صـلى اللّه عليه و آله أفضل من بغض الدنيا...الحديث»

(۲)

و قال الباقر عليه السلام: «أكثر ذكر الموت،فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد فى الدنيا».

و قـال عليه السـلام: «قـال اللّه تعـالى:و عزتى و جلاـلى و عظمتى و بهـائى و علو ارتفاعى لا يؤثر عبـد مؤمن هواى على هواه فى شيء من أمر الـدنيا،إلاـ جعلت غنـاه فى نفسه،و همته فى آخرته،و ضـمنت السـماوات و الأرض رزقه، و كنت له من وراء تجاره كل تاجر».

و قال عليه السـلام: «أعظم الناس قـدرا من لا يناول الـدنيا فى يـد من كانت،فمن كرمت عليه نفسه صـغرت الدنيا فى عينيه،و من هانت عليه نفسه كبرت الدنيا فى عينيه».

و قال الصادق-عليه السلام-: «جعل الخير كله فى بيت،و جعل

۱- ۱) صححنا الحديث على(الكافى):باب ذم الدنيا.

۲- ۲) الحديث مروى فى(أصول الكافى):باب ذم الدنيا و قد مضى ذكره فى صفحه ۳۲.

مفتاحه الزهد فی الدنيا».

و قال-عليه السلام-: «ما كان شیء أحب إلی رسول اللّه-صلی اللّه عليه و آله-من أن يظل خائفا جائعا فی اللّه تعالی».

و قال عليه السلام: «إذا أراد اللّه بعبد خيرا،زهده فی الدنيا و فقهه فی الدين،و بصره عيوبها.و من أوتيهن فقد أوتی خير الدنيا و الآخره

و قال عليه السلام: «لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد فی الدنيا و هو ضد لما طلب أعداء الحق،قلت:جعلت فداك،مما ذا؟قال:

من الرغبه فيها،و قال:ألا من صبار كريم؟فإنما هی أيام قلائل ألا إنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان حتی تزهدوا فی الدنيا (۱)

و قال عليه السلام: «الزهد مفتاح باب الآخره و البراءه من النار،و هو تركك كل شیء يشغلك عن اللّه من غير تأسف علی فوتها،و لا إعجاب فی تركها،و لا انتظار فرج منها و لا طلب محمده عليها،و لا عوض منها، بل يری فوتها راحه و كونها آفه و يكون أبدا هاربا من الآفه معتصما بالراحه و الزاهد الذی يختار الآخره علی الدنيا و الذل علی العز و الجهد علی الراحه و الجوع علی الشبع و عافيه الآجل علی محبه العاجل و الذكر علی الغفله، و تكون نفسه فی الدنيا و قلبه فی الآخره»،

و قال الرضا عليه السلام:

«من أصبح و أمسی معافی فی بدنه،آمنا فی سربه،عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا».

و كفی للزهد فضيله و مدحا أنه أعرف صفات الأنبياء و الأولياء، و لم يبعث نبی إلا به،و لو لم يتوقف التقرب إلی اللّه و النجاه فی دار الآخره عليه،لما ضيق عظماء نوع الإنسان و أعرف الناس بحقيقه الحال علی أنفسهم فی فطامها عن شهوات الدنيا و لذاتها.

فانظر إلی كليم اللّه موسی-عليه السلام-كيف كان غالب قوته نبت

۱- ۱) صححنا الحديث علی(الكافی):باب ذم الدنيا.

الأرض و أوراق الأشجار،و كان ضعف بدنه من كثره رياضته،بحيث ترى الخضره من صفاق بطنه،كما أخبر به أمير المؤمنين- عليه السلام- فى نهج البلاغه.

ثم انظر إلى روح اللّه عليه السلام كيف يلبس الشعر و يأكل الشجر،و لم يكن له ولد يموت و لا بيت يخرب و لا يدخر لغد، أينما يدركه المساء نام،و قال له الحواريون يوما:يا نبى اللّه لو أمرتنا أن نبنى بيتا تعبد اللّه فيه»،قال«اذهبوا فابنوا بيتا على الماء»فقالوا:

كيف يستقيم بنيان على الماء؟قال:«فكيف تستقيم عباده على حب الدنيا»

و روى: «أنه اشتد به يوما المطر و الرعد و البرق،فجعل يطلب بيتا يلجأ إليه،فرفعت إليه خيمه من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأه فحاد عنها فإذا هو بكهف فى جبل فأتاه فإذا فيه أسد،فوضع يده عليه و قال:

«إلهى جعلت لكل شىء مأوى و لم تجعل لى مأوى»فأوحى اللّه إليه«مأواك فى مستقر من رحمتى،لأزوجنك يوم القيامه ألف حوراء خلقتها بيدى، و لأطعمنك فى عرسك أربعه آلاف عام،يوم منها كعمر الدنيا،و لآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا،زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم».

ثم انظر إلى يحيى بن زكريا،حيث يلبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس و استراحه حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكانها جبه من صوف ففعل،فأوحى اللّه إليه:«يا يحيى آثرت على الدنيا»، فبكى و نزع الصوف و عاد إلى ما كان عليه.

ثم افتح بصيرتك و تأمل فى سيره رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و زهده فى الدنيا،فإنه لبث فى النبوه ما لبث،و لم يشبع هو و أهل بيته غدوه إلا جاعوا عشيه،و لم يشبعوا عشيه إلا جاعوا غدوه،و لم يشبع من التمر هو و أهل بيته حتى فتح اللّه عليهم خيبر،

و قرب إليه يوما طعاما على مائده فيها ارتفاع،فشق ذلك عليه حتى تغير لونه،فأمر بالمائده

فرفعت و وضع الطعام على الأرض،و كان ينام على عباءه مثنيه فثنوها له ليله أربع طاقات فنام عليها،فلما استيقظ قال منعتمونى قيام الليله هذه بهذه العباءه اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها،و كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاه فما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاه حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاه.

و روى: «أن امرأه من بنى ظفر صنعت له صلى اللّه عليه و آله كساءين إزارا و رداء و بعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاه و هو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك».

و شده زهد على عليه السلام و تركه الدنيا أشهر من أن يحتاج إلى بيان،و كذا من بعده من الأئمه الراشدين و الأصحاب و التابعين و غيرهم من أكابر الدين و السلف الصالحين،حتى كان أحدهم يعيش خمسين سنه و ستين لم يطو له ثوب و لم ينصب له قدر و لم يجعل بينه و بين الأرض شيئا و لا أمر من فى بيته بصنعه طعام،فعلى أطرافهم يقومون و وجوهم على الأرض يفترشون تجرى دموعهم على خدودهم و يناجون ربهم فى فكاك رقابهم من النار.

و قد حكى أن بعض الخلفاء أرسل إلى بعضهم بعشره آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على أهله،فقال أ تدرون؟ما مثلى و مثلكم إلا كمثل قوم كانت لهم بقره يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها، فكذلك أنتم أردتم ذبحى على كبر سنى فموتوا جوعا خير لكم من أن تذبحونى.و قد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعا لا يصيبه نسيم الأسحار خيفه من الاستراحه به.و كان لبعضهم حب مكسور،فيه ماؤه،لا يرفعه من الشمس و يشرب الماء الحار و يقول من وجد لذه الماء البارد يشق عليه مفارقه الدنيا.

فيا حبيبى أفق من سكر الهوى و اعرف المضاده التى بين الآخره و الدنيا،و اقتد بالواقفين على جليه الحال و المطلعين على حقيقه المآل فى المواظبه على الزهد و التقوى و فطام النفس عن لذائذ الدنيا،فإن ذلك و إن كان شاقا فمدته قريبه،و الاحتماء مده يسيره للتنعم على التأييد لا يثقل على أهل المعرفه القاهرين أنفسهم بسياسه الشرع المبين المعتصمين بعروه اليقين بما وعد اللّه فى الآخره لعباده الزاهدين.

فصل (اعتبارات الزهد و درجاته)

اعلم أن للزهد اعتبارات تتحقق له بكل اعتبار درجات:

(الأول)اعتبار نفسه

أى من حيث نفس الترک للدنيا و بهذا الاعتبار له درجات ثلاث: (الأولى)أن يزهد فى الدنيا مع ميله إليها و حبه لها بأن يكف نفسه عنها بالمجاهده و المشقه،و هذا هو التزهد. (الثانيه) أن يترک الدنيا طوعا و سهوله من دون ميل إليها لاستحقاره إياها بالإضافه إلى ما يطمع فيه من لذات الآخره،و هذا كالذى يترک درهما لأجل درهمين معاوضه فإنه لا يشق عليه ذلک و إن كان يحتاج إلى قليل انتظار،و مثله ربما أعجب بنفسه و بزهده لاحتمال أن يظن بنفسه أنه ترک شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه. (الثالثه)و هى أعلى الدرجات أن يترک الدنيا طوعا و شوقا و لا يرى أنه ترک شيئا،إذ عرف أن الدنيا لا شى فيكون كمن ترک خنفساء و أخذ ياقوته صافيه حمراء،فلا يرى ذلک معاوضه و لا يرى نفسه تاركا شيئا و سبب هذا الترک كمال المعرفه،فان العارف على يقين بأن الدنيا بالإضافه إلى اللّه و نعيم الآخره أخس من خنفساء بالنظر

إلی یاقوته،هذا الزاهد فی أمن من خطر الالتفات إلی الدنیا،کما أن تارک الخنفساء بالیاقوته فی أمن من طلب الإقاله فی البیع.

و قد ذکر أرباب القلوب من أهل المعرفه أن مثل تارک الدنیا بالآخره مثل من منعه عن باب الملک کلب یکون فی بابه فألقی إلیه لقمه خبز نالها من موائد الملک فشغله بنفسه و دخل الباب و نال غایه القرب من الملک حتی نفذ أمره فی جمیع مملکته،أ فتری أنه یری لنفسه عوضا عند الملک بلقمه خبز ألقاها إلی کلب فی مقابله ما یناله مع کون هذه اللقمه أیضا من الملک.فالشیطان کلب علی باب اللّه یمنع الناس من الدخول،مع أن الباب مفتوح و الحجاب مرفوع و الدنیا کلقمه خبز إن أکلها فلذتها فی حال المضغ و تنقضی علی القرب بالابتلاع ثم یبقی ثقله فی المعده ثم ینتهی إلی النتن و القذر و یحتاج إلی إخراجه،فمن ترکها لینال عز الملک کیف یلتفت إلیها.و لا ریب فی نسبه الدنیا لکل شخص أعنی ما یسلم له منها و إن عمر ألف سنه بالإضافه إلی نعیم الآخره أقل من لقمه بالإضافه إلی ملک الدنیا،إذ لا نسبه للمتناهی إلی غیر المتناهی،و الدنیا متناهیه،و لو کانت تتمادی ألف ألف سنه صافیه عن کل کدوره لکان لا نسبه لها إلی الأبد فکیف و مده العمر قصیره و لذاتها مکدره غیر صافیه فأی نسبه لها أی نعیم الأبد.

(الثانی)اعتبار المرغوب عنه

أعنی ما یترک و بهذا الاعتبار له خمس درجات:

(الأولی)أن یترک المحرمات و هو الزهد فی الحرام،و یسمی زهد فرض.

(الثانیه)أن یترک المشتبهات أیضا و هو الزهد فی الشبهه،و یسمی زهد سلامه.

(الثالثه)أن یزهد فی الزائد عن قدر الحاجه من الحلال أیضا و لا یزهد فی التمتع بالقدر الضروری من المطعم و الملبس و المسکن و أثاثه و المنکح و ما هو وسیله إلیها من المال و الجاه،و إلی هذه الدرجات کلا أو بعضا

أشار مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله: «کونوا علی قبول العمل أشد عنایه منکم علی العمل،الزهد فی الدنیا قصر الأمل و شکر کل نعمه و الورع عن کل ما حرم اللّه عز و جل»

(۱)

و مولانا الصادق علیه السلام بقوله:

«الزهد فی الدنیا لیس بإضاعه المال و لا تحریم الحلال بل الزهد فی الدنیا ألا تکون بما فی یدک أوثق بما فی ید اللّه عز و جل»

(۲)

و هذا مع ما یأتی بعده هو الزهد فی الحلال،و یسمی زهد ثقل.

(الرابعه)أن یترک جمیع ما للنفس فیه تمتع و یزهد فیه و لو فی قدر الضروره،لا بمعنی ترک هذا القدر بالمره،إذ ذلک متعذر،بل ترکه من حیث التمتع به و إن ارتکبه اضطرارا من قبیل أکل المیته مع الإکراه له باطنا،و هذا یتناول ترک جمیع مقتضیات الطبع من الشهوه و الغضب و الکبر و الرئاسه و المال و الجاه و غیرها،و إلی هذه الدرجه

أشار الصادق علیه السلام بقوله: (الزاهد فی الدنیا الذی یترک حلالها مخافه حسابه و یترک حرامها مخافه عذابه) و إلیها یرجع

قول أمیر المؤمنین علیه السلام: (الزهد کله بین کلمتین من القرآن قال اللّه سبحانه:

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی البحار الجزء الثانی من المجلد الخامس عشر فی باب الزهد ص ۱۰۱.
۲- ۲) صححنا الحدیث علی ما فی سفینه البحار ج ۱ ص ۵۶۸.

لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ

(۱)

.

فمن لم يأس على الماضى و لم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه (۲)

و قوله عليه السلام (الزهد فى الدنيا ثلاثه أحرف:زاء و هاء و دال أما الزاء فترك الزينه و أما الهاء فترك الهوى و أما الدال فترك الدنيا».

(الخامسه)أن يترك جميع ما سوى اللّه و يزهد فيه حتى فى بدنه و نفسه أيضا بحيث كان ما يصحبه و يرتكبه فى الدنيا إلجاء و إكراها من دون استلذاذ و تمتع به،و إلى هذه الدرجه

أشار مولانا الصادق-عليه السلام-فى كلامه المنقول سابقا(ص ۶۲)حيث قال: «الزهد مفتاح باب الآخره و البراءه من النار و هو تركك كل شىء يشغلك عن اللّه من غير تأسف على فوقها و لا إعجاب فى تركها و لا انتظار فرج منها و لا طلب محمده عليها و لا عوض منها بل يرى فوتها راحه و كونها آفه» إلى آخر الحديث (۳).

ثم الالتفات إلى بعض ما سوى اللّه و الاشتغال به ضرورى كضروره الأكل و اللبس و مخالطه الناس و مكالمتهم و أمثال ذلك،لا ينافى هذه المرتبه من الزهد، إذ معنى الانصراف من الدنيا إلى اللّه تعالى إنما هو الإقبال بكل القلب إليه

۱- ۱) الحديد الآيه ۲۳.

۲- ۲) هذا الحديث مروى فى البحار الجزء الثانى من المجلد الخامس عشر فى باب الزهد ص ۱۰۳.

۳- ۳) صححنا الحديث هنا و هناك على ما فى البحار الجزء الثانى من المجلد الخامس عشر فى باب الزهد ص ۱۰۰ و الحديث منقول فيه عن مصباح الشريعه الذى تقدم ذكره فى الجزء الأول ص ۱۲۱،۲۵۴.

تعالی ذکرا و فکرا،و هذا لا یتصور بدون البقاء و لا بقاء إلا بضرورات المعیشه،فمتی اقتصر من الدنیا علیها قصدا لدفع المهلکات عن البدن و الاستعانه بالبدن علی العباده و سائر ما یقربه إلی اللّه لم یکن مشتغلا بغیر اللّه،إذ ما لا یتوصل إلی الشیء إلا به فهو منه،فالمشتغل بعلف دابته فی طریق الحج لیس معرضا عن الحج،و لکن ینبغی أن یکون البدن فی طریق اللّه مثل الدابه فی طریق الحج،فکما أن قصدک من تهیئه ما تحتاج إلیه دابتک دفع المهلکات عنها حتی تسیر بک إلی مقصدک دون تنعمها، فکذلک ینبغی أن یکون قصدک من الأکل و الشرب و اللباس و السکنی صیانه بدنک عما یهلکک من الجوع و العطش و الحر و البرد فتقتصر علی قدر الضروره و تقصد به التقوی علی طاعه اللّه دون التلذذ و التنعم،و ذلک لا ینافی الزهد بل هو شرطه، ثم ترتب التلذذ علی ذلک لا یضرک إذا لم یکن مقصودا بالذات لک فإن الإنسان قد یستریح فی قیام اللیل بنسیم الأسحار و صوت الطیور و هذا لا یضر بعبادته إذا لم یقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحه علی أنه لا لذه حقیقه فی الأکل و الشرب و اللباس و إنما تندفع بها آلام الجوع و العطش و الحر و البرد.

ثم لا یخفی أن الفضول من أمور الدنیا من المطعم و المشرب و الملبس و المسکن و أثاثه و المنکح و المال و الجاه ینبغی ترکها و الزهد فیها إذ الأخذ بما لا یحتاج إلیه ینافی الزهد.(و أما)غیر الفضول مما یحتاج إلیه الإنسان و یکون مهما له من الأمور الثمانیه،فینبغی ألا یترک الزهد فیها،إذ ما هو المهم الضروری یتطرق إلیه فضول فی مقداره و جنسه و أوقاته فینبغی ألا یترک الزهد فیه أیضا.

و مقتضی غایه الزهد فیه أن یقتصر من القوت علی قوت یومه و لیلته فإن کان عنده أزید من ذلک فلیبذله علی بعض المستحقین،فإن اقتصر من

جنسه على خبز الشعير فهو نهايه الزهد فى القوت،إلا أن أكل خبز الحنطه فى بعض الأحيان بل أكل أدام واحد فى بعض الأوقات إذا لم يكن من اللذائذ الشديده من أطعمه المتنعمين من أهل الدنيا لا ينافى الزهد،و ربما لم يكن أكل اللحم فى بعض الأحيان منافيا له.و يقتصر من(اللباس) بعد كونه من القطن أو الصوف على ما يستر الأعضاء و يحفظها من الحر و البرد و لا بأس بكونه اثنين ليلبس الآخر عند غسل أحدهما.و من(المسكن) على ما يحفظ نفسه و أهله من الحر و البرد.و من(أثاثه)أعنى الفرش و الظرف و القدر و الكوز و أمثال ذلك،ما يدفع حاجته من غير تعد إلى ما يمكن زوال ضرورته بدونه.و من(المنكح)على ما تنكسر به سوره شبقه و يحفظه عن النظر و الوساوس الشهويه المانعه عن الحضور فى العبادات و من(المال)على ما يقتضى به حاجه يومه بليلته فإن كان كاسبا فإذا اكتسب حاجه يومه فليترك كسبه و يشتغل بأمر الدين،و إن كانت له ضيعه و لم يكن له مدخل آخر يمكن أن يصل إليه كل يوم قدر حاجته فيه فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر ما يكفى لسد رمقه بسنه واحده بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل من كفايه نفقته.و ربما قيل إن مثله من ضعفاء الزهاد،بمعنى أن ما وعد للزاهدين فى الدار الآخره من المقامات العاليه و الدرجات الرفيعه لا يناله،و إن صدق عليه كونه زاهدا،إذ مثله ليس له قوه اليقين،لأن صاحب اليقين الواقعى إذا كان له قوت يومه لا يدخر شيئا لغده و من شرط التوكل فى الزهد،فلا يكون هذا من الزهاد عنده.و هذا غايه الزهد فى الأمور المذكوره،و عليه جرت طوائف الأنبياء و زمره الأوصياء و من بعدهم من السلف الأتقياء. و الحق أن حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الأشخاص و الأوقات فإن أمر المتفرد فى جميع ذلك أخف من أمر المعيل،و من قصر جميع همه على تحصيل العلم و العمل و لم

یقـدر على کسب،حاله یخالف حال أهل الکسب،و کـذا فی بعض الأوقات و فی بعض الأماکن یمکن تحصـیل قـدر الحاجه فی کـل یوم و فی بعض آخر منهـا لاـ یمکن ذلـک،فاللاـئق لکل أحـد أن یلاحظ حاله و وقته و مکانه و یتأمل فی أن الأصـلح بأمر آخرته و الأعون على تحصـیل ما خلق لأجله إمساک أی قدر من المال و صـرف أی قدر و جنس من القوت، بحیث لو کان أقل منه لم یتمکن من تحصـیل ما یقربه إلى ربه فیأخـذ به و یترک الزائـد،فإن بعد صـحه النیه و خلوص القصد فی ذلک لا یخرج به عن الزهد الواقعی و إن تصور الاکتفاء بأقل من ذلک مع إیجابه لفقد ما هو أهم فی تکمیل النفس.

و أما(الجاه)فقد تقدم أن القدر الضـروری منه فی أمر المعیشه کتحصـیل منزله فی قلب خادمه لیخدمه،و فی قلب السـلطان لیدفع الأشـرار عنه،لا بأس به،فالظاهر عـدم منافاه هـذا القـدر للزهد،و قال بعض العلماء:(هذا القدر و إن لم یکن به بأس إلا أنه یتمادى إلى هـاویه لاـ عمق لهـا و من حـام حول الحمى یوشـک أن یقع فیه)و إنما یحتاج إلى المحل فی القلوب إما لجلب نفع أو لـدفع ضرر أو لخلاص من ظلم،أما النفع فیغنی عنه المال فإن من یخـدم بأجره یخـدم و إن لم یکن لمسـتأجره عنده قدر، و إنما یحتاج إلى الجاه فی قلب من یخـدم بغیر أجره،و معلوم أن من أراد أن یخـدم بغیر أجره فهو من الظالمین فکیف یکون من الزاهـدین. و أما دفع الضـرر فیحتاج لأجله إلى الجاه فی بلد لا یکمل العدل فیها و أن یکون بین جیران یظلمونه و لا یقدر على دفع شـرهم إلا بمحل له فی القلوب أو محل له عند السـلطان.و قدر الحاجه فیه لا ینضـبط لا سیما إذا انضم إلیه الخوف و سوء الظن بالعواقب،و الخائض فی طلب الجاه سالک طریق الهلاک، بل حق الزاهد ألا یسعى لطلب المحل فی القلوب أصلا،فإن اشتغاله بالدین

و العباده يمهد له من المحل فى القلوب ما يدفع عنه الأذى و لو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين.و أما التوهمات و التقديرات التى تخرج إلى الزياده فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى أوهام كاذبه،إذ من طلب الجاه أيضا لم يخل عن أذى فى بعض الأوقات فعلاج ذلک بالاحتمال و الصبر أولى من علاجه بطلب الجاه،فإذن طلب المحل فى القلوب لا رخصه فيه أصلا و اليسير منه داع إلى الكثير و ضراوته أشد من ضراوه الخمر فليحترز من قليله و كثيره،نعم ما أعطاه اللّه لبعض عبيده من دون سعيه فى طلبه لنشر دينه أو لاتصافه ببعض الكمالات المختصه لحصول منزله له فى القلوب فليس به بأس و لا ينافى الزهد،فإن جاه رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان أوسع الجاه مع كونه أزهد الناس.

و الحق كما تقدم أن الجاه كالمال فى نفى البأس من قدر يضطر إليه الإنسان إذا وقع فى زمان أو بلد توقف أمر معيشته عليه،فالقدر الضرورى منهما غير محذور و غير مناف للزهد،و الزائد على الحاجه سم قاتل،فلا ينبغى أن ينسب المقتصر على الضروره إلى الدنيا،بل ذلک القدر من الدين لأنه من شرطه و الشرط من جمله المشروط،و يدل عليه

ما روى أن إبراهيم عليه السلام أصابته حاجه فذهب إلى صديق له يستقرض شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما،فأوحى اللّه تعالى إليه:(لو سألت خليلک لأعطاک)، فقال يا رب:(عرفت مقتک للدنيا فخفت أن أسألک منها)،فأوحى اللّه إليه:(ليس الحاجه من الدنيا) و يدل عليه أيضا كلام الصادق-عليه السلام-مع سفيان الثورى كما أورده بطوله شيخنا الأقدم رحمه اللّه فى جامعه الكافى.

فإذن قدر الحاجه من الدين و ما وراءه وبال فى الآخره،بل فى الدنيا أيضا،و يعرف ذلک بالتأمل فى أحوال الأغنياء و ما عليهم من المحنه

فی کسب المال و جمعه و حفظه و تحمل الذل فیه،و غایه سعادته أن یترکه لورثته،فیأکلونه و هم أعداؤه،أو یستعینون به علی المعصیه،فیکون معینا لهم علیها،و لذلک شبه جامع الدنیا و تابع الشهوات بدود القز،لا یزال ینسج علی نفسه حتی یقتلها،ثم یروم الخروج فلا یجد مخلصا فیموت و یهلک بسبب العمل الذی عمله بنفسه کما قیل فی ذلک:

أ لم تر أن المرء طول حیاته

معنی بأمر لا یزال یعالجه

کدود کدود القز ینسج دائما

و یهلک غما وسط ما هو ناسجه

فکل مکب علی الدنیا متبع للشهوات لا یزال یقید نفسه بسلاسل و أغلال لا یقدر علی قطعها،إلی أن یفرق ملک الموت بینه و بین شهواته دفعه، فتبقی السلاسل من قلبه معلقه بالدنیا التی فاتته و خلفها،و هی تجاذبه إلی الدنیا،و مخالب ملک الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه إلی الآخره فأهون أحواله عند الموت أن یکون مثل شخص ینشر بالمناشیر و یفصل أحد جانبه عن الآخر.فهذا أول عذاب یلقاه قبل ما یراه من حسرات نزوله فی أسفل السافلین و منعه عن أعلی علیین و جوار رب العالمین.فبالنزوع إلی الدنیا یحجب عن لقاء اللّه،و عند الحجاب تتسلط علیه نار جهنم،إذ النار لکل محجوب معده،کما قال اللّه تعالی:

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ

(۱)

.

و لما انکشف لأرباب القلوب أن العبد یهلک نفسه باتباع الهوی و الخوض فی الدنیا إهلاک دود القز نفسه،رفضوا الدنیا بالکلیه.فنسأل

۱- ۱) المطففین،الآیه:۱۵-۱۶.

اللّه تعالی أن یقرر فی قلوبنا ما نفث فی روع حبیبه صلی اللّه علیه و آله، حیث أوحی إلیه:«أحبب ما أحببت،فإنک مفارقه».

(الثالث)اعتبار المرغوب فیه:أعنی ما یترک لأجله.

و له بهذا الاعتبار ثلاث درجات. الأولی:أن یکون المرغوب فیه النجاه من النار و سائر عذاب الآخره،و هذا زهد الخائفین. الثانیه:أن یکون ثواب اللّه و نعیم الجنه،و هذا زهد الراجین. الثالثه:و هی الدرجه العلیا:ألا تکون له رغبه إلا فی اللّه و فی لقائه،فلا یلتفت إلی الآلام لیقصد منها الخلاص و لا إلی اللذات لیقصد نیلها،بل کان مستغرق الهم باللّه،و هذا زهد العارفین،لأنه لا یحب اللّه خاصه إلا من عرفه بصفاته الکمالیه.فکما أن من عرف الدینار و الدرهم،و علم أنه لا یقدر علی الجمع بینهما،لم یحب إلا الدینار.کذلک من عرف اللّه،و عرف لذه النظر إلی وجهه الکریم و عرف أن الجمع بین تلک اللذه و لذه التنعم بالحور العین و النظر إلی القصور و خضره الأشجار غیر ممکن،فلا یحب إلا لذه النظر و لا یؤثر غیره.

و قال بعض العرفاء:و لا تظنن أن أهل الجنه عند النظر إلی وجه اللّه تعالی یبقی للذه الحور و القصور متسع فی قلوبهم،بل تلک اللذه بالإضافه إلی لذه نعیم الجنه،کلذه ملک الدنیا و الاستیلاء علی أطراف الأرض و رقاب الخلق،بالإضافه إلی لذه الاستیلاء علی عصفور و اللعب به و الطالبون لنعیم الجنه،عند أهل المعرفه و أرباب القلوب،کالصبی الطالب للعب بالعصفور التارک للذه الملک،و ذلک لقصوره عن إدراک لذه الملک،لا لأن اللعب بالعصفور فی نفسه أعلی و ألذ من الاستیلاء بطریق الملک علی کافه الخلق.

تتميم الزهد الحقيقى

لا تظنن أن كل من يترك مال الـدنيا أنه زاهد،فإن ترك المال و إظهار التضـييق و الخشونه فى المأكل و الملبس سـهل على من أحب المدح بالزهد.

فكم من الرهبـان و المرائين تركوا مال الـدنيا و روضوا (۱)أنفسـهم كل يوم على قدر قليل من القوت،و اكتفوا من المسـكن بأى موضع اتفق لهم، و كان غرضـهم من ذلک أن يعرفهم الناس بالزهد و يمدحهم عليه،فهم تركوا المال لنيل الجاه.فالزهد الحقيقى ترک المال و الجاه،بل جميع حظوظ النفس من الـدنيا.و علامه ذلک اسـتواء الغنى و الفقر و الـذم و المـدح و الذل و العز لأجل غلبه الأنس باللّه،إذ ما لم يغلب على القلب الأنس باللّه و الحب له لم يخرج عنه حب الـدنيا بكليته.إذ محبه اللّه و محبه الـدنيا فى القلب كالماء و الهواء فى القـدح،فإذا دخل أحدهما خرج الآخر،فكلاهما لا يجتمعان و لا يرتفعان أيضا.فالقلب المملوء من حب الـدنيا يكون خاليا عن حب اللّه،كما أن القلب المشـغول بحب اللّه و أنسه فارغ عن حب الدنيا و بقدر ما يقدر ما يخرج أحدهما يدخل الآخر و بالعكس.

و منها: الغنى

اشاره

ص: ۷۷

۱- ۱) فى بعض النسخ(ردوا)،و فى بعض آخر(رودوا).و الظاهر أن الصحيح ما أثبتناه.

و هو وجود كل ما يحتاج إليه من الأموال،و هذا أقل مراتبه،و فوق ذلك مراتب لا تحصى،حتى ينتهى إلى جمع أكثر أموال الدنيا،كما اتفق لبعض الملوك.

ثم (الغنىّ)إما أن يكون بحيث يسعى فى طلب المال و جمعه و يتعب فى تحصيله و يكره خروجه عن يده و يتأذى به،و هذا غنى حريص.أو يكون بحيث لا يتعب و لا يسعى فى تحصيله،إلا أنه لما أتاه أخذه و فرح به، مع تأذيه بفقده و كراهته له،و هذا أيضا لا يخلو عن الحرص لحزنه بفقده أو يكون بحيث لا يتعب فى طلبه و لا يرغب فيه رغبه يفرح بحصوله و يتأذى بفقده،و لكن لما أتاه رضى به:إما مع تساوى وجوده و عدمه أو مع كون وجوده أحب إليه من عدمه،و مثله الغنى الراضى و القانع.

و أيضا الغنى إما أن يكون جميع ماله حلالا،أو يكون بعضه أو كله حراما.

و أيضا إما يمسكه غايه الإمساك،بحيث لا يؤدى شيئا من حقوقه الواجبه و المستحبه،أو ينفقه فى مصارفه اللائقه.و للإنفاق مراتب شتى:

أدناها أن يؤدى الحقوق الواجبه،و أعلاها أن يبذل كلما يزيد عن أقل مراتب الغنى،بحيث لو تعدى عنه يسيرا صار فقيرا.

ص :٧٨

فصل ذم الغنی

الغنی الحاصل من الحلال،مع بـذل ما یفضل عن أقل مرتبته فی المصارف اللائقه و مساواه وجوده و عـدمه عند صاحبه،سالم من الآفـات و الأخطـار.و غیر ذلـک من أقسـامه لا ـ یخلو عن آفه أو خطر،و حبه بعض أفراد حب الـدنیا،بـل هو راجع إلی حب المال بعینه،فیدل علی ذمه ما ورد فی ذمهما.و قد ورد فی ذمه بخصوصه بعض الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغی أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی

(۱)

.

و قیل لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:أیّ أمتک أشر؟قال:

«الأغنیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله لبلال:«ألق اللّه فقیرا، و لا تلقه غنیا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یدخل فقراء أمتی الجنه قبل أغنیائهم بخمسمائه عام».

و قـال صـلی اللّه علیه و آله: «اطلعت علی الجنه،فرأیت أکثر أهلهـا الفقراء.و اطلعت علی النـار،فرأیت أکثر أهلهـا الأغنیـاء».و فی طریق:«فقلت:أین الأغنیاء؟فقال:حسبهم الجد».

و أوحی اللّه تعالی إلی موسی«یا موسی،إذا رأیت الفقر مقبلا،فقل:

مرحبا بشعار الصالحین،و إذا رأیت الغنی مقبلا،فقل:ذنب عجلت عقوبته».

و روی: «أنه ما من یوم إلا و ملک ینادی من تحت العرش:

یا ابن آدم،قلیل یکفیک خیر من کثیر یطغیک».

و قال عیسی-علیه السلام-: «بشده یدخل الغنی الجنه».

۱- ۱) العلق،الآیه:۶-۷.

وصل الفقر

ضـد الغنى(الفقر).و هو فقـد ما يحتاج إليه.و لا يسـمى فقـد ما لا حاجه إليه فقرا.فإن عمم ما يحتاج إليه و لم يخص بالمال،لكان كـل موجود ممكن محتاجـا،لاحتيـاجه إلى دوام الوجود و غيره من الحاجـات المسـتفاده من اللّه سـبحانه،و انحصـر الغنى بواحد واجب لذاته و مفيد لوجود غيره من الموجودات،أعنى اللّه سـبحانه.فهو الغنى المطلق،و سائر الأشـياء الموجوده فقراء محتاجون.و قد أشير إلى هذا الحصر فى الكتاب الآلهى بقوله تعالى:

وَ اللّٰهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ

(۱)

.

و إن خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء،بل من فقد المال الذى هو محتاج إليه كان فقيرا بالإضافه إليه،و الفقر بهذا المعنى هو الذى نريد بيانه هنا.

فصل اختلاف أحوال الفقراء

(الفقير)إما أن يكون راغبا فى المال محبا له،بحيث لو وجـد إليه سبيلا لطلبه،و لو بالتعب و المشـقه،و إنما ترك طلبه لعجزه منه،و يسمى هذا فقيرا(حريصا).

۱- ۱) محمد-صلى اللّه عليه و آله-،الآيه:۳۷.

أو يكون وجود المـال أحب إليه من عـدمه،و لكن لم يبلغ حبه له حـدا يبعثه على طلبه،بل إن أتاه بلا طلب أخـذه و فرح به،و إن افتقر إلى سعى فى طلبه لم يشتغل به،و يسمى هذا فقيرا(قانعا).

أو يكون بحيث لا يحبه و لا يرغب فيه،و يكره وجوده و يتأذى به، و لو أتاه هرب منه،مبغضا له و محترزا عن شـره،و يسـمى هـذا فقيرا (زاهـدا).فـإعراضه عنه و عـدم سـعيه فى محـافظته و ضـبطه لو وجـده، إن كان لخوف العقاب فهو(فقر الخائفين).و إن كان لشوق الثواب فهو(فقر الراجين).و إن كـان لعـدم التفـاته اللازم لإقباله على اللّه تعالى بشراشـره من دون غرض دنيوى أو أخروى فهو(فقر العارفين).

أو يكون بحيث لاـ يحبه حبا يفرح بحصوله و لا يكرهه كراهه يتأذى بها و يزهـد فيه،بل يسـتوى عنـده وجوده و عـدمه،فلا يفرح بحصوله و لاـ يتـأذى بفقـده،بـل كان راضـيا بالحالتين على السواء،و غنيا عن دخوله و بقائه و خروجه من يـده،من غير خوف من الاحتياج إذ فقد،كالحريص و القانع،و لا حذار من شره و إضراره إذا وجد كالزاهد.فمثله لو كانت أموال الدنيا بأسرها فى يده لم تضره،إذ هو يرى الأموال فى خزانه اللّه لا فى يد نفسه،فلا تفريق بين أن تكون فى يده أو فى يد غيره،فيكون بحيث يستوى عنده المـال و الهواء المخلوق فى الجو،فكمـا أن كـثره الهواء فى جواره لاـ يؤذيه،و لاـ يكون قلبه مشـغولا بـالفرار عنه و لاـ يبغضه،بل يسـتنشق منه بقـدر الضـروره،و لاـ يبخل به على أحـد،فكـذلك كثره المال لا يؤذيه و لا يشـغل قلبه،و يرى نفسه و غيره فيه على السواء فى المالكيه.

و مثله ينبغى أن يسـمى(مسـتغنيا راضـيا)،لاسـتغنائه عنه وجودا و عدما،و رضائه بالحالتين من دون تفاوت،و مرتبته فوق الزاهد،إذ غايه درجه الزهد كمال الأبرار،و صاحب هذه المرتبه من المقربين،فالزهد

فی حقه نقصان،إذ حسنات الأبرار سیئات المقربین.و السر فیه:أن الزاهد کاره للدنیا،فهو مشغول بالدنیا،کما أن الراغب فیها مشغول بها و الشغل بما سوی اللّه حجاب عن اللّه،سواء کان بالحب أو بالبغض.

فکل ما سوی اللّه،کالرقیب الحاضر فی مجلس جمع العاشق و المعشوق.

فکما أن التفات قلب العاشق إلی الرقیب و بغضه و کراهته حضوره نقص فی العشق،فکذلک التفات قلب العبد إلی غیر اللّه تعالی و بغضه و کراهته نقصان فی الحب و الأنس،کما أن التفاته بالحب نقص فیهما.إذ کما لا یجتمع فی قلب واحد حبان فی حاله واحده،فکذلک لا یجتمع فیه حب و بغض فی حاله واحده،فالمشغول ببغض الدنیا غافل عن اللّه کالمشغول بحبها،و إن کان الثانی أسوأ حالا من الآخر.إذ المشغول بحبها غافل فی غفلته،سالک فی طریق البعد،و المشغول ببغضها غافل،و هو فی غفلته سالک فی طریق القرب،فیحتمل زوال غفلته و تبدلها بالشهود،فالکمال مرتقب له،إذ بغض الدنیا مظنه توصل العبد إلی اللّه.

و هرب الأنبیاء و الأولیاء من المال،و فرارهم عنه،و ترجیحهم فقده علی وجوده-کما أشیر إلیه فی بعض الأخبار و الآثار-:إما نزول منهم إلی درجه الضعفاء لیقتدوا بهم فی الترک،إذ الکمال فی حقهم حب الترک و بغض الوجود،لأن مع وجوده یتعذر فی حقهم استواء وجوده و فقده و کونه عندهم کماء البحر،فلو لم یظهر الأنبیاء النفار و الکراهه من المال و یقتدی الضعفاء بهم فی الأخذ لهلکوا.فمثل النبی کمثل المعزم الحاذق، یفر بین یدی أولاده من الحیه،لا لضعفه عن أخذها،بل لعلمه بأنه لو أخذها لأخذها أولاده أیضا إذا رأوها،و هلکوا.فالسیر بسیره الضعفاء صفه الأنبیاء و الأوصیاء.أو غیر الهرب و النفار اللازمین للبغض و الکراهه و خوف الاشتغال به،بل کان نفارهم منه کنفارهم من الماء،علی معنی

أنهم شربوا منه بقدر حاجتهم،و تركوا الباقى فى الشطوط و الأنهار للمحتاجين،من غير اشتغال قلوبهم بحبه و بغضه.أ لا ترى أنه قد حملت خزائن الأرض إلى رسول اللّه و خلفائه،فأخذوها و وضعوها فى مواضعها، من غير هرب منه و بغض له،و ذلك لاستواء المال و الماء و الحجر و الذهب عندهم.

ثم تسميه صاحب هذه المرتبه بالفقير و المستغنى لا يوجب التنافى، إذ إطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجا إليه تعالى فى جميع أموره عامه و فى بقاء استغنائه عن المال خاصه،فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبوديه و أقر بها،فإنه أحق باسم العبد من الغافلين،و إن كان عاما للخلق،ثم كل مرتبه من المراتب المذكوره للفقر،ما عدا الأخيره،أعم من أن يكون بالغا حد الاضطرار،بأن يكون ما فقده من المال مضطرا إليه،كالجائع الفاقد للخبز و العارى الفاقد للثوب،أم لا.

و أنت،بعد ما فهمت اشتراك الفقر بين المعانى المذكوره،لم يشكل عليك الجمع بين ما ورد فى مدح الفقر-كما يأتى-و بين ما ورد فى ذمه،

كقوله صلى اللّه عليه و آله: «كاد الفقر أن يكون كفرا»،

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «الفقر الموت الأكبر».

و قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال:بالضعف فى يقينه،و النقصان فى عقله،و الرقه فى دينه،و قله الحياء فى وجهه.فنعوذ باللّه من الفقر!».

فصل مراتب الفقر و مدحه

قد عرفت أن بعض مراتب الفقر راجع إلى الزهد،و بعضها إلى

ما هو فوقه،أعنی الرضی و الاستغناء،و بعضها إلی القناعه،ففضیله هذه المراتب ظاهره،و الأخبار الوارده فی فضیله الزهد و الرضی و القناعه تدل علی فضیله المراتب المذکوره من الفقر.و أما المرتبه الأولی المتضمنه للحرص،فهو أیضا لا یخلو عن فضیله بالنظر إلی الغنی المتضمن له و الأخبار الوارده فی مدح الفقر تتناول بعمومها جمیع مراتبه،قال اللّه سبحانه:

لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیٰارِهِمْ وَ أَمْوٰالِهِمْ

(۱)

.

و قال: لِلْفُقَرٰاءِ الَّذِینَ أُحْصِرُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ... الآیه (۲).

ساق اللّه سبحانه الکلام فی معرض المدح،و قدم وصفهم بالفقر علی وصفهم بالهجره و الإحصار،و فیه دلاله جلیه علی مدح الفقر (۳).

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «خیر هذه الأمه فقراؤها،و أسرعها تصعدا فی الجنه ضعفاؤها».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «اللهم أحینی مسکینا و أمتنی مسکینا،و احشرنی فی زمره المساکین).

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إن لی حرفتین اثنتین،فمن أحبهما فقد أحبنی،و من أبغضهما فقد أبغضنی:الفقر و الجهاد».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«الفقر أزین للمؤمنین من العذار الحسن علی خد الفرس».

و سئل عن الفقر،فقال:«خزانه من خزائن اللّه»،و سئل عنه ثانیا،فقال:

۱- ۱) الحشر،الآیه:۸.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۷۳.

۳- ۳) قال المحقق(الفیض)فی(إحیاء الأحیاء):«لا دلاله فی الآیتین علی مدح الفقر،و إنما سیقتا لبیان أن مصرف المال إنما هم الفقراء المتصفون بهذه الصفات».

«کرامه من اللّه».و سئل عنه ثالثا،فقال:«شیء لا یعطیه إلا نبیا مرسلا أو مؤمنا کریما علی اللّه».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إن فی الجنه غرفه من یاقوته حمراء،ینظر إلیها أهل الجنه کما ینظر أهل الأرض إلی نجوم السماء،لا یدخل فیها إلا نبی فقیر أو مؤمن فقیر».

و قال:

«یوم فقراء أمتی یوم القیامه و ثیابهم خضر،و شعورهم منسوجه بالدر و الیاقوت،و بأیدیهم قضبان من نور یخطبون علی المنابر،فیمر علیهم الأنبیاء،فیقولون:هؤلاء من الملائکه،و تقول الملائکه:هؤلاء من الأنبیاء.فیقولون:نحن لا ملائکه و لا أنبیاء!بل من فقراء أمه محمد-صلی اللّه علیه و آله-،فیقولون:بم نلتم هذه الکرامه؟فیقولون:

لم تکن أعمالنا شدیده،و لم نصم الدهر،و لم نقم اللیل،و لکن أقمنا علی الصلوات الخمس،و إذا سمعنا ذکر محمد فاضت دموعنا علی خدودنا»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کلمنی ربی فقال:یا محمد،إذا أحببت عبدا،اجعل له ثلاثه أشیاء:قلبه حزینا،و بدنه سقیما،و یده خالیه من حطام الدنیا.و إذا أبغضت عبدا،اجعل له ثلاثه أشیاء:قلبه مسرورا و بدله صحیحا،و یده مملوه من حطام الدنیا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «الناس کلهم مشتاقون إلی الجنه،و الجنه مشتاقه إلی الفقراء».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «الفقر فخری».

و قال صلی اللّه علیه و آله:

«تحفه المؤمن فی الدنیا الفقر»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یؤتی بالعبد یوم القیامه،فیعتذر اللّه تعالی إلیه کما یعتذر الأخ إلی أخیه فی الدنیا، فیقول:و عزتی و جلالی!ما زویت الدنیا عنک لهوانک علی،و لکن لما أعددت لک من الکرامه و الفضیله.اخرج یا عبدی إلی هذه الصفوف، فمن أطعمک فی أو کساک فی یرید بذلک وجهی،فخذ بیده فهو لک و الناس یومئذ قد ألجمهم العرق.فیتخلل الصفوف.و ینظر من فعل ذلک

به،و یدخله الجنه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «أکثروا معرفه الفقراء و اتخذوا عندهم الأیادی،فإن لهم دوله»،قالوا:یا رسول اللّه، و ما دولتهم؟قال:«إذا کان یوم القیامه،قیل لهم:انظروا إلی من أطعمکم کسره أو سقاکم شربه أو کساکم ثوبا،فخذوا بیده ثم امضوا به إلی الجنه».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أ لا أخبرکم بملوک أهل الجنه؟ قالوا:بلی یا رسول اللّه!قال:کل ضعیف مستضعف أغبر أشعث ذی طمرین لا یؤبه به لو أقسم علی اللّه لأبره».

و دخل-صلی اللّه علیه و آله-علی رجل فقیر،و لم یر له شیئا،فقال:«لو قسم نور هذا علی أهل الأرض لوسعهم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إذا أبغض الناس فقراءهم،و أظهروا عماره الدنیا،و تکالبوا علی جمع الدراهم و الدنانیر،رماهم اللّه بأربع خصال:بالقحط من الزمان، و الجور من السلطان،و الجنایه من ولاه الحکام،و الشوکه من الأعداء» (۱).

و ورد من طریق أهل البیت علیهم السلام: «إن اللّه تعالی إذا أحب عبدا ابتلاه،فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه.قیل:و ما اقتناه؟قال:

لم یترک له أهلا و لا مالا».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «وکل الرزق بالحمق،و وکل الحرمان بالعقل،و وکل البلاء بالصبر»

و قال الباقر علیه السلام: «إذا کان یوم القیامه،أمر اللّه تعالی منادیا ینادی بین یدیه:أین الفقراء؟فیقوم عنق من الناس کثیر،فیقول:عبادی! فیقولون:لبیک ربنا!فیقول:إنی لم أفقرکم لهون بکم علی،و لکن إنما اخترتکم لمثل هذا الیوم.تصفحوا وجوه الناس،فمن صنع إلیکم معروفا

۱- ۱) هذه الأخبار کلها عامیه،فصححناها علی(إحیاء العلوم)،و(إحیاء الأحیاء).

لم یصنعه إلا فی فکافوه عنی بالجنه».

و قال الصادق علیه السلام: «لو لا إلحاح المؤمنین علی اللّه فی طلب الرزق،لنقلهم من الحال التی هم فیها إلی حال أضیق منها».

و قال علیه السلام: «لیس لمصاص (۱)شیعتنا فی دوله الباطل إلا القوت،شرقوا إن شئتم أو غربوا،لن ترزقوا إلا القوت».

و قال علیه السلام: «ما کان من ولد آدم مؤمن إلا فقیرا و لا کافر إلا غنیا،حتی جاء إبراهیم علیه السلام،فقال:

رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا

(۲)

.

فصیر اللّه فی هؤلاء أموالا و حاجه».

و قال-علیه السلام-: «إن فقراء المؤمنین یتقلبون فی ریاض الجنه قبل أغنیائهم بأربعین خریفا»، ثم قال:«سأضرب لک مثل ذلک:إنما مثل ذلک مثل سفینتین مر بهما علی عاشر،فنظر فی أحداهما فلم یر فیها شیئا،فقال:اسربوها.و نظر فی الأخری،فإذا هی موقره،فقال:احبسوها». و فی بعض الأخبار فسر الخریف بألف عام،و العام بألف سنه.و علی هذا،فیکون المراد من أربعین خریفا أربعین ألف ألف عام.

و قال الصادق علیه السلام:

«المصائب منح من اللّه،و الفقر مخزون عند اللّه»: أی المصائب عطایا من اللّه یعطیها عباده،و الفقر من جملتها مخزون عنده عزیز لا یعطیه إلا من خصه بمزید العنایه.

و قال علیه السلام: «إن اللّه عزّ و جل یلتفت یوم القیامه إلی فقراء المؤمنین شبیها بالمعتذر إلیهم،فیقول:و عزتی و جلالی! ما أفقرتکم فی الدنیا من هوان بکم علی،و لترون ما أصنع بکم الیوم، فمن زود منکم فی دار الدنیا معروفا فخذوا بیده فأدخلوه الجنه»،قال

۱- ۱) المصاص:خالص کل شیء.قاله الجوهری.

۲- ۲) الممتحنه،الآیه:۵.

«فیقول رجل منهم:یا رب،إن أهل الدنیا تنافسوا فی دنیاهم،فنکحوا النساء،و لبسوا الثیاب اللینه،و أکلوا الطعام،و سکنوا الدور،و رکبوا المشهور من الدواب.فأعطنی مثل ما أعطیتهم.فیقول تبارک و تعالی:

لک و لکل عبد منکم مثل ما أعطیت أهل الدنیا منذ کانت الدنیا إلی أن انقضت الدنیا سبعون ضعفا».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه جل ثناؤه لیعتذر إلی عبده المؤمن المحوج فی الدنیا کما یعتذر الأخ إلی أخیه، فیقول:و عزتی و جلالی!ما أحوجتک فی الدنیا من هوان کان بک علی فارفع هذا السجف،فانظر إلی ما عوضتک من الدنیا.قال:فیرفع، فیقول:ما ضرنی ما منعتنی ما عوضتنی».

و قال علیه السلام: «إذا کان یوم القیامه قام عنق من الناس حتی یأتوا باب الجنه،فیضربوا باب الجنه فیقال لهم:من أنتم؟فیقولون:نحن الفقراء،فیقال لهم:أقبلوا الحساب فیقولون:ما أعطیتمونا شیئا تحاسبونا علیه،فیقول اللّه عز و جل:

صدقوا،ادخلوا الجنه».

و قال-لبعض أصحابه: «أ ما تدخل للسوق؟ أ ما تری الفاکهه تباع و الشیء مما تشتهیه؟فقلت:بلی!فقال:أما إن لک بکل ما تراه فلا تقدر علی شراه حسنه».

و قال الکاظم علیه السلام:

«إن اللّه عز و جل یقول:إنی لم أغن الغنی لکرامه به علی،و لم أفقر الفقیر لهوان به علی،و هو مما ابتلیت به الأغنیاء بالفقراء،و لو لا الفقراء لم یستوجب الأغنیاء الجنه» (۱).

و قال-علیه السلام-: «إن الأنبیاء و أولاد الأنبیاء و أتباع الأنبیاء خصوا بثلاث خصال:السقم فی الأبدان و خوف السلطان،و الفقر».

و قال الرضا-علیه السلام-: «من لقی

---

۱ – ۱) صححنا أغلب الأحادیث المرویه عن أهل البیت-علیهم السلام-فی هذا الفصل علی(الکافی):باب الفقر.و علی(سفینه البحار)۲-۳۷۷.و علی (إحیاء الأحیاء):کتاب الفقر.

فقیرا مسلما و سلم علیه خلاف سلامه علی الغنی،لقی اللّه یوم القیامه و هو علیه غضبان».

و قال علیه السلام: «الفقر شین عند الناس و زین عند اللّه یوم القیامه»

و قال موسی-علیه السلام-فی بعض مناجاته: «إلهی من أحباؤک من خلقک حتی أحبهم لأجلک؟فقال:کل فقیر»

و قال عیسی-علیه السلام-: «إن أحب الأسامی إلی أن یقال:یا مسکین» و قال بعض الصحابه:«ملعون من أکرم الغنی و أهان الفقیر».

و قال لقمان لابنه:«لا تحقرن أحدا لخلقان ثیابه،فإن ربک و ربه واحد».

و مما یدل علی فضیله الفقر،إذا کان مع الرضی أو القناعه أو الصبر أو الصدق أو الستر،

قوله صلی اللّه علیه و آله :«یا معشر الفقراء:

أعطوا اللّه الرضی من قلوبکم تظفروا بثواب فقرکم،فإن لم تفعلوا فلا ثواب لکم».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «إن أحب العباد إلی اللّه الفقیر القانع برزقه الراضی عن اللّه تعالی».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «لا أحد أفضل من الفقیر إذا کان راضیا»،

و قوله صلی اللّه علیه و آله: «یقول اللّه تعالی یوم القیامه:أین صفوتی من خلقی؟ فتقول الملائکه:من هم یا ربنا؟فیقول:فقراء المسلمین القانعین بعطائی الراضین بقدری،أدخلوهم الجنه.فیدخلونها،و یأکلون و یشربون،و الناس فی الحساب یترددون».

و قوله صلی اللّه علیه و آله: «ما من أحد،غنی و لا فقیر،إلا ود یوم القیامه أنه کان أوتی قوتا فی الدنیا»

و قوله صلی اللّه علیه و آله: «طوبی للمساکین بالصبر!و هم الذین یرون ملکوت السماوات و الأرض».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «من جاع أو احتاج،فکتمه عن الناس و أفشاه إلی اللّه تعالی،کان حقا علی اللّه أن یرزقه رزق السنه من الحلال».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:

«إن لکل شیء مفتاحا،و مفتاح الجنه حب المساکین و الفقراء الصابرین

و هم جلساء اللّه يوم القيامه».

و ما روى: «أن اللّه أوحى إلى إسماعيل -عليه السلام-:اطلبنى عند المنكسره قلوبهم من أجلى.قال:و من هم؟قال:الفقراء الصادقون».

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- لأمير المؤمنين عليه السلام:«يا على،إن اللّه جعل الفقر أمانه عند خلقه، فمن ستره أعطاه اللّه تعالى مثل أجر الصائم القائم،و من أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله أما إنه ما قتله بسيف و لا رمح و لكنه قتله بما نكأ من قلبه».

ثم لا ريب فى أن كل من لم يجد القوت من التعفف و ستر احتياجه هذا و صبر و رضى يكون داخلا تحت هذه الأخبار و تثبت له الفضيله التى وردت فيها،و لا ريب فى أن هذه صفه لا توجد فى ألف ألف واحد.

و أما الفقير الحريص الذى يظهر فقره و يجزع معه،فظاهر بعض الأخبار و إن تناوله،إلا أن الظاهر خروجه منها كما أومأت إليه بعض الأخبار المذكوره و إن كان أحسن حالا من الغنى الذى مثله فى الحرص.

فصل (الموازنه بين الفقر و الغنى)

لا ريب فى أن الفقر مع الصبر و القناعه و قصد الفراغ أفضل من الغنى مع الحرص و الإمساك،كما لا ريب فى أن الغنى مع الإنفاق و قصد الاستعانه على العباده أفضل من الفقر مع الحرص و الجزع،

و إنما وقع الشك فى الترجيح بين الفقر و الغنى فى مواضع:
(الأول)فى الترجيح بين الفقر مع الصبر و القناعه،و الغنى مع الإنفاق،و قصد الاستعانه على العباده،

فقال قوم إن الأول أفضل،

لما

روى: «أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال لأصحابه:أى الناس خير؟فقالوا:موسر من المال يعطى حق اللّه تعالى من نفسه و ماله،فقال نعم الرجل هذا و ليس به المراد،قالوا فمن خير الناس يا رسول اللّه؟ فقال:فقير يعطى جهده»،

و ما روى: «أن الفقراء بعثوا رسولا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقال:إنى رسول الفقراء إليك،فقال:

مرحبا بك و بمن جئت من عندهم،جئت من عند قوم أحبهم،فقال:

قالوا إن الأغنياء ذهبوا بالجنه يحجون و لا نقدر عليه،و يعتمرون و لا نقدر عليه،و إذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيره لهم،فقال النبى صلى اللّه عليه و آله:بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر و احتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء:أما (الأولى)فإن فى الجنه غرفا ينظر إليها أهل الجنه كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء،لا يدخلها الا نبى فقير،أو شهيد فقير،أو مؤمن فقير، (و الثانيه)يدخل الفقراء الجنه قبل الأغنياء بنصف يوم و هو خمسمائه عام. (و الثالثه)إذا قال الغنى: سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر ،و قال الفقير مثل ذلك،لم يلحق الغنى بالفقير و إن انفق فيها عشره آلاف درهم،و كذلك أعمال البر كلها،فرجع إليهم،فقالوا رضينا».

و قال آخرون:الثانى أفضل،لأن الغنى من صفات الربوبيه، و الفقر من لوازم العبوديه،و وصف الحق أفضل من وصف العبد.

(و أجيب عنه)بأن غنى الواجب سبحانه ليس بالأسباب و الأغراض و غنى العبد بهما،إذ هو غنى بوجود المال و مفتقر إلى بقائه،فأنى يكون الغنى الذى يتصف العبد به من أوصاف الربوبيه،نعم الغنى الاستغناء من وجود المال و عدمه جميعا بأن يستوى كلاهما عنده يشبه أوصاف الحق،إلا أنك قد عرفت أنه نوع من الفقر،و بأن التكبر من أوصاف الربوبيه،

ص :٩١

فینبغی أن یکون أفضل من التواضع،مع أن الأمر لیس کذلک،بل الحق أن الأفضل للعبد إنما هو صفات العبودیه کالخوف و الرجاء،إذ صفات الربوبیه لا ینبغی أن ینازع فیها،

و لذلک قال اللّه سبحانه: «و العظمه إزاری،و الکبریاء ردائی،فمن نازعنی فیهما قصمته». و علی هذا فالفقر أفضل من الغنی.

و الحق أن ترجیح واحد من صفات الربوبیه و صفات العبودیه علی الآخر للعبد علی الإطلاق غیر صحیح،إذ کما ینتقض ترجیح الأولی علی الثانیه بالتکبیر ینتقض العکس بالعلم و المعرفه و الجهل و الغفله،فإن العلم من صفات الربوبیه،و الجهل من صفات العبودیه،مع أن الأول أفضل من الثانی ضروره.

و الحق أن الأفضل من الفقر و الغنی ما لا یشغل العبد عن اللّه،فإن کان الفقر یشغله فالغنی أولی به،و إن کان الغنی یشغله عن اللّه فالفقر أولی به،و ذلک لأن الغنی لیس محذورا بعینه،بل لکونه عائقا عن الوصول إلی اللّه،و الفقر لیس مطلوبا لذاته،بل لعدم کونه عائقا عن اللّه،و لیس مانعیه الأول و عدم مانعیه الثانی کلیا،إذ رب فقیر یشغله الفقر عن المقصد و کم من غنی لا یصرفه الغنی عنه،إذ الشاغل لیس إلا حب الدنیا لمضادته حب اللّه تعالی،و المحب للشیء مشغول به،سواء کان فی وصاله أو فی فراقه. فإذن فضل الفقیر و الغنی بحسب تعلق قلبهما بالمال وجودا و عدما، فإن تساویا فیه تساوت درجتهما.و إن تفاوتا فیه فأیهما أقل تعلقا درجته أعلی و أفضل،بل مع وجود تعلق لهما و تساویهما فیه یکون وجود قدر الحاجه من المال أفضل من فقده،إذ الجائع یسلک سبیل الموت لا سبیل المعرفه و الطاعه،و مع عدم تعلق قلبهما أصلا بحیث یستوی عندهما وجود المال و عدمه کان المال عندهما کهواء الجو و ماء البحر-و بالجمله حصلت

لهمـا المرتبه الأـخيره من الفقر،أعنى الاسـتغناء و الرضا-كان الواجـد أفضل من الفاقـد،لاسـتوائهما فى عـدم الالتفات إليه،و مزيه الواجد باستفاده أدعيه الفقراء و المساكين.

ثم الحكم بانقطـاع القلب رأسـا عن المال وجودا و عـدما إنما يتصور فى الشاذ النادر الـذى لا يسـمح الـدهر بمثله إلا بعـد أزمنه متطـاوله،و قلـوب جـل النـاس غير خـاليه عن حب المـال و التعلق به.فتفصـيل القول بأفضـليه من هو أقـل تعلقـا بالمـال،و اسـتواء درجتهما مع اسـتوائهما فى التعلق،و مزيه الواجـد على الفاقـد مع انقطاع قلبهما بالكليه عنه مزله الأقـدام و موضع الغرور، إذ الغنى ربمـا يظن أنه منقطع القلب عن المـال و يكون حبه دفينـا فى بـاطنه و هو لاـ يشـعر به،و إنما يشـعر به إذا فقـده،فما عـدا الأنبياء و الأولياء و شـرذمه قليله من أكابر الأتقياء لو ظنوا انقطاعهم عن الـدنيا إذا جربوا أنفسـهم بإخراج المال من أيـديهم يظهر لهم أنهم مغرورون و ليس لهم تمـام الانقطـاع عن الـدنيا،و إذا كـان ذلـك محالاـ أو بعيـدا فليطلق القول بـأن الفقر أصـلح لكـافه الناس و أفضل،لأنه عن الخطر أبعـد،إذ فتنه السـراء من فتنه الضـراء أشد،و علاقه الفقير و أنسه بالدنيا غالبا أضـعف،و بقدر ضـعف علاقته يتضاعف ثواب أذكاره و عبادته،إذ حركات اللسان و الجوارح ليست مراده لأعيانها بل ليتأكـد بها الأنس بالمذكور و تأثيرها فى إثـاره الأنس فى قلب فارغ عن غير المـذكور أشـد من تأثيرها فى قلب مشـغول،و لهـذا وردت الأخبار مطلقه فى فضل الفقر على الغنى،و فى فضل الفقراء على الأغنياء.

(الثانى)فى الترجيح بين الفقر مع الحرص و الجزع،و الغنى مع الحرص و الإمساك.

و التحقيق فيه أن مطلوب الفقير إن كـان مـا لاـ بـد منه فى المعيشه و كان حرصه فى تحصـيل هـذا القـدر دون الزائـد منه و كان قصده

الاستعانه به على الدين،و كذا كان حرص الغنى و إمساكه فى هذا القدر بهذا القصد،فحال الوجود أفضل لأن الفقد يصده عن أمور الدين لاضطراره فى طلب القوت،و هو أولى بالتفضيل إذا كان قصد الغنى ذلك و كان مطلوب الفقير فوق الحاجه،أو قدر الحاجه،أو قدر الحاجه بدون قصد الاستعانه به إلى أمر الدين.و إن كان مطلوب كل منها فوق الحاجه أو لم يكن قصدهما الاستعانه به على أمر الدين،فالفقد أصلح و أفضل، لأنهما استويا فى الحرص و حب المال،و فى عدم قصد الاستعانه به على الدين،لكنهما افترقا فى أن الواجد يتأكد حب الدنيا فى قلبه،و يطمئن إليها لأنسه بها،و الفاقد يتجافى قلبه عنها اضطرارا،أو تكون الدنيا عنده كالسجن الذى يطلب الخلاص منه.و هو أولى و أحرى بالتفضيل،إذا كان قصد الفقير ذلك و كان قصد الغنى فوق الحاجه،أو قدر الحاجه بدون الاستعانه به على أمر الدين.

(الثالث)فى الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه،و غنى هو دونه فى الحرص

على حفظ المال،و تفجعه بفقد المال لو فقده أقل من تفجع الفقير بفقده،و الظاهر حينئذ كون الفقير أسوأ حالا،إذ البعد عن اللّه بقدر قوه التفجع بفقد المال،و القرب بقدر ضعف التفجع به.

فصل ما ينبغى للفقير

ينبغى للفقير ألاـ يكون كارها للفقر من حيث إنه فعل اللّه و من حيث إنه فقر،بل يكون راضيا به طالبا له فرحانا به لعلمه بغوائل الغنى،و أن

يكون متوكلا فی باطنه علی اللّه،واثقا به فی إتيان قدر ضرورته،و يكون قانعا به،كارها للزياده عليه،منقطع الطمع عن الخلق،غير ملتفت إلی ما فی أيديهم،و غير حريص علی اكتساب المال كيف كان،و أن يكون صابرا شاكرا علی فقره،

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن اللّه عقوبات بالفقر،و مثوبات بالفقر،فمن علامات الفقر إذا كان مثوبه أن يحسن عليه خلقه،و يطيع به ربه،و لا يشكو حاله،و يشكر اللّه تعالی علی فقره و من علاماته إذا كان عقوبه أن يسوء عليه خلقه،و يعصی ربه بترك طاعته و يكثر الشكايه،و يتسخط بالقضاء»، و هذا يدل علی أن كل فقير ليس مثابا علی فقره،بل من يرضی بفقره،و يفرح به،و يقنع بالكفاف، و يقصر الأمل،و إن لم يرض به و تشوف إلی الكثره و طول الأمل،و فاته عز القناعه،و تدنس بذل الحرص و الطمع،و جره الحرص و الطمع إلی مساوی الأخلاق،و ارتكاب المنكرات الخارقه للمروات حبط أجره و كان آثما قلبه.

و ينبغی أن يظهر التعفف و يستر الفقر و يستر،أنّه يستر و ألا يخالط الأغنياء، و لا يرغب فی مجالستهم،و لا يتواضع لهم لأجل غناهم بل يتكبر عليهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أحسن تواضع الغنی للفقير رغبه فی ثواب اللّه،و أحسن منه تيه الفقير علی الغنی ثقه باللّه» ،و ألا يسكت عن ذكر الحق مداهنه للأغنياء،و طمعا بما فی أيديهم،و لا يفتر بسبب فقره عن عباده اللّه،و يبذل قليل ما يفضل عنه،فإن ذلك جهد المقل، و فضله أكثر من أموال كثيره يبذلها الغنی،

قال رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله: «درهم من الصدقه أفضل عند اللّه من مائه ألف دينار،قيل و كيف ذلك يا رسول اللّه؟قال:أخرج رجل من عرض ماله مائه ألف دينار يتصدق بها،و أخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما

طیبه به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائه ألف دینار» و ینبغی ألا یدخر أزید من قدر الحاجه،فإن لم یدخر أکثر من قوت یومه و لیلته فهو من الصـدیقین،و إن لم یدخر أکثر من قوت أربعین یوما کان من المتقین،و إن لم یدخر أکثر من قوت سنه-و هو الفضل المشترک بین الفقر و الغنی-کان من الصالحین،و لو زاد علیه خرج عن زمره الفقراء.

فصل وظیفه الفقراء

مـا یعطی الفقیر بغیر سؤاله:إن کـان(حرامـا أو شـبهه)وجب علیه رده و الاجتنـاب عنه،و إن کان(حلالا)،فإن کان(هـدیه)اسـتحب قبوله تأسـیا برسول اللّه صـلی اللّه علیه و آله إن لم تکن فیه منه،و لو کانت فیه منه فالأولی ترکه.و کان بعضهم إذا أعطاه صدیقه شیئا یقول له اترکه عنـدک،و انظر إن کنت أنا بعد قبوله فی قلبک أفضل منی قبل القبول فأخبرنی حتی آخذه و إلا فلا،و علامه ذلـک أن یشق علی المعطی رده، و یفرح بـالقبول،و یری المنه علی نفسه فی قبوله،و إن کـان(صـدقه أو زکـاه)أو غیر ذلک مما یکون للثواب المحض،فینبغی أن ینظر فی اسـتحقاقه لـذلک،فـإن کـان من أهله قبله و إلاـ رده،و إن کان المعطی أعطاه لوصـف یعلمه فیه کعلم أو ورع أو کونه علویا،و لو لم یکن له هذا الاختصاص لنفر طبعه،و لما تقرب إلی اللّه بإعطائه،و لم یکن هو باطنا کـذلک فأخذه حرام،و إن لم یکن هدیه و لا صدقه بل أعطاه للشـهره و الریاء و السـمعه فینبغی أن یرد علیه و لا یقبله،و إلا کان معینا له علی غرضه الفاسد،و الإعانه علی الإثم إثم.

فصل موارد قبول العطاء و ردها

ما يعطى الفقير إن كان محتاجا إليه و لم يكن أزيد من حاجته فالأفضل له الأخذ إذا سلم من الآفات المذكوره،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «ما المعطى من سعه بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا»،

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من أتاه شيء من هذا المال من غير مسأله و لا استشراف فإنما هو رزق ساقه اللّه إليه فلا يرده»، و إن كان زائدا على قدر حاجته فليرد الزائد إن كان طالبا طريق الآخره، إذ الزياده على قدر الحاجه إنما يأتيك ابتلاء و فتنه لينظر اللّه إليك ما ذا تعمل فيه،و قدر الحاجه يأتيك رفقا بك،فأنت فى أخذ قدر الحاجه مثاب،و فيما زاد عليه إما عاص أو متعرض للحساب،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «لا حق لابن آدم إلا فى ثلاث:طعام يقيم صلبه،و ثوب يوارى عورته،و بيت يسكنه،فما زاد فهو حساب»، فلا ينبغى لطالب السعاده أن يأخذ الأزيد من قدر الحاجه،إذ النفس إذا رخصت فى نقض العزم و العهد ألفت به،و ردها بعد الألف و العاده مشكل.

و الحاصل أن أخذ قدر الحاجه راجع لكونه مما لا بد منه،و إيجابه ثواب المعطى،و لذلك

لما أمر موسى بن عمران عليه السلام بأن يفطر عند بنى إسرائيل قال:إلهى ما بالى فرقت رزقى على أيدى بنى إسرائيل يغدينى هذا يوما و يعشينى هذا ليله،فأوحى اللّه إليه:«هكذا أصنع بأوليائى أجرى أرزاقهم على أيدى البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم». فلا ينبغى أن يرى المعطى إلا من حيث إنه مسخر مأجور.

و أما أخذ الزياده على قدر الحاجه فليس مما ينبغى،من كان حاله التكفل بأمور الفقراء و الإنفاق عليهم،لما فى طبعه من البذل و السخاء، و الرفق و العطاء،فيجوز له أخذ الزياده ليبذلها على المستحقين،و لكن يلزم أن يبادر إلى الصرف إليهم و لا ينبغى أن يدخر،إذ فى إمساكه و لو فى يوم واحد أو ليله واحده فتنه و اختبار،فربما مالت النفس إلى الإمساك و يصير وبالا عليها،و قد نقل أن جماعه تصدوا لخدمه الفقراء و التكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الأماره بإعانه الشيطان فاتخذوها وسيله إلى التوسع فى المال،و التنعم فى المطعم و المشرب،و انجر أمرهم إلى الهلاك.

فصل لا يجوز السؤال من غير حاجه

ينبغى للمؤمن ألا يسأل الناس من غير حاجه اضطر إليها،بل يستعف عن السؤال ما استطاع،لأنه فقر معجل،و حساب طويل يوم القيامه و الأصل فيه التحريم لتضمنه الشكوى من اللّه،و إذلال السائل نفسه عند غير اللّه،و إيذاء المسئول غالبا،إذ ربما لم تسمح نفسه بالبذل عن طيب القلب،و بعد السؤال ألجأه الحياء أو الرياء إليه،و معلوم أن الإعطاء استحياء أو رياء لئلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم إياه إلى البخل لا يكون له حليه شرعا.

و لتضمنه هذه المفاسد ورد فى الشريعه المنع منه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «مسأله الناس من الفواحش»،

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من سأل عن ظهر غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم، و من سأل و له ما يغنيه جاء يوم القيامه و وجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من سأل الناس و عنده قوت ثلاثه أیام لقی اللّه یوم یلقاه و لیس علی وجهه لحم»

(۱)

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما من عبد فتح علی نفسه بابا من المسأله إلا فتح اللّه علیه سبعین بابا من الفقر».

و قال: «إن المسأله لا تحل إلا لفقر مدقع أو غرم مفظع»

و قال: «السؤال عن ظهر غنی صداع فی الرأس،و داء فی البطن».

و قال: «من سأل الناس أموالهم تکثرا فإنما هی جمره فلیستقل منه أو لیستکثر».

و روی: «أنه جاءت فخذ من الأنصار إلی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فسلموا علیه فرد علیهم السلام،فقالوا یا رسول اللّه إن لنا إلیک حاجه فقال:(هاتوا حاجتکم)فقالوا إنها حاجه عظیمه فقال:

(هاتوها ما هی)قالوا:تضمن لنا علی ربک الجنه،فنکس رأسه،ثم نکت (۲)فی الأرض،ثم رفع رأسه فقال:(أفعل ذلک بکم علی ألا تسألوا أحدا شیئا)،فکان الرجل منهم یکون فی السفر فیسقط سوطه،فیکره أن یقول لإنسان ناولنیه فرارا من المسأله و ینزل فیأخذه،و یکون علی المائده و یکون بعض الجلساء أقرب إلی الماء منه فلا یقول ناولنی حتی یقوم فیشرب» (۳)

و بایع صلی اللّه علیه و آله قوما علی الإسلام فاشترط علیهم السمع و الطاعه،ثم قال لهم خفیه:«لا تسألوا الناس شیئا»،فکان بعد ذلک تقع المحفره من ید أحدهم فینزل لها و لا یقول لأحد ناولنیها.و کان

۱- ۱) روی هذا الحدیث عینه عن الصادق-علیه السلام-(الوسائل کتاب الزکاه أبواب الصدقه الباب ۳۲ الحدیث ۵).

۲- ۲) نکت الأرض بقضیب أو بإصبعه:ضربها به حال التفکر فأکثر فیها.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی الوسائل(کتاب الزکاه ابواب الصدقه الباب ۳۳ الحدیث ۴)و هو یرویه عن الکافی.

صلی اللّه علیه و آله یأمر غالبا بالتعفف عن السؤال،و یقول:«من سألنا أعطیناه،و من استغنی أغناه اللّه،و من لم یسألنا فهو أحب إلینا»

و قال:

«و ما قل من السؤال فهو خیر»قالوا:و منک یا رسول اللّه؟قال:

«و منی»:«لو أن أحدکم أخذ حبلا فیأتی بحزمه حطب علی ظهره فیبیعها و یکف بها وجهه،خیر من أن یسأل».

و قال سید الساجدین علیه السلام: «ضمنت علی ربی أنه لا یسأل أحد أحدا من غیر حاجه إلا اضطرته المسأله یوما إلی أن یسأل من حاجه»

و نظر علیه السلام یوم عرفه إلی رجال و نساء یسألون،فقال«هؤلاء شرار خلق اللّه،الناس مقبلون علی اللّه و هم مقبلون علی الناس».

و قال الباقر علیه السلام: «أقسم باللّه و هو حق ما فتح رجل علی نفسه باب مسأله إلا فتح اللّه علیه باب فقر»،

و قال الصادق علیه السلام: «طلب الحوائج إلی الناس استلاب (۱)للعز و مذهبه للحیاء،و الیأس مما فی أیدی الناس عز للمؤمن فی دینه،و الطمع هو الفقر الحاضر».

و قال الصادق علیه السلام: «لو یعلم السائل ما علیه من الوزر ما سأل أحد أحدا،و لو یعلم المسئول ما علیه إذا منع ما منع أحد أحدا».

و قال: «من سأل من غیر حاجه فکأنما یأکل الجمر».

ثم المنع و التحریم إنما هو فی السؤال بدون الاضطرار،و أما مع الحاجه و الاضطرار فلا ریب فی جوازه،و قد وردت به الرخصه،قال اللّه سبحانه:

وَ أَمَّا السّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ

(۲)

.

۱- ۱) الاستلاب بمعنی السلب،و هو من باب الافتعال.

۲- ۲) الضحى،الآيه:۱۰.

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «لا تردوا السائل و لو بشق تمره»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لو لا أن السائل يكذب ما قدس من رده»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «للسائل حق و إن جاء على الفرس»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا تردوا السائل و لو بظلف محترق»

(1)

.و لو كان السؤال مطلقا حراما لما أجاز اللّه و رسوله إعانه العاصى على معصيته.

ثم الحاجه المجوزه للسؤال:ما بلغت حد الاضطرار،كسؤال الجائع الخائف على نفسه بالموت أو المرض لو لم يصل إليه قوت،و سؤال العارى الذى بدنه مكشوف و يخاف من الحر و البرد-أو لم تبلغ إليه،و هى إما حاجه(مهمه)كالاحتياج إلى الجبه فى الشتاء بحيث لولاها لتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهى إلى حد الضروره،و الاحتياج إلى الكرى مع القدره على المشى مع المشقه،أو حاجه(خفيفه)كالاحتياج إلى الإدام مع وجود الخبز-فالظاهر جواز السؤال فى جميع ذلك(مع رجحانه فى الأول، و إباحته فى الثانى،و مرجوحيته فى الثالث)،بشرط إخلائه عن المحذورات المذكوره،أعنى الشكوى و الذل و الإيذاء،و تندفع هذه المحذورات بأن يظهر حاجته تعريضا بعد تقديم الشكر للّه،و إظهار الاستغناء عن الخلق عند بعض الأصدقاء أو الأسخياء،إذ السؤال من الصديق لا يوجب الإذلال و السخى لا يتأذى بالسؤال بل يفرح به.

ثم ما ذكر إنما هو فى السؤال للاحتياج إليه بعد النسبه لما يحتاج إليه فى الحال،و أما السؤال لما يحتاج إليه فى الاستقبال،فإن كان يحتاج إليه بعد السنه فهو حرام قطعا،و إن كان يحتاج إليه قبلها،سواء كان بعد

١- ١) صححنا أكثر الأحاديث هنا على ما فى سفينه البحار الجزء الأول ص ۵٨۵ و كتاب الزكاه من الوسائل أبواب الصدقه باب ٣٣-٣٧ و إحياء الأحياء فى كتاب الفقر.

أربعين یوما من یومه أو خمسین أو أقل أو أكثر،فإن أمكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجه فلا یحل له السؤال،و إن علم بأنه لا یتمكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهه و المرجوحیه،و كلما كان تراخی الحاجه عن یومه أكثر كانت الكراهه أشد.ثم معرفه درجات الحاجه و ضعفها و شدتها و الوقت الذی یحتاج فیه موكول إلی العبد و منوط باجتهاده و نظره لنفسه بینه و بین اللّه،فلیعمل به بعد استغناء قلبه علی ما یقتضیه سلوك طریق الآخره،و كلما كان یقینه أقوی،و ثقته بمجیء الرزق أتم،و قناعته بقوت الوقت أظهر،فدرجته عند اللّه أعلی.

فیا حبیبی،لا تهبط نفسك من أوج التوكل و الاعتماد علی اللّه إلی حضیض الخوف و الاضطراب فی مجیء رزقك،و لا تصغ إلی تخویف الشیطان،فإنه یعدكم الفقر و یأمركم بالفحشاء،و كن مطمئنا بوعد ربك إذ قال:

وَ اللّهُ یَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً

(۱)

.

و اسمع

قول نبیك-صلی اللّه علیه و آله-حیث قال: «لو توكلتم علی اللّه حق توكله،لرزقتم كما ترزق الطیور،تغدوا خماصا و تروح بطانا».

و منها:

اشاره

الحرص

و هو معنی راتب فی النفس،باعث علی جمیع ما لا یحتاج إلیه و لا یفیده من الأموال،من دون أن ینتهی إلی حد یكتفی به،و هو أقوی شعب

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۸.

حب الدنيا و أشهر أنواعه.و لا ريب فى كونه ملكه مهلكه و صفه مضله بل باديه مظلمه الأرجاء و الأطراف،و هاويه غير متناهيه الأعماق و الأكناف من وقع فيها ضل و باد،و من سقط فيها هلك و ما عاد.و التجربه و الاعتبار و الأخبار و الآثار متظاهره على أن الحريص لا ينتهى إلى حد يقف دونه، بل لا يزال يخوض فى غمرات الدنيا إلى أن يغرق،و تطرحه أرض إلى أرض حتى يهلك.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب،لابتغى وراءهما ثالثا،و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب،و يتوب اللّه على من تاب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«منهومان لا يشبعان:منهوم العلم،و منهوم المال».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «يشيب ابن آدم و تشب فيه خصلتان:الحرص،و طول الأمل»

و قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «مثل الحريص على الدنيا كمثل دوده القز،كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج،حتى تموت غما».

و قال الصادق عليه السلام: «إن فيما نزل به الوحى من السماء لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهبا و فضه لابتغى لهما ثالثا.يا ابن آدم إنما بطنك بحر من البحور و وارد من الأوديه،لا يملأه شىء إلا التراب» و قال بعض الأكابر:«من عجيب أمر الإنسان،أنه لو نودى بدوام البقاء فى أيام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مده التمتع و توقع الزوال».ثم ما ورد من الأخبار فى ذمه أكثر من أن تحصى،و لا حاجه إلى إيرادها لاشتهارها.

و قال الباقر-عليه السلام-: «رب حريص على أمر قد شقى به حين أتاه، و رب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه». و أى خسران أشد من أن يسعى الإنسان فى طلب به هلاكه؟و أى تأمل فى أن كلما يحرص عليه الإنسان من أموال الدنيا يكون مهلكا له؟!

وصل القناعه

ضد الحرص(القناعه).و هی ملکه للنفس:توجب الاکتفاء بقدر الحاجه و الضروره من المال،من دون سعی و تعب فی طلب الزائد عنه،و هی صفه فاضله یتوقف علیها کسب سائر الفضائل،و عدمها یؤدی بالعبد إلی مساوئ الأخلاق و الرذائل،و هی المظنه للوصول إلی المقصد و أعظم الوسائل لتحصیل سعاده الأبد،إذ من قنع بقدر الضروره من المطعم و الملبس،و یقتصر علی أقله قدرا أو أخسه نوعا،و یرد أمله إلی یومه أو إلی شهره،و لا یشغل قلبه بالزائد عن ذلک،کان فارغ البال مجتمع الهم،فیتمکن من الاشتغال بأمر الدین و سلوک طریق الآخره، و من فاتته القناعه،و تدنس بالحرص و الطمع و طول الأمل،و خاض فی غمرات الدنیا،تفرق قلبه و تشتت أمره.فکیف یمکنه التشمر لتحصیل أمر الدین و الوصول إلی درجات المتقین؟و لذلک ورد فی مدح القناعه ما ورد من الأخبار،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «طوبی لمن هدی للإسلام،و کان عیشه کفافا به!»

. و قال: «ما من أحد،من غنی و لا فقیر،إلا ود یوم القیامه أنه کان أوتی قوتا فی الدنیا».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «أیها الناس،أجملوا فی الطلب،فإنه لیس للعبد إلا ما کتب له فی الدنیا،و لن یذهب عبد من الدنیا حتی یأتیه ما کتب له فی الدنیا و هی راغمه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «نفث روح القدس فی روعی:أنه لن تموت نفس حتی تستکمل رزقها.فاتقوا اللّه و أجملوا فی الطلب».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «کن ورعا تکن أعبد الناس

و كن قانعا تكن أشكر الناس،و أحب للنّاس ما تحب لنفسک تكن مؤمنا»

و فی الخبر القدسی: «يا ابن آدم،لو كانت الدنيا كلها لک لم يكن لک منها إلا القوت،فإذا أنا أعطيتک منها القوت و جعلت حسابها على غيرك فأنا إليک محسن».

و روى: «أن موسى سأل ربه تعالى،و قال:أى عبادک أغنى؟قال:أقنعهم لما أعطيته».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام «ابن آدم،إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيک،فإن أيسر ما فيها يكفيک و إن كنت إنما تريد ما لا يكفيک،فإن كل ما فيها لا يكفيک».

و قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إياک أن تطمح بصرک إلى من هو فوقک فكفى بما قال اللّه عز و جل لنبيه-صلى اللّه عليه و آله-:

فَلاٰ تُعْجِبْکَ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ

(۱)

.و قال:

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا

(۲)

.

فإن دخلک من ذلک شیء،فاذكر عيش رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-فإنما كان قوته الشعير-و حلواه التمر،و وقوده السعف إذا وجده» (۳)

و قال: «من قنع بما رزقه اللّه فهو من أغنى الناس.

و قال

۱- ۱) التوبه،الآيه.۵۶.

۲- ۲) طه،الآيه:۱۳۱.

۳- ۳) صححنا الحديث و ما قبله على ما فی(الكافی):باب القناعه،و كذا الحديثين المذكورين بعده.إلا أن هذا الحديث مروى

فی(الکافی)عن أبی جعفر -علیه السلام-و روی فی(الوسائل)عن کتاب الزهد،فی أبواب جهاد النفس من کتاب الجهاد:الباب ۶۱ الحدیث ۱۱،ما یقرب من عباره هذا الحدیث عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-.

الصادق عليه السلام: «من رضی من اللّه بالیسیر من المعاش رضی اللّه عنه بالیسیر من العمل».

و قال: «مکتوب فی التوراه:ابن آدم،کن کیف شئت کما تدین تدان،من رضی من اللّه بالقلیل من الرزق قبل اللّه منه الیسیر من العمل،و من رضی بالیسیر من الحلال خفت مؤنته و زکت مکسبته و خرج من حد الفجور».

و قال: «إن اللّه عز و جل یقول:

یحزن عبدی المؤمن إن قترت علیه،و ذلک أقرب له منی،و یفرح عبدی المؤمن إن وسعت علیه،و ذلک أبعد له منی».

و قال: «کلما ازداد العبد إیمانا ازداد ضیقا فی معیشته». و الأخبار الوارده فی فضیله القناعه أکثر من أن تحصی،و ما أوردناه کاف لأهل البصیره.

فصل علاج الحرص

طریق المعالجه فی إزاله الحرص و تحصیل القناعه:أن یتذکر أولا-ما فی القناعه من المدح و الشرافه،و عز النفس و فضیله الحریه،و ما فی الحرص من الذم و المهانه،و تحمل الذله و متابعه الشهوه.و یعرف أن من لا یؤثر عز النفس علی شهوه البطن،فهو قلیل العقل ناقص الإیمان.ثم یتذکر ما فی جمع المال من الآفات الدنیویه و العقوبات الأخرویه،و یکثر التأمل فیما مضی علیه عظماء الخلق و أعز أصنافهم،أعنی الأنبیاء و الأوصیاء و من سار بسیرتهم من السلف الأتقیاء،من صبرهم علی القلیل،و قناعتهم بالیسیر،و فیما یجری علیه الکفار من الهند و و الیهود و النصاری و أراذل

الناس و أغنيائهم و أمثالهم،من التنعم و جمع المال الكثير. و بعد هذا التأمل لا أظنه يشك فى أن الاقتداء بأعز الخلائق أحسن من الاقتداء بأراذلهم، بل المتأمل يعرف أن الحريص المتكالب على لذات الدنيا خارج عن أفق الإنسانيه،و داخل فى جريده البهائم،إذ الحرص على شهوات البطن و الفرج من لوازم البهيميه،و أحرص الناس على الشهوات لا يبلغ رتبه البهائم فى ذلك.فما من حريص على التنعم فى البطن إلا-و الحمار أكثر أكلا-منه،و ما من حريص على الجماع إلا و الخنزير أشد نزوا منه.فظهر أن الحريص فى مرتبه الخنزير و الحمير و اليهود و الهند،و القانع لا يساهمه فى الرتبه إلا الأنبياء و الأولياء.و بعد التأمل فى جميع ما ذكر،يتم العلاج العلمى،و به تسهل إزاله الحرص و اكتساب القناعه .فليبادر إلى العلاج العملى،و هو العمل بالاقتصاد فى أمر المعيشه،ليسد أبواب الخرج ما أمكن و رد النفس إلى ما لا بد منه.فإن من كثر خرجه و اتسع إنفاقه،لم تمكنه القناعه،فإن كان وحده،اكتفى بثوب خشن،و يقنع بأى طعام كان و يقلل من الإدام ما أمكنه،و هكذا الحال فى سائر ما يضطر إليه و يوطن نفسه عليه.و إن كان له عيال رد كل واحد منهم إلى هذا القدر.و إذا بنى أمره على الاقتصاد،لم يحتج إلى كثير جهد و إن كان معيلا.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «ما عال من اقتصد» (۱).

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ثلاث منجيات:خشيه اللّه فى السر و العلانيه،و القصد فى الغناء و الفقر،و العدل فى الرضا و الغضب».

و قال: «التدبير نصف المعيشه».

و قال: «من اقتصد أغناه اللّه،و من بذر أفقره اللّه».

۱ - ۱) روى فى(سفينه البحار):۲:۴۳۱،عن أمير المؤمنين-عليه السلام- مثل هذا الحديث هكذا:«ما عال امرؤ اقتصد»،و كذا فى(بحار الأنوار): ۲ مج ۱۵-۱۹۹.

و قال «الاقتصاد،و حسن الصمت،و الهدی الصالح،جزء من بضع و عشرین جزءا من النبوه».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «القصد مثراه و السرف متواه» (۱).

و قال السجاد-علیه السلام-: «لینفق الرجل بالقصد و بلغه الکفاف،و یقدم منه الأفضل لآخرته،فإن ذلک أبقی للنعمه و أقرب إلی المزید من اللّه تعالی،و أنفع فی العافیه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «إن القصد أمر یحبه اللّه،و إن السرف أمر یبغضه اللّه،حتی طرحک النواه،فإنها تصلح لشیء،و حتی صبک فضل شرابک (۲)

و قال-علیه السلام-: «ضمنت لمن اقتصد ألا یفتقر»

و قال-علیه السلام-: «إن السرف یورث الفقر،و إن القصد یورث الغناء».

و الأخبار فی مدح الاقتصاد أکثر من أن تحصی.

ثم إذا تیسرت له المعیشه فی الحال،فلا ینبغی أن یکون مضطربا لأجل الاستقبال،و یعتمد علی فضل اللّه و وعده بأن الرزق الذی قدر له یأتیه و إن لم یکن حریصا و لا مضطربا لأجله و لا یعلم لنفسه مدخلا یأتی رزقه منه.و قال اللّه تعالی:

وَ مٰا مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ إِلاّٰ عَلَی اللّٰهِ رِزْقُهٰا

(۳)

.

و قال: وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لاٰ یَحْتَسِبُ (۴).

ص :۱۰۸

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی(الوافی):۵-۲۹۵،و قال فیه:«کلاهما بکسر المیم:اسم آله من الثروه.و التوی-بالمثناه-بمعنی الهلاک و التلف»

۲- ۲) صححنا الحدیث علی ما فی(الوافی):۵-۲۴۵.

۳- ۳) هود،الآیه:۶.

۴- ۴) الطلاق،الآیه:۲-۳.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «أبى اللّه أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب».

ثم ينبغى ألا ينظر إلى من هو فوقه،بل ينظر إلى من هو دونه فى التنعم و فى مال الدنيا،فإن الشيطان يصرف نظره فى أمر الدنيا إلى من هو فوقه،و يقول:لم تفتر عن طلب الدنيا و أرباب الأموال يتنعمون فى المطاعم و الملابس؟و يصرف نظره فى أمر الدين إلى من هو دونه،و يقول:

لم تضيق على نفسك و تخاف اللّه و فلان أعلم منك و لا يخاف اللّه؟

قال أبو ذر(ره): «أوصانى خليلى رسول اللّه أن أنظر إلى من هو دونى، لا إلى من هو فوقى فى الدنيا».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إذا نظر أحدكم إلى من فضله اللّه عليه فى المال و الخلق،فلينظر إلى من هو أسفل منه».

و منها:

اشاره

الطمع

و هو التوقع من الناس فى أموالهم،و هو أيضا من شعب حب الدنيا و من أنواعه،و من الرذائل المهلكه.

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله «إياك و الطمع،فإنه الفقر الحاضر».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«استغن عمن شئت تكن نظيره،و أرغب إلى من شئت تكن أسيره، و أحسن إلى من شئت تكن أميره».

و قال الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبد له طمع يقوده،و بئس العبد عبد له رغبه تذله»

و قيل للصادق عليه السلام:ما الذى يثبت الإيمان فى العبد؟قال:«الورع

و الذی یخرجه منه الطمع» (۱)و الأخبار فی ذم الطمع کثیره،و کفی به ذما أن کل طامع یکون ذلیلا مهینا عند الناس،و أن وثوقه بالناس و اعتماده علیهم أکثر من وثوقه باللّه،إذ لو کان اعتماده علی اللّه أکثر من اعتماده علی الناس لم یکن نظره إلیهم،بل لم یطمع من أحد شیئا إلا من اللّه سبحانه.

وصل الاستغناء عن الناس

ضد الطمع هو(الاستغناء عن الناس)و هو من الفضائل الموجبه لتقرب العبد إلی اللّه سبحانه،إذ من استغنی باللّه عن غیر اللّه أحبه اللّه.

و الأخبار الآمره بالاتصاف به و المادحه له کثیره.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «لیس الغنی عن کثره العروض،إنما الغنی غنی النفس»

و قال لأعرابی طلب منه موعظه:«اذا صلیت فصل صلاه مودع،و لا تحدثن بحدیث تعتذر منه غدا،و اجمع الیأس عما فی أیدی الناس».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «علیک بالیأس عما فی أیدی الناس،فإنه الغنی الحاضر».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «لیجتمع فی قلبک الافتقار إلی الناس و الاستغناء عنهم،فیکون افتقارک إلیهم فی لین کلامک و حسن بشرک،و یکون استغناؤک عنهم فی نزاهه عرضک و بقاء عزک»

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی)فی باب الطمع کما اثبتناه،لکن فی(سفینه البحار):۲-۹۳،رواه عن الصادق-علیه السلام- هکذا:«قال:قلت: ما الذی یثبت الإیمان فی قلب العبد؟قال:الذی یثبته فیه الورع،و الذی یخرجه منه الطمع».

و قال سيد الساجدين-عليه السلام-: «رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع عما فى أيدى الناس،و من لم يرج الناس فى شىء،و رد أمره إلى اللّه تعالى فى جميع أموره،استجاب اللّه تعالى له فى كل شىء».

و قال الباقر-عليه السلام-: «سخاء المرء عما فى أيدى الناس أكثر من سخاء النفس و البذل،و مروه الصبر فى حال الفاقه و الحاجه و التعفف و الغنى أكثر من مروه الإعطاء،و خير المال الثقه باللّه و اليأس مما فى أيدى الناس»

و قال-عليه السلام-: «اليأس مما فى أيدى الناس عز المؤمن فى دينه»

و قال الصادق عليه السلام: «شرف المؤمن قيام الليل،و عزه استغناؤه عن الناس».

و قال-عليه السلام-: «شيعتنا من لا يسأل الناس،و لو مات جوعا».

و قال-عليه السلام-: «ثلاث هنّ فخر المؤمن و زينته فى الدنيا و الآخره:الصلاه فى آخر الليل،و يأسه مما فى أيدى الناس، و ولايته للإمام من آل محمد-عليهم السلام-».

و قال عليه السلام:

«إذا أراد أحدكم ألا يسأل ربه شيئا إلا أعطاه،فلييأس من الناس كلهم و لا يكون له رجاء إلا عند اللّه،فإذا علم اللّه ذلك من قلبه،لم يسأل اللّه شيئا إلا أعطاه (۱)ثم طريق العلاج فى قطع الطمع و كسب الاستغناء قريب مما ذكر فى علاج إزاله الحرص و تحصيل القناعه،فتذكر.

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث هنا-ابتداء من الحديث المروى عن على-عليه السلام- على(الكافى):باب الاستغناء عن الناس.و(الوسائل):كتاب الزكاه،أبواب الصدقه،الباب ۳۷.

و منها:

اشاره

البخل

و هو الإمساک حیث ینبغی البذل،کما أن الإسراف هو البذل حیث ینبغی الإمساک،و کلاهما مذمومان،و المحمود هو الوسط،و هو الجود و السخاء.إذ لم یؤمر رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إلا بالسخاء،و قیل له:

وَ لاٰ تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَهً إِلیٰ عُنُقِکَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا کُلَّ الْبَسْطِ

(۱)

.و قال تعالی: وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً (۲).

فالجود وسط بین الإقتار و الإسراف،و بین البسط و القبض،و هو تقدیر البذل و الإمساک بقدر الواجب اللائق.و لا یکفی فی تحقق الجود و السخاء أن یفعل ذلک بالجوارح ما لم یکن قلبه طیبا غیر منازع له فیه.

فإن بذل فی محل وجوب البذل و نفسه تنازعه و هو یضایرها فهو متسخ و لیس بسخی،بل ینبغی ألا یکون لقلبه علاقه مع المال إلا من حیث یراد المال له،و هو صرفه إلی ما یجب أو ینبغی صرفه إلیه.

۱- ۱) الإسراء،الآیه:۲۹.

۲- ۲) الفرقان،الآیه:۶۷.

فصل ذم البخل

البخل من ثمرات حب الدنيا و نتائجه،و هو من خبائث الصفات و رذائل الأخلاق.و لذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات و الأخبار.قال اللّه سبحانه:

اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ...

(۱)

.و قال تعالى: وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَهِ .(۲)

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «إياكم و الشح،فإنه أهلك من كان قبلكم،حملهم على أن سفكوا دماءهم و استحلوا محارمهم»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يدخل الجنه بخيل و لا خب و لا خائن و لا شيء الملكه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «البخيل بعيد من اللّه،بعيد من الناس،بعيد من الجنه،قريب من النار.و جاهل.

سخي أحب إلى اللّه من عابد بخيل،و أدوى الداء البخل» (۳)

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «الموبقات ثلاث:شح مطاع،و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن اللّه يبغض

۱- ۱) النساء،الآيه:۳۶.

۲- ۲) آل عمران،الآيه: ۱۸۰.

۳- ۳) الأحاديث كلها عاميه،صححناها على(إحياء العلوم)و(إحياء الأحياء).

الشیخ الزانی،و البخیل المنان،و المعیل المختال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إیاکم و الشح،فإنما هلک من کان قبلکم بالشح،أمرهم بالکذب فکذبوا،و أمرهم بالظلم فظلموا،و أمرهم بالقطیعه فقطعوا» (۱)

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «البخل شجره تنبت فی النار،فلا یلج النار إلا بخیل».

و قال: «خلق البخل من مقته،و جعل رأسه راسخا فی أصل شجره الزقوم،و دلی بعض أغصانها إلی الدنیا،فمن تعلق بغصن منها أدخله النار.ألا إن البخل من الکفر،و الکفر فی النار».

و قتل فی الجهاد رجل من أصحاب رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فبکته باکیه و قالت:وا شهیداه!فقال النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«ما یدریک أنه شهید؟فلعله کان یتکلم بما لا یعنیه،أو یبخل بما لا ینقصه».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه یبغض البخیل فی حیاته،و السخی عند موته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «السخی الجهول أحب إلی اللّه عز و جل من العابد البخیل».

و قال: «الشح و الإیمان لا یجتمعان فی قلب واحد».

و قال أیضا: «خصلتان لا تجتمعان فی مؤمن:البخل و سوء الخلق».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «لا ینبغی للمؤمن أن یکون بخیلا و لا جبانا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یقول قائلکم:الشحیح أعذر من الظالم.و أی ظلم أظلم عند اللّه من الشح؟حلف اللّه بعزته و عظمته و جلاله لا یدخل الجنه شحیح و لا بخیل».

و قال: «اللهم إنی أعوذ بک من البخل!».

و روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله-کان یطوف بالبیت،فإذا رجل متعلق بأستار الکعبه و هو یقول:بحرمه هذا البیت إلا غفرت لی ذنبی!قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

۱- ۱) صححنا الحدیث(علی البحار):ج ۳ من المجلد الخامس عشر ص ۱۴۳ و کذا الحدیث المتقدم.

و ما ذنبک؟صفه لی.قال:هو أعظم من أن أصفه لک.قال ویحک! ذنبک أعظم أم الأرضون؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال صلی اللّه علیه و آله ویحک!ذنبک أعظم أم الجبال؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال -صلی اللّه علیه و آله-:فذنبک أعظم أم البحار؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه قال-صلی اللّه علیه و آله-:فذنبک أعظم أم السماوات؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال:ذنبک أعظم أم اللّه؟قال:بل اللّه أعظم و أعلی و أجل.قال:ویحک اتصف لی ذنبک.قال:یا رسول اللّه،إنی رجل ذو ثروه من المال،و أن السائل لیأتینی لیسألنی فکأنما یستقبلنی بشعله من النار.فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:إلیک عنی!لا تحرقنی بنارک!فو الذی بعثنی بالهدایه و الکرامه،لو قمت بین الرکن و المقام، ثم صلیت ألفی ألف عام،و بکیت حتی تجری من دموعک الأنهار و تسقی بها الأشجار،ثم مت و أنت لئیم،لأکبک اللّه فی النار!ویحک!أ ما علمت أن اللّه یقول:

وَ مَنْ یَبْخَلْ فَإِنَّما یَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ

(۱)

.

وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ؟! (۲).

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «سیأتی علی الناس زمان عضوض،یعض المؤمن علی ما فی یدیه،و لم یؤمر بذلک.قال اللّه تعالی:

۱- ۱) محمد،الآیه:۳۸.

۲- ۲) الحشر،الآیه:۹.التغابن،الآیه:۱۶.

وَ لاٰ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

(۱)

.

و روى: «أنه ما من صباح إلا و قد وكل اللّه تعالى ملكين يناديان:

اللهم اجعل لكل ممسك تلفا،و لكل منفق خلفا!». و الأخبار فى ذم البخل أكثر من أن تحصى،مع أن تضمنه للمفاسد الدنيويه و الأخرويه مما يحكم به الوجدان و لا يحتاج إلى دليل و برهان،حتى أن النظر إلى البخيل يقسى القلب،و من كان له صفاء سريره،يكرب قلبه و يظلم من ملاقاته و قد قيل:«أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه).

وصل السخاء

ضد البخل(السخاء).و قد عرفت معناه،و هو من ثمره الزهد كما أن البخل من ثمره حب الدنيا.فينبغى لكل سالك لطريق الآخره أن يكون حاله القناعه إن لم يكن له مال،و السخاء و اصطناع المعروف إن كان له مال.و لا ريب فى كون الجود و السخاء من شرائف الصفات و معالى الأخلاق،و هو أصل من أصول النجاه،و أشهر أوصاف النبيين و أعرف أخلاق المرسلين.و ما ورد فى مدحه خارج عن حد الإحصاء،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «السخاء شجره من شجر الجنه أغصانها متدليه إلى الأرض،فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن إلى الجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن السخاء من الإيمان فى الجنه»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «السخاء شجره تنبت فى الجنه،فلا

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۳۷.

يلج الجنه إلا سخى».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «قال اللّه سبحانه إن هذا دين ارتضيته لنفسى،و لن يصلحه إلا السخاء و حسن الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ما جعل اللّه أولياءه إلا على السخاء و حسن الخلق».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن من موجبات المغفره:بذل الطعام.و إفشاء السلام،و حسن الكلام».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن السخى قريب من اللّه،قريب من الناس،قريب من الجنه،بعيد من النار».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«تجافوا عن ذنب السخى،فإن اللّه آخذ بيده كلما عثر»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «طعام الجواد دواء،و طعام البخيل داء»

(۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أفضل الأعمال:الصبر و السماحه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «خلقان يحبهما اللّه،و هما:حسن الخلق،و السخاء»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن اللّه جواد يحب الجود،و يحب معالى الأخلاق،و يكره سفاسفها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروه البعير،و إن اللّه تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكه-عليهم السلام-:».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «إن للّه عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد،فمن بخل بتلك المنافع عن العباد،نقلها اللّه عنه و حولها إلى غيره».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«الجنه دار الأسخياء».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «لشاب سخى مرهق فى الذنوب،أحب إلى اللّه من شيخ عابد بخيل (۲)

و قال صلی اللّه علیه و آله: «اصنع المعروف إلی من هو أهله و إلی من لیس بأهله،فإن

ص :117

1- 1) (البحار):2 مج 15-221،باب السخاء و السماحه.

2- 2) صححنا الحدیث علی(البحار)فی الموضع المتقدم:(الشحیح)بدل (البخیل).

أصبت أهله فقد أصبت أهله،و إن لم تصب أهله فأنت من أهله».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنه بصلاه و لا صيام،و لكن دخلوها بسخاء الأنفس،و سلامه الصدور،و النصح للمسلمين».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن اللّه عز و جل جعل للمعروف وجوها من خلقه،حبب إليهم المعروف و حبب إليهم فعاله،و وجه طلاب المعروف إليهم و يسر عليهم إعطاءه،كما ييسر الغيث إلى البلده الجدبه فيحييها و يحيى بها أهلها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «السخى محبب فى السماوات و محبب فى الأرضين،خلق من طينه عذبه،و خلق ماء عينيه من ماء الكوثر،و البخيل مبغض فى السماوات مبغض فى الأرضين، خلق من طينه سبخه،و خلق ماء عينيه من ماء العوسج».-

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «إن أفضل الناس إيمانا أبسطهم كفا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «يؤتى يوم القيامه برجل،فيقال:احتج فيقول:يا رب،خلقتنى و هديتنى،و أوسعت على فلم أزل أوسع على خلقك،و أنشر عليهم لكى تنشر على هذا اليوم رحمتك و تيسره.فيقول الرب-تعالى ذكره-:صدق عبدى،أدخلوه الجنه».

و روى: «أنه أتى النبى-صلى اللّه عليه و آله-وفد من اليمن،و فيهم رجل كان أعظمهم كلاما و أشدهم استقصاء فى محاجه النبى صلى اللّه عليه و آله فغضب النبى حتى التوى عرق الغضب بين عينيه،و تربد وجهه و أطرق إلى الأرض فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال:ربك يقول لك:هذا رجل سخى يطعم الطعام.فسكن عن النبى-صلى اللّه عليه و آله-الغضب،و رفع رأسه و قال:لو لا أن جبرئيل أخبرنى عن اللّه عز و جل أنك سخى تطعم الطعام لشردت بك،و جعلتك حديثا لمن خلفك!فقال له الرجل:إن ربك يحب السخاء؟فقال:نعم!فقال:إنى أشهد ألا إله إلاّ اللّه،و أنك

رسول اللّه،و الذی بعثک بالحق،لا رددت عن مالی أحدا!» (۱)،

و قال صلی اللّه علیه و آله: «کل معروف صدقه،و کل ما أنفق الرجل علی نفسه و أهله کتب له صدقه،و ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه و ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه،و ما أنفق الرجل من نفقه فعلی اللّه خلفها».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل معروف صدقه، و الدال علی الخیر کفاعله،و اللّه تعالی یحب إغاثه اللهفان».

و روی:

«أنه أوحی اللّه إلی موسی-علیه السلام-:لا تقتل السامری،فإنه سخی» (۲)

و قال عیسی علیه السلام: «استکثروا من شیء لا تأکله النار قیل:و ما هو؟قال:«المعروف».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام «و من یبسط یده بالمعروف إذا وجده،یخلف اللّه له ما أنفق فی دنیاه، و یضاعف له فی آخرته» (۳).

و قال الباقر-علیه السلام-: «إن الشمس لتطلع و معها أربعه أملاک:ملک ینادی:یا صاحب الخیر أتم و أبشر و ملک ینادی یا صاحب الشر انزع و اقصر،و ملک ینادی:أعط منفقا خلفا و آت ممسکا تلفا،و ملک ینضج الأرض بالماء،و لو لا ذلک اشتعلت الأرض».

و قال الصادق علیه السلام لبعض جلسائه: «أ لا أخبرک بشیء تقرب به من اللّه و تقرب من الجنه و تباعد من النار؟»،فقال:بلی.فقال:«علیک بالسخاء».

و قال: «خیارکم سمحاؤکم،و شرارکم بخلاؤکم.و من خالص الإیمان:البر بالإخوان و السعی فی حوائجهم،و أن البار بالإخوان

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(سفینه البحار):۱-۶۰۷،و علی(الوافی): ۵-۲۹۳،فی باب الجود و البخل.لکن بینهما اختلاف یسیر،فرجحنا تصحیح الحدیث علی ما فی(السفینه).

۲- ۲) الروایات کلها عامیه،صححناها علی احیاء العلوم:۳-۲۱۰.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(الوافی):۵-۲۹۴،باب الجود و البخل.

ليحبه الرحمن،و فى ذلك مرغمه للشيطان،و تزحزح عن النيران و دخول الجنان».

و قال الكاظم عليه السلام: «السخى الحسن الخلق فى كنف اللّه،لا يستخلى اللّه منه حتى يدخله الجنه.و ما بعث اللّه نبيا و لا وصيا إلا سخيا،و لا كان أحد من الصالحين إلا سخيا،و ما زال أبى يوصينى بالسخاء حتى مضى».

فصل معرفه ما يجب أن يبذل

لعلك تقول:إنك قلت:السخاء هو الوسط بين الاقتار و الإسراف و هو صرف المال إلى ما يجب أو ينبغى صرفه إليه،و هذا غير كاف لمعرفه حد السخاء،لتوقفه على معرفه ما يجب أو ينبغى،و هو عندنا مبهم.

قلنا:ما يجب أو ينبغى يتناول الواجب و اللائق بحسب الشرع و المروه و العاده.فالسخى هو الذى يؤدى واجب الشرع و واجب المروه و العاده جميعا،فإن منع واحدا منها فهو بخيل،و إن كان الذى يمنع واجب الشرع أبخل. ثم ما يجب بذله شرعا مضبوط معين،من الزكاه و الخمس و غيرهما من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه،و الإنفاق على أهله و عياله على قدر احتياجهم.فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعى و يستحق اسم السخى شرعا،إذا كان الأداء بطيبه من قلبه،من دون أن يشق عليه،إذ لو شق عليه ذلك كان بخيلا بالطبع و متسخيا بالتكلف و أما ما يجب مروه و عاده،فهو ترك المضايقه فى بذل ما يستقبح المضايقه فيه عرفا و عاده،و هو يختلف فى الأحوال و الأشخاص،فتستقبح من الغنى المضايقه ما لا يستقبح من الفقير،و مع الأهل و الأقارب ما لا يستقبح

مع الأجانب،و مع الجار ما لا يستقبح من البعيد،و فى الضيافه ما لا يستقبح أقل منه فى المبايعه و المعامله،و يستقبح من المضايقه فى الأطعمه ما لا يستقبح فى غيرها . و بالجمله:يختلف ذلک بما فيه المضايقه من ضيافه أو معامله و بما فيه المضايقه من طعام أو ثوب أو فرش أو غير ذلک.و بمن معه المضايقه من صديق أو قريب أو جار أو أجنبى أو بعيد،و بمن منه المضايقه من غنى أو فقير أو أمير أو رعيه أو عالم أو جاهل أو صبى أو کامل.

فالسخى هو الذى لا يمنع حيث ينبغى ألا يمنع شرعا أو مروه أو عاده، و البخيل من يمنع شيئا مما ينبغى ألا يمنع شرعا أو مروه أو عاده.و لا يمكن التنصيص على مقدار ذلک،فلعل حد البخل هو إمساک المال لغرض و ذلک الغرض أهم من حفظ المال،و فى مقابله الجود و السخاء.

ثم من يؤدى الواجب و يحفظ العاده و المروه،و لكن له مال كثير قد جمعه،لا يصرفه إلى المحتاجين و لا ينفقه فى الصدقات المستحبه ليكون له عده على نوائب الزمان،و إن لم يكن بخيلا عند عوام الخلق،و لكنه بخيل عند أهل الفطانه و الكياسه،إذ التبرى عن البخل و الاتصاف بصفه الجود و السخاء لا يتحقق عندهم ما لم يبذل زياده على قدر واجب الشرع و واجب المروه و العاده اللائقه به،لطلب الفضيله و الثواب،و نيل الدرجات فى الآخره.و تختلف هذه الزياده باختلاف مقدار ماله،و باختلاف حاجه المحتاجين و صلاحهم و ورعهم.فاتصافه بالجود،بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير،و تختلف درجات ذلک.فاصطناع المعروف أمر وراء ما توجبه العاده و المروه،و هو الجود بشرط أن يكون عن طيبه من النفس و لا يكون لأجل غرض،من خدمه أو مدح و ثناء.إذ من يبذل المال بعوض المدح و الثناء أو غيره فليس بجواد،بل هو بياع يشترى المدح بماله،لكون المدح ألذ عنده من المال.

فالجود هو بذل الشیء عن طیبه من القلب من غیر غرض،و هذا و إن کان حقیقته،إلا أنه لا یتصور فی غیر حق اللّه،إذ ما من إنسان یبذل الشیء إلا لغرض،لکن إذا لم یکن غرضه إلا الثواب فی الآخره و رفع الدرجات،و اکتساب فضیله الجود،و تطهیر النفس عن رذیله البخل،سمی جوادا،و إن کان غرضه شیئا من الأمور الدنیویه لم یسم جوادا.

تنبیه الإیثار

أرفع درجات الجود و السخاء(الإیثار)،و هو أن یجود بالمال مع الحاجه إلیه.قال اللّه سبحانه فی معرض الثناء علی أهل الإیثار:

وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَةٌ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: أیما امرؤ اشتهی شهوه، فرد شهوته و آثر علی نفسه،غفر له».

و کان الإیثار من شعار رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-،

و لقد قالت بعض زوجاته: «إنه-صلی اللّه علیه و آله-ما شبع ثلاثه أیام متوالیه حتی فارق الدنیا،و لو شئنا لشبعنا،و لکنا نؤثر علی أنفسنا»

و روی: «أن موسی بن عمران قال:یا رب،أرنی بعض درجات محمد و أمته.قال:یا موسی،إنک لن تطیق ذلک،لکنی أریک منزله من منازله،جلیله عظیمه،فضلته بها علیک و علی جمیع خلقی.قال (۲):

۱- ۱) الحشر،الآیه:۹.

۲- ۲) أی الراوی.

فکشف له عن ملکوت السماوات،فنظر إلی منزله کادت أن تتلف نفسه من أنوارها و قربها من اللّه،فقال:یا رب،بما ذا بلغ إلی هذه الکرامه؟قال تعالی:بخلق اختصصته به من بینهم،و هو الإیثار یا موسی لا یأتینی أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحییت من محاسبته، و بوأته من جنتی حیث یشاء»

و سئل الصادق-علیه السلام-:«أی الصدقه أفضل؟قال علیه السلام:جهد المقل.أ ما سمعت قول اللّه عز و جل: وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَهٌ؟ و إیثار علی -علیه السلام-غیره فی جمیع أوقات عمره مشهور،و فی الکتب مسطور و لقد آثر حیاه رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-علی حیاته لیله المبیت فباهی اللّه به الملائکه،و أنزل فیه:

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ

(۱)

.

و لقد کان الخواص من شیعته و المقتدون به فی سنته و سیرته، یجتهدون فی المحافظه علی هذه الفضیله مهما أمکن.

فصل علاج مرض البخل

علاج مرض البخل یتم بعلم و عمل.و العلم یرجع إلی معرفه آفه البخل و فائده الجود،و العمل یرجع إلی البذل علی سبیل التکلف إلی أن یصیر طبعا له.فکل طالب لإزاله البخل و کسب الجود ینبغی أن یکثر التأمل فی أخبار ذم البخل و مدح السخاء،و ما توعد اللّه به علی البخل من العذاب

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۰۷.

العظيم،و يكثر التأمل فى أحوال البخلاء و فى نفره الطبع عنهم،حتى يعرف بنور المعرفه أن البذل خير له من الإمساك فى الدنيا و الآخره.ثم يكلف نفسه على البذل و مفارقه المال،و لا يزال يفعل ذلك إلى أن يهيج رغبته فى البذل،و كلما تحركت الرغبه ينبغى أن يجتنب الخاطر الأول و لا يتوقف لأن الشيطان يعده الفقر و يخوفه و يوسوسه بأنواع الوساوس الصاده عن البذل.

و لو كان مرض البخل مزمنا غير مندفع بما مر،فمن معالجاته أن يخدع نفسه بحسن الاسم و الاشتهار بالجود،فيبذل على قصد الرياء،حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى الاشتهار بصفه الجود،فيكون قد زال عن نفسه رذيله البخل و اكتسب خبث الرياء،و لكن يتعطف بعد ذلك على الرياء و يزيله بعلاجه،و يكون طلب الشهره و الاسم كالتسليه للنفس عند فطامها عن المال،كما يسلى الصبى عند فطامه عن الثدى باللعب بالعصافير و غيرها لا لكون اللعب مطلوبا بذاته،بل لينتقل من الثدى إليه ثم ينتقل عنه إلى غيره.فكذلك هذه الصفات الخبيثه ينبغى أن يسلط بعضها على بعض حتى يندفع الجميع،فتسلط الشهوه على الغضب حتى تكسر سورته بها،و يسلط الغضب على الشهوه حتى تكسر رعونتها به.و قد جرت سنه اللّه بدفع المؤذيات و المهلكات بعضها ببعض،إلى أن يندفع الجميع،سواء كانت من الصفات المؤذيه أو من الأشخاص المؤذيه من الظلمه و الأشرار،أ لا ترى أنه يسلط الظالمين و الأشرار بعضهم على بعض إلى أن يهلك الجميع؟ و مثال ذلك-كما قيل-:إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا، ثم يأكل بعض الديدان بعضا،إلى أن يرجع إلى اثنين قويين،ثم لا يزالان يتقابلان و يتعارضان،إلى أن يغلب أحدهما الآخر فيأكله و يسمن به،ثم لا يزال يبقى وحده جائعا إلى أن يموت.فكذلك هذه الصفات الخبيثه

یمکن أن یسلط بعض علی بعضها حتی یقمعها،فیجعل الأضعف قوتا للأقوی،إلی أن لا تبقی إلا واحده.ثم تقع العنایه بمحوها و إذابتها بالمجاهده،و هو منع القوت منها،أی عدم العمل بمقتضاها،فإنها تقتضی لا محاله آثارا،فإذا خولفت خمدت و ماتت.مثلا البخل یقتضی إمساک المال،فإذا منع مقتضاه و بذل المال مع الجهد و المشقه مره بعد أخری، ماتت صفه البخل و صارت صفه البذل طبعا،و سقط التعب و المشقه فیه.

ثم العمده فی علاجه أن یقطع سببه،و سببه حب المال،و سبب حب المال إما حب الشهوات التی یتوقف الوصول إلیها علی المال مع طول الأمل،إذ لو لم یکن له طول أمل و علم أنه یموت بعد أیام قلائل ربما لم یبخل بماله،أو ادخاره و إبقاؤه لأولاده،فإنه یقدر بقاءهم کبقاء نفسه،فیمسک المال لأجلهم،أو حبه عین المال من حیث إنه مال فیحب فإن بعض الناس من المشایخ و المعمرین یکون له من المال ما یکفیه لغایه ما یتصور من بقیه عمره،و تزید معه أموال کثیره،و لا ولد له لیحتاط لأجله،مع ذلک لا نسمح نفسه بإخراج مثل الزکاه و مداواه نفسه عند المرض،بل هو محب للدنانیر،عاشق لها،یتلذذ بوجودها فی یده،مع علمه بأنه عن قریب یموت،فتضیع أو تأخذها أعداؤه،و مع ذلک لا تسمح نفسه بأن یأکل منها أو یتصدق ببعضها.و هذا مرض عسر العلاج، لا سیما فی کبر السن،إذ حینئذ یکون المرض مزمنا و الطبیعه المدافعه له قاصره و البدن ضعیفا.و مثله مثل من عشق شخصا فأحب رسوله،ثم نسی محبوبه و اشتغل برسوله.فإن الدنانیر رسول مبلغ إلی الحاجات، و هی محبوبه من هذه الحیثیه،لا من حیث أنها دنانیر،فمن نسی الحاجات و صارت الدنانیر محبوبه عنده فی نفسها،فهو فی غایه الضلاله و الخسران بل من رأی بین الفاضل منها عن قدر الحاجه و بین الحجر فرقا،فهو

فی غایه الجهل.

ثم لما کان الطریق فی قطع سبب کل عله أن یواظب علی ضد هذا السبب،فیعالج حب الشهوات بالقناعه بالیسیر و بالصبر،و یعالج طول الأمل بکثره ذکر الموت و النظر فی موت الأقران و طول تعبهم فی جمع المال و ضیاعه بعدهم،و یعالج التفات القلب إلی الأولاد بأن الذی خلقهم خلق أرزاقهم،و کم من ولد لم یرث مالا من أبیه و حاله أحسن ممن ورث،و بأن یعلم أن ولده إن کان تقیا صالحا فیکفیه اللّه،و إن کان فاسقا فیستعین بماله علی المعصیه و ترجع مظلمته علیه،و یعالج حب المال من حیث إنه مال،بأن یتفکر فی مقاصد المال و إنه لما ذا خلق،فلا یحفظ منه إلا بقدر حاجته،و یبذل الباقی علی المستحقین لیبقی له ثوابه فی الآخره.

تذنیب

اعلم أن بذل الأموال و إنفاقها المترتب علی صفه الجود و السخاء یتناول أمورا:بعضها واجب،و بعضها مندوب.و قد ورد فی فضیله کل منها بخصوصه أخبار،فلا بد لنا أن نشیر إلی ذلک تأکیدا لبیان فضل السخاء،و إلی بعض ما لها من الآداب و الدقائق الباطنه،و نحیل ما لها من الأحکام و الشروط الظاهره إلی کتب الفقه،فنقول:

أما الأمور الواجبه،

فأولها: الزكاه

و الآيات و الأخبار الوارده فی ذم تارکها و مدح فاعلها کثیره.

قال اللّه سبحانه:

فَأَقِیمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّکٰاهَ

(۱)

.و قال تعالی:

وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لاٰ یُنْفِقُونَهٰا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ

(۲)

.

و معنی الإنفاق فی سبیل اللّه إخراج الزکاه،کما ورد عن أهل البیت -علیهم السلام-،و أجمع علیه المفسرون.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «إذا منعت الزکاه منعت الأرض برکاتها».

و قال الباقر -علیه السلام-: «إن اللّه عزّ و جل قرن الزکاه بالصلاه،قال:

فَأَقِیمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّکٰاهَ

(۳)

.

فمن أقام الصلاه و لم یؤت الزکاه،فلم یقم الصلاه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «ما من ذی مال ذهب أو فضه یمنع زکاه ماله،إلا حبسه اللّه یوم القیامه بقاع قرقر،و سلط علیه شجاعا أقرع یریده و هو یحید عنه،فإذا رأی أنه لا یتخلص منه،أمکنه من یده،فقضمها کما یقضم الفحل،ثم یصیر طوقا فی عنقه،و ذلک قول اللّه تعالی:

۱- ۱) و

۲- ۳) الحج،الآیه:۷۸.المجادله،الآیه:۱۳.

۳- ۲) التوبه،الآیه:۳۵.

سَيُطَوَّقُونَ مٰا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ

(۱)

.

و ما من ذی مال إبل أو غنم أو بقر یمنع زکاه ماله،إلا حبسه اللّه یوم القیامه بقاع قرقر،تطأه کل ذات ظلف بظلفها،و تنهشه کل ذات ناب بنابها،و ما من ذی مال نخل أو کرم أو زرع یمنع زکاتها، إلا طوقه اللّه تعالی ریعه أرضه إلی سبع أرضین إلی یوم القیامه» (۲).

و قال علیه السلام: «ما فرض اللّه علی هذه الأمه شیئا أشد علیهم من الزکاه،و فیها تهلک عامتهم».

و قال: «من منع قیراطا من الزکاه، فلیس بمؤمن و لا مسلم،و هو قوله تعالی:

قٰالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّی أَعْمَلُ صٰالِحاً فِیمٰا تَرَکْتُ

(۳)

و قال علیه السلام: «إنما وضعت الزکاه اختبارا للأغنیاء،و معونه للفقراء.و لو أن الناس أدوا زکاه أموالهم،ما بقی مسلم فقیرا محتاجا، و لاستغنی بما فرض اللّه له.و إن الناس ما افتقروا و لا احتاجوا و لا جاعوا و لا عروا إلا بذنوب الأغنیاء،و حقیق علی اللّه أن یمنع رحمته ممن منع حق اللّه فی ماله.و أقسم بالذی خلق الخلق و بسط الرزق:أنه ما ضاع

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۸۰.

۲ - ۲) قال فی(الوافی):۶-۲۴۱،باب الزکاه:«بیان(القاع):الأرض السهله المطمئنه.و(القرقر):الأرض المستویه اللینه.و(الشجاع)- بالضم و الکسر-:الحیه،أو الذکر منها،أو ضرب منها.و(الفحل)-بالمهمله-: الذکر من کل حیوان،و من الإبل خاصه،و هو المراد هنا.(الریع)-بکسر الراء و فتحها-المرتفع من الأرض».

۳- ۳) المؤمنون،الآیه:۹۹-۱۰۰.

مال فی بر و لا بحر إلا بترک الزکاه،و ما صید صید فی بر و لا بحر إلا بترکه التسبیح فی ذلک الیوم،و إن أحب الناس إلی اللّه تعالی أسخاهم کفا و أسخی الناس من أدی زکاه ماله،و لم یبخل علی المؤمنین بما افترض اللّه لهم فی ماله».

و قال علیه السلام «إن الزکاه لیس یحمد بها صاحبها و إنما هو شیء ظاهر حقن بها دمه و سمی بها مسلما،و لو لم یؤدها لم تقبل له صلاه» (1). و الأخبار فی فضل الزکاه و ذم تارکها أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لإیقاظ الطالبین.

فصل سر وجوب الزکاه،و فضیله سائر الإنفاقات

السر فی إیجاب الزکاه،بل فضیله مطلق إنفاق المال،ثلاثه أمور:

الأول-أن التوحید العام ألا یبقی للموحد محبوب سوی الواحد الفرد،

إذ المحبه لا تقبل الشرکه،و التوحید باللسان قلیل الجدوی،و إنما تمتحن درجه الحب بمفارقه سائر المحاب،و الأموال محبوبه عند الناس، لأنها آله تمتعهم بالدنیا،و لأجلها یأنسون بهذا العالم،و یخافون من الموت و یتوحشون منه،مع أن فیه لقاء المحبوب،فامتحنوا فی صدق دعواهم الحب التام للّه تعالی بمفارقتهم عن بعض محابهم،أعنی المال،و لذلک قال اللّه سبحانه:

إِنَّ اللّٰهَ اشْتَریٰ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ

1- 1) صححنا الأحادیث کلها علی(الوافی):6-241-242،باب الزکاه

لَهُمُ الْجَنَّهَ

(۱)

.

و لفهم هـذا السـر فی بـذل الأموال،انقسم الناس بحسب درجاتهم فی التوحیـد و المحبه ثلاثه أقسام:(قسم)صدقوا التوحید و وفوا بعهـده، و لم یجعلوا قلوبهم إلا محلا لحب واحـد.فنزلوا عن جمیع أموالهم،و لم یـدخروا شیئا من الدرهم و الدینار و غیرهما من أنواع المـال،و لم یتعرضوا لوجوب الزکـاه علیهم،حتی قیـل لبعضـهم:کم یجب من الزکـاه فی مائتی درهم؟فقال:أما علی العوام-بحکم الشرع-فخمسه دراهم،و أما نحن،فیجب علینا بذل الجمیع.

و سـئل الصـادق-علیه السـلام-«فی کم تجب الزکـاه من المـال؟فقـال:أمـا الزکـاه الظاهره،ففی کل ألف خمسه و عشـرون،و أما الباطنه،فلا تسـتأثر علی أخیک بما هو أحوج إلیه منک». و(قسم)درجتهم دون هذا،و هم الذین أمسـکوا أموالهم، و لکنهم راقبوا مواقیت الحاجـات و مراسم الخیرات،و یکون قصـدهم من الإمسـاک الإنفاق علی قـدر الحاجه،دون التنعم،و صـرف الفاضل عن قدر الحاجه إلی وجوه البر.و هؤلاء لا یقتصرون علی إعطاء مجرد ما یجب علیهم من الزکاه و الخمس،بل یؤدون جمیع أنواع البر و المعروف أو أکثرهـا و(قسـم)اقتصـروا علی أداء الـواجب،فلاـ یزیـدون علیـه و لاـ ینقصـون منـه.و هـو أدون الـدرجات و أقل المراتب،و هو درجه العوام الراغبین إلی المال،لجهلهم بحقیقته و فائدته،و ضعف حبهم للآخره.

الثانی-تطهیر النفس عن رذیله البخل،

فإنه من المهلکات-کما تقـدم-،و إنما تزول هذه الرذیله ببذل المال مره بعد أخری حتی یتعود إذ حب الشـیء لا ینقطع إلا بقهر النفس علی مفارقته،حتی یصیر ذلک

۱- ۱) التوبه.الآیه:۱۱۱.

اعتيادا.و على هذا،فالإنفاق يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك،و إنما طهارته بقدر بذله،و بقدر فرحه بإخراجه و استبشاره بصرفه إلى اللّه تعالى

الثالث-شكر النعمه،

فإن للّه سبحانه على عبده نعمه فى نفسه و نعمه فى ماله.فالعبادات البدنيه شكر لنعمه البدن،و الماليه شكر لنعمه المال.و ما أقبح بالغنى المسلم أن ينظر إلى فقير مسلم،و قد ضيق الرزق عليه و أحوج إليه،ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر اللّه تعالى على إغنائه عن السؤال،و إحواج غيره إليه،بإعطاء عشر أو ربع عشر من ماله.

فصل الحث على التعجيل فى الإعطاء

ينبغى للمعطى المنفق،عند ظهور داعيه الخير من باطنه،أن يغتنم الفرصه،و يسارع إلى الامتثال،تعجيلا لإدخال السرور فى قلوب الفقراء و حذرا عن عوائق الزمان المانعه عن الخيرات،و علما بأن فى التأخير آفات و تنبها بأن انبعاث داعيه الخير لمه الملك،و قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن،فما أسرع تقلبه،و الشيطان يعد الفقر و يأمر بالفحشاء و المنكر،و له لمه عقيب لمه الملك،و صونا للفقراء عن الاضطرار إلى السؤال،إذ

ورد: أن الإعطاء معه مكافاه لوجهه المبذول و ثمن لما أخذ منه،و ليس بمعروف.

و روى: «أن أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسه أوساق من تمر البغيبغه،و كان الرجل ممن ترجى نوافله، و يؤمل نائله و رفده،و كان لا يسأل عليا و لا غيره شيئا،فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام و اللّه ما سألك فلان شيئا!و لقد كان يجزيه من الخمسه أوساق وسق واحد.فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:لا كثر

اللّه فی المؤمنین ضربک!أعطی أنا،و تبخل أنت!اللّه أنت!إذا أنا لم أعط الذی یرجونی إلا من بعد المسأله،ثم أعطیه بعد المسأله،فلم أعطه إلا ثمن ما أخذت منه،و ذلک لأنی عرضته أن یبذل لی وجهه الذی یعفره فی التراب لربی و ربه عز و جل عند تعبده له و طلب حوائجه إلیه.فمن فعل هذا بأخیه المسلم،و قد عرف أنه موضع لصلته و معروفه،فلم یصدق اللّه فی دعائه،حیث یتمنی له الجنه بلسانه،و یبخل علیه بالحطام من ماله»

(۱)

.ثم ینبغی أن یعین لأداء صدقته وقتا فاضلا،کیوم الغدیر و شهر ذی الحجه،(لا)سیما العشره الأولی،أو شهر رمضان،(لا) سیما العشره الأخیره،

و قد ورد أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- کان أجود الخلق،و کان فی رمضان کالریح المرسله،لا یمسک فیه شیئا.

فصل فضیله إعلان الصدقه الواجبه

الصدقه الواجبه،أعنی الزکاه،إعلانها أفضل من إسرارها-إن کان فی إظهارها ترغیب للناس فی الاقتداء،و أمن من تطرق الریاء،و لم یکن الفقیر بحیث یستحیی من أخذها علانیه.

قال الصادق علیه السلام: «کلما فرض اللّه علیک فإعلانه أفضل من إسراره،و کلما کان تطوعا فإسراره أفضل من إعلانه،و لو أن رجلا حمل زکاه ماله علی عاتقه علانیه کان ذلک حسنا جمیلا.و قال فی قوله تعالی:

وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ

(۲)

:

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۶،باب آداب الإعطاء.قال (البغیبغه)ضیعه بالمدینه،و(النوافل):العطایا،و(للّه أنت!):أی کن للّه و أنصفنی فی القول.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۷۱.

هی ما سوی الزکاه علانیه غیر سرّ». فلو دخل فی نفسه الریاء مع الإظهار،أو کان الفقیر یستحیی من أخذها علانیه،کان الأسرار بها أفضل:أما الأول:فظاهر،و أما الثانی:

فلما روی: «أنه قیل لأبی جعفر الباقر علیه السلام:الرجل من أصحابنا یستحی من أن یأخذ من الزکاه،فأعطیه من الزکاه و لا أسمی له أنها من الزکاه.فقال:

أعطه و لا تسم له،و لا تذل المؤمن».

و بالجمله:الإعلان کما یتصور فیه فائده الترغیب،یتطرق إلیه محذور الریاء و المن و الأذی،و ذلک یختلف بالأحوال و الأشخاص.فبالنظر إلی بعض الأحوال و الأشخاص،یکون الإعلان أفضل،و بالنظر إلی بعض آخر،یکون الأسرار أفضل.فلا بد لکل منفق أن یلاحظ حاله و وقته و یقابل الفائده بالمحذور،و یختار ما هو الأفضل.و من عرف الفوائد و الغوائل و لم ینظر بعین الشهوه،اتضح له ما هو الأولی و الألیق،

فصل ذم المن و الأذی فی الصدقه

ینبغی للمتصدق أن یجتنب عن المن و الأذی.قال اللّه سبحانه:

لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقٰاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذیٰ

(۱)

.و قال: قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَهٌ خَیْرٌ مِنْ صَدَقَهٍ یَتْبَعُهٰا أَذیً (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تبارک و تعالی کره لی ست خصال،و کرهتهن للأوصیاء من ولدی و أتباعهم من بعدی:

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۴.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۶۳.

العبث فی الصلاه،و الرفث فی الصوم،و المن بعد الصدقه،و إتیان المساجد جنبا،و التطلع فی الوفد،و الضحک بین القبور».

و(المن):أن یری نفسه محسنا.و من ثمراتها الظاهره:الإظهار بالإنفاق،و التحدث به،و طلب المکافاه منه،بالشکر و الخدمه و التعظیم و المتابعه فی الأمور.و(الأذی):التعبیر،و التوبیخ،و الاستخفاف و الاستخدام،و القول السیء،و تقطیب الوجه،و هتک الستر.ثم معرفه الأذی ظاهره،و کذا معرفه الثمرات الظاهره للمن.و أما المن الباطنی، أی رؤیه نفسه محسنا،فیعرف بأن یکون استبعاده من خیانه القابض بعد العطاء أکثر من استبعاده منه قبله.

و علاج المن:أن یعرف أن المحسن هو الفقیر القابض لإیصاله الثواب و الإنجاء من العذاب،و کونه نائبا عن اللّه تعالی،و کون ما یعطیه حقا من اللّه سبحانه،أحال علیه الفقیر انجازا لما وعده من الرزق. و علاج الأذی:أن یعرف أن سببه استکثار العطاء و کراهیه إنفاق المال و التکبر علی الفقیر القابض برؤیه نفسه خیرا منه،لغنائه و احتیاجه،و جمیع ذلک جهل و حماقه.أما استکثاره العطاء،فلأن ما أعطاه بالنظر إلی ما یطلبه لأجله من رضا اللّه و ثواب الآخره فی غایه القله و الخسه،و کیف یستعظم العاقل بذل خسیس فان إذا أخذ فی مقابله خطیرا باقیا.و أما استحقاره الفقیر،فلما تقدم من فضل الفقیر علی الغنی،فکیف یری نفسه خیرا منه؟و کفی للفقیر فضلا:أن اللّه سبحانه جعل الغنی مسخرا له،بأن یکتسب المال بالجهد و التعب،و یسعی فی حفظه،و یسلمه إلی الفقیر بقدر حاجته،و یکف عنه الفاضل الذی یضره لو سلمه إلیه.فالغنی یخدم الفقیر فی طلب المال،مع کون ما یحمد منه للفقیر،و کون ما یذم منه من تحمل المشاق و تقلد المظالم و حراسه الفضلات إلی أن یموت فتأکله

الأعداء،على الغنى.

و بالجمله:العاقل،بعد التأمل،يعلم أن ما يعطيه قليل فى مقابله ما يأخذه،و أن الفقير محسن إليه.

قال أمير المؤمنين(ع): «و من علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه،لم يستبطئ الناس فى شكرهم،و لم يستزدهم فى مودتهم،فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك و وقيت به عرضك،و أعلم أن الطالب إليك لحاجه لم يكرم وجهه عن وجهك،فأكرم وجهك عن رده»

(۱)

.و ينبغى للمحترز عن المن و الأذى أن يتواضع و يتخضع للفقير عند إعطائه،بأن يضع الصدقه لديه و يمثل قائما بين يديه،أو يبسط كفه ليأخذ الفقير،و تكون يد الفقير هى العليا.

فصل ما ينبغى للمعطى

و مما ينبغى للمعطى أن يستصغر العطيه ليعظم عند اللّه،و إن استعظمها صغرت عند اللّه،

قال الصادق-عليه السلام-: «رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال:تصغيره،و تستيره،و تعجيله.فأنت إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه،و إذا سترته تممته،و إذا عجلته هنأته و إن كان غير ذلك محقته و نكدته» (۲). و استعظام العطاء غير المن و الأذى،إذ الصرف إلى عماره المسجد و مثله يتأتى فيه الاستعظاء،و لا يتأتى فيه المن و الأذى، و أن يعطى الأجود و الأحب و الأبعد عن الشبهه

۱- ۱) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۹۰،كتاب الزكاه باب ۵۷ المعروف و فضله.

۲- ۲) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۹۰،كتاب الزكاه باب ۵۷ المعروف و فضله.

لأن اللّه طيب لا يقبل إلا طيبا،و إخراج غير الجيد سوء أدب بالنسبه إلى اللّه،إذ إمساك الجيد لنفسه و أهله،و إنفاق الردیء فی سبیل اللّه یوجب إیثار غیر اللّه و ترجیحه علیه،و لو فعل هذا لضیف و قدم إلیه أردأ طعام فی البیت لانکسر قلبه و وغر به صدره.

هذا إذا کان نظره إلی اللّه بأن یتصدق لوجه اللّه،من غیر ملاحظه عوض لنفسه فی دار الآخره،و إن کان نظره إلی نفسه و ثوابه فی الآخره فلا ریب فی أن العاقل لا یؤثر غیره علی نفسه،و لیس له من ماله إلا ما تصدق فأبقی،و أکل فأفنی.و لعظم فائده إنفاق الأجود الأحب، و قبح إنفاق الردیء الأخس،قال اللّه تعالی:

أَنْفِقُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا کَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لاٰ تَیَمَّمُوا الْخَبِیثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِیهِ إِلاّٰ أَنْ تُغْمِضُوا فِیهِ

(۱)

:

أی لا تأخذونه إلا مع کراهیه و حیاء،و هو معنی الإغماض،و ما هذا شأنه عندکم فلا تؤثروا به ربکم.و قال سبحانه:

لَنْ تَنٰالُوا الْبِرَّ حَتّٰی تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ!

(۲)

.و قال:

وَ یَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مٰا یَکْرَهُونَ

(۳)

.

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۷.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۹۲.

۳- ۳) النحل،الآیه:۶۲.

و فی الخبر: «سبق درهم مائه ألف درهم». و ذلک بأن یخرجه الإنسان و هو من أحل ماله و أجوده،فیصدر ذلک عن الرضا و الفرح بالبذل،و قد یخرج مائه ألف درهم مما یکره من ماله،فیدل علی أنه لیس یؤثر اللّه بشیء مما یحبه.

و مما ینبغی له أن یغنی الفقیر إذا قدر،

ففی الخبر إذا أعطیته فأغنه و أن یقبل یده بعد الإعطاء،لأنه یقع فی ید اللّه تعالی أولا.

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «إذا ناولتم السائل فلیرد الذی ناوله یده إلی فیه فیقبلها،فإن اللّه عز و جل یأخذ الصدقات».

و قال النبی(ص) «ما تقع صدقه المؤمن فی ید السائل حتی تقع فی ید اللّه،ثم تلا هذه الآیه.

أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ هُوَ یَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبٰادِهِ وَ یَأْخُذُ الصَّدَقٰاتِ؟

(۱)

.

و قال الصادق-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی یقول:ما من شیء إلا و قد وکلت به من یقبضه غیری،إلا الصدقه،فإنی أتلقفها بیدی تلقفا،حتی أن الرجل لیتصدق بالتمر أو بشق تمره،فأربیها له کما یربی الرجل فلوه و فصیله،فتأتی یوم القیامه و هی مثل أحد و أعظم من أحد» (۲). و أن یلتمس الدعاء من الفقیر،لأن دعاءه یستجاب فیه

کما روی: «أن علی بن الحسین-علیه السلام-کان یقول للخادم:

أمسک قلیلا حتی یدعو،فإن دعوه السائل الفقیر لا ترد».

و أنه(ع)

۱- ۱) التوبه،الآیه:۱۰۵.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۶۲،باب فضل الصدقه.

كان يأمر الخادم إذا أعطى السائل،أن يأمره أن يدعو بالخير.

و عن أحدهما -عليهما السلام-: «إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعاء،فإنه يستجاب لهم فيكم،و لا يستجاب لهم فى أنفسهم». و ما قيل من أن أرباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القابض،لأنه شبيه المكافاه،و كانوا يقابلون الدعاء بمثله،و لو أرسلوا معروفا إلى فقير،قالوا للرسول أحفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله،خلاف طريقه أئمتنا الراشدين عليهم السلام فلا اعتبار به عندنا.

و مما ينبغى له أيضا أن يصرف الصدقات إلى من يكثر بإعطائه الأجر كأهل الورع و العلم،و أرباب التقوى و الصدق،و الكاملين فى الإيمان و التشيع.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: لا يأكل طعامك إلا تقى»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «اطعموا طعامكم الأتقياء»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «أضف بطعامك من تحبه فى اللّه». و لكن يرفعهم من الزكاه الواجبه و الصدقات،لأنها أوساخ الأموال،و يوسع عليهم بالهدايا و الصلاه،

ففى الخبر: «مستحقوا الزكاه المستضعفون من شيعه محمد و آله:الذين لم تقو بصائرهم،و أما من قويت بصيرته و حسنت بالولايه لأوليائهم و البراءه من أعدائهم معرفته،فذاك أخوكم فى الدين، أمس بكم رحما من الآباء و الأمهات المخالفين،فلا تعطوه زكاه و لا صدقه فإن موالينا و شيعتنا منا كالجسد الواحد،تحرم على جماعتنا الزكاه و الصدقه و ليكن ما تعطونه إخوانكم المستبصرين البر،و ارفعوهم عن الزكاه و الصدقات و نزهوهم عن أن تصبوا عليهم أوساخكم.أ يحب أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن؟إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسخوا إخوانكم...»الحديث.

و لا ينبغى أن يصرف إلى من نظره إلى الوسائط،بل ينبغى الصرف

إلی من بلغ مقام التوحید،و یری النعمه من اللّه،و لا ینظر إلی الوسائط إذ من لم یصف باطنه عن رؤیه الوسائط إلا من حیث أنهم وسائط، فغیر خال من نوع من الشرک الخفی.

قال الصادق-علیه السلام- فی قول اللّه تعالی:

وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ

(۱)

.

«هو قول الرجل:لو لا فلان لهلکت أو لو لا فلان لما أصبت کذا و لو لا فلان لضاع عیالی!أ لا تری أنه قد جعل اللّه شریکا فی ملکه، یرزقه أو یدفع عنه؟».فقال الراوی یجوز أن یقال:لو لا أن اللّه من علی بفلان لهلکت؟قال«نعم!لا بأس بهذا». و من أهل المزیه و الاختصاص بالبذل إلیه،من کان مستترا ساترا للحاجه،کائنا من أهل المروه،متغشیا فی جلباب التجمل،محصورا فی سبیل اللّه،محبوسا فی طریق الآخره بعیله أو مرض أو ضیق معیشه أو إصلاح قلب أو سبب آخر من الأسباب،و الأولی من الکل الأقارب و أولو الأرحام من أهل الاحتیاج،فإن الإنفاق علیهم صدقه و صله.و فی صله الرحم من الثواب ما لا یخفی،

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «لأن أصل أخا من إخوانی بدرهم،أحب إلی من أتصدق بعشرین درهما،و لأن أصله بعشرین درهما أحب إلی من أن أتصدق بمائه درهم،و لأن أصله بمائه درهم أحب إلی من أعتق رقبه».

و فی خبر آخر: «لا صدقه و ذو رحم محتاج،الصدقه بعشره و القرض بثمانیه عشر،و صله الإخوان بعشرین،و صله الرحم بأربعه و عشرین».

و فی الخبر: «إن أفضل الصدقات و الصلاه الإنفاق علی ذی الرحم الکاشح»: یعنی المبغض،

۱- ۱) یوسف،الآیه:۱۰۶.

و کأنه لمخالفه الهوی و صدوره عن الخلوص و التقوی.

فصل ما ینبغی للفقراء فی أخذ الصدقه

ینبغی للفقیر الآخذ أن یعلم أن اللّه تعالی أوجب صرف المال إلیه لیکفی مهمته،فیتجرد للعباده و الاستعداد للموت،فینبغی أن یتأهب لذلک و لا یصرفه عنه فضول الدنیا، و یشکر اللّه علی ذلک،و یشکر المعطی، فیدعو له و یثنی علیه مع رؤیه النعمه من اللّه سبحانه،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من لم یشکر الناس لم یشکر اللّه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «لعن اللّه قاطعی سبیل المعروف قیل:و ما قاطعوا سبل المعروف؟قال:الرجل یصنع إلیه المعروف فیکفره فیمنع صاحبه من أن یصنع ذلک إلی غیره» (1)

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «من صنع بمثل ما صنع إلیه فإنما کافاه،و من ضعفه کان شکورا،و من شکر کان کریما».

و ینبغی له أیضا أن یستر عیوب صاحب العطاء،و لا یذمه و لا یحقره و لا یغیره بالمنع إذا منع،و یفخم عند نفسه و عند الناس إعطاءه،بحیث لا یخرجه عن کونه واسطه،لئلا یکون مشرکا، و أن یتوقی مواقع الحرمه و الریبه و الشبهه فی أصله و مقداره،فلا یأخذ ممن لا یحل ماله أو یشتبه، کعمال السلاطین و الجنود و من أکثر کسبه من الحرام، و لا الزیاده علی قدر الحاجه، و لا یسأل علی رءوس الملأ ممن یستحی الرد،و أن یتورع العالم

١- ١) صححنا الحدیث علی(الکافی):۴-٣٣،کتاب الزکاه،باب من کفر المعروف.ط طهران ١٣٧٧ ه.

و المتقی من أخذ الزکاه و الصدقات ما لم یضطر إلیها،تنزیها لنفسه عن الأوساخ،و أن یستر الأخذ بنیه أنه أبقی لستر المروه و التعفف،و أصون لنفسه عن الإهانه و الإذلال،و أعون للمعطی علی الإخفاء و الإسرار،و أسلم لقلوب الناس من الحسد و سوء الظن،أو یظهره بنیه الإخلاص و الصدق و إظهار المسکنه و العبودیه،و التبری عن الکبر،و تلبیس الحال و إقامه سیئه الشکر أو غیر ذلک.فإنه یختلف باختلاف النیات و الأشخاص و الأحوال،و لکل امرئ ما نوی،و کل مراقب للأحوال عارف بالفوائد و المفاسد،یمکنه الأخذ بالأنفع الأرجح.

تتمیم زکاه الأبدان

اعلم أنه کما فی المال زکاه فکذلک للبدن زکاه،و هو نقصه لیزید الخیر و البرکه لصاحبه.و هذا النقص إما أن یکون اختیارا،بأن یصرف فی الطاعه و یمنع عن المعصیه،أو اضطرارا،بأن یصاب بمرض و آفه.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-یوما لأصحابه: «ملعون کل مال لا یزکی،ملعون کل جسد لا یزکی،و لو فی کل أربعین یوما مره.قیل له:یا رسول اللّه،أما زکاه المال فقد عرفناها،فما زکاه الأجساد؟قال -صلی اللّه علیه و آله-:أن یصاب بآفه».فتغیرت وجوه الذین سمعوا منه ذلک،فلما رآهم قد تغیرت ألوانهم،قال:«هل تدرون ما عنیت بقولی؟فقالوا:لا یا رسول اللّه!قال:إن الرجل یخدش الخدشه، و ینکب النکبه،و یعثر العثره،و یمرض المرضه،و یشاک الشوکه،و ما أشبه هذا...»،حتی ذکر فی حدیثه اختلاج العین.

و قال-صلی اللّه علیه

و آله- «لكل شیء زكاه،و زكاه الأبدان الصيام».

و قال الصادق -عليه السلام-: «على كل جزء من أجزائك زكاه واجبه للّه عز و جل بل على كل منبت شعر من شعرك،بل على كل لحظه من لحاظك زكاه.

فزكاه العين:النظره بالعبره (۱)و الغض عن الشهوات و ما يضاهيها.

و زكاه الأذن:استماع العلم و الحكمه و القرآن،و فوائد الدين من الموعظه و النصيحه،و ما فيه نجاتك،و بالإعراض عما هو ضده من الكذب و الغيبه و أشباههما،و زكاه اللسان:النصح للمسلمين،و التيقظ للغافلين،و كثره التسبيح و الذكر و غيرها.و زكاه اليد:البذل و العطاء و السخاء بما أنعم اللّه عليك به،و تحريكها بكتابه العلم و منافع ينتفع بها المسلمون فی طاعه اللّه تعالى، و القبض عن الشر.و زكاه الرجل:السعی فی حقوق اللّه،من زياره الصالحين،و مجالس الذكر،و إصلاح الناس،و صله الأرحام،و الجهاد و ما فيه صلاح قلبك و سلامه دينك» (۲).

و ثانيها:

الخمس

و قد فرضه اللّه تعالى على عباده صونا لذريه نبيه-صلى اللّه عليه و آله- عن الافتقار،و تنزيها لهم عن الصدقات التی هی أوساخ الناس،فقال سبحانه:

وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ

ص: ۱۴۲

۱- ۱) فی نسخ(جامع السعادات):«النظر بالعبر»،و لعله الأولى.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۲۲،و فيه اختلاف كثير عن نسخ(جامع السعادات)بما لم يخرج عن المعنى.

وَ لِذِی الْقُرْبیٰ وَ الْیَتامیٰ وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ،إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلیٰ عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ،وَ اللّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ

(۱)

.

و المستفاد من الآیه:أن مانع الخمس لا إیمان له.

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «هلک الناس فی بطونهم و فروجهم،لأنهم لا یؤدون إلینا حقنا». و لا ریب فی عظم الثواب و الأجر فی أدائه و إیصاله إلی أهله،و کیف لا و هو إعانه ذریه الرسول-صلی اللّه علیه و آله-و قضاء حوائجهم،

و قد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «حقت شفاعتی لمن أعان ذریتی بیده و لسانه و ماله» (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «أربعه أنا لهم شفیع یوم القیامه:المکرم لذریتی،و القاضی لهم حوائجهم و الساعی لهم فی أمورهم عند ما اضطروا إلیه،و المحب لهم بقلبه و لسانه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من اصطنع إلی أحد من أهل بیتی یدا، کافیته یوم القیامه».

و عن الصادق-علیه السلام-قال: «إذا کان یوم القیامه،نادی مناد:أیها الخلائق،انصتوا،فإن محمدا یکلمکم.

فتنصت الخلائق،فیقوم النبی صلی اللّه علیه و آله فیقول:یا معشر الخلائق من کانت له عندی ید أو منه أو معروف فلیقم حتی أکافیه.فیقولون:

بآبائنا و أمهاتنا!و أی منه و أی معروف لنا؟!بل الید و المنه و المعروف للّه و لرسوله علی جمیع الخلائق.فیقول لهم:بلی!من آوی أحدا من أهل بیتی،أو برهم،أو کساهم من عری،أو أشبع جائعهم،فلیقم حتی أکافیه.فیقوم أناس قد فعلوا ذلک،فیأتی النداء من عند اللّه:

۱- ۱) الأنفال،الآیه:۴۱.

۲- ۲) صححنا هذا الحدیث علی(جامع الإخبار):الباب ۲،الفصل ۶.

یـا محمـد،یا حبیبی،قـد جعلت مکافاتهم إلیک،فأسـکنهم من الجنه حیث شـئت.قال:فیسـکنهم فی الوسـیله حیث لا یحجبون عن محمد و أهل بیته -صلوات اللّه علیهم» (۱). و قد ظهر مما تقدم بعض ما تعلق به من الأسرار و الآداب و الشرائط الباطنه.

و ینبغی أن یکون معطیه فی غایه الحذر عن استعظامه و عن المن و الأذی و أن یکون فی غایه التخضع و التواضع للذریه العلویه عنـد إعطائه إیاهم، و یعلم أنه عبد من عباد اللّه،أعطاه مولاه نبذا من أمواله،ثم أمره بأن یوصل قلیلا منها إلی ذریه نبیه-صـلی اللّه علیه و آله-،و جعل له أیضا فی مقابله هـذا الإیصال زیاده المال فی الدنیا و عظیم الأجر و الثواب فی العقبی فما أقبح بالعاقل-مع ذلک-أن یستعظم ما یعطیه،و یمن علی أولاد نبیه -صلی اللّه علیه و آله-.

و ثالثها:

الإنفاق علی الأهل و العیال

و التوسع علیهم.و هو أیضا من الواجبات،علی النحو المقرر فی کتب الفقه.و ما ورد فی مدحه و عظم أجره أکثر من أن یحصی،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «الکاد علی عیاله کالمجاهد فی سبیل اللّه» (۲)

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «خیرکم خیرکم لأهله».

۱- ۱) صححنا الأحادیث الثلاثه الأخیره علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف أبواب الأمر بالمعروف،الباب ۱۷.

۲- ۲) صـححنا الحـدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب مقـدماتها، الباب ۲۲.و روی الحدیث فی(المسـتدرک)عن(غوالی اللئالی).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «المؤمن يأكل بشهوه أهله،و المنافق يأكل أهله بشهوته» (۱)

و قال: «أفضل الصدقه صدقه عن ظهر غنى،و ابدأ بمن تعول،و اليد العليا خير من اليد السفلى،و لا يلوم اللّه على الكفاف» (۲)

و قال صلى اللّه عليه و آله: «دينار أنفقته على أهلك،و دينار أنفقته فى سبيل اللّه،و دينار أنفقته فى رقبه،و دينار تصدقت به على مسكين، و أعظمها أجرا الدينار الذى أنفقته على أهلك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقه،و أن الرجل ليؤجر فى رفع اللقمه إلى فم امرأته».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهّم بطلب المعيشه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من كانت له ثلاث بنات،فأنفق عليهن و أحسن إليهن حتى يغنيهن اللّه عنه أوجب اللّه تعالى له الجنه،إلا أن يعمل عملا لا يغفر اللّه له».

و قال -صلى اللّه عليه و آله-يوما لأصحابه: «تصدقوا.فقال رجل:إن عندى دينارا.قال:أنفقه على نفسك،فقال:إن عندى آخر قال:

أنفقه على زوجتك.قال:إن عندى آخر.قال:أنفقه على ولدك.

قال:إن عندى آخر،قال:أنفقه على خادمك.قال:إن عندى آخر.قال-صلى اللّه عليه و آله-:أنت أبصر به» (۳)

و قال صلى اللّه عليه و آله: «ملعون ملعون من ألقى كله على الناس!ملعون ملعون من ضيع من يعوله!»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله-لأمير المؤمنين

۱- ۱) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب النكاح،أبواب النفقات، الباب ۲۱.و كذا الحديث الآتى:«ملعون ملعون...».

۲- ۲) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۸۹،و هو بمضمونه من المشهورات التى يرويها العامه و الخاصه.

۳- ۳) صححنا الحديث على(احياء العلوم):۱-۲۰۳.

علیه السلام-بعد ما رآه فی البیت ینقی العدس،و فاطمه علیها السلام جالسه عند القدر:«اسمع منی یا أبا الحسن،و ما أقول إلا من أمر ربی:ما من رجل یعین امرأته فی بیتها،إلا کان له بکل شعره علی بدنه عباده سنه صیام نهارها و قیام لیلها،و أعطاه اللّه من الثواب مثل ما أعطاه الصابرین و داود النبی و یعقوب و عیسی-علیهم السلام-یا علی،من کان فی خدمه العیال فی البیت و لم یأنف،کتب اللّه اسمه فی دیوان الشهداء،و کتب له بکل یوم و لیله ثواب ألف شهید،و کتب له بکل قدم ثواب حجه و عمره و أعطاه اللّه بکل عرق فی جسده مدینه فی الجنه.یا علی،ساعه فی خدمه البیت خیر من عباده ألف سنه،و ألف حجه،و ألف عمره،و خیر من عتق ألف رقبه،و ألف غزوه،و ألف مریض عاده،و ألف جمعه،و ألف جنازه،و ألف جائع یشبعهم،و ألف عار یکسوهم،و ألف فرس یوجهه فی سبیل اللّه،و خیر له من ألف دینار یتصدق علی المساکین،و خیر له من أن یقرأ التوراه و الإنجیل و الزبور و الفرقان،و من ألف أسیره اشتراها فأعتقها،و خیر له من ألف بدنه یعطی للمساکین،و لا یخرج من الدنیا حتی یری مکانه فی الجنه.یا علی،من لم یأنف من خدمه العیال دخل الجنه بغیر حساب.یا علی،خدمه العیال کفاره للکبائر،و تطفئ غضب الرب،و مهور حور العین،و تزید فی الحسنات و الدرجات.یا علی، لا یخدم العیال إلا صدیق أو شهید،أو رجل یرید اللّه به خیر الدنیا و الآخره» (1).

و قال السجاد علیه السلام: «أرضاکم عند اللّه أسبغکم علی عیاله»

---

1 - 1) صححنا الحدیث علی(جامع الأخبار):الباب 8،الفصل 3،طبع بمبئی سنه 1338،و لم نعثر علی الحدیث فی الکتب المعتبره.إلا أنه فی(مستدرک الوسائل)نقله عن(جامع الأخبار)نفسه فی أبواب مقدمات التجاره:الباب 17.

و قال-علیه السلام-: «لئن ادخل السوق،و معی دراهم أبتاع لعیالی لحما،و قد قرموا (۱)إلیه،أحب إلی من أن أعتق نسمه».

و قال الصادق علیه السلام: «کفی بالمرء إثما أن یضیع من یعوله».

و قال علیه السلام: «من سعاده الرجل أن یکون القیم علی عیاله».

و قال الکاظم علیه السلام: «إن عیال الرجل أسراؤه،فمن أنعم اللّه علیه نعمه فلیوسع علی أسرائه،فإن لم یفعل أوشک أن تزول النعمه».

و قال أبو الحسن الرضا علیه السلام: «ینبغی للرجل أن یوسع علی عیاله لئلا یتمنوا موته».

و قال علیه السلام: «صاحب النعمه یجب علیه التوسعه علی عیاله» (۲). و الأخبار الوارده فی ثواب الإنفاق علی العیال و خدمتهم و التوسع علیهم مما لا تعد کثره.و ما ذکرناه کاف لإیقاظ أهل الاستبصار

فصل ما ینبغی فی الإنفاق علی العیال

ینبغی لطالب الأجر و الثواب فی إنفاق العیال:أن یقصد فی کده و سعیه فی تحصیل النفقه و فی إنفاقه وجه اللّه و ثواب الآخره،إذ لا ثواب بدون القربه،و أن یجتنب عن تحصیل الحرام و الشبهه،و لا یدخل علی عیاله إلا الحلال،إذ أخذ الحرام،و إنفاقه أعظم الذنوب و أشد المعاصی، و أن یقصد فی التحصیل و الإنفاق،فلیحترز عن الإقتار لئلا یضیع عیاله

۱- ۱) قال فی(الوافی):۶-۲۸۸،باب التوسع علی العیال،فی شرح هذا الحدیث:«القرم:شده شهوه للحم».

۲- ۲) صححنا الأحادیث،ابتداء من الروایه عن السجاد،علی(الوسائل): کتاب النکاح،أبواب النفقات،الباب ۲۰ و ۲۱.

و عن الإسراف لئلا يضيع عمره فی طلب المال،فیکون من الخاسرین الهالکین.قال اللّه سبحانه:

وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا

(۱)

.و قال: وَ لاٰ تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَهً إِلیٰ عُنُقِکَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا کُلَّ الْبَسْطِ (۲).

و قال: وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً (۳).

و عن الصادق-علیه السلام-: «أنه تلا هذه الآیه: (وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً) ،فأخذ قبضه من حصی و قبضها بیده،فقال:هذا الإقتار الذی ذکره اللّه فی کتابه.ثم أخذ قبضه أخری،فأرخی کفه کلها،ثم قال:هذا الإسراف.ثم أخذ قبضه أخری،فأرخی بعضها و أمسک بعضها،و قال:هذا القوام» (۴)و ینبغی ألا یستأثر نفسه أو بعض عیاله بمأکول طیب،و لا یطعم سائرهم منه،فإن ذلک یوغر الصدر و یبعد عن المعاشره بالمعروف،إلا أن یضطر إلیه،لمرض أو ضعف أو غیر ذلک.و ینبغی ألا یصف عندهم طعاما لیس یرید إطعامهم إیاه،و أن یقعد عیاله کلهم علی مائده عند الأکل

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۳۰.

۲- ۲) الإسراء،الآیه:۲۹.

۳- ۳) الفرقان،الآیه:۶۷.

۴- ۴) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۹۶.باب فضل القصد بین الإسراف و التقتیر.

فقد روی: «أن اللّه و ملائکته یصلون علی أهل بیت یأکلون فی جماعه».

و أما الأمور المستحبه من الإنفاق،الداخله تحت السخاء،
فأولها:

صدقه التطوع

و فضلها عظیم،و فوائدها الدنیویه و الأخرویه کثیره.

قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-: «تصدقوا و لو بتمره،فإنها تسد من الجائع و تطفئ الخطیئه،کما یطفئ الماء النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«اتقوا النار و لو بشق تمره،فإن لم تجدوا فبکلمه طیبه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «ما من عبد مسلم یتصدق بصدقه من کسب طیب،و لا یقبل اللّه إلا طیبا،إلا کان اللّه آخذها بیمینه،فیربیها له کما یربی أحدکم فصیله،حتی تبلغ التمره مثل أحد».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما أحسن عبد الصدقه إلا أحسن اللّه عز و جل الخلافه علی ترکته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل امرئ فی ظل صدقته،حتی یقضی بین الناس»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أرض القیامه نار،ما خلا ظل المؤمن،فإن صدقته تظله».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إن اللّه لا إله إلاّ هو،لیدفع بالصدقه الداء و الدبیله،و الحرق و الغرق،و الهدم و الجنون ...» و عد سبعین بابا من الشر.

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «صدقه السر تطفئ غضب الرب عز و جل» (۱).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«إذا أطرقکم سائل ذکر باللیل فلا تردوه».

و فائده التخصیص بالذکر و اللیل:أن من یسألک لیلا فی صوره

١- ١) الأخبار النبويه المذكوره فى هذا الفصل أغلبها عاميه صححناها على (إحياء العلوم):ج ١ بيان فضيله الصدقه.

الإنسان،يحتمل أن يكون ملكا أتاك للامتحان،

كما روى: «أنه سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام،و قال:يا موسى،أكرم السائل ببذل يسير أو يرد جميل،إنه يأتيك من ليس بإنس و لا جان،بل ملائكه من ملائكه الرحمن،يبلونك فيما خولتك،و يسألونك فيما نولتك،فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران». و لذلك حث رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-على عدم رد السائل،

و قال: «أعط السائل و لو على ظهر فرس».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «لا تقطعوا على السائل مسألته فلو لا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم»

و قال الباقر-عليه السلام- «البر و الصدقه ينفيان الفقر،و يزيدان فى العمر،و يدفعان عن صاحبهما سبعين ميته سوء»

و قال الصادق-عليه السلام-: «داووا مرضاكم بالصدقه و ادفعوا البلاء بالدعاء،و استنزلوا الرزق بالصدقه،فإنها تفك من بين لحى سبعمائه شيطان،و ليس شىء أثقل على الشيطان من الصدقه على المؤمن و هى تقع فى يد الرب تعالى قبل أن تقع فى يد العبد»

و قال-عليه السلام- «الصدقه باليد تقى ميته السوء،و تدفع سبعين نوعا من البلاء،و تفك عن لحى سبعين شيطانا كلهم يأمره ألا يفعل».

و قال-عليه السلام- «يستحب للمريض أن يعطى السائل بيده،و يأمره أن يدعو له».

و قال عليه السلام: «باكروا بالصدقه،فإن البلاء لا يتخطاها،و من تصدق بصدقه أول النهار دفع اللّه عنه شر ما ينزل من السماء فى ذلك اليوم،فإن تصدق أول الليل دفع اللّه شر ما ينزل من السماء فى تلك الليله».

و كان -عليه السلام-إذا أعتم-أى صلى العتمه-و ذهب من الليل شطره، أخذ جرابا فيه خبز و لحم و دراهم،فحمله على عنقه،ثم ذهب به إلى أهل الحاجه من أهل المدينه،فقسمه فيهم و لا يعرفونه،فلما مضى أبو عبد اللّه عليه السلام،فقدوا ذلك،فعلموا أنه كان أبا عبد اللّه-عليه

و سئل علیه السلام عن السائل یسأل و لا یدری ما هو،فقال:«أعط من أوقع فی قلبک الرحمه».

و قال-علیه السلام- فی السؤال:«أطعموا ثلاثه، و إن شئتم أن تزدادوا فازدادوا،و إلا فقد أدیتم حق یومکم»

و قال-علیه السلام -فی الرجل یعطی غیره الدراهم یقسمها،قال:«یجری له من الأجر مثل ما یجری للمعطی،و لا ینقص من أجره شیئا.و لو أن المعروف جری علی سبعین ید،لأوجروا کلهم من غیر أن ینقص من أجر صاحبه شیء». و قد وردت أخبار کثیره فی فضل تصدق الماء و ثوابه،

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «أول ما یبدأ به فی الآخره صدقه الماء یعنی فی الأجر».

و قال أبو جعفر-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی یحب إیراد الکبد الحراء،و من سقی الماء کبدا حراء،من بهیمه و غیرها أظله اللّه فی ظل عرشه یوم لا ظل إلا ظله».

و قال الصادق-علیه السلام- «من سقی الماء فی موضع لا یوجد فیه الماء،کان کمن أعتق رقبه،و من سقی الماء فی موضع لا یوجد فیه الماء،کان کمن أحیی نفسا،و من أحیی نفسا فکأنما أحیی الناس جمیعا».

(تنبیه):

سئل رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أی الصدقه أفضل؟قال:أن تتصدق و أنت صحیح،تأمل البقاء و تخشی الفاقه، و لا تمهل حتی إذا بلغت الحلقوم قلت:لفلان کذا و لفلان کذا».

فصل فضیله الإسرار فی الصدقه المندوبه

لا کلام فی أن الإسرار فی الصدقه المندوبه أفضل من إظهارها للمعطی فی إعطائها،و یدل علیه

قول الصادق علیه السلام: «الصدقه فی السر

و اللّه أفضل من الصدقه فی العلانیه» (۱).

و قوله-علیه السلام-: کلما فرض اللّه علیک فإعلانه أفضل من إسراره،و کلما کان تطوعا،فإسراره أفضل من إعلانه».

و إنما الکلام فی أن الأفضل للآخذ فی أخذها أن یأخذها سرا أو علانیه.فقیل الأفضل له أخذها سرا،لأنه أبقی للتعفف و ستر المروه،و أسلم لقلوب الناس و ألسنتهم من الحسد و سوء الظن و الغیبه.و عون للمعطی علی العمل،و قد علمت أفضلیه السر علی الجهر فی الإعطاء،و أصون لنفسه عن الإذلال و الإهانه،و أخلص من شوب شرکه الحضار،فإن المستفاد من الأخبار:

أن الحضار شرکاء من أهدی له فی الهدیه.و الظاهر أن الصدقه مثلها إذا کان الحضار من أهلها.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من أهدی له هدیه و عنده قوم،فهم شرکاؤه فیها».

و قال الباقر علیه السلام «جلساء الرجل شرکاؤه فی الهدیه».

و قال-علیه السلام-: «إذا أهدی للرجل هدیه من طعام،و عنده قوم،فهم شرکاؤه فی الهدیه:الفاکهه أو غیرها». و قیل:الأفضل أخذها علانیه،و التحدث بها،لتنقیه الکبر و الریاء،و تلبیس الحال،و إیجابه الإخلاص و الصدق،و إقامه منه الشکر،و إسقاط الجاه و المنزله،و إظهار العبودیه و المسکنه،مع أن العارف ینبغی ألا ینظر إلا إلی اللّه،و السر و العلانیه فی حقه واحد،فاختلاف الحال شرک فی التوحید.

و الحق أن الحکم بأفضلیه أحدهما علی الإطلاق غیر صحیح،إذ تختلف فضیله کل منها باختلاف النیات،و تختلف النیات باختلاف الأحوال و الأشخاص

---

۱ - ۱) صححنا أغلب هذه الأخبار المرویه عن أهل البیت-علیهم السلام-فی هذا المقام علی(الوافی):۶-۲۸۲،۲۸۴ باب فضل الصدقه و باب فضل صدقه السر.

فینبغی لطالب السعاده أن یراقب نفسه،و یلاحظ حاله و وقته، و یری أن أی الحالتین من السر و الجهر بالنظر إلیه أقرب إلی الخلوص و القربه،و أبعد من الریاء و التلبیس و سائر الآفات،فیختار ذلک،و لا یتدلی بحبل الغرور،و لا ینخدع بتلبیس الطبع و مکر الشیطان.مثلا إذا کان طبعه مائلا إلی الإسرار و رأی أن باعث هذا المیل حفظ الجاه و المنزله و خوف سقوط القدر من أعین الناس،و نظر الخلق إلیه بعین الازدراء، و إلی المعطی کونه منعما محسنا إلیه،أو خوف ألا یعطیه الناس بعد ذلک لعلمهم بما أخذه،فلینتقل عن الإسرار و یأخذها علانیه،إذ لو أبقی نفسه علی ما استکن فیها من الداء الدفین،و عمل بمقتضاها،صار هالکا و إن کان طبعه مائلا إلی الإسرار،و أیقن بأن باعث المیل إلیه:إبقاء التعفف،و ستر المروه،و صیانه الناس عن الحسد،و سوء الظن و الغیبه، و لم یکن باعثه شیء من المفاسد المذکوره،فالأولی أن یأخذها سرا.

و یعرف ذلک بأن یکون تألمه بانکشاف أخذه للصدقه کتألمه بانکشاف صدقه أخذها بعض أقرانه و إخوانه المؤمنین،فإنه إن کان طالبا لبقاء السر و إعانه المعطی علی الاسرار،و صیانه العلم عن الابتذال،و حفظ الناس عن الحسد و الغیبه و سوء الظن،فینبغی أن یکون طالبا لها فی صدقه أخیه أیضا، إذ یحصل ما یحذر منه:من هتک الستر،و ابتذال العلم،و وقوع الناس فی الغیبه و الحسد بانکشاف صدقه أخیه أیضا.فإن کان انکشاف صدقته أثقل علیه من انکشاف صدقه غیره،فتقدیره الحذر من هذه المعانی تلبیس من النفس و مکر من الشیطان. و إذا کان طبعه مائلا إلی الإظهار،و وجد منه أن باعث هذا المیل هو التطیب لقلب المعطی،و الاستحثاث له علی مثله،و الإظهار للغیر بأنه من المبالغین فی الشکر،حتی یرغبوا فی الإحسان إلیه،فلیتنبه أن هذا الداء من الداء الدفین الذی یهلکه لو لم یعالجه،فلیترک

أخـذها جهرا و التحـدث بهـا،و ينتقـل إلى الأخـذ خفيه.و إن تيقن من نفسه بـأن البـاعث هـو إقـامه السـنه فى الشـكر،و التحـدث بـالنعمه،و إسـقاط الجـاه و المنزله،و إظهـار العبوديه و المسـكنه،أو غير ذلـك من المقاصـد الصـحيحه من دون تطرق شـىء من المفاسـد المـذكوره،فالإظهـار الأفضـل،و يعرف ذلـك بأن تميل نفسه إلى الشـكر،حيث لا ينتهى الخبر إلى المعطى و لا إلى من يرغب فى عطائه،و بين يدى جماعه يعلم أنهم يكرهون إظهار العطيه و يرغبون فى إخفائها،و عادتهم ألا يعطوها إلا من يخفيها و لا يتحدث بها و لا يشـكر عليها.ثم إذا جزم بكون الباعث إقامه السـنه فى الشكر،فينبغى أن يغفل عن قضاء حق المعطى،فينظر أنه إن كان ممن يحب الشكر و النشر فيخفى الأخذ و لا يشكر،لأن قضاء حقه ألا ينصره على الإثم، و إن كان ممن لا يحب الشكر و لا يطلب النشر،فالأولى أن يشكره و يظهر صدقته.

و ينبغى لكـل من يراعى قلبه أن يلاحـظ هـذه الـدقائق و لاـ يهملهـا، إذ إعمـال الجوارح مع إهمالهـا ضـحكه للشـيطان و شـماته له،لكثره التعب فيهـا مع عـدم تصور نفع لها،و العلم بهـذه الـدقائق و ملاحظتها هو العلم الـذى ورد فيه أن تعلم مسأله واحـده منه أفضل من عباده سنه،إذ بهذا العلم تحيى عباده العمر،و بالجهل به تموت عباده العمر.

و ثانيها:

الهديه

و هى مـا يعطى و يرسـل إلى أخيه المسـلم،فقيرا كـان أم غنيـا،طلبـا للاستيناس،و تأكيـدا للصـحبه و التودد.و هو منـدوب إليه من الشرع، و مع سلامه القصد و النيه يكون عباده.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه

و آله-: «تحابوا تهادوا،فإنها تذهب بالضغائن.

و قال صلى اللّه عليه و آله-: «لو أهدى الى ذراع لقبلت».

و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: «لأن أهدى لأخى المسلم هديه أحب إلى من أن أتصدق بمثلها»

و قال-عليه السلام-: «من تكرمه الرجل لأخيه المسلم،أن يقبل تحفته و أن يتحفه بما عنده،و لا يتكلف له شيئا».

و ثالثها:

الضيافه

و ثوابها جزيل،و أجرها جميل،و فضلها عظيم،و ثمرها جسيم.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «لا خير فيمن لا يضيف».

و مر-صلى اللّه عليه و آله-برجل له إبل و بقر كثير،فلم يضفه،و مر بأمرأه لها شويهات،فذبحت له،فقال-صلى اللّه عليه و آله-«انظروا إليهما،فإنما هذه الأخلاق بيد اللّه عز و جل،فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «الضيف إذا جاء فنزل بالقوم،جاء برزقه معه من السماء،فإذا أكل غفر اللّه لهم بنزوله».

و قال: «ما من ضيف حل بقوم إلا و رزقه فى حجره».

و قال: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليكرم ضيفه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«لا تزال أمتى بخير:ما تحابوا،و أدوا،الأمانه،و اجتنبوا الحرام،و أقرءوا الضيف،و أقاموا الصلاه،و آتوا الزكاه،فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط و السنين».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا أراد اللّه بقوم خيرا أهدى لهم هديه.قالوا:و ما تلك الهديه؟قال:الضيف ينزل برزقه،و يرتحل بذنوب أهل البيت».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«كل بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكه».

و قال-صلى اللّه

علیه و آله-: «الضیف دلیل الجنه».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«ما من مؤمن یحب الضیف إلا و یقوم من قبره و وجهه کالقمر لیله البدر فینظر أهل الجمع،فیقولون:ما هذا إلا نبی مرسل!فیقول ملک:هذا مؤمن یحب الضیف و یکرم الضیف،و لا سبیل له إلا أن یدخل الجنه»

و قال-علیه السلام-: «ما من مؤمن یسمع بهمس الضیف و فرح بذلک إلا غفرت له خطایاه،و إن کانت مطبقه بین السماء و الأرض».

و بکی -علیه السلام-یوما،فقیل له:ما یبکیک؟قال:«لم یأتنی ضیف منذ سبعه أیام،أخاف أن یکون اللّه قد أهاننی».

و عن محمد بن قیس عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-،قال: «ذکر أصحابنا قوما،فقلت:

و اللّه ما أتغدی و لا أتعشی إلا و معی منهم اثنان أو ثلاثه أو أقل أو أکثر فقال-علیه السلام-:فضلهم علیک أکثر من فضلک علیهم.قلت:

جعلت فداک!کیف ذا و أنا أطعمهم طعامی،و أنفق علیهم من مالی، و یخدمهم خادمی؟فقال:إذا دخلوا علیک دخلوا من اللّه بالرزق الکثیر، و إذا خرجوا خرجوا بالمغفره لک».

و کان إبراهیم الخلیل-علیه السلام- إذا أراد أن یأکل،خرج میلا أو میلین یلتمس من یتغدی معه،و کان یکنی(أبا الضیفان).

و جمیع الأخبار الوارده فی فضیله إطعام المؤمن و سعیه تدل علی فضیله الضیافه،

کقوله-صلی اللّه علیه و آله- بعد سؤاله عن الحج المبرور:

«هو إطعام الطعام و طیب الکلام».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من أطعم ثلاثه نفر من المسلمین أطعمه اللّه من ثلاث جنان فی ملکوت السماوات:الفردوس،و جنه عدن،و طوبی شجره تخرج فی جنه عدن غرسها ربنا بیده».

و قول الصادق-علیه السلام-: «من أشبع مؤمنا وجبت له الجنه».

و قوله-علیه السلام-: «من أطعم مؤمنا حتی یشبعه

لم يدر أحد من خلق اللّه ما له من الأجر فى الآخره،لا ملك مقرب و لا نبى مرسل،إلا اللّه رب العالمين».

و سئل-صلى اللّه عليه و آله-:

«ما الإيمان؟فقال:إطعام الطعام».

و قال: «إن فى الجنه غرفا يرى ظاهرها من باطنها،و باطنها من ظاهرها،يسكنها من أمتى من أطاب الكلام،و أطعم الطعام،و أفشى السلام،و صلى بالليل و الناس نيام».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من أحب الأعمال إلى اللّه تعالى:

إشباع جوعه المؤمن،و تنفيس كربته،و قضاء دينه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن اللّه يحب الإطعام فى اللّه،و يحب الذى يطعم الطعام فى اللّه،و البركه فى بيته أسرع من الشفره فى سنام البعير».

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «خيركم من أطعم الطعام».

و قال(ص):

«من أطعم الطعام أخاه المؤمن حتى يشبعه،و سقاه حتى يرويه،بعده اللّه من النار سبع خنادق،ما بين كل خندقين مسيره خمسمائه عام».

و فى الخبر: «أن اللّه تعالى يقول للعبد فى القيامه:يا ابن آدم،خفت فلم تطعمنى.فيقول:كيف أطعمك و أنت رب العالمين؟فيقول:جاع أخوك فلم تطعمه،و لو أطعمته كنت أطعمتنى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من سقى مؤمنا من ظمإ،سقاه اللّه من الرحيق المختوم»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من سقى مؤمنا شربه من ماء من حيث يقدر على الماء،أعطاه اللّه بكل شربه سبعين ألف حسنه،و إن سقاه من حيث لا يقدر على الماء،فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل» (1).

---

1 - 1) صححنا أحاديث هذا الفصل على(البحار):4 مج 15-110،باب إطعام المؤمن و 242،244.باب آداب الضيف.و على(الكافى):باب إطعام المؤمن.و على(الوسائل):فى آداب المائده من كتاب الأطعمه و الأشربه.

فصل ما ينبغى أن يقصد بالضيافه

ينبغى أن يقصد فى ضيافته التقرب إلى اللّه،و التسنن بسنه رسول اللّه و استماله قلوب الإخوان،و إدخال السرور على قلوب المؤمنين،و لا يقصد به الرياء و المفاخره و المباهاه،و إلا ضاع عمله،و أن يدعو الفقراء و الأتقياء و إن كان فى ضيافه الأغنياء و مطلق الناس فضيله أيضا.و ينبغى ألا يهمل فى ضيافته الأقارب و الجيران،إذ إهمالهم قطع رحم و إيحاش،و ألا يدعو من يعلم أنه تشق عليه الإجابه.و ينبغى أن يعجل فى إحضار الطعام لأنه من إكرام الضيف،

و قد ورد: «أن العجله من الشيطان،إلا فى خمسه أشياء،فإنها من سنه رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:

إطعام الضيف،و تجهيز البيت،و تزويج البكر،و قضاء الدين،و التوبه من الذنوب». و أن يحضر من الطعام قدر الكفايه،إذ التقليل عنه نقص فى المروه،و الزياده عليه تضييع،و أن يسعى فى إكرام الضيف:من طلاقه الوجه،و طيب الكلام معه عند دخوله و خروجه و على المائده، و الخروج معه إلى باب الدار إذا خرج،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «إن من سنه الضيف أن يشيعه إلى باب الدار». و مما ينبغى له ألا يستخدم الضيف،

قال الباقر-عليه السلام-: «من الجفاء استخدام الضيف».

و كان عند الرضا-عليه السلام-ضيف،فكان يوما فى بعض الحوائج،فنهاه عن ذلك،و قام بنفسه إلى تلك الحاجه،و قال:

«نهى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عن أن يستخدم الضيف».

فصل آداب الضيافه

ينبغى لكل مؤمن أن يجيب دعوه أخيه إلى الضيافه،من غير أن يفرق بين الغنى و الفقير،بل يكون أسرع إجابه إلى دعوه الفقير،و ألا يمنعه بعد المسافه عن الإجابه إذا أمكن احتمالها عاده.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله «أوصى الشاهد من أمتى و الغائب،أن يجيب دعوه المسلم و لو على خمسه أميال،و لا يمنعه صوم التطوع عن الإجابه،بل يحضر،فإن علم سرور أخيه بالإفطار فليفطر،و يحتسب فى إفطاره أفضل ما يحتسب فى صومه»

و قال الصادق-عليه السلام-: «من دخل على أخيه و هو صائم، فأفطر عنده و لم يعلمه بصومه فيمن عليه،كتب اللّه له صوم سنه،و إن علم أنه متكلف و لا يسر بإفطاره فليتعلل».

و ينبغى ألا يقصد بالإجابه قضاء شهوه البطن،ليدخل عمله فى أمور الدنيا،بل ينوى الاقتداء بسنه رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و إكرام أخيه المؤمن،ليكون فى عمله مطيعا للّه مثابا فى الآخره،و أن يحترز عن الإجابه إذا كان الداعى من الظلمه أو الفساق،أو كانت ضيافته للفخر و المباهاه،و من كان طعامه حراما أو شبهه،أو لم يكن موضعه أو بساطه المفروش حلالا،أو كان فى الموضع شيء من المنكرات كاناء فضه،أو تصوير حيوان على سقف أو حائط،أو أحد آلات اللهو من المزامير و أمثالها،أو التشاغل بشيء من اللهو و اللعب و الهزل، فكل ذلك مما يمنع الإجابه،و يوجب تحريمها أو كراهيتها.

قال الصادق -عليه السلام-: «لا ينبغى للمؤمن أن يجلس مجلسا يعصى اللّه تعالى

فيه و لا يقدر على تغييره.و من ابتلى بحضور طعام ظالم إكراها و تقيه، فليقلل الأكل،و لا يأكل أطايب الأطعمه.

و ينبغى للضيف-أيضا-إذا دخل الدار ألا يصدر،و لا يقصد أحسن الأماكن،بل يتواضع و يرضى بالدون من المجلس،و إن أشار إليه صاحب الدار بموضع فلا يخالفه و يجلس فيه،و إن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع أو الانحطاط،و ألا يجلس فى مقابله باب حجره النسوان،و لا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام،فإنه دليل الشره و خسه النفس،و أن يخص بالتحيه و السلام أولا من يقرب منه.

و ينبغى لمن دعى إلى الضيافه ألا يطول الانتظار عليهم،و لا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد.

و رابعها:

الحق المعلوم و حق الحصاد و الجذاذ

و المراد من الأول:ما يعرضه الرجل و يقدره فى ماله،من قليل أو كثير،غير الصدقات الواجبه،يعطيه محتاجا أو يصل به رحمه.و المراد بالثانى:ما يعطى به إلى الفقراء من الضغث بعد الضغث:أى القبضه بعد القبضه من الزرع يوم حصاده،و من الحفنه بعد الحفنه:أى ملء الكف من التمر أو الحنطه أو غيرهما من الثمار و الفواكه و الحبوبات عند قطعها و تصفيتها.و هذان النوعان من الإنفاق معدودان فى صدقه التطوع،و قد وردت بخصوصهما أخبار كثيره لشده استحبابهما.

قال الصادق عليه السلام:

«إن اللّه فرض للفقراء فى أموال الأغنياء فريضه لا يحمدون إلا بأدائها و هى الزكاه،بها حقنوا دماءهم،و بها سموا مسلمين،و لكن اللّه تعالى فرض فى أموال الأغنياء حقوقا غير الزكاه،فقال اللّه تعالى:

وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ

(۱)

.

و الحق المعلوم غیر الزکاه،و هو شیء یفرضه الرجل علی نفسه فی ماله،یجب علیه أن یفرضه علی قدر طاقته و سعه ماله،فیؤدی الذی فرض علی نفسه إن شاء کل یوم جمعه،و إن شاء فی کل شهر» (۲).

و قال-علیه السلام-: «الحق المعلوم لیس من الزکاه،هو الشیء تخرجه من مالک،إن شئت کل جمعه،و إن شئت کل شهر،و لکل ذی فضل فضله،و قول اللّه تعالی: (وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ) ،فلیس من الزکاه،و الماعون لیس من الزکاه،و هو المعروف تصنعه و القرض تقرضه و متاع البیت تعیره،و صله قرابتک لیس من الزکاه و قال اللّه تعالی: وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ،فالحق المعلوم غیر الزکاه،و هو شیء یفرضه الرجل علی نفسه أنه فی ماله و نفسه،و یجب له أن یفرضه علی قدر طاقته و وسعه» (۳).

و قال-علیه السلام-:

«و إن علیکم فی أموالکم غیر الزکاه.فقلت:أصلحک اللّه،و ما علینا فی أموالنا غیر الزکاه؟فقال:سبحان اللّه!أ ما تسمع قول اللّه تعالی؟ یقول فی کتابه:

وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ

(۴)

۱- ۱) المعارج،الآیه:۲۴.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۱،باب جمله ما یجب فی المال من الحقوق.

۳- ۳) نفس المصدر:باب جمله ما یجب فیه الزکاه(الوسائل):۲-۷، باب الحقوق فی المال سوی الزکاه.

۴- ۴) المعارج،الآیه:۲۵،۲۴.

قال:قلت:فما ذا الحق المعلوم الذی علینا؟قال:هو و اللّه الشیء یعلمه الرجل فی ماله،یعطیه فی الیوم أو فی الجمعه أو الشهر،قل أو کثر غیر أنه یدوم علیه» (۱).

و قال-علیه السلام -فی قول اللّه تعالی:

فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ):«هو الرجل یؤتیه اللّه الثروه من المال،فیخرج منه الألف و الألفین و الثلاثه آلاف و الأقل و الأکثر،فیصل به رحمه،و یحمل به الکل عن قومه».

و قال(ع) «فی الزرع حقان:حق تؤخذ به،و حق تعطیه.قلت:و ما الذی أؤخذ به و ما الذی أعطیه؟قال:أما الذی تؤخذ به،فالعشر و نصف العشر،و أما الذی تعطیه،فقول اللّه:

وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصٰادِهِ

(۲)

.

یعنی من حصدک الشیء ثم الشیء-و لا أعلمه إلا قال الضغث ثم الضغث-حتی تفرغ» (۳).

و قال-علیه السلام-: «لا تصرم باللیل و لا تحصد باللیل،و لا تضح باللیل،و لا تهذر باللیل.فإنک إن فعلت ذلک لم یأتک القانع و المعتر.فقلت:و ما القانع و المعتر؟فقال:القانع الذی یقنع بما أعطیته،و المعتر:الذی یمر بک فیسألک.و إن حصدت باللیل لم یأتک السؤال،و هو قول اللّه تعالی: وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصٰادِهِ عند الحصاد،یعنی القبضه بعد القبضه إذا حصدته،فإذا خرج فالحفنه

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۱،باب جمله ما یجب فی المال من الحقوق و علی(الوسائل):۲-۷،باب جمله ما یجب فیه الزکاه.

۲- ۲) الأنعام،الآیه:۱۴۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۲.و علی(فروع الکافی): کتاب الزکاه،باب الحصاد و الجذاذ.و کذا ما بعده.

بعد الحفنه،و كذلك عند الصرام،و كذلك عند البذر.و لا تبذر بالليل لأنك تعطى من البذر كما تعطى من الحصاد».

و قال الباقر-عليه السلام- فى قول اللّه تعالى وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصٰادِهِ :«هذا من الصدقه،يعطى المسكين القبضه بعد القبضه،و من الجذاذ الحفنه بعد الحفنه،حتى يفرغ» و فى مضمون هذه الأخبار أخبار كثيره أخر.

و خامسها:

القرض

و هو أيضا من ثمرات السخاء،لأن السخى تسمح نفسه بأن يقرض أخاه المحتاج بعض أمواله إلى حين استطاعته،كما تسمح نفسه بأن يبذل عليه أصل ماله،و البخيل يشق عليه ذلك.و ثواب القرض عظيم،و فضله جسيم.

قال الباقر-عليه السلام-: «من أقرض رجلا قرضا إلى ميسره كان ماله فى زكاه،و كان هو فى الصلاه مع الملائكه حتى يقبضه».

و قال الصادق-عليه السلام-: «مكتوب على باب الجنه:الصدقه بعشره، و القرض بثمانيه عشر».

و قال عليه السلام: «ما من مؤمن أقرض مؤمنا يلتمس به وجه اللّه،إلا حسب اللّه له أجره بحساب الصدقه،حتى يرجع ماله إليه،يعنى أعطاه اللّه فى كل آن أجر صدقه،ذلك لأن له قضاءه فى كل آن،فلما لم يفعل فكأنما أعطاه ثانيا و ثالثا و هلم جرا،إلى أن يقبضه»

و قال عليه السلام: «لا تمانعوا قرض الخمير و الخبز و اقتباس النار،فإنه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق».

و قال:

«لا تمانعوا قرض الخمير و الخبز،فإن منعهما يورث الفقر» (۱)

۱- ۱) صححنا الأحاديث الوارده فى هذا المقام على(الوافى):۶-۲۹۲، باب القرض.

و سادسها:

إنظار المعسر و التحليل

و هو أيضا من أفراد البذل المترتب على السخاء،و قد ورد فى فضله أخبار كثيره،

قال الصادق-عليه السلام-: «من أراد أن يظله اللّه يوم لا ظل إلا ظله،فلينظر معسرا،أو يدع له من حقه».

و قال عليه السلام: «إن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قال فى يوم حار -و حنا كفه-:من أحب أن يستظل من فور جهنم؟-قالها ثلاث مرات-فقال الناس فى كل مره:نحن يا رسول اللّه.فقال:من أنظر غريما أو ترك المعسر».

و قال عليه السلام-: «صعد رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-المنبر ذات يوم،فحمد اللّه و أثنى عليه،و صلى على أنبيائه ثم قال:أيها الناس،ليبلغ الشاهد الغائب منكم،ألا-و من أنظر معسرا كان له على اللّه فى كل يوم ثواب صدقه بمثل ماله،حتى يستوفيه».

و قيل له-عليه السلام-:«إن لعبد الرحمن بن سبابه دينا على رجل قد مات،و قد كلمناه أن يحلله فأبى،فقال:ويحه!أ ما يعلم أن له بكل درهم عشره إذا حلله،و إن لم يحلله فإنما هو درهم بدرهم؟» (1)و فى معناها أخبار كثيره آخر.

---

۱ - ۱) صححنا جميع الأحاديث الوارده فى هذا المقام على(الوافى):۶-۲۹۲ باب إنظار المعسر و التحليل،و على(فروع الكافى):باب إنظار المعسر،كتاب الزكاه.

و سابعها:

بذل الکسوه و السکنی و نحوهما

غیر ما ذکر من وجوه الإعانه بالمسلم،کبذل الکسوه و السکنی، و حمله علی الدابه،و إعطائه الماعون،و إعارته المتاع و سائر ما یحتاج إلیه، و اطراق الفحل و غیر ذلک،فإن جمیع ذلک من ثمرات السخاء،و منعهما من نتایج البخل.و فی کل واحد منها فضیله و ثواب،و ورد فی فضیله کل منها أخبار.

و مما یدل علی مدح کسوه المؤمن،

قول الباقر-علیه السلام-:

«لإن أحج حجه أحب إلی من أعتق رقبه و رقبه و رقبه(حتی انتهی إلی عشره)،و مثلها و مثلها(حتی انتهی إلی سبعین).و لإن أعول أهل بیت من المسلمین،أشبع جوعتهم،و أکسو عورتهم،و أکف وجوههم عن الناس،أحب إلی من أن أحج حجه و حجه(حتی انتهی إلی عشر) و عشر مثلها و مثلها(حتی انتهی إلی سبعین)» (۱).

و قال الصادق علیه السلام: «من کسا أخاه کسوه شتاء أو صیف،کان حقا علی اللّه أن یکسوه من ثیاب الجنه،و أن یهون علیه من سکرات الموت،و أن یوسع علیه فی قبره،و أن یلقی الملائکه إذا خرج من قبره بالبشری،و هو قول اللّه عز و جل فی کتابه:

وَ تَتَلَقّاهُمُ الْمَلائِکَهُ هٰذٰا یَوْمُکُمُ الَّذِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ

(۲)

و قال:«من کسا أحدا من فقراء المسلمین ثوبا من عری،أو أعانه

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۲،باب فضل الصدقه.

۲- ۲) الأنبیاء،الآیه:۱۰۳.

بشـیء مما یقویه علی معیشـته،وکل اللّه عز و جل به سـبعه آلاف ملک من الملائکه،یستغفرون لکل ذنب عمله،إلی أن ینفخ فی الصور» (۱).

و ثامنها:

ما یبذل لوقایه العرض و النفس

ما یبذل لوقایه العرض،و حفظ الحرمه،و رفع شر الأشرار و ظلم الظلمه.فإن السخی لا یقصر فی شیء من ذلک،و البخیل ربما منع بخله عن ذلک،فیهتک عرضه و یـذهب حرمته.و فی بعض الأخبار دلاله علی أن البـذل لذلک صدقه.و تقدم أن ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه و کذا بذل ما نقتضیه المروه و العاده من ثمرات الجود و السخاء،و من منعه کان بخیلا.

و تاسعها:

ما ینفق فی المنافع العامه

و الخیرات الجـاریه،من بنـاء المساجـد و المـدارس و الربـط و القنـاطیر، و إجراء القنـوات،و أمثـال ذلـک ممـا یبقی أثره علی مر الـدهور،و یصـل نفعه و ثوابه إلی صـاحبه فی کـل وقت إلی یوم النشور.و لاـ یخفی ثواب ذلـک.و الأخبـار الوارده فی مـدحه و فضیلته أکثر من أن تحصی،و لا حاجه إلی ذکرها لاشتهارها بین الناس.

۱- ۱) صححنا الأحادیث الوارده فی هذا المقام علی(الکافی):باب من کسا مؤمنا.

تنبیه الفرق بین الإنفاق و البر و المعروف

اعلم أن لفظ الإنفـاق و المعروف و البر یتنـاول جمیع ما تقـدم من الإنفاقات الواجبه و المسـتحبه.و الفرق بینها:أن الإنفاق خاص بالمال،و المعروف اسم جامع لکل ما عرف من طاعه اللّه و التقرب إلیه و الإحسان إلی الناس، و کل ما ندب إلیه الشـرع من فعل و ترک،و هو من الصـفات الغـالبه،أی أمر معروف بین النـاس إذا رأوه لاـ ینکرونه،و الغالب فی الأخبار إراده ما یتعلق بالمال من معـانیه.و البر کـالمعروف فی شـموله لجمیع أعمـال الخیر فی الأصـل،و انصـراف إطلاقه غالبا فی الأخبار إلی ما یتعلق بالمال من وجوه الإنفاقات المتقـدمه بأسـرها،و ربما خص بما سوی الصدقه منها،لما ورد أن البر و الصدقه ینفیان الفقر و یزیدان فی العمر.و الظاهر أن مبنی الخبر علی ذکر الخاص بعـد العام،فلا وجه للتخصـیص.ثم الصـدقه تتناول جمیع ما تقـدم من وجوه الإنفاق،سوی المروه.و علی أی تقـدیر،لا ریب فی أن ما ورد من الآیات و الأخبار فی فضـیله مطلق الإنفاق و المعروف و البر یـدل علی فضـیله کل واحد مما تقدم من وجوه الإنفاق،کقوله سبحانه:

أَنْفِقُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا کَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَکُمْ

(۱)

.

و قوله: وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَلِأَنْفُسِکُمْ وَ مٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّٰهِ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ وَ أَنْتُمْ

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۷.

لاٰ تُظْلَمُونَ

(۱)

.و قوله: وَ آتَى الْمٰالَ عَلىٰ حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبىٰ وَ الْيَتٰامىٰ... الآيه (۲).و قوله: قُلْ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوٰالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ... (۳).و قوله: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاٰ خُلَّةٌ وَ لاٰ شَفٰاعَةٌ (۴).و قوله: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ... الآيه (۵).و قوله: اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ثُمَّ لاٰ يُتْبِعُونَ مٰا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لاٰ أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ (۶).

و قول رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «أول من يدخل الجنه المعروف و أهله،و أول من يرد على الحوض».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «إن البركه أسرع إلى البيت الذى يمتار فيه المعروف من الشفره فى سنام الجزور،أو من السيل إلى منتهاه».

و قول الباقر-عليه السلام-:

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۷۲.

۲- ۲) البقره،الآيه:۱۷۶.

۳- ۳) البقره،الآيه:۲۱۵.

۴- ۴) البقره،الآيه:۲۵۴.

۵- ۵) البقره،الآيه:۲۶۱.

۶- ۶) البقره،الآيه:۲۶۲.

«إن من أحب عباد اللّه إلى اللّه،لمن حبب إليه المعروف و حبب إليه فعاله»

و قول الصادق عليه السـلام: «إن من بقاء المسلمين و بقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق و يصنع المعروف،و إن من فناء الإسلام و فناء المسلمين أن تصير الأموال فى أيدى من لا يعرف فيها الحق و لا يصنع فيها المعروف»

و قوله-عليه السلام-: «رأيت المعروف كاسمه،و ليس شىء أفضل من المعروف إلا ثوابه».

و قوله عليه السـلام مخاطبا لزراره «ثلاثه إن تعلمهن المؤمن كانت زياده فى عمره و بقاء لنعمه عليه.فقلت و ما هن؟فقال:تطويله فى ركوعه و سجوده فى صلاته،و تطويله لجلوسه على طعامه إذا أطعم على مائدته،و اصطناعه المعروف إلى أهله».

و قوله عليه السلام: «أقيلوا لأهل المعروف عثراتهم،و اغفروا لهم،فإن كف اللّه عليهم هكذا-و أومأ بيده كأنه يظلل بها شيئا».

و قوله-عليه السلام-:

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء».

و قال عليه السـلام: «إن للجنه بابا يقال له المعروف،لا يـدخله إلا أهل المعروف.و أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخره»: يعنى كما أنهم يصنعون المعروف فى الدنيا كذلك يصنعونه فى الآخره،يهبون حسناتكم لمن شاؤا،

كما قال الصادق عليه السـلام فى خبر آخر: «يقال لهم فى الآخره:إن ذنوبكم قد غفرت لكم،فهبوا حسـناتكم لمن شئتم و ادخلوا الجنه».

و قال عليه السلام: «قال أصحاب رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:يا رسول اللّه فداك آباؤنا و أمهاتنا!إن أصحاب المعروف فى الدنيا عرفوا بمعروفهم، فبم يعرفون فى الآخره؟فقال-صـلى اللّه عليه و آله-:إن اللّه إذا أدخل أهل الجنه الجنه،أمر ريحا عبقه طيبه فلصقت بأهل المعروف،فلا يمر أحد منهم بملإ من أهل الجنه إلا وجدوا ريحه،فقالوا:هذا من أهل

المعروف» (۱).

و منها-أی من رذائل القوه الشهویه-:

اشاره

طلب الحرام

و عدم الاجتناب عنه.و لا ریب فی کونه مترتبا علی حب الدنیا و الحرص علیها،و هو أعظم المهلکات،به هلک أکثر من هلک،و جل الناس حرموا عن السعاده لأجله،و منعوا عن توفیق الوصول إلی اللّه بسببه.و من تأمل یعلم أن أکل الحرام أعظم الحجب للعبد من نیل درجه الأبرار،و أقوی الموانع له عن الوصول إلی عالم الأنوار،و هو موجب لظلمه القلب و کدرته،و هو الباعث لخبثه و غفلته،و هو العله العظمی لخسران النفس و هلاکها،و هو السبب الأقوی لضلالتها و خباثتها،هو الذی أنساها عهود الحمی،و هو الذی أ هواها فی مهاوی الضلاله و الردی و ما للقلب المتکون من الحرام و الاستعداد لفیوضات عالم القدس!و أنی للنطفه الحاصله منه و الوصول إلی مراتب الأنس!و کیف یدخل النور و الضیاء فی قلب أظلمته أدخنه المحرمات؟!و کیف تحصل الطهاره و الصفاء لنفس اخبثتها قذرات المشتبهات؟! و لأمر ما حذر عنه أصحاب الشرع و أمناء الوحی غایه التحذیر، و زجروا منه أشد الزجر،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

«إن للّه ملکا علی بیت المقدس،ینادی کل لیله:من أکل حراما لم یقبل منه صرف و لا عدل»: أی لا نافله و لا فریضه.

و قال-صلی اللّه

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث الوارده هنا علی(الوافی):۶-۲۸۹-۲۹۰.و علی (الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف،أبواب فعل المعروف،الباب ۱-۶.

علیه و آله-: «من لم یبال من أین اکتسب المال،لم یبال اللّه من أین أدخله النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل لحم نبت من حرام فالنار أولی به».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «من أصاب ما لا-من مأثم،فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فی سبیل اللّه،جمع اللّه ذلک جمعا،ثم أدخله فی النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «إن أخوف ما أخاف علی أمتی من بعدی هذه المکاسب الحرام،و الشهوه الخفیه، و الربا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من اکتسب مالا من الحرام فإن تصدق به لم یقبل منه،و إن ترکه وراءه کان زاده إلی النار» (۱).

و قال الصادق-علیه السلام-: «إذا اکتسب الرجل مالا من غیر حله ثم حج فلبی،نودی:لا لبیک و لا سعدیک!و إن کان من حله، نودی لبیک و سعدیک!» (۲).

و قال-علیه السلام-: «کسب الحرام یبین فی الذریه».

و قال-علیه السلام- فی قوله تعالی:

وَ قَدِمْنٰا إِلیٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً

(۳)

«إن کانت أعمالهم أشد بیاضا من القباطی،فیقول اللّه عز و جل

---

۱ - ۱) هذه النبویات-عدا الخامس-مذکوره فی(إحیاء العلوم):۲-۸۱، و صححناها علیه.أما الخامس،فقد رواه فی(الوسائل)عن(الکافی):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب منه،الباب ۱،الحدیث ۱.

۲ - ۲) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به،باب عدم جواز الإنفاق من الکسب الحرام،الحدیث ۳.و فی نسخ(جامع السعادات):«إذا کسب».

۳- ۳) الفرقان،الآیه:۲۳.

لها:کونی هباء.و ذلک أنهم کانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه» (۱)

و قال الکاظم-علیه السلام-: «إن الحرام لا ینمی،و إن نمی لم یبارک فیه،و إن أنفقه لم یؤجر علیه،و ما خلفه کان زاده إلی النار».

و فی بعض الأخبار: «أن العبد لیوقف عند المیزان،و له من الحسنات أمثال الجبال،فیسأل عن رعایه عیاله و القیام بهم،و عن ماله من أین اکتسبه و فیم أنفقه،حتی تفنی تلک المطالبات کل أعماله،فلا تبقی له حسنه.

فتنادی الملائکه:هذا الذی أکل عیاله حسناته فی الدنیا،و ارتهن الیوم بأعماله»

و ورد: «أن أهل الرجل و أولاده یتعلقون به یوم القیامه، فیوقفونه بین یدی اللّه تعالی،و یقولون:یا ربنا،خذ لنا،بحقنا منه، فإنه ما علمنا ما نجهل،و کان یطعمنا من الحرام و نحن لا نعلم.فیقتص لهم منه» (۲).

فصل عزه تحصیل الحلال

ینبغی لطالب النجاه أن یفر من الحرام فراره من الأسد،و یحترز منه احترازه من الحیه السوداء،بل أشد.و أنی یمکنه ذلک فی أمثال زماننا الذی لم یبق فیه من الحلال إلا الماء الفرات و الحشیش النابت فی أرض الموات،و ما عداه قد أخبثته الأیدی العادیه،و أفسدته المعاملات الفاسده

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به الباب ۱،الحدیث ۶.و کذا ما قبله فی هذا الباب،الحدیث ۳.

۲- ۲) هذان الخبران الأخیران لم نعثر لهما علی مستند.و قد ذکرهما فی(إحیاء العلوم):۳-۳۰،فقال عن الأول:«و فی الخبر»،و عن الثانی:«و یقال».

ما من درهم إلا و قد غصب من أهله مره بعد أولى،و ما من دينار إلا و قد خرج من أيدى من أخذه قهرا كره غب أولى،جل المياه و الأراضى من أهلها مغصوبه،و أنى يمكن القطع بحليه الأقوات و أكثر المواشى و الحيوانات من أهلها منهوبه،فأنى يتأتى الجزم بحليه اللحوم و الألبان و الدسوم.فهيهات ذلك هيهات!ما من تاجر إلا و معاملته مع الظالمين، و ما من ذى عمل إلا و هو مخالط للجائرين من عمال السلاطين.

و بالجمله:الحلال فى أمثال زماننا مفقود،و السبيل دون الوصول إليه مسدود.و لعمرى!أن فقده آفه عم فى الدين ضررها،و نار استطار فى الخلق شررها.و الظاهر أن أكثر الأعصار كان حالها كذلك،

و لذلك قال الإمام جعفر بن محمد الصادق-عليهما السلام-: «المؤمن يأكل فى الدنيا بمنزله المضطر».

و قال رجل للكاظم-عليه السلام-: «ادع اللّه جل و عز أن يرزقنى الحلال،فقال:أ تدرى ما الحلال؟قال:الكسب الطيب.فقال:كان على بن الحسين-عليهما السلام-يقول:الحلال قوت المصطفين.و لكن قل:أسألك من رزقك الواسع». و مع ذلك كله،لا ينبغى للمؤمن أن ييأس من تحصيل الحلال،و يترك الفرق و الفصل بين الأموال،فإن اللّه سبحانه أجل و أعظم من أن يكلف عباده بأكل الحلال و يسد عنهم طريق تحصيله.

فصل أنواع الأموال

اعلم أن الأموال على أقسام ثلاثه:حلال بين،و حرام بين، و شبهات بينهما.و لكل منها درجات،فإن الحرام و إن كان كله خبيثا،

إلا أن بعضه أخبث من بعض،فإن ما يؤخـذ بالمعامله الفاسـده مع التراضـی لیس فی الحرمه کمال الیتیم الـذی یؤخـذ قهرا.و کذا الحلال و إن کان کله طیبا،إلا أن بعضه أطیب من بعض.و الشـبهه کلها مکروهه،و لکن بعضـها أشـد کراهه من بعض.و کما أن الطبیب یحکم علی کل حلو بالحراره و لکن یقول بعضه حار فی الدرجه الأولی،و بعضه فی الثانیه،و بعضه فی الثالثه،و بعضه فی الرابعه،فکذلک الحرام بعضه خبیث فی الدرجه الأولی و بعضه فی الثانیه،و بعضه فی الثالثه،و بعضه فی الرابعه،و کذلک درجات الحلال فی الصفاء و الطیبه،و درجات الشبهه فی الکراهه.

ثم الحرام إمـا یحرم لعینه،کـالکلب و الخنزیر و الـتراب و غیرهـا من المحرمـات العینیه،أو لصـفه حـادثه فیه،کـالخمر لإسـکاره،و الطعام المسـموم لسـمیته،أو لخلل فی جهه إثبات الید علیه.و له أقسام غیر محصوره، کالمأخوذ بالظلم و القهر و الغصب و السرقه و الخیـانه فی الأمـانه و غیرها،و الغش و التلبیس و الرشوه،و بالبخس فی الوزن و الکیل،و بإحـدی المعاملات الفاسـده من الربا و الصـرف و الاحتکـار،و غیر ذلـک مما هو مـذکور فی کتب الفقه و قـد نهی اللّه سبحانه عن جمیع ذلک فی آیات کثیره،کقوله تعالی:

وَ لاٰ تَأْکُلُوا أَمْوٰالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْبٰاطِلِ

(۱)

.و قوله:

إِنَّ الَّذِینَ یَأْکُلُونَ أَمْوٰالَ الْیَتٰامیٰ ظُلْماً...

(۲)

.و عن خصوص الربا بقوله:یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ذَرُوا

ص: ۱۷۴

۱- ۱) البقره،الآیه:۱۸۸.

۲- ۲) النساء،الآیه:۹.

ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ،ثم قال: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ ،ثم قال: وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ (۱)،ثم قال: وَ مَنْ عادَ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ (۲).

جعل أكل الربا فی أول الأمر مؤديا إلى محاربه اللّه،و فی آخره متعرضا للنار.و قد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه فی أخبار كثيره،و هی فی كتب الأخبار و الفقه مذكوره،و تفصيل جميع المحرمات موكول إلى كتب الفقه،و ليس هنا موضع بيانه،فليرجع فيه إلى كتب الفقهاء.

الفرق بين الرشوه و الهديه

و ربما يتوهم الاشتباه فی بعض الموارد بين الرشوه و الهديه،فلنشر إلى جليه الحال فيهما،فنقول:ههنا صور:

الأولى-أن يسلم أو يرسل مالا إلى بعض الإخوان طلبا للاستئناس و تأكيدا للصحبه و التودد.و قد عرفت كونه هديه و حلالا،سواء قصد به الثواب فی الآخره و التقرب إلى اللّه تعالى أيضا،أ و لم يقصد به الثواب بل قصد مجرد الاستئناس و التودد.

الثانيه-أن يقصد بالبذل عوض مالی معين فی العاجل،كأن يهدی

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۷۸-۲۷۹.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۷۵.

الفقير إلى الغنى أو الغنى إلى الغنى شيئا طمعا فى عوض أكثر أو مساو من ماله.

و هذا أيضا نوع هديه،و حقيقته ترجع إلى هبه بشرط العوض،و إذا و فى بما(يطمع فيه) (۱)من العوض فلا ريب فى حليته.

قال الصادق عليه السلام: «الربا رباءان:ربا يؤكل،و ربا لا يؤكل فأما الذى يؤكل فهديتك إلى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها،فذلك الربا الذى يؤكل و هو قول اللّه تعالى:

وَ مٰا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلاٰ يَرْبُوا عِنْدَ اللّٰهِ

(۲)

.

و أما الذى لا يؤكل،فهو الذى نهى اللّه عز و جل عنه،و أوعد عليه النار»

(۳)

و عنه-عليه السلام-:«قال:قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- الهديه على ثلاثه وجوه:هديه مكافأه،و هديه مصانعه، و هديه للّه عز و جل»

(۴)

. و فى بعض الأخبار نوع إشعار بالحل،و إن لم يتحقق الوفاء بما(بطمع فيه) (۵)من العوض،

كخبر إسحاق بن عمار عن الصادق-عليه السلام-:«قال: قلت له عليه السلام:الرجل

۱- ۱) فى النسخ:«يطعمه»،فرجحنا ما أثبتناه.

۲- ۲) الروم،الآيه:۳۹.

۳- ۳) صححناه على(الوسائل):كتاب التجاره،أبواب الربا،الباب ۳، الحديث ۱.

۴- ۴) صححناه على(الوسائل):كتاب التجاره،أبواب ما يكتسب به،الباب ۱۱۹،الحديث ۲.

۵- ۵) فى النسخ:(يطعمه).

الفقير يهدی الی الهديه،يتعرض لما عندی،فآخذها و لا أعطيه شيئا أ يحل لی؟قال نعم!هی لک حلال،و لكن لا تدع أن تعطيه» (۱)و هل يحل مع إعطائه العوض المطموع فيه إذا لم يكن من ماله،بل كان من الأموال التی أعطته الناس ليصرف إلی الفقراء من الزكوات و الأخماس و سائر وجوه البر،و الظاهر الحل إذا كان المهدی من أهل الاستحقاق و المهدی له معطيا إياه،و إن لم يكن ليهدی له شيئا.و فيه تأمل،كما يظهر بعد ذلک.

الثالثه-أن يقصد به الإعانه بعمل معين،كالمحتاج إلی السلطان أو ذی شوكه يهدی إلی وكيلهما،أو من له مكانه عندهما،فينظر إلی ذلک العمل،فإن كان حراما،كالسعی فی تنجز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غير ذلک،أو واجبا،كدفع ظلم أو استخلاص حق ينحصر الدفع و الاستخلاص به،أو شهاده معينه،أو حكم شرعی يجب عليه،أو أمثال ذلک،فهو رشوه محرمه يحرم أخذها،و إن كان العمل مباحا لا-حراما و لا واجبا.فإن كان فيه تعب،بحيث جاز الاستئجار عليه،فما يأخذه حلال و جار مجری الجعاله،كأن يقول:أوصل هذه الفضه إلی السلطان و لک دينار.أو اقترح علی فلان أن يعيننی علی كذا أو يعطينی كذا،و توقف تنجز غرضه علی تعب أو كلام طويل،فما يأخذه فی جميع ذلک مباح،إذا كان الغرض مشروعا مباحا،و هو مثل ما يأخذه وكيل القاضی للخصومه بين يديه،بشرط ألا يتعدی من الحق.و إن لم يكن العمل مما فيه تعب بل كان مثل كلمه أو فعله لا تعب فيها أصلا،و لكن كانت تلک الكلمه أو تلک الفعله من مثله مفيده،لكونه ذا منزله،كقوله للبواب لا-تغلق دونه باب السلطان،فقال بعض العلماء:الآخذ علی هذا حرام،إذ لم

۱- ۱) صححناه علی(الوسائل):كتاب التجاره،أبواب ما يكتسب به، الباب ۱۱۹،الحديث ۲.

يثبت فى الشرع جواز ذلك.و يقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمه واحده ينبه بها على دواء يتفرد بمعرفته.و فيه نظر،إذ الظاهر جواز هذا الأخذ مع مشروعيه الغرض و عدم كونه واجبا عليه.

الرابعه-أن يطلب به حصول التودد و المحبه،و لكن لا ـ من حيث إنه تودد فقط،بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض ينحصر جنسها و إن لم ينحصر عينها،و كان بحيث لو لا ـ جاهه لكان لا يهدى إليه،فإن كان جاهه لأجل علم أورع أو نسب فالأمر فيه أخف،و الظاهر كون الأخذ حينئذ مكروها،لأنه هديه فى الظاهر مع كونه مشابها للرشوه.و إن كان لأجل ولايه تولاها،من قضاء أو حكومه أو ولايه صدقه أو وقف أو جبايه مال أو غير ذلك من الإعمال السلطانيه،فالظاهر كون ما يأخذه حراما لو كان بحيث لا يهدى إليه لو لا تلك الولايه،لأنه رشوه عرضت فى معرض الهديه،إذ القصد بها فى الحال طلب التقرب و المحبه،و لكن لأمر ينحصر فى جنسه،لظهور أن ما يمكن التوصل إليه بالولايات ما ذا،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهديه،و القتل بالموعظه،يقتل البرىء لتوعظ به العامه».

و روى:

«أنه صلى اللّه عليه و آله بعث واليا على صدقات الأزد،فلما جاء أمسك بعض ما معه،و قال:هذا لكم و هذا لى هديه.فقال-صلى اللّه عليه و آله-:ألا ـ جلست فى بيت أبيك و بيت أمك حتى تأتيك هديه إن كنت صادقا!ثم قال:ما لى استعمل الرجل منكم،فيقول:هذه لكم و هذه هديه لى،ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له!و الذى نفسى بيده! لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى اللّه بحمله،و لا يأتين أحدكم يوم القيامه ببعير له رغاء،أو بقره لها خوار أو شاه تيعر...ثم رفع يديه

حتى رأوا بياض إبطيه،و قال:اللهم هل بلغت؟» (۱).

و على هذا،فينبغى لكل وال أو حاكم و قاض و غيرهم من عمال السلاطين،أن يقدر نفسه فى بيت أبيه و أمه معزولا بلا شغل،فما كان يعطى حينئذ يجوز له أن يأخذه فى ولايته أيضا،و ما لا يعطى مع عزله و يعطى لولايته يحرم أخذه،و ما أشكل عليه من عطايا أصدقائه فهو شبهه و طريق الاحتياط فيها واضح.

وصل الورع عن الحرام

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه و الاحتياط عنه،و هو الورع بأحد إطلاقيه،فإن الورع قد يفسر بملكه التنزه و الاجتناب عن مال الحرام أكلا و طلبا و أخذا و استعمالا،و قد يفسر بكف النفس عن مطلق المعاصى و منعها عما لا ينبغى.فعلى الأول يكون ضدا لعدم الاجتناب عن المال الحرام،و يكون من رذائل قوه الشهوه،و على الثانى يكون ضدا للملكه الولوع على مطلق المعصيه،و يكون من رذائل القوه الغضبيه و الشهويه جميعا.

ثم الظاهر أن التقوى مرادفه للورع،فإن لها أيضا تفسيرين:أحدهما الاتقاء عن الأموال المحرمه،و قد أطلقت التقوى فى بعض الأخبار على هذا المعنى.و ثانيهما:ملكه الاتقاء عن مطلق المعاصى،خوفا من سخط اللّه و طلبا لرضاه.فعلى الأول يكون ضدا لعدم التنزه عن المال الحرام و رذيله

۱- ۱) صححنا هذين النبويين على ما فى(إحياء العلوم):۲-۱۳۷.

لقوه الشهوه،و على الثانى يكون ضدا لملكه ارتكاب المعاصى و رذيله للقوتين معا.

ثم اللازم على طريقتنا أن يذكر الورع و التقوى بالتفسير الأول هنا و بالتفسير الثانى فى المقام الرابع الذى نذكر فيه ما يتعلق بالقوتين أو بالثلاث من الرذائل و الفضائل.إلا أنا نذكر ما ورد فى فضيلتهما هنا،لدلاله ما ورد فى فضيلتهما بالتفسير الثانى على فضيلتهما بالتفسير الأول أيضا،و لعدم فائده فى استئناف عنوان على حده لمطلق المعصيه و ذكر ما ورد فى ذمها، ثم تذييلها بضدها الذى هو الورع و التقوى بتفسيريهما العام.إذ بعد ذكر جميع الأجناس و الأنواع و الأصناف من المعاصى و الطاعات،بأحكامها و لوازمها و ذمها و مدحها،لا فائده لاستئناف ذكر مطلق المعصيه أو الطاعه إذ لا يتعلق بهما غرض سوى ذكر ما ورد فى ذم مطلق المعصيه،و ما ورد فى مدح مطلق الطاعه،و هذا أمر ظاهر لا حاجه إليه فى كتب الأخلاق.

نعم،نشير إلى مطلق العصيان و ضده،أعنى الورع و التقوى بالمعنى الأعم إجمالا،ضبطا للأنواع و الأقسام.

فصل مدح الورع

الورع و التقوى عن الحرام أعظم المنجيات،و عمده ما ينال به إلى السعادات و رفع الدرجات.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:

«خير دينكم الورع».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من لقى اللّه سبحانه ورعا،أعطاه اللّه ثواب الإسلام كله».

و فى بعض الكتب السماويه «و أما الورعون،فإنى أستحيى أن أحاسبهم».

و قال الباقر-عليه السلام-:

«إن أشد العباده الورع».

و قال-علیه السلام-: «ما شیعتنا إلا من أتقی اللّه و أطاعه،فاتقوا اللّه و اعملوا لما عند اللّه،لیس بین اللّه و بین أحد قرابه.أحب العباد إلی اللّه تعالی و أکرمهم علیه أبقاهم و أعملهم بطاعته»

و قال الصادق-علیه السلام-: «أوصیک بتقوی اللّه و الورع و الاجتهاد و اعلم أنه لا ینفع اجتهاد لا ورع فیه».

و قال: «اتقوا اللّه و صونوا دینکم بالورع».

و قال علیه السلام-: «علیکم بالورع،فإنه لا ینال ما عند اللّه إلا بالورع».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه ضمن لمن اتقاه،أن یحوله عما یکره إلی ما یحب،و یرزقه من حیث لا یحتسب».

و قال-علیه السلام-: «إن قلیل العمل مع التقوی خیر من کثیر بلا تقوی».

و قال علیه السلام: «ما نقل اللّه عبدا من ذل المعاصی إلی عز التقوی،إلا أغناه من غیر مال،و أعزه من غیر عشیره،و آنسه من غیر بشر».

و قال -علیه السلام-: «إنما أصحابی من اشتد ورعه،و عمل لخالقه،و رجا ثوابه، هؤلاء أصحابی».

و قال علیه السلام-: «ألا و إن من اتباع أمرنا و إرادته الورع،فتزینوا به یرحمکم اللّه،و کیدوا أعداءنا ینعشکم اللّه».

و قال-علیه السلام-: «أعینونا بالورع،فإن من لقی اللّه تعالی منکم بالورع،کان له عند اللّه فرجا.إن اللّه عز و جل یقول:

وَ مَنْ یُطِعِ اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولٰئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولٰئِکَ رَفِیقاً

(۱)

.

۱- ۱) النساء،الآیه:۶۸.

فمنا النبی،و منا الصدیق و الشهداء و الصالحون»

و قال أبو جعفر -علیه السلام-: «قال اللّه عز و جل.یا بن آدم،اجتنب ما حرم علیک تکن من أورع الناس».

و سئل الصادق-علیه السلام-عن الورع من الناس،فقال:«الذی یتورع عن محارم اللّه عز و جل» (۱).

و لکون طلب الحرام و عدم الاجتناب عنه باعثا للهلاک،و توقف النجاه و السعاده فی الآخره علی الورع عن المحرمات،مع افتقار الناس فی الدنیا إلی المطاعم و الملابس،ورد فی فضیله کسب الحلال و مدحه

ما ورد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «طلب الحلال فریضه علی کل مسلم و مسلمه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من بات کالا من طلب الحلال،بات مغفورا له».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«العباده سبعون جزءا،أفضلها طلب الحلال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: العباده عشره أجزائه فی طلب الحلال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده،مر علی الصراط کالبرق الخاطف»،

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده،نظر اللّه إلیه بالرحمه،ثم لا یعذبه أبدا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده حلالا،فتح اللّه له أبواب الجنه،یدخل من أیها شاء»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من أکل من کد یده،کان یوم القیامه فی عداد الأنبیاء،و یأخذ ثواب الأنبیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من طلب الدنیا استعفافا عن الناس و سعیا علی أهله و تعطفا علی جاره

۱- ۱) صححنا الأحادیث الوارده فی هذا الفصل علی الکافی باب الطاعه و التقوی و باب الورع.و علی(البحار):۲ مج ۱۵-۹۶-۸۹ باب الطاعه و التقوی، و باب الورع و اجتناب الشبهات.

لقی اللّه عز و جل یوم القیامه و وجهه کالقمر لیله البدر» (۱)

و کان -صلی اللّه علیه و آله-إذا نظر إلی الرجل و أعجبه،قال:«هل له حرفه؟فان قال:لا،قال:سقط من عینی.قیل:و کیف ذاک یا رسول اللّه؟قال:لأن المؤمن إذا لم تکن له حرفه یعیش بدینه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سعی علی عیاله من حله،فهو کالمجاهد فی سبیل اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من طلب الدنیا حلالا فی عفاف،کان فی درجه الشهداء»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل الحلال أربعین یوما،نور اللّه قلبه،و أجری ینابیع الحکمه من قلبه علی لسانه».

و طلب منه-صلی اللّه علیه و آله-بعض الصحابه أن یجعله اللّه تعالی مستجاب الدعوه،فقال له:«أطب طعمتک تستجب دعوتک».

و قال الصادق علیه السلام-: «اقرؤا من لقیتم من أصحابکم السلام،و قولوا لهم:إن فلان بن فلان یقرؤکم السلام، و قولوا لهم:علیکم بتقوی اللّه عز و جل،و ما ینال به ما عند اللّه،إنی و اللّه ما آمرکم إلا بما نأمر به أنفسنا،فعلیکم بالجد و الاجتهاد،و إذا صلیتم الصبح و انصرفتم،فبکروا فی طلب الرزق،و اطلبوا الحلال،فإن اللّه عز و جل سیرزقکم و یعینکم علیه» (۲)

۱- ۱) صححنا أکثر الأحادیث المذکوره هنا علی الوسائل:کتاب التجاره، أبواب مقدماتها،الباب ۴.و علی فروع الکافی:کتاب المعیشه،باب الحث علی الطلب و التعرض للرزق.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب التجاره،فی الباب المتقدم،

فصل مداخل الحلال

اعلم أن مداخل الحلال خمسه:

الأول-ما لا يؤخذ من مالك،كنيل المعادن،و إحياء الموات، و الاصطياد،و الاحتطاب،و الاحتشاش،و الاستقاء من الشطوط و الأنهار و هذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصا بذى حرمه من الناس،و تفصيل ذلك موكول إلى كتاب إحياء الموات.

الثانى-ما يؤخذ قهرا ممن لا حرمه له،و هو الفىء،و الغنيمه،و سائر أموال الكفار المحاربين.و ذلك حلال للمسلمين بالشروط المقرره فى كتاب الغنائم و الجزيه.

الثالث-ما ينتقل إليه بالرضى من غير عوض،من حى أو ميت، كالهبه،و الميراث،و الوصيه،و الصدقات.و هذا حلال بشرط أن يكون المنقول منه اكتسبه من مداخل الحلال،و يضمن سائر الشروط المقرره فى كتاب الهبات و الفرائض و الوصايا و الصدقات.

الرابع-ما يؤخذ تراضيا بمعاوضه،و ذلك حلال بالشرائط و الآداب المقرره فى فن المعاملات من الفقه،من البيع،و السلم،و الإجاره،و الصلح و الشركه،و المضاربه،و المزارعه،و المساقاه،و الحواله،و الضمان، و الكتابه،و الخلع،و الصداق،و غير ذلك من المعاوضات.

الخامس-ما يحصل من الزراعه و منافع الحيوانات.و هو حلال إذا كان الأرض و البذر و الماء و الحيوانات حلالا بأحد الوجوه المتقدمه.

فهذه مداخل الحلال،فينبغى لطالب النجاه أن يكون ما يكتسبه

من المال من أحد هذه المداخل،بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرائط الحليه.

فصل درجات الورع

قسم بعض العلماء الورع و التقوى عن الحرام على أربع درجات:

الأولى-ورع العدول:و هو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق باقتحامه،و تسقط به العداله،و يثبت به العصيان و التعرض للنار،و هو الورع عن كل ما يحرمه فتوى المجتهدين.

الثانيه-ورع الصالحين:و هو الاجتناب من الشبهات أيضا.

الثالثه-الورع عما يخاف أداؤه إلى محرم أو شبهه أيضا،و إن لم يكن فى نفسه حراما و لا شبهه،فهو ترك ما لا بأس به مخافه ما به بأس.

الرابعه-ورع الصديقين:و هو الاجتناب عن كل ما ليس للّه، و يتناول لغير اللّه،و غير نيته التقوى على عبادته و إن كان حلالا صرفا لا يخاف أداؤه إلى حرام أو شبهه.و الصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ أنفسهم،المتفردون للّه تعالى بالقصد، الراؤن كل ما ليس للّه تعالى حراما،العاملون بقوله سبحانه:

قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

(١)

.

١- ١) الإنعام،الآيه:٩١.

تتميم

قال الصادق-علیه السلام-: «التقوی علی ثلاثه أوجه:تقوی من خوف النار و العقاب،و هو ترک الحرام،و هو تقوی العام.و تقوی من اللّه،و هو ترک الشبهات فضلا عن الحرام،و هو تقوی الخاص.

و تقوی فی اللّه،و هو ترک الحلال فضلا عن الشبهه» (۱)و إلی هذه المراتب الثلاث أشیر فی الکتاب الإلهی بقوله:

لَیْسَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِیما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ

(۲)

.

الغدر و الخیانه

فی المال أو العرض أو الجاه.و یدخل تحته الذهاب بحقوق الناس خفیه،و حبسها من غیر عسر،و بالبخس فی الوزن و الکیل،و بالغش بما یخفی،و غیر ذلک من التدلیسات المموهه و التلبیسات المحرمه.و جمیع

۱- ۱) هذا مقتبس من(مصباح الشریعه):الباب ۸۳ و فیه تقدیم و تأخیر فی مراتب التقوی عما هنا و لم یتبین لنا وجه صحه التعبیر:تقوی العام و تقوی الخاص فأثبتناه کما وجدناه.
۲- ۲) المائده،الآیه:۹۶.

ذلک من خباثه القوه الشهویه،و رذائلها،و من الرذائل المهلکه و خبائثها.

و قد وردت فی ذم الخیانه و بأقسامها أخبار کثیره،و جمیع ما یدل علی ذم الذهاب بحقوق الناس و أخذ أموالهم بدون رضاهم یدل علی ذمها.

و ضد الخیانه(الأمانه)،و قد وردت فی مدحها و عظم فوائدها أخبار کثیره،

کقول الصادق-علیه السلام-: «إن اللّه عز و جل لم یبعث نبیا إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه إلی البر و الفاجر»

و قوله-علیه السلام-: «لا تغتروا بصلاتهم و لا بصیامهم،فإن الرجل ربما لهج بالصلاه و الصوم حتی لو ترکه استوحش،و لکن اختبروهم بصدق الحدیث و أداء الأمانه» (۱)

و قوله-علیه السلام-: «انظر ما بلغ به علی علیه السلام عند رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فالزمه،فإن علیا-علیه السلام-إنما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بصدق الحدیث و أداء الأمانه» (۲)

و قوله-علیه السلام-: «ثلاث لا عذر فیها لأحد:أداء الأمانه إلی البر و الفاجر،و الوفاء بالعهد إلی البر و الفاجر،و بر الوالدین، برین کانا أو فاجرین» (۳).

۱- ۱) فی نسخ جامع السعادات و البحار و الوسائل:«عند صدق الحدیث...» و رجحنا نسخه الکافی.
۲- ۲) صححنا هذه الأحادیث الثلاثه علی البحار:۲ مج ۱۵-۱۲۳-۱۲۴ باب الصدق و لزوم أداء الأمانه،و علی الکافی:باب الصدق و أداء الأمانه،و علی الوسائل:کتاب الودیعه الباب ۱.
۳- ۳) روی فی الکافی باب بر الوالدین-:هذا الحدیث عن أبی جعفر -علیه السلام-و جاء فیه:«ثلاث لم یجعل اللّه عز و جل لأحد فیهن رخصه...» و لکن فی الوسائل-کتاب الودیعه الباب ۲ الطبعه الحجریه-رواه عن الکافی کما فی المتن.

و قوله-علیه السلام-:«کان أبی یقول أربع من کن فیه کمل إیمانه،و إن کان من قرنه إلی قدمه ذنوبا لم ینقصه ذلک،و هی:الصدق،و أداء الأمانه،و الحیاء،و حسن الخلق» (۱).

و قوله-علیه السلام-: «أهل الأرض مرحومون ما یخافون و أدوا الأمانه و عملوا بالحق».

و قیل له علیه السلام:«إن امرأه بالمدینه کان الناس یضعون عندها الجواری فیصلحن،و مع ذلک ما رأینا مثل ما صب علیها من الرزق.فقال:إنها صدقت الحدیث و أدت الأمانه،و ذلک یجلب الرزق» (۲) و الأخبار فی فضیله الأمانه کثیره.

و لقد قال لقمان:«ما بلغت إلی ما بلغت إلیه من الحکمه،إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه». فمن تأمل فی ذم الخیانه و إیجابها الفضیحه و العار فی الدنیا و العذاب و النار فی الآخره،و فی فضیله الأمانه و أدائها إلی خیر الدنیا و سعاده الآخره،سهل علیه ترک الخیانه و الاتصاف بالأمانه.

أنواع الفجور

من الزنا،و اللواط،و شرب الخمر،و الاشتغال بالملاهی،و استعمال آلاتها،من العود،و المزمار،و الرباب،و الدف،و أمثالها.فإن کل ذلک من رذائل القوه الشهویه.و کذا لبس الذهب و الحریر للرجال.و قد وردت فی ذم کل واحد منهما بخصوصه أخبار کثیره،و لا حاجه إلی ذکرها،لشیوعها و اشتهارها.

۱- ۱) روی فی الکافی باب حسن الخلق-هذا الحدیث عن الصادق-علیه السلام-،و لیس فیه:«کان أبی یقول».

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب الودیعه،الباب ۱ و هو یرویه عن الکافی.

و منها:

الخوض فی الباطل

و هو التکلم فی المعاصی و الفجور و حکایتها،کحکایات أحوال النساء و مجالس الخمر،و مقامات الفساق،و تنعم الأغنیاء،و تجبر الملوک و مراسمهم المذمومه و أحوالهم المکروهه،و أمثال ذلک.فکل ذلک من رداءه القوه الشهویه و خباثتها.

ثم لما کانت أنواع الباطل غیر محصوره لکثرتها،فالخوض فیه أیضا کذلک،و تکون له أنواع غیر متناهیه،و لا یفتح باب کلام إلا و ینتهی إلی واحد منها،فلا خلاص منه إلا باقتصار الکلام علی قدر الحاجه من مهمات الدین و الدنیا.و ربما وقعت من الرجل من أنواع الخوض فی الباطل کلمه تهلکه و هو مستحقر لها،فإن أکثر الخوض فی الباطل حرام،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «أعظم الناس خطایا یوم القیامه أکثرهم خوضا فی الباطل». و إلیه الإشاره بقوله تعالی.

وَ کُنّٰا نَخُوضُ مَعَ الْخٰائِضِینَ

(1)

.و قوله تعالی: فَلاٰ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّٰی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ (2).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن الرجل لیتکلم بالکلمه من

1- 1) المدثر،الآیه:45.

2- 2) النساء،الآیه:139.

رضوان اللّه،ما يظن أن تبلغ ما بلغت،فيكتب اللّه له بها رضوانه إلى يوم القيامه.و إن الرجل ليتكلم بالكلمه من سخط اللّه ما يظن أن تبلغ ما بلغت،فيكتب اللّه عليه بها سخطه إلى يوم القيامه» (۱)

و قال سلمان الفارسى-رضى اللّه عنه-: «أكثر الناس ذنوبا يوم القيامه،أكثرهم كلاما فى معصيه اللّه». و كان رجل من الأنصار يمر على مجلس الخائضين فى الباطل،فيقول لهم:«توضئوا،فإن بعض ما تقولون شر من الحدث» ثم الخوض فى الباطل هو ذكر محظورات سبق وجودها بمجرد شهوه النفس،من دون حاجه داعيه إليه،فلا مدخليه له بمثل الغيبه و النميمه و الفحش و المراء و الجدال و أمثالها،و يدخل فيه الخوض فى حكايات البدع و المذاهب الفاسده،فإن الحديث عنها خوض فى الباطل،و ورد النهى عنه

و منها:

اشاره

التكلم بما لا يعنى أو بالفضول

و المراد بالأول:التكلم بما لا فائده فيه أصلا،لا فى الدين و لا فى الدنيا،و الثانى-أعنى فضول الكلام-:أعم منه،إذ يتناول الخوض فى ما لا يعنى و الزياده فى ما يعنى على قدر الحاجه.فإن من يعنيه أمر و يتمكن من تقريره و تأديته و تأديه مقصوده بكلمه واحده،و مع ذلك ذكر كلمتين فالثانيه فضول،أى فضل على الحاجه،و لا ريب فى أن التكلم بما لا يعنى و بالفضول مذموم،و إن لم يكن فيه إثم،و هو ناش عن رداءه القوه الشهويه،إذ الباعث عليه ليس إلا مجرد تشهى النفس و هواها.

۱- ۱) صححناه على كنز العمال:۲-۱۱۲.

و السر فی ذمه:أنه یوجب تضییع الوقت،و المنع من الذکر و الفکر و ربما یبنی لأجل تهلیله أو تسبیحه قصر فی الجنه،و ربما ینفح من نفحات رحمه اللّه عند الفکره ما یعظم جدواه،فمن قدر علی أن یأخذ کنزا من الکنوز،فأخذ بدله مدره لا ینتفع بها،کان خاسرا.فمن ترک ذکر اللّه و الفکر فی عجائب قدرته،و اشتغل بمباح لا یعنیه،و إن لم یأثم،إلا أنه قد خسر،حیث فاته الربح العظیم بذکر اللّه و فکره.فإن رأس مال العبد أوقاته،و مهما صرفها إلی ما لا یعنیه،و لم یدخر بها ثوابا فی الآخره، فقد ضیع رأس ماله.علی أن الغالب تأدیه الخوض فی ما لا یعنی و فی الفضول إلی الخوض فی الباطل،و ربما أدی إلی الکذب بالزیاده و النقصان.و لذا ورد فی ذمه ما ورد،

و قد روی: «أنه استشهد یوم أحد غلام من أصحاب النبی-صلی اللّه علیه و آله-،و وجد علی بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه،و قالت:هنیئا لک الجنه یا بنی!فقال النبی-صلی اللّه علیه و آله-:و ما یدریک؟لعله کان یتکلم فیما لا یعنیه و یمنع ما لا یضره؟».

و ورد أیضا: «أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-قال لبعض أصحابه-و هو مریض-:ابشر.فقالت أمه:هنیئا لک الجنه!فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:و ما یدریک؟لعله قال ما لا یعنیه أو منع ما یعنیه؟»:یعنی إنما تتهنأ الجنه لمن لا یحاسب و من یتکلم فیما لا یعنیه حوسب علیه،و إن کان کلامه مباحا،فلا تتهنأ له الجنه مع المناقشه فی الحساب،فإنه نوع من العذاب.

و روی: «أنه تکلم رجل عند النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:فأکثر،فقال له النبی کم دون لسانک من حجاب؟فقال:شفتای و أسنانی.فقال:أ فما کان فی ذلک ما یرد کلامک؟».

و فی روایه أخری: «أنه قال ذلک فی رجل أثنی علیه،فاستهتر فی الکلام،ثم قال:ما أوتی رجل شرا من

فضل فی لسانه».

و روی: «أنه قدم رهط من بنی عامر علی رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-،فشرعوا بالمدح و الثناء علیه.فقال-صلی اللّه علیه و آله-:قولوا قولکم،و لا یستهوینکم الشیطان! (۱). و مراده -صلی اللّه علیه و آله-:أن اللسان إذا أطلق الثناء،و لو بالصدق، فیخشی أن یستهویه الشیطان إلی الزیاده المستغنی عنها .و قال بعض الصحابه «إن الرجل لیکلمنی بالکلام و جوابه أشهی الی من الماء البارد علی الظمآن فاترکه خیفه أن یکون فضولا».و قال بعض الأکابر:«من کثر کلامه کثر کذبه».و قال بعضهم:«یهلکک الناس فی خصلتین:فضول المال و فضول الکلام».

فصل حد التکلم بما لا یعنی

التکلم بما لا یعنی و بالفضول لا تنحصر أنواعه و أقسامه،لعدم تناهیها، و إنما حده أن تتکلم بما لو سکتّ عنه لم تأثم،و لم تتضرر فی شیء مما یتعلق بک،و لم یعطل شیء من أمورک.مثاله:أن تحکی مع قوم أسفارک و ما رأیت فیها من جبال و أنهار،و ما وقع لک من الوقایع،و ما استحسنته من الأطعمه و الثیاب،و ما تعجبت منه من مشایخ البلاد و وقائعهم.فهذه أمور لو سکت عنها لم تأثم و لم تتضرر،و لا یتصور فیها فائده دینیه و لا دنیویه لأحد،فإذا بالغت فی الاجتهاد حتی لا تمتزج بحکایتک زیاده و نقصان و لا تزکیه نفس من حیث التفاخر بمشاهده الأحوال العظیمه،و لا اغتیاب

۱- ۱) صححنا أحادیث الباب کلها علی(احیاء العلوم):۳-۹۳-۹۹، و علی(کنز العمال):۲-۱۸۴،۱۳۰.

شخص و لا مذمه شيء مما خلقه اللّه،فإنك مع ذلك كله مضيع وقتك.

ثم كما أن التكلم بما لا يعنيك مذموم،كذلك سؤالك غيرك عما لا يعنيك مذموم،بل هو أشد ذما،لأنك بالسؤال مضيع وقتك،و قد ألجأت أيضا صاحبك بالجواب إلى تضييع وقته.و هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفه،و لو كان في جوابه آفه-كما هو الشأن في أكثر الأسئله عما لا يعنيك-كنت آثما عاصيا.مثلا:لو سألت غيرك عن عبادته،فتقول:هل أنت صائم؟فان قال:نعم،كان مظهرا عبادته فيدخل عليه الرياء،و إن لم يدخل الرياء سقطت عبادته-على الأقل- من دون عباده السر،و عباده السر تفضل عباده الجهر بدرجات،و إن قال:لا،كان كاذبا،و إن سكت،كان مستحقرا إياك و تأذيت به، و إن احتال لمدافعه الجواب افتقر إلى تعب و جهد فيه.فقد عرضته بالسؤال إما للرياء و الكذب،أو للاستحقار،أو التعب في حيله الدفع.

و كذلك سؤالك عن كل ما يخفى و يستحيى من إظهاره،أو عما يحتمل أن يكون في إظهاره مانع،كان يحدث به أحد غيرك،فتسأله و تقول:

ما ذا تقول؟و فيم أنتم؟و كأن ترى إنسانا في الطريق فتقول:من أين إذ ربما يمنع مانع من إظهار مقصوده.و من هذا القبيل سؤالك غيرك:

لم أنت ضعيف؟أو ما هذا الضعف أو الهزال الذى حدث بك؟أو أى مرض فيك؟و أمثال ذلك.و أشد من ذلك أن تخوف مريضا بشده مرضه و تقول:ما أشد مرضك و ما أسوأ حالك!فإن جميع ذلك و أمثالها،مع كونها من فضول الكلام و الخوض في ما لا يعنى،يتضمن إثما و إيذاء.و ليس من مجرد التكلم بما لا يعنى و الفضول،و إنما مجرد ما لا يعنى ما لا يتصور فيه إيذاء و كسر خاطر و استحياء من الجواب،

كما روى: «أن لقمان دخل على داود عليه السلام و هو يسرد الدرع،و لم يكن يراها قبل ذلك

فجعـل يتعجب ممـا يرى.فـأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمه،فأمسك نفسه و لم يسأله.فلما فرغ داود،قام و لبسـها،و قال:نعم الدرع للحرب فقال لقمان:الصـمت حكم و قليل فاعله». و هذا و أمثاله من الأسـئله إذا لم يكن فيه ضـرر و هتك ستر و إيقاع فى رياء أو كذب،فهو مما لا يعنى، و تركه من حسن الإسلام.

فصل علاج الخوض فيما لا يعنى

سبب الخـوض فى مـا لاـ يعنى و فى فضـول الكلاـم:إمـا الحرص على معرفه مـا لاـ حـاجه إليه،أو المباسـطه بالكلاـم على سـبيل التودد،أو ترجيه الوقت بحكايات أحوال لا فائده فيها،و كل ذلك من رداءه قوه الشهوه.

و علاج ذلك من حيث العلم:أن يتذكر ذمه كما مر،و مدح ضده،أعنى الصمت،و تركه-كما يأتى-و يعلم أن الموت بين يديه،و أنه مسئول عن كـل كلمه،و أن أنفـاسه رأس مـاله،و أن لسـانه شـبكه يقـدر على أن يقتنص بهـا الحور العين،فإهمـاله و تضـييعه خسـران،و من حيث العمـل أن يعتزل عن النـاس مهمـا أمكن،و يلزم نفسه السـكوت عن بعض مـا يعنيه ليتعود لسـانه ترک مـا لا يعنيه،و أن يقـدم التأمـل و التروى على كل كلام يريـد أن يتكلم به فإن كان فيه فائـده دينيه أو دنيويه تكلم به و إلا تركه.و كان بعضهم يضع فى فمه حجرا،خوفا من التكلم بالفضول و ما لا يعنيه.

وصل الصمت

ضـد التكلم بمـا لا يعنيه و بالفضول تركها،إما بالصـمت أو بالتكلم فيما يعنيه مما يتعلق بـدينه أو دنياه.و فوائـد الصـمت و مـدحه يأتی فی موضعه.

و قد وردت أخبار فی المدح علی خصوص ترک ما لا یعنی و فضول الکلام

کقول النبی صلی اللّه علیه و آله-: «من حسن إسلام المرء ترکه ما لا یعنیه»

و قوله-صـلی اللّه علیه و آله-: «طوبی لمن أمسـک الفضل من لسانه، و أنفق الفضل من ماله!». و انظر کیف قلب الناس الأمر فی ذلک، فأمسکوا فضل المال و أطلقوا فضل اللسان.

و روی:«أنه-صلی اللّه علیه و آله-قال ذات یوم: إن أول من یدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنه.فلما دخل هذا الرجل،قالوا له:أخبرنـا بـأوثق عملـک فی نفسک ترجو به.فقال:إنی رجل ضـعیف العمل،و أوثق ما أرجو اللّه به سـلامه الصـدر و ترک ما لا یعنینی»

و قـال-صـلی اللّه علیه و آله-لأـبی ذر «ألاـ أعلمـک بعمـل خفیـف علی البـدن ثقیـل فی المیزان.قـال:بلی یـا رسول اللّه قـال:هو الصمت،و حسن الخلق،و ترک ما لا یعنیک».

قال ابن عباس:

«خمس هن أحسن من الـدراهم الموفقه:لاـ تتکلم فیمـا لاـ یعنیـک،فإنه فضل و لا آمن علیک الوزر.و لا تتکلم فیما یعنیک حتی تجـد له موضـعا،فـإنه رب متکلم فی أمر یعنیه قـد وضـعه فی غیر موضـعه فعنت.و لاـ تمـار حلیمـا و لا سـفیها،فإن الحلیم یغلبک بصمته،و إن السفیه یؤذیک بمنطقه.و اذکر أخاک إذا تغیب عنک بما تحب أن یذکرک به،و اعفه مما تحب أن یعفیک

منه.و اعمل عمل رجل یری أنه مجازی بالإحسان مأخوذ بالاحترام» (۱)

و قیل للقمان:ما حکمتک؟قال:«لا أسأل عما کفیت،و لا أتکلف ما لا یعنینی» و ما ورد فی فضیله ترک الفضول و ما لا یعنی فی أخبار الحجج-علیهم السلام-و کلمات الأکابر من الحکماء و العرفاء أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لأهل الاستبصار.

۱- ۱) ذکر هذه الروایه عن ابن عباس فی(إحیاء العلماء):۳-۹۷.و فیه اختلاف کثیر عما هنا،و لم یحصل لنا تحققها علی مصدر آخر.و الأحادیث النبویه هنا رواها فی(إحیاء العلوم)أیضا فی الموقع المذکور.

المقام الرابع (فيما يتعلق بالقوى الثلاث من العاقله و قوتى الغضب و الشهوه،أو باثنتين منها من الرذائل و الفضائل).

اشاره

الحسد و ذمه-الغبطه-بواعث الحسد-لا تحاسد بين علماء الآخره و العارفين-علاج الحسد-القدر الواجب فى نفى الحسد-النصيحه-الإيذاء و الإهانه-كف الأذى-ذم الظلم-العدل-إخافه المؤمن-إدخال السرور على المؤمن-ترك إعانه المسلمين-قضاء حوائج المسلمين-المداهنه فى الأمر بالمعروف-السعى فيه-وجوبه و شروطه-لا تشترط العداله فيه-مراتبه- ما ينبغى فى الآمر و الناهى-أنواع المنكرات-الهجران-التآلف-قطع الرحم-صله الرحم-المراد منه-عقوق الوالدين-برهما-حق الجوار- حدود الجوار و حقه-طلب العثرات-ستر العيوب-إفشاء السر-كتمان السر-النميمه-السعايه-الإفساد بين الناس-الإصلاح-الشماته-المراء علاجه-طيب الكلام-السخريه-المزاح-المذموم منه-الغيبه-لا تنحصر الغيبه باللسان-بواعثها-ذمها-مسوغاتها-كفارتها-البهتان-المدح الكذب-ذمه-مسوغاته-التوريه-المبالغه-شهاده الزور-علاج الكذب-الصدق و مدحه-أنواعه-اللسان أضر الجوارح-الصمت-حب الجاه-ذمه-الجاه أحب من المال-لا بد للإنسان من جاه-دفع إشكال- الكمال الحقيقى فى العلم و القدره و الجاه و المال-علاج حب الجاه-الخمول- مراتب حب المدح-أسبابه-علاجه-ضد حب المدح-الرياء-ذمه -أقسامه-تأثير الرياء على العباده السرور بالاطلاع على العباده-متعلقات الرياء- بواعثه-الرياء الجلى و الخفى-كيف يفسد الرياء العمل-شوائب الرياء المبطله للعمل-علاجه-الوسوسه بالرياء-الإخلاص-مدحه-آفاته-النفاق.

ص: ١٩٧

فمنها:

اشاره

الحسد

و هو تمنی زوال نعم اللّه تعالی عن أخیک المسلم مما له فیه صلاح، فإن لم ترد زوالها عنه و لکن ترید لنفسک مثلها فهو(غبطه)و منافسه، فإن لم یکن له فیها صلاح و أردت زوالها عنه فهو(غیره).ثم إن کان باعث حسدک مجرد الحرص علی وصول النعمه إلی نفسک،فهو من رداءه القوه الشهویه،و إن کان باعثه محض وصول المکروه إلی المحسود فهو من رذائل القوه الغضبیه،و یکون من نتائج الحقد الذی هو من نتائج الغضب،و إن کان باعثه مرکبا منهما،فهو من رداءه القوتین.و ضده (النصیحه)،و هی إراده بقاء نعمه اللّه علی أخیک المسلم مما له فیه صلاح.

و لا ریب فی أنه لا یمکن الحکم علی القطع بکون هذه النعمه صلاحا أو فسادا.فربما کانت وبالا علی صاحبه و فسادا له،مع کونها نعمه و صلاحا فی بادی النظر.فالمناط فی ذلک غلبه الظن،فما ظن کونه صلاحا فإراده زواله حسد و إراده بقائه نصیحه،و ما ظن کونه فاسدا فإراده زواله غیره.ثم إن اشتبه علیک الصلاح و الفساد،فلا ترد زال نعمه أخیک و لا بقاءها إلا مقیدا بالتفویض و شرط الصلاح،لتخلص من حکم الحسد و یحصل لک حکم النصیحه.و المعیار فی کونک ناصحا:أن ترید لأخیک ما ترید لنفسک،و تکره له ما تکره لنفسک.و فی کونک حاسدا:

أن ترید له ما تکره لنفسک،و تکره له ما ترید لنفسک.

ص :۱۹۸

فصل ذم الحسد

الحسد أشد الأمراض و أصعبها،و أسوأ الرذائل و أخبثها،و يؤدى بصاحبه إلى عقوبه الدنيا و عذاب الآخره،لأنه فى الدنيا لا يخلو لحظه عن الحزن و الألم،إذ هو يتألم بكل نعمه يرى لغيره،و نعم اللّه تعالى غير متناهيه لا تنقطع عن عباده،فيدوم حزنه و تألمه.فوبال حسده يرجع إلى نفسه،و لا يضر المحسود أصلا،بل يوجب ازدياد حسناته و رفع درجاته من حيث إنه يعيبه،و يقول فيه ما لا يجوز فى الشريعه،فيكون ظالما عليه، فيحمل بعضا من أوزاره و عصيانه،و تنقل صالحات أعماله إلى ديوانه، فحسده لا يؤثر فيه إلا خيرا و نفعا،و مع ذلك يكون فى مقام التعاند و التضاد مع رب الأرباب و خالق العباد،إذ هو الذى أفاض النعم و الخيرات على البرايا كما شاء و أراد بمقتضى حكمته و مصلحته،فحكمته الحقه الكامله أوجبت بقاء هذه النعمه على هذا العبد،و الحاسد المسكين يريد زوالها،و هل هو إلا سخط قضاء اللّه فى تفضيل بعض عباده على بعض و تمنى انقطاع فيوضات اللّه التى صدرت عنه بحسب حكمته و إراده خلاف ما أراد اللّه على مقتضى مصلحته؟!بل هو يريد نقصه سبحانه،و عدم اتصافه بصفاته الكماليه.إذ إفاضه النعم منه سبحانه فى أوقاتها اللائقه على محالها المستعده من صفاته الكماليه التى عدمها نقص عليه تعالى،و إلا لم يصدر عنه،و هو يريد ثبوت هذا النقص،ثم لتمنيه زوال النعم الإلهيه التى هى الوجودات و رجوع الشرور إلى الأعدام يكون طالبا للشر و محبا له،و قد صرح الحكماء بأن من رضى بالشر،و لو بوصوله إلى العدو،

فهو شرير فالحسد أشد الرذائل،و الحاسد شر الناس.و أی معصیه أشد من کراهه راحه مسلم من غیر أن یکون له فیها مضره؟و لذا ورد به الذم الشدید فی الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه فی معرض الإنکار:

أَمْ یَحْسُدُونَ النّاسَ عَلیٰ مٰا آتٰاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ

(۱)

.

و قال: وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمٰانِکُمْ کُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ (۲).و قال: إِنْ تَمْسَسْکُمْ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْکُمْ سَیِّئَهٌ یَفْرَحُوا بِهٰا (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «الحسد یأکل الحسنات کما تأکل النار الحطب».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «قال اللّه عز و جل لموسی بن عمران:یا بن عمران،لا تحسدن الناس علی ما آتیتهم من فضلی،و لا تمدن عینیک إلی ذلک،و لا تتبعه نفسک،فإن الحاسد ساخط لنعمی،صاد لقسمی الذی قسمت بین عبادی.و من یک کذلک فلست منه و لیس منی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «لا تحاسدوا و لا تقاطعوا و لا تدابروا و لا تباغضوا،و کونوا عباد اللّه إخوانا».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «دب إلیکم داء الأمم من قبلکم:الحسد و البغضاء،و البغضه هی الحالقه،لا أقول حالقه الشعر،و لکن حالقه الدین.و الذی نفس محمد بیده!لا تدخلون الجنه حتی تؤمنوا،و لن

۱- ۱) النساء،الآیه:۵۳.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۰۹.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۳۰.

تؤمنوا حتى تحابوا.أ لا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟افشوا السلام بينكم!»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «كاد الفقر أن يكون كفرا،و كاد الحسد أن يغلب القدر».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «سيصيب أمتى داء الأمم.قالوا:و ما داء الأمم؟قال:الأشر،و البطر، و التكاثر،و التنافس فى الدنيا،و التباعد و التحاسد،حتى يكون البغى ثم الهرج».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أخوف ما أخاف على أمتى أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون و يقتتلون».

و قال صلى اللّه عليه و آله «إن لنعم اللّه أعداء.فقيل:و من هم؟قال:الذين يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله».

و ورد فى بعض الأحاديث القدسيه: «أن الحاسد عدو لنعمتى،متسخط لقضائى،غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى».

و قال الإمام أبو جعفر الباقر-عليهما السلام-: «إن الرجل ليأتى بأدنى بادره فيكفر (۱)،و إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب».

و قال أبو عبد اللّه عليه السلام: «آفه الدين:الحسد و العجب و الفخر».

و قال عليه السلام: «إن المؤمن يغبط و لا يحسد، و المنافق يحسد و لا يغبط» (۲).

و قال: «الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود،كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنه،و لآدم الاجتباء و الهدى و الرفع إلى محل حقائق العهد و الاصطفاء.فكن محسودا و لا تكن حاسدا

۱- ۱) فى بعض نسخ(الكافى):«ليتأذى»و فى نسخ(جامع السعادات): «ليأتى بأى»و رجحنا نسخه(الوسائل)و(البحار)كما فى المتن.
۲- ۲) صححنا أحاديث هذا الفصل على(البحار):۳ مج ۱۵-۱۳۱-۱۳۲ باب الحسد.و على(الكافى):باب الحسد.و على(سفينه البحار):۱-۲۵۰-۲۵۱ و على(احياء العلوم):۳-۱۶۲-۱۶۴ و على(الوسائل):أبواب جهاد النفس الباب ۵۴.

فإن میزان الحاسد أبدا خفیف بثقل میزان المحسود،و الرزق مقسوم،فما ذا ینفع الحسد الحاسد،و ما ذا یضر المحسود الحسد.و الحسد أصله من عمی القلب و الجحود بفضل اللّه تعالی،و هما جناحان للکفر،و بالحسد وقع ابن آدم فی حسره الأبد،و هلک مهلکا لا ینجو منه أبدا،و لا توبه للحاسد لأنه مصر علیه معتقد به مطبوع فیه،یبدو بلا معارض به و لا سبب، و الطبع لا یتغیر عن الأصل،و إن عولج» (۱). و قال بعض الحکماء:

«الحسد جرح لا یبرأ».و قال بعض العقلاء:«ما رأیت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد،إنه یری النعمه علیک نقمه علیه».و قال بعض الأکابر:

«الحاسد لا ینال من المجالس إلا مذمه و ذلا،و لا من الملائکه إلا لعنه و بغضا،و لا ینال من الخلق إلا جزعا و غما،و لا ینال عند النزع إلا شده و هولا،و لا ینال عند الموقف إلا فضیحه و نکالا».و الأخبار و الآثار فی ذم الحسد أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه یکفی لطالب الحق ثم ینبغی أن یعلم أنه إذا أصاب النعمه کافر أو فاجر و هو یستعین بها علی تهیج الفتنه و إیذاء الخلق و إفساد ذات البین،فلا مانع من کراهتها علیه و حب زوالها منه،من حیث أنها آله للفساد،لا من حیث أنها نعمه.

فصل المنافسه و الغبطه

قد علمت أن المنافسه هی تمنی مثل ما للمغبوط،من غیر أن یرید زواله عنه،و لیست مذمومه،بل هی فی الواجب واجبه،و فی المندوب

۱- ۱) هذا الخبر فی(مصباح الشریعه):الباب ۵۱،و صححناه علیه.

مندوبه و فی المباح مباحه.قال اللّه سبحانه:

وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ

(۱)

.

و علیها یحمل

قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-: «لا حسد إلا فی اثنین:رجل آتاه اللّه مالا،فسلطه علی ملکه فی الحق.و رجل آتاه اللّه علما،فهو یعمل به و یعلمه الناس»: أی لا غبطه إلا فی ذلک،سمیت الغبطه حسدا کما یسمی الحسد منافسه،اتساعا لمقارنتهما.و سبب الغبطه حب النعمه التی للمغبوط،فإن کانت أمرا دینیا فسببها حب اللّه و حب طاعته،و إن کانت دنیویه فسببها حب مباحات الدنیا و التنعم فیها.و الأول لا کراهه فیه بوجه،بل هو مندوب إلیه.و الثانی و إن لم یکن حراما، إلا أنه ینقص درجته فی الدین،و یحجب عن المقامات الرفیعه،لمنافاته الزهد و التوکل و الرضا.

ثم الغبطه لو کانت مقصوره علی مجرد حب الوصول إلی ما للمغبوط لکونه من مقاصد الدین و الدنیا،من دون حب مساواته له و کراهه نقصانه عنه،فلا حرج فیه بوجه،و إن کان معه حب المساواه و کراهه التخلف و النقصان،فهنا موضع خطر.إذ زوال النقصان إما بوصوله إلی نعمه المغبوط أو بزوالها عنه،فإذا انسدت إحدی الطریقتین تکاد النفس لا تنفک عن شهوه الطریقه الأخری.إذ یبعد أن یکون إنسان مریدا لمساواه غیره فی النعمه فیعجز عنها،ثم لا ینفک عن میل إلی زوالها،بل الأغلب میله إلیه،حتی إذا زالت النعمه عنه کان ذلک عنده أشهی من بقائها علیه، إذ بزوالها یزول نقصانه و تخلفه عنه.فإن کان بحیث لو ألقی الأمر إلیه ورد إلی اختیاره لسعی فی إزاله النعمه عنه،کان حاسدا حسدا مذموما

۱- ۱) المطففین،الآیه:۲۶.

و إن منعه مانع العقل من ذلک السعی،و لکنه وجد من طبعه الفرح و الارتیاح بزوال النعمه عن المغبوط،من غیر کراهه لذلک و مجاهده لدفعه فهو أیضا من مذموم الحسد،و إن لم یکن فی المرتبه الأولی،و إن کره ما یجد فی طبعه من السرور و الانبساط بزوال النعمه بقوه عقله و دینه، و کان فی مقام المجاهده لدفع ذلک عن نفسه،فمقتضی الرحمه الواسعه أن یعفی عنه،لأن دفع ذلک لیس فی وسعه و قدرته إلا بمشاق الریاضیات.

إذ ما من إنسان إلا و یری من هو فوقه من معارفه و أقاربه فی بعض النعم الإلهیه،فإذا لم یصل إلی مقام التسلیم و الرضا،کان طالبا لمساواته له فیه و کارها عن ظهور نقصانه عنه.فإذا لم یقدر أن یصل إلیه،مال طبعه بلا اختیار إلی زوال النعمه عنه،و اهتز و ارتاح به حتی ینزل هو إلی مساواته.و هذا و إن کان نقصا تنحط به النفس عن درجات المقربین، سواء کان من مقاصد الدنیا أو الدین،إلا أنه لکراهته له بقوه عقله و تقواه،و عدم العمل بمقتضاه،یعفی عنه إن شاء اللّه،و تکون کراهته لذلک من نفسه کفاره له.

و قد ظهر من تضاعیف ما ذکر:أن الحسد المذموم له مراتب أربع:

الأولی-أن یحب زوال النعمه عن المحسود و إن لم تنتقل إلیه،و هذا أخبث المراتب و أشدها ذما.

الثانیه-أن یحب زوالها لرغبته فی عینها،کرغبته فی دار حسنه معینه،أو امرأه جمیله بعینها،و یحب زوالها من حیث توقف و صوله إلیها علیه، لا من حیث تنعم غیره بها.و یدل علی تحریم هذه المرتبه و ذمها قوله تعالی:

وَ لاٰ تَتَمَنَّوْا مٰا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهِ بَعْضَکُمْ عَلیٰ بَعْضٍ

(۱)

.

الثالثه-ألا یشتهی عینها،بل یشتهی لنفسه مثلها،إلا أنه إن

۱- ۱) النساء،الآیه:۳۱.

عجز عن مثلها أحب زوالها عنه،کیلا یظهر التفاوت بینهما،و مع ذلک لو خلی و طبعه،اجتهد و سعی فی زوالها.

الرابعه-کالثالثه،إلا أنه إن اقتدر علی إزالتها منعه قاهر العقل أو غیره من السعی فیه،و لکنه یهتز و یرتاح به من غیر کراهه من نفسه لذلک الارتیاح.

و الغبطه لها مرتبتان:

الأولی-أن یشتهی الوصول إلی مثل ما للمغبوط،من غیر میل إلی المساواه و کراهه للنقصان،فلا یحب زوالها عنه.

الثانیه-أن یشتهی الوصول إلیه مع میله إلی المساواه و کراهته للنقصان،بحیث لو عجز عن نیله،وجد من طبعه حبا خفیا لزوالها عنه و ارتاح من ذلک إدراکا للمساواه و دفعا للنقصان،إلا أنه کان کارها من هذا الحب،و مغضبا علی نفسه لذلک الارتیاح،و ربما سمیت هذه المرتبه ب(الحسد المعفو عنه)و کأنه المقصود

من قوله-صلی اللّه علیه و آله-:

«ثلاث لا ینفک المؤمن عنهن:الحسد،و الظن،و الطیره...ثم قال:و له منهن مخرج،إذا حسدت فلا تبغ-أی إن وجدت فی قلبک شیئا فلا تعمل به،و کن کارها له-و إذا ظننت فلا تحقق،و إذا تطیرت فامض».

فصل بواعث الحسد

اشاره

بواعث الحسد سبعه:

الأول-خبث النفس و شحها بالخیر لعباد اللّه.

فإنک تجد فی زوایا العالم من یسر و یرتاح بابتلاء العباد بالبلایا و المحن،و یحزن من حسن حالهم

ص:۲۰۵

و سعه عیشهم.فمثله إذا وصف له اضطراب أمور الناس و إدبارهم، و فوات مقاصدهم و تنغص عیشهم،یجد من طبعه الخبیث فرحا و انبساطا و إن لم یکن بینه و بینهم عداوه و لا رابطه،و لم یوجب ذلک تفاوتا فی حاله من وصوله إلی جاه أو مال أو غیر ذلک.و إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد اللّه و انتظام أموره،شق ذلک علیه،و إن لم یوجب ذلک نقصا فی شیء مما له.فهو یبخل بنعمه اللّه علی عباده من دون قصد و غرض،و لا تصور انتقال النعمه إلیه،فیکون ناشئا عن خبث نفسه و رذاله طبعه.و لذا یعسر علاجه،لکونه مقتضی خباثه الجبله،و ما یقتضیه الطبع و الجبله تعسر إزالته،بخلاف ما یحدث من الأسباب العارضه.

الثانی-العداوه و البغضاء.

و هی أشد أسبابه،إذ کل أحد-إلا أوحدی من المجاهدین-إذا أصابت عدوه بلیه فرح بذلک،إما لظنها مکافأه من اللّه لأجله،أو لحبه طبعا ضعفه و هلاکه.و مهما أصابته نعمه ساءه ذلک،لأنه ضد مراده،و ربما تصور لأجله أنه لا منزله له عند اللّه حیث لم ینتقم من عدوه و أنعم علیه،فیحزن لذلک.

الثالث-حب الرئاسه و طلب المال و الجاه.

فإن من غلب علیه حب التفرد و الثناء،و استقره الفرح بما یمدح به من أنه وحید الدهر و فرید العصر فی فنه،من شجاعه أو علم أو عباده أو صناعه أو جمال أو غیر ذلک،لو سمع بنظیر له فی أقصی العالم ساءه ذلک،و ارتاح بموته أو زوال النعمه التی یشارکه فیها،لیکون فائقا علی الکل فی فنه،و متفردا بالمدح و الثناء فی صفته.

الرابع-الخوف من فوت المقاصد.

و ذلک یختص بمتزاحمین علی مقصود واحد،فإن کل واحد،منهما یحسد صاحبه فی وصوله هذا المقصود طلبا للتفرد به،کتحاسد الضرات فی مقاصد الزوجیه.و الإخوه فی نیل

المنزله فی قلب الأبوین توصلا إلی مالهما،و التلامذه لأستاذ واحد فی نیل المنزله فی قلبه،و ندماء الملک و خواصه فی نیل المنزله و الکرامه عنده،و الوعاظ و الفقهاء المتزاحمین علی أهل بلده واحده فی نیل القبول و المال عندهم،إذا کان غرضهم ذلک.

الخامس-التعزز:

و هو أن یثقل علیه أن یترفع علیه بعض أقرانه و یعلم أنه لو أصاب بعض النعم یستکبر علیه و یستصغره،و هو لا یطیق ذلک لعزه نفسه،فیحسده لو أصاب تلک النعمه تعززا لنفسه.فلیس غرضه أن یتکبر،لأنه قد رضی بمساواته،بل غرضه أن یدفع کبره.

السادس-التکبر:

و هو أن یکون فی طبعه الترفع علی بعض الناس و یتوقع منه الانقیاد و المتابعه فی مقاصده،فإذا نال بعض النعم خاف ألا یحتمل تکبره و یترفع عن خدمته،و ربما أراد مساواته أو التفوق علیه، فیعود مخدوما بعد إن کان خادما،فیحسده فی وصول النعمه لأجل ذلک و قد کان حسد أکثر الکفار لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-من هذا القبیل،حیث قالوا:کیف یتقدم علینا غلام فقیر یتیم؟ لَوْ لاٰ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلیٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ (۱).

السابع-التعجب:

و هو أن یکون المحسود فی نظر الحاسد حقیرا و النعمه عظیمه،فیعجب من فوز مثله بمثلها،فیحسده و یحب زوالها عنه و من هذا القبیل حسد الأمم لأنبیائهم،حیث قالوا:

۱- ۱) الزخرف،الآیه:۳۱.

مَا أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا

(۱)

. فَقالُوا:أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا (۲). وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (۳).

فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبه الوحی و الرساله،و حسدوه بمجرد ذلک،من دون قصد تکبر أو رئاسه أو عداوه أو غیرها من أسباب الحسد.

و قد تجتمع هذه الأسباب أو أکثرها فی شخص واحد،فیعظم لذلک حسده،و تقوی قوه لا یقدر معها علی المجامله،فتظهر العداوه بالمکاشفه.

و ربما قوی الحسد بحیث یتمنی صاحبه أن یزول عن کل أحد ما یراه له من النعمه،و ینتقل إلیه.و مثله لا ینفک عن الجهل و الحرص،إذ هو یتمنی استجماع جمیع النعم و الخیرات الحاصله لجمیع الناس له،و لا ریب فی استحاله ذلک،و لو قدر إمکانه لا یمکنه الاستمتاع بها،فلو لم یکن حریصا لم یتمن ذلک أصلا،و لو کان عالما لدفع هذا التمنی بقوته العاقله.

(تنبیه)

بعض الأسباب المذکوره،کما یقتضی أن یتمنی زوال النعمه و السرور به کذلک یقتضی تمنی حدوث البلیه و الارتیاح منه.إلا أن المعدود من الحسد هو الأول،و الثانی معدود من العداوه.فالعداوه أعم منه،إذ هی تمنی وقوع مطلق الضرر بالعدو،سواء کان زوال نعمه أو حدوث بلیه.و الحسد تمنی زوال مجرد النعمه.

ص:۲۰۸

۱- ۱) یس،الآیه:۱۵.

۲- ۲) المؤمنون،الآیه:۴۸.

۳- ۳) المؤمنون،الآیه:۳۴.

فصل لا تحاسد بين علماء الآخره و العارفين

الأسباب المذكوره إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون لأجلها فى مجالس المخاطبات و يتواردون على الأغراض،فإذا خالف بعضهم بعضا فى غرض من أغراضه،أبغضه و ثبت فيه الحقد،فعند ذلك يريد استحقاره و التكبر عليه،و يكون فى صدد مكافاته على المخالفه لغرضه، و يكره تمكنه من النعمه التى توصله إلى أغراضه،فيتحقق الحسد.و لذا ترى أنه لا- تحاسد بين شخصين فى بلدتين متباعدتين،لعدم رابطه بينهما، إلا إذا تجاورا فى محل واحد،و تواردا على مقاصد تظهر فيها مخالفه بينهما فيحدث منهما التباغض،و تثور منه بقيه أسباب الحسد.و ترى كل صنف يحسد مثله دون غيره،لتواردهما على المقاصد،و تزاحمهما على صنعه واحده فالعالم يحسد العالم دون العابد،و التاجر يحسد التاجر دون غيره،إلا بسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفه،و هكذا يغم من اشتد حرصه على حب الجاه و أحب الصيت و الاشتهار فى جميع أطراف العالم و شاق التفرد بما هو فيه،فإنه يحسد كل من فى العالم ممن يشاركه فى الفن الذى يتفاخر به.

ثم منشأ جميع ذلك حب الدنيا،إذ منافعها لضيقها و انحصارها تصير محل التزاحم و التعارك،بحيث لا يمكن وصول منفعه منها،كمنصب أو مال إلى أحد إلا بزوالها عن الآخر.و أما الآخره،فلا ضيق فيها،فلا تنازع بين أهلها.و مثالها فى الدنيا العلم،فإنه منزه عن المزاحمه،فمن يحب العلم باللّه و صفاته و أفعاله و معرفه النظام الجملى من البدو إلى النهايه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا.إذ العلم لا يضيق عن كثره العالمين،

و المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم،و يفرح كل واحد منهم بمعرفته و يلتذ به،و لا ينقص ما لديه بمعرفه غيره،بل يحصل بكثره العارفين زياده الأنس و ثمره الإفاده و الاستفاده.إذ معرفه اللّه بحر واسع لا ضيق فيه، و كل علم يزيد بالإنفاق و تشريك غيره من أبناء النوع،يصير منشأ لزياده اللذه و البهجه،و قس على العلم التقرب و المنزله عند اللّه و غيرهما من النعم الأخرويه.فإن أجل ما عند اللّه من النعم و أعلى مراتب المنزله و القرب عنده تعالى لذه لقائه،و ليس فيها ممانعه و مزاحمه،و لا يضيق بعض أهل اللقاء على بعض،بل يزيد الأنس بكثرتهم.

و قد ظهر مما ذكر:أنه لا تحاسد بين علماء الآخره،لأنهم يلتذون و يبتهجون بكثره المشاركين فى معرفه اللّه و حبه و أنسه،و إنما يقع التحاسد بين علماء الدنيا،و هم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال و الجاه.إذ المال أعيان و أجسام،إذا وقعت فى يد واحد خلت عنها أيدى الآخرين.و الجاه ملك القلوب،و إذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم،انصرف عن تعظيم الآخر،أو نقص عنه لا محاله،فيكون ذلک سببا للتحاسد.و أما إذا امتلأ قلبه من الابتهاج بمعرفه اللّه،لم يمنع ذلک من أن يمتلئ غيره به.

فلو ملک إنسان جميع ما فى الأرض،لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه و انحصاره.و أما العلم فلا نهايه له،و مع ذلک لو ملک إنسان بعض العلوم لم يمنع ذلک من تملک غيره له.

فظهر أن الحسد إنما هو فى التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء بالكل،فلا حسد بين العارفين و لا بين أهل العليين،لعدم ضيق و مزاحمه فى المعرفه و نعيم الجنه،و لذا قال اللّه سبحانه فيهم:

وَ نَزَعْنٰا مٰا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوٰاناً عَلىٰ سُرُرٍ

مُتَقٰابِلِينَ

(۱)

.

بل الحسد من صفات المسجونين فی سجن السجین.

فیا حبیبی،إن کنت مشفقا علی نفسک،طالبا لعماره رمسک،فاطلب نعمه لا مزاحمه فیها،و لذه لا مکدر لها.و ما هی إلا لذه معرفه اللّه و حبه و أنسه،و الانقطاع إلی جناب قدسه،و إن کنت لا تلتذ بذلک،و لا تشتاق إلیه،و تنحصر لذاتک بالأمور الحسیه و الوهمیه،فاعلم أن جوهر ذاتک معیوب،و عن عالم الأنوار محجوب،و عن قریب تحشر مع البهائم و الشیاطین،و تکون مغلولا معهم فی أسفل السافلین.و مثلک فی عدم درک هذه اللذه،مثل الصبی و العنین فی عدم درک لذه الوقاع.فکما أن هذه اللذه یختص بإدراکها رجال أصحاء،فکذلک لذه المعرفه یختص بإدراکها:

رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ

(۲)

.

و لا یشتاق غیرهم إلیها،إذ الشوق بعد الذوق،فمن لم یذق لم یعرف،و من لم یعرف لم یشتق،و من لم یشتق لم یطلب،و من لم یطلب لم یدرک،و من لم یدرک کان مطرودا عن العلیین،ممنوعا عن مجاوره المقربین،محبوسا مع المحرومین فی أضیق درکات السجین.

وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ

(۳)

.

۱- ۱) الحجر،الآیه:۴۷.

۲- ۲) النور،الآیه:۳۷.

۳- ۳) الزخرف،الآیه:۳۶.

فصل علاج الحسد

اشاره

لمـا علم أن الحسـد من الأـمراض المهلكه للنفوس،فـاعلم أن أمراض النفوس لاـ تـداوى إلاـ بالعلم و العمل.و العلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضرك فى الدين و الدنيا،و لا يضر محسودك فيهما،بل ينتفع به فيهما.

و مهما عرفت ذلك عن بصيره و تحقيق،و لم تكن عدو نفسك لا صديق عدوك،فارقت الحسد.

و أما أنه يضـر بـدينك و يؤدى بك إلى عـذاب الأبد و عقاب السـرمد فلما علمت من الآيات و الأخبار الوارده فى ذمه و عقوبه صـاحبه،و لما عرفت من كون الحاسـد ساخطا لقضاء اللّه تعالى،و كارها لنعمه التى قسـمها لعباده،و منكرا لعـدله الـذى أجراه فى ملكه.و مثل هذا السـخط و الإنكار لإيجابه الضديه و العناد لخالق العباد،كاد أن يزيل أصل التوحيد و الإيمان فضـلا عن الإضـرار بهما.على أن الحسـد يوجب الغش و العداوه بالمؤمن، و ترك نصـيحته و موالاته و تعظيمه و مراعاته و مفارقه أنبياء اللّه و أوليائه فى حبهم الخير و النعمه له،و مشاركه الشـيطان و أحزابه فى فرحهم بوقوع المصائب و البلايا عليه،و زوال النعم عنه.و هذه خبائث فى النفس، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

و أما أنه يضـرك فى الـدنيا،لأنك تتألم و تتعذب به،و لا تزال فى تعب و غم و كد و هم،إذ نعم اللّه لا تنقطع عن عباده و لا عن أعـدائك، فأنت تتعـذب بكل نعمه تراها لهم،و تتألم بكل بليه تنصـرف عنهم، فتبقى دائما مغموما محزونا،ضـيق النفس منشـعب القلب،فأنت باختيارك

تجر إلى نفسک ما ترید لأعدائک و یرید أعداؤک لک.و ما أعجب من العاقل أن یتعرض لسخط اللّه و مقته فی الآجل،و دوام الضرر و الألم فی العاجل فیهلک دینه و دنیاه من غیر جدوی و فائده.

و أما أنه لا یضر المحسود فی دینه و دنیاه فظاهر،لأن النعمه لا تزول عنه بحسدک.إذ ما قدره اللّه من النعم علی عباده لا بد أن یستمر إلی وقته و لا ینفع التدبیر و الحیله فی دفعه،لا مانع لما أعطاه و لا راد لما قضاه:

لِکُلِّ أَجَلٍ کِتٰابٌ . وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ (۱).

و لو کانت النعم تزول بالحسد،لم تبق علیک و علی کافه الخلق نعمه،لعدم خلوک و خلوهم عن الحسد،بل لم تبق نعمه الإیمان علی المؤمنین،إذ الکفار یحسدونهم،کما قال اللّه سبحانه:

وَدَّتْ طٰائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ لَوْ یُضِلُّونَکُمْ وَ مٰا یُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا یَشْعُرُونَ

(۲)

.

و لو تصورت زوال النعمه عن محسودک بحسدک،و عدم زوالها عنک بحسد حاسدک،لکنت أجهل الناس و أشدهم غباوه.نعم،ربما صار حسدک منشأ لانتشار فضل المحسود،کما قیل:

و إذا أراد اللّه نشر فضیله

طویت،أتاح لها لسان حسود

فإذا لم تزل نعمته بحسدک،لم یضره فی الدنیا،و لا یکون علیه إثم فی الآخره.

و أما أنه ینفعه فی الدین،فلذلک ظاهر من حیث کونه مظلوما من

۱- ۱) الرعد،الآیه:۹،۴۰.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۶۹.

جهتک،(لا)سیما إذا أخرجک الحسد إلى ما لا ینبغی من القول و الفعل کالغیبه،و البهتان،و هتک ستره،و إفشاء سره،و القدح فیه،و ذکر مساویه.فتحتمل بهذه الهدایا التی تهدیها إلیه بعضا من أوزاره و عصیانه و تنقل شطرا من حسناتک إلى دیوانه،فیلقاک یوم القیامه مفلسا محروما عن الرحمه،کما کنت تلقاه فی الدنیا محروما عن النعمه.فأضفت له نعمه إلى نعمه،و لنفسک نقمه إلى نقمه.

و أما أنه ینفعه فی الدنیا،فهو أن أهم أغراض الناس مساءه الأعداء و سوء حالهم،و کونهم متألمین معذبین.و لا عذاب أشد مما أنت فیه من ألم الحسد.فقد فعلت بنفسک ما هو غایه مراد حسادک فی الدنیا.و إذا تأملت هذا،عرفت أن کل حاسد عدو نفسه،و صدیق عدوه.فمن تأمل فی ذلک،و تذکر ما یأتی من فوائد النصیحه و حب الخیر و النعمه للمسلمین،و لم یکن عدو نفسه،فارق الحسد البته.

و أما العمل النافع فیه،فهو أن یواظب على آثار النصیحه التی هی ضده،بأن یصمم على أن یکلف نفسه بنقیض ما یقتضیه الحسد من قول و فعل،فإن بعثه الحسد على التکبر علیه،ألزم نفسه التواضع له،و إن بعثه على غیبته و القدح فیه،کلف لسانه المدح و الثناء علیه،و إن بعثه على الغش و الخرق بالنسبه إلیه،کلف نفسه بحسن البشر و اللین معه،و إن بعثه على کف الإنعام عنه،ألزم نفسه زیادته.و مهما فعل ذلک عن تکلف و کرره و داوم علیه،انقطعت عنه ماده الحسد على التدریج.على أن المحسود إذا عرف منه ذلک طاب قلبه و أحبه،و إذا ظهر حبه للحاسد زال حسده و أحبه أیضا،فتتولد بینهما الموافقه،و ترتفع عنهما ماده المحاسده و هذا هو المعالجه الکلیه لمطلق مرض الحسد.و العلاج النافع لکل نوع منه،أن یقمع سببه،من خبث النفس و حب الرئاسه و الکبر و عزه النفس

و شده الحرص و غير ذلك مما ذكر،و علاج كل واحد من هذه الأسباب يأتى فى محله.

تنبيه القدر الواجب فى نفى الحسد

اعلم أن مساواه حسن حال العدو و سوء حاله،و عدم وجدان التفرقه بينهما فى النفس،ليست مما تدخل تحت الاختيار.فالتكليف به تكليف بالمحال.فالواجب فى نفى الحسد و إزالته هو القدر الذى يمكن دفعه،و بيان ذلك-كما أشير إليه-أن الحسد:

(أولا)إما يبعث صاحبه على إظهاره بقول أو فعل،بحيث يعرف حسده من آثاره الاختياريه،و لا ريب فى كونه مذموما محرما،و كون صاحبه عاصيا آثما،لا لمجرد آثاره الظاهره التى هى الغيبه و البهتان مثلا، إذ هى أفعال صادره عن الحسد،محلها الجوارح،و ليست عين الحسد، إذ هو صفه للقلب لا صفه للفعل،و محله القلب دون الجوارح،قال اللّه سبحانه:

وَ لاٰ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حٰاجَةً مِمّٰا أُوتُوا

(۱)

.و قال:

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمٰا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوٰاءً

(۲)

.و قال:

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ

(۳)

.

۱- ۱) الحشر،الآيه:۹.

۲- ۲) النساء،الآيه:۸۸.

۳- ۳) آل عمران،الآيه:۱۲۰.

فلو كان الإثم على مجرد أفعال الجوارح،لم يكن أصل الحسد الذى هو صفه القلب معصيه،و الأمر ليس كذلك،فيكون عاصيا لنفس الحسد الذى فى قلبه أيضا،أعنى ارتياحه بزوال النعمه مع عدم كراهه ذلك من نفسه.و الإثم حقيقه على عدم كراهته و عدم مقته و قهره على نفسه لهذا الارتياح الذى يجده منها،لكونه اختياريا ممكن الزوال،لا على نفس الارتياح و الاهتزاز،لما أشير إليه من أنه طبيعى غير ممكن الدفع لكل أحد فهذا القسم من الحسد أشد أنواعه،لترتب معصيته على أصله،و أخرى على ما يصدر عنه من آثاره المذمومه.

(ثانيا)أولا-يبعثه على إظهاره بالآثار القوليه و الفعليه،بل يكف ظاهره عنها،إلا أنه بباطنه يحب زوال النعمه من دون كراهه فى نفسه لهذه الحاله.و لا-ريب فى كونه مذموما محرما أيضا،لأنه كسابقه بعينه و لا فرق إلا فى أنه لا تصدر منه الآثار الفعليه و القوليه الظاهره،فهو ليس بمظلمه بحسب الاستحلال منها،بل معصيه بينه و بين اللّه،لأن الاستحلال إنما هو من الأفعال الظاهره الصادره من الجوارح.

(ثالثا)أولا يبعثه على الآثار الذميمه الظاهره،و مع ذلك يلزم قلبه كراهه ما يترشح منه طبعا من حب زوال النعمه،حتى أنه يمقت نفسه و يقهرها على هذه الحاله التى رسخت فيها.و الظاهر عدم ترتب الإثم عليه إذ تكون كراهته التى من جهه العقل فى مقابله الميل من جهه الطبع،فقد أدى الواجب عليه.و أصل الميل الطبيعى لا-يدخل تحت الاختيار غالبا، إذ تغير الطبع بحيث يستوى عنده المحسن و المسىء،و عدم التفرقه بين ما يصل منهما إليه من النعمه و البليه،ليس شريعه لكل وارد.نعم من تنور قلبه بمعرفه ربه،و أشرقت نفسه باضواء حبه و أنسه،و صار مستغرقا بحب اللّه تعالى مثل الشكران الواله،و استشعر بالارتباط الخاص الذى

بین العله و المعلول،و الاتحاد الذی بین الخالق و المخلوق،و علم أنه أقوی النسب و الروابط،ثم تیقن بأن الموجودات بأسرها من رشحات وجوده، و الکائنات برمتها صادره عن فیضه وجوده،و أن الأعیان الممکنه متساویه فی ارتضاع لبان الوجود من ثدی واحده،و الحقائق الکونیه غیر متفاوته فی شرب ماء الرحمه و الجود من مشرع الوحده الحقیقیه-فقد ینتهی أمره إلی ألا تلتفت نفسه إلی تفاصیل أحوال العباد،بل ینظر إلی الکل بعین واحده،و یری الکل عبادا للّه و أفعاله،و یراهم مسخرین له،فلا ینظر إلی شیء بعین السخط و المساءه،و إن ورد منه ما ورد من السوء و البلیه،لأنه ینظر إلیه من حیث هو حتی یظهر التفاوت بل من حیث انتسابه إلیه سبحانه،و الکل فی الانتساب إلیه سواء.

ثم من الناس من ذهب إلی أنه لا إثم علی الحسد ما لم تظهر آثاره علی الجوارح،و علی هذا ینحصر الحسد المحرم فی القسم الأول.و احتج علی ما ذهب إلیه بما ذکرناه

من قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «ثلاث لا ینفک المؤمن عنهن:الحسد...»،

و بقوله-صلی اللّه علیه و آله-:

ثلاث فی المؤمن له منهن مخرج،و مخرجه من الحسد ألا یبغی» و الصحیح أن تحمل أمثال هذه الأخبار علی القسم الثالث،و هو ما یکون فیه ارتیاح النفس بزوال النعمه طبعا مع کراهه له من جهه العقل و الدین،حتی تکون هذه الکراهه فی مقابله حب الطبع.إذ أخبار ذم الحسد تدل بظاهرها علی أن کل حاسد آثم،و الحسد عباره عن صفه القلب لا عن الأفعال الظاهره.و علی هذا المذهب،لا یکون إثم علی صفه القلب،بل إنما یکون علی مجرد الأفعال الظاهره علی الجوارح.

فقد اتضح بما ذکر،أن الأحوال المتصوره لکل أحد بالنسبه إلی أعدائه ثلاثه:الأولی:أن یحب مساءتهم،و یظهر الفرح بمساءتهم بلسانه

و جوارحه،أو يظهر ما يؤذيهم قولا أو فعلا،و هـذا محظور محرم قطعا، و صاحبه عاص آثم جزما.الثانيه:أن يحب مساءتهم طبعا،و لكن يكره حبه لـذلك بعقله،و يمقت نفسه عليه،و لو كانت له حيله فى إزاله ذلك الميل لأزاله.و هذا معفو عنه وفاقا،و فاعله غير آثم إجماعا.الثـالثه:و هى مـا بين الأولـيين:أن يحسـد بالقلب من غير مقته لنفسه على حسـده،و من غير إنكار منه على قلبه،و لكن يحفظ جوارحه عن صدور آثار الحسد عنها،و هذا محل الخلاف.و قد عرفت ما هو الحق فيه.

وصل النصيحه

قـد عرفت أن ضـد الحقـد و الحسـد(النصـيحه)،و هى إراده بقـاء نعمه اللّه للمسـلمين،و كراهه وصول الشـر إليهم.و قـد تطلق فى الأخبار على إرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم و غبطتهم،و هو لازم للمعنى الأول.

فينبغى أن نشير إلى فوائدها و ما ورد فى مدحها،تحريكا للطالبين على المواظبه عليها ليرتفع بها ضدها.

اعلـم أن من أحب الخير و النعمه للمسـلمين كـان شـريكا فى الخير، بمعنى أنه فى الثـواب كـالمنعم و فاعـل الخير.و قـد ثبت من الأخبار،أن من لم يدرك درجه الأخيار بصالحات الأعمال،و لكنه أحبهم،يكون يوم القيامه محشورا معهم،

كما ورد: «إن المرء يحشر مع من أحب».

و قال أعرابى لرسول اللّه:«الرجل يحب القوم و لما يلحق بهم.فقال صلى اللّه عليه و آله:المرء مع من أحب»

و قال رجل بحضره النبى-بعد ما ذكرت الساعه-:«ما أعددت لها من كثير صلاه و لا صيام،إلا أنى أحب اللّه

و رسوله.فقال-صلى اللّه عليه و آله-أنت مع من أحببت»، قال الراوى:فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ،إذ أكثر ثقتهم كانت بحب اللّه و بحب رسوله.

و روى: «أنه قيل له صلى اللّه عليه و آله:الرجل يحب المصلين و لا يصلى،و يحب الصوام و لا يصوم -حتى عد أشياء-فقال:هو مع من أحب». و بهذا المضمون وردت أخبار كثيره.

و الأخبار الوارده فى مدح خصوص النصيحه و ذم تركها،و فى ثواب ترك الحسد و عظم فوائده،أكثر من أن تحصى.

عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:«قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: إن أعظم الناس منزله عند اللّه يوم القيامه أمشاهم فى أرضه بالنصيحه لخلقه».

و عن أبى جعفر عليه السلام قال:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه».

و قال الباقر-عليه السلام-: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحه».

و قال الصادق عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحه له فى المشهد و المغيب».

و قال عليه السلام: «عليك بالنصح للّه فى خلقه،فلن تلقاه بعمل أفضل منه» ،و بمضمونها أخبار.

و عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:«قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: من سعى فى حاجه لأخيه فلم ينصحه،فقد خان اللّه و رسوله»

و قال الصادق-عليه السلام-: «من مشى فى حاجه أخيه،ثم لم يناصحه فيها،كان كمن خان اللّه و رسوله،و كان اللّه خصمه» (۱).

و الأخبار الأخر بهذا المضمون أيضا كثيره.

و روى: «أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-شهد لرجل من

۱- ۱) صححنا الأحاديث فى النصيحه كلها على(الكافى):باب نصيحه المؤمن و باب من لم يناصح أخاه المؤمن.

من الأنصار بأنه من أهل الجنه»، و كان باعثه-بعد التفتيش-خلوه عن الغش و الحسد على خير أعطى أحدا من المسلمين.

و روى: «أن موسى-عليه السلام-لما تعجل إلى ربه،رأى فى ظل العرش رجلا، فغبطه بمكانه،و قال:إن هذا لكريم على ربه.فسأل ربه أن يخبر باسمه فلم يخبره باسمه،و قال:أحدثك عن عمله:كان لا يحسد الناس على ما آتاهم اللّه من فضله،و كان لا يعق والديه،و لا يمشى بالنميمه».

و غايه النصيحه،أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن أحدكم مرآه أخيه،فإذا رأى به شيئا فليمط عنه هذا».

و منها:

اشاره

الإيذاء و الإهانه و الاحتقار

و لا ريب فى كون ذلك فى الغالب مترتبا على العداوه و الحسد، و إن ترتب بعض أفرادها فى بعض الأحيان على مجرد الطمع أو الحرص ليكون من رداءه القوه الشهويه،أو على مجرد الغضب و سوء الخلق و الكبر،و إن لم يكن حقد و حسد.و على أى تقدير،لا شبهه فى أن الإيذاء للمؤمن و احتقاره محرم فى الشريعه،موجب للهلاك الأبدى

ص: ٢٢٠

قال اللّه سبحانه:

وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من آذى مؤمنا فقد آذانى،و من آذانى فقد آذى اللّه،و من آذى اللّه فهو ملعون فى التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان».

و فى خبر آخر: «فعليه لعنه اللّه و الملائكه و الناس أجمعين» (۲).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «المسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يحل للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظره تؤذيه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «أ لا أنبئكم بالمؤمن!من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم و أموالهم.أ لا أنبئكم بالمسلم! من سلم المسلمون من لسانه و يده.و المؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعه».

و قال الصادق عليه السلام: «قال اللّه عز و جل:«ليأذن بحرب منى من آذى عبدى المؤمن».

و قال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامه،نادى مناد:أين المؤذون لأوليائى؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم،فيقال:هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم و عاندوهم و عنفوهم فى دينهم.ثم يؤمر بهم إلى جهنم».

و قال-عليه السلام-:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: قال اللّه تبارك و تعالى.من أهان لى وليا فقد ارصد لمحاربتى»

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه تبارك و تعالى يقول:من أهان لى وليا فقد أرصد

۱- ۱) الأحزاب،الآيه:۵۸.

۲- ۲) صححنا الحديثين على(جامع الأخبار):الباب ۷،الفصل ۴.

لمحاربتی،و أنا أسرع شیء إلی نصره أولیائی».

و قال علیه السلام:

«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: قال اللّه عز و جل:قد نابذنی من أذل عبدی المؤمن».

و قال علیه السلام: «من حقر مؤمنا مسکینا أو غیر مسکین،لم یزل اللّه عز و جل حاقرا له ماقتا،حتی یرجع عن محقرته إیاه» (۱). و فی معناها أخبار کثیره آخر.

و من عرف النسبه التی بین العله و المعلول،و الربط الخاص الذی بین الخالق و المخلوق،یعلم أن إیذاء العباد و إهانتهم یرجع فی الحقیقه إلی إیذاء اللّه و إهانته،و کفاه بذلک ذما.فیجب علی کل عاقل أن یکون دائما متذکرا لذم إیذاء المسلمین و احتقارهم،و لمدح ضدهما،من رفع الأذیه عنهم و إکرامهم-کما یأتی-،و یحافظ نفسه عن ارتکابهما،لئلا یفتضح فی الدنیا و یعذب فی الآخره.

وصل کفّ الأذی عن المسلمین

اشاره

لا ریب فی فضیله أضداد ما ذکر و فوائدها،من کفّ الأذی عن المؤمنین و المسلمین و إکرامهم و تعظیمهم.و الظواهر الوارده فی مدح دفع الضرر و کف الأذی عن الناس کثیره،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:

«من رد عن قوم من المسلمین عادیه ماء أو نار وجبت له الجنه» (۲)

۱- ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب من آذی المسلمین و احتقرهم و علی.(إحیاء العلوم):۲-۱۷۲،۱۷۱.

۲- ۲) صححناه علی(فروع الکافی):کتاب الجهاد،فی ملحق باب فضل الشهاده.و علی(أصوله):فی باب الاهتمام بأمور المسلمین.

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «أفضل المسلمین من سلم المسلمون من لسانه و یده».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-فی حدیث طویل أمر فیه بالفضائل: «...فإن لم تقدر فدع الناس من الشر،فإنها صدقه تصدقت بها علی نفسک».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله- «رأیت رجلا یتقلب فی الجنه فی شجره قطعها عن ظهر الطریق کانت تؤذی المسلمین».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من زحزح من طریق المسلمین شیئا یؤذیهم، کتب اللّه له به حسنه أوجب له بها الجنه» (۱).

و کذا الأخبار التی وردت فی مدح إکرام المؤمن و تعظیمه کثیره.

قال الصادق-علیه السلام-: «قال اللّه سبحانه:لیأمن غضبی من أکرم عبدی المؤمن».

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکرم أخاه المسلم بکلمه یلطفه بها،و فرج عنه کربته،لم یزل فی ظل اللّه الممدود،و علیه الرحمه ما کان فی ذلک».

و قال صلی اللّه علیه و آله «ما فی أمتی عبد ألطف أخاه فی اللّه بشیء من لطف،إلا أخدمه اللّه من خدم الجنه».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أیما مسلم خدم قوما من المسلمین إلا أعطاه اللّه مثل عددهم خداما فی الجنه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «من أخذ من وجه أخیه المؤمن قذاه،کتب اللّه عز و جل له عشره حسنات،و من تبسم فی وجه أخیه کانت له حسنه»

و قال-علیه السلام-: «من قال لأخیه:مرحبا،کتب اللّه له مرحبا إلی یوم القیامه».

و قال علیه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن فأکرمه، فإنما أکرم اللّه عز و جل».

و قال علیه السلام لإسحاق بن عمار:«أحسن یا إسحاق إلی أولیائی ما استطعت،فما أحسن مؤمن إلی مؤمن و لا أعانه

۱- ۱) صححنا هذه الأحادیث الأربعه الأخیره علی(إحیاء العلوم):۲-۱۷۱ ۱۷۲.

إلا خمش وجه إبليس و قرح قلبه» (۱).

ثم ينبغى تخصيص بعض طبقات الناس بزياده التعظيم و الإكرام، كأهل العلم و الورع،لما ورد من الحث الأكيد فى الأخبار على إكرامهم و الإحسان إليهم،و كذا ينبغى تخصيص ذى الشيبه المسلم بزياده التوقير و التكريم،و قد ورد ذلك فى الأخبار الكثيره،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من عرف فضل كبير لسنه فوقره،آمنه اللّه من فزع يوم القيامه».

و قال الصادق-عليه السلام-: «إن من إجلال اللّه عز و جل إجلال الشيخ الكبير».

و قال عليه السلام-: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا و يرحم صغيرنا». و الأخبار فى هذا المضمون كثيره.

و كذا ينبغى تخصيص كريم القوم بزياده الإكرام،

لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله- «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» (۲).

و كذا تخصيص الذريه العلويه بزياده الإكرام و التعظيم.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «حقت شفاعتى لمن أعان ذريتى بيده و لسانه و ماله».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أربعه أنالهم شفيع يوم القيامه:

المكرم لذريتى،و القاضى لهم حوائجهم،و الساعى لهم فى أمورهم عند ما اضطروا إليه،و المحب لهم بقلبه و لسانه» (۳).

و قال صلى اللّه عليه و آله «أكرموا أولادى،و حسنوا آدابى».

و قال صلى اللّه عليه و آله «أكرموا

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب إلطاف المؤمن و إكرامه،و باب من آذى المسلمين و احتقرهم.
۲- ۲) صححنا هذه الأحاديث على(أصول الكافى):باب أجلال الكبير، و باب وجوب أجلال ذى الشيبه،و باب إكرام الكريم و على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب أحكام العشره،الباب ۶۷.
۳- ۳) تقدم هذان الحديثان فى ص ۱۳۹ من هذا الجزء.

أولادی،الصالحون للّه و الصالحون لی». و الأخبار فی فضل السادات و ثواب من یکرمهم و یعینهم أکثر من أن تحصی.

و إضرار المسلم قریب من معنی إیذائه،و ربما کان الإضرار أخص منه،فما یدل علی ذمه یدل علی ذمه،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله- «خصلتان لیس فوقهما شیء من الشر:الشرک باللّه تعالی،و الضر بعباد اللّه». و کذا ضده،أعنی إیصال النفع إلیه،قریب من معنی ضده و أخص منه.فما یدل علی مدحه یدل علی مدحه.و لا ریب فی أن إیصال النفع إلی المؤمنین من شرائف الصفات و الأفعال.و الأخبار الوارده فی فضیلته کثیره،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «الخلق عیال اللّه،فأحب الخلق إلی اللّه من نفع عیال اللّه و أدخل علی أهل بیته سرورا».

و سئل صلی اللّه علیه و آله:«من أحب الناس إلی اللّه؟قال:أنفع الناس للناس» (۱)

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «خصلتان من الخیر لیس فوقهما شیء من البر:الإیمان باللّه،و النفع لعباد اللّه».

تنبیه ذم الظلم بالمعنی الأخص

اعلم أن الظلم قد یراد به ما هو ضد العداله،و هو التعدی عن الوسط فی أی شیء کان،و هو جامع للرذائل بأسرها-کما أشیر إلیه- و هذا هو الظلم بالمعنی الأعم،و قد یطلق علیه الجور أیضا،و قد یراد به ما یرادف الإضرار و الإیذاء بالغیر،و هو یتناول قتله و ضربه و شتمه و قذفه و غیبته

۱- ۱) هذان الحدیثان صححناهما علی(أصول الکافی):باب الاهتمام بأمور المسلمین.

و أخذ ماله قهرا و نهبا و غصبا و سرقه و غير ذلک من الأقوال و الأفعال المؤذيه.و هذا هو الظلم بالمعنى الأخص،و هو المراد إذا أطلق فى الآيات و الأخبار و فى عرف الناس.و باعثه إن كانت العداوه و الحسد،يكون من رذائل قوه الغضب،و إن كان الحرص و الطمع فى المال،يكون من رذائل قوه الشهوه.و هو أعظم المعاصى و أشدها عذابا باتفاق جميع الطوائف و يدل على ذمه-بعد ما ورد فى ذم كل واحد من الأمور المندرجه تحته كما يأتى بعضها-ما تكرر فى القرآن من اللعن على الظالمين،و كفاه ذما أنه تعالى قال فى مقام ذم الشرک:

إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

(۱)

.و قال: إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۲).و قال: وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غٰافِلاً عَمّٰا يَعْمَلُ الظّٰالِمُونَ (۳).و قال: وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (۴).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «إن أهون الخلق على اللّه،من ولى أمر المسلمين فلم يعدل لهم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-

۱- ۱) لقمان،الآيه:۱۳.

۲- ۲) الشورى،الآيه:۴۲.

۳- ۳) إبراهيم،الآيه:۴۲.

۴- ۴) الشعراء،الآيه:۲۲۷.

«جور ساعه فی حکم،أشد و أعظم عند اللّه من معاصی تسعین سنه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «اتقوا الظلم،فإنه ظلمات یوم القیامه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من خاف القصاص،کف عن ظلم الناس»

و روی: «أنه تعالی أوحی إلی داود:قل للظالمین لا تذکرونی،فإن حقا علی أن أذکر من ذکرنی،و إن ذکری إیاهم أن ألعنهم».

و قال علی ابن الحسین-علیهما السلام لابنه أبی جعفر-علیه السلام-حین حضرته الوفاه :«یا بنی،إیاک و ظلم من لا یجد علیک ناصرا إلا اللّه».

و قال أبو جعفر-علیه السلام-: «ما من أحد یظلم بمظلمه إلا أخذه اللّه تعالی بها فی نفسه أو ماله».

و قال رجل له-علیه السلام-:«إنی کنت من الولاه،فهل لی من توبه؟فقال:لا!حتی تؤدی إلی کل ذی حق حقه».

و قال-علیه السلام-: «الظلم ثلاثه:ظلم یغفره اللّه تعالی، و ظلم لا یغفره اللّه تعالی،و ظلم لا یدعه اللّه.فأما الظلم الذی لا یغفره اللّه عز و جل فالشرک،و أما الظلم الذی یغفره اللّه عز و جل فظلم الرجل نفسه فیما بینه و بین اللّه عز و جل،و أما الظلم الذی لا یدعه فالمداینه بین العباد»

و قال الصادق-علیه السلام -فی قوله تعالی:

إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ

(۱)

.

«قنطره علی الصراط،لا یجوزها عبد بمظلمه».

و قال علیه السلام «ما من مظلمه أشد من مظلمه لا یجد صاحبها علیها عونا إلا اللّه تعالی»

و قال: «من أکل مال أخیه ظلما،و لم یرده إلیه،أکل جذوه من النار یوم القیامه».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه عز و جل أوحی إلی نبی من أنبیائه فی مملکه جبار من الجبارین:أن ائت هذا الجبار،فقل

۱- ۱) الفجر،الآیه ۱۴.

له:إنی لم استعملک علی سفک الدماء و اتخاذ الأموال،و إنما استعملتک لتکف عنی أصوات المظلومین،فإنی لن أدع ظلامتهم و إن کانوا کفارا»

و قال علیه السلام: «أما إن المظلوم یأخذ من دین الظالم أکثر مما یأخذ الظالم من مال المظلوم...ثم قال:من یفعل الشر بالناس فلا ینکر الشر إذا فعل به.أما إنه یحصد ابن آدم ما یزرع.و لیس یحصد أحد من المر حلوا،و لا من الحلو مرا».

و قال علیه السلام: «من ظلم،سلط اللّه علیه من یظلمه،أو علی عقبه أو علی عقب عقبه»قال الراوی:«قلت هو یظلم،فیسلط اللّه علی عقبه أو علی عقب عقبه؟!قال:فإن اللّه تعالی یقول:

وَ لْیَخْشَ الَّذِینَ لَوْ تَرَکُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّیَّهً ضِعٰافاً خٰافُوا عَلَیْهِمْ فَلْیَتَّقُوا اللّٰهَ وَ لْیَقُولُوا قَوْلاً سَدِیداً

(١)

.

و الظاهر أن مؤاخذه الأولاد بظلم آبائهم إنما هو فی الأولاد الذین کانوا راضین بفعل آبائهم،أو وصل إلیهم أثر ظلمهم،أی انتقل إلیهم منهم بعض أموال المظلومین. و قال بعض العلماء:الوجه فی ذلک:أن الدنیا دار مکافاه و انتقام،و إن کان بعض ذلک مما یؤخر إلی الآخره.

و فائده ذلک أما بالنسبه إلی الظالم فإنه یردعه عن الظلم إذا سمع،و أما بالنسبه إلی المظلوم فإنه یستبشر بنیل الانتقام فی الدنیا مع نیله ثواب الظلم الواقع علیه فی الآخره،فإنه ما ظفر أحد بخیر مما ظفر به المظلوم،لأنه یأخذ من دین الظالم أکثر مما أخذ الظالم من ماله،کما تقدم،و هذا مما

١- ١) صححنا أحادیث الباب علی(أصول الکافی):باب الظلم.و الآیه من الحدیث الأخیر:سوره النساء،الآیه:٨.

يصحح الانتقام من عقب الظلم أو عقب عقبه،فإنه و إن كان فی صوره الظلم،لأنه انتقام من غير أهله،مع أنه لا تزر وازره وزر أخرى،إلا أنه نعمه من اللّه عليه فی المعنى من جهه ثوابه فی الدارين،فإن ثواب المظلوم فی الآخره أكثر مما جرى عليه من الظلم فی الدنيا.

ثم إن معين الظالم،و الراضی بفعله،و الساعی له فی قضاء حوائجه و حصول مقاصده،كالظالم بعينه فی الإثم و العقوبه.

قال الصادق عليه السلام: «العالم بالظلم،و المعين له،و الراضی به،شركاء ثلاثتهم».

و قال عليه السلام: «من عذر ظالما بظلمه،سلط اللّه عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له،و لم يأجره اللّه على ظلامته».

و قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «شر الناس المثلث؟»،قيل:و ما المثلث قال:«الذی يسعى بأخيه إلى السلطان،فيهلك نفسه،و يهلك أخاه، و يهلك السلطان».

و قال صلى اللّه عليه و آله-: «من مشى مع ظالم فقد أجرم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا كان يوم القيامه،نادى مناد:أين الظلمه و أعوان الظلمه و من لاق لهم دواه أو ربط لهم كيسا أو مدهم بمده قلم؟فاحشروهم معهم».

وصل العدل بالمعنى الأخص

ضد الظلم بالمعنى الأخص هو العدل بالمعنى الأخص،و هو الكف عنه،و رفعه،و الاستقامه،و إقامه كل أحد على حقه.و العدل بهذا المعنى هو المراد عند إطلاقه فی الآيات و الأخبار،و فضيلته أكثر من أن

تحصی.قال اللّه سبحانه:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسٰانِ...

(۱)

.و قال:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا وَ إِذٰا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّٰاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «عدل ساعه خیر من عباده سبعین سنه قیام لیلها و صیام نهارها»

و قال الصادق علیه السلام:

«من أصبح و لا یهم بظلم أحد،غفر له ما اجترم».

و قال علیه السلام «من أصبح لا ینوی ظلم أحد،غفر اللّه تعالی له ذنب ذلک الیوم،ما لم یسفک دما أو یأکل مال یتیم حراما»

و قال-علیه السلام-: «العدل أحلی من الماء یصیبه الظمآن.ما أوسع العدل إذا عدل فیه،و إن قل».

و قال علیه السلام: «العدل أحلی من الشهد،و ألین من الزبد،و أطیب ریحا من المسک».

و قال-علیه السلام-: «اتقوا اللّه و اعدلوا،فإنکم تعیبون علی قوم لا یعدلون» (۳).

و مما یدل علی فضیله العدل بهذا المعنی ما ورد فی ثواب رد المظالم.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «درهم یرده العبد إلی الخصماء خیر له من عباده ألف سنه،و خیر له من عتق ألف رقبه،و خیر له من

۱- ۱) النحل،الآیه:۹۰.

۲- ۲) النساء،الآیه:۵۷.

۳- ۳) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب الظلم و باب الإنصاف و العدل.

ألف حجه و عمره».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من رد درهما إلى الخصماء،أعتق اللّه رقبته من النار،و أعطاه بكل دانق ثواب نبى، و بكل درهم ثواب مدينه فى الجنه من دره حمراء».

و قال صلى اللّه عليه و آله «من رد أدنى شىء إلى الخصماء،جعل اللّه بينه و بين النار سترا كما بين السماء و الأرض،و يكون فى عداد الشهداء».

و قال صلى اللّه عليه و آله:

«من أرضى الخصماء من نفسه،وجبت له الجنه بغير حساب،و يكون فى الجنه رفيق إسماعيل بن إبراهيم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن فى الجنه مدائن من نور،و على المدائن أبواب من ذهب مكلله بالدر و الياقوت،و فى جوف المدائن قباب من مسك و زعفران،من نظر إلى تلك المدائن يتمنى أن تكون له مدينه منها».قالوا:يا نبى اللّه،لمن هذه المدائن؟قال:«للتائبين النادمين،المرضين الخصماء من أنفسهم.

فإن العبد إذا رد درهما إلى الخصماء،أكرمه اللّه كرامه سبعين شهيدا.

فإن درهما يرده العبد إلى الخصماء خير له من صيام النهار و قيام الليل.

و من رد درهما ناداه ملك من تحت العرش:استأنف العمل،فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من مات غير تائب،زفرت جهنم فى وجهه ثلاث زفرات،فأولاها لا تبقى دمعه إلا جرت من عينيه،و الزفره الثانيه لا يبقى دم إلا خرج من منخريه، و الزفره الثالثه لا يبقى قيح إلا خرج من فمه.فرحم اللّه من تاب،ثم أرضى الخصماء،فمن فعل فأنا كفيله بالجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «لرد دانق من حرام يعدل عند اللّه سبعين ألف حجه مبروره» (1).

1- 1) صححنا الأحاديث النبويه هذه كلها على(جامع الأخبار):الباب 7 الفصل 7 و لم نعثر لها على أثر فى الكتب المعتبره.

و منها:

اشاره

إخافه المؤمن

و إدخال الكرب فی قلبه.و هما شعبتان من الإیذاء و الإضرار، فیترتبان غالبا علی العداوه و الحسد،و قد یترتبان علی مجرد الغضب أو سوء الخلق أو الطمع،و هما من رذائل الأفعال،و الأخبار الوارده فی ذمهما کثیره،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-: «من نظر إلی مؤمن نظره لیخیفه بها،أخافه اللّه تعالی یوم لا ظل إلا ظله».

و قول الصادق علیه السلام: «من روع مؤمنا بسلطان لیصیبه منه مکروه فأصابه فهو مع فرعون و آل فرعون فی النار».

و قوله-علیه السلام-: «من أدخل السرور علی مؤمن فقد أدخله علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و من أدخله علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فقد وصل ذلک إلی اللّه، و کذلک من أدخل علیه کربا» (۱). و الأخبار الوارده فی هذا المعنی کثیره

وصل إدخال السرور فی قلب المؤمن

و ضد ذلک إزاله الخوف عنه،و تفریج کربه.و إدخال السرور فی

۱- ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی)باب إدخال السرور علی للمؤمن،و باب من أخاف مؤمنا.

قلبه.و هی من أعظم شعب النصیحه،و لا حد للثواب المترتب علیها، کما نطقت به الأخبار.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من حمی مؤمنا من ظالم،بعث اللّه له ملکا یوم القیامه یحمی لحمه من نار جهنم».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما، غفر اللّه له ثلاثا و سبعین مغفره».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «انصر أخاک ظالما أو مظلوما»،فقیل:کیف ینصره ظالما؟قال:«تمنعه من الظلم».

و قال الإمام أبو عبد اللّه الصادق-علیه السلام-: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده،فنفس کربته و أعانه علی نجاح حاجته،کتب اللّه تعالی له بذلک اثنتین و سبعین رحمه من اللّه،یعجل له منها واحده یصلح بها أمر معیشته،و یدخر له إحدی و سبعین رحمه لأفزاع یوم القیامه و أ هواله».

و قال-علیه السلام-: «من نفس عن مؤمن کربه،نفس اللّه عنه کرب الآخره،و خرج من قبره و هو ثلج الفؤاد»

و قال الرضا علیه السلام: «من فرج عن مؤمن،فرج اللّه قلبه یوم القیامه».

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من سر مؤمنا فقد سرنی،و من سرنی فقد سر اللّه».

و عن أبی عبد اللّه علیه السلام-قال:

«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: إن أحب الأعمال إلی اللّه عز و جل إدخال السرور علی المؤمنین».

و قال الباقر-علیه السلام-:

«تبسم الرجل فی وجه أخیه حسنه،و صرفه القذی عنه حسنه،و ما عبد اللّه بشیء أحب إلی اللّه من إدخال السرور علی المؤمن».

و قال-علیه السلام- «إن فیما ناجی اللّه عز و جل به عبده موسی علیه السلام:قال:إن لی عبادا أبیحهم جنتی و أحکمهم فیها،قال:یا رب،و من هؤلاء الذین تبیحهم جنتک و تحکمهم فیها؟قال:من أدخل علی مؤمن سرورا...

ثم قال:إن مؤمنا کان فی مملکه جبار،فولع به،فهرب منه إلی دار

الشرک،فنزل برجل من أهل الشرک فأظله و أرفقه و أضافه،فلما حضره الموت،أوحی اللّه إلیه:و عزتی و جلالی!لو کان لک فی جنتی مسکن لأسکنتک فیها،و لکنها محرمه علی من مات مشرکا بی،و لکن یا نار هیدیه و لا تؤذیه،و یؤتی برزقه طرفی النهار»،قلت (1):من الجنه؟ قال:«من حیثما شاء اللّه».و قال علیه:«لا یری أحدکم إذا أدخل علی مؤمن سرورا أنه علیه أدخله فقط،بل و اللّه علینا،بل و اللّه علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله!-.

عن أبان بن تغلب،قال: «سألت أبا عبد اللّه علیه السلام عن حق المؤمن علی المؤمن.فقال:حق المؤمن علی المؤمن أعظم من ذلک،لو حدثتکم لکفرتم.إن المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره یقول له:ابشر بالکرامه من اللّه و السرور فیقول له:بشرک اللّه بخیر.قال:ثم یمضی معه یبشره بمثل ما قال،و إذا مر بهول قال:لیس هذا لک،و إذا مر بخیر قال:هذا لک.فلا یزال معه،یؤمنه مما یخاف و یبشره بما یحب،حتی یقف معه بین یدی اللّه عز و جل.فإذا أمر به إلی الجنه،قال له المثال:ابشر فإن اللّه عز و جل قد أمر بک إلی الجنه.قال:فیقول:من أنت رحمک اللّه؟تبشرنی من حین خرجت من قبری،و آنستنی فی طریقی،و خبرتنی عن ربی!قال فیقول:أنا السرور الذی کنت تدخله علی إخوانک فی الدنیا،خلقت منه لأبشرک و أونس وحشتک».

و روی ابن سنان،قال: «کان رجل عند أبی عبد اللّه علیه السلام،فقرأ هذه الآیه:

وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا

۱- ۱) القائل الراوی،و المجیب أبو جعفر-علیه السلام-.

فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

فقال أبو عبد اللّه-علیه السلام-:فما ثواب من أدخل علیه السرور فقلت:جعلت فداك!عشر حسنات.قال:أی و اللّه و ألف ألف حسنه!» (۲).

و منها:

اشاره

ترک إعانه المسلمین

و عدم الاهتمام بأمورهم.فإن من یعادی غیره أو یحاسده یترک إعانته و لا یهتم بأموره،و ربما کان ذلک من نتائج الکساله بها،أو ضعف النفس أو البخل.و بالجمله:لا ریب فی کونه من رذائل الصفات،و دلیلا علی ضعف الإیمان.و ما ورد فی ذمه من الأخبار کثیر،

قال الباقر علیه السلام:

«من بخل بمعونه أخیه المسلم و القیام له فی حاجه،إلا ابتلی بالقیام بمعونه من یأثم علیه و لا یؤجر».

و قال الصادق-علیه السلام-: «أیما رجل من شیعتنا أتاه رجل من إخوانه،فاستعان به فی حاجه فلم یعنه،و هو یقدر،إلا ابتلاه اللّه تعالی بأن یقضی حوائج عده من أعدائنا،یعذبه اللّه علیها یوم القیامه».

و قال-علیه السلام-: «أیما مؤمن منع مؤمنا شیئا مما یحتاج إلیه و هو یقدر علیه من عنده أو من عند غیره،أقامه اللّه عز و جل یوم القیامه مسودا وجهه،مزرقه عیناه،مغلوله یداه إلی عنقه فیقال:هذا الخائن الذی خان اللّه و رسوله،ثم یؤمر به إلی النار»

و قال

۱- ۱) الأحزاب،الآیه:۵۸.

۲- ۲) صححنا الأحادیث کلها هنا علی(أصول الکافی):باب إدخال السرور علی المؤمن،باب تفریج کرب المؤمن.

-علیه السلام-: «من کانت له دار،فاحتاج مؤمن إلی سکناها، فمنعه إیاها،قال اللّه تعالی:یا ملائکتی،أبخل عبدی علی عبدی بسکنی الدنیا؟و عزتی و جلالی!لا یسکن جناتی أبدا».

و قال-علیه السلام-لنفر عنده: «ما لکم تستخفون بنا؟»،فقام إلیه رجل من أهل خراسان، فقال:معاذ لوجه اللّه أن نستخف بک أو بشیء من أمرک!فقال:

«إنک أحد من استخف بی»،فقال:معاذ لوجه اللّه أن استخف بک فقال له:«ویحک!أ لم تسمع فلانا،و نحن بقرب الجحفه،و هو یقول لک:احملنی قدر میل،فقد و اللّه أعییت.و اللّه ما رفعت به رأسا،لقد استخففت به.و من استخف بمؤمن فبنا استخف،و ضیع حرمه اللّه عز و جل (۱).

و قال علیه السلام: «من أتاه أخوه فی حاجه یقدر علی قضائها فلم یقضها له،سلط اللّه علیه شجاعا ینهش إبهامه فی قبره إلی یوم القیامه مغفورا له أو معذبا».

و قال أبو الحسن علیه السلام:

«من قصد إلیه رجل من إخوانه مستجیرا به فی بعض أحواله،فلم یجره بعد أن یقدر علیه،فقد قطع ولایه اللّه عز و جل».

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من أصبح لا یهتم بأمور المسلمین فلیس بمسلم».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من أصبح لا یهتم بأمور المسلمین فلیس منهم و من سمع رجلا ینادی یا للمسلمین فلم یجبه فلیس بمسلم» (۲).

۱- ۱) صححنا هذا الحدیث بالخصوص علی(الوسائل):کتاب الحج،باب تحریم الاستخفاف و هو یرویه عن(الکافی).

۲- ۲) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب من استعان أخوه به فلم یعنه،و باب قضاء حاجه المؤمن،و باب من منع مؤمنا شیئا من عنده،و باب الاهتمام بامور المسلمین.

وصل قضاء حوائج المسلمين

ضد هذه الرذيله:قضاء حوائج المسلمين و السعى فى إنجاح مقاصدهم و هو من أعظم أفراد النصيحه،و لا حد لمثوبته عند اللّه

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «من قضى لأخيه المؤمن حاجه،فكأنما عبد اللّه دهره» (۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من مشى فى حاجه أخيه ساعه من ليل أو نهار،قضاها أو لم يقضها،كان خيرا له من اعتكاف شهرين».

و قال أبو جعفر-عليه السلام-: «أوحى اللّه عز و جل إلى موسى عليه السلام:إن من عبادى من يتقرب إلى بالحسنه فأحكمه فى الجنه فقال موسى:يا رب،و ما تلك الحسنه؟قال يمشى مع أخيه المؤمن فى قضاء حاجته،قضيت أم لم تقض».

و قال-عليه السلام-: «من مشى فى حاجه أخيه المسلم،أظله اللّه بخمسه و سبعين ألف ملك،و لم يرفع قدما إلا كتب اللّه له حسنه،و حط عنه بها سيئه،و يرفع له بها درجه،فإذا فرغ من حاجته كتب اللّه عز و جل له بها أجر حاج و معتمر»

و قال-عليه السلام-: «إن المؤمن لترد عليه الحاجه لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه،فيدخله اللّه تبارك و تعالى بهمه الجنه».

و قال الصادق -عليه السلام-: «من قضى لأخيه المؤمن حاجه،قضى اللّه تعالى له يوم القيامه مائه ألف حاجه،من ذلك أولها الجنه،و من ذلك أن يدخل قرابته و معارفه و إخوانه الجنه،بعد أن لا يكونوا نصابا».

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه تعالى خلق خلقا من خلقه،انتجبهم لقضاء حوائج

۱- ۱) صححناه على(الوسائل).كتاب الأمر بالمعروف،باب استحباب قضاء حاجه المؤمن،رواه عن(مجالس الطوسى).و لم نعثر على مصدر للنبوى الثانى.

فقراء شیعتنا،لیثیبهم علی ذلک الجنه.فإن استطعت أن تکون منهم فکن»

و قال-علیه السلام-: «قضاء حاجه المؤمن خیر من عتق ألف رقبه، و خیر من حملان ألف فرس فی سبیل اللّه».

و قال-علیه السلام-:

«لقضاء حاجه امرئ مؤمن أحب إلی اللّه تعالی من عشرین حجه،کل حجه ینفق فیها صاحبها مائه ألف».

و قال-علیه السلام-: «من طاف بالبیت طوافا واحدا کتب اللّه له سته آلاف حسنه،و محی عنه سته آلاف سیئه، و رفع له سته آلاف درجه- و فی روایه:و قضی له سته آلاف حاجه-حتی إذا کان عند الملتزم،فتح له سبعه أبواب من الجنه»،قلت له:جعلت فداک!هذا الفضل کله فی الطواف؟قال:«نعم!و أخبرک بأفضل من ذلک:

قضاء حاجه المؤمن المسلم أفضل من طواف و طواف و طواف...حتی بلغ عشرا».

و قال-علیه السّلام-: «تنافسوا فی المعروف لإخوانکم و کونوا من أهله،فإن للجنه بابا یقال له المعروف،لا یدخله إلا من اصطنع المعروف فی الحیاه الدنیا،فإن العبد لیمشی فی حاجه أخیه المؤمن فیوکل اللّه عز و جل به ملکین،واحدا عن یمینه و آخر عن شماله، یستغفران له ربه،و یدعوان بقضاء حاجته»...ثم قال:«و اللّه لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أسر بقضاء حاجه المؤمن إذا وصلت إلیه من صاحب الحاجه».

و قال-علیه السلام-: «ما قضی مسلم لمسلم حاجه إلا ناداه اللّه تعالی:علی ثوابک،و لا أرضی لک بدون الجنه».

و قال-علیه السلام-: «أیما مؤمن أتی أخاه فی حاجه فإنما ذلک رحمه من اللّه ساقها إلیه و سببها له،فإن قضی حاجته کان قد قبل الرحمه بقبولها و إن رده عن حاجته و هو یقدر علی قضائها فإنها رد عن نفسه رحمه من اللّه عز و جل،ساقها إلیه و سببها له،و ذخر اللّه تلک الرحمه إلی یوم القیامه،حتی یکون المردود عن حاجته هو الحاکم فیها،إن شاء صرفها

إلى نفسه،و إن شاء صرفها إلى غيره»...ثم قال عليه السلام للراوى:

«فإذا كان يوم القيامه،و هو الحاكم فى رحمه من اللّه تعالى قد شرعت له،فإلى من ترى يصرفها؟»،لا أظن يصرفها عن نفسه،قال:

لا تظن!و لكن استيقن،فإنه لن يردها عن نفسه»

و قال-عليه السلام-:

«من مشى فى حاجه أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند اللّه حتى تقضى له، كتب اللّه عز و جل له بذلك مثل أجر حجه و عمره مبرورتين،و صوم شهرين من أشهر الحرم و اعتكافهما فى المسجد الحرام،و من مشى فيها بنيه و لم تقض،كتب اللّه له بذلك مثل حجه مبروره،فارغبوا فى الخير».

و قال عليه السلام: «لئن أمشى فى حاجه أخ لى مسلم،أحب إلى من أن أعتق ألف نسمه،و أحمل فى سبيل اللّه على ألف فرس مسرجه ملجمه»

و قال-عليه السلام-: «من سعى فى حاجه أخيه المسلم،و طلب وجه اللّه،كتب اللّه عز و جل له ألف ألف حسنه،يغفر فيها لأقاربه و جيرانه و إخوانه و معارفه،و من صنع إليه معروفا فى الدنيا،فإذا كان يوم القيامه قيل له:ادخل النار،فمن وجدته فيها صنع إليك معروفا فى الدنيا فأخرجه بإذن اللّه عز و جل،إلا أن يكون ناصبيا».

و قال أبو الحسن -عليه السلام-: «إن للّه عبادا فى الأرض يسعون فى حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامه.و من أدخل على مؤمن سرورا،فرح اللّه قلبه يوم القيامه» (1). و الأخبار الوارده بهذه المضامين كثيره،و ما ذكرناه كاف لتحريك الطالبين على قضاء حوائج المؤمنين.و مما يدل على مدحه و شرافته،ما ورد فى ثواب إطعام المؤمن و سقيه و كسوته،كما يأتى.

۱- ۱) صححنا الأحاديث-ابتداء من الحديث عن أبى جعفر عليه السلام- على(أصول الكافى):باب قضاء حاجه المؤمن،و باب السعى فى حاجه المؤمن.

و منها:

اشاره

التهاون و المداهنه

فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و هو ناش إما من ضعف النفس و صغرها،أو من الطمع المالی ممن یسامحه،فیکون من رذائل القوه الغضبیه من جانب التفریط،أو من رذائل القوه الشهویه من جانب الإفراط و هو من المهلکات التی یعم فسادها و ضرها،و یسری إلی معظم الناس أثرها و شرها.کیف و لو طوی بساط الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر اضمحلت الدیانه،و تعطلت النبوه،و عمت الفتره،و فشت الضلاله، و شاعت الجهاله،و ضاعت أحکام الدین،و اندرست آثار شریعه رب العالمین،و هلک العباد،و خرجت البلاد.و لذا تری و تسمع أن فی کل عصر نهض بإقامه هذه السنه بعض المؤیدین،من غیر أن تأخذهم فی اللّه لومه لائمین،من أقویاء العلماء المتکفلین لعلمها و إلقائها،و من سعداء الأمراء الساعین فی إجرائها و إمضائها،رغب الناس إلی ضروب الطاعات و الخیرات،و فتحت علیهم برکات الأرض و السماوات،و فی کل قرن لم یقم بإحیائها عالم عامل و لا سلطان عادل،استشری الفساد،و اتسع الخرق و خرجت البلاد،و استرسل الناس فی اتباع الشهوات و الهوی،و انمحت أعلام الهدایه و التقوی.

و لذا تری فی عصرنا-لما اندرس من هذا القطب الأعظم عمله و علمه و انمحت بالکلیه حقیقته و اسمه،و عز علی بسیط الأرض دین یحرس الشریعه و استولت علی القلوب مداهنه الخلیقه-أن الناس فی بیداء الضلاله حیاری

و فی أیدی جنود الأبالسه أساری،و لم یبق من الإسلام إلا اسمه و من الشرع إلا رسمه.

و لأجل ذلک ورد الذم الشدید فی الآیات و الأخبار علی ترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و المداهنه فیهما،قال اللّه سبحانه:

لَوْ لاٰ یَنْهٰاهُمُ الرَّبّٰانِیُّونَ وَ الْأَحْبٰارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَکْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مٰا کٰانُوا یَصْنَعُونَ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «ما من قوم عملوا بالمعاصی،و فیهم من یقدر أن ینکر علیهم فلم یفعل،إلا یوشک أن یعمهم اللّه بعذاب من عنده».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تعالی لیبغض المؤمن الضعیف الذی لا دین له»،فقیل له:و ما المؤمن الذی لا دین له؟قال:«الذی لا ینهی عن المنکر».و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:«أ تهلک القریه و فیها الصالحون؟قال:نعم!قیل:بم یا رسول اللّه؟قال:بتهاونهم و سکوتهم عن معاصی اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «لتأمرن بالمعروف و لتنهن عن المنکر،أو لیستعملن علیکم شرارکم،فیدعو خیارکم فلا یستجاب لهم» (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تعالی لیسأل العبد:ما منعک إذ رأیت المنکر أن تنکر؟».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «ان اللّه لا یعذب الخاصه

۱- ۱) المائده،الآیه:۶۶.

۲- ۲) روی فی(فروع الکافی)-باب الأمر بالمعروف-هذا الحدیث عن أبی الحسن الرضا-علیه السلام-.و صححنا الحدیث الذی قبل الأخیر علی(فروع الکافی)فی الموضع المذکور أیضا.

بذنوب العامه،حتی یظهر المنکر بین أظهرهم،و هم قادرون علی أن ینکروه فلا ینکرونه».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-فی بعض خطبه: «إنما هلک من کان قبلکم،حیث عملوا بالمعاصی و لم ینههم الربانیون و الأحبار عن ذلک،و أنهم لما تمادوا فی المعاصی و لم ینههم الربانیون و الأحبار عن ذلک نزلت بهم العقوبات،فأمروا بالمعروف و نهوا عن المنکر...».

و قال علیه السلام: «من ترک إنکار المنکر بقلبه و یده و لسانه،فهو میت بین الأحیاء».

و قال-علیه السلام- «أمرنا رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أن نلقی أهل المعاصی بوجوه مکفهره».

و قال-علیه السلام- «إن أول ما تغلبون علیه من الجهاد الجهاد بأیدیکم ثم بألسنتکم،ثم بقلوبکم فمن لم یعرف بقلبه معروفا و لم ینکر منکرا قلب فجعل أعلاه أسفله»

و قال الباقر-علیه السلام-: «أوحی اللّه عز و جل إلی شعیب النبی -علیه السلام-:إنی معذب من قومک مائه ألف:أربعین ألفا من شرارهم،و ستین ألفا من خیارهم.فقال-علیه السلام-:یا رب، هؤلاء الأشرار فما بال الأخیار؟فأوحی اللّه عز و جل إلیه:داهنوا أهل المعاصی،و لم یغضبوا لغضبی».

و قال الصادق-علیه السلام-: «ما قدست أمه لم یؤخذ لضعیفها من قویها بحقه غیر متعتع».

و قال-علیه السلام-: «ویل لقوم لا یدینون اللّه بالأمر بالمعروف و النهی عن المنکر»

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی بعث ملکین إلی أهل مدینه لیقلبها علی أهلها،فلما انتهیا إلی المدینه وجدا رجلا یدعو اللّه و یتضرع إلیه، فقال أحد الملکین لصاحبه:أ ما تری هذا الداعی؟فقال:قد رأیته، و لکن أمضی ما أمر به ربی.فقال:لا،و لکن لا أحدث شیئا حتی أراجع ربی.فعاد إلی اللّه تبارک و تعالی،فقال:یا رب إنی انتهیت إلی

المدينه،فوجدت عبدک فلانا یدعوک و یتضرع إلیک.فقال:امض ما أمرتک به،فإن ذا رجل لم یتمعر وجهه غیظا لی قط».

و قال -علیه السلام-لقوم من أصحابه: حق لی أن آخذ البریء منکم بالسقیم و کیف لا یحق لی ذلک و أنتم یبلغکم عن الرجل منکم القبیح فلا تنکرون علیه و لا تهجرونه و لا تؤذونه حتی یترکه».

و قال-علیه السلام-: «لأحملن ذنوب سفهائکم علی علمائکم...إلی أن قال:ما یمنعکم إذا بلغکم عن الرجل منکم ما تکرهون و ما یدخل علینا به الأذی،أن تأنوه فتؤنبوه و تعذلوه، و تقولوا له قولا بلیغا!»،قیل له:إذن لا یقبلون منا،قال:«اهجروهم و اجتنبوا مجالستهم».

و فی بعض الأخبار النبویه: «إن أمتی إذا تهاونوا فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر فلیأذنوا بحرب من اللّه». و قد وردت أخبار بالمنع عن حضور مجالس المنکر إذا لم یمکنه دفعه و النهی عنه،و لو حضر نزلت علیه اللعنه.و علی هذا لا یجوز دخول بیت الظلمه و الفسقه،و لا حضور المشاهد التی یشاهد فیها المنکر و لا یقدر علی تغییره،إذ لا یجوز مشاهده المنکر من غیر حاجه،اعتذارا بأنه عاجز.و لهذا اختار جماعه من السلف العزله،حذرا من مشاهده المنکر فی الأسواق و المجامع و الأعیاد،مع عجزهم عن التغییر.

ثم إذا کان الأمر فی المداهنه فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر بهذه المثابه،فیعلم أن الأمر بالمنکر و النهی عن المعروف کیف حاله.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «کیف بکم إذا فسدت نساؤکم و فسق شبابکم و لم تأمروا بالمعروف و لم تنهوا عن المنکر؟»فقیل له-صلی اللّه علیه و آله-:و یکون ذلک یا رسول اللّه؟!قال:«نعم! کیف بکم إذا أمرتم بالمنکر و نهیتم عن المعروف؟!»،فقیل له:

يا رسول اللّه،و يكون ذلك؟!قال:«نعم!و شر من ذلك!كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا و المنكر معروفا؟!»،و فى روايه:

«و عند ذلك يبتلى الناس بفتنه،يصير الحليم فيها حيران» (1).

و من تأمل فى الأخبار و الآثار،و اطلع على التواريخ و السير و قصص الأمم السالفه و القرون الماضيه،و ما حدثت لهم من العقوبات،و ضم ذلك إلى التجربه و المشاهده فى عصره،من ابتلاء الناس ببعض البلايا السماويه و الأرضيه،يعلم أن كل عقوبه سماويه و أرضيه،من الطاعون و الوباء، و القحط و الغلاء،و حبس المياه و الأمطار،و تسلط الظالمين و الأشرار، و وقوع القتل و الغارات،و حدوث الصواعق و الزلازل،و أمثال ذلك، تكون مسبوقه بترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بين الناس.

وصل السعى فى الأمر بالمعروف

اشاره

ضد المداهنه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،هى السعى فيهما و التشمير لهما.و هو أعظم مراسم الدين،و المهم الذى بعث اللّه لأجله النبيين،و نصب من بعدهم الخلفاء و الأوصياء،و جعل نوابهم أولى النفوس القدسيه من العلماء.بل هو القطب الذى تدور عليه أرحيه الملل و الأديان و تطرق الاختلال فيه يؤدى إلى سقوطها عن الدوران.و لهذا ورد فى

---

١ - ١) صححنا الأحاديث هنا على(فروع الكافى):باب الأمر بالمعروف و على (الوسائل):كتاب الأمر بالمعروف و على(المستدرك):٢-٣۶٠-٣۶١ كتاب الأمر بالمعروف.

مدحه و الترغيب علیه مما لا یمکن إحصاؤه من الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّهٌ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

و قال: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ،تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ (۱).و قال: فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُکِّرُوا بِهِ أَنْجَیْنَا الَّذِینَ یَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِینَ ظَلَمُوا بِعَذٰابٍ بَئِیسٍ بِمٰا کٰانُوا یَفْسُقُونَ (۲).و قال: لاٰ خَیْرَ فِی کَثِیرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ،إِلاّٰ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَهٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَیْنَ النّٰاسِ،وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً .و قال: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا قَوّٰامِینَ بِالْقِسْطِ (۳).

و القیام بالقسط هو:الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «ما أعمال البر عند

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۱۰،۱۰۴.

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۶۴.

۳- ۳) النساء،الآیه:۱۳۵،۱۱۳.

الجهاد فی سبیل اللّه إلا کنفثه فی بحر لجی،و ما جمیع أعمال البر و الجهاد فی سبیل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إلا کنفثه فی بحر لجی»

و قـال-صـلی اللّه علیه و آله-: «إیـاکم و الجلوس علی الطرقات!»قالوا ما لنا بـد،إنما هی مجالسـنا نتحـدث فیها،قال:«فإذا أبیتم إلا ذلـک، فـاعطوا الطریق حقه»،قـالوا:و مـا حق الطریق؟قال:«غض البصـر و کف الأذی،و رد السـلام،و الأمر بالمعروف،و النهی عن المنکر».

و قـال-صـلی اللّه علیه و آله-: «مـا بعث اللّه نبیـا إلاـ و له حواری، فیمکث النبی بین أظهرهم ما شاء اللّه،یعمل فیهم بکتاب اللّه و بأمره، حتی إذا قبض اللّه نبیه،مکث الحواریون یعملون بکتاب اللّه و بأمره و سـنه نبیهم،فإذا انقرضوا،کان من بعدهم قوم یرکبون رءوس المنـابر یقولـون مـا یعرفـون و یعملون مـا ینکرون.فـإذا رأیتم ذلـک،فحق علی کـل مؤمن جهـادهم بیـده،فـإن لم یسـتطع فبلسانه،فإن لم یستطع فبقلبه.و لیس وراء ذلک إسلام» (۱).

و قال أمیر المؤمنین-علیه السـلام-: «إن من رأی عـدوانا یعمل به و منکرا یـدعی إلیه فأنکره بقلبه،فقـد سـلم و بریء و من أنکره بلسانه فقد أجر،و هو أفضل من صاحبه،و من أنکره بالسـیف لتکون کلمه اللّه العلیا و کلمه الظالمین السفلی،فذلک الذی أصاب سبیل الهدی و قام علی الطریق،و نور فی قلبه الیقین» (۲).

و قـال-علیـه السـلام- «فمنهـم المنکر للمنکر بقلبـه و لسـانه و یـده،فـذلک المسـتکمل لخصـال الخیر و منهـم المنکر بلسـانه و قلبه،التارک بیده،فذلک متمسک بخصلتین من

۱- ۱) صححنا هذه النبویات الثلاثه علی(إحیاء العلوم):۲-۲۷۲،۲۷۱.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(المستدرک):کتاب الأمر بالمعروف،الباب ۳ و علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف،الباب ۳.و کذا الحدیث بعده، صححناه علی(الوسائل)فی الموضع المذکور.

خصال الخير و مضيع خصله.و منهم المنكر بقلبه،و التارک بيده و لسانه، فذلک الذی ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث و تمسک بواحده.و منهم تارک لإنکار المنکر بلسانه و قلبه و يده،فذلک ميت الأحياء.و ما أعمال البر کلها و الجهاد فی سبيل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إلا کنفثه فی بحر لجی،و إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر لا يقربان من أجل و لا ينقصان من رزق،و أفضل من ذلک کلمه عدل عند إمام جائر»

و فی خبر جابر عن الباقر-عليه السلام-: «إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر سبيل الأنبياء و منهاج الصلحاء،فريضه عظيمه،بها تقام الفرائض و تأمن المذاهب،و تحل المکاسب،و ترد المظالم،و تعمر الأرض و ينتصف من الأعداء،و يستقيم الأمر.فأنکروا بقلوبکم،و ألفظوا بألسنتکم،و صکوا بها جباههم،و لا تخافوا فی اللّه لومه لائم.فإن اتعظوا و إلی الحق رجعوا فلا سبيل عليهم:

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ

(۱)

.

هنالک فجاهدوهم بأبدانکم،و أبغضوهم بقلوبکم،غير طالبين سلطانا و لا باغين مالا،و لا مريدين لظلم ظفرا،حتی يفيئوا إلی أمر اللّه و يمضوا علی طاعته» (۲).

۱- ۱) الشوری،الآيه:۴۲.

۲- ۲) صححنا الحديث علی(فروع الکافی):کتاب الجهاد،باب الأمر بالمعروف.

فصل وجوب الأمر بالمعروف و شروطه

مقتضى الآيات و الأخبار المذكوره،وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.و لا خلاف فيه أيضا،إنما الخلاف فى كون وجوبهما كفائيا أو عينيا.و الحق الأول،كما يأتى.

ثم الواجب إنما هو الأمر بالواجب و النهى عن الحرام.و أما الأمر بالمندوب و النهى عن المكروه فمندوب،و إنما يجب بشروط أربعه:

الأول-العلم بكونهما معروفا و منكرا،ليأمن من الغلط،فلا يجبان فى المتشابه،فمن علم بالقطع الوجوب أو الحرمه،و عدم جواز الاختلاف فيه من ضروره الدين أو المذهب أو الإجماع القطعى النظرى أو الكتاب و السنه أو من قول العلماء،فله أن يأمر و ينهى و يحتسب به على كل أحد و من لم يعلمها بالقطع،بل علمها بالظن الحاصل من الاجتهاد أو التقليد و جوز الاختلاف فيه،فليس له الأمر و النهى و الحسبه،إلا على من كان على هذا الاعتقاد من مجتهد أو مقلد،أو لزم عليه أن يكون هذا الاعتقاد و إن لم يكن عليه بالفعل للجهل،كالمقلد المطلق لمجتهد إذا لم يعلم بعض العقائد الاجتهاديه لمجتهده،فيتأتى لغيره إن يحتسب به عليه.و حاصل ما ذكر:أن القطعيات الوفاقيه تأتى لكل أحد أن يحتسب بها على كل أحد بعد علمها و غير القطعيات الجائز فيها الاختلاف و المرجح أحد طرفيها لاجتهاد لا يتأتى لمجتهدها و مقلده فيها الاحتساب،أى الأمر و النهى،إلا على من كان موافقا فى الاعتقاد أو يلزم أن يكون موافقا.

الثانى-تجويز التأثير.فلو علم أو غلب على ظنه أنه لا يؤثر فيه، لم يجب،لعدم الفائده.

الثالث-القدره و التمکن منه،و عدم تضمنه مفسده.فلو ظن توجه الضرر إلیه أو إلی أحد من المسلمین بسببه سقط،إذ لا ضرر و لا ضرار فی الدین.

الرابع-أن یکون المأمور أو المنهی مصرا علی الاستمرار.فلو ظهر منهما أماره الإقلاع سقط،للزوم العبث.

ثم هذه الشروط یختلف اشتراطها بسبب اختلاف درجات الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،کما یأتی.و یدل علی اشتراط الثلاثه الأول

ما روی: «أنه سئل مولانا الصادق-علیه السلام-:أن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر أ واجب علی الأمه جمیعا؟فقال:لا.فقیل له:و لم؟ قال:إنما هو علی القوی المطاع،العالم بالمعروف من المنکر،لا علی الضعیف الذی لا یهتدی سبیلا إلی أی من أی یقول من الحق إلی الباطل.

و الدلیل علی ذلک من کتاب اللّه عز و جل،قوله:

وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّهٌ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ

(۱)

.

فهذا خاص غیر عام،کما قال اللّه عز و جل:

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسیٰ أُمَّهٌ یَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ یَعْدِلُونَ

(۲)

.

و لم یقل علی أمه موسی،و لا علی کل قوم،و هم یومئذ أمم مختلفه و الأمه واحد فصاعدا،کما قال اللّه عز و جل: إِنَّ إِبْرٰاهِیمَ کٰانَ أُمَّهً قٰانِتاً لِلّٰهِ یقول مطیعا للّه عز و جل.و لیس علی من یعلم ذلک فی هذه

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۰۴.

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۵۸.

الهدنه من حرج،إذا كان لا قوه له و لا عذر و لا طاقه».

قال مسعده «سمعت أبا عبد اللّه-عليه السلام- و سئل عن الحديث الذی جاء عن النبی صلی اللّه علیه و آله:(إن أفضل الجهاد کلمه عدل عند إمام جائر) ما معناه-قال:هذا علی أن یأمره بعد معرفته،و هو مع ذلک یقبل منه و إلا فلا».و فی خبر آخر:«إنما یؤمر بالمعروف و ینهی عن المنکر مؤمن فیتعظ أو جاهل فیتعلم.فأما صاحب سوط أو سیف فلا».

و فی خبر آخر: «من تعرض لسلطان جائر و أصابته بلیه،لم یؤجر علیها و لم یرزق الصبر علیها» (1). و من الشرائط أن یظهر المنکر علی المحتسب من غیر تجسس،فلا یجب،بل لا یجوز التجسس،کفتح الباب المغلق، و وضع الأذن و الأنف لاحتباس الصوت و الریح،و طلب إرائه ما تحت الثوب و أمثال ذلک،لنص الکتاب و السنه.

فصل عدم اشتراط العداله فیه

لا تشترط فیه العداله و ائتمار الآمر بما یأمر به و انتهاء الناهی عما ینهی عنه،لإطلاق الأدله،و لأن الواجب علی فاعل الحرام المشاهد فعله من غیره أمران:ترکه و إنکاره،و لا یسقط بترک أحدهما وجوب الآخر، کیف و لو شرط ذلک لاقتضی عدم وجوب ذلک إلا علی المعصوم،فینسد باب الحسبه بالکلیه.

۱- ۱) صححنا الأحادیث علی(فروع الکافی):باب الأمر بالمعروف،و باب إنکار المنکر بالقلب.اسقط المؤلف من الحدیث الأول قسما فأکملناه.

و أما الإنكار فی قوله تعالی:

أَ تَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ

(۱)

.و قوله تعالی: لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ؟ کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ (۲).

و ما فی حدیث الأسری من قرض مقاریضهم بالنار،فانما هو علی عدم العمل بما یأمر به و یقوله،لا علی الأمر و القول.و کذلک ما روی:

«أن اللّه تعالی أوحی إلی عیسی:عظ نفسک،فان اتعظت فعظ الناس و إلا فاستحی منی» (۳).و قس علی ذلک جمیع ما ورد من هذا القبیل.

و ما قیل إن هدایه الغیر فرع الاهتداء،و تقویم الغیر فرع الاستقامه ففیه أن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر تاره یکون بالوعظ و تاره بالقهر و من لم یکن مهتدیا مستقیما،تسقط عنه الحسبه بالوعظ،لعلم الناس بفسقه فلا یتضمن وعظه و کلامه فائده،و لا یؤثر فی العالم بفسقه،و لا یخرج ذلک وعظه و قوله عن الجواز،کما لا تخرج حسبته القهریه عن التأثیر و الفائده أیضا.إذ الفاسق إذا منع غیره قهرا عن الزنا و اللواط و شرب الخمر، و اراق الخمور،و کسر آلات الملاهی،حصل التأثیر و الفائده بلا شبهه

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۴.

۲- ۲) الصف،الآیه:۲-۳.

۳ - ۳) صححنا الأحادیث کلها علی(فروع الکافی):باب الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف.و علی(المستدرک) ۲-۳۶۰،کتاب الامر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و الحاصل:أن أحد نوعی الاحتساب-اعنی الوعظی-یتوقف تأثیره علی العداله،و أما نوعه الآخر-أعنی القهری-فلا یتوقف علیه مطلقا.

فان قیل:اذا أتی رجل امرأه إکراها،و هی مستوره الوجه، فکشف وجهها باختیارها،فما اشنع و أقبح أن ینهاها الرجل فی أثناء الزنا عن کشف وجهها،و یقول لها:أنت مکرهه فی الزنا و مختاره فی کشف الوجه لغیر المحرم،و ما أنا بمحرم لک،فاستری وجهک.

قلنا:القبح و الاستنکار إنما هو لأجل أنه ترک الاهم و اشتغل بما هو الاهون،کما إذا ترک المشتبه و أکل الحرام،أو ترک الغیبه و شهد بالزور لا لأن هذا النهی هو حرام فی نفسه،أو خرج عن الوجوب إلی الاباحه أو الکراهه.و لأن نهیه هذا خرج بفسقه عن التأثیر و الفائده،فالاستنکار علیه و تقبیح نهیه عن هذا من حیث إنه نزل نفسه مقام من یؤثر قوله، مع أنه لا یؤثر،کما تقدم آنفا.

ثم ما ذکرناه من عدم اشتراط العداله فی العمل بما یأمر به و ینهی عنه إنما هو فی آحاد الحسبه الصادره من أفراد الرعیه المطلعین علی المنکر.و أما من نصب نفسه لا صلاح الناس و نصحهم،و بیان الاحکام الإلهیه نیابه عن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و الأئمه المعصومین-علیهم السلام- فلا بد فیه من العداله و التقوی و العلم بالکتاب و السنه،و غیر ذلک من شرائط الاجتهاد.و علی هذا یحصل جواب آخر عن الآیات و الاخبار الوارده فی الإنکار علی الواعظ غیر المتعظ بتخصیصها به دون افراد الرعیه.و علیه یحمل قول الصادق-علیه السلام-فی(مصباح الشریعه) (1):«من لم ینسلخ عن هواجسه،و لم یتخلص من آفات نفسه و شهواتها،و لم یهزم

1- 1) الباب 64 و قد صححنا الحدیث علیه و علی(بحار الأنوار):21-114 باب الأمر المعروف.و علی(مستدرک الوسائل):2-363-365.

الشیطان،و لم یدخل فی کنف اللّه و أمان عصمته،لا یصلح له الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،لأنه إذا لم یکن بهذه الصفه،فکلما أظهر أمرا کان حجه علیه،و لا ینتفع الناس به.قال اللّه عز و جل:

أَ تَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ

(۱)

.

و یقال له:یا خائن!أ تطالب خلقی بما خنت به نفسک و أرخیت عنه عنانک!». و کذا یحمل علیه قول الصادق-علیه السلام- (۲):

«صاحب الامر بالمعروف یحتاج إلی أن یکون عالما بالحلال و الحرام، فارغا من خاصه نفسه مما یأمرهم به و ینهاهم عنه،ناصحا للخلق،رحیما لهم،رفیقا بهم،داعیا لهم باللطف و حسن البیان،عارفا بتفاوت اخلاقهم لینزل کلا منزلته،بصیرا بمکر النفس و مکائد الشیطان،صابرا علی ما یلحقه لا یکافیهم بها و لا یشکو منهم،و لا یستعمل الحمیه و لا یغتلظ لنفسه، مجردا نیته للّه،مستعینا به و مبتغیا لوجهه،فان خالفوه و جفوه صبر،و إن وافقوه و قبلوا منه شکر،مفوضا أمره إلی اللّه،ناظرا إلی عیبه».

(تنبیه)اعلم أن المحتسب علیه-أعنی من یؤمر به أو ینهی عنه- و ان اشترط کونه عاقلا بالغا،إلا أن هذا الشرط إنما هو فی غالب الأوامر و النواهی،و بعضها لا یشترط فیه ذلک.إذ من رأی صبیا أو مجنونا یشرب الخمر،وجب علیه أن یمنعه و یریق خمره.و کذا إن رأی مجنونا یزنی بمجنونه أو بهیمه،فعلیه أن یمنعه منه،و لا یلزم منه أن یکون منع بهیمه عن افساد زرع انسان حسبه و نهیا عن منکر،إذ لا یصدق اسم المحتسب علیه و المنهی إلا علی من کان الفعل الممنوع عنه فی حقه منکرا و هو لا یکون الا الإنسان دون سائر الحیوانات.

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۴.

۲- ۲) (مصباح الشریعه):الباب المتقدم.

فصل مراتب الأمر بالمعروف

اعلم أن للامر بالمعروف و النهى عن المنكر مراتب:

الأولى-الإنكار بالقلب:بأن يبغضه على ارتكاب المعصيه.و هذا مشروط بعلم الناهى و اصرار المنهى،و لا يشترط بالشرطين الأخيرين.

الثانيه-التعريف:بأن يعرف المرتكب للمنكر بأنه معصيه،فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصى لجهلهم بأنه معصيه،و لو عرف كونه معصيه تركه.

الثالثه-إظهار الكراهه و الإعراض و المهاجره.

الرابعه-الإنكار باللسان:بالوعظ،و النصح،و التخويف، و الزجر،مرتبا الأيسر فالأيسر،الى أن يصل إلى التعنيف بالقول و التغليظ فى الكلام،كقوله:يا جاهل!يا أحمق!لا تخالف ربك!و ههنا شبكه عظيمه للشيطان،ربما يصطاد بها أكثر الوعاظ.فينبغى لكل عالم ناصح أن يراها بنور البصيره،و هى أن يحضره عند الوعظ و الإرشاد،و يلقى فى قلبه تعززه و شرافته بالعلم،و ذله من يعظه بالجهل و الخسه.فربما يقصد بالتعريف و الوعظ الاذلال و التجهيل،و إظهار شرف نفسه بالعلم،و هذه آفه عظيمه تتضمن كبرا و رياء.و ينبغى لكل واعظ دين ألا يغفل عن ذلك،و يعرف بنور بصيرته عيوب نفسه و قبح سريرته.و علامه براءه نفسه من هذه الآفه،أن يكون اتعاظ ذلك العاصى بوعظ غيره أو امتناعه من المعصيه بنفسه أحب إليه من اتعاظه بوعظه.

الخامسه-المنع بالقهر مباشره،ككسر آلات اللهو،و اراقه الخمر و استلاب الثوب المغصوب منه و رده إلى صاحبه،و أمثال ذلك.

السادسه-التهديـد و التخويف:كقوله:دع عنك هـذا،و إلا ضـربتك أو كسـرت رأسك!أو غير ذلك مما يجوز له أن يفعل لو لم ينته عن معصـيته.و لاـ يجوز أن يهـدده بمـا لاـ يجـوز فعله،كقوله:دع هـذا و إلاـ أضـرب عنقـك!أو أضـرب ولـدك،أو اسـتبين زوجتك،و أمثال ذلك.

السابعه-مباشره الضرب باليد و الرجل و غير ذلك،من دون ان ينتهى إلى شهر سلاح و جراح.

الثامنه-الجرح بشـهر بعض الأسـلحه.و جوزه سيدنا المرتضى -رضى اللّه عنه-من أصحابنا و جماعه،و الباقون اشترطوا إذن الامام فى ذلك،إذ ربما لا يقدر عليه بنفسه،و يحتاج فيه إلى اعوان و أنصار يشـهرون السلاح،و ربما يستمد الفاسق أيضا باعوانه،فيؤدى إلى المقاتله و المحاربه و حدوث فتنه عظيمه.

فصل معنى وجوبهما كفائيا

اذا اجتمعت الشـرائط،و كـان المطلع منفردا،تعين عليه.و إن كـان ثمه غيره،و شـرع أحـدهما فى الأـمر و النهى،فـان ظن الآـخر ان لمشــاركته اثرا فى تعجيــل ترتـب الأـثر و رسـوخ الانزجـار،وجـب عليـه أيضـا،و إلاـ فلا.لأـن الغرض وقـوع المعروف و ارتفـاع المنكر،فمتى حصلا بفعل واحد،كان السعى من الآخر عبثا.و هذا معنى كون وجوبهما كفائيا.

ص: ۲۵۵

فصل ما ينبغى فى الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر

ينبغى لكل من الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر أن يكون حسن الخلق،صابرا حليما قويا فى نفسه،لئلا ينزعج،و لا يضطرب إذا قيل فى حقه ما لا يليق به.فان أكثر الناس اتباع الهوى،فإذا نهوا عما يميلون اليه شق ذلك عليهم،فربما اطلقوا ألسنتهم فى حق الناهى،و يقولون فيه ما لا يليق بشأنه،و ربما تجاوزوا إلى سوء الأدب قولا و فعلا بالمشافهه.

و أن يكون رفيقا بالناس،فان الوعظ بالرفق و الملاءمه أوقع و أشد تأثيرا فى قلوب أكثر الناس.

و أن يكون قاطعا للطمع عن الناس،فان الطامع من الناس فى أموالهم أو إطلاق ألسنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبه،و لذا نقل:«أن بعض المشايخ كان له سنور،و كان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيئا من القد لسنوره،فرأى على القصاب منكرا،فدخل الدار أولا،و اخرج السنور،ثم جاء و وعظ القصاب و شدد عليه القول،فقال القصاب لا يأكل سنورك شيئا بعد ذلك،فقال:ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور و قطع الطمع عنك!».

تتميم أنواع المنكرات

اعلم أن المنكرات إما محظوره أو مكروهه،و المألوفه منها فى العادات أكثر من أن تحصى.

فمنهـا-ما يكون غالبا فى المساجـد:كاساءه الصـلاه،و الاخلال ببعض أفعالها،و التأخير عن اوقاتها،و إدخال النجاسه فيها،و التكلم فيهـا بـامور الـدنيا و البيع و الشـراء،و دخول الصبيـان و المجـانين فيهـا مع اشـتغالهم باللهو و اللعب،و قراءه القرآن فيها باللحن أو الغنـاء،و دخول النسوان فيهـا مع ظن تطرق الريبه،و نظر الأجـانب إليهن أو نظرهن إليهم،و دخول الجنب أو الحـائض فيها،و تغنى المؤذنين بالأذان أو غيره مما يقرؤن، و تقديمهم الأذان على الوقت،و وعظ من لا ينبغى أن يتمكن من الموعظه كمن يكذب فى حـديثه أو يفتى بالمسائـل و ليس أهلاـ لهـا،أو يظهر من وعظه كونه مرائيا طالبا للجاه،و أمثال ذلك.فان كل ذلك من المنكرات بعضها محظوره و بعضها مكروهه،ينبغى لكل مطلع ان ينهى عنها.

و منها-ما يكون غالبا فى الأسواق:من الكذب فى المحاولات و المعاملات و إخفاء العيب،و الايمان الكاذبه،و المنازعه بالضـرب و الشـتم و الطعـن و اللعـن و أمثـال ذلـك،و التبخس فى الكيـل و الميزان،و المعاملاـت الفاسـده باقسامهـا على مـا هـو مقرر فى الفقهيات.

و منها-ما يكون فى الشوارع:كوضع الاساطين،و بناء الدكات متصـله بالابنيه المملوكه،و تضـيق الطرق على الماره بوضع الأطعمه و الاحطاب و ربط الـدواب فيها،و سوق الدواب فيها و عليها الاشواك و النجاسات- اذا تأذى الناس منها و امكن العدول بها إلى موضع واسع،و إن لم يمكن فلاـ منع،اذ حـاجه أهل البلـد ربما تمس إلى ذلك-و تحميل الـدواب ما لا يطيقها من الحمل،و ذبح القصـاب على الطريق أو على بـاب دكـانه بحيث تلوث الطريق بالـدم،و طرح الكنـاسه على جواد الطريق،و رش الماء على الطرق بحيث يخشـى منه الزلق و السـقوط،و إرسال الماء من الميازيب المخرجه من الحائط إلى الطرق الضـيقه،و غير ذلك.و قس على ذلك

ص :٢٥٧

منكرات الحمات،و الخانات،و الأسواق،و مجالس العامه،و مجامع القضاه و مدارس الفقهاء،و رباطات الصوفيه،و دواوين السلاطين،و غيرها.

فان أمثال ما ذكر من المنكرات يجب أن ينهى عنها،فلو قام بالاحتساب و النهى عنها أحد سقط الحرج على البواقى،و إلا عم الحرج أهل البلد جميعا.و أمثال ما ذكر إنما هو من المنكرات اليسيره الجزئيه.

و أما المنكرات العظيمه:من البدعه فى الدين،و القتل،و الظلم، و الزنا،و اللواط،و شرب الخمر،و أنواع الغناء،و النظر إلى غير المحارم و أكل الحرام،و الصلاه فى الاماكن المغصوبه،و الوضوء و الغسل من المياه المحرمه،و التصرف فى أموال الأوقاف و غصبها،و المعامله مع الظالمين و الجهل فى الأصول الاعتقاديه و الفروع الواجبه،و آفات اللسان،فلا يمكن حصرها لكثرتها،لا سيما فى أمثال زماننا.فلو امكن لمؤمن دين أن يغير هذه المنكرات كلا أو بعضا بالاحتساب،فليس له أن يقعد فى بيته، بل يجب عليه الخروج للنهى و التعليم.بل ينبغى لكل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبه على الطاعات و ترك المحرمات،ثم يعلم ذلك أهله و أقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه،ثم إلى أهل محلته،ثم أهل بلده، ثم أهل السواد المكتنف بلده،ثم إلى غيرهم،و هكذا الاقرب فالأقرب الى اقصى العالم.فان قام به الادنى سقط عن الابعد،و إلا لزم الحرج على كل قادر عليه،قريبا كان أو بعيدا.و لا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل يعرض عن فروض دينه و هو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فريضه.و هذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن سائر المشاغل.إلا أن إعراض الناس عن أمور دينهم فى عصرنا لم يبلغ حدا يقبل الإصلاح،الى ان تتعلق به مشيئه اللّه،فينهض بعض عباده السعداء الأقوياء،فيدفع هذه الوصمه،و يسد هذه الثلمه،و يتلافى هذه الفتره.

و منها:

اشاره

الهجره و التباعد

و لا ـ ريب فى كونه من نتائج العداوه و الحقد،أو الحسد أو البخل فيكون من رذائل قوه الغضب أو الشهوه.و هو من ذمائم الأفعال.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أيما مسلمين تهاجرا،فمكثا ثلاثا لا يصطلحان،إلا كانا خارجين من الإسلام،و لم يكن بينهما ولايه.فأيهما سبق الكلام لأخيه،كان السابق إلى الجنه يوم الحساب».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث..»و قال الصادق-عليه السلام-:«لا يفترق رجلان على الهجران،إلا استوجب أحدهما البراءه و اللعنه،و ربما استحق ذلك كلاهما»،فقال له معتب:

جعلنى اللّه فداك!هذا للظالم،فما بال المظلوم؟!قال:«لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته،و لا يتعامس له عن كلامه.سمعت أبى-عليه السلام- يقول:اذا تنازع اثنان،فعاد أحدهما الآخر،فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه:أى أخى،انا الظالم،حتى يقطع الهجران بينه و بين صاحبه،فان اللّه تبارك و تعالى حكم عدل،يأخذ للمظلوم من الظالم».

و قال عليه السلام:«لا يزال ابليس فرحا ما اهتجر المسلمان،فإذا التقيا اصطكت ركبتاه و تخلعت أوصاله،و نادى:يا ويله!ما لقى من الثبور» و قال الباقر عليه السلام:«إن الشيطان يغرى بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه،فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه و تمدد،ثم قال:

فزت.فرحم اللّه امرأ الف بين وليين لنا.يا معشر المؤمنين،تآلفوا

و تعاطفوا» (۱).و الأخبار الوارده فی ذم الهجره و التباعد کثیره.

فیجب علی کل طالب لنجاه الآخره أن یتأمل فی أمثال هـذه الأخبار ثم یتـذکر ثواب ضـد ذلک و فوائـده،أعنی التآلف و التزاور بین الاخوان بنفسه،فیحافظ نفسه من حصول الانقطاع و التباعد مع أحد اخوانه، و لو حصل ذلک کلف نفسه المبادره إلی زیارته و تألفه،حتی یغلب علی الشیطان و نفسه الاماره،و یفوز بما یرجوه المتقون من عظیم الأجر و جزیل الثواب.

فصل التزاور و التآلف

قد أشیر إلی أن ضد التباعد و الهجران هو التزاور و التآلف،و هو من ثمرات النصیحه و المحبه،و ثوابه أکثر من أن یحصی.عن أبی جعفر -علیه السلام-قال:«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:حدثنی جبرئیل-علیه السلام-:أن اللّه عز و جل أهبط إلی الأرض ملکا،فاقبل ذلک الملک یمشی حتی وقع إلی باب علیه رجل یستأذن علی رب الدار، فقال له الملک:ما حاجتک إلی رب هذه الدار؟قال:أخ لی مسلم زرته فی اللّه تبارک و تعالی.فقال له الملک:ما جاء بک إلا ذاک؟فقال:ما جاء بی إلا ذاک.قال:فانی رسول اللّه إلیک،و هو یقرئک السلام،و یقول وجبت لک الجنه.و قال الملک:إن اللّه عز و جل یقول:أیما مسلم زار مسلما فلیس إیاه زار،بل إیای زار،و ثوابه علی الجنه» .و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«لقاء الاخوان مغنم جسیم،و إن قلوا».

۱- ۱) صححنا الاخبار کلها علی(الکافی):باب الهجران.

و قال أبو جعفر الباقر علیه السلام:«إن للّه عز و جل جنه لا یدخلها إلا ثلاثه:رجل حکم علی نفسه بالحق،و رجل زار أخاه المؤمن فی اللّه و رجل آثر أخاه المؤمن فی اللّه».و قال-علیه السلام-:«إن المؤمن لیخرج إلی أخیه یزوره،فیوکل اللّه عز و جل به ملکا،فیضع جناحا فی الأرض و جناحا فی السماء یظله،فإذا دخل إلی منزله،ناداه الجبار تبارک و تعالی:أیها العبد المعظم لحقی،المتبع لآثار نبیی،حق علی إعظامک،سلنی اعطک،ادعنی اجبک،اسکت ابتدئک.فإذا انصرف شیعه الملک یظله بجناحه حتی یدخل إلی منزله،ثم ینادیه تبارک و تعالی:

أیها العبد المعظم لحقی،حق علی إکرامک،قد أوجبت لک جنتی، و شفعتک فی عبادی». و قال-علیه السلام-:«أیما مؤمن خرج إلی أخیه یزوره عارفا بحقه و کتب اللّه له بکل خطوه حسنه،و محیت عنه سیئه،و رفعت له درجه،فإذا طرق الباب فتحت له ابواب السماء، فإذا التقیا و تصافحا و تعانقا،أقبل اللّه علیهما بوجهه،ثم باهی بهما الملائکه فیقول:انظروا إلی عبدی تزاورا و تحابا فی،حق علی ألا أعذبهما بالنار بعد ذا الموقف.فإذا انصرف شیعه ملائکه عدد نفسه و خطاه و کلامه، یحفظونه عن بلاء الدنیا و بوائق الآخره إلی مثل تلک اللیله من قابل،فان مات فیما بینهما اعفی من الحساب،و ان کان المزور یعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور کان له مثل أجره».

و قال الصادق-علیه السلام-:«من زار أخاه للّه لا لغیره، التماس موعد اللّه و تنجز ما عند اللّه،و کل اللّه به سبعین الف ملک ینادونه ألا طبت و طابت لک الجنه!».و قال-علیه السلام-:«من زار أخاه فی اللّه،قال اللّه عز و جل:إیای زرت،و ثوابک علی،و لست أرضی لک ثوابا دون الجنه،و قال-علیه السلام-:«من زار أخاه

فی اللّه فی مرض أو صحه،لا یأتیه خداعا و لا استبدالا،و کل اللّه به سبعین الف ملک،ینادون فی قفاه:أن طبت و طابت لک الجنه!فانتم زوار اللّه،و أنتم وفد الرحمن،حتی یأتی منزله»،فقال له بشیر:جعلت فداک!فان کان المکان بعیدا؟قال:«نعم یا بشیر!و إن کان المکان مسیره سنه،فان اللّه جواد،و الملائکه کثیر،یشیعونه حتی یرجع إلی منزله».و قال-علیه السلام-:«من زار أخاه فی اللّه تعالی و للّه، جاء یوم القیامه یخطر بین قباطی من نور (۱)،لا یمر بشیء الا أضاء له حتی یقف بین یدی اللّه عز و جل،فیقول اللّه له:مرحبا!و إذا قال مرحبا،اجزل اللّه عز و جل له العطیه».و قال-علیه السلام-:«لزیاره مؤمن فی اللّه خیر من عتق عشر رقاب مؤمنات،و من أعتق رقبه مؤمنه وقی بکل عضو عضوا من النار،حتی أن الفرج بقی الفرج».و قال -علیه السلام-لأبی خدیجه:«کم بینک و بین البصره؟»قال:فی الماء خمس إذا طابت الریح،و علی الظهر ثمان و نحو ذلک،فقال:

«ما أقرب هذا،تزاوروا و تعاهدوا بعضکم بعضا،فانه لا بد یوم القیامه یأتی کل انسان بشاهد شهد له علی دینه».و قال:«إن المسلم إذا رأی أخاه،کان حیاه لدینه إذا ذکر اللّه»و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«مثل الأخوین إذا التقیا مثل الیدین تغسل إحداهما الأخری، ما لقی المؤمنان قط إلا أفاد اللّه أحدهما من صاحبه خیرا».

و الأخبار الوارده بهذه المضامین کثیره.و السر فی هذا الترغیب الشدید علی تزاور المؤمنین و ملاقاتهم،کونه دافعا للحسد و العداوه،جالبا للتألیف و المحبه.و هو أعظم ما یصلح به أمر دنیاهم و عقباهم.و لذا ورد

۱- ۱) القبط-بالکسر-:أهل مصر الاصلیون و إلیهم تنسب الثیاب البیض القبطیه. و الجمع(قباطی).

الثناء و المدح فی الآیات و الأخبار علی نفس الألفه و انقطاع الوحشه،لا سیما اذا کانت الرابطه هی التقوی و الدین.و ورد الذم فی التفرقه و التوحش، قال اللّه سبحانه فی مقام الامتنان علی المؤمنین بنعمه الألفه:

لَوْ أَنْفَقْتَ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مٰا أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ

(۱)

.و قال: فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوٰاناً :أی بنعمه الألفه.و قال سبحانه: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِیعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«المؤمن إلف مألوف و لا خیر فی من لا یألف و لا یؤلف».و هذا هو السر فی الترغیب علی التسلیم و المصافحه و المعانقه.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

«أولی الناس باللّه و برسوله من بدأ بالسلام».و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«لا تغضبوا و لا تقبضوا،افشوا السلام،و اطیبوا الکلام، و صلوا باللیل و الناس نیام،تدخلوا الجنه بسلام». و قال الباقر-علیه السلام-:«إن اللّه یحب إفشاء السلام».و قال-علیه السلام-:

«من التواضع أن تسلم علی من لقیت». و قال الصادق-علیه السلام- «تصافحوا،فانها تذهب بالسخیمه».و قال:«مصافحه المؤمن أفضل من مصافحه الملائکه».و قال الباقر علیه السلام:«إن المؤمنین إذا

۱- ۱) الانفال،الآیه:۶۳.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۰۳.

التقيا فتصافحا.ادخل اللّه تعالى يده بين أيديهما،و أقبل بوجهه على أشدهما حبا لصاحبه.فإذا أقبل اللّه تعالى بوجهه عليهما،تحاتت عنهما الذنوب كما تتحاتت الورق من الشجر».و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم و ليصافحه،فان اللّه تعالى أكرم بذلك الملائكه فاصنعوا صنع الملائكه».و قال الصادق-عليه السلام-:«إن المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمه،فإذا التزما لا يريد ان بذلك إلا وجه اللّه و لا يريد ان غرضا من اغراض الدنيا،قيل لهما:مغفورا لكما فاستأنفا، فإذا اقبلا على الماء،قالت الملائكه بعضها لبعض:تنحوا عنهما،فان لهما سرا و قد ستر اللّه عليهما» (۱)

و منها:

اشاره

قطع الرحم

و هو إيذاء ذوى اللحمه و القرابه،أو عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهيه و الثروه و الخيرات الدنيويه،مع احتياجهم إليه.و باعثه إما العداوه أو البخل و الخسه،فهو من رذائل القوه الغضبيه أو الشهويه،و لا ريب فى كونه من أعم المهلكات المفسده للدنيا و الدين،قال اللّه سبحانه.

وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِيثٰاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ

۱- ۱) صححنا الأحاديث كلها على(الكافى):باب زياره الإخوان،و باب المصافحه،و باب المعانقه و على(سفينه البحار):۱-۵۶۷.

لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّٰارِ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أبغض الأعمال إلی اللّه الشرک باللّه،ثم قطیعه الرحم،ثم الأمر بالمنکر و النهی عن المعروف» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«لا تقطع رحمک و إن قطعتک».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«لا تقطع رحمک و إن قطعتک».و قال تعالی:

«أنا الرحمن،و هذه الرحم شققت لها اسما من اسمی،فمن وصلها وصلته و من قطعها قطعته».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«حافتا الصراط یوم القیامه الرحم و الأمانه،فإذا مر الوصول للرحم المؤدی للامانه نفذ الی الجنه،و إذا مر الخائن للامانه القطوع للرحم لم ینفعهما معه عمل (۲)و تکفأ به الصراط فی النار».و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-فی خطبه «أعوذ باللّه من الذنوب التی تعجل الفناء»،فقام إلیه عبد اللّه بن الکوی الیشکری،فقال:یا أمیر المؤمنین،أو تکون ذنوب تعجل الفناء؟فقال «نعم،ویلک !قطیعه الرحم.إن أهل البیت لیجتمعون و یتواسون و هم فجره فیرزقهم اللّه،و إن أهل البیت لیتفرقون و یقطع بعضهم بعضا فیحرمهم اللّه و هم اتقیاء». و قال-علیه السلام-:«إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فی أیدی الأشرار».و قال الباقر علیه السلام-:«فی کتاب علی-صلوات اللّه علیه-:ثلاث خصال لا یموت صاحبهن ابدا حتی یری و بالهن:البغی،و قطیعه الرحم،و الیمین الکاذبه یبارز اللّه بها.و إن اعجل الطاعات ثوابا لصله الرحم.و ان القوم لیکونون فجارا فیتواصلون

۱- ۱) الرعد الآیه ۲۷.

۲- ۲) قال فی(الوافی):لم ینفعهما معه عمل،أی لم ینفع الخائن و لا القطوع مع الخیانه أو القطع عمل و فی نسخه من(الکافی):لم ینفعه معهما.

فتنمى أموالهم و يثرون.و إن اليمين الكـاذبه و قطيعه الرحم لتـذران الـديار بلاـقع من أهلها.و تنقل الرحم،و إن نقل الرحم انقطاع النسل».و قال -عليه السلام-:«اتقوا الحالقه (۱)،فانها تميت الرجال»،قيل:

و ما الحالقه؟قال:«قطيعه الرحم».و جاء رجل إليه،فشكى أقاربه فقال له:«اكظم و افعل»،فقال:انهم يفعلون و يفعلون،فقال:

«أ تريـد أن تكـون مثلهـم فلاـ ينظر اللّه إليكم؟» (۲). و كتـب أمير المـؤمنين -عليـه السـلام-الى بعض عمـاله:«مروا الأقـارب أن يتزاوروا و لاـ يتجاوروا» (۳)،و ذلـك لأـن التجـاور يورث التزاحم على الحقوق،و ذلك ربما يورث التحاسـد و التباغض و قطيعه الرحم،كمـا هو مشاهـد فى أكثر أبنـاء عصـرنا،و ليس الخبر كالمعـاينه،و إذا لم يتجـاوروا و تزاحمت (۴)ديـارهم كان أقرب إلى التحابب،كما قيل بالفارسيه:«دورى و دوستى» (۵).

وصل ضد قطيعه الرحم:صله الرحم

اشاره

و هو تشريك ذوى اللحمه و القرابات بما ناله من المال و الجاه و سائر

ص :۲۶۶

۱- ۱) قال فى(مجمع البحرين)-ماده حلق-:«و فى الحـديث:اتقوا الحالقه قال بعض الشارحين:الحالقه هى الخصـله التى من شأنها ان تحلق،أى تهلك و تستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر».

۲- ۲) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب قطيعه الرحم،و باب صله الرحم.

۳- ۳) لم نعثر على مصدر لهذا الحديث.

۴- ۴) كذا فى النسخ،و الظاهر ان الصحيح«و تباعدت».

۵- ۵) يعنى:التباعد معه التحابب.

خیرات الدنیا،و هو أعظم القربات و أفضل الطاعات،قال اللّه سبحانه:

وَ اعْبُدُوا اللّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى...

(۱)

.و قال: وَ اتَّقُوا اللّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (۲).و قال:

اَلَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ -الی قوله- أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدّارِ (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«اوصی الشاهد من أمتی و الغائب،و من فی أصلاب الرجال و ارحام النساء،الی یوم القیامه:أن یصل الرحم و إن كانت منه علی مسیره سنه،فان ذلک من الدین».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن اعجل الخیر ثوابا صله الرحم».

و قال:«من سره النساء فی الأجل،و الزیاده فی الرزق،فلیصل رحمه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن القوم لیكونون فجره و لا یكونون برره،فیصلون أرحامهم،فتنمی أعمالهم و تطول أعمارهم،فكیف إذا كانوا أبرارا برره».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«الصدقه بعشره» و القرض بثمانیه عشر،و صله الاخوان بعشرین،و صله الرحم بأربعه و عشرین»

۱- ۱) النساء،الآیه:۳۶.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱.

۳- ۳) الرعد الآیه ۲۱،۲۲.

و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:«أی الناس أفضل؟فقال:اتقاهم للّه،و أوصلهم للرحم،و آمرهم بالمعروف،و انهاهم عن المنکر».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن أهل البیت لیکونون فجارا،تنمی أموالهم و یکثر عددهم إذا وصلوا ارحامهم»و قال-صلی اللّه علیه و آله- «أفضل الفضائل:أن تصل من قطعک،و تعطی من حرمک،و تعفو عمن ظلمک». و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من سره أن یمد اللّه فی عمره،و أن یبسط فی رزقه،فلیصل رحمه،فان الرحم لها لسان یوم القیامه ذلق،تقول:یا رب،صل من وصلنی،و اقطع من قطعنی.

فالرجل لیری بسبیل خیر حتی إذا أتته الرحم التی قطعها،فتهوی به إلی أسفل قعر فی النار».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«صلوا أرحامکم و لو بالتسلیم یقول اللّه تعالی: وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِی تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحٰامَ،إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلَیْکُمْ رَقِیباً ». و قال الباقر-علیه السلام-:«إن الرحم متعلقه یوم القیامه بالعرش،تقول:اللهم صل من وصلنی و اقطع من قطعنی».

هذا تمثیل للمعقول بالمحسوس،و إثبات لحق الرحم علی أبلغ وجه،و تعلقها بالعرش کنایه عن مطالبه حقها بمشهد من اللّه.و قال علیه السلام:«صله الأرحام تحسن الخلق،و تسمح الکف،و تطیب النفس،و تزید فی الرزق و تنسئ فی الأجل».و قال:«صله الأرحام تزکی الأعمال،و تنمی الأموال،و تدفع البلوی،و تیسر الحساب،و تنسئ فی الأجل». و قال الصادق علیه السلام:«صله الرحم و البر لیهونان الحساب و یعصمان من الذنوب،فصلوا ارحامکم و بروا باخوانکم،و لو بحسن السلام و رد الجواب» و قال-علیه السلام-:«صله الرحم تهون الحساب یوم القیامه،و هی منسأه فی العمر،و تقی مصارع السوء».و قال-علیه السلام-:«صله

الرحم و حسن الجوار يعمران الديار و يزيدان فی الأعمار».و قال-علیه السلام-:«ما نعلم شیئا یزید فی العمر إلا صله الرحم،حتی أن الرجل یکون أجله ثلاث سنین،فیکون وصولا للرحم،فیزید اللّه فی عمره ثلاثین سنه،فیجعلها ثلاثا و ثلاثین سنه.و یکون أجله ثلاثا و ثلاثین سنه فیکون قاطعا للرحم،فینقصه اللّه تعالی ثلاثین سنه،و یجعل أجله ثلاث سنین» (۱).و الأخبار الوارده فی فضیله صله الرحم و عظم مثوباته أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لتنبیه الغافل.

تنبیه المراد بالرحم

المراد بالرحم الذی یحرم قطعه و تجب صلته،و لو وهب له شیء لا یجوز الرجوع عنه،هو مطلق القریب المعروف بالنسب،و إن بعدت النسبه و جاز النکاح.و المراد بقطعه أن یؤذیه بالقول أو الفعل،أو کان له شده احتیاج إلی ما یقدر علیه زیاده علی قدر حاجته،من سکنی و ملبوس و مأکول فیمنعه،أو أمکنه أن یدفع عنه ظلم ظالم و لم یفعله،أو هاجره غیظا و حقدا من دون أن یعوده إذا مرض،أو یزوره إذا قدم من سفر و أمثال ذلک.فان جمیع ذلک و أمثالها قطع للرحم.و اضدادها من دفع الأذیه،و مواساته بماله،و زیارته،و اعانته باللسان و الید و الرجل و الجاه و غیر ذلک:صله.

۱- ۱) صححنا الأخبار هنا کلها علی(أصول الکافی):باب صله الرحم. و علی(سفینه البحار):۱-۵۱۴.

ثم الظـاهر تحقق الواسـطه بين القطع و الصـله،إذ كـل إحسـان،و لو كان مما لا يحتاج إليه قريبه و هو محتاج إليه،يسـمى صـله،و عدمه لا يسمى قطعا.

و منها:

اشاره

عقوق الوالدين

و هو أشـد أنواع قطيعه الرحم،إذ أخص الأرحـام و أمسـها مـا كـان بالولاـده،فيتضـاعف تأكـد الحق فيهما،فهو كقطيعه الرحم،إما يكون ناشـئا من الحقد و الغيظ،أو من البخل و حب الدنيا،فيكون من رذائل إحدى قوتى الغضب و الشهوه.ثم جميع ما يدل على ذم قطيعـه الرحـم يـدل على ذم العقـوق،و لكـونه أشـد أنـواع القطيعـه و أفظعهـا،وردت فى خصـوص ذمـه آيـات و أخبـار أخر كثيره،كقوله تعالى:

وَ قَضىٰ رَبُّکَ أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِیّٰاهُ وَ بِالْوٰالِدَیْنِ إِحْسٰاناً، إِمّٰا یَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ الْکِبَرَ أَحَدُهُمٰا أَوْ کِلاٰهُمٰا فَلاٰ تَقُلْ لَهُمٰا أُفٍّ وَ لاٰ تَنْهَرْهُمٰا وَ قُلْ لَهُمٰا قَوْلاً کَرِیماً

(۱)

.

و قول رسول اللّه-صـلى اللّه عليه و آله-:«كن بـارا و اقصـر على الجنه،و إن كنت عاقـا فاقصـر على النـار». و عن أبى جعفر-عليه السلام- قال:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى كلام له:إياكم و عقوق

۱- ۱) الاسراء،الآيه:۲۳.

الوالـدين،فـان ريـح الجنه توجـد من مسـيره الف عام،و لا يجـدها عاق، و لا قاطع رحـم،و لا شـيخ زان،و لا جار إزاره خيلاء.إنما الكبريـاء للّه رب العـالمين».و قوله صـلى اللّه عليه و آله:«من أصـبح مسـخطا لابويه،أصـبح له بابان مفتوحان إلى النار».و عن أبى جعفر-عليه السـلام- قال:«إن أبى-عليه السـلام-نظر إلى رجل و معه ابنه يمشى و الابن متكئ على ذراع الأب،فما كلمه أبى مقتا له حتى فـارق الـدنيا».و قـال الصـادق عليه السـلام:«من نظر إلى أبويه نظر مـاقت،و همـا ظالمـان له لم يقبـل اللّه له صـلاه».و قال الصـادق-عليه السـلام-:«إذا كـان يوم القيامه،كشف غطاء من أغطيه الجنه،فوجـد ريحها من كانت له روح من مسـيره خمسـمائه عام،إلا صنفا واحدا»،فقيل له:من هم؟قال:

«العاق لوالديه».و قال-عليه السـلام-:«لو علم اللّه شـيئا هو أدنى من اف لنهى عنه،و هو أدنى العقوق.و من العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر إليهما» (۱)و سـئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يقول لبعض ولده:بأبى أنت و أمى!أو بأبوى أنت!أ ترى بذلك بأسا؟ فقال:«إن كان أبواه حيين فأرى ذلك عقوقا،و ان كانا قد ماتا فلا بأس».

و الأخبار فى ذم العقوق أكثر من تحصـى،و ورد فى بعض الأخبار القدسـيه:«بعزتى و جلالى و ارتفاع مكانى!لو أن العاق لوالديه يعمـل باعمـال الأنبيـاء جميعـا لم أقبلهـا منه».و روى أيضـا:«أن أول مـا كتب اللّه فى اللوح المحفوظ:إنى أنا اللّه لا إله إلا أنا،من رضى عنه والده فانا منه راض،و من سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط».و قد ورد

---

۱ - ۱) صـح末حنا الأحـاديث كلهـا على(أصـول الكـافى):بـاب العقـوق،و على (مسـتدرك الوسائـل):۲-۶۳۱ كتـاب النكـاح.و على(الوسائل):كتاب النكاح.

عن رسول اللّه انه قال:«کل المسلمین یرونی یوم القیامه،إلا عاق الوالدین،و شارب الخمر،و من سمع اسمی و لم یصل علی».و قد ثبت من الأخبار و التجربه،أن دعاء الوالد علی ولده لا یرد و یستجاب البته.

و دلت الأخبار علی أن من لا ترضی عنه أمه تشتد علیه سکرات الموت و عذاب القبر.و کفی للعقوق ذما أنه ورد فی الإسرائیلیات:«أنه تعالی أوحی إلی موسی:أن من بر والدیه و عقنی کتبته برا،و من برنی و عق والدیه کتبته عاقا».

وصل بر الوالدین

ضد العقوق(بر الوالدین)و الإحسان إلیهما،و هو أفضل القربات و أشرف السعادات.و لذلک ورد ما ورد من الحث علیه،و الترغیب إلیه قال اللّه سبحانه:

وَ اخْفِضْ لَهُمٰا جَنٰاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمٰا کَمٰا رَبَّیٰانِی صَغِیراً

(۱)

.و قال: وَ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ لاٰ تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً وَ بِالْوٰالِدَیْنِ إِحْسٰاناً (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:بر الوالدین أفضل

۱- ۱) بنی أسرائیل،الآیه:۲۴.

۲- ۲) النساء،الآیه:۳۶.

من الصلاه و الصوم و الحج و العمره و الجهاد فی سبیل اللّه».و قال صلی علیه و آله:«من أصبح مرضیا لابویه،أصبح له بابان مفتوحان إلی الجنه».و عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:«إن رجلا أتی إلی النبی -صلی اللّه علیه و آله-فقال:یا رسول اللّه أوصنی.فقال:لا تشرک باللّه شیئا و إن حرقت بالنار و عذبت إلا و قلبک مطمئن بالایمان،و والدیک فأطعهما و برهما حیین کانا أو میتین و إن أمراک،أن تخرج من أهلک فافعل فان ذلک من الایمان». و عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:«جاء رجل و سأل النبی صلی اللّه علیه و آله عن الوالدین.فقال:ابرر أمک، ابرر أمک ابرر أمک ابرر أباک ابرر أباک ابرر أباک و بدأ بالام قبل الأب».و عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال:«جاء رجل إلی النبی صلی اللّه علیه و آله فقال:یا رسول اللّه،من أبر؟قال:امک.قال ثم من؟قال:امک.قال:ثم من؟قال:امک.قال:ثم من؟ قال:أباک»و أتاه رجل آخر و قال:«إنی رجل شاب نشیط،و أحب الجهاد،ولی والده تکره ذلک.فقال له النبی-صلی اللّه علیه و آله- ارجع فکن مع والدتک،فو الذی بعثنی بالحق!لأنسها بک لیله خیر من جهاد فی سبیل اللّه سنه». و قال أبو عبد اللّه علیه السلام:«ان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أتته اخت له من الرضاعه،فلما نظر الیها سربها،و بسط ملحفته لها،فاجلسها علیها،ثم أقبل یحدثها و یضحک فی وجهها،ثم قامت فذهبت و جاء أخوها،فلم یصنع به ما صنع بها، فقیل له:یا رسول اللّه،صنعت باخته ما لم تصنع به و هو رجل،فقال:

لأنها کانت أبر بوالدیها منه».

و قیل للصادق-علیه السلام-:«أی الأعمال أفضل؟قال:الصلاه لوقتها،و بر الوالدین،و الجهاد فی سبیل اللّه».و قال له علیه السلام

رجل:«إن أبی قد کبر جدا و ضعف،فنحن نحمله إذا أراد الحاجه فقال:إن استطعت أن تلی ذلک منه فافعل،و لقمه بیدک،فانه جنه لک غدا».و قال له علیه السلام رجل:«إن لی أبوین مخالفین.فقال برهما کما تبر المسلمین ممن یتولانا».و قال رجل للرضا-علیه السلام- «أدعو لوالدی إذا کانا لا یعرفان الحق؟قال:ادع لهما و تصدق عنهما، و ان کانا حیین لا یعرفان الحق فدارهما،فان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-قال:إن اللّه بعثنی بالرحمه لا بالعقوق».و قد وردت أخبار أخر فی الأمر بالبر و الإحسان إلی الوالدین،و إن کانا علی خلاف الحق و قال-علیه السلام-:«ما یمنع الرجل منکم أن یبر والدیه حیین و میتین و یصلی عنهما،و یتصدق عنهما،و یحج عنهما،و یصوم عنهما،فیکون الذی صنع لهما و له مثل ذلک،فیزیده اللّه عز و جل ببره و صلاته خیرا کثیرا» (۱).

و الأخبار فی ثواب بر الوالدین غیر محصوره.فینبغی لکل مؤمن أن یکون شدید الاهتمام فی تکریمهما و تعظیمهما و احترامهما،و لا یقصر فی خدمتهما،و یحسن صحبتهما،و ألا یترکهما حتی یسألاه شیئا مما یحتاجان إلیه بل یبادر إلی الإعطاء قبل أن یفتقرا إلی السؤال،کما ورد فی الأخبار، و إن أضجراه فلا یقل لهما أف،و ان ضرباه لا یعبس وجهه،و قال:غفر اللّه لکما،و لا یملأ عینیه من النظر إلیهما إلا برحمه ورقه،و لا یرفع صوته فوق صوتهما،و لا یده فوق ایدیهما،و لا یتقدم قدامهما،بل مهما أمکن

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(أصول الکافی):باب بر الوالدین و علی (الوسائل):کتاب النکاح ابواب احکام العشره،باب وجوب بر الوالدین، و باب وجوب بر الوالدین برین کانا او فاجرین،و باب جمله من حقوق الوالدین و علی(المستدرک)۲-۶۲۸ کتاب النکاح.

له لا يجلس عندهما،و كلما بالغ فى التذلل و التخضع كان أجره أزيد و ثوابه أعظم.

و بالجمله:اطاعتهما واجبه و طلب رضاهما حتم،فليس للولد أن يرتكب شيئا من المباحات و المستحبات بدون إذنهما،و لذا أفتى العلماء بأنه لا تجوز المسافره فى طلب العلم إلا باذنهما،إلا إذا كان فى طلب علم الفرائض من الصلاه و الصوم و أصول العقائد،و لم يكن فى بلده من يعلمه،و لو كان فى بلده من يعلمه لم تجز المسافره.و قد روى:«أن رجلا هاجر من اليمن إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و أراد الجهاد،فقال له ارجع إلى أبويك فاستأذنهما،فان إذنا فجاهد،و إلا فبرهما ما استطعت، فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد»و جاء آخر إليه للجهاد،فقال «أ لك والده؟»قال:نعم!قال:«فالزمها،فان الجنه تحت قدمها» و جاء آخر،و طلب البيعه على الهجره إلى الجهاد،و قال:ما جئتك حتى أبكيت والديّ.قال:«ارجع إليهما،فأضحكهما كما أبكيتهما».و لو وقعت بين الوالدين مخالفه،بحيث توقف رضى أحدهما على سخط الآخر فينبغى أن يجتهد فى الإصلاح بينهما بأى طريق امكن،و لو بالعرض إلى فقيه البلد حتى يطلبهما و يعظهما و يقيمهما على الوفاق،لئلا ينكسر خاطر أحدهما منه.

و اعلم أن حق كبير الأخوه على صغيرهم عظيم،فينبغى محافظته.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حق كبير الأخوه على صغيرهم كحق الوالد على ولده».

تذنیب حق الجوار

اشاره

حق الجوار قریب من حق الرحم،إذ الجوار یقتضی حقا وراء ما تقتضیه اخوه الإسلام،فیستحق الجار المسلم ما یستحقه کل مسلم و زیاده فمن قصر فی حقه عداوه أو بخلا فهو آثم.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«الجیران ثلاثه:فمنهم من له ثلاثه حقوق:حق الجوار و حق الإسلام،و حق القرابه.و منهم من له حقان:حق الإسلام، و حق الجوار.و منهم من له حق واحد:الکافر له حق الجوار».فانظر کیف اثبت للکافر حق الجوار.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«أحسن مجاوره من جاورک تکن مؤمنا».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من کان یؤمن باللّه و الیوم الآخر،فلا یؤذ جاره».و قال صلی اللّه علیه و آله:«لا إیمان لمن لم یأمن جاره بوائقه».و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:«فلانه تصوم النهار و تقوم اللیل و تتصدق،و تؤذی جارها بلسانها.فقال صلی اللّه علیه و آله:لا خیر فیها،هی من أهل النار».

و عن علی علیه السلام:«إن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-کتب بین المهاجرین و الأنصار و من لحق بهم من أهل یثرب:أن الجار کالنفس غیر مضار و لا آثم،و حرمه الجار علی الجار کحرمه أمه»و قال الصادق علیه السلام-:«حسن الجوار زیاده فی الأعمار و عماره فی الدیار».و قال -علیه السلام-:«لیس منا من لم یحسن مجاوره من جاوره».و قال -علیه السلام-:«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:ما آمن بی من بات شبعانا و جاره جائع».و قال:«إن یعقوب علیه السلام

لما ذهب عنه بنيامين،نادى:يا رب أ ما ترحمني،اذهبت عيني و أذهبت ابني؟فأوحى اللّه تبارك و تعالى إليه:لو كنت امتهما لأحييتهما لك،اجمع بينك و بينهما،و لكن تذكر الشاه التي ذبحتها و شويتها و أكلت،و فلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئا».و في روايه أخرى:«فكان بعد ذلك يعقوب ينادي مناديه كل غداه و مساء من منزله على فرسخ:ألا من أراد الغداء أو العشاء فليأت إلى يعقوب!» (۱).و في بعض الأخبار (۲):«أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامه،و يقول:سل يا رب هذا لم منعني معروفه و سد بابه دوني؟».

تتميم حدود الجوار و حقه

معرفه الجوار موكوله إلى العرف،فأي دار يطلق عليها الجار عرفا يلزم مراعاه حقوق أهلها.و المستفاد من بعض الأخبار:أن كل أربعين دارا من كل واحد من الجوانب الأربعه جيران.ثم لا ينحصر حق الجار في مجرد كف الأذى،اذ ذلك يستحقه كل أحد،بل لا بد من الرفق و إهداء الخير و المعروف،و تشريكه فيما يملكه و يحتاج إليه من المطاعم،كما ظهر من بعض الأخبار المتقدمه.و ينبغي أن يبدأه بالسلام،و لا يطيل

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافي):باب حسن الجوار و على (المستدرك):۲-۷۸ و ۷۹ و على(الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب ۸۵-۸۸.

۲- ۲) هذا كلام ذكره في(احياء العلوم):۲-۱۸۹ بعد قوله:«إذ يقال».

معه الكلام،و لا يكثر عن حاله السؤال،و يعوده فى المرض،و يعزيه فى المصيبه،و يقوم معه فى العزاء،و يهنئه فى الفرح،و يصفح عن زلاته، و يستر ما اطلع عليه من عوراته،و لا يضايقه فى وضع الجذع على جداره و لا فى صب الماء فى ميزابه،و لا فى مطرح التراب فى فنائه،و لا فى المرور عن طريقه،و لا يمنعه ما يحتاج إليه من الماعون،و يغض بصره عن حرمه،و لا يغفل عن ملاحظه داره عند غيبته،و يتلطف لأولاده فى كلمته،و يرشده إلى ما يصلحه من أمر دينه و دنياه،و إن استعان به فى أمر أعانه،و إن استقرضه أقرضه،و لا يستطيل عليه بالبناء فيحجب عنه الريح إلا باذنه،و إذا اشترى شيئا من لذائذ المطاعم و ظرفها فليهد له،و إن لم يفعل فليدخلها بيته سرا،و لا يخرج بها أولاده حتى يطلع عليها بعض أولاد جاره،فيشتهيه و ينكسر لذلك خاطره.

و منها:

اشاره

طلب العثرات

و تجسس العيوب و العورات و إظهارها.و لا ريب فى كونه من نتائج العداوه و الحسد،و ربما حدث فى القوه الشهويه رداءه توجب الاهتزاز و الانبساط،من ظهور عيب بعض المسلمين،و إن لم يكن عداوه و حقدا كما قيل:

و عين الرضا عن كل عيب كليله

و لكن عين السخط تبدى المساويا

و من تصفح الآيات و الأخبار،يعلم أن من يتبع عيوب المسلمين

و یظهرهما بین الناس اسوأ الناس و اخبثهم،قال اللّه تعالی:

وَ لاٰ تَجَسَّسُوا

(١)

.و قال: إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفٰاحِشَةُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (٢).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من أذاع فاحشه کان کمبتدئها،و من عیر مؤمنا بشیء،لم یمت حتی یرتکبه».و قال صلی اللّه علیه و آله:«کل أمتی معافی،إلاـ المجاهرین»،و المجاهره أن یعمل الرجل سوأ فیخبر به.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من استمع خبر قوم و هم له کارهون،صبت فی أذنیه الآنک یوم القیامه».و عن أبی جعفر-علیه السلام-قال:«قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یا معشر من أسلم بلسانه و لم یسلم بقلبه!لا تتبعوا عثرات المسلمین،فانه من یتبع عثرات المسلمین یتبع اللّه عثراته،و من تتبع اللّه عثراته یفضحه».

و قال الباقر علیه السلام-:«من أقرب ما یکون العبد إلی الکفر ان یؤاخی الرجل الرجل علی الدین،فیحصی علیه زلاته لیعیره بها یوما ما».و قال الصادق-علیه السلام-:«من أنب مؤمنا أنبه اللّه عز و جل فی الدنیا و الآخره». و قیل للصادق-علیه السلام-:«شیء یقوله الناس،عوره المؤمن علی المؤمن حرام؟فقال:لیس حیث تذهب،إنما عوره المؤمن أن یراه یتکلم بکلام یعاب علیه فیحفظه علیه لیعیره به یوما إذا غضب» و قال الباقر-علیه السلام-:«قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إن أسرع الخیر ثوابا البر،و أسرع الشر عقوبه البغی،و کفی بالمرء عیبا

١- ١) الحجرات،الآیه:١٢.

٢- ٢) النور،الآیه:١٩.

أن يبصر من الناس ما يعمى عنه،و أن يعير الناس بما لا يستطيع تركه، و أن يؤذى جليسه بما لا يعينه» (۱).و الأخبار الوارده بأمثال هذه المضامين كثيره.

وصل ستر العيوب

ضد كشف العيوب:سترها و اخفاؤها،و هو من أعظم شعب النصيحه و لا حد لثوابه،كما يستفاد من الأخبار الكثيره.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«من ستر على مسلم ستره اللّه فى الدنيا و الآخره».و قال صلى اللّه عليه و آله:«لا يستر عبد عيب عبد إلا ستره اللّه يوم القيامه» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يرى امرؤ من أخيه عوره فيسترها عليه،إلا دخل الجنه». و كفى بستر العيوب فضلا أنه من أوصاف اللّه سبحانه،و من شده اعتنائه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا-و هو افحشها- بما لا يمكن اتفاقه إلا نادرا،و هو مشاهده أربعه عدول كالميل فى المكحله فانظر إلى أنه تعالى كيف أسبل الستر على العصاه من خلقه فى الدنيا، بتضييق الطرق المؤديه إلى كشفه.و لا تظنن أنك تحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر،فقد ورد فى الحديث:«أن اللّه تعالى إذا ستر على عبد عورته فى الدنيا فهو أكرم من يكشفها فى الآخره،و إن كشفها فى الدنيا فهو

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب من طلب عثرات المؤمنين و عوراتهم و على(الوسائل):ابواب احكام العشره،الباب ۱۵۰.و على (المستدرك):۲-۱۰۴.و على(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۵،باب تتبع عيوب الناس و افشائها.

أكرم من أن يكشفها أخرى».و ورد أيضا:«أنه يؤتى يوم القيامه بعبد يبكى،فيقول اللّه سبحانه له:لم تبكى؟فيقول:أبكى على ما سينكشف عنى من عوراتى و عيوبى عند الناس و الملائكه.فيقول اللّه:عبدى ما افتضحتك فى الدنيا بكشف عيوبك و فواحشك،و أنت تعصينى و تضحك!فكيف أفضحك اليوم بكشفها و أنت تعصينى و تبكى!». و فى خبر آخر:«أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-يطلب يوم القيامه من اللّه سبحانه ألا يحاسب أمته بحضره من الملائكه و الرسل و سائر الأمم،لئلا تظهر عيوبهم عندهم،بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه،و سواه -صلى اللّه عليه و آله-،فيقول اللّه سبحانه:يا حبيبى،أنا أرأف بعبادى منك،فإذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك،فأنا أكره كشفها عندك أيضا،فاحاسبهم وحدى بحيث لا يطلع على عثراتهم غيرى».

فإذا كانت عنايه اللّه سبحانه فى ستر عيوب العباد بهذه المثابه،فأنى لك أيها المسكين المبتلى بأنواع العيوب و المعاصى،تسعى فى كشف عيوب عباد اللّه،مع أنك مثلهم فى الاتصاف بأنواع العيوب و العثرات!و تأمل أنه لو أظهر أحد بعض فواحشك عند الناس كيف يكون حالك،فقس عليه حال غيرك ممن تكشف أنت بعض فواحشه.و قد ثبت و وضح من الأخبار و التجربه:أن من يفضح يفتضح،فيا حبيبى،ترحم على نفسك و تأس بربك،فاسبل الستر على عيوب غيرك.

و منها:

اشاره

إفشاء السر

و إذاعته.و هو أعم من كشف العيب.إذ السر قد يكون عيبا و قد لا يكون بعيب،و لكن فى افشائه إيذاء و إهانه بحق الأصدقاء أو غيرهم

من المسلمین،و هو من رذائل قوه الغضب إن کان منشأه العداوه،و من رذائل قوه الشهوه إن کان منشأه تصور نفع مالی،أو مجرد اهتزاز النفس بذلک لخباثتها،و هو مذموم منهی عنه. قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله-:«إذا حدث الرجل الحدیث ثم التفت،فهی أمانه».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«الحدیث بینکم أمانه».و ورد:«أن من الخیانه أن تحدث بسر أخیک».و قال عبد اللّه بن سنان للصادق-علیه السلام-:«عوره المؤمن علی المؤمن حرام؟فقال:نعم!قلت:

یعنی سفلته؟قال:لیس حیث تذهب،إنما هو إذاعه سره» (۱).

فصل کتمان السر

اشاره

ضد إفشاء السر:کتمانه،و هو من الأفعال المحموده،و قد أمر به فی الأخبار.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«طوبی لعبد نومه، عرفه اللّه و لم یعرفه الناس،أولئک مصابیح الهدی و ینابیع العلم،تتجلی عنهم کل فتنه مظلمه،لیسوا بالمذاییع البذر،و لا الجفاه المرائین».و قال أمیر المؤمنین-علیه السّلام-:«طوبی لعبد نومه،لا یؤبه له، یعرف الناس و لا یعرفه الناس،یعرفه اللّه منه برضوان،أولئک مصابیح الهدی،تنجلی عنهم کل فتنه،و یفتح لهم باب کل رحمه،لیسوا بالبذر المذاییع،و لا الجفاه المرائین».و قال أمیر المؤمنین-علیه السّلام- «قولوا الخیر تعرفوا به،و اعملوا الخیر تکونوا من أهله،و لا تکونوا عجلا مذاییع.فان خیارکم الذین إذا نظر إلیهم ذکر اللّه،و شرارکم المشاؤن

۱- ۱) صححنا الأحادیث علی البحار:۴-۱۷۵ مج ۱۵،باب تتبع عیوب الناس.

بالنميمه،المفرقون بين الأحبه،المبتغون للبراء المعايب» (۱).

تنبيه النميمه

النميمه تطلق فی الأكثر على أن ينم قول الغير إلى المقول فيه،كأن يقال:فلان تكلم فيك بكذا و كذا،أو فعل فيك كذا و كذا.و على هذا تكون نوعا خاصا من إفشاء السر و هتك الستر،و هو الذی يتضمن فسادا أو سعايه.و قد تطلق على ما لا يختص بالمقول فيه،بل على كشف ما يكره كشفه،سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، و سواء كان الكشف بالقول أو الكتابه أو بالرمز و الايماء،و سواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال،و سواء كان ذلك عيبا و نقصانا على المنقول عنه أو لم يكن.و على هذا يكون مساويه الافشاء السر و هتك الستر و حينئذ فكل ما يرى من أحوال الناس و لم يرضوا بافشائه،فإذاعته نميمه فاللازم على كل مسلم أن يسكت عما يطلع عليه من أحوال غيره،إلا إذا كان فی حكايته نفع لمسلم أو دفع لمعصيه.كما إذا رأى أحدا يتناول مال غيره،فعليه أن يشهد به مراعاه لحق المشهود له،و أما إذا رآه يخفی ما لا لنفسه،فحكايته نميمه و إفشاء للسر.

ثم الباعث على النيمه يكون غالبا إراده السوء بالمحكی عنه،فيكون داخلا تحت الإيذاء،و ربما كان باعثه إظهار المحبه للمحكی له،أو التفريح بالحديث،أو الخوض فی الفضول.و على أی تقدير،لا ريب فی أن

۱- ۱) صححنا الأحاديث كلها على(البحار):ج ۴ مج ۱۵:باب فضل كتمان السر و على(أصول الكافی):باب كتمان السر،و باب الروايه على المؤمن.

النمیمه أرذل الافعال القبیحه و اشنعها.و ما ورد فی ذمها من الآیات و الأخبار لا یحصی کثره،قال اللّه سبحانه:

هَمّٰازٍ مَشّٰاءٍ بِنَمِیمٍ. مَنّٰاعٍ لِلْخَیْرِ مُعْتَدٍ أَثِیمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِکَ زَنِیمٍ

(۱)

.

و الزنیم:هو ولد الزنا.فیستفاد من الآیه:أن کل من یمشی بالنمیمه فهو ولد الزنا.و قال سبحانه:

وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَهٍ لُمَزَهٍ

(۲)

.أی النمام المغتاب.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«لا یدخل الجنه نمام» و فی خبر آخر:«لا یدخل الجنه قتات»:أی النمام.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«احبکم إلی اللّه أحسنکم أخلاقا،الموطئون اکنافا،الذین یألفون و یؤلفون،و إن أبغضکم إلی اللّه المشاؤن بالنمیمه،المفرقون بین الأحبه،الملتمسون للبراء العثرات» (۳).و قال-صلی اللّه علیه و آله- «ألا انبئکم بشرارکم؟قالوا:بلی یا رسول اللّه،قال:المشاؤن بالنمیمه، المفرقون بین الأحبه،الباغون للبراء المعایب» (۴).و قال صلی اللّه علیه

۱- ۱) القلم،الآیه:۱۱-۱۳.

۲- ۲) الهمزه،الآیه:۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(المستدرک):۱۱۱ کتاب الحج.

۴- ۴) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب الحج،ابواب احکام العشره، الباب ۱۶۴.و علی(المستدرک):۱۱۰ کتاب الحج.و علی(أصول الکافی): باب النمیمه.

و آله: «من أشار على مسلم كلمه ليشينه بها فى الدنيا بغير حق،شانه اللّه فى النار يوم القيامه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«أيما رجل أشاع على رجل كلمه و هو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا،كان حقا على اللّه أن يدينه بها يوم القيامه فى النار».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن اللّه لما خلق الجنه قال لها:تكلمى،قالت:سعد من دخلنى.

قال الجبار جل جلاله:و عزتى و جلالى!لا يسكن فيك ثمانيه نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر،و لا مصر على الزنا،و لا قتات-و هو النمام-، و لا ديوث،و لا شرطى،و لا مخنث،و لا قاطع رحم،و لا الذى يقول على عهد اللّه أن أفعل كذا و كذا ثم لم يف به». و قال الباقر-عليه السلام-:«الجنه محرمه على المغتابين المشائين بالنميمه».و قال-عليه السلام-:«يحشر العبد يوم القيامه و ما ندا دما (1)،فيدفع إليه شبه المحجمه أو فوق ذلك،فيقال له:هذا سهمك من دم فلان،فيقول:

يا رب،انك لتعلم أنك قبضتنى و ما سفكت دما،فيقول:بلى،سمعت من فلان روايه كذا و كذا فرويتها عليه،فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها،و هذا سهمك من دمه».و قال الصادق-عليه السلام-:

«من روى على مؤمن روايه يريد بها شينه و هدم مروته ليسقط من أعين

1- 1) قال فى مجمع البحرين-ماده(ندا)-:«فلان ماندا دما و لا قتل قتلا:أى ما سفك دما».و قد كتبت كلمه(ندا)فى جميع ما وجدناه من الكتب بالالف،و عسى أن تكون بالياء هكذا(ندى)كرضى.و احتمل فى الوافى أن تكون(ندى)بتشديد الدال،و ذكر احتمالات كثيره،فراجعه و قد روى فى (الوسائل)-كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب 163-مثل هذا الحديث عن(الشيخ الطوسى)،و قد جاء فيه:«و ما ادمى دما».أما الحديث المذكور هنا،فقد صححناه على(أصول الكافى)باب الاذاعه.

الناس،أخرجه اللّه تعالى من ولايته إلى ولايه الشيطان،و لا يقبله الشيطان» (۱). و روى:«انه أصاب بنى أسرائيل قحط،فاستسقى موسى مرات،فما أجيب.فأوحى اللّه تعالى إليه:إنى لا استجيب لك و لمن معك و فيكم نمام قد أصر على النميمه.فقال موسى:يا رب،من هو حتى نخرجه من بيننا؟فقال:يا موسى،انهاكم عن النميمه و أكون نماما؟!فتابوا باجمعهم،فسقوا»و روى:«أن ثلث عذاب القبر من النميمه».

و من عرف حقيقه النميمه،يعلم أن النمام شر الناس و اخبثهم،كيف و هو لا ينفك من الكذب،و الغيبه،و الغدر،و الخيانه،و الغل،و الحسد و النفاق،و الإفساد بين الناس،و الخديعه.و قد قال اللّه سبحانه:

وَ يَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(۲)

.

و النمام يسعى فى قطع ما أمر اللّه به أن يوصل و يفسد فى الأرض.

و قال اللّه:

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّٰاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

(۳)

.و النمام منهم.

---

۱ - ۱) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب احكام العشره الباب ۱۵۷.و على(أصول الكافى):باب الروايه على المؤمن.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۷.

۳- ۳) الشورى،الآيه:۴۰.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«لا یدخل الجنه قاطع»:

أی قاطع بین الناس،و النمام قاطع بینهم.و قال صلی اللّه علیه و آله:

«شر الناس من اتقاه الناس لشره».و النمام منهم،و النمام أعظم شرا من کل أحد.

نقل:أن رجلا باع عبدا،فقال للمشتری:ما فیه عیب إلا النمیمه قال رضیت.فاشتراه،فمکث الغلام أیاما،ثم قال لزوجه مولاه:إن زوجک لا یحبک،و هو یرید أن یتسری علیک،و انا اسحره لک فی شعره فقالت:کیف اقدر علی أخذ شعره؟فقال:اذا نام فخذی الموسی و احلقی من قفاه عند نومه شعرات.ثم قال للزوج:إن امرأتک اتخذت خلیلا و ترید أن تقتلک،فتناوم لها حتی تعرف.فتناوم فجاءته المرأه بالموسی،فظن أنها تقتله،فقام و قتلها،فجاء أهلها و قتلوا الزوج، فوقع القتال بین القبیلتین،و طال الأمر بینهم.

ثم یلزم علی من تحمل إلیه النمیمه ألا یصدق النمام،لأنه فاسق، و الفاسق مردود الشهاده بقوله تعالی:

إِنْ جٰاءَکُمْ فٰاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا

(۱)

.

و ان ینهاه عن ذلک،و ینصحه و یقبح له فعله،لقوله تعالی:

وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْکَرِ

(۲)

.

و ان یبغضه فی اللّه،لکونه مبغوضا عنده تعالی،و ألا یظن بأخیه سوأ بمجرد قوله،لقوله تعالی:

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۶.

۲- ۲) لقمان،الآیه:۱۷.

اِجْتَنِبُوا کَثِیراً مِنَ الظَّنِّ

(۱)

.

و ألا یحمل عمله علی التجسس و البحث لتحقیق ما حکی له،لقوله تعالی:«و لا تجسسوا».و ألا یرضی لنفسه ما نهی عنه النمام،فلا یحکی نمیمته،فیقول:فلان قد حکی کذا و کذا،فیکون به نماما و مغتابا.

و روی محمد بن فضیل عن الکاظم-علیه السلام-:«أنه قال له -علیه السلام-:جعلت فداک!الرجل من اخوانی یبلغنی عنه الشیء الذی اکرهه،فاسأله عنه فینکر ذلک،و قد أخبرنی عنه قوم ثقات.فقال لی:یا محمد،کذب سمعک و بصرک عن أخیک،فان شهد عندک خمسون قسامه،فقال لک قولا،فصدقه و کذبهم،و لا تذیعن علیه شیئا تشینه به و تهدم مروته،فتکون من الذین قال اللّه:

إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفاحِشَهُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِیْدٌ (۲).

و قد روی عن أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«أن رجلا أتاه یسعی إلیه برجل،فقال:یا هذا،نحن نسأل عمن قلت،فان کنت صادقا مقتناک،و إن کنت کاذبا عاقبناک،و إن شئت أن نقیلک أقلناک قال:اقلنی یا أمیر المؤمنین».و نقل:«أن رجلا زار بعض الحکماء و أخبره بخبر عن غیره،فقال:قد أبطأت عنی الزیاره،و بغضت إلی أخی،و شغلت قلبی الفارغ،و اتهمت نفسک الأمینه».

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۲.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب الحج،ابواب احکام العشره الباب ۱۵۷.و الآیه من سوره النور:۱۹.

تتمه السعایه

السعایه هی النمیمه،بشرط کون المحکی له من یخاف جانبه،کالسلاطین و الأمراء و الحکماء و الرؤساء و أمثالهم،فهی أشد أنواع النمیمه إثما و معصیه و هی أیضا تکون من العداوه و من حب المال و طمعه،فتکون من رداءه القوتین و خباثتهما.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«الساعی بالناس إلی الناس لغیر رشده».یعنی لیس ولد حلال.و ذکرت السعاه عند بعض الأکابر،فقال:ما ظنک بقوم یحمد الصدق من کل طبقه إلا منهم!

و منها:

اشاره

الافساد بین الناس

و هو فی الأکثر یحصل بالنمیمه،و إن لم یوجب کل نمیمه افسادا.

و لا ریب فی کونه من المهلکات المؤدیه إلی النار،قال اللّه سبحانه:

اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِیثاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ

(۱)

.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إن فساد ذات البین هی الحالقه».

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۷.

وصل الإصلاح

و ضده:الإصلاح بين الناس،و هو أعظم أفراد النصيحه،و لا غايه لمثوبته عند اللّه.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أفضل الصدقه إصلاح ذات البين».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:اتقوا اللّه و اصلحوا ذات بينكم،فان اللّه تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«كل الكذب مكتوب،إلا أن يكذب الرجل فى الحرب،فان الحرب خدعه،أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما»...و قال الصادق-عليه السلام-:«صدقه يحبها اللّه تعالى:إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا،و تقارب بينهم إذا تباعدوا».

و قال-عليه السلام-للمفضل:«إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعه فافتدها من مالى».و قال-عليه السلام-لابن عمار:«ابلغ عنى كذا و كذا فى أشياء أمر بها.فقال له ابن عمار:فابلغهم عنك،و أقول عنى ما قلت لى و غير الذى قلت؟قال:نعم!إن المصلح ليس بكذاب».

و قال-عليه السلام-:«المصلح ليس بكاذب» (۱):يعنى إذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الإصلاح لم يعد كلامه كذبا.و هذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس،لأن ترك الكذب واجب،و لا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه.

۱- ۱) صححنا الأحاديث عن الصادق-عليه السلام-على(أصول الكافى): باب الإصلاح بين الناس و صححنا النبويات على(كنز العمال):۲-۱۲۸،۱۴.

و منها:

الشماته

و هو إظهار أن ما حدث بغيره من البليه و المصيبه إنما هو من سوء فعله و اساءته،و الغالب صدوره عن العداوه أو الحسد.و علامته أن يكون مع فرح و مسره،و ربما صدر عن رداءه القوه الشهويه،بأن يهتز به و يميل إليه،مع جهله بمواقع القضاء و القدر،و إن لم يكن معه حقد و حسد.و التجربه و الأخبار شاهدان على أن كل من شمت بمسلم فى مصيبه لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها و يشمت به غيره فيها. قال الصادق -عليه السلام-:«لا تبدى الشماته لأخيك،فيرحمه اللّه و يحلها بك».

و قال-عليه السلام-:«من شمت بمصيبه نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن» (۱)على أن كل بليه و مصيبه ترد على مسلم يمكن أن تكون كفاره لذنوبه باعثار لرفع درجاته و اعلاء مرتبته فى دار الآخره.

و الدليل على ذلک:أن أعظم البلايا و المصائب موكله بالأنبياء،ثم بالأولياء،ثم بالأمثل فالأمثل فى درجات الاعتلاء.و لا ريب فى أن ورود المصائب و المحن عليهم ليس من سوء فعلهم و إساءتهم. فينبغى لكل عاقل أن يتأمل(أولا)أن الشماته بمسلم بمصيبه لا ينفک فى الدنيا من ابتلائه بمثلها،(و ثانيا)أنها إيذاء لأخيه المسلم،فلا ينفک عن العذاب فى الآخره (و ثالثا)ان نزول هذه المصيبه به لا يدل على سوء حاله عند اللّه،بل الأرجح دلالته على حسن حاله و تقربه عند اللّه سبحانه.فليحافظ على نفسه عن إبداء الشمانه لأحد من المسلمين،و يخوف من يراه من الشامتين عن عقوبه العاجل و عذاب الآجل.

۱- ۱) صححنا الحديثين على(أصول الكافى):باب الشماته.

و منها:

اشاره

المراء و الجدال و الخصومه

اعلم ان المراء طعن فی کلام الغیر لإظهار خلل فیه،من غیر غرض سوی تحقیره و اهانته،و إظهار تفوقه و کیاسته.و الجدال:مراء یتعلق بإظهار المسائل الاعتقادیه و تقریرها.و الخصومه:لجاج فی الکلام لاستیفاء مال أو حق و مقصود،و هذه تکون تاره ابتداء و تاره اعتراضا،و المراء لا یکون إلا اعتراضا علی کلام سبق،فالمراء داخل تحت الإیذاء،و یکون ناشئا من العداوه أو الحسد.و أما الجدال و الخصومه،فربما صدرا من من أحدهما أیضا،و ربما لم یصدرا منه.

و حینئذ،فالجدال إن کان بالحق-أی تعلق باثبات إحدی العقائد الحقه-و کان الغرض منه الإرشاد و الهدایه،و لم یکن الخصم لدودا عنودا فهو الجدال بالأحسن،و لیس مذموما،بل ممدوح معدود من الثبات فی الایمان الذی هو من نتائج قوه المعرفه و کبر النفس،قال اللّه سبحانه:

وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ الْکِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ

(۱)

.

و إن لم یکن بالحق،فهو مذموم اقتضته العصبیه أو حب الغلبه أو الطمع،فیکون من رذائل القوه الغضبیه أو الشهویه،و ربما أورث شکوکا و شبهات تضعف العقیده الحقه،و لذا نهی اللّه سبحانه عنه و ذم علیه،فقال:

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یُجٰادِلُ فِی اللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ لاٰ هُدیً وَ لاٰ

۱- ۱) العنکبوت،الآیه:۴۶.

كِتٰابٍ مُنِيرٍ

(۱)

.و قال: وَ إِذٰا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيٰاتِنٰا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ (۲).

و الخصومه أيضا إن كانت بحق،أى كانت مما يتوقف عليه استيفاء مال أو حق ثابت،فهى ممدوحه معدوده من فضائل القوه الشهويه،و إن كانت بباطل،أى تعلقت بما يدعيه كذبا أو بلا علم و يقين،فهى مذمومه معدوده من رذائلها.فالخصومه المذمومه تتناول المخاصمه فيما يعلم قطعا عدم استحقاقه،و فيما لا علم له بالاستحقاق،كخصومه وكيل القاضى، فانه قبل أن يعرف الحق فى أى جانب،يتوكل فى الخصومه من أى جانب كان،و يخاصم من غير علم و ايقان،فمثله خبّاط العثرات و ركاب الشبهات،يضر بالمسلمين بلا غرض،و يتحمل أوزار الغير بلا عوض، فهو أخسر الناس اعمالا و اعظمهم فى الآخره أوزارا و نكالا-و تتناول أيضا مخاصمه من يطلب حقه و لكنه لا يقتصر على قدر الحاجه،بل يظهر اللدد و العناد فى الخصومه قصدا للتسلط و الإيذاء،و من يمزج بخصومته كلمه مؤذيه لا يحتاج إليها فى إظهار الحق و بيان الحجه،و من يحمله على الخصومه محض العناد بقهر الخصم و كسره مع استحقاره لذلك القدر من المال،و ربما صرح بأن قصدى العناد و الغلبه عليه و كسر عرضه،و إذا أخذت منه هذا المال رميته،و لا أبالى،فمثله غرضه اللدد و اللجاج.

فتنحصر الخصومه الجائزه بمخاصمه المظلوم الذى يطلب حقه و ينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد و إيذاء،مع الاقتصار على قدر

۱- ۱) الحج،الآيه:۸.

۲- ۲) الانعام،الآيه:۶۸.

الحاجه فی الخصومه من دون أن یتکلم بالزائد و لا بکلمات مؤذیه،ففعله لیس بحرام و إن کان الأولی ترکه ما وجد إلیه سبیلا،إذ ضبط اللسان فی الخصومه علی حد الاعتدال متعذر أو متعسر،لأنها توغر الصدر،و تهیج الغضب،و إذا هاج الغضب ذهب المتنازع فیه من البین،و اشتد الحقد بین المتخاصمین حتی یحزن کل واحد بمسره صاحبه و یفرح بمساءته.

فالخصومه مبدأ کل شر،فینبغی ألا یفتح بابها إلا عند الضروره علی قدر الضروره،و لا یتعدی عن الواجب،إذ أقل درجاتها تشوش الخاطر، حتی أنه فی الصلاه لیشتغل بمخاصمه الخصم،و یتضمن الطعن و الاعتراض أی التجهل و التکذیب،إذ من یخاصم غیره إما یجهله أو یکذبه،فیکون آتیا بسوء الکلام،و یفوت به ضده،اعنی طیب الکلام،مع ما ورد فیه من الثواب.و کذا الحال فی المراء و الجدال.

و بالجمله:المراء و الجدال و الخصومه،سوی ما استثنی،من ذمائم الأفعال و مبادئ أکثر الشرور و الفتن،و لذا ورد بها الذم الشدید فی الأخبار قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من جادل فی خصومه بغیر علم،لم یزل فی سخط حتی ینزع».و قال-صلی اللّه علیه و آله- «إن أبغض الرجال إلی اللّه الأبد الخصم».و قال-صلی اللّه علیه و آله- «ما أتانی جبرئیل قط إلا وعظنی،فآخر قوله لی:إیاک و مشاده الناس فانها تکشف العوره و تذهب بالعز».و قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إیاکم و المراء و الخصومه،فانهما یمرضان القلوب علی الاخوان،و ینبت علیهما النفاق».و قال علی بن الحسین-علیهما السلام- :«ویل أمه فاسقا من لا یزال مماریا!ویل أمه فاجرا من لا یزال مخاصما!ویل أمه آثما من کثر کلامه فی غیر ذات اللّه!».و قال الصادق-علیه السلام- «لا تمارین حلیما و لا سفیها،فان الحلیم یغلبک و السفیه یؤذیک».و قال

«إياك و المشاده،فانها تورث المعرّه و تظهر العوره».و قال عليه السلام «إياكم و الخصومه،فانها تشغل القلب،و تورث النفاق،و تكسب الضغائن» (۱)فمن تأمل فی ما يدل علی ذمها و سوء عاقبتها عقلا و نقلا -فمع عدم ترتب فائده عليها،و تذكر ما ورد فی مدح تركها و فوائد ضدها،اعنی طيب الكلام-يسهل عليه ان يتركها و لا يحوم حولها.

تذنيب علاج المراء

طريق المعالجه فی إزاله المراء و الجدال و الخصومه:أن يعلم انها توجب التباغض و المباينه،و تزيل الألفه و المحبه،و تقطع الالتيام و الوحده و لا ريب فی أن قوام النظام الأصلح بالالتيام و الوحده،كما اقتضته العنايه الإلهيه و الحكمه الازليه،و المباينه الراجعه إلی الكثره ينافيهما،و لا ينبغی للعاقل أن يرتكب ما يضاد فعل اللّه و حكمته.و هذا هو العلاج العلمی، و أما العملی،فليواظب علی ضده هذه الثلاثه،أعنی طيب الكلام،و يكلف نفسه عليه،حتی يصير ملكه له و ترتفع اضدادها عنه بالمره.

۱- ۱) صححنا الأحاديث علی(الكافی):باب المراء و الخصومه.و علی (الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب ۱۳۵ و ۱۳۶.و علی (احياء العلوم):۲-۱۰۲.

وصل طيب الكلام

قد أشير إلى أن ضد الرذائل الثلاث:طيب الكلام،و ما ورد فى مدحه و فى ثواب تركها أكثر من أن يحصى.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«ثلاث من لقى اللّه تعالى بهن دخل الجنه من أى باب شاء:

من حسن خلقه،و خشى اللّه فى المغيب و المحضر،و ترك المراء و إن كان محقا».و قال صلى اللّه عليه و آله:«يمكنكم من الجنه طيب الكلام و إطعام الطعام».و قال صلى اللّه عليه و آله:«إن فى الجنه لغرفا يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها،أعدها اللّه لمن اطعم الطعام و أطاب الكلام».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الكلمه الطيبه صدقه».و روى «أن عيسى-عليه السلام-مر به خنزير.فقال:مر بسلامه.فقيل له:يا روح اللّه،تقول هذا للخنزير!فقال:اكره أن اعود لسانى الشر» و قال بعض الحكماء:«الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنّه فى الجوارح»

و منها:

السخريه و الاستهزاء

و هو محاكاه أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم و خلقهم،قولا و فعلا،أو ايماء و إشاره،على وجه يضحك منه.و هو لا ينفك عن الإيذاء و التحقير و التنبيه على العيوب و النقائص.و إن لم يكن ذلك بحضره المستهزأ به،فيتضمن الغيبه أيضا.و باعثه إما العداوه أو التكبر و استصغار المستهزأ به،فيكون من رذائل القوه الغضبيه،أو قصد ضحك الأغنياء

و تنشيط قلوبهم،طمعا فى بعض أوساخهم الملوثه،و أخذ النبذ من حطامهم المحرمه،و لا ريب فى انه صفه من لا حظّ له فى الدين،و شيمه اراذل احزاب الشياطين،لأنهم يظهرون أكاذيب الأقوال و يرتكبون أعاجيب الأفعال،يخلعون قلائد الحريه عن الرقاب،و يهتكون استار الحياء بمرأى من أولى الألباب،يبتغون عيوب المؤمنين و عوراتهم،و يظهرون نقائص المسلمين و عثراتهم،يقلدون أفعال الأخيار على وجه يضحك الاشرار، و يحاكون صفات الأبرار على أفضح الوجوه فى الانظار.و لا ريب فى أن المرتكب لهذه الأفعال بعيد عن الإنسانيه بمراحل،و مستوجب لعقوبه العاجل و عذاب الآجل،و لا يخلو ساعه عن الصغار و الهوان،و لا وقع له فى قلوب أهل الايمان،و كفاه ذما انه جعل تلك المعاصى الخبيثه وسيله لتحصيل المال أو الواقع فى قلوب أبناء الدنيا،و يلزمه عدم اعتقاده بأن اللّه سبحانه هو المتكفل لأرزاق العباد.

و الطريق فى دفعه-بعد التأمل فى سوء عاقبته،و وخامه خاتمته، و فيما يلزمه من الذله و الهوان فى الدنيا-أن يبادر إلى إزاله العداوه و التكبر إن كان باعثه ذلك،و إن كان باعثه تنشيط قلوب أهل الدنيا طمعا فى مالهم،فليعلم أن لكل نفس ما قدر لها من الأموال و الأرزاق،و يصل إليها من اللّه سبحانه البته،فان من يتق اللّه و يتوكل عليه يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب،و يكون فى الآخره سعيدا،و ان أغواه الشيطان و حثه على تحصيلها من المداخل الخبيثه،لم يصل إليه أكثر مما قدر له،و كان فى الآخره شقيا.

و ليعلم أيضا أن المتوكل على اللّه و المتصف بالحريه،لا يبدل التوكل و الحريه بهذه الأفعال لأجل الوصول إلى بعض خبائث الأموال،فليعاتب نفسه و يزجرها بالمواعظ و النصائح،و يتذكر ما ورد فى الشريعه من ذم

المستهزئين و تعذيبهم يوم القيامه بصوره الاستهزاء،قال اللّه جل شأنه:

لاٰ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ

(۱)

.

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنه،فيقال:هلم هلم!فيجىء بكربه و غمه،فإذا أتى اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر،فيقال:هلم هلم!فيجىء بكربه و غمه،فإذا أتى أغلق دونه.فما يزال كذلك،حتى يفتح له الباب،فيقال له:هلم هلم فما يأتيه».و قال ابن عباس فى قوله تعالى:

يٰا وَيْلَتَنٰا مٰا لِهٰذَا الْكِتٰابِ لاٰ يُغٰادِرُ صَغِيرَةً وَ لاٰ كَبِيرَةً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا

(۲)

.

«الصغيره:التبسم بالاستهزاء بالمؤمن،و الكبيره:القهقهه بذلك» و فيه إشاره إلى أن الضحك على الناس من الجرائم العظيمه.

ثم جميع ما ذكر إنما هو فى حق من يؤذى الناس و يهينهم باستهزائه و سخريته،و أما من جعل نفسه سسخره و يسر بأن يهزل و يسخر به،و إن كان هو ظالما لنفسه خارجا عن شعار المؤمنين،حيث أهان نفسه و أذلها، إلا أن سخريه الغير به من جمله المزاح،و يأتى ما يذم منه و ما يحمد،و إنما المحرم منه ما يؤدى إلى ايذائه و تحقيره:بأن يضحك على كلامه إذا يخبط

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۱۱.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۵۰.

و لـم ينتظـم،أو على أفعـاله إذا كـانت مشـوشه،أو على صـورته و خلقتـه إذا كـان قصـيرا أو طويلاـ أو ناقصـا بعيـب من العيوب.فالضحك على جمله ذلك داخل فى السخريه المنهى عنها.

و طريق علاجه-بعـد تـذكر ما تقـدم-أن اسـتهزاءه يوجب خزى نفسه يوم القيامه عنـد اللّه و عنـد الملائكه و النبيين و عند الناس أجمعين،فلو تفكر فى حسـرته و حيائه و خجله و خزيه يوم يحمل سيئات من استهزأ به و يساق إلى النار،لأدهشه ذلك عن إخزاء غيره،و لو عرف حقيقه حـاله يوم القيـامه،لكان الأولى له أن يضـحك على نفسه تاره و يبكى عليها أخرى، لأنه باسـتهزائه به عند بعض أراذل النـاس عرض نفسه لأـن يأخـذ بيـده ذلـك الغير يوم القيـامه على ملأـ من النـاس و يسوقه تحت السـياط،كمـا يساق الحمـار، الى النـار مسـتهزئا بـه،مسـرورا بخزيـه و تمكين اللّه تعـالى إيـاه على الانتقـام منه.فمن تأمـل فى ذلـك،و لم يكن عـدوا لنفسه،اجتنب عن السخريه و الاستهزاء كل الاجتناب.

و منها:

اشاره

المزاح

و أصله مذموم منهى عنه،و سببه إما خفه فى النفس،فيكون من رذائل القوه الغضبيه،أو ميل النفس و شهوتها إليه،أو تطييب خاطر بعض أهـل الـدنيا طمعـا فى مـالهم،فيكون من رذائل القوه الشـهويه.و سـبب الـذم فيه.أنه يسـقط المهابه و الوقار،و ربما أدى إلى التبـاغض و الوحشه و الضـغينه، و ربمـا انجر إلى الهزل و الاسـتهزاء،و أدخـل صـاحبه فى جمله المسـتهزأ بهم، و ربمـا صار باعثا لظهور العداوه-كما قيل-و ربما جرّ إلى اللعب،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«لا تمار أخاك و لا تمازحه»،و قال بعض الأكابر لابنه:«یا بنی،لا تمازح الشریف فیحقد علیك،و لا الدنیء فیجترئ علیك»،و قال آخر:«إیاكم و الممازحه،فانها تورث الضغینه و تجر إلی القطیعه». و قال آخر:«المزاح مسلبه للبهاء،و مقطعه للاصدقاء» و قیل:«لكل شیء بذر،و بذر العداوه المزاح».و من مفاسد المزاح:

أنه سبب للضحك،و هو منهی عنه.قال اللّه تعالی:

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً

(۱)

.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إن الرجل لیتكلم بالكلمه فیضحك بها جلساءه،یهوی بها أبعد من الثریا»،و قال:«لو تعلمون ما أعلم لبكیتم كثیرا و لضحكتم قلیلا»،و هو یدل علی أن الضحك علامه الغفله عن الآخره،و قال بعض:«من كثر ضحكه قلت هیبته،و من مزح استخف به،و من أكثر من شیء عرف به،و من كثر كلامه كثر سقطه،و من كثر سقطه قلّ حیاؤه،و من قل حیاؤه قل ورعه،و من قل ورعه مات قلبه». و خاطب عارف نفسه و قال:«أ تضحك و لعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟!»و قال رجل لأخیه:یا أخی، هل أتاك أنك وارد النار؟قال:نعم!قال:و هل أتاك أنك خارج منها؟فقال:لا،قال:ففیم الضحك؟فما رئی بعد ذلك ضاحكا حتی مات».و نظر بعضهم إلی قوم یضحكون فی یوم الفطر،فقال:«إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرین،و إن كان لم یغفر لهم فما هذا فعل الخائفین».

ثم المذموم من الضحك هو القهقهه،و التبسم الذی ینكشف فیه

۱- ۱) التوبه،الآیه:۸۳.

السن و لا يسمع الصوت ليس مذموما،بل محمود لفعل النبی صلی اللّه علیه و آله (۱).

تذنیب المذموم من المزاح

الحق أن المذموم من المزاح هو الإفراط فیه و المداومه علیه،أو ما یؤدی إلی الکذب و الغیبه و أمثالهما،و یخرج صاحبه عن الحق.و أما القلیل الذی یوجب انبساط خاطر و طیبه قلب،و لا یتضمن إیذاء و لا کذبا و لا باطلا،فلیس مذموما،لقول رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إنی لأمزح و لا أقول إلا حقا».و لما روی:«أنهم قالوا له صلی اللّه علیه و آله:یا رسول اللّه،انک تداعبنا!فقال:إنی و إن داعبتکم،فلا أقول إلا حقا».و لما روت العامه:«أنه صلی اللّه علیه و آله کان کثیر التبسم، و کان أفکه الناس»و ورد:«أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله کسا ذات یوم واحده من نسائه ثوبا واسعا،و قال لها:البسیه و أحمدی،و جری منه ذیلا کذیل العروس».و قال صلی اللّه علیه و آله:«لا تدخل الجنه عجوز.فبکت العجوز.فقال:إنک لست یومئذ بعجوز»و جاءت امرأه الیه،و قالت:«إن زوجی یدعوک.فقال صلی اللّه علیه و آله:زوجک هو الذی بعینه بیاض؟قالت:و اللّه ما بعینه بیاض؟فقال:بلی،إن بعینه بیاضا.فقالت:لا و اللّه؟فقال:ما من أحد إلا بعینه بیاض».

۱- ۱) راجع أخبار المزاح و الضحک و التبسم:کتاب(الوسائل):الباب ۸۰-۸۴ من أبواب أحکام العشره،و الظاهر ان المؤلف لم یرجع إلی أخبارنا التی فیها غنی عن النقل عن أناس مجهولین.

و أراد به البياض المحيط بالحدقه.و جاءته امرأه أخرى،و قالت:«احملنى يا رسول اللّه على بعير،فقال:بل نحملك على ابن البعير.فقالت:

ما أصنع به،انه لا يحملنى،فقال صلى اللّه عليه و آله:هل من بعير إلا و هو ابن بعير؟».و كان صلى اللّه عليه و آله يدلع لسانه للحسين عليه السلام فيرى لسانه فيهش له،و قال لصهيب-و به رمد و هو يأكل التمر-:

«أتأكل التمر و أنت أرمد؟فقال:إنما آكل بالشق الآخر.فتبسم رسول اللّه حتى بدت نواجذه».و روى:«أن خوات ابن جبير كان جالسا إلى نسوه من بنى كعب بطريق مكه،و كان ذلك قبل اسلامه.فطلع عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله-فقال له:مالك مع النسوه؟قال:يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود.فمضى رسول اللّه لحاجته ثم عاد،فقال:يا أبا عبد اللّه أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟قال:فسكت و استحييت،و كنت بعد ذلك استخفى منه حياء،حتى أسلمت و قدمت المدينه،فاطلع على يوما و أنا أصلى فى المسجد،فجلس إلى،فطولت الصلاه،فقال:لا تطول فانى انتظرك،فلما فرغت قال:يا أبا عبد اللّه،أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟قلت:و الذى بعثك بالحق نبيا؟ما شرد منذ أسلمت!فقال:اللّه أكبر اللّه أكبر،اللهم اهد أبا عبد اللّه.فحسن اسلامه».و كان نعيمان الأنصارى،رجلا مزّاحا،فإذا دخل المدينه شىء نفيس من اللباس أو المطاعم اشترى منه،و جاء به إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و يقول:

هذا أهديته لك.فإذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه،جاء به إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله،و قال:يا رسول اللّه،أعطه ثمن متاعه،فيقول له النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«أ و لم تهده لنا؟»فيقول:لم يكن عندى و اللّه ثمنه،و أحببت أن تأكل منه،فيتبسم رسول اللّه و يأمر لصاحبه بثمنه و أمثال هذه المطايبات مرويه عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و عن الأئمه

-علیهم السلام-و أکثرها منقوله مع النسوان و الصبیان،و کان ذلک معالجه لضعف قلوبهم،من غیر میل إلی هزل و لا کذب و لا باطل،و کان صدور ذلک عنهم أحیانا و علی الندره،و مثلهم کانوا یقدرون علی المزاح مع عدم خروجهم عن الحق و الاعتدال،و أما غیرهم فإذا فتح باب المزاح فربما وقع فی الإفراط و الباطل.فالأولی لأمثالنا ترکه مطلقا.

و منها:

اشاره

الغیبه

و هی أن یذکر الغیر بما یکرهه لو بلغه.سواء کان ذلک ینقص فی بدنه أو فی أخلاقه أو فی أقواله،أو فی أفعاله المتعلقه بدینه أو دنیاه،بل و إن کان بنقص فی ثوبه أو داره أو دابته.

و الدلیل علی هذا التعمیم-بعد إجماع الأمه علی أن من ذکر غیره بما یکره إذا سمعه فهو مغتاب-ما روی عن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- أنه قال:«هل تدری ما الغیبه؟»قالوا:اللّه و رسوله أعلم.قال:

«ذکرک أخاک بما یکره»،قیل له:أ رأیت ان کان فی أخی ما أقول؟ قال:«إن کان فیه ما تقول فقد اغتبته،و إن لم یکن فیه فقد بهته».

و ما روی:«انه ذکر رجل عنده،فقالوا:ما أعجزه!فقال-صلی اللّه علیه و آله-:اغتبتم أخاکم،قالوا:یا رسول اللّه،قلنا ما فیه.قال:إن قلتم ما لیس فیه فقد بهتموه».و ما روی عن عائشه قالت:«دخلت علینا امرأه،فلما ولت،أومأت بیدی انها قصیره،فقال صلی اللّه علیه و آله:

اغتبتیها».و ما روی انها قالت:«إنی قلت لامرأه مره و أنا عند النبی -صلی اللّه علیه و آله-:إن هذه لطویله الذیل.فقال لی:الفظی الفظی! فلفظت مضغه لحم».و قد روی:«ان أحد الشیخین قال للاخر:إن

فلانا لنؤم،ثم طلبا أدما من رسول اللّه ليأكلا به الخبز.فقال:صلى اللّه عليه و آله-:قد ائتدمتما.فقالا:ما نعلمه،فقال:بلى!إنكما أكلتما من لحم صاحبكما».

و أما ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال:«صفه الغيبه أن تذكر أحدا بما ليس هو عند اللّه بعيب و يذم ما يحمده أهل العلم فيه.و أما الخوض فى ذكر الغائب بما هو عند اللّه مذموم و صاحبه فيه ملوم،فليس بغيبه،و إن كره صاحبه إذا سمع به و كنت أنت معافى عنه و خاليا منه.

و تكون فى ذلك مبينا للحق من الباطل ببيان اللّه و رسوله،و لكن على شرط ألا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق و الباطل فى دين اللّه عز و جل، و أما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى،فهو مأخوذ بفساد مراده و ان كان صوابا» (۱)فهو مخصوص بما إذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه، أو كان ساترا على نفسه كارها لظهوره.و يدل على ذلك ما روى عنه عليه السلام أيضا،أنه سئل عن الغيبه،فقال:«هو أن تقول لأخيك فى دينه ما لم يفعل،و ثبت عليه أمرا قد ستره اللّه عليه لم يقم فيه حد».

و قال عليه السلام:«الغيبه أن تقول فى أخيك ما ستره اللّه عليه،و أما الأمر الظاهر فيه،مثل الحده و العجله،فلا».و قال الكاظم عليه السلام «من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس،لم يغتبه،و من ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس،اغتابه،و من ذكره بما ليس فيه فقد بهته» (۲).و يأتى ان المجاهر بمعصيته غير ساتر لها،لا غيبه له فيها.

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۴۹.و قد تقدم الشك فى صحه(مصباح الشريعه)فى الجزء الأول.
۲- ۲) صححنا الأحاديث الثلاثه على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب احكام العشره،الباب ۱۵۴،و على(أصول الكافى):باب الغيبه و البهت.و على(البحار)۴ مج ۱۵-۱۸۴ باب الغيبه،و قال فى الموضع المذكور عن الحديث الأول:«الغيبه هو أن تقول»:الضمير للغيبه،و تذكيره بتأويل الاغتياب أو باعتبار الخبر.

و الحاصل:ان الإجماع و الأخبار متطابقان على أن حقيقه الغيبه هو أن يذكر الغير بما يكرهه إذا سمعه،سواء كان ذلك بنقص فى نفسه أو بدنه.

أو فى دينه أو دنياه،أو فيما يتعلق به من الأشياء،و ربما قيل إنه لا غيبه فيما يتعلق بالدين،لأنه ذم من ذمه اللّه و رسوله،فذكره بالمعاصى و ذمه جائز.و أيد ذلك بما روى:«أنه ذكر عند رسول اللّه امرأه و كثره صومها و صلاتها و لكنها تؤذى جيرانها.فقال:هى فى النار». و ذكرت امرأه أخرى بأنها بخيله،فقال:«فما خيرها إذن؟».و لا ريب فى بطلان هذا القول:لما عرفت من عموم الأدله.و ما ورد من ذم الأشخاص المعينه فى كلام اللّه و كلام حججه إنما هو لتعريف الأحكام و تبيينها،و سؤال الأصحاب عنهم و ذكرهم بالمعاصى،إنما كان لحاجتهم إلى معرفه الأحكام لا للذم و إظهار العيب،و لذا لم يكن ذلك إلا فى مجلس الرسول-صلى اللّه عليه و آله.أو الأئمه-عليهم السلام-.

فصل لا تنحصر الغيبه باللسان

اعلم أن الغيبه لا تنحصر باللسان،بل كل ما يفهم نقصان الغير،و يعرف ما يكرهه فهو غيبه،سواء كان بالقول أو الفعل،أو التصريح أو التعريض أو بالاشاره و الإيماء،أو بالغمز و الرمز،أو بالكتابه و الحركه،و لا ريب فى أن الذكر باللسان غيبه محرمه.لتفهيمه الغير نقصان أخيك و تعريفه بما يكرهه،لا لكون المفهم و المعرف لسانا،فكل ما كان مفهما و معرفا فهو مثله.

ص:٣٠۵

فالغيبه تتحقق بإظهار النقص بالفعل و المحاكاه،كمشيه الأعرج،بل هو أشد من الغيبه باللسان،لأنه أعظم فى التصوير و التفهيم منه،و بالإيماء و الإشاره،و قد روى:«أنه دخلت امرأه على عائشه،فلما ولت،أومأت بيدها أنها قصيره.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قد اغتبتها».

و بالكتابه،إذ القلم أحد اللسانين،و بالتعريض،كأن يقول:الحمد للّه الذى لم يبتلنا بالدخول على الظلمه،و التبذل فى طلب الجاه و المال، أو يقول:«نعوذ باللّه من قله الحياء،و نسأله أن يعصمنا منه،معرضا فى كل ذلك بمن ارتكب ذلك،فيذكره بصيغه الدعاء،و ربما قدم مدح من يريد غيبته،ثم اتبعه بإظهار عيبه،كأن يقول:لقد كان فلان حسن الحال،و لكنه ابتلى بما ابتلى به كلنا من سوء الحال،و هو جمع بين الرياء و الغيبه،و مدح نفسه بالتشبه بالصلحاء فى ذم أنفسهم.

و من المغتابين المنافقين من يظهر فى مقام غيبه مسلم الاغتمام و الحزن من سوء حاله،كأن يقول:لقد ساءنى ما جرى على صديقنا فلان من الاهانه و الاستخفاف،أو ارتكابه معصيه كذا،فنسأل اللّه أن يجعله مكرما أو يصلح حاله،أو يقول:قد ابتلى ذلك المسكين بآفه عظيمه،تاب اللّه علينا و عليه.و هو كاذب فى ادعائه الحزن و الكآبه،و فى إظهار الدعاء،إذ لو اغتم لأغتم بإظهار ما يكرهه أيضا،و لو قصد الدعاء لأخفاه فى خلواته، فاظهار الحزن و الدعاء ناش عن خبث سريرته،و هو يظن أنه ناش عن صفاء طويته،هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوه البصيره بمكائد اللعين و تلبيساته،فيسخر بهم و يضحك عليهم،و يحبط أعمالهم بمكائده،و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا.و ربما ذكر بعض المغتابين عيب مسلم و لم يتنبه له بعض الحاضرين،فيقول اسماعا له و اعلاما لما يقوله:«سبحان اللّه ما أعجب هذه!»حتى يتوجه إليه و يعلم ما يريد،فيستعمل اسم اللّه آله لتحقيق خبثه.

ثم المستمع للغيبه أحد المغتابين،كما ورد به الخبر (۱).و قد دل ذلک أیضا ما تقدم من حدیث الشیخین،و ما روی:«أنه صلی اللّه علیه و آله لما رجم ما عزا فی الزنا،قال رجل لآخر:هذا أقعص کما یقعص الکلب.

فمر النبی صلی اللّه علیه و آله معهما بجیفه،فقال:انهشا من هذه الجیفه، فقالا:یا رسول اللّه ننهش جیفه!فقال:ما أصبتما من أخیکما أنتن من هذه».فجمع بینهما،مع ان أحدهما کان قائلا و الآخر مستمعا.

و هو إما لا یسر باستماعها،إلا أنه لا ینکرها باللسان و لا یکرهها بالقلب،أو یسر و یفرح باستماعها،إلا أن النفاق و التزهد حملاه علی عدم التصدیق،و ربما منع منها ریاء و تزهدا،مع کونه مشتهیا لها بقلبه،و ربما توصل بالحیل المرغبه للمغتاب فی زیاده الغیبه.مع التباس الأمر علیه بأنه یشتهیها،مثل أن یظهر التعجب و یقول:عجبت منه ما علمت أنه کذلک و ما عرفته إلی الآن إلا بالخیر،و کنت أحسب فیه غیر هذا عافانا اللّه من بلائه.فان ذلک تصدیق للمغتاب،و باعث لزیاده نشاطه فی الغیبه،فکأنه یستخرج منه الغیبه بهذا الطریق.

و الحاصل أن المستمع لا یخرج عن اثم الغیبه إلا بأن ینکر بلسانه، أو یقطع الکلام بکلام آخر،أو یقوم من المجلس،و إن لم یقدر علی شیء من ذلک،فلینکر بقلبه،و إن قال بلسانه:اسکت،و هو یشتهیه بقلبه فذلک نفاق،و لا یخرجه من الإثم ما لم یکرهه بقلبه.و مع عدم الخوف لا یکفی أن یشیر بالید أو حاجبه أو جبینه،أی اسکت،إذ ذلک استحقار للمذکور،مع أنه ینبغی أن یعظمه فیذب عنه صریحا.قال

---

۱ – ۱) إشاره إلی ما رواه الشیخ أبو الفتوح الرازی فی تفسیره،عن رسول اللّه –صلی اللّه علیه و آله–أنه قال:«المستمع أحد المغتابین».و إلی قول أمیر المؤمنین –علیه السلام–«السامع للغیبه أحد المغتابین».(بحار الأنوار):۴ مج ۱۵–۱۷۹.

النبی صلی اللّه علیه و آله:«من أذل عنده مؤمن و هو یقدر علی أن ینتصر له فلم ینصره،أذله اللّه یوم القیامه علی رءوس الخلائق».و قال «من رد عن عرض أخیه بالغیب،کان حقا علی اللّه ان یرد عن عرضه یوم القیامه».و قال صلی اللّه علیه و آله:«من ذب عن عرض أخیه بالغیب،کان حقا علی اللّه أن یعتقه من النار».و قال صلی اللّه علیه و آله-:«من رد عن عرض أخیه،کان له حجابا من النار».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«ما من رجل ذکر عنده اخوه المسلم،و هو یستطیع نصره و لم بکلمه و لم ینصره،إلا أذله اللّه عز و جل فی الدنیا و الآخره.و من ذکر عنده اخوه المسلم فنصره،نصره اللّه فی الدنیا و الآخره».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من حمی عرض أخیه المسلم فی الدنیا،بعث اللّه له ملکا یحمیه یوم القیامه من النار».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«من تطول علی أخیه فی غیبته،سمعها عنه فی مجلس فردها،رد اللّه عنه الف الف باب من الشر فی الدنیا و الآخره و ان لم یردها و هو قادر علی ردها،کان علیه کوزر من اغتابه سبعین مره» و قال الباقر علیه السلام«من اغتیب عنده اخوه المؤمن فنصره و اعانه، نصره اللّه فی الدنیا و الآخره،و من لم ینصره و لم یدفع عنه و هو یقدر علی نصرته و عونه،إلا خفضه اللّه فی الدنیا و الآخره».و بهذه المضامین أخبار کثیره اخر.

فصل بواعث الغیبه

اعلم ان باعث الغیبه-غالبا-إما الغضب أو الحقد أو الحسد،

ص :۳۰۸

فیکون من نتائجها،و من رذائل قوه الغضب،و له بواعث أخر:

الأول-السخریه و الاستهزاء:فان ذلک کما یجری فی الحضور یجری فی الغیبه أیضا،و قد عرفت ان منشأهما ما ذا؟.

الثانی-اللعب و الهزل و المطایبه:فیذکر غیره بما یضحک الناس علیه علی سبیل التعجب و المحاکاه.و یأتی ان باعث الهزل و المزاح ما ذا،و انه متعلق بالقوه الشهویه.

الثالث-إرادته الافتخار و المباهاه:بأن یرفع نفسه بتنقیص غیره، فیقول:فلان لا یعلم شیئا.و غرضه أن یثبت فی ضمن ذلک فضل نفسه و أنه أفضل منه.و ظاهر أن منشأ ذلک التکبر أو الحسد،فیکون أیضا من رذائل القوه الغضبیه.

الرابع-أن ینسب إلی شیء من القبائح،فیرید أن یتبرأ منه بذکر الذی فعله،و کان اللازم علیه أن یبرئ نفسه منه،و لا یتعرض للغیر الذی فعله،و قد یذکر غیره بأنه کان مشارکا له فی الفعل،لیتمهد بذلک عذر نفسه فی فعله،و ربما کان منشأ ذلک صغر النفس و خبثها.

الخامس-مرافقه الاقران و مساعدتهم علی الکلام،حذرا عن تنفرهم و استثقالهم إیاه لولاه،فیساعدهم علی إظهار عیوب المسلمین و ذکر مساویهم،ظنا منه أنه مجامله فی الصحبه،فیهلک معهم.و باعث ذلک أیضا صغر النفس و ضعفها.

السادس-أن یستشعر من رجل أنه سیذکر مساویه،أو یقبح حاله عند محتشم،أو یشهد علیه بشهاده،فیبادره قبل ذلک بإظهار عداوته، أو تقبیح حاله،لیسقط أثر کلامه و شهادته.و ربما ذکره بما هو فیه قطعا،بحیث ثبت ذلک عند السامعین لیکذب علیه بعده،فیروج کذبه بالصدق الأول و یستشهد به و یقول:لیس الکذب من عادتی،فانی أخبرتکم قبل ذلک

من أحواله كذا و كذا،فكان كما قلت،فهذا أيضا صدق كسابقه.

و هذا أيضا منشأه الجبن و ضعف النفس.

السابع-الرحمه،و هو أن يحزن و يغتم بسبب ما ابتلى به غيره، فيقول:المسكين فلان قد غمنى ما ارتكبه من القبح،أو ما حدث به من الاهانه و الاستخفاف!فيكون صادقا فى اغتمامه،إلا انه لما ذكر اسمه و اظهر عيبه صار مغتابا،و قد كان له الاغتمام بدون ذكر اسمه و عيبه ممكنا فاوقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب حزنه و رحمته.

الثامن-التعجب من صدور المنكر و الغضب للّه عليه،بأن يرى منكرا من انسان أو سمعه،فيقول عند جماعه:ما اعجب من فلان أن يتعارف مثل هذا المنكر!أو يغضب منه،فيظهر غضبه و اسمه و منكره، فانه وإن كان صادقا فى تعجبه من المنكر و غضبه عليه،لكن كان اللازم ان يتعجب منه و يغضب عليه،و لكنه لا يظهر اسمه عند من لم يطلع على ما صدر منه المنكر،بل يظهر غضبه عليه بالنهى عن المنكر و الأمر بالمعروف من غير أن يظهره لغيره،فلما أوقعه الشيطان فى ذكره بالسوء صار مغتابا و بطل ثواب تعجبه و غضبه،و صار آثما من حيث لا يدرى.

و هذه الثلاثه الأخيره مما يغمض دركها،لأن أكثر الناس يظنون أن الرحمه و التعجب و الغضب إذا كان للّه كان عذرا فى ذكر الاسم، و هو خطأ محض،إذ المرخص فى الغيبه حاجات مخصوصه لا مندوحه فيها عن ذكر الاسم دون غيرها، و قد روى:«أن رجلا مر على قوم فى عصر النبى-صلى اللّه عليه و آله-،فلما جاوزهم،قال رجل منهم:إنى أبغض هذا الرجل للّه،فقال القوم:و اللّه لبئس ما قلت!و إنا نخبره بذلك،فاخبروه به،فاتى الرجل رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و حكى له ما قال،و سأله أن يدعوه.فدعاه،و سأله عما قال فى حقه

فقال:نعم!قد قلت ذلک.فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

و لم تبغضه؟فقال:أنا جاره و أنا به خبیر،و اللّه ما رأیته یصلی صلاه قط إلا هذه المکتوبه!فقال:یا رسول اللّه،فاسأله هل رآنی أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها و الرکوع و السجود؟فسأله،فقال:لا فقال:و اللّه ما رأیته یصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذی یصومه کل بر و فاجر!قال:فاسأله یا رسول اللّه هل رآنی افطرت فیه أو نقصت من حقه شیئا؟فسأله،فقال:لا!فقال:و اللّه ما رأیته یعطی سائلا قط و لا مسکینا،و لا رأیته ینفق من ماله شیئا فی سبیل الخیر إلا هذه الزکاه التی یؤدیها البر و الفاجر!قال:فاسأله هل رآنی نقصت منها شیئا أو ما کست فیها طالبها الذی یسألها؟فسأله فقال:لا!فقال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-للرجل:قم،فلعله خیر منک».و لا ریب فی أن إنکار القوم علیه بعد قوله أبغضه للّه یفید عدم جواز إظهار المنکر الصادر من شخص لغیره،و إن کان فی مقام الغضب و البغض للّه.

فصل ذم الغیبه

لما علمت حقیقه الغیبه و بواعثها،فأعلم أنها أعظم المهلکات و أشد المعاصی،و قد نص اللّه سبحانه علی ذمها فی کتابه،و شبه صاحبها بآکل لحم المیته،فقال: وَ لاٰ تَجَسَّسُوا وَ لاٰ یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً،أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ

أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ

(۱)

.و قـال: لاٰ يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّٰ مَنْ ظُلِمَ وَ كٰانَ اللّٰهُ سَمِيعاً عَلِيماً (۲).و قال: مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ .(۳)

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«المسلم على المسلم حرام دمه و ماله و عرضه».و الغيبه تتناول العرض.و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إياكم و الغيبه،فان الغيبه أشد من الزنا،فان الرجل قد يزنى و يتوب فيتوب اللّه عليه،و إن صاحب الغيبه لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«مررت ليله أسرى بى على قوم يخمشون وجوهم باظافيرهم،فقلت:يا جبرئيل،من هؤلاء؟قال الذين يغتابون الناس،و يقعون فى اعراضهم». و خطب-صلى اللّه عليه و آله يوما حتى أسمع العواتق فى بيوتها،فقال:«يا معشر من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه!لا تغتابوا المسلمين،و لا تتبعوا عوراتهم،فان من تتبع عوره أخيه يتتبع اللّه عورته حتى يفضحه فى جوف بيته».و خطب صلى اللّه عليه و آله يوما فذكر الربا و عظم شأنه،فقال:«إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند اللّه فى الخطيئه من ست و ثلاثين زنيه يزنيها الرجل،و إن أربى الربا عرض الرجل المسلم».و مر-صلى اللّه عليه و آله-على قبرين يعذب صاحباهما،فقال:«إنهما ليعذبان فى كبيره،

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۱۲.

۲- ۲) النساء،الآيه:۱۴۷.

۳- ۳) ق،الآيه:۱۸.

أما أحدهما فكان يغتاب الناس،و اما الآخر فكان لا يستبرى من بوله» و دعا بجريده رطبه أو جريدتين فكسرهما،ثم أمر بكل كسره فغرست على قبره،و قال:«أما إنه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين»و روى «أنه-صلى اللّه عليه و آله-أمر الناس بصوم يوم،و قال:لا يفطرن أحد حتى آذن له.فصام الناس،حتى إذا أمسوا،جعل الرجل يجيء فيقول:يا رسول اللّه،ظلت صائما فاذن لى لأفطر،فيأذن له،و الرجل و الرجل،حتى جاء رجل،فقال:يا رسول اللّه،فتاتان من أهلى ظلتا صائمتين،و انهما تستحيان أن تأتياك،فأذن لهما لتفطرا.فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه.ثم عاوده،فقال:انهما لم تصوما،و كيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس،أذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا.فرجع إليهما،فاخبرهما،فاستقاءتا،فقاءت كل واحده منهما حلقه من دم.فرجع إلى النبى صلى اللّه عليه و آله فاخبره،فقال:و الذى نفس محمد بيده!لو بقيتا فى بطنيهما لاكلتهما النار».و أوحى اللّه تعالى الى موسى عليه السلام:«من مات تائبا من الغيبه فهو آخر من يدخل الجنه،و من مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار».و قال صلى اللّه عليه و آله:«من مشى فى غيبه أخيه و كشف عورته كانت أول خطوه خطاها و ضعها فى جهنم،فكشف اللّه عورته على رءوس الخلائق.

و من اغتاب مسلما،بطل صومه و نقض وضوءه،فان مات و هو كذلك مات و هو مستحل لما حرم اللّه».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الغيبه أسرع فى دين الرجل المسلم من الاكله فى جوفه» (۱).و قال-صلى اللّه

۱- ۱) الروايه مذكوره فى(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۷.قال فى الموضع المذكور:«بيان:الاكله-كفرحه-داء فى العضو يأتكل منه،و قد يقرأ بمد الهمزه على وزن فاعله،أى العله التى تأكل اللحم.و الأول أوفق باللغه.و قيل الاكله-بالضم-اللقمه،و كلاهما محتملان إلى أن ذكر الجوف يؤيد الأول و إراده الإضافه و الاذهاب يؤيد الثانى و الأول أقرب و أصوب،و تشبيه الغيبه بأكل اللقمه أنسب،لأن اللّه سبحانه شبهها بأكل اللحم».

علیه و آله-:«الجلوس فی المسجد انتظارا للصلاه عباده،ما لم یحدث»، فقیل:یا رسول اللّه،و ما الحدث؟قال:«الاغتیاب».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من اغتاب مسلما أو مسلمه لم یقبل اللّه صلاته و لا صیامه أربعین یوما و لیله،إلا أن یغفر له صاحبه».و قال-صلی اللّه علیه و آله:«من اغتاب مسلما فی شهر رمضان لم یؤجر علی صیامه»و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«من اغتاب مؤمنا بما فیه،لم یجمع اللّه بینهما فی الجنه أبدا،و من اغتاب مؤمنا بما لیس فیه،انقطعت العصمه بینهما، و کان المغتاب فی النار خالدا فیها و بئس المصیر».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«کذب من زعم أنه ولد من حلال و هو یأکل لحوم الناس بالغیبه.فاجتنب الغیبه فانها إدام کلاب النار».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ما عمر مجلس بالغیبه إلا خرب بالدین،فنزهوا أسماعکم من من استماع الغیبه،فان القائل و المستمع لها شریکان فی الإثم».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«ما النار فی التبن بأسرع من الغیبه فی حسنه العبد» (۱) و قال الصادق علیه السلام:«من قال فی مؤمن ما رأته عیناه و سمعته أذناه،فهو من الذین قال اللّه عز و جل: إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفٰاحِشَةُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ ».و قال علیه السلام:

«من روی علی مؤمن روایه یرید بها شینه و هدم مروته لیسقط من أعین

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(الوسائل):کتاب الحج،ابواب احکام العشره،الباب ۱۵۲.و علی(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۷.و علی(المستدرک): ۲-۱۰۶ و علی(احیاء العلوم):۳-۱۲۳.

الناس،اخرجه اللّه من ولايته إلى ولايه الشيطان،فلا يقبله الشيطان».

و قال عليه السلام:«من اغتاب أخاه المؤمن من غير تره بينهما فهو شرك شيطان» (۱).و قال عليه السلام:«الغيبه حرام على كل مسلم،و انها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

و الأخبار الوارده فى ذم الغيبه مما لا يكاد يمكن حصرها،و ما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين.و العقل أيضا حاكم بأنها أخبث الرذائل،و قد كان السلف لا يرون العباده فى الصوم و الصلاه،بل فى الكف عن اعراض الناس،لأنه كان عندهم أفضل الأعمال،و يرون خلافه صفه المنافقين، و يعتقدون أن الوصول إلى المراتب العاليه فى الجنه يتوقف على ترك الغيبه، لما ورد عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-أنه قال:«من حسنت صلاته و كثرت عياله،و قل ماله،و لم يغتب المسلمين،كان معى فى الجنه كهاتين» و ما أقبح بالرجل المسلم أن يغفل عن عيوب نفسه،و يتجسس على عيوب اخوانه،و يظهرها بين الناس،فما باله يبصر القذى فى عين أخيه،و لا يبصر الجذع فى عين نفسه.

فيا حبيبى،اذا أردت أن تذكر عيوب غيرك،فاذكر عيوبك،و تيقن بأنك لن تصيب حقيقه الايمان،حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك،و حتى تبدأ باصلاح ذلك العيب.و إذا كان شغلك إصلاح عيوب نفسك،كان شغلك فى خاصه نفسك،و لم تكن لك فرصه للاشتغال بغيرك،و حينئذ كنت من أحب العباد إلى اللّه،لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس!».و اعلم أن عجز غيرك فى الاجتناب عن ذلك العيب و صعوبه ازالته عليه كعجزك عن الاجتناب عنه إن كان ذلك

ص: ۳۱۵

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث الثلاثه على(الوسائل)فى الموضع المتقدم.و على (أصول الكافى)باب الغيبه و البهت.و على(المستدرك).

العيب فعلا اختياريا،و إن كان أمرا خلقيا،فالذم له ذم للخالق تعالى.

فإن من ذم صنعه فقد ذم صانعها.قيل لبعض الحكماء:يا قبيح الوجه! فقال:«ما كان خلق وجهى إلى فاحسنه».و لو فرض براءتک عن جميع العيوب،فلتشكر اللّه،و لا تلوث نفسک بأعظم العيوب.إذا أكل لحوم الميتات أشد العيوب و أقبحها،مع انک لو ظننت خلوّک عن جميع العيوب لكنت أجهل الناس،و لا عيب أعظم من مثل هذا الجهل.

ثم ينبغى أن يعلم المغتاب ان الغيبه تحبط حسناته و تزيد فى سيئاته.لما ثبت من الأخبار الكثيره:ان الغيبه تنقل حسنات المغتاب يوم القيامه إلى من اغتابه،و ان لم تكن له حسنه نقل إليه من سيئاته.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«يؤتى أحدكم يوم القيامه،فيوقف بين يدى اللّه تعالى و يدفع إليه كتابه،فلا يرى حسناته،فيقول:إلهى ليس هذا كتابى، فإنى لا أرى فيه طاعتى،فيقول له:إن ربک لا يضل و لا ينسى،ذهب عملک باغتياب الناس.ثم يؤتى بآخر و يدفع إليه كتابه،فيرى فيه طاعات كثيره،فيقول:إلهى ما هذا كتابى،فإنى ما عملت هذه الطاعات،فيقول له:إن فلانا اغتابک فدفعت حسناته إليک».و فى معناه أخبار اخر.

و لا ريب فى أن العبد يدخل النار بأن تترجح كفه سيئاته،و ربما تنقل إليه سيئه واحده مما اغتاب به مسلما،فيحصل به الرجحان و يدخل لأجله النار.

و أقل ما فى الباب أن ينقص من ثواب صالحات أعماله،و ذلک بعد المخاصمه و المطالبه و السؤال و الجواب و المناقشه فى الحساب.و روى عن بعضهم:

«أن رجلا قيل له:ان فلانا قد اغتابک،فبعث إليه طبقا من الرطب، و قال:بلغنى أنک قد أهديت الى من حسناتک،فأردت أن أكافيک عليها فاعذرنى،فانى لا أقدر أن أكافيک على التمام».

و الحاصل:أن العاقل ينبغى أن يتأمل فى أن من يغتابه ان كان

صـديقا و محبا له،فاظهار عيوبه و عثراته بعيـد عن المروه و الإنصاف،و ان كان عدوا له،فتحمل خطاياه و معاصـيه و نقل حسـناته إلى ديوانه غايه الحماقه و الجهل.

فصل علاج الغيبه

الطريق فى علاج الغيبه و تركها،أن يتـذكر أولا ما تقـدم من مفاسـدها الأخرويه،ثم يتـذكر مفاسدها فى الدنيا،فإنه قد تصل الغيبه إلى من اغتيب،فتصـير منشأ لعـداوته أو لزياده عـداوته،فيتعرض لايـذاء المغتاب و اهانته،و ربما انجر الأمر بينهما إلى ما لا يمكن تـداركه من الضـرب و القتل و أمثال ذلك.ثم يتذكر فوائد أضدادها-كما نشـير إليها-،و بعد ذلك فليراقب لسانه،و يقدم التروى فى كل كلام يريد أن يتكلم به،فان تضمن غيبه سكت عنه،و كلف نفسه ذلك على الاستمرار،حتى يرتفع عن نفسه الميل الجلى و الخفى إلى الغيبه.

و العمده فى العلاج أن يقطع أسـبابها المذكوره،و قد تقدم علاج الغضب و الحقد و الحسد و الاسـتهزاء و السخريه،و يأتى طريق العلاـج فى الهزل و المطايبه و الافتخار و المباهاه.و أما تنزيه النفس بنسـبه ما نسب إليه من الجنايه إلى الغير،فمعالجته أن يعلم أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق،و من اغتاب تعرض لمقت اللّه و سـخطه قطعا،و لا يدرى أنه يتخلص من سخط الناس أم لا،فيحصل بعمله ذم اللّه و سخطه تقديرا،و ينتظر دفع ذم الناس نسيئه،و هذا غايه الجهل و الخذلان.

و أمـا تعرضـه لمشـاركه الغير فى الفعـل تمهيـدا لعـذر نفسـه،كـأن يقـول إنى أكلـت الحرام،لأـن فلانـا أيضـا أكـل،و قبلت مـال السلطان،لأن فلانا

أیضا قبل،مع أنه أعلم منی،فلا ریب فی أنه جهل و سفه،لأنه اعتذر بالاقتداء بمن لا یجوز الاقتداء به.فان من خالف اللّه لا یقتدی به کائنا من کان،فلو دخل غیره النار و هو یقـدر علی عـدم الـدخول فهل یقتدی به فی الدخول،و لو دخل عد سـفیا أحمق،ففعله معصـیه،و عذره غیبه و غباوه،فجمع بین المعصـیتین و الحماقه،و مثله کمثل الشاه،اذا نظرت الی العنز تردی نفسـها من الجبل فهی أیضا تردی نفسها،و لو کان لها لسان ناطق و اعتذرت عن فعلها بأن العنز اکیس منی و قد اهلکت نفسها فکذلک فعلت أنا،لکان هذا المغتاب المعتذر یضحک علیها،مع أن حاله مثل حالها و لا یضحک علی نفسه.

و العجب أن بعض الأشقیاء من العوام،لما صارت قلوبهم عش الشیطان و صرفوا أعمارهم فی المعاصی،و اشتغلت ذممهم بمظالم الناس بحیث لا یرجی لهم الخلاص،مالت نفوسـهم الخبیثه إلی ألا یکون معاد و حساب و حشـر و عقاب،و لما وجد ذلک المیل منهم اللعین،خرج من الکمین، و وسوس فی صدورهم بأنواع الشکوک و الشبهات،حتی ضعف بها عقائدهم أو افسدها،و دعاهم فی مقام الاعتذار عن أعمالهم الخبیثه ألا یصرحوا بما ارتکز فی قلوبهم و یشتهونه،خوفا من القتل و أجراء أحکام الکفار علیهم و لم یـدعهم أیضـا تلبیسـهم و تزویرهم و غلبه الشـیطنه علیهم أن یعترفوا بـالنقص و سوء الحـال فحملهم الشـیطان بـاغوائه علی أن یعتـذروا من سـوء فعـالهم بـأن بعض العلمـاء یفعلون مـا نفعـل و لاـ یجتنبون عن مثـل أعمالنـا،من طلب الرئـاسه و أخـذ الأـموال المحرمه،و لم یدروا أن هذا القول ناش من جهلهم و خباثتهم.

إذ تقول لهم:إن فعل هذا البعض إن صار منشأ لزوال ایمانکم بالمعاد و الحساب،فأنتم کافرون،و باعث أعمالکم الخبیثه هو الکفر و عدم الاذعان بأحوال النشأه الآخره.و إن لم یصر منشأ له،بل ایمانکم ثابت،

فاللازم عليكم العمل بمقتضاه،من غير تزلزل بعمل الغير كائنا من كان.

فما الحجه فى عمل هذا البعض،مع اعتقادكم بأنه على باطل؟!.

و أيضا لو كان باعث أعمالكم الخبيثه فعل العلماء،فلم اقتديتم بهذا البعض مع عدم كونه من علماء الآخره و عدم اطلاعه على حقيقه العلم؟ و لو كنتم صادقين فيما تنسبون إليه،فهو المتأكل بعلمه،و انما حصل نبذا من علوم الدنيا ليتوسل بها إلى حطامها،و لا يعد مثله عند أولى الألباب عالما،بل هو متشبه بالعلماء.و لم ما اقتديتم بعلماء الآخره المتخلفين بشراشرهم عن الدنيا و حطامها؟و إنكار وجود مثلهم،و القدح فى الكل مع كثرتهم فى أقطار الأرض غايه اللجاج و العناد.و لو سلمنا منكم ذلك،فلم ما اقتديتم بطوائف الأنبياء و الأوصياء،مع أنهم أعلم الناس باتفاق الكل،و حقيقه العلم ليس إلا عندهم؟فان أنكروا أعلميتهم و عصمتهم من المعاصى، و احتملوا كونهم أمثالا لهم،ظهر ما فى بواطنهم من الكفر الخفى.

و أما موافقه الاقران،فعلاجه أن يتذكر ان اللّه يسخط عليه و يبغضه اذا اختار رضا المخلوقين على رضاه،و كيف يرضى المؤمن ان يترك رضا ربه لرضا بعض أراذل الناس؟و هل هذا إلا كونه تعالى أهون عنده منهم؟ و هو ينافى الايمان.

و أما استشعاره من رجل انه يقبح عند محتشم حاله أو يشهد عليه بشهاده فيبادره بالغيبه اسقاطا لأثر كلامه،فعلاجه أن يعلم: (أولا)ان مجرد الاستشعار لا يستلزم الوقوع،فلعله لا يقبح حاله و لا يشهد عليه،فالمواخذه بمحض التوهم تنافى الديانه و الايمان. و(ثانيا)ان اقتضاء قوله سقوط أثر كلام من اغتابه فى حقه مجرد توهم،و التعرض لمقت اللّه يقينا بمجرد توهم ترتب فائده دنيويه عليه محض الجهل و الحماقه، و(ثالثا)أن تأدى فعل الغير-أعنى تقبيح حاله عند محتشم مع فرض وقوعه-الى اضراره فى حيز

الشک،إذ ربما لم یقبله المحتشم،و ربما لم تقبل شـهادته شـرعا،فتقبیح حاله و تحمل معاصـیه بدون الجزم بصیرورته سببا لایذائه محض الجهل و الخذلان.

و أمـا الرحمه له علی اثمه و التعجب منه و الغضب للّه علیه،و إن کان کل منها حسـنا،الا أنه إذا لم تکن معه غیبه،و أما إذا کانت معه غیبه أحبط أجره و بقی اثمها،فالعلاج ان یتأمل باعث الرحمه و التعجب و الغضب هو الایمان و حمایه الـدین،و إذا کان معها غیبه أضـرت بالـدین و الایمـان، و لیس شـیء من الأـمور الثلاـث ملزوما للغیبه لإمکان تحققه بـدونها،فمقتضـی الایمان و حمایه الدین أن یترحم و یتعجب و یغضب للّه،مع ترک الغیبه و إظهار الإثم و العیب،لیکون مأجورا غیر آثم.

فصل مسوغات الغیبه

لمـا عرفت ان الغیبه ذکر الغیر بمـا یکرهه لو سـمعه،فـاعلم ان ذلک انما یحرم إذا قصـد به هتک عرضه،و التفکه به،أو اضـحاک الناس منه.و اما اذا کان ذلک لغرض صحیح لا یمکن التوصل إلیه إلا به.فلا یحرم، و الأغراض الصحیحه المرخصه له أمور.

الأول-النظلم عنـد من له رتبه الحکم و احقاق الحقوق،کالقضاه و المفتین و السـلاطین،فان نسـبه الظلم و السوء إلی الغیر عندهم لاستیفاء الحق جائز،لقول النبی صـلی اللّه علیه و آله:«لصاحب الحق مقال»،و قوله صـلی اللّه علیه و آله«لیّ الواجـد یحل عرضه و عقوبته»و عدم إنکاره صلی اللّه علیه و آله علی قول هند بحضرته:إن أبا سفیان رجل شحیح لا یعطینی ما یکفینی إیای و ولدی،أ فآخذ من غیر علمه؟و قوله-صلی اللّه علیه و آله-

لها:«خذى ما يكفيك و ولدك بالمعروف».

الثانى-الاستعانه على رفع المنكر و رد المعاصى إلى الصلاح،و انما يستباح بها ذكر مساءته بالقصد الصحيح لا بدونه.

الثالث-نصح المستشير فى التزويج،و ايداع الأمانه،و امثالهما.

كذلك جرح الشاهد و المفتى و القاضى إذا سئل عنهم،فله ان يذكر ما يعرفه من عدم العداله و الأهليه للافتاء و القضاء،بشرط صحه القصد و إراده الهدايه و عدم باعث حسد أو تلبيس من الشيطان،و كذلك توقى المسلمين من الشر و الضرر أو سرايه الفسق و البدعه،فإن من رأى عالما أو غيره من المؤمنين يتردد إلى ذى شر أو فاسق أو مبتدع،و خاف أن يتضرر و يتعدى إليه الفسق و البدعه بمصاحبته.يجوز له أن يكشف له ما يعرفه من شره و فسقه و بدعته.بشرط كون الباعث مجرد خوف وصول الشر و الفساد أو سرايه الفسق و البدعه إليه. قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أ ترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس؟اذكروه بما فيه يحذره الناس».

و من جمله ما يدخل فى تحذير المسلمين و توقيهم من الشر و الضرر،إظهار عيب يعلمه فى مبيع،و إن كرهه البايع،حفظا للمشترى من الضرر.مثل أن يشترى عبدا،و قد عرفه بالسرقه أو الفسق أو عيب آخر،أو فرسا،و قد عرفه بكونه مال الغير،فله أن يظهر ذلك،لاستلزام سكوته ضررا على المشترى.

الرابع-رد من ادعى نسبا ليس له.

الخامس-القدح فى مقاله أو دعوى باطله فى الدين.

السابع-ضروره التعريف،فانه إذا كان أحد معروفا بلقب يعرب عن عيب،و توقف تعريفه عليه،و لم يكن اثم فى ذكره،بشرط عدم إمكان التعريف بعباره أخرى،لفعل الرواه و العلماء فى الاعصار و الامصار

فانهم یقولون:روی الأعمش و الأعرج و غیر ذلک،لأن الغالب صیرورته بحیث لا یکرهه صاحبه.

الثامن-کون المقول فیه مستحقا للاستخفاف،لتظاهره و تجاهره بفسق،کالظلم و الزنا و شرب الخمر و غیر ذلک،بشرط عدم التعدی عما یتظاهر به،اذ لو ذکره بغیر ما یتظاهر به لکان اثما،و أما إذا ذکر منه مجرد ما یتجاهر به فلا اثم علیه،اذ صاحبه لا یستنکف من ذکره،و ربما یتفاخر به و یقصد إظهاره.و مع قطع النظر عن ذلک،فالأخبار داله علیه، کما تقدم جمله منها. و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من القی جلباب الحیاء من وجهه فلا غیبه له».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«لیس لفاسق غیبه».

و الظاهر أن ذکر ما یتجاهر به من العیوب لیس غیبه،لا شرعا و لا لغه،لا انه غیبه استثنی جوازها شرعا،قال الجوهری:«الغیبه أن یتکلم خلف انسان مستور بما یغمه لو سمعه،فان کان صدقا سمی غیبه و إن کان کذبا سمی بهتانا».

هذا و قد صرح جماعه بجواز الغیبه فی موضعین آخرین:أحدهما:

أن یکون اثنان أو أکثر مطلعین علی عیب رجل،فیقع تحاکیه بینهم من غیر أن یظهروه لغیرهم ممن لم یطلع علیه،و فی بعض الأخبار المتقدمه دلاله علی جوازه،کما لا یخفی.و ثانیهما:أن یکون متعلقها-اعنی المقول فیه-غیر محصور،کأن یقال:«قال قوم کذا،أو أهل البلد الفلانی کذا».و مثله إذا قال:«بعض الناس یقول أو یفعل کذا،أو من مر بنا الیوم شأنه کذا»،اذا لم یتعین البعض و المار عند المخاطب،و لو انتقل إلی شخص معین لقیام بعض القرائن،کانت غیبه محرمه،و کذا لو قال:«بعض من قدم من السفر،أو بعض من یدعی العلم»،إن

كان معه قرينه يفهم عين الشخص فهو غيبه و إلا فلا.و كذا ذكر مصنف فى كتابه فاضلا معينا،و تهجين كلامه بلا اقتران شىء من الاعذار المحوجه الى ذكره غيبه،و أما لو ذكره بدون تعيينه،كأن يقول:«و من الفضلاء من صدر عنه فى المقام هفوه أو عثره»،فليس غيبه. ثم السر فى اشتراط الغيبه بكونه تعريضا لشخص معين،و عدم كون التعرض بالمبهم و غير المحصور غيبه،عدم حصول الكراهه مع الإبهام و عدم الانحصار،كما لا يخفى.و ربما كان فى بعض الأخبار أيضا اشعار به،و قد كان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-اذا كره من انسان شيئا يقول:«ما بال أقوام يفعلون كذا و كذا»من دون تعيين للفاعل.

تذنيب كفاره الغيبه

كفاره الغيبه-بعد التوبه و الندم للخروج عن حق اللّه-أن يخرج من حق من اغتابه.و طريق الخروج من حقه،إن كان ميتا أو غائبا لم يمكن الوصول إليه،أن يكثر له من الاستغفار و الدعاء،ليحسب ذلك يوم القيامه من حسناته و يقابل بها سيئه الغيبه،و إن حيا يمكن الوصول اليه و لم تبلغ إليه الغيبه،و كان فى بلوغها إليه مظنه العداوه و الفتنه،فليكثر له أيضا من الدعاء و الاستغفار،من دون ان يخبره بها،و إن بلغت إليه أو لم تبلغه،و لم يكن فى بلوغها ظن الفتنه و العداوه،فليستحله متعذرا متأسفا مبالغا فى الثناء عليه و التودد إليه،و ليواظب على ذلك حتى يطيب قلبه و يحله فان لم يطب قلبه من ذلك و لم يحله،كان اعتذاره و تودده حسنه يقابل بها سيئه الغيبه فى القيامه.

و الدليل على هذا التفصيل قول الصادق عليه السلام:«و إن اغتبت فبلغ المغتاب،فاستحل منه،فان لم تبلغه لم تلحقه،فاستغفر اللّه» (۱)و ذلک لأن فی الاستحلال مع عدم البلوغ إلیه إثاره للفتنه و جلب الضغائن و فی حکم من لم یبلغه من لم یقدر علی الوصول إلیه بموت أو غیبه،و علی هذا فقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«کفاره من اغتبته أن تستغفر له»،محمول علی صوره عدم إمکان الوصول إلیه،أو إمکانه مع إیجاب الاعلام و الاستحلال لإثاره الفتنه و العداوه.و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:

«من کانت لأخیه عنده مظلمه فی عرض أو مال،فلیتحللها منه من قبل أن یأتی یوم لیس هناک دینار و لا درهم،إنما یؤخذ من حسناته، فان لم تکن له حسنات أخذ من سیئات صاحبه فزیدت علی سیئاته»، محمول علی صوره البلوغ،مع عدم إیجاب الاعلام و الاستحلال فتنه و عداوه.

تتمیم البهتان

قد ظهر مما تقدم أن البهتان أن تقول فی مسلم ما یکرهه و لم یکن فیه،فان کان ذلک فی غیبته کان کذبا و غیبه،و إن کان بحضوره کان أشد أنواع الکذب.و علی ای تقدیر،فهو أشد إثما من الغیبه و الکذب قال اللّه سبحانه:

وَ مَنْ یَکْسِبْ خَطِیئَهً أَوْ إِثْماً ثُمَّ یَرْمِ بِهِ بَرِیئاً فَقَدِ

۱- ۱) هذا جزء من الحدیث المتقدم عن مصباح(الشریعه):۲۸۹،الباب ۴۹ فصححناه علیه.

اِحْتَمَلَ بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«من بهت مؤمنا أو مؤمنه،أو قال فيه ما ليس فيه،أقامه اللّه على تل من نار،حتى يخرج مما قاله فيه».و قال الصادق عليه السلام:«من بهت مؤمنا أو مؤمنه بما ليس فيه،بعثه اللّه عز و جل فى طينه خبال،حتى يخرج مما قال» قلت:و ما طينه خبال؟قال:«صديد يخرج من فروج المومسات» (۲) ثم ما ورد فى ذم اللسان و كونه شر الأعضاء و منبع أكثر المعاصى-كما يأتى فى موضعه-يدل على ذم الغيبه و البهتان،كما يدل على ذم جميع آفات اللسان مما تقدم:من الفحش،و اللعن،و الطعن،و السخريه،و غير ذلك،و ما يأتى:من الكذب،و المزاح،و الخوض فى الباطل.و فضول الكلام،و غير ذلك.

وصل المدح و مواضع حسنه و قبحه

الغيبه لما كانت راجعه إلى الذم،فضدها المدح و دفع الذم،و البهتان لما كان كذبا،فضده الصدق.و كما أن لكل واحده من آفات اللسان مما مر و مما يأتى ضدا خاصا،فكذلك لجميعها ضد واحد عام هو الصمت -كما أشير إليه فيما سبق أيضا و ضد البهتان-أعنى الصدق-يأتى فى

۱- ۱) النساء،الآيه:۱۱۱.

۲- ۲) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب الغيبه و البهتان. و على(الوسائل):كتاب الحج،باب تحريم البهتان فى المؤمن.و على(المستدرك): ۱۰۷،كتاب الحج،باب تحريم البهتان للمؤمن.

مقام بيان الكـذب.و أما الضد العام لكل،فقد يأتى فى موضـعه مع ما يدل بعمومه على ذم جميع آفات اللسان،فهنا نشـير إلى بيان المدح و ما يحمد منه،حتى يكون ضدا لها و فضيله للقوه الغضبيه أو الشهويه،و ما يذم منه حتى يكون رذيله لاحدهما،فنقول:

لا ريب فى أن مـدح المؤمن فى غيبته و حضوره ممـدوح منـدوب إليه لكونه ادخالا للسـرور عليه،و قـد علم مدحه و ثوابه،و لما ورد من أن رسـول اللّه-صـلى اللّه عليه و آله-أثنى على أصـحابه،و أنه قـال لجمـاعه -لمـا اثنوا على بعض الموتى-:«وجبت لكم الجنه،و أنتم شـهداء اللّه فى الأـرض» و لمـا ورد من«أن لبنى آدم جلسـاء من الملاـئكه،فـإذا ذكر أحـد أخـاه المسـلم بخير،قالت الملائكه:و لك مثله،و إذا ذكره بسوء،قالت الملائكه:

يا ابن آدم المسـتور عورته،اربع على نفسك!و أحمـد اللّه إذ ستر عورتك» و لكنه ليس راجحا مندوبا على الإطلاق،بل إذا سـلم من آفـاته،و هى أن يكون صـدقا لاـ يفرط المـادح فيه،بحيث ينتهى إلى الكـذب،و ألاـ يكون المـادح فيه مرائيا منافقا،بأن يكون غرضه إظهار الحب مع عدم كونه محبا فى الواقع سواء كان صادقا فيما ينسـبه إليه من المدح أم لا،و ألا يمدح الظالم و الفاسق و إن كان صادقا فيما يقول فى حقه،لأنه يفرح بمدحه و إدخال الفرح على الظالم أو الفاسق غير جائز،قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«إن اللّه ليغضب إذا مـدح الفاسق».فالظالم الفاسق ينبغى أن يـذم ليغتم،و لا يمدح ليفرح،و ألا يقول ما لا يتحققه و لا سبيل له الى الاطلاع عليه.

و هـذه الآـفه إنمـا تتطرق فى المـدح بالأوصاف المطلقه و الخفيه،كقولك إنه تقى ورع زاهـد خير،أو قولك:إنه عـدل رضـى،و أمثال ذلك،

لتوقف الصدق فی ذلک علی قیام الأدله و الخبره الباطنه،و تحققهما فی غایه الندره.فالغالب أن المدح بامثال ذلک یکون من غیر تحقق و تثبت، و ألا یحدث فی الممدوح کبرا أو اعجابا یوجبان هلاکه،و لا رضی عن نفسه یوجب فتوره عن العمل،إذ من أطلقت الألسنه بالثناء علیه یرضی عن نفسه،و یظن أنه قد أدرک،و هذا یوجب فتوره عن العمل،إذ المتشمر له إنما هو من یری نفسه مقصرا،و لذلک قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:لرجل مدح بحضرته رجلا آخر:«ویحک!قطعت عنق صاحبک،لو سمعها ما أفلح»و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«اذا مدحت أخاک فی وجهه،فکأنما أمررت علی حلقه الموسی»و قال أیضا لمن مدح رجلا:«عقرت الرجل عقرک اللّه!».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«لو مشی رجل إلی رجل بسکین مرهف،کان خیرا له من أن یثنی علیه فی وجهه».

و السر فی هذه الأخبار:أن المدح یوجب الفتور عن العمل،أو الکبر أو العجب،و هو مهلک،کقطع العنق و العقر و إمرار الموسی أو السکین علی الحلق،فان سلم المدح عن الآفات المذکوره المتعلقه بالمادح و الممدوح کان ممدوحا،و إلا کان مذموما.و بذلک یحصل الجمع بین ما ورد فی مدحه-کما تقدم-و ما ورد فی ذمه.

فاللازم علی المادح أن یحترز عما تقدم من الآفات المتعلقه به،و علی الممدوح أن یحترز من آفه الکبر و العجب و الفتور و الریاء،بأن یعرف نفسه و یتذکر خطر الخاتمه،و لا یغفل عن دقائق الریاء،و یظهر کراهه المدح،و إلیه الإشاره بقوله-صلی اللّه علیه و آله-:«احثوا التراب فی وجوه المداحین». و بالجمله:اللازم علی الممدوح ألا یتفاوت حاله بالمدح،و هذا فرع معرفه نفسه،و تذکر ما لا یعرفه المادح من عثراته

و ینبغی أن یظهر أنه لیس کما عرفوه،قال بعض الصالحین لما اثنی علیه «اللهم إن هؤلاء لا یعرفونی و أنت تعرفنی».و قال أمیر المؤمنین علیه السلام لما أثنی علیه:«اللهم اغفر لی ما لا یعلمون،و لا تؤاخذنی بما یقولون،و اجعلنی خیرا مما یظنون».

ثم الظاهر عدم المؤاخذه و الإثم بالانبساط و الارتیاح بالمدح،لکون النفوس مجبوله علی الفرح و السرور بنسبه الکمال إلیها،و لکن بشرط أن یکره من نفسه ذلک الارتیاح،و یقهر نفسه و یعاتبها علی ذلک،و یجتهد فی إزاله ذلک عنها،إذ مقتضی العقل الفرح بوجود الکمال فیه لا بنسبته الیه،فما ینسب إلیه منه إن کان موجودا فیه،فینبغی أن یکون فرحه به لا بنسبته إلیه،إذ الانبساط بتصریح رجل بأنک صاحب هذا الکمال حمق و سفه.و إن لم یکن موجودا فیه،فاللازم أن یحزن و یغضب،لکونه استهزاء لا مدحا. و الحاصل:أن العاقل ینبغی ألا یسر بمدح الغیر و لا یحزن بذمه،إذ من ملک یاقوته شریفه حمراء أی ضرر علیه إذا قال رجل إنها خرزه،و إذا ملک خرزه أی فائده له إذا قال انها یاقوته.

و منها:

اشاره

الکذب

و هو إما فی القول،أی الإخبار عن الأشیاء علی خلاف ما هی علیه و صدوره إما عن العداوه أو الحسد أو الغضب،فیکون من رذائل قوه الغضب،أو من حب المال و الطمع،أو الاعتیاد الحاصل من مخالطه أهل الکذب،فیکون من رذائل قوه الشهوه.

أو فی النیه و الاراده،و هو عدم تمحیضها باللّه،بألا یکون اللّه

ص :۳۲۸

سبحانه بانفراده باعث طاعاته و حركاته،بل يمازجه شىء من حظوظ النفس.و هذا يرجع إلى الرياء،و يأتى كونه من رذائل أىّ قوه.

و إما فى العزم،أى الجزم على الخير،و ذلک بأن يعزم على شىء من الخيرات و القربات،و يكون فى عزمه نوع ميل و ضعف و تردد يضاد الصدق فى العزيمه،و هذا أيضا من رداءه قوه الشهوه.

و إما فى الوفاء بالعزم،فان النفس قد تسخو بالعزم فى الحال، لعدم مشقه فى الوعد،فإذا حقت الحقائق،و حصل التمكن،و هاجت الشهوات،انحلت العزيمه،و لم يتفق الوفاء بالعزم،و هذا أيضا من رذائل قوه الشهوه و من أنواع الشره.

و إما فى الأعمال،و هو ان تدل أعماله الظاهره على أمر فى باطنه لا يتصف هو به،أى لا يكون باطنه مثل ظاهره و لا خيرا منه.و هذا غير الرياء،لأن المرائى هو الذى يقصد غير اللّه تعالى فى أعماله،و رب واقف على هيئه الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهده غيره سبحانه و لكن قلبه غافل عن اللّه و عن الصلاه،فمن نظر إلى ما يصدر عن ظاهره من الخشوع و الاستكانه،يظن انه بشراشره منقطع إلى جناب ربه،و حذف ما سواه عن صحيفه قلبه،و هو بكليته عنه تعالى غافل،و إلى أمره من أمور الدنيا متوجه.و كذلک قد يمشى الرجل على هيئه الطمأنينه و الوقار،بحيث من يراه يجزم بأنه صاحب السكينه و الوقار،مع ان باطنه ليس موصوفا بذلک.فمثل ذلک كاذب فى عمله،و ان لم يكن مرائيا ملتفتا إلى الخلق، و لا نجاه من هذا الكذب إلا باستواء السريره و العلانيه،أو كون الباطن أحسن من الظاهر.و هذا القسم من الكذب ربما كان من رذائل قوه الشهوه،و ربما كان من رذائل قوه الغضب،و ربما كان من رداءه القوه المدركه،بأن كان باعثه مجرد الوساوس.

و أما فی مقامات الـدین،کالکذب فی الخوف و الرجاء،و الزهد و التقوی،و الحب و التعظیم،و التوکل و التسـلیم،و غیر ذلک من الفضائل الخلقیه،فان لها مبادئ یطلق الاسم بظهورها،ثم لها حقائق و لوازم و غایات و الصادق المحقق من نال حقائقها و لوازمها و غایاتهـا،فمن لم یبلغهـا کـان کاذبـا فیها.مثلاـ الخوف من اللّه تعـالی له مبـدأ هو الایمـان به سـبحانه و حقیقه هو تـألم الباطن و احتراقه،و لوازم و آثار هی اصفرار اللون و ارتعاد الفرائض و تکدر العیش و تقسم الفکر و غیر ذلک،و غایات هی الاجتناب عن المعاصـی و السـیئات و المـواظبه علی الطاعـات و العبـادات،فمن آمن بـاللّه تعـالی صـدق علیه کـونه خائفـا منه خوفـا یطلق علیه الاـسم،إلاـ أنه إن لم تکن معه حرقه القلب و تکـدر العیش و التشـمر للعمـل کـان خوفـا کاذبـا، و إن کـان معه ذلک کان خوفا صادقـا،أی بالغـا درجه الحقیقه ،قـال أمیر المؤمنین-صـلوات اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الکـذب،فان کل راج طالب،و کل خائف هارب» (۱):أی لاـ تکـذبوا فی ادعـائکم الرجـاء و الخوف من اللّه،و ذلک لأن کل راجع طالب لما یرجو،ساع فی أسـبابه،و أنتم لسـتم کذلک،و کل خائف هارب مما یخاف منه،مجتنب مما یقربه منه،و أنتم لستم کذلک،و هذا مثل قوله علیه السلام فی نهج البلاغه:«کـذب و اللّه العظیم ما باله لا یتبین رجاءه فی عمله!و کل من رجا عرف رجاؤه إلا رجاء اللّه، فانه مـدخول،و کل خوف محقق إلا خوف اللّه فانه معلول...» (۲).

۱- ۱) صححنا الروایه علی(أصول الکافی):باب الکذب،و علی(البحار) ۳ مج ۱۵-۳۹،باب الکذب.

۲- ۲) هذا الکلام مروی فی(الوافی):۳-۴۰۹ باب الکذب.و فی(البحار) ۳ مج ۱۵-۳۵.و هو مروی عن(نهج البلاغه)کما صرح به العلامه المجلسی. -قدس سره-فی الموضع المذکور.

ثم الکـذب فی کـل مقـام لمـا کان راجعا إلی عـدمه،فیکون رذیله متعلقه بالقوه التی فی هـذا المقام فضـیله متعلقه بها.و بما ذکر یظهر:أن من له مبـدأ الایمـان،اعنی الإقـرار بالشـهادتین،و کـان فاقـدا لحقیقته، اعنی الیقین القطعی بالمبـدإ و المعاد،أو للوازمه و غایـاته،اعنی الخوف الصـادق منه تعـالی و التعظیم الحقیقی له سـبحانه و الاهتمـام البالغ فی امتثال أوامره و نواهیه،کان کاذبا فی دعوی الایمان.

فصل ذم الکذب

الکذب أقبح الذنوب و أفحشها،و أخبث العیوب و أشنعها،قال اللّه سبحانه:

إِنَّما یَفْتَرِی الْکَذِبَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ

(۱)

.

فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلی یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الکذب،فان الکذب یهدی إلی الفجور،و الفجور یهدی إلی النار».و قال صـلی اللّه علیـه و آلـه:«المـؤمن إذا کـذب مـن غیر عـذر لعنه سـبعون الـف ملـک، و خرج من قلبه نتن حـتی یبلـغ العرش،فیلعنه حمله العرش،و کتب اللّه

ص:۳۳۱

۱- ۱) النحل،الآیه:۱۰۵.

۲- ۲) التوبه،الآیه:۷۸.

عليه بتلك الكذبه سبعين زنيه،أ هونها كمن زنى مع أمه» (۱).و سئل صلى اللّه عليه و آله-:«يكون المؤمن جبانا؟قال:نعم!قيل:و يكون بخيلا؟قال:نعم!قيل و يكون كذابا؟قال:لا!»و قال صلى اللّه عليه و آله:«كبرت خيانه أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق و أنت له به كاذب».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الكذب ينقص الرزق».و قال صلى اللّه عليه و آله:«ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم!ويل له ويل له!».و قال صلى اللّه عليه و آله:

«رأيت كأن رجلا جاءنى،فقال لى:قم،فقمت معه،فإذا أنا برجلين أحدهما قائم و الآخر جالس،و بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله،ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، فإذا مده رجع الآخر كما كان،فقلت للذى أقامنى:ما هذا؟فقال:

هذا رجل كذاب،يعذب فى قبره إلى يوم القيامه».و قال صلى اللّه عليه و آله:«ألا أخبركم باكبر الكبائر:الإشراك باللّه،و عقوق الوالدين، و قول الزور»:أى الكذب.و قال صلى اللّه عليه و آله-:«إن العبد ليكذب الكذبه فيتباعد الملك منه مسيره ميل من نتن ما جاء به». و قال صلى اللّه عليه و آله:«إن للشيطان كحلا و لعوقا و نشوقا.فاما لعوقه فالكذب،و أما نشوقه فالغضب،و أما كحله فالنوم» (۲).و قال روح اللّه لأصحابه:«من كثر كذبه ذهب بهاؤه»،و قال أمير المؤمنين عليه

۱- ۱) صححنا هذين الحديثين على(جامع الأخبار):الباب ۱۲ الفصل ۷.

۲- ۲) مثل مضمون هذه الروايه ورد فى(الوسائل)فى الموضع الآتى الباب ۱۳۸ و فى(المستدرك)فى الموضع الآتى و فى(سفينه البحار):۲:۴۷۳،و فيه اختلاف عما فى نسخ(جامع السعادات)،فان الموجود بهذه الكتب بهذا النص:«ان لا بليس كحلا و لعوقا و سعوطا،فكحله النعاس،و لعوقه الكذب،و سعوطه الكبر».

السلام: «لا يجد العبد طعم الايمان حتى يترك الكذب،هزله وجده».

و قال عليه السلام:«أعظم الخطايا عند اللّه اللسان و الكذب،و شر الندامه ندامه يوم القيامه».و قال على بن الحسين-عليهما السلام-:«اتقوا الكذب الصغير منه و الكبير فى كل جد و هزل،فان الرجل إذا كذب فى الصغير اجترأ على الكبير».و قال أبو جعفر عليه السلام:«إن اللّه عز و جل جعل للشر أقفالا،و جعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب،و الكذب شر من الشراب».و قال عليه السلام:«الكذب هو خراب الايمان» و قال عليه السلام:«إن أول من يكذب الكذاب اللّه عز و جل،ثم الملكان اللذان معه،ثم هو يعلم أنه كاذب».و قال الامام الزكى العسكرى عليه السلام:«جعلت الخبائث كلها فى بيت،و جعل مفتاحها الكذب» و الأخبار الوارده فى ذم الكذب أكثر من أن تحصى.و أشد أنواع الكذب إثما و معصيه الكذب على اللّه و على رسوله و على الأئمه،و كفاه ذما أنه يبطل الصوم،و يوجب القضاء و الكفاره على الاقوى.قال الصادق عليه السلام:«إن الكذبه لتفطر الصائم»،قال الراوى:و أينا لا يكون ذلك منه،قال:«ليس حيث ذهبت،إنما الكذب على اللّه تعالى و على رسوله و على الأئمه-عليهم السلام-».و قال عليه السلام:«الكذب على اللّه و على رسوله و على الأوصياء-عليهم السلام-من الكبائر».و ذكر عنده عليه السلام الحائك،و كونه ملعونا،فقال:«إنما ذلك الذى يحوك الكذب على اللّه و على رسوله».و قال الباقر عليه السلام:«لا تكذب علينا كذبه،فتسلب الحنيفيه» (۱).

۱- ۱) صححنا أكثر الأحاديث هنا على(الوسائل):الباب ۱۳۸-۱۴۰ من ابواب أحكام العشره،و على(المستدرك):۲-۱۰۰-۱۰۲ و على(أصول الكافى) باب الكذب،و على(البحار):۳ مج ۱۵-۳۵،باب الكذب.

فصل مسوغات الكذب

الكذب حرام،لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره،أو لايجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع،فيصير سببا لجهله.و هذا القسم مع كونه أهون الدرجات و أقلها إثما،محرم أيضا،إذ إلقاء خلاف الواقع على الغير و سببيه جهله غير جائز،إلا أنه إذا كان مما يتوقف عليه تحصيل مصلحه مهمه،و لم يمكن التوصل إليها بالصدق،زالت حرمته و ارتفع اثمه فان كانت المصلحه مما يجب تحصيلها،كانقاذ مسلم من القتل و الاسر او حفظ عرضه او ماله المحترم،كان الكذب فيه واجبا.و ان كانت راجحه غير بالغه حد الوجوب،فالكذب لتحصيلها مباح أو راجح مثلها كالاصلاح بين الناس و الغلبه على العدو فى الحرب،و تطييب خاطر امرأته و استرضائها و قد وردت الأخبار المتكثره بجواز الكذب إذا توقف عليه تحصيل هذه المقاصد الثلاثه،كما روى:«ان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-لم يرخص فى شيء من الكذب إلا فى ثلاث:الرجل يقول القول يريد به الإصلاح،و الرجل يقول القول فى الحرب،و الرجل يحدث امرأته و المرأه تحدث زوجها»،و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«كل الكذب يكتب على ابن آدم،إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:كل الكذب مكتوب كذبا لا محاله إلا أن يكذب الرجل فى الحرب،فان الحرب خدعه،أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما،أو يحدث امرأته يرضيها».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا كذب على المصلح».و قال الصادق-عليه السلام-

«كل كذب مسئول عنه صاحبه يوما،إلا كذبا فى ثلاثه:رجل كايد فى حروبه،فهو موضوع عنه.أو رجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا،يريد بذلك الإصلاح ما بينهما.أو رجل وعد أهله شيئا و هو لا يريد أن يتم لهم».و قال-عليه السلام-:«الكلام ثلاثه:

صدق و كذب،و إصلاح بين الناس»،قيل له:ما الإصلاح بين الناس قال:«تسمع فى الرجل كلاما يبلغه فيخبث نفسه،فتلقاه و تقول:قد سمعت من فلان فيك من الخير كذا و كذا،خلاف ما سمعت منه» (۱)و قد تقدمت اخبار اخر فى هذا المعنى.

و هذه الأخبار و إن اختصت بالمقاصد الثلاثه،إلا أن غيرها من المقاصد الضروريه التى فوقها أو مثلها فى المصلحه يلحقها من باب الأولويه أو اتحاد الطريق.و الأخبار التى وردت فى ذم هتك السر و كشف العيوب و الفواحش تفيد وجوب القول بعدم الاطلاع،و إن كان مطلعا مع كونه كذبا،فلا اثم على أحد بصدور الكذب عنه إذا كان وسيله إلى شىء من المقاصد الصحيحه الضروريه له أو لغيره من المسلمين،فان أخذه ظالم و سأله عن ماله فله أن ينكر،و إن أخذه سلطان و سأله عن فاحشه ارتكبها بينه و بين اللّه فله أن ينكر،و إن سئل عما يعلمه عن عيب أخيه أو سره فله أن ينكره،و لو وقع بين اثنين فساد فله أن يكذب،توسلا إلى الإصلاح بينهما و كذا يجوز له للاصلاح بين الضرات من نسائه أن يظهر لكل واحده أنها أحب إليه،و إن كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعد ما لا يقدر عليه،يجوز أن يعدها فى الحال تطييبا لقلبها،و إن لم يكن صادقا

---

۱ - ۱) صححنا هذه الأخبار على(أصول الكافى):باب الكذب.و(الوسائل): كتاب الحج،الباب ۱۴۱ من ابواب العشره،و(كنز العمال):۲-۱۲۸.و (احياء العلوم):۳-۱۱۹.

فی وعده.و یلحق بالنساء الصبیان،فان الصبی إذا لم یرغب فیما یؤمر به من الکتابه و غیرها إلا بوعد أو وعید و تخویف،کان ذلک جائزا، و إن لم یکن فی نیته الوفاء به.و کذا لو تکدر منه انسان،و کان لا یطیب قلبه إلا بالاعتذار إلیه،بانکار ذنب و إظهار زیاده تودد،کان ذلک جائزا و إن لم یکن صدقا.

و الحاصل:أن الکذب لدفع ضرر أو شر أو فساد جائز،بشرط صحه القصد.و قد ورد:ان الکذب المباح یکتب و یحاسب علیه لتصحیح قصده،فان کان قصده صحیحا یعفی،و إلا یؤاخذ به.فینبغی ان یجهد فی تصحیح قصده،و ان یحترز عنه ما لم یضطر إلیه،و یقتصر فیه علی حد الواجب،و لا یتعدی إلی ما یستغنی عنه.

و لا ریب فی أن ما یجب و یضطر إلیه هو الکذب لأمور فی فواتها محذور و اضرار،و لیس کل الکذب لزیاده المال و الجاه و غیره ذلک مما یستغنی عنه،فانه محرم قطعا،إذ فواته لا یوجب ضررا و فسادا و اعداما للموجود بل إنما یوجب فوت حظ من حظوظ النفس.و کذلک فتوی العالم بما لا یحققه و فتوی من لیس له اهلیه الافتاء،إظهارا للفضل أو طلبا للجاه و المال،بل هو أشد أنواع الکذب إثما و حرمه،لأنه مع کونه کذبا لا یستغنی عنه،کذب علی اللّه و علی رسوله.

فالکذب إذا کان وسیله إلی ما یستغنی عنه حرام مطلقا،و إذا کان وسیله إلی ما لا یستغنی عنه ینبغی أن یوازن (۱)محذور الکذب مع محذور

۱- ۱) لم یثبت لهذه الموازنه علی عمومها دلیل من الشرع،و کل ما ثبت منه تلک المواضع المذکوره آنفا،التی جاز فیها الکذب،و هی:الإصلاح و الحرب و الزوجه،و فی الحصر بالمواضع الثلاثه فی الروایات المتقدمه دلیل علی عدم جواز الکذب فی غیرها،لا سیما مثل قوله-علیه السلام-:«کل کذب مسئول عنه صاحبه یوما،إلا کذبا فی ثلاثه...»و لکن ثبت استثناء بعض المواضع،کدفع الظلم، فلا یتعداها.

الصدق،فيترك أشدهما وقعا فی نظر الشرع.و بيان ذلك:أن الكذب فی نفسه محذور،و الصدق فی المواضع المذكوره يوجب محذورا،فينبغی أن يقابل أحد المحذورين بالآخر،و يوازنا بالميزان القسط،فان كان محذور الكذب أهون من محذور الصدق فله الكذب،و ان كان محذور الصدق أهون وجب الصدق،و قد يتقابل المحذوران بحيث يتردد فيهما،و حينئذ فالميل إلی الصدق أولی،إذ الكذب أصله الحرمه،و إنما يباح بضروره أو حاجه مهمه،و إذا شك فی كون الحاجه مهمه،لزم الرجوع إلی أصل التحريم.

تنبيه التوريه و المبالغه

كل موضع يجوز فيه الكذب،إن أمكن عدم التصريح به و العدول الی التعريض و التوريه،كان الأولی ذلك.و ما قيل:إن فی المعاريض لمندوحه عن الكذب،و إن فيها ما يغنی الرجل عن الكذب،ليس المراد به أنه يجوز التعريض بدون حاجه و اضطرار،إذ التعريض بالكذب يقوم مقام التصريح به،لأن المحذور من الكذب تفهيم الشیء علی خلاف ما هو عليه فی نفسه،و هذا موجود فی الكذب بالمعاريض.فالمراد أن التعريض يجوز إذا اضطر الإنسان إلی الكذب،و مست الحاجه إليه،و اقتضته المصلحه فی بعض الأحوال فی تأديب النساء و الصبيان و من يجری مجراهم

و فی الحذر عن الظلمه و الاشرار فی قتال الأعداء.فمن اضطر إلی الکذب فی شیء من ذلک فهو جائز له،لأن نطقه فیه إنما هو علی مقتضی الحق و الدین،فهو فی الحقیقه صادق،و إن کان کلامه مفهما غیر ما هو علیه لصدق نیته و صحه قصده و إرادته الخیر و الصلاح،فمثل هذا النطق لا یکون خارجا عن حقیقه الصدق،إذ الصدق لیس مقصودا لذاته،بل للدلاله علی الحق،فلا ینظر إلی قالبه و صورته،بل إلی معناه و حقیقته.نعم، ینبغی له فی هذه المواضع أن یعدل إلی المعاریض ما وجد إلیه سبیلا یصدق اللفظ حینئذ أیضا و إن کان متشارکا مع التصریح فی تفهیم الشیء علی خلاف ما هو علیه فی الواقع.و قد کان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- اذا توجه إلی سفر و راه بغیره،لئلا ینتهی الخبر إلی الأعداء فیقصدونه.

و مما یدل علی جواز التعریض مع صحه النیه،ما روی فی الاحتجاج «أنه سئل الصادق-علیه السلام-عن قول اللّه تعالی فی قصه إبراهیم -علیه السلام-:

قٰالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هٰذٰا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کٰانُوا یَنْطِقُونَ

(۱)

.

قال:ما فعله کبیرهم و ما کذب إبراهیم.قیل:و کیف ذلک؟ فقال:إنما قال إبراهیم فاسألوهم إن کانوا ینطقون،أی إن نطقوا فکبیرهم فعل،و إن لم ینطقوا فلم یفعل کبیرهم شیئا،فما نطقوا و ما کذب إبراهیم-علیه السلام-و سئل عن قوله تعالی:

أَیَّتُهَا الْعِیرُ إِنَّکُمْ لَسٰارِقُونَ (۲).

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۶۳.

۲- ۲) یوسف،الآیه:۷۰.

قال:انهم سرقوا یوسف من أبیه،ألا تری أنه قال لهم حین قالوا:ما ذا تفقدون؟قالوا:نفقد صواع الملک،و لم یقولوا:سرقتم صواع الملک،انما سرقوا یوسف من أبیه».«و سئل عن قول إبراهیم:

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِی النُّجُومِ. فَقٰالَ إِنِّی سَقِیمٌ

(۱)

.

قال:ما کان إبراهیم سقیما،و ما کذب،انما عنی سقیما فی دینه، ای مرتادا».

و طریق التعریض و التوریه:أن یخبر المتکلم المخاطب بلفظ ذی احتمالین أحدهما غیر مطابق للواقع و اظهر فی المقام،فیحمله المخاطب علیه،و ثانیهما مطابق له یریده المتکلم،کما ظهر من خبر الاحتجاج.و من أمثلته:أنه اذا طلبک ظالم و أنت فی دارک و لا ترید الخروج إلیه،أن تقول لأحد أن یضع اصبعه فی موضع و یقول:لیس ههنا.و إذا بلغ عنک شیء إلی رجل،و أردت تطییب قلبه من غیر أن تکذب،تقول له:ان اللّه لیعلم ما قلت من ذلک من شیء،علی أن یکون لفظه(ما)عندک للابهام، و عند المستمع للنفی.و قد ظهر مما ذکر:أن کل تعریض لغرض باطل کالتصریح فی عدم الجواز،لأن فیه تقریرا للغیر علی ظن کاذب.نعم قد تباح المعاریض لغرض خفیف،کتطییب قلب الغیر بالمزاح،کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«لا تدخل الجنه عجوز»و«فی عین زوجک بیاض»و«نحملک علی ولد بعیر»...و قس علیه أمثال ذلک و من الکذب الذی یجوز و لا یوجب الفسق،ما جرت به العاده فی المبالغه،کقولک:قلت لک کذا مائه مره،و طلبتک مائه مره.و أمثال ذلک لأنه لا یراد بذلک تفهیم المرات بعددها،بل تفهیم المبالغه.فان لم

۱- ۱) الصافات،الآیه:۸۸،۸۹.

یکن طلبه إلا مره واحده کان کاذبا،و ان طلبه مرات لا یعتاد مثلها فی الکثره فلا یأثم،و ان لم تبلغ مائه.

و من الکذب الذی لا اثم علیه ما یکون فی أنواع المجاز و الاستعارات و التشبیهات،إذ الغرض تفهیم نوع من المناسبه و المبالغه،لا دعوی الحقیقه و المساواه من جمیع الجهات.

و من الکذب الذی جرت العاده به،و یتساهل فیه،قول الرجل اذا قیل له:کل الطعام:(لا اشتهیه)،مع کونه مشتهیا له.و هذا منهی عنه کما تدل علیه بعض الاخبار،إلا إذا کان فیه غرض صحیح، و ما جرت العاده به قول الرجل:(اللّه یعلم)فیما لا یعلمه،و هو أشد أنواع الکذب،قال عیسی-علیه السلام-:«إن من أعظم الذنوب عند اللّه ان یقول العبد:ان اللّه یعلم لما لا یعلم».و من الکذب الذی عظم ذنبه و یتساهل فیه،الکذب فی حکایه المنام،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-«إن من أعظم الفریه ان یدعی الرجل إلی غیر أبیه، أو یری عینیه فی المنام ما لم یر،أو یقول علی ما لم أقل».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من کذب فی حلم،کلف یوم القیامه أن یعقد بین شعرتین».

تذنیب شهاده الزور،الیمین الکاذب،خلف الوعد

من أنواع الکذب و افحشها:شهاده الزور،و الیمین الکاذب، و خلف الوعد.

و یدل علی ذم الأول قوله تعالی فی صفه المؤمنین:

وَ اَلَّذِینَ لاٰ یَشْهَدُونَ اَلزُّورَ وَ إِذٰا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا کِرٰاماً

(۱)

.

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«شاهد الزور کعابد الوثن» و علی ذم الثانی قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«التجار هم الفجار!»فقیل:یا رسول اللّه،أ لیس اللّه قد أحل البیع؟فقال:

«نعم!و لکنهم یحلفون فیأثمون،و یحدثون فیکذبون»و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ثلاث نفر لا یکلمهم اللّه یوم القیامه و لا ینظر إلیهم و لا یزکیهم:المنان بعطیته،و المنفق سلعته بالحلف الفاجر،و المسبل إزاره» و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ما حلف حالف باللّه فادخل فیها جناح بعوضه،إلا کانت نکته فی قلبه إلی یوم القیامه»، و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ثلاث یشنأهم اللّه:التاجر او البایع الحلاف،و الفقیر المختال،و البخیل المنان».

و علی ذم الثالث قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«من کان یؤمن باللّه و بالیوم الآخر فلیف إذا وعد».و قول الصادق-علیه السلام- «عده المؤمن أخاه نذر لا کفاره له،فمن اخلف فبخلف اللّه تعالی بدأ و لمقته تعرض،و ذلک قوله تعالی:

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ. کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اَللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ

(۲)

.

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۷۲.

۲- ۲) الصف،الآیه:۲-۳.

و قـال رسول اللّه-صـلى اللّه عليه و آله-:«أربع من كن فيه كـان منافقـا و من كـانت فيه خله منهن كانت فيه خله من النفاق،حتى يدعها:اذا حدث كذب،و إذا وعد اخلف،و إذا خاصم فجر».

فمن وعـد و كان عنـد الوعـد عازما على ألا يفى،أو كان عازما على الوفاء و تركه بدون عذر،فهو منافق.و أما إن عن له عذر من الوفـاء،لم يكن منافقـا و آثمـا.و ان جرى عليه مـا هـو صوره النفـاق،فالأـولى أن يحـترز عن صوره النفـاق أيضـا كمـا يحـترز عن حقيقته،و ذلك بألا يجزم فى الوعد، بل يعلقه على المشيه و مثلها.

ايقاظ علاج الكذب

طريق معـالجه الكـذب:أولاـ:أن يتأمـل فى ما ورد فى ذمه من الآيات و الاخبار،ليعلم أنه لو لم يتركه لادركه الهلاك الابـدى.ثم يتـذكر أن كل كاذب ساقط عن القلوب فى الـدنيا و لا يعتنى أحد بقوله،و كثيرا ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه.و من أسـباب افتضاحه أن اللّه سـبحانه يسـلط عليه النسـيان،حتى أنه لو قال شـيئا ينسـى أنه قاله،فيقول خلاف ما قاله،فيفتضح،و إلى ذلك أشار الصـادق-عليـه السـلام-بقـوله:«إن ممـا أعـان اللّـه بـه على الكـذابين النسـيان».ثم يتأمـل فى الآيـات و الاخبـار الـوارده فى مـدح ضـده،أعنى الصـدق كما يأتى،و بعـد ذلك ان لم يكن عدوا لنفسه،فليقدم التروى فى كل كلام يريد أن يتكلم به،فان كان كذبا يتركه و ليجتنب مجالسه الفساق و أهل الكذب،و يجالس الصلحاء و أهل الصدق.

ص:٣٤٢

وصل الصدق و مدحه

ضد الكذب الصدق.و هو أشرف الصفات المرضيه،و رئيس الفضائل النفسيه،و ما ورد فى مدحه و عظم فائدته من الآيات و الأخبار مما لا يمكن احصاؤه،قال اللّه سبحانه:

رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ

(۱)

.و قال:

اِتَّقُوا اللّٰهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّٰادِقِينَ

(۲)

.و قال: اَلصّٰابِرِينَ وَ الصّٰادِقِينَ وَ الْقٰانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحٰارِ (۳)و قال سبحانه: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتٰابُوا -الى قوله- أُولٰئِكَ هُمُ الصّٰادِقُونَ (۴).و قال عز و جل: وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ .

ثم قال: وَ الصّٰابِرِينَ فِى الْبَأْسٰاءِ وَ الضَّرّٰاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا (۵).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«تقبلوا الى بست أتقبل

ص:۳۴۳

۱- ۱) الأحزاب،الآيه ۲۳.

۲- ۲) التوبه،الآيه ۱۲۰.

۳- ۳) آل عمران ۱۷.

۴- ۴) الحجرات،الآيه ۱۵.

۵- ۵) البقره الآيه ۱۷۷.

لكم بالجنه:اذا حدث أحدكم فلا يكذب،و إذا وعد فلا يخلف،و إذا ائتمن فلا يخن و غضوا أبصاركم،و كفوا أيديكم،و احفظوا فروجكم» و عن الصادقين-عليهما السلام-:«ان الرجل ليصدق حتى يكتبه اللّه صديقا». و عن الصادق عليه السلام قال:«كونوا دعاه الناس بالخير بغير ألسنتكم،ليروا منكم الاجتهاد و الصدق و الورع».و عنه عليه السلام «من صدق لسانه زكى عمله،و من حسنت نيته زيد فى رزقه،و من حسن بره بأهل بيته مد له فى عمره».و عنه عليه السلام قال:«لا تنظروا الى طول ركوع الرجل و سجوده،فان ذلك شيء اعتاده،و لو تركه لاستوحش لذلك،و لكن انظروا إلى صدق حديثه و أداء أمانته».و قال عليه السلام لبعض أصحابه:«انظر إلى ما بلغ به على-عليه السلام-عند رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-فالزمه،فان عليا-عليه السلام-انما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه بصدق الحديث و أداء الأمانه».و عنه-عليه السلام-قال:«إن اللّه لم يبعث نبيا إلا بصدق الحديث و أداء الأمانه الى البر و الفاجر» (۱) و قال-عليه السلام-:«أربع من كن فيه كمل ايمانه و لو كان ما بين قرنه إلى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك-قال-هى الصدق،و أداء الأمانه،و الحياء،و حسن الخلق».و قد وردت بهذه المضامين اخبار كثيره اخر. و من أنواع الصدق فى الشهاده،و هو ضد شهاده الزور و الصدق فى اليمين،و هو ضد الكذب فيه،و الوفاء بالعهد و هو ضد خلف الوعد،و هذا القسم من الصدق،اعنى الوفاء بالعهد،

---

۱ - ۱) صححنا اغلب الأحاديث على(أصول الكافى):باب الصدق و أداء الأمانه.و على(الوسائل):كتاب الحج،باب وجوب الصدق و على(المستدرك) ۲-۸۴-۸۹.

أفضل أنواع الصدق القولی و أحبها،و لذا اثنی اللّه تعالی علی نبیه إسماعیل به،و قال:

إِنَّهُ کانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا

(۱)

.

قیل:انه واعد إنسانا فی موضع فلم یرجع إلیه،فبقی اثنین و عشرین یوما فی انتظاره.و روی:«أنه بایع رجل رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و وعده أن یأتیه فی مکانه ذلک،فنسی وعده فی یومه و غده، و أتاه فی الیوم الثالث و هو فی مکانه»و قال رسول اللّه:«العده دین» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«الوأی-أی الوعد-مثل الدین أو أفضل».

تکمیل أقسام الصدق

اشاره

الصدق کالکذب له أنواع سته:

الأول-الصدق فی القول،

و هو الاخبار عن الأشیاء علی ما هی علیه،و کمال هذا النوع بترک المعاریض من دون ضروره،حذرا من تفهیم الخلاف و کسب القلب صوره کاذبه،و رعایه معناه فی الفاظه التی یناجی بها اللّه سبحانه،فمن قال:«وجهت وجهی للذی فطر السماوات و الأرض»و فی قلبه سواه،أو قال:«إیاک نعبد»و هو یعبد الدنیا بتقید قلبه بها،إذ کل من تقید قلبه بشیء فهو عبد له،کما دلت علیه الاخبار،فهو کاذب.

الثانی-الصدق فی النیه و الاراده،

و یرجع ذلک إلی الإخلاص،

ص: ۳۴۵

۱- ۱) مریم،الآیه ۵۴.

و هو تمحيض النيه و تخليصـها للّه،بألا يكون له باعث فى طاعاته،بل فى جميع حركاته و سكناته،إلا اللّه.فالشوب يبطله و يكذب صاحبه.

الثالث-الصدق فى العزم،

أي الجزم على الخير:فان الإنسان قـد يقـدم العزم على العمل،و يقول فى نفسه:إن رزقنى اللّه كذا تصدقت منه كذا،و إن خلصـنى اللّه من تلـك البليه فعلت كـذا.فان كان فى باطنه جازما على هـذا العزم،مصـمما على العمل بمقتضاه،فعزمه صادق،و إن كان فى عزمه نوع ميـل و ضـعف و تردد،كـان عزمه كاذبـا،إذ الـتردد فى العزيمه يضـاد الصـدق فيهـا،و كـان الصـدق هنـا بمعنى القوه و التماميه، كما يقال:لفلان شهوه صادقه،أي قوه تامه،أو شهوه كاذبه،أي ناقصه ضعيفه.

الرابع-الصدق فى الوفاء بالعزم:

فان النفس قد تسـخو بالعزم فى الحال،إذ لا مشقه فى الوعد،فإذا حان حين العمل بمقتضاه،هاجت الشهوات و تعارضت مع باعث الدين،و ربما غلبته بحيث انحلت العزيمه و لم يتفق الوفاء بمتعلق الوعد،و هذا يضاد الصدق فيه،و لذلك قال اللّه سبحانه:

رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ

(۱)

.

الخامس-الصدق فى الاعمال:

و هو تطابق الباطن و الظاهر و استواء السريره و العلانيه،أو كون الباطن خيرا من الظاهر،بألا تدل أعماله الظاهره على أمر فى باطنه لا يتصف هو به،لا بأن يترك الاعمال،بل بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر.و هذا أعلى مراتب الإخلاص، لإمكان تحقق نوع من الإخلاص بما دون ذلك،و هو أن يخالف الباطن

۱- ۱) الأحزاب،الآيه ۲۳.

الظاهر من دون قصد،فان ذلک لیس ریاء فلا یمتنع صدق اسم الإخلاص علیه.

توضیح ذلک:أن الریاء هو أن تقصد غیر اللّه سبحانه فی الاعمال و قد تصدر عن انسان اعمال ظاهره تدل علی أنه صاحب فضیله باطنه، من التوجه إلی اللّه و الانس به،أو السکینه و الوقار،أو التسلیم و الرضا و غیر ذلک،مع أنه فاقد لها،لحصول الغلبه المانعه عن تحققها،أو اتفاق صدور الاعمال الظاهره بهذه الهیئه من دون أن یقصد بها مشاهده غیره سبحانه،فهذا غیر صادق فی عمله،کاذب فی دلاله الظاهر علی الباطن و إن لم یکن مرائیا و لا ملتفتا إلی الخلق،فاذن مخالفه الظاهر للباطن ان کانت من قصد سمیت ریاء،و یفوت بها الإخلاص،و ان کانت من غیر قصد سمیت کذبا و یفوت بها الصدق،و ربما لم یفت بها بعض مراتب الإخلاص.و هذا النوع من الصدق-اعنی مساواه السر و العلانیه أو کونه خیرا منها-أعز من الانواع السابقه علیه،و لذلک کرر طلبه من اللّه سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله-فی دعواته بقوله:«اللهم اجعل سریرتی خیرا من علانیتی،و اجعل علانیتی صالحه» و ورد:«أنه إذا ساوت سریره المؤمن علانیته،باهی اللّه به الملائکه،یقول:هذا عبدی حقا!».و کان بعض الأکابر یقول:«من یدلنی علی بکاء باللیل بسام بالنهار؟».و لنعم ما قیل:

اذا السر و الاعلان فی المؤمن استوی

فقد عز فی الدارین و استوجب الثنا

و ان خالف الاعلان سرا فما له علی سعیه فضل سوی الکد و العنا

کما خالص الدینار فی السوق نافق و مغشوشه المردود لا یقتضی المنی

و من جمله هذا الصدق:موافقه القول و الفعل،فلا یقول ما لا یفعل و لا یأمر بما لا یعمل.فمن وعظ و لم یتعظ فی نفسه کان کاذبا.و من

هنـا قـال أمير المؤمنين-عليه السـلام-:«انى و اللّه مـا احثكم على طـاعه إلاـ و اسـبقكم إليها،و لا انهاكم عن معصـيه إلا و أتناهى قبلكم عنها».

السادس-الصدق فى مقامات الدين:

من الصبر،و الشـكر،و التوكل و الحب،و الرجاء،و الخوف،و الزهد،و التعظيم،و الرضا،و التسـليم، و غير ذلك.و هو أعلى درجات الصـدق و أعزهـا،فمن اتصف بحقائق هـذه المقامات و لوازمها و آثارها و غاياتها فهو الصـديق الحق،و من كان له فيها مجرد ما يطلق عليه الاسم دون اتصافه بحقائقها و آثارها و غاياتها فهو كاذب فيها.أما ترى أن من خاف سلطانا أو غيره كيف يصفر لونه و يتعـذر عليه أكله و نومه و يتنغص عليه عيشه و يتفرق عليه فكره و ترتعد فرائصه و تتزلزل اركانه و جوانبه؟و قد ينزح عن وطنه و يفترق عن أهله و ولده،فيسـتبدل بالأنس الوحشه،و بالراحه التعب و المشـقه،فيعترض للاخطار و يختار مشـقه الاسـفار،كل ذلك من دركـ المحـذور.فمثل هـذا الخوف هو الخوف الصادق المحقق.ثم إن من يـدعى الخوف من اللّه أو من النار و لا يظهر عليه شيء من ذلـك عنـد إراده المعصـيه و صـدورها عنه،فخوفه خوف كـاذب،قـال النبى-صـلى اللّه عليه و آله-:«لم أر مثل النار نام هاربها،و لم ار مثل الجنه نام طالبها».

ثم لا غايه لهـذه المقـدمات حتى يمكن لأحد أن ينال غايتها،بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله و مرتبته،فمعرفه اللّه و تعظيمه و الخوف منه غير متنـاهيه،فلـذلك لمـا رأى النبى-صـلى اللّه عليه و آله-جبرئيـل على صورته الاصـليه،خر مغشـيا عليه،و قـال-بعد عودته إلى صورته الأـولى و افاقته- «ما ظننت أحـدا من خلق اللّه هكـذا!قال له:فكيف لو رأيت أسـرافيل إن العرش على كاهله،و ان رجليه قد مرقتا تخوم الأرضين السفلى،و أنه ليتصاغر من عظمه اللّه حتى يصير كالوصع!»:أى كالعصفور الصغير

و قـال-صـلى اللّه عليه و آله-:«مررت ليله أسـرى بى-أنـا و جبرئيـل- بالملإ الأعلى كالحلس البالى من خشـيه اللّه»:اى كالكساء الذى يلقى على ظهر البعير.

فـانظر إلى اعـاظم الملائكه و النـبين،كيـف تصـير حـالهم من شـده الخشـيه و التعظيم،و هـذا انمـا هو لقوه معرفتهم بعظمه اللّه و جلاله،و فوق ما لم يدركوه من عظمته و قدرته مراتب غير متناهيه.فاختلاف الناس فى مراتب الخوف و التعظيم و الحب و الانس إنما هو بحسب اختلافهم فى معرفه اللّه، و ليس يمكن أن يوجد من بلغ غايتها،فاختلاف الناس إنما هو فى القدر الذى يمكن أن يبلغ إليه،و البلوغ إليه فى الجميع أيضا نادر،فالصادق فى جميع المقامات عزيز جدا.

و من علامـات هـذا الصـدق:كتمان المصائب و الطاعات جميعا،و كراهه اطلاع الخلق عليها.و قـد روى:«ان اللّه تعالى أوحى إلى موسـى-عليه السـلام-:إنى إذا أحببت عبـدا ابتليته ببلايا لا تقوى لها الجبال،لأنظر كيف صـدقه،فان وجـدته صابرا اتخـذته وليا و حبيبا،و ان وجدته جزوعا يشكونى إلى خلقى خذلته و لم أبال».و قال الصادق-عليه السلام-:

«اذا أردت أن تعلم أ صادق أنت أم كاذب،فانظر فى صدق معناك و عقد دعواك،و عيرهما بقسـطاس من اللّه عز و جل كأنك فى القيامه،قال عز و جل:

وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

(۱)

.

فـإذا اعتـدل معنـاك بغور دعواك ثبت لـك الصـدق.و أدنى حـد الصـدق ألا يخـالف اللسـان القلب و لا القلب اللسان،و مثل الصادق الموصوف بما

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۷.

ذکرنا کمثل النازع لروحه،إن لم ینزع فما ذا یصنع» (۱).

تنبیه اللسان أضر الجوارح

اعلم أن أکثر ما تقدم من الرذائل المذکوره فی هذا المقام:من الکذب و الغیبه،و البهتان،و الشماته،و السخریه،و المزاح و غیرها،و فی المقام الثالث-اعنی التکلم بما لا یعنی و الفضول و الخوض فی الباطل-من آفات اللسان و هو اضر الجوارح بالإنسان،و أعظمها إهلاکا له،و آفاته أکثر من آفات سائر الأعضاء،و هی و ان کانت من المعاصی الظاهره، إلا أنها تؤدی إلی مساوئ الأخلاق و الملکات.إذ الأخلاق انما ترسخ فی النفس بتکریر الأعمال،و الاعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح،و کل جارحه تصلح لأن تصدر منها الأعمال الحسنه الجالبه للأخلاق الجمیله، و أن تصدر منها الاعمال القبیحه المورثه للأخلاق السیئه،فلا بد من مراعاه القلب و الجوارح معا بصرفهما إلی الخیرات و منعهما من الشرور.و عمده ما تصدر منه الذمائم الظاهره المؤدیه إلی الرذائل الباطنیه هو اللسان،و هو أعظم آفه للشیطان فی استغواء نوع الإنسان،فمراقبته أهم،و محافظته أوجب و ألزم.و السر فیه-کما قیل-:أنه من نعم اللّه العظیمه،و لطائف صنعه الغریبه،فانه و إن کان صغیرا جرمه،عظیم طاعته و جرمه،إذ لا یتبین الایمان و الکفر إلا بشهادته،و لا یهتدی إلی شیء من أمور النشأتین إلا بدلالته،و ما من موجود او معدوم إلا و هو یتناوله و یتعرض له باثبات

۱- ۱) هذا الحدیث فی(مصباح الشریعه):الباب ۷۵ فصححناه علیه.

أو نفی،اذ کل ما یتناوله العلم یعبر عنه اللسان اما بحق أو باطل،و لا شیء إلا و العلم یتناوله.

و هذه خاصیه لا توجد فی سائر الأعضاء،اذ العین لا تصل إلی غیر الالوان و الصور،و الاذن لا تصل إلی غیر الأصوات،و الید لا تصل إلی غیر الأجسام،و کذا سائر الأعضاء،و اللسان رحب المیدان وسیع الجولان لیس له مرد،و لا لمجاله منتهی و لا حد،فله فی الخیر مجال رحب،و فی الشر ذیل سحب،فمن أطلق عذبه اللسان و اهمله مرخی العنان سلک به الشیطان فی کل میدان،و أوقعه فی أودیه الضلاله و الخذلان،و ساقه اللّه شفا جرف هار،الی أن یضطره إلی الهلاک و البوار،و لذلک قال سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله-:«هل یکب الناس علی مناخرهم فی النار إلا حصائد ألسنتهم؟» (۱).فلا ینجی من شر اللسان الا أن یقید بلجام الشرع،و لا یطلق الا فیما ینفع فی الدنیا و الآخره،و یکف عن کل ما یخشی غائلته فی العاجله و الآجله،و علم ما یحمد إطلاق اللسان فیه او یذم غامض عزیز،و العمل بمقتضاه علی من عرفه ثقیل عسیر،و هو اعصی الأعضاء علی الإنسان،اذ لا تعب فی تحریکه و لا مؤنه فی إطلاقه فلا یجوز التساهل فی الاحتراز عن آفاته و غوائله،و فی الحذر عن مصائده و حبائله.

و الآیات و الأخبار الوارده فی ذمه و فی کثره آفاته و فی الأمر بمحافظته و التحذیر عنه کثیره،و هی بعمومها تدل علی ذم جمیع آفاته مما مر و مما یأتی.قال اللّه سبحانه:

مٰا یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ

(۲)

.

۱- ۱) رواه فی«أصول الکافی»:باب الصمت و حفظ اللسان،فصححناه علیه.

۲- ۲) ق،الآیه:۱۸.

و قال: لاّ خَيْرَ فِی کَثِیرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ،إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَهٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَیْنَ النّٰاسِ (۱).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من یتکفل لی بما بین لحییه و رجلیه،اتکفل له بالجنه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من وقی شر قبقبه و ذبذبه و لقلقه،فقد وقی» (۲):و القبقب:البطن و الذبذب الفرج،و اللقلق:اللسان.و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما النجاه؟قال:املک علیک لسانک».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«أکبر ما یدخل الناس النار الاجوفان:الفم،و الفرج»،و المراد بالفم اللسان.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«و هل یکب الناس علی مناخرهم فی النار إلا حصائد ألسنتهم؟».و قال له رجل:«ما أخوف ما یخاف علی؟فاخذ بلسانه،و قال:هذا».و قال-صلی اللّه علیه و آله- «لا یستقیم ایمان عبد حتی یستقیم قلبه،و لا یستقیم قلبه حتی یستقیم لسانه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«اذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء کلها تکفر اللسان،فتقول:اتق اللّه فینا،فانما نحن بک،فان استقمت استقمنا،و إن اعوججت اعوججنا» (۳).«و قال له رجل:اوصنی! فقال-صلی اللّه علیه و آله-:أعبد اللّه کأنک تراه وعد نفسک فی الموتی و ان شئت أنبأتک بما هو أملک لک من هذا کله-و أشار بیده إلی لسانه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ان اللّه عند لسان کل قائل،فلیتق

۱- ۱) النساء،الآیه:۱۱۳.

۲- ۲) تقدم هذا الحدیث فی ۲-۴.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(کنز العمال):۲-۱۱۱.

اللّه امرؤ على ما يقول».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من لم يحسب كلامه من عمله،كثرت خطاياه و حضر عذابه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«يعذب اللّه اللسان بعذاب لا يعذبه به شيئا من الجوارح.فيقول أى رب!اعذبتنى بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح.فيقال له:

خرجت منك كلمه بلغت مشارق الأرض و مغاربها،فسفك بها الدم الحرام،و انتهب بها المال الحرام،و انتهك بها الفرج الحرام.و عزتى و جلالى!لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئا من جوارحك!».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:ان كان فى شيء شوم ففى اللسان». و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-لرجل يتكلم بفضول الكلام:«يا هذا! إنك نملى على حافظيك كتابا إلى ربك،فتكلم بما يعنيك،و دع ما لا يعنيك» (۱)و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك،و اعرضه على العقل و المعرفه،فان كان للّه و فى اللّه فتكلم و ان كان غير ذلك فالسكوت خير منه،و ليس على الجوارح عباده اخف مؤنه و أفضل منزله و أعظم قدرا عند اللّه كلام فيه رضى اللّه عز و جل و لوجهه و نشر آلائه و نعمائه فى عباده،ألا أن اللّه لم يجعل فيما بينه و بين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه و مخزونات وحيه غير الكلام،و كذلك بين الرسل و الأمم،فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل (و الكلف و العباده) (۲).و كذلك لا معصيه أثقل على العبد و أسرع عقوبه عند اللّه و أشدها ملامه و اعجلها سآمه عند الخلق منه،و اللسان

۱- ۱) صححنا الأحاديث الأربعه على(أصول الكافى):باب الصمت و حفظ اللسان.و على(الوافى):۲-۳۴۰ و على(البحار)۳ مج ۱۵-۱۸۸،۱۸۹، باب السكوت و الصمت.

۲- ۲) و فى نسخ(جامع السعادات):«و الطف العباده».

ترجمان الضمير و صاحب خبر القلب،و به ينكشف ما فى سر الباطن،و عليه يحاسب الخلق يوم القيامه،و الكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير اللّه و ليس شىء أحق بطول السجن من اللسان» (۱)و قال السجاد-عليه السلام-:«إن لسان ابن آدم يشرف فى كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول:كيف اصبحتم؟فيقولون بخير ان تركتنا!و يقولون:اللّه اللّه فينا!و يناشدونه و يقولون:انما نثاب و نعاقب بك».و قال الصادق عليه السلام:«ما من يوم إلا و كل عضو من اعضاء الجسد يكفر اللسان يقول:نشدتك اللّه أن نعذب فيك!» (۲).

تتميم الصمت

لما علمت كون اللسان شر الأعضاء و كثره آفاته و ذمه،فاعلم أنه لا نجاه من خطره إلا بالصمت،و قد أشير فيما سبق:أن الصمت ضد لجميع آفات اللسان،و بالمواظبه عليه تزول كلها،و هو من فضائل قوه الغضب أو الشهوه،و فضيلته عظيمه و فوائده جسيمه،فان فيه جمع الهم و دوام الوقار،و الفراغ للعباده و الفكر و الذكر،و للسلامه من تبعات القول فى الدنيا و من حسناته فى الآخره.و لذا مدحه الشرع و حث عليه،قال

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۴۶.

۲- ۲) الحديثان الأخيران مرويان فى(الكافى):باب الصمت.قال فى(الوافى) ۲-۳۴۰:«يكفر اللسان:أى يذل و يخضع.و التكفير:هو ان ينحنى الإنسان و يطأطئ رأسه قريبا من الركوع».

رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من صمت نجا».و قال:

«الصمت حکم،و قلیل فاعله».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من کف لسانه ستر اللّه عورته».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:ألا أخبرکم بأیسر العباده و أ هونها علی البدن:الصمت و حسن الخلق».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من کان یؤمن باللّه و الیوم الآخر فلیقل خیرا أو لیسکت».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«رحم اللّه عبدا تکلم خیرا فغنم،أو سکت عن سوء فسلم».و جاء إلیه-صلی اللّه علیه و آله-أعرابی و قال:«دلنی علی عمل یدخلنی الجنه.قال:اطعم الجائع واسق الظمان،و أمر بالمعروف،و انه عن المنکر،فان لم تطق، فکف لسانک إلا من خیر».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«اخزن لسانک إلا من خیر،فانک بذلک تغلب الشیطان»و قال-صلی اللّه علیه و آله- «اذا رأیتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه،فانه یلقن الحکمه».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«الناس ثلاثه:غانم،و سالم،و شاحب، فالغانم:الذی یذکر اللّه،و السالم:الساکت،و الشاحب:الذی یخوض فی الباطل».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن لسان المؤمن وراء قلبه،فإذا أراد أن یتکلم بشیء تدبره بقلبه،ثم أمضاه بلسانه.و ان لسان المنافق امام قلبه،فإذا هم بشیء امضاه بلسانه و لم یتدبره بقلبه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«أمسک لسانک،فانها صدقه تصدق بها علی نفسک».ثم قال:«و لا یعرف عبد حقیقه الایمان حتی یخزن من لسانه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-لرجل أتاه:«ألا أدلک علی امر یدخلک اللّه به الجنه؟قال:بلی یا رسول اللّه!قال:أنل مما أنالک اللّه!قال:فان کنت احوج ممن انیله؟قال:فانصر المظلوم.

قال:فان کنت أضعف ممن أنصره،قال:فاصنع للاخرق-یعنی

أشر عليه-.قال:فان كنت اخرق ممن أصنع له.قال:فاصمت لسانک إلاـ من خير،أما يسرک أن تكون فيك خصله من هذه الخصال تجرک إلى الجنه؟».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«نجاه المؤمن حفظ لسانه».و جاء رجل إليه-صلى اللّه عليه و آله-فقال:«يا رسول اللّه أوصنى!قال:احفظ لسانک.قال:يا رسول اللّه اوصنى!قال احفظ لسانک.قال:يا رسول اللّه اوصنى!قال:احفظ لسانک.ويحک و هل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم؟».

و قيل لعيسى بن مريم-عليه السلام-:«دلنا على عمل ندخل به الجنه.قال:لا تنطقوا أبدا.قالوا:لا نستطيع ذلک.قال:فلا تنطقوا إلا بخير».و قال-عليه السّلام-أيضا:«العباده عشره اجزاء،تسعه منها فى الصمت،و جزء فى الفرار عن الناس».و قال:«لا تكثروا الكلام فى غير ذكر اللّه،فان الذين يكثرون الكلام فى غير ذكر اللّه قاسيه قلوبهم و لكن لا يعلمون».و قال لقمان لابنه:«يا بنى،إن كنت زعمت أن الكلام من فضه،فان السكوت من ذهب».

و قال أبو جعفر الباقر-عليه السلام:«كان أبو ذر يقول:

يا مبتغى العلم،إن هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر،فاختم على لسانک كما تختم على ذهبک و ورقک».و قال-عليه السلام-:«إنما شيعتنا الخرس».و قال الصادق-عليه السلام-لمولى له يقال له(سالم)-بعد أن وضع يده على شفتيه-:«يا سالم،احفظ لسانک تسلم،و لا تحمل الناس على رقابنا».و قال-عليه السلام-:«فى حكمه آل داود:

على العاقل أن يكون عارفا بزمانه،مقبلا على شأنه،حافظا للسانه».

و قال-عليه السلام-:«لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا فإذا تكلم كتب محسنا أو مسيئا».و قال-عليه السلام-:«النوم راحه

للجسد،و النطق راحه للروح،و السکوت راحه للعقل».و قال-علیه السّلام- «الصمت کنز وافر،و زین الحلیم،و ستر الجاهل».و قال أبو الحسن الرضا-علیه السلام-:«احفظ لسانک تعز،و لا تمکن الناس من قیادک فتذل رقبتک».و قال-علیه السلام-:«من علامات الفقه:

الحلم،و العلم،و الصمت،ان الصمت باب من أبواب الحکمه،إن الصمت یکسب المحبه،انه دلیل علی کل خیر».و قال-علیه السّلام-:«کان الرجل من بنی أسرائیل إذا أراد العباده صمت قبل ذلک بعشر سنین» (۱)و فی(مصباح الشریعه)عن مولانا الصادق-علیه السلام-قال:

«الصمت شعار المحققین بحقائق ما سبق و جف القلم به،و هو مفتاح کل راحه من الدنیا و الآخره،و فیه رضا الرب،و تخفیف الحساب و الصون من الخطایا و الزلل و قد جعله اللّه سترا علی الجاهل و زینا للعالم،و معه عزل الهوی،و ریاضه النفس،و حلاوه العباده،و زوال قسوه القلب،و العفاف و المروه و الظرف.فاغلق باب لسانک عما لک منه بد،لا سیما إذا لم تجد أهلا للکلام و المساعد فی المذاکره للّه و فی اللّه،و کان ربیع بن خیثم یضع قرطاسا بین یدیه،فیکتب کل ما یتکلم به ثم یحاسب نفسه عشیه،ماله و ما علیه،و یقول:آه آه!نجا الصامتون و بقینا.و کان بعض أصحاب رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-یضع الحصاه فی فمه،فإذا أراد أن یتکلم بما علم أنه للّه و فی اللّه و لوجه اللّه أخرجها.و ان کثیرا من الصحابه

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب الصمت،و علی (الوسائل)کتاب الحج،الباب ۱۱۷ من احکام العشره.و علی(المستدرک)۲ - ۸۸،۸۹.و علی(سفینه البحار):۲-۵۱،۵۰.و علی(البحار)۲ مج ۱۵ - ۱۸۹ باب السکوت و الصمت.و علی(احیاء العلوم):۳-۹۳-۹۵.و علی (کنز العمال):۲-۷۲ و ۱۱۱.

-رضوان اللّه عليهم-كانوا يتنفسون تنفس الغرقى،و يتكلمون شبه المرضى و انما سبب هلاك الخلق و نجاتهم الكلام و الصمت.فطوبى لمن رزق معرفه عيب الكلام و هوائه،و علم الصمت و فوئده!فان ذلك من أخلاق الأنبياء و شعار الاصفياء.و من علم قدر الكلام أحسن صحبه الصمت و من أشرف على ما فى لطائف الصمت و اؤتمن على خزائنه كان كلامه و صمته كله عباده و لا يطلع على عبادته هذه إلا الملك الجبار» (۱).

و قد ظهر من هذه الاخبار:أن الصمت مع سهولته أنفع للانسان من كل عمل،و كيف لا يكون كذلك،و خطر اللسان الذى هو أعظم الاخطار و آفاته التى هى أشد المهلكات لا ينسد إلا به؟و الكلام و ان كان فى بعضه فوائد و عوائد،إلا أن الامتياز بين الممدوح و المذموم منه مشكل و مع الامتياز فالاقتصار على مجرد الممدوح عند إطلاق اللسان أشكل، و حينئذ فالصمت عما لا جزم بتضمنه للخير و الثواب من الكلام أولى و انفع و قد نقل:«أن أربعه من أذكياء الملوك-ملك الهند،و ملك الصين،و كسرى،و قيصر-تلاقوا فى وقت،فاجتمعوا على ذم الكلام و مدح الصمت فقال أحدهم:أنا أندم على ما قلت و لا أندم على ما لم أقل و قال الآخر:إنى إذا تكلمت بالكلمه ملكتنى و لم أملكها،و إذا لم أتكلم بها ملكتها و لم تملكنى.و قال الثالث:عجبت للمتكلم،ان رجعت عليه كلمته ضرته،و ان لم ترجع لم تنفعه.و قال الرابع:أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت».

۱- ۱) مصباح الشريعه:الباب ۲۷.

و منها:

اشاره

حب الجاه و الشهره

و المراد بالشهره:انتشار الصيت،و معنى الجاه:ملک القلوب و تسخيرها بالتعظيم و الاطاعه و الانقياد له.و بعباره أخرى:قيام المنزله فى قلوب الناس،و انما تصير القلوب مملوکه مسخره للشخص،باشتمالها على اعتقاد اتصافه بکمال حقيقى،او بما يظنه کمالا،من علم و عباده، أو ورع و زهاده،أو قوه و شجاعه،أو بذل و سخاوه،أو سلطنه و ولايه أو منصب و رياسه،أو غنى و مال،او حسن و جمال،أو غير ذلک مما يعتقده الناس کمالا-و تسخير القلوب و انقيادها على قدر اعتقادها،و بحسب درجه ذلک الکمال عندها،فبقدر ما يعتقد أرباب القلوب تذعن له قلوبهم و بقدر إذعانها تکون قدرته عليهم،و بقدر قدرته يکون فرحه و حبه للجاه.ثم تلک القلوب تعبث أربابها على المدح و الثناء،فان المعتقد للکمال لا يسکت عن ذکر ما يعتقده فيثنى عليه،و على الخدمه و الإعانه، فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده،و على الإيثار و ترک المنازعه و التعظيم و التوقير و الابتداء بالسلام و تسليم الصدر فى المحافل و التقديم فى جميع المقاصد.

(تنبيه):حب الجاه و الشهره إن کان من حيث ايجابهما الغلبه و الاستيلاء حتى ترجع حقيقه إلى حبهما و کان طالبهما طالبا لهما،فهو من رذائل قوه الغضب،و ان کان من حيث التوصل بهما إلى قضاء الشهوات و حظوظ النفس البهيميه،فهو من رذائل قوه الشهوه،و ان کان من الحيثيتين فهو من رذائلهما بالاشتراک،بمعنى مدخليه کل منهما فى حدوث خصوص هذه الصفه.و الأصل اشتراک القوتين فى حدوث حب الجاه

ص:٣٥٩

و الشهره-كما ذكرناه فى جمله ما يتعلق بهما معا-بخلاف حب المال،فان الغالب أن حبه من حيث التوصل به إلى قضاء حظوظ القوه الشهويه، و كونه لمجرد الاستيلاء عليه بالمالكيه و التمكن على التصرف فيه نادر،و لذا ذكرناه فيما يتعلق بقوه الشهوه.

فصل ذم حب الجاه و الشهره

اعلم أن حب الجاه و الشهره من المهلكات العظيمه،و طالبهما طالب الآفات الدنيويه و الأخرويه،و من اشتهر اسمه و انتشر صيته لا يكاد أن تسلم دنياه و عقباه،إلا من شهره اللّه لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهره منه.و لذا ورد فى ذمهما ما لا يمكن احصاؤه من الآيات و الاخبار:قال اللّه سبحانه:

تِلْكَ الدّٰارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهٰا لِلَّذِينَ لاٰ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فَسٰاداً

(١)

.و قال: مَنْ كٰانَ يُرِيدُ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا وَ زِينَتَهٰا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمٰالَهُمْ فِيهٰا وَ هُمْ فِيهٰا لاٰ يُبْخَسُونَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ النّٰارُ وَ حَبِطَ مٰا صَنَعُوا فِيهٰا وَ بٰاطِلٌ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (٢).

١- ١) القصص،الآيه:٨٣.

٢- ٢) هود،الآيه:١۵-١۶.

و هذا بعمومه متناول لحب الجاه،لأنه أعظم لذه من لذات الحياه الدنيا و أكبر زينه من زينتها.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حب الجاه و المال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبه غنم باكثر فسادا من حب الجاه و المال فى دين الرجل المسلم».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«حسب امرئ من الشر إلا من عصمه اللّه أن يشير الناس إليه بالاصابع». و قال أمير المؤمنين -عليه السلام-:«تبذل و لا تشتهر،و لا ترفع شخصك لتذكر،و تعلم و اكتم،و اصمت تسلم،تسر الأبرار و تغيظ الفجار».و قال الباقر-عليه السلام-.«لا تطلبن الرياسه و لا تكن ذنبا،و لا تأكل الناس بنا فيفقرك اللّه».و قال الصادق-عليه السلام-:«إياكم و هؤلاء الرؤساء الذين يترأسون،فو اللّه ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك و أهلك!».

و قال-عليه السلام-:«ملعون من ترأس،ملعون من هم بها،ملعون من حدث بها نفسه!»و قال-عليه السلام-:«من أراد الرياسه هلك».و قال-عليه السلام-:«أ ترى لا اعرف خياركم من شراركم بلى و اللّه!إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه،أنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأى» (۱).

و الأخبار بهذه المضامين كثيره،و لكثره آفاتها لا يزال أكابر العلماء و أعاظم الاتقياء يفرون منهما فرار الرجل من الحيه السوداء،حتى أن بعضهم اذا جلس إليه أكثر من ثلاثه قام من مجلسه،و بعضهم يبكى لأجل أن اسمه بلغ المسجد الجامع،و بعضهم إذا تبعه أناس من عقبه التفت إليهم

۱- ۱) الأحاديث الخمسه الأخيره صححناها على(أصول الكافى):باب طلب الرياسه.و(الوسائل):كتاب الجهاد،الباب ۴۹ من ابواب جهاد النفس.

و قـال:«على م تتبعونى،فو اللّه لو تعلمون مـا اغلق عليه بـابى مـا تبعنى منكم رجلاـن».و بعضـهم يقول:«لاـ اعرف رجلاـ أحب أن يعرف إلا ذهب دينه و افتضح».و آخر يقول:«لا يجد حلاوه الآخره رجل يحب أن يعرفه الناس».و آخر يقول:«و اللّه ما صدق اللّه عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه».

و من فسـاد حب الجـاه:أن من غلب على قلبه حب الجـاه،صـار مقصـور الهم على مراعـاه الخلق،مشـغوفا بـالتودد إليهم و المراءاه لأـجلهم، و لاـ يزال فى أقواله و أفعـاله متلفتـا إلى ما يعظم منزلته عنـدهم،و ذلك بـذر النفاق و أصل الفساد،و يجر لا محاله إلى التساهـل فى العبـادات و المراآه بهـا و إلى اقتحـام المحظورات للتوصـل بهـا إلى اقتناص القلوب،و لـذلك شـبه رسول اللّه حب الشرف و المال و افسادهما للدين بذئبين ضاربين،و قال:

«إنه ينبت النفـاق كمـا ينبت المـاء البقـل»،إذ النفـاق هو مخـالفه الظـاهر للبـاطن بالقول و الفعل،و كل من طلب المنزله فى قلوب الناس يضطر إلى النفاق معهم،و إلى التظاهر بخصال حميده هو خال عنها،و ذلك عين النفاق.

فصل الجاه أحب من المال

إن الملك القلوب ترجيح على ملك المال بوجوه:

الأـول-أن المال معرض التلف و الزوال،لأنه يغصب و يسـرق و تطمع فيه الملوك و الظلمه،و يحتاج فيه إلى الحفظ و الحراسه،و تتطرق اليه أخطار كثيره.و أما القلوب إذا ملكت،فهى من هذه الآفات محفوظه

نعم انما يزول ملك القلوب بتغيير اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقى أو الوهمى.

الثانى-ان التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب،لو قصد اكتساب المال تيسر له بسهوله،لأن أموال أرباب القلوب مسخره للقلوب،و مبذوله لمن أذعنت له بالانقياد و اعتقدت فيه أوصاف الكمال،و أما الخسيس العارى عن الكمال إذا ظفر بكثره من المال و لم يكن له جاه يحفظ به ماله و أراد أن يتوصل به إلى الجاه،لم يتيسر له.

الثالث-أن ملك القلوب يسرى و ينمو و يتزايد من غير حاجه إلى تعب و مشقه،اذ القلوب إذا أذعنت بشخص و اعتقدت انصافه بعلم أو عمل أو غيره،أفصحت الالسنه بما فيها لا محاله،فيصف ما يعتقده لغيره و هو أيضا يذعن به و يصفه لآخر،فلا يزال يستطار فى الاقطار،و يسرى من واحد إلى واحد،الى أن يجتمع معظم القلوب على التعظيم و القبول.و أما المال،فمن ملك شيئا منه فلا يقدر على استنمائه إلا بتعب و مقاساه.و لهذه الوجوه تستحقر الأموال فى مقابله عظم الجاه و انتشار الصيت و انطلاق الالسنه بالمدح و الثناء.

فصل لا بد للانسان من جاه

كما أنه لا بد من أدنى مال لضروره المطعم و الملبس و المسكن و مثله ليس بمذموم،فكذلك لا بد من أدنى جاه لضروره المعيشه مع الخلق، إذ الإنسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام و المال

الذی یباع به الطعام فکذلک لا یستغنی عن خادم بخدمه و رفیق یعینه و سلطان یحرسه و یدفع عنه ظلم الأشرار،فحبه لأن یکون له فی قلب خادمه من المنزله ما یدعوه إلی الخدمه و فی قلب رفیقه من المحل ما یحسن به مرافقته، و فی قلب السلطان من المحل ما یدفع به الشر عنه،لیس بمذموم.إذ الجاه کالمال وسیله إلی الأغراض،فلا فرق بینهما،إلا أن هذا یقضی إلی ألا یکون المال و الجاه محبوبین باعیانهما بل من حیث التوصل بهما إلی غیرهما و لا ریب فی أن کل ما یراد به التوصل إلی محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل إلیه دون الوسیله.

و مثل هذا الحب مثل حب الإنسان أن یکون فی داره بیت الخلاء لقضاء حاجته،و لو استغنی عن قضاء الحاجه و لم یضطر إلیه،کره اشتمال داره علی بیت الخلاء،و مثل أن یحب زوجته لیدفع بها فضله الشهوه، و لو کفی مؤنه الشهوه لأحب مهاجرتها،و إذا کان حبهما لضروره البدن و المعیشه لا لذاتهما،لم یکن مذموما،و المذموم أن یحبهما لذاتهما.و فیما یجاوز ضروره البدن کحب زوجته لذاتها حب العشاق حتی لو کفی مؤنه الشهوه لبقی مستصحبا لحبها.

ثم حبهما باعیانهما و ان کان مذموما مرجوحا،لکنه لا یوصف صاحبه بالفسق و العصیان ما لم یحمله الحب علی مباشره معصیه،و ما لم یتوصل إلی اکتسابهما بکذب و خداع و تلبیس،کأن یظهر للناس قولا أو فعلا اعتقدوا لأجله اتصافه بوصف لیس فیه،مثل العلم و الورع أو علو النسب،و بذلک یطلب قیام المنزله فی قلوبهم،و ما لم یتوصل إلی اکتسابهما بعباده،إذ التوصل إلی المال و الجاه بالعباده جنایه علی الدین و هو حرام،و إلیه یرجع معنی الریاء المحظور،کما یأتی.

و أما طلبهما بصفه هو متصف بها،فهو مباح غیر مذموم،و ذلک

كقول يوسف-عليه السلام-:

اِجْعَلْنِی عَلیٰ خَزٰائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ

(۱)

.

حیث طلب المنزله فی قلب الملک بکونه حفظا علیما،و کان صادقا فی قوله.و کذا طلبهما باخفاء عیب من عیوبه و معصیه من معاصیه،حتی لا یعلمه فلا تزول به منزلته فی قلبه،مباح غیر مذموم،إذ حفظ الستر علی القبائح جائز،بل لا یجوز هتک الستر و إظهار القبیح،و هذا لیس فیه کذب و تلبیس بل هو سد لطریق العلم بما لا فائده للعلم به،کالذی یخفی عن السلطان أنه یشرب الخمر و لا یلقی إلیه أنه ورع،فان قوله إنه ورع تلبیس،و عدم اقراره بالشرب لا یوجب اعتقاد الورع،بل یمنع العلم بالشرب،و هو جائز شرعا و عقلا.

فصل دفع اشکال فی حب المال و الجاه

إن قیل:الوجه فی حبهما بالعرض و فی حب قدر ما یضطر إلیهما فی المعیشه و ضروره البدن ظاهر،فما الوجه فی حبهما باعیانهما و فی حب الزائد عن قدر الضروره منهما؟کحب جمع المال،و کنز الکنوز،و ادخار الذخائر،و استکثار الخزائن وراء جمیع الحاجات،و حب اتساع الجاه و انتشار الصیت إلی اقاصی البلاد التی یعلم قطعا أنه قط لا یطؤها و لا یشاهد أهلها لیعظموه و یعینوه علی غرض من اغراضه،فانه مع ذلک یلتذ به غایه الالتذاذ و یسر به غایه السرور،حتی لا یجد فی نفسه لذه أقوی منه، و یراه فوق جمیع لذاته و ابتهاجاته.

۱- ۱) یوسف،الآیه:۵۵.

قلنا:الوجه فی ذلک أمران:

الأول-دفع ألم الخوف الناشیء من سوء الظن و طول الأمل.

فـان الإنسـان و إن کـان له من المـال مـا یکفیه فی الحـال،إلا أنه لطول أمله قـد یخطر بباله أن المال الـذی فیه کفایته ربما یتلف فیحتـاج إلی غیره،فـإذا خطر ذلـک بباله،هاج الخوف فی قلبه،و لا یزول ألم الخوف إلا بالأمن الحاصل من وجود مال آخر یفزع إلیه إن أصابت هذا المال آفه،فهو أبدا لحبه للحیاه و شـفقته علی نفسه یقدر طول الحیاه و هجوم الحاجات، و یقدر إمکان تطرق الآفات إلی الأموال و یستشـعر الخوف من ذلک،فیطلب ما یدفع خوفه،و هو کثره المال،حتی ان أصـیب بطائفه من ماله یفزع الی الأ-خری.و هـذا خوف لا-موقف له عنـد مقـدار مخصوص من المال، و لـذلک لم یکن لمیله موقف إلی أن یملک جمیع ما فی الـدنیا،و لـذلک قال -صـلی اللّه علیه و آله-:«منهومان لا یشـبعان:منهوم العلم،و منهوم المال»و مثل هـذه العله تطرد فی حب قیام المنزله و الجاه فی قلوب الاباعـد عن وطنه و بلـده،فانه لا یخلو عن تقـدیر سـبب یزعجه عن الوطن،أو یزعج أولئک عن أوطانهم إلی وطنهم إلی وطنه،و یحتاج إلی الاسـتعانه بهم و مهما کان ذلک ممکنا،کان للنفس لـذه و سـرور بقیام المنزله فی قلوبهم،لما فیه من الأمن من هذا الخوف.

الثانی-أن الإنسان مرکب من أصول مختلفه:هی القوه الشـهویه، و القوه السـبعیه،و القوه الشـیطانیه،و الروح الـذی هو أمر ربانی،و لـذلک له میـل إلی صـفات بهیمیه،کالأکـل و الوقـاع،و إلی صـفات سـبعیه،کالقتل و الإیـذاء،و إلی صـفات شـیطانیه،کالمکر و الخـدیعه و الا-غواء،و إلی صـفات ربوبیه،کـالعلم و القـدره و الکبر و العز و الفخر و الاسـتعلاء.فهو لما فیه من الأمر الربانی یحب الربوبیه بالطبع،و معنی الربوبیه التوحد بالکمال،و التفرد

بالوجود على سبيل الاستقلال،و الاستيلاء على جميع الاشباء بالغلبه،و استناد الكل إليه بالصدور منه و المعلوليه.

و بالجمله:مقتضى الربوبيه التفرد بالوجود و الكمال و رجوع كل وجود و كمال إليه،إذ هو التام فوق التمام،و لا يتحقق ذلك إلا بالتفرد بالوجود و الكمال و القدره و الاستيلاء على جميع ما عداه.إذ المشاركه فى الوجود نقص لا محاله،فكمال الشمس فى أنها موجوده وحدها.فلو كانت معها شمس أخرى كان ذلك نقصانا فى حقها،إذ لم تكن متفرده بكمال معنى الشمسيه فإذا كان معنى الربوبيه هو التفرد بالوجود و الكمال،و كل انسان كان فيه أمر ربانى،فالتفرد بالوجود و الكمال محبوب له بالطبع،و ضده - اعنى العبوديه-قهر على نفسه،لأنه علم أن المتفرد بالوجود و الكمال هو اللّه تعالى،اذ ليس معه موجود سواه،فان ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته،بل هو قائم به،و ليس له معيه بالوجود بالنسبه اليه تعالى،إذ المعيه توجب المساواه فى الرتبه،و هى نقصان فى الكمال إذ الكامل الحقيقى من لا نظير له فى الوجود،و الكمال بوجه من الوجوه و ان كان لغيره وجود و كمال بعد كونه صادرا منه معلولا له،إذ تحقق الموجودات و ذوات الممكنات لا يوجب نقصانا فى ذاته سبحانه بعد استنادها جميعها إليه،و كونها أضعف منه بمراتب غير متناهيه فى الوجود و الكمال شده و قوه،فكما ان اشراق نور الشمس فى أقطار الآفاق ليس نقصانا فى الشمس،بل هو من جمله كمالها،و انما نقصانها بوجود شمس أخرى مساويه لها فى الرتبه مستغنيه عنها،فكذلك وجود كل ما فى العالم إذا كان من اشراق نور القدره الإلهيه تابعا لها،لم يكن ذلك نقصانا فى الواجب سبحانه،بل كان كمالا له.

و لما علم ذلك،و تيقن بأن التفرد بالوجود و الكمال و الاستيلاء التام

على جميع الأشياء لا ـ يليق به،لأنه عبد مملوك مقهور تحت القدره الإلهيه، عرف أنه عاجز عن درک منتهى الكمال الذى هو التفرد بالوجود و الاستيلاء أى كون وجود غيره منه.إلا أنه لم تسقط شهوته للكمال،بل هو محب له ملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال،و طالب لتحصيل ما يتمكن منه.فمطلق الكمال محبوب عنده،إلا أن طلبه إنما يتعلق بالكمال الممكن فى حقه و من الكمال الممكن فى حقه أن يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات،فكان ذلک محبوبا عنده و مطلوبا له.و لما كانت الموجودات منقسمه إلى ما لا تحصى و لكن لا تستولى عليه قدره الخلق بالتصرف،كالأفلاک و الكواكب و ملكوت السماوات و نفوس الملائكه و الجن و الشياطين و الجبال و البحار و غير ذلک،و إلى ما يقبل التغير و تستولى عليه قدره العباد،كالأرض و أجزائها و ما عليها من المعادن و النبات و الحيوان،و من جملتها قلوب الآدميين و نفوسهم لكونها قابله للتغيير و التأثير مثل أجسادهم و اجساد سائر الحيوانات-فلم يكن للانسان أن يتصور إمكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه،فلم يتعرض لطلب ذلک،بل أحب فى كل منها نوع الاستيلاء الذى يمكن فى حقه و الاستيلاء الذى يمكنه فى حقه بالنظر إلى القسمين الأولين هو الإحاطه عليه بالعلم و الاطلاع على أسراره،لأن ذلک نوع استيلاء.

اذ المحاط به تحت القدره،و العالم كالمستولى عليه.و لذلک أحب الإنسان ان يعرف الواجب تعالى و الملائكه و الأفلاک و الكواكب و عائب الملک و الملكوت،لأن ذلک نوع استيلاء،و الاستيلاء نوع كمال.

و أما القسم الثالث،فيمكنه أن يستولى عليه بالتصرف فيه كيف يريد فيقدر على الأراضى و الاملاک بأن يتصرف فيها بالحيازه و الضبط و الزرع و الغرس،و على الأجساد الأرضيه الحيوانيه و النباتيه و الجماديه بالركوب و الضبط و الحمل و الرفع و الوضع و التسليم و المنع،و على نفوس الآدميين

و قلوبهم بأن تكون مسخره متصرفه تحت اشارته و إرادته و صيرورتها محبه له باعتقاد الكمال فيه.و لكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال،أحب الإنسان هذا الاستيلاء على الأموال و القلوب،و إن كان لا يحتاج إليهما فى ملبسه و مطعمه و فى شهوات نفسه،و لذلك طلب استرقاق العبيد و استعباد الأحرار و لو بالقهر و الغلبه.و قد ظهر مما ذكر:أن محبوب النفس بذاتها هو الكمال بالعلم و القدره،و المال و الجاه محبوب لكونه من أسباب القدره و لما كانت المعلومات و المقدورات غير متناهيه،فلا يكاد أن تقف النفس الى حد من العلم و القدره،و لهما درجات غير متناهيه،فسرور كل نفس و لذتها بقدر الدرجه التى تدركها.

فصل الكمال الحقيقى فى العلم و القدره لا المال و الجاه

لما عرفت أن المحبوب عند الإنسان هو العلم و القدره و المال و الجاه لكونها كمالا-فاعلم أنه اشتبه الأمر عليه باغواء الشيطان،حيث التبس عليه الكمال الحقيقى بالوهمى،و تيقن بكون جميع ذلك كمالا و أحبه.إذ التحقيق أن بعضها كمال حقيقى و بعضها كمال وهمى لا أصل له،و السعى فى طلبه جهل و خسران و تضييع وقت و خذلان.

بيان ذلك:أنه لا ريب فى عدم كون المال و الجاه كمالا-لأن القدره و الاستيلاء على أعيان الأموال بوجوه التصرف و على القلوب و الأبدان بالتسخير و الانقياد ينقطع بالموت،فمن ظن ذلك كمالا فقد جهل.فالخلق كلهم فى غمره هذا الجهل،فانهم يظنون أن القدره على الأجساد بقهر الحشمه،و على أعيان الأموال بسعه الغنى،و على تعظيم القلوب بسعه الجاه

کمال،و لما اعتقدوا کون ذلک کمالا أحبوه،و لما احبوه طلبوه،و لما طلبوه شغلوا به و تهالکوا علیه،فنسوا الکمال الحقیقی الذی یوجب القرب من اللّه،اعنی العلم و الحریه کما یأتی.فهؤلاء هم الـذین اشتروا الحیاه الـدنیا بالآخره،فلا یخفف عنهم العـذاب و لا هم ینصرون،و هم الذین لم یفهموا قوله تعالی:

اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِینَهُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا،وَ الْبٰاقِیٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً

(۱)

.

فـالعلم و الحریه و فضائـل الأخلاـق هی الباقیات الصالحات التی تبقی کمالا للنفس بعـد خراب البـدن،و المال و الجاه هو الـذی ینقضی علی القرب و هو کما مثله اللّه تعالی،حیث قال:

إِنَّمٰا مَثَلُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا کَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ...

(۲)

.

و کل ما تذروه ریاح الموت فهو زهره الحیاه الدنیا،و کل ما لا یقطعه الموت فهو من الباقیات الصالحات.

فقـد ظهر أن کمال القـدره بالمال و الجاه کمال وهمی لا أصل له، و أن من قصـر الوقت علی طلبه و ظنه مقصودا فهو جاهل،إلا قدر البلغه منها إلی الکمال الحقیقی.

و أما العلم،فلا ریب فی کون ما هو حقیقه العلم کمالا حقیقیا،إذ

۱- ۱) الکهف،الآیه:۴۷.

۲- ۲) یونس،الآیه:۲۴.

الکمال الحقیقی هو الـذی یقرب من یتصف به من اللّه و یبقی کمالا للنفس بعد الموت.و لا شک فی أن العلم باللّه و بصـفاته و أفعاله و حکمته فی ملکوت السماوات و الأرض و ترتیب الدنیا و الآخره و ما یتعلق به هو المقرب للعبد الی اللّه،إذ هو علم ثابت لا یقبل التغییر و الانقلاب،اذ معلوماته أزلیه أبدیه و لیس لها تغییر و انقلاب،حتی یتغیر العلم بتغیرها مثل التغیرات التی یتغیر العلم بها بتغیرها و انقلابها،کالعلم بکون زید فی الدار.

فهو علم ثـابت أزلاـ و أبـدا من دون تغیر و اختلاـف،کـالعلم بجواز الجـائزات و وجوب الواجبات و اسـتحاله المسـتحیلات.فهذا العلم-اعنی معرفه اللّه و معرفه صـفاته و أفعـاله-هـو الکمـال الحقیقی الـذی یبقی بعـد الموت و ینطوی فیه العلم بالنظـام الجملی الأصـلح و جمیع المعـارف المحیطه بـالموجودات و حقائق الأشـیاء،اذ الموجودات کلها من أفعاله،فمن عرفها من حیث هی فعل اللّه و مـن حیـث ارتباطهـا بالقـدره و الاـراده و الحکمه، کـانت هـذه المعرفه من تکمله معرفه اللّه الـتی تبقی کمالاـ للنفس بعد الموت، و تکون نورا للعـارفین بعـد الموت یسـعی بین أیـدیهم و أیمـانهم:«یقولون ربنا أتمم لنا نورنا»،و هی رأس ما یوصل إلی کشف مـا لم ینکشف فی الـدنیا،کمـا أن من معه سـراج خفی،فـانه یجوز أن یصـیر ذلـک سـببا لزیاده النور بسـراج آخر یقتبس منه،فیکمل النور بذلک النور الخفی علی سبیل الاسـتتمام،و من لیس معه أصل السـراج لا مطمع له فی ذلک.فمن لیس له أصـل معرفه اللّه لم یکن له مطمع فی هـذا النور،بـل هو فی«ظلمـات فی بحر لجی،یغشـاه موج من فوقه موج من فوقه سـحاب،ظلمـات بعضها فوق بعض».

و ما عدا هذه المعرفه من المعارف،إما لا فائده فیه أصـلا،کمعرفه الشعر و أنساب العرب و مثلها،أوله منفعه فی معرفه اللّه،کمعرفه لغه

العرب و التفسير و الفقه و الاخبار،و معرفه طريق تزكيه النفس التى تفيد استعدادا لقبول الهدايه إلى معرفه اللّه،كما قال تعالى:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها

(۱)

.و قال: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا (۲).

فهو من حيث إنه وسيله إلى معرفه اللّه و إلى تحصيل الحريه مما لا بد منه بالعرض.

ثم إن المعرفه التى هى كمال حقيقى للانسان ليس كمال العلم و غايته، إذ لا يتصور كمال العلم و نهايته إلا للواجب تعالى،إذ كمال العلم انما يتحقق بامور ثلاثه:

الأول-أن يحيط بكل المعلومات،و لا يتحقق ذلك فى علم البشر.

إذ ما أوتى من العلم إلا قليلا،بل العلم الذى يحيط بجميع المعلومات هو علم اللّه تعالى،و علم العبد انما يتحقق ببعض المعلومات،و كلما كانت معلوماته أكثر كان علمه أقرب إلى علم اللّه تعالى.

الثانى-ان يتعلق بالمعلوم على ما هو به،و يكون المعلوم منكشفا واضحا فى غايه الانكشاف و الوضوح،بحيث لا يقبل انكشافا أتم منه.

و هذا أيضا غير ممكن التحقيق فى حق الإنسان،إذ علمه لا يخلو عن كدره و إبهام،بل الكشف التام الذى هو غايه الظهور و الانجلاء مختص بعلم اللّه تعالى،إذ معلوماته مكشوفه بأتم أنواع الكشف على ما هى عليها،و علم العبد له ببعض مراتب الانكشاف،فكلما كان اجلى و أوضح و أتقن و اوفق للمعلوم فى تفاصيل صفاته،كان أقرب إلى علم اللّه.

۱- ۱) الشمس،الآيه:۹.

۲- ۲) العنكبوت،الآيه:۶۹.

الثالث-أن يكون باقيا أبد الآباد،بحيث لا يتغير و لا يزول.

و هـذا أيضـا مختص بعلم اللّه تعـالی،اذ علمه تعـالی بـاق لا يتصور أن يختلف و يتغير و يزول،و علم الإنسان يتغير و يزول،فكلما كان علمه بمعلومات لا تقبل التغير و الانقلاب،كان أقرب إلى علم اللّه تعالى.

هـذا،و مـن الكمالات للانسـان:التحلى بفضائـل الأخلاق و الصـفات لا يجابهـا صـفاء النفس المؤدى إلى البهجـه الـدائميه و الحريه،أعنى الخلاص من أسر الشهوات و غموم الدنيا و الاستيلاء عليها بالقهر،تشبها بالملائكه الذين لا تستغرقهم الشهوه و لا يستهويهم الغضب،إذ رفع آثار الشهوه و الغضب من النفس كمال حقيقى،لأنه من صفات الملائكه.و من صفات الكمال للّه سبحانه عدم تطرق التغيير و التأثير على حريم كبريائه،فمن كان عن التغير و التأثر بالعوارض أبعد كان إلى اللّه أقرب.

و أمـا القـدره،فقـد قال بعض العلماء:«أما القـدره فليس فيها كمال حقيقى للعبـد،إذ القـدره الحقيقيه للّه،و ما يحـدث من الأشياء عقيب إراده العبـد و قـدرته و حركته،فهى حـادثه باحـداث اللّه تعـالى.نعم،له كمـال من جهه القـدره بالإضـافه إلى الحال،و هى وسيله إلى كمال العلم،كسلامه أطرافه و قوه يده للبطش،و رجله للمشى،و حواسه للادراك،فان هذه القوى آله للوصول به إلى حقيقه كمال العلم،و قـد يحتاج فى استيفاء هـذه القوى إلى القـدره بالمال و الجاه للتوصل به إلى المطعم و الملبس،و ذلك إلى قـدر معلوم،فـان لم يستعمله للوصول به إلى معرفه اللّه فلا خير فيه البته إلا من حيث اللـذه الحاليه التى تنقضـى على القرب،و لا طريق للعبد إلى اكتساب كمال القدره الباقيه بعد موته،إذ قدرته على كل شىء من الأرضيات كالمال و الأبدان و النفوس،تنقطع بالموت».

و أنت خبير بأن تحقق نوع قدره للعباد مما لا ريب فيه،و إن كانت

أسبابها و أصلها من اللّه سبحانه،إلا أن القدره على الأمور الدنيويه الفانيه كالمال و الأشخاص و غير ذلک،ليست كمالا حقيقيا،لزوالها بالموت.نعم الحق ثبوت القدره النفسيه للعبد-اعنى تأثير نفسه فى الغير من الكائنات تأثيرا روحانيا معنويا،كما هو ظاهر من تأثير بعض النفوس فى الإنسان و الحيوان و النبات و الجماد بأنواع التأثيرات،و مثل هذه القدره تبقى للنفوس بعد الموت و لذا ترى أن من يستغيث ببعض النفوس الكامله من الأموات يرى منها عجائب التأثيرات و الاستفاضات،فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدره للنفوس بعد الموت محل النظر.

و قد ظهر بما ذكر:أن الكمال الحقيقى للانسان هو العلم الحقيقى و فضائل الأخلاق و الحريه و القدره.

فصل علاج حب الجاه

اعلم ان علاج حب الجاه مركب من علم و عمل.و علاجه العلمى:

أن يعلم أن السبب الذى لأجله أحب الجاه-و هو كمال القدره على اشخاص الناس و على قلوبهم ان صفا و سلم-فآخره الموت،فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الأرض إلى خمسين سنه او أكثر لا بد بالأخره من موت الساجد و المسجود له،و يكون حاله كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع المتواضعين له.و لا ينبغى للعاقل أن يترک بمثل ذلک الدين الذى هو الحياه الأبديه التى لا انقطاع لها.و من فهم الكمال الحقيقى و الكمال الوهمى-كما سبق-صغر الجاه فى عينه،إلا أن ذلک انما يصغر فى عين من ينظر إلى الآخره كأنه يشاهدها و يستحقر

العاجله و يكون الموت كالحاصل عنده،و أبصار أكثر الخلق ضعيفه مقصوره على العاجله لا يمتد نورها إلى مشاهده العواقب،كما قال اللّه تعالى:

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ

(۱)

.

و قال: كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (۲).

فمن هذه مرتبته،فينبغى ان يعالج قلبه من حب الجاه بمعرفه الآفات العاجله،و هو يتفكر فى الأخطار التى يستهدف لها أرباب الجاه فى الدنيا فان كل ذى جاه محسود مقصود بالإيذاء،و خائف على الدوام على جاهه و لا يزال فى الاضطراب و الخوف من أن يتغير منزلته فى القلوب.مع أن قلوب الناس أشد تغيرا و انقلابا من القدر فى غليانه،و هى مردده بين الإقبال و الاعراض،فكلما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر فانه لإثبات له.و الاشتغال بمراعاه القلوب و حفظ الجاه و دفع كيد الحساد و منع أذى الأعداء اشتغال عن اللّه و تعرض لمقته فى العاجل و الآجل كل ذلك غموم عاجله مكدره للذه الجاه،فلا يبقى فى الدنيا أيضا مرجوها بمخوفها،فضلا عما يفوت فى الآخره.فبهذا ينبغى أن تعالج البصيره الضعيفه و أما من نفذت بصيرته و قوى ايمانه فلا التفات له إلى الدنيا.

فهذا هو العلاج العلمى.

و أما العلاج العملى فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالأنس بضد الجاه الذى هو الخمول و يقنع بالقبول من الخالق،و أقوى العلاج لقطع الجاه الاعتزال عن الناس و الهجره إلى مواضع الخمول،لا مجرد الاعتزال فى بيته فى البلده التى هو فيها مشهور،لأن المعتزل فى بيته فى البلده التى هو فيها

۱- ۱) الأعلى،الآيه:۱۶-۱۷.

۲- ۲) القيامه،الآيه:۲۰-۲۱.

مشهور عند أهلها لا يخلو بسبب عزلته عن حب المنزله التى تترسخ له فى القلوب،فربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه و هو مغرور،و انما سكنت نفسه لأنها ظفرت بمقصودها،و لو تغير الناس عما اعتقدوا فيه و دموه أو نسبوه إلى امر غير لائق،ربما جزعت نفسه و تألمت و توصلت إلى الاعتذار من ذلك و اماطه ذلك الغبار عن قلوبهم،و ربما يحتاج فى إزاله ذلك عن قلوبهم إلى كذب و تلبيس و لا يبالى به،و به يتبين انه بعد محب للجاه و المنزله،و لا يمكنه ألا يحب المنزله فى قلوب الناس ما دام يطمع فى الناس و لا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعه.فمن قنع استغنى عن الناس، و إذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس و لم يكن لقيام منزلته فى القلوب وزن عنده،بل من لم يطمع فى الناس و كان من أهل المعرفه،كان الناس عنده كالبهائم،فكيف يكون طالبا لقيام منزلته فى قلوبهم؟.

و الحاصل:أن الغالب و الباعث على قيام المنزله فى قلوب الناس هو الطمع منهم،و لذا ترى انك لا تطلب قيام منزلتك فى قلوب من فى أقصى لمشرق أو المغرب،لعدم طمع لك فيهم،ثم ينبغى أن يستعين على المعالجه بالأخبار الوارده فى ذم الجاه-كما مر- و فى مدح الخمول،كما يأتى.

فصل حب الخمول

ضد حب الجاه و الشهره حب الخمول،و هو شعبه من الزهد،كما أن حب الجاه شعبه من حب الدنيا.فحب الدنيا و الزهد ضدان.

ثم الخمول من صفات المؤمنين و خصال الموقنين،و قد كانت طوائف العرفاء المتوحدين و من يماثلهم من سلفنا الصالحين محبين له طالبين إياه، و كل من عرف اللّه و أحبه و انس به،كان محبا للخمول متوحشا من الجاه

و انتشار الصیت،کما تنادی به کتب السیر و التواریخ.و قد وردت بمدحه أخبار کثیره،کقول رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إن الیسیر من الریاء شرک،و ان اللّه یحب الاتقیاء الأخفیاء،الذین إذا غابوا لم یفقدوا و إذا حضروا لم یعرفوا،قلوبهم مصابیح الهدی،یتحول من کل غبراء مظلمه».و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«رب ذی طمرین لا یؤبه له لو أقسم علی اللّه لأبره،لو قال:اللهم أسألک الجنه!لأعطاه الجنه و لم یعطه من الدنیا شیئا».و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ألا أدلکم علی أهل الجنه؟کل ضعیف مستضعف،لو اقسم علی اللّه لأبره».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«إن أهل الجنه کل اشعث أغبر ذی طمرین لا یؤبه له،الذین إذا استأذنوا علی الأمراء لم یؤذن لهم،و إذا خطبوا النساء لم ینکحوا،و إذا قالوا لم ینصت لهم.حوائج أحدهم تتخلخل فی صدره،لو قسم نوره یوم القیامه علی الناس لوسعهم».و قوله -صلی اللّه علیه و آله-:«إن من أمتی من لو أتی أحدکم یسأله دینارا لم یعطه إیاه،أو یسأله درهما لم یعطه إیاه و لو سأل اللّه تعالی الجنه لأعطاها إیاه،و لو سأله الدنیا لم یعطها إیاه،و ما منعها إیاه لهوانه علیه»و قوله -صلی اللّه علیه و آله-:«قال اللّه عز و جل:ان من أغبط أولیائی عندی رجلا حفیف الحال،ذا حظ من صلاه،أحسن عباده ربه بالغیب و کان غامضا فی الناس،جعل رزقه کفافا فصبر علیه،عجلت منیته فقل تراثه و قل بواکیه» (۱).و ورد:«أن اللّه تعالی یقول فی مقام الامتنان علی بعض عبیده:ألم أنعم علیک؟ألم استرک؟ألم أحمل ذکرک».

و قال بعض خیار الصحابه:«کونوا ینابیع العلم،مصابیح الهدی،احلاس البیوت،سرج اللیل،جدد القلوب،خلقان الثیاب.تعرفون فی أهل

ص:۳۷۷

۱- ۱) تقدم الحدیث فی ۲-۵۹،و ذکرنا فی التعلیقه تفسیر معنی(حفیف).

السماء،و تخفون فی أهل الأرض».و من اطلع علی أحوال أکابر الدین و السلف الصالحین من ایثارهم الخمول و الذل علی الجاه و الشهوه و الغلبه، ثم فی ما ورد فی مدحهما من الأخبار،تیقن بأنهما من أوصاف المؤمنین، و لا بد للمؤمن من الاتصاف بهما،و لذا ورد:«أن المؤمن لا یخلو عن ذله او عله أو قله».

و منها:

اشاره

حب المدح

و کراهه الذم.و هما من نتائج حب الجاه،و من المهلکات العظیمه إذ کل محب للمدح و الثناء خائف من الذم،یجعل أفعاله و حرکاته علی ما یوافق رضا الناس،رجاء للمدح و خوفا من الذم.فیختار رضا المخلوق علی رضا الخالق،فیرتکب المحظورات و یترک الواجبات،و یتهاون فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و یتعدی عن الإنصاف و الحق،و کل ذلک من المهلکات،و لیس للمؤمن أن یحوم حولها،بل المؤمن من لم یؤثر قط رضا المخلوق علی رضا الخالق،و لا تأخذه فی اللّه لومه لائم.و لعظم فساد حب المدح و بغض الذم ورد فی ذمهما ما ورد فی الأخبار،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إنما هلک الناس باتباع الهوی و حب الثناء».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«رأس التواضع أن تکره أن تذکر بالبر و التقوی».و قال-صلی اللّه علیه و آله-لرجل اثنی علی آخر بحضرته:«لو کان صاحبک حاضرا فرضی بالذی قلت فمات علی ذلک،دخل النار».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:لما مدح آخر:

«ویحک!قطعت ظهره!و لو سمعک ما أفلح إلی یوم القیامه».و قال

-صلی اللّه علیه و آله-:«ألا-لا-تمادحوا!و إذا رأیتم المداحین فاحثوا فی وجوههم التراب».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ویل للصائم! و ویل للقائم!و ویل لصاحب التصوف!إلا من...فقیل:یا رسول اللّه إلا من؟فقال:إلا من تنزهت نفسه عن الدنیا،و أبغض المدحه و استحب المذمه».

فصل مراتب حب المدح و کراهه الذم

اعلم أن لحب المدح و کراهه الذم مرتبتین:أولاهما:أن یفرح بالمدح و یشکر المادح،و یغضب من الذم و یحقد علی الذام،و یکافیه او یحب مکافاته.و هذا حال أکثر الخلق،و لا حد لاتمها.و اخراهما:أن یفرح باطنه و یرتاح للمادح،و لکن یحفظ ظاهره من إظهار السرور، و یتبغض فی الباطن علی الذام،و لکن یمسک لسانه و جوارحه عن مکافاته و هذه و ان کانت نقصانا،إلا أنها بالنظر إلی الأولی کمال.

و باعتبار آخر،لحب المدح درجات:

الأولی-أن یتمنی المدح و انتشار الصیت بحیث یتوصل إلی نیلهما بکل ممکن،حتی یرائی بالعبادات و لا-یبالی بمفارقه المحظورات،لاستماله قلوب الناس و استنطاق ألسنتهم بالمدح.و هذا من الهالکین.

الثانیه-أن یرید ذلک و بطلبه بالمباحات لا بالعبادات و ارتکاب المحظورات،و هذا علی شفا جرف الهلاک.اذ حدود الکلام و الأعمال التی یستمیل بها القلوب لا یمکنه أن یضبطها،فیوشک أن یقع فیما لا یحل له لیتوصل به إلی نیل المدح.فهو قریب من الهالکین.

الثالثه-ألا يريد المدح و لا يسعى لطلبه،و لكن إذا مدح سر و ارتاح،من غير وجدان كراهه فى نفسه لهذا السرور و الارتياح،و هذا أيضا نقصان،و إن كان أقل اثما بالإضافه إلى ما قبله.

الرابعه-أن يسر و يرتاح،و لكن كره هذا السرور و الارتياح، و كلف قلبه كراهه المدح و بغضه،و هو فى مقام المجاهده،و لعل اللّه يسامحه اذا بذل جهده.و مع ذلك لم يقدر على ربط نفسه على كراهه المدح دائما.

فصل أسباب حب المدح

حب المدح و الثناء له أسباب:

الأول-شعور النفس بكمالها،فان الكمال لما كان محبوبا فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت و اهتزت و تلذذت،و المدح يشعر نفس الممدوح بكمالها،فان كان ما به المدح و صفا مشكوكا فيه صادر عن خبير بصير لا يجازف فى القول،كالوصف بكمال العلم و الورع و بالحسن المطلق، فاللذه فيه عظيمه لأن الإنسان ربما كان شاكا فى كمال علمه و كمال حسنه و يكون شائقا لزوال هذا الشك،فإذا ذكره غيره،(لا)سيما إذا كان من أهل البصيره،أورث ذلك طمأنينه و ثقه بوجود ذلك الكمال،فعظمت لذته،و لو كان صادرا ممن لا بصيره له،كانت لذته أقل لقله الاطمئنان بقوله.و إن كان ما به المدح وصفا جليا،كاعتدال القامه و بياض اللون كانت لذته فى غايه القله،لأن ثناءه لا يورث ما ليس له من الطمأنينه و الثقه إلا أنه لا يخلو عن لذه ما،إذ النفس قد تغفل عنه فتخلو عن لذته، فتنبهها عليه بالمدح يورث لذه ما.و لضد هذه العله ببغض الذم أيضا،

لأنه يشعر بنقصان فی نفسه،و النقصان ضد الکمال.

الثانی-ان المدح یدل علی أن قلب المادح ملک الممدوح،و انه مرید له معتقد فیه و مسخر تحت مشیته،و ملک القلوب محبوب،و الشعور بحصوله لذیذ،و لذلک تعظم اللذه مهما صدرت ممن تتسع قدرته و ینتفع باقتناص قلبه کالملوک و الأکابر،و لضد هذه العله یکره الذم و یتألم القلب به.

الثالث-أن المدح سبب اصطیاد قلب کل من یسمعه،لا سیما إذا کان المادح ممن یعتنی بقوله،و هذا یختص بمدح یقع علی الملأ.

الرابع-أن المدح یدل علی حشمه الممدوح و اضطرار المادح إلی إطلاق اللسان بالثناء علیه طوعا أو قهرا،و الحشمه محبوبه لما فیها من الغلبه و القدره،فشعور النفس بها یورث لذه،و هذه اللذه تحصل و ان علم الممدوح ان المادح لا یعتقد بما یقوله،اذ ما یطلبه یحصل منه،و لضد هذه العله یبغض الذم أیضا.

و هذه الأسباب قد تجتمع فی مدح واحد فیعظم به الالتذاذ،و قد تفترق فینتقص و یندفع استشعار الکمال،بأن یعلم الممدوح أن المادح غیر صادق فی مدحه،فان کان یعلم أن المادح لیس یعتقد ما یقوله بطلت اللذه الثانیه أیضا،و هو استیلاءه علی قلبه،و بقیت لذه الاستیلاء بالحشمه علی اضطرار لسانه إلی النطق بالمدح.

فصل علاج المدح و کراهه الذم

اذا علم أن حب المدح و کراهه الذم من المهلکات،فیجب أن یبادر الی العلاج.

و علاج الأول:أن يلاحظ أسبابه،و يعلم أن شيئا منها لا يصلح حقيقه لأن يكون سببا له.أما استشعار الكمال بالمدح،فلأن المادح ان صدق فليكن الفرح من فضل اللّه حيث أعطاه هذه الصفات،و إن كذب فينبغى أن يغمه ذلك و لا يفرح به لأنه استهزاء به،مع أن الفرح مطلقا فى صوره الصدق من السفاهه،اذ الوصف الذى مدح به إن كان مما لا يستحق الفرح به،كالثروه و الجاه و غيرهما من المطالب الدنيويه،فالفرح به من قله العقل،لأنها كمالات و هميه لا أصل لها،و ان كان مما يستحق الفرح به كالعلم و الورع،فالفرح إنما هو لكونه مقربا إلى اللّه،و هذا فرع حسن الخاتمه و هو غير معلوم.ففى الخوف من خطر الخاتمه شغل شاغل من الفرح بكل شىء.و أما دلاله المدح على تسخير قلب المادح و كونه سببا لتسخير قلب من يسمعه،فحب ذلك يرجع إلى حب الجاه و المنزله فى القلوب،و قد سبق طريق معالجته.و أما دلالته على الحشمه، فانها ليست إلا قدره عارضه ناقصه لإثبات لها،و العاقل لا يفرح بمثلها.

و أما علاج الثانى:-اعنى كراهه الذم-فيعلم بالمقايسه على علاج حب المدح.و القول الوجيز فيه:ان من يذمك إن كان صادقا و قصده النصح و الإرشاد،فلا ينبغى أن تبغضه و تغضب عليه،بل ينبغى أن تفرح و تجتهد فى إزاله الصفه المذمومه عن نفسك،و ما أقبح بالمؤمن أن يغضب على من يحسن إليه و يريد هدايته.و ان كان قصده الإيذاء و التعنت،فلا ينبغى لك أيضا أن تبغضه و تكره ذلك،لأنه أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به،و ذكرك إياه إن كنت غافلا عنه،و قبحه فى عينك إن كنت متذكرا له،و على التقادير قد استفدت منه ما تنتفع به،و ينبغى لك أن تغتنمه و تبادر إلى إزاله عيبك.و إن كان كاذبا مفتريا عليك بما أنت منه برىء،فينبغى لك أيضا ألا تكره ذلك و لا تشتغل بذمه،لأنك و إن

خلوت من ذلـك العيب،إلاـ أنـك لاـ تخلو من عيوب اخر مسـاويه له و افحش منهـا،فاشـكر اللّه تعالى على أنه سترها و لم يطلع أحدا عليها،و دفعها بذكر ما أنت منه برىء،مع أنه كفاره لبقيه مساويك.و من ذمك أهدى إليك حسناته و جنى على دينه،حتى سقط من عين اللّه و أهلك نفسه بافترائه عليك،فما بالك تحزن بحط ذنوبک و إهداء الحسـنات إليك؟و لم تغضب عليه،مع أن اللّه سبحانه غضب عليه و أبعده من رحمته؟فان ذلک كاف لانتقامک منه.

وصل ضد حب المدح

ضـد حب المـدح و كراهه الـذم:إما كراهه المدح و حب الذم، أو مساواتهما عنده بحيث لا تسـره المدحه و لا تغمه المذمه.و قد تقـدم بعض الأخبـار الـداله على ذم من لم يتصف بالحاله الأولى.و هى و إن كانت نادره الوجود،إذ ما أقل على بسـيط الأرض-(لا)سـيما فى هذه الاعصار- من تسـتوى عنده المدحه و المذمه،فضـلا عمن يكره المدح و يسر بالذم، إلا أن تحصيلها ممكن إذ كل من عرف أن المـدح مضـر بدينه و قاصم لظهره فلا بد أن يكرهه و يبغض المادح،لو كان عاقلا مشـفقا على نفسه.و كذا من عرف أن الذام له يرشده إلى عيوبه و يهدى إليه بعض حسناته،لا بد أن يحبه و يسر بذمه.

و أما الحاله الثانيه،فهى أولى درجات الكمال،و من لم يتصف بها فهو ناقص.فالاتصاف بها لازم على كل مؤمن.و ربما ظن بعض الناس اتصافه بها،مع كونه فاقدا لها.فمن ظن ذلک من نفسه،فلا بد أن

یمتحن نفسه بعلاماتها،حتی یظهر له صدق ظنه و کذبه،و علاماته:ألا یکون سعیه و نشاطه فی قضاء حوائج المادح أکثر منهما فی قضاء حوائج الذام،و ألا یتفاوت همه و حزنه لأجل موتهما و ابتلائهما بمصیبه،و ألا تکون ذله المادح أخف فی قلبه و عینه من ذله الذام،و ألا یکون جلوس الذام عنده اثقل و لا قیامه أهون من جلوس المادح و قیامه.و بالجمله:أن یستویا عنده من کل وجه.فمن وجد نفسه استواءهما فی جمیع الجهات، فهو ممن یتساوی عنده المدح و الذم.

و منها:

اشاره

الریاء

و هو طلب المنزله فی قلوب الناس بخصال الخیر أو ما یدل علیها من الآثار.فهو من أصناف الجاه،إذ هو طلب المنزله فی القلوب بأی عمل اتفق،و الریاء طلب المنزله بادائه خصال الخیر أو ما یدل علی الخیر ثم خصال الخیر یشمل أعمال البر بأسرها،و هی أعم من العادات إن خصت العباده بمثل الصلاه و الصوم و الحج و الصدقه و أمثال ذلک و مساوقه لها إن أرید بالعباده کل فعل یقصد به التقرب و یترتب علیه الثواب إذ علی هذا کل عمل من أعمال الخیر،سواء کان من الواجبات أو المندوبات او المباحات فی الأصل إذا قصد به القربه کان طاعه و عباده، و ان لم یقصد به ذلک لم یکن عباده و لا عمل خیر،و لو کان مثل الصلاه.و ربما خص الریاء عاده بطلب المنزله فی القلوب بالعباده بالمعنی الأخص.

و المراد بالآثار الداله علی الخیریه هی کل فعل لیس فی ذاته برا

و خیرا،و إنما یستدل به علی الخیریه.

و هی إما متعلقه بالبدن،کاظهار النحول و الصفار لیستدل بهما علی قله الأکل أو الصوم و سهر اللیل،و یوهم بذلک شده الاجتهاد و عظم الحزن علی امر الدین و غلبه الخوف من اللّه و من أهوال الآخره،و کخفض الصوت لیستدل به علی ان وقار الشرع قد خفض صوته...و قس علیها غیرها من الأمور المتعلقه بالبدن،الداله علی الخیریه قصدا إلی تحصیل المنزله فی قلوب الناس،و کل ذلک یضر بالدین و ینافی الورع و الیقین،و لذا قال عیسی-علیه السلام-:«اذا صام أحدکم،فلیدهن رأسه،و یرجل شعره،و یکحل عینیه»،خوفا من نزع الشیطان بالریاء.ثم هذه مراءاه أهل الدین بالبدن،و أما أهل الدنیا فیراؤن فی البدن بإظهار السمن و صفاء اللون و نظافه البدن و حسن الوجه و أمثال ذلک.

أو متعلقه بالزی و الهیئه کحلق الشارب و إطراق الرأس فی المشی، و الهدوء فی الحرکه،و إبقاء أثر السجود فی الجبهه،و لبس الصوف أو الثوب الخشن أو الابیض و تعظیم العمامه و لبس الطیلسان و الدراعه،و أمثال ذلک مما یدل علی العلم و التقوی او الانخلاع عن الدنیا.

و المراءون من أهل الدین بالزی و اللباس علی طبقات:منهم من یری طلب المنزله بالثیاب الخشه،و منهم من یری بالثیاب الفاخره،و منهم من یری بالوسخه،و منهم من یراه بالنظیفه،و للناس فیما یعشقون مذاهب و أما أهل الدنیا فلا ریب فی أنهم یراؤن فی اللباس بلبس الثیاب النفیسه و رکوب المراکب الرفیعه و أمثال ذلک.

أو متعلقه بالقول و الحرکات کاظهار الغضب و الاسف علی المنکرات و مقارفه الناس للمعاصی،لیستدل بها علی حمایته للدین و شده اهتمامه علی الامر بالمعروف و النهی عن المنکر،مع ان قلبه لم یکن متأثرا عن ذلک،

و كارخاء الجفون و تنكيس الرأس عند الكلام و إظهار الهدوء و السكون فى المشى،ليستدل بذلك على وقاره،و ربما أسرع المرائى فى المشى إلى حاجه فإذا اطلع عليه واحد رجع إلى الوقار خوفا من أن ينسب إلى عدم الوقار فإذا غاب الرجل عاد إلى عجلته.

أو متعلقه بغير ذلك كمن يتكلف ان يكثر الزائرون له و الواردون عليه(لا)سيما من العلماء و العباد و الأمراء ليقال إن أهل الدين و العظماء يتبركون بزيارته.

فصل ذم الرياء

الرياء من الكبائر الموبقه و المعاصى المهلكه و قد تعاضدت الآيات و الأخبار على ذمه،قال سبحانه:

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ وَ يَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ

(۱)

.و قال سبحانه: فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً (۲).و قال سبحانه: يُرٰاؤُنَ النّٰاسَ وَ لاٰ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ إِلاّٰ قَلِيلاً (۳).و قال: كَالَّذِى يُنْفِقُ مٰالَهُ رِئٰاءَ النّٰاسِ (۴).

۱- ۱) الماعون،الآيه:۴-۷.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۱۱۰.

۳- ۳) النساء الآيه:۱۴۲.

۴- ۴) البقره،الآيه:۲۶۴.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إن أخوف ما أخاف علیکم الشرک الأصغر»قالوا:و ما الشرک الأصغر؟قال:«الریاء،یقول اللّه عز و جل یوم القیامه للمرائین إذا جازی العباد باعمالهم:اذهبوا إلی الذین کنتم تراؤن لهم فی الدنیا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«استعیذوا باللّه من جب الحزن»قیل:و ما هو یا رسول اللّه؟قال:«واد فی جهنم أعد للقراء المرائین».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«یقول اللّه تعالی:من عمل لی عملا أشرک فیه غیری فهو له کله،و أنا منه بریء،و أنا أغنی الأغنیاء عن الشرک» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«لا یقبل اللّه تعالی عملا فیه مثقال ذره من ریاء».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن أدنی الریاء الشرک» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن المرائی ینادی علیه یوم القیامه یا فاجر یا غادر یا مرائی ضل عملک و حبط أجرک اذهب فخذ أجرک ممن کنت تعمل له».و کان-صلی اللّه علیه و آله-یبکی،فقیل له:ما یبکیک؟قال «إنی تخوفت علی أمتی الشرک أما انهم لا یعبدون صنما و لا شمسا و لا قمرا و لا حجرا و لکنهم یراؤن باعمالهم».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«سیأتی علی الناس زمان تخبث فیه سرائرهم و تحسن فیه علانیتهم طمعا فی الدنیا لا یریدون به ما عند ربهم،یکون دینهم ریاء لا یخالطهم خوف یعمهم اللّه بعقاب فیدعونه دعاء الغریق فلا یستجیب لهم»و قال:«إن الملک لیصعد بعمل العبد مبتهجا به فإذا صعد بحسناته یقول اللّه عز و جل:

اجعلوها فی سجین إنه لیس إیای أراد به» (۱) و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ان الحفظه تصعد بعمل العبد إلی السماء السابعه من صوم و صلاه.

۱- ۱) صححنا الحدیث و کذا ما قبله علی(أصول الکافی).باب الریاء و باقی الأحادیث النبویه علی(احیاء العلوم)ج ۳ ص ۲۵۴.

و تفقـه و اجتهـاد و ورع،لهـا دوی کـدوی الرعـد و ضـوء کضـوء الشـمس معـه ثلاـثه آلاـف ملـک،فیجـاوزون بـه إلی السـماء السابعه،فیقول لهم الملک الموکل بها قفوا و اضـربوا بهـذا العمل وجه صاحبه اضـربوا به جوارحه، اقفلوا به علی قلبه،إنی أحجب عـن ربی کـل عمـل لـم یرد بـه وجـه ربی، إنـه أراد بعملـه غیر اللّه،إنـه أراد رفعه عنـد الفقهـاء و ذکرا عنـد العلمـاء و صـیتا فی المـدائن،أمرنی أن لاـ أدع عمله یجـاوزنی إلی غیری،و کـل عمـل لم یکن للّه خالصـا فهو ریاء،و لا یقبل اللّه عمل المرائی،قال-صلی اللّه علیه و آله-:و تصـعد الحفظه بعمـل العبـد من صـلاه و زکاه و صـیام و حـج و عمره و خلق حسن و صـمت و ذکر اللّه تعالی و تشـیعه ملائکه السـماوات حتی یقطع الحجب کلها إلی اللّه فیقفون به بین یـدیه و یشـهدون له بالعمل الصالـح المخلص للّه،قال:فیقول اللّه تعالی لهم أنتم الحفظه علی عمل عبـدی و أنا الرقیب علی نفسه،انه لم یردنی بهـذا العمل و أراد به غیری فعلیه لعنتی فتقول الملاـئکه کلهم علیه لعنتـک و لعنتنـا،و تقول السـماوات کلهـا علیه لعنه اللّه و لعنتنـا،و تلعنه السـماوات السـبع و من فیهن».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السـلام-:«اخشوا اللّه خشیه لیست بتعذیر (۱)و اعملوا بغیر ریاء و لا سـمعه فانه من عمل لغیر اللّه و کله اللّه الی عمله یوم القیـامه»و قـال الباقر-علیه السـلام-:«الابقاء علی العمل أشـد من العمل»قیل:و ما الا بقاء علی العمل؟قال:«یصـل الرجل بصـله و ینفق نفقه للّه وحده لا شـریک له فکتب له سرا ثم یذکرها فتمحی فتکتب له علانیه ثم یذکرها فتمحی فتکتب له ریاء».و قال الصادق-علیه السلام-:

«قال اللّه تعالی انا خیر شریک فمن عمل لی و لغیری فهو لمن عمل له

---

۱ - ۱) قـال فی الـوافی فی بـاب الریـاء ۳-۴۰۰:بیـان(بتعـذیر)-بحـذف المضـاف- ای ذات تعـذیر،و هو بالعین المهمله و الـذال المعجمه بمعنی التقصیر.

غیری».و قال-علیه السلام-:«قال اللّه تعالی:أنا أغنی الأغنیاء عن الشریک فمن أشرک معی غیری فی عمل لم أقبله إلا ما کان لی خالصا» و قال-علیه السلام-:«کل ریاء شرک،إنه من عمل للناس کان ثوابه علی الناس،و من عمل للّه کان ثوابه علی اللّه».و عن أبی عبد اللّه -علیه السلام-فی قول اللّه عز و جل:

فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً .

قال:«الرجل یعمل شیئا من الثواب لا یطلب به وجه اللّه إنما یطلب تزکیه الناس،یشتهی أن یسمع به الناس فهذا الذی أشرک بعباده ربه» ثم قال:«ما من عبد أسر خیرا فذهبت الأیام أبدا حتی یظهر اللّه له خیرا،و ما من عبد یسر شرا فذهبت الأیام حتی یظهر اللّه له شرا».

و قال-علیه السلام-:ما یصنع أحدکم أن یظهر حسنا و یسر سیئا أ لیس یرجع إلی نفسه فیعلم أن ذلک لیس کذلک و اللّه عز و جل یقول:«بل الإنسان علی نفسه بصیره».ان السریره إذا صحت قویت العلانیه.و قال -علیه السلام-:«من أراد اللّه بالقلیل من عمله اظهر اللّه له أکثر مما أراده به و من أراده الناس بالکثیر من عمله فی تعب من بدنه و سهر من لیله أبی اللّه إلا أن یقلله فی عین من سمعه».و قال-علیه السلام-لعباد البصری:«ویلک یا عباد!إیاک و الریاء فانه من عمل لغیر اللّه و کله اللّه الی من عمل له».و قال-علیه السلام-:«اجعلوا أمرکم هذا للّه و لا تجعلوه للناس فانه ما کان للّه فهو للّه و ما کان للناس فهو لا یصعد الی اللّه». و قال الرضا-علیه السلام-لمحمد بن عرفه:«ویحک یا بن

عرفه اعملوا لغير رياء و لا سمعه فانه من عمل لغير اللّه وكلّه اللّه إلى ما عمل ويحك ما عمل أحد عملا إلا أراده اللّه به إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا» (۱).

و كفى للرياء ذما انه يوجب الاستحقار للّه و جعله أهون من عباده الضعفاء الذين لا يقدرون نفعا و لا ضرا،اذ من قصد بعباده اللّه عبدا من عبيده فلا ريب فى أن ذلك لأجل ظنه بأن هذا العبد أقدر على تحصيل أغراضه من اللّه و أنه أولى بالتقرب إليه منه تعالى و أى استحقار بمالك الملوك أشد من ذلك.

فصل أقسام الرياء

الرياء إما فى العبادات أو فى غيرها(و الأول)حرام مطلقا و صاحبه ممقوت عند اللّه و هو يبطل أصل العباده و لأن الأعمال بالنيات،و المرائى بالعباده لم يقصد امتثال أمر اللّه بل قصد ادراك مال أو جاه أو غرض آخر من الأغراض فلا يكون ممتثلا لأمر اللّه خارجا عن عهده التكليف، ثم مع بطلان عبادته و عدم خروجه عن عهده التكليف يكون له اثم على حده لأجل الرياء،كما دلت عليه الآيات و الأخبار،فيكون أسوأ حالا ـ ممن ترك العباده رأسا،كيف لا ـ و المرائى بالعباده جمع بين الاستهزاء باللّه و التلبيس و المكر لأنه خيل إلى الناس أنه مطيع للّه من أهل الدين و ليس كذلك.

و أما الرياء بغير العبادات،فقد يكون مذموما،و قد يكون مباحا،

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث عن آل البيت عليهم السلام(على أصول الكافى)باب الرياء و على(البحار)مج ۱۵:۳-۴۳.و على(الوسائل)-ج ۱،الباب ۱۲،۱۱ ۱۴ من أبواب مقدمه العبادات-.

و قد يكون مستحبا،و قد يكون واجبا،إذ يجب على المؤمن صيانه عرضه و ألا يفعل ما يعاب عليه،فلا يليق بذوى المروات أن يرتكبوا الأمور الخسيسه بانفسهم عند مشاهده الناس و ان جاز لهم ذلك فى الخلوه،و من زين نفسه باللباس او غيره فى أعين الناس حذرا من لومهم و استثقالهم أو استقذارهم إياه كان ذلك مباحا له،إذ الحذر من ألم الذم غير مذموم إلا أن ذلك يختلف باختلاف الازمنه و البلاد و الأشخاص من العباد،فربما كان بعض أقسام الرياء بغير العبادات مذموما بالنظر إلى وقت او شخص أو بلد غير مذموم بالنظر إلى آخر.روى:«ان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أراد يوما أن يخرج على أصحابه،فكان ينظر فى حب من الماء و يسوى عمامته و شعره،فقيل له:أو تفعل ذلك يا رسول اللّه؟ فقال:نعم،إن اللّه تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج اليهم».و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«يتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذى يحب أن يراه فى أحسن الهيئه»،و قال الصادق -عليه السلام-:«الثوب النقى يكبت العدو».و روى:«أنه -عليه السلام-نظر إلى رجل من أهل المدينه قد اشترى لعياله شيئا و هو يحمله،فلما رآه الرجل استحى منه،فقال-عليه السلام-:اشتريته لعيالك و حملته إليهم،أما و اللّه لو لا أهل المدينه لا حببت أن اشترى لعيالى الشيء ثم احمله إليهم» (1)أراد-عليه السلام-لو لا مخافه ان يعيبوه على ذلك لفعل مثل فعله،إلا أنه لما كان فى زمان يعاب عليه بمثله لم يجز له أن يرتكبه،و لما لم يكن ذلك مما يعاب عليه فى زمن أمير المؤمنين -عليه السلام-كان يرتكبه و كان ذلك منقبه له و تعليما.فظهر أن ارتكاب

---

١ - ١) تقدم هذا الحديث فى ١-٣٥٨،و الأحاديث الثلاثه الأخيره صححناها على(الوسائل)-كتاب الصلاه،ابواب احكام الملابس،الباب ٤-۶.

بعض الأمور و عدم ارتكاب بعض الافعال قد يكون رياء محبوبا و قد يكون رياء مذموما.

فصل تأثير الرياء على العباده

اشاره

الرياء إما أن يكون مجردا عن قصد القربه و الثواب بحيث لو لاه و الفرد صاحبه لترك العمل و هو أشد درجات الرياء و اعظمها اثما،أو يكون مع قصدهما فان كان قصدا ضعيفا مرجوحا بحيث لو كان خاليا عن قصد الرياء لم يبعثاه على العمل،و لو كان قصد الرياء خاليا عنهما بعثه عليه،كان قريبا من سابقه و ان كان مساويا لقصد الرياء بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل،فالحق كونه مفسدا للعمل أيضا لظواهر الاخبار.و ان كان راجحا على قصد الرياء غالبا عليه بأن يكون قصد الرياء و اطلاع الناس مرجحا و مقويا لنشاطه بحيث لو لم يكن لم يترك العمل،و لو كان قصد الرياء وحده لما أقدم على العمل،(فبعض العلماء)على أنه لا يحبط أصل العمل و الثواب بل ينقص من الثواب أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء،و يثاب على مقدار قصد الثواب و(فيه نظر)إذ ظواهر الأخبار تفيد إبطاله أصل العمل و الثواب لصدق الرياء عليه و صدق المرائى على صاحبه،لقول أمير المؤمنين-عليه السلام- «ثلاث علامات للمرائى:ينشط إذا رأى الناس،و يكسل إذا كان وحده و يحب أن يحمد فى كل أموره»و ما تقدم من الأخبار الداله على أن كل عمل أشرك مع اللّه تعالى غيره كان اللّه منه بريئا و لم يقبله،صريح فى المطلوب.و حملها على ما إذا تساوى القصد أو كان قصد الرياء أرجح خلاف الظاهر.ثم الظاهر ان البطلان فى هذه الصوره إنما هو إذا رجع قصده إلى حبه اطلاع الناس عليه لتقع منزله له فى قلوبهم،ليتوسل بها

إلى نيل غرض من الأغراض الدنيويه،و أما إذا كان سروره و قصده من اطلاع الناس لاحد المقاصد الصحيحه الآتيه فلا بأس به و لا يبطل العمل.

تنبيه السرور بالاطلاع على العباده

من كان قصده إخفاء الطاعه و الإخلاص للّه،فإذا اتفق اطلاع الناس على طاعته فلا بأس بالسرور به،من حيث علمه بأن اللّه اطلعهم عليه و اظهر الجميل من حاله،فيستدل به على حسن صنع اللّه به من حيث إنه ستر الطاعه و المعصيه،و اللّه تعالى أبقى معصيته على الستر و أظهر طاعته،فيكون فرحه بجميل نظر اللّه و فضله له لا بمدح الناس و قيام المنزله فى قلوبهم،و قد قال اللّه تعالى:

قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا

(۱)

.

و كأنه ظهر له بظهور طاعته أنه عند اللّه مقبول ففرح به أو من حيث استدلاله بإظهار اللّه الجميل و ستره القبيح فى الدنيا أنه كذلك يفعل به فى الآخره،قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«ما ستر اللّه على عبد فى الدنيا إلا ستر اللّه عليه فى الآخره».فالأول فرح بالقبول فى الحال من غير ملاحظه المستقبل،و هذا التفات إلى المستقبل.أو من حيث ظنه رغبه المطلعين فى الاقتداء فى الطاعه،فيتضاعف بذلك أجره.

إذ يكون له أجره السر بما قصده أولا،و أجر العلانيه بما اظهره آخرا و من اقتدى الناس به فى طاعه فله أجر اعمال المقتدين به من غير أن ينقص

۱- ۱) یونس،الآیه:۵۸.

من أجورهم شیء.أو من حیث فرحه بطاعه المطلعین للّه فی مدحهم و حبهم للمطیع،و میل قلوبهم إلی الطاعه،اذ من الناس من یمقت أهل الطاعه و یحسدهم أو یستهزئ بهم و ینسبهم إلی الریاء،فهذا فرح بحسن ایمان عباد اللّه،و علامه الإخلاص فیه:أن یکون سروره بمدحهم غیره مثل سروره بمدحهم إیاه.

و یدل علی عدم البأس بالسرور فیما ذکر ما روی:«أن رجلا قال لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:انی أسر العمل لا أحب أن یطلع علیه أحد فیطلع علیه فیسرنی!قال:لک أجران:أجر السر و أجر العلانیه» و ما روی:«أنه سئل الباقر-علیه السلام-عن الرجل یعمل الشیء من الخیر فیراه انسان فیسره ذلک،قال:لا بأس،ما من أحد إلا و هو یحب أن یظهر اللّه له فی الناس الخیر إذا لم یکن صنع ذلک».و هذان الخبران باطلاقهما یدلان علی نفی البأس بالسرور لأجل المقاصد المذکوره و یخصص منهما ما هو المذوم من الفرح الحاصل من اطلاع الناس،و ان کان قصده الاخفاء أولا-و هو أن یکون فرحه لقیام منزلته فی قلوب الناس حتی یمدحوه و یعظموه و یقوموا بحوائجه،و انما یخصص ذلک منهما مع شمول اطلاقهما له أیضا لمعارض أقوی.

هذا و قد تقدم أن قصده أولا-ای فی حال عقد الطاعه-اطلاع الناس علیه و ارتیاحه به لأحد المقاصد المذکوره لا بأس به أیضا،فعدم البأس لا یختص بطرو القصد و الارتیاح بعد العقد او بعد تمام العمل.

ثم کما لا بأس بالسرور من ظهور الطاعات للمقاصد المذکوره،فکذلک لا بأس بکتمان المعاصی و اغتمامه باطلاع الناس علیها لاسباب نذکرها،بل الحق رجحان الکتمان و مزیته بعد ارتکابها،و ان کان الأصل فی الإخلاص استواء السریره و العلانیه.و لذا قال بعض الأکابر:«علیک بعمل العلانیه

و هو ما إذا ظهر لم تستح منه».و قال بعضهم:«ما عملت عملا أبالی ان يطلع الناس عليه إلا اتيانی أهلی و البول و الغائط».إلا ان ذلک درجه عظيمه ليست شرعه لکل وارد،و لا يصل إليها إلا واحد بعد واحد.إذ کل انسان-إلا من عصمه اللّه-لا يخلو من ذنوب باطنه،(لا)سيما ما يختلج بباله من الامانی الباطله و الأمور الشهويه،و اللّه مطلع عليها و هی مخفيه عن الناس،و السعی فی اخفائها و کراهه ظهورها جائز بل راجح، بشرط ألا يکون باعث اخفائها قصد أن يعتقدوا فيه الورع و الصلاح، بل کان الباعث:

۱-إما کون السر مأمورا به.

۲-أو کون الهتک و إظهار المعاصی منهيا عنه.قال رسول اللّه -صلی اللّه عليه و آله-:«من ارتکب شيئا من هذه القاذورات فليستره بستر اللّه تعالی».و يعرف صدق ذلک بکراهه ظهورها عن الغير،أو کون ستر اللّه عليه فی الدنيا دليلا على ستره فی الآخره،لما ورد فی الخبر:

«أن من ستر اللّه عليه فی الدنيا ستر اللّه عليه فی الآخره».

۳-أو کون ظهور المعاصی موجبا لذم الناس،و الذم يؤلم القلب و يشغله عن طاعه اللّه،و يصده عن الاشتغال بتحصيل ما خلق لأجله، و لکون التألم بالذم جبليا غير ممکن الدفع بسهوله يکون إخفاء ما ظهوره يؤدی إلى حدوثه جائزا.نعم،کمال الصدق استواء المدح و الذم،إلا أن ذلک قليل جدا،و أکثر الطباع تألم بالذم،لما فيه من الشعور بالنقصان و ربما کان التألم بالذم ممدوحا إذا کان الذام من أهل البصيره فی الدين، فان ذمه يدل على وجود نقصان فيه،فينبغی أن يتألم منه و يتشمر لدفعه ۴-أو کون الناس شهداءه يوم القيامه،کما ورد فيجوز الاخفاء لئلا يشهدوا عليه يوم القيامه.

۵-أو خوف أن يقصد بشر او سوء إذا عرف ذنبه.

۶-أو خوف صيروره الذام عاصيا بذمه،و هذا من كمال الايمان و يعرف بتسويه ذمه و ذم غيره.

۷-أو خوف سقوط وقع المعاصى من نفسه او اقتداء الغير به فيها و هذه العله هى المبيحه لإظهار الطاعه،و يختص ذلك بمن يقتدى به من الأئمه و امثالهم،و لهذه العله ينبغى أن يخفى العاصى معصيته من أهله و ولده أيضا،لئلا يقتدوا به فيها.

۸-أو حبه محبه الناس له لا- للتوسل بها إلى الأغراض الدنيويه، بل ليستدل بها على محبه اللّه تعالى له،لأن من أحبه اللّه تعالى جعله محبوبا فى قلوب الناس.

۹-أو مجرد الحياء من ظهور قبائحه،و هو غير خوف الذم و القصد بالشر،إذ هو من فضائل الأخلاق و من كريم الطبع،قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-:«الحياء خير كله».و قال الصادق-عليه السلام-:«الحياء شعبه من الايمان».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ان اللّه تعالى يحب الحيى الحليم».و من صدر عنه فسق و لم يبال بظهوره للناس،فقد جمع إلى الفسق الهتك و عدم الحياء-أعنى الوقاحه-،فهو أسوأ حالا ممن يفسق و يستحى فيستره.

ثم كثيرا ما يشتبه الحياء بالرياء،فيدعى من يرائى بأنه يستحى،و أن تركه السيئات أو إخفاءها أو تحسينه للعبادات إنما هو لأجل الحياء من الناس دون الرياء،و ذلك كذب،و بيان ذلك:أن الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم،و يمكن أن يهيج عقيبه داعيه الرياء فيرائى معه و يمكن أن يهيج داعيه الإخلاص فيجمعه إليه.مثلا من طلب صديقه قرضا،فان رده صريحا من غير مبالاه و من دون أن يتعلل ارتكب الوقاحه و عدم الحياء.

و ان أعطاه بمجرد انقباض نفسه من استشعار قبح رده مشافهه من دون رغبه فى الثواب و لا خوف من ذمه أو حب إلى مدحه حتى لو طلبه مراسله أو بتوسط غيره من الأجانب لرده،فإعطاؤه هذا صادر عن مجرد الحياء من دون ترتب رياء أو اخلاص عليه.و ان تعسر عليه الرد للحياء و كان ما فى نفسه من البخل مانعا من الإعطاء فحدث خاطر الرياء،و يخاطب نفسه بأنه ينبغى أن تعطيه حتى يمدحك بالسخاء و لا يذمك بالبخل فاعطاه لذلك فهو مزج الرياء بالحياء،و المحرك للرياء هو هيجان الحياء.و ان تعسر عليه الرد للحياء و الإعطاء للبخل،فهيج باعث الإخلاص،و يقول له:ان الصدقه بواحده و القرض بثمانيه،ففيه أجر عظيم،و إدخال السرور على قلب مسلم صديق من أقرب القربات،فسخت نفسه بالاعطاء،فهو جمع بين الحياء و الإخلاص ثم الحياء لا يكون إلا فى القبائح الشرعيه أو العقليه أو العرفيه،كالبخل و مقارفه الذنوب و الظلم و صدور بعض الحركات القبيحه عرفا فى المحافل،و الرياء يكون فى المباحات أيضا،حتى انه لو عاد الضاحك إلى الانقباض و المستعجل فى المشى إلى الهدوء بعد اطلاع الناس كان مرائيا،و ربما ظن أن باعث ذلك هو الحياء و هو الجهل،إذ باعثه مجرد الرياء.و ما قيل:إن بعض الحياء ضعف،فالمراد أن الحياء مما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس،كالحياء من وعظ الناس و اقامه الصلاه و من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،الا إذا وجد عذر يحسن الحياء معه،كأن يشاهد معصيه من شيخ فيستحى من شيبته أن ينكر عليه،لأن من إجلال اللّه إجلال ذى الشيبه المسلم،و لو استحيى من اللّه و لا يضيع الأمر بالمعروف لكان أحسن.و أقوياء النفوس من أهل الايمان يؤثرون الحياء من اللّه على الحياء من الخلق،و أما ضعفاء النفوس منهم فقد لا يقدرون على ذلك.

ص: ٣٩٧

فصل متعلقات الرياء

الرياء إما باصل الايمان،و هو إظهار الشهادتين مع التكذيب باطنا و هذا هو كفر النفاق،و قد كان فى صدر الإسلام كثيرا،و قل ما يوجد فى أمثال زماننا،و ان كثر فيه إنكار بعض ضروريات الدين،كالجنه و النار و الثواب و العقاب و اعتقاد طى بساط احكام الشرع باطنا،ميلا الى قول الملاحده و أهل الاباحه،مع إظهار الخلاف ظاهرا،و هذا أيضا معدود من كفر النفاق،و صاحبه ينسل عن الدين مخلد بالنار.و صاحب كفر النفاق مطلقا أسوأ حالا من الكافر المحارب،لأنه جمع بين الكفر الباطن و النفاق الظاهر.أو بأصول العبادات مع التصديق باصل الدين، كأن يصلى فى الملأ دون الخلوه،و يصوم مع اطلاع الناس عليه و يفطر بدونه،و مثله و إن لم ينسل من أصل الدين،إلا أنه شر المسلمين، لترجيحه الخلق على الخالق،و كون التقرب إليهم أحب من التقرب لديه و كون خوفه من ذمهم أشد من خوفه من عقابه سبحانه.أو بالنوافل و السنن،و هذا أيضا مذموم مهلك،و لكنه دون ما قبله،لأن صاحبه و ان قدم مدح الخلق على مدح الخالق،إلا أنه لم يقدم خوف ذمهم على خوف عقابه،لعدم ترتب عقاب على ترك النافله.أو بأوصاف العباده الواجبه أو المستحبه،كفعل ما فى تركه نقصان أو كراهه أو ترك ما فى فعله أحدهما أو بزيادات خارجه عن نفس النوافل،كحضوره الجماعه قبل القوم و قصده الصف الأول،و أمثال ذلك.و كل ذلك مذموم،إلا أن بعضه أشد من بعض.

ص: ۳۹۸

فصل بواعث الرياء

اشاره

باعث الرياء إما التمكن من المعصيه،كاظهار الورع و التقوى لتفوض اليه الحكومه و القضاء،لينال الجاه و الاستيلاء،و يحكم بالجور،و يأخذ الرشا،أو تسلم إليه الودائع و الصدقات و أموال اليتامى و أمثال ذلك فيأخذ لنفسه منها ما يقدر عليها،و كحضوره مجالس العلم و الوعظ و التعزيه لملاحظه النسوان و الصبيان،و هذا أشد درجات الرياء اثما،و يقرب منه إظهار الديانه و التقوى ليدفع عن نفسه تهمه ما اقترفه من الجرائم،أو نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا،كالاشتغال بالوعظ و التذكير و الإمامه و التدريس و إظهار الصلاح و الورع،لتستبذل له الأموال و ترغب فى تزويجه النسوان أو خوف أن ينظر إليه بعين النقص و الحقاره،أو ينسب إلى الكساله و البطاله كترك العجله و الضحك بعد اطلاع الناس عليه،خوفا من أن يعرف باللهو و الهزل فيستحقر،و كالقيام للتهجد و أداء النوافل إذا وقع بين المتهجدين و المتنفلين لئلا ينسب إلى الكساله،و لو خلى بنفسه لم يتنفل مطلقا،و كذا الامتناع من الأكل و الشرب فى اليوم الذى يصام فيه تطوعا و تصريحه بأنى صائم،خوفا من أن ينسب إلى البطاله،و ربما لم يصرح بكونه صائما،بل يقول:لى عذر،و حينئذ قد جمع بين رياءين بكونه صائما،و الرياء بكونه مخلصا غير مراء.ثم إن ألجأته الكساله و الشهوه إلى عدم القيام إلى النوافل و عدم الصبر عن الأكل و الشرب،ذكر لنفسه عذرا تصريحا أو تعريضا،كأن يتعلل الترك بمرض أو ضعف أو شده العطش أو تطييب خاطر فلان،و قس عليها غيرها من الكلمات و الاعذار،فانها لا تسبق إلى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء فى النفس،و المخلص لا يريد

غیر اللّه و التقرب إلیه،و لا یعتنی بالخلق و حصول المنزله فی قلوبهم،فان لم یصم لم یحب أن یعتقد غیره فیه ما یخالف علم اللّه لیکون ملبسا،و ان صام قنع بعلم اللّه و لم یشرک فیه غیره.ثم هذه البواعث لما کان بعضها صادرا من رداءه قوه الغضب و بعضها من رداءه قوه الشهوه،فیکون بعض أنواع الریاء من رذائل الأولی و بعضها من رذائل الثانیه.

تنبیه الریاء الجلی و الخفی

الریاء جلی و خفی،و الجلی:ما یبعث علی العمل لو لا قصد الثواب و الخفی:ما لا یبعثه بمجرده إلا أنه یخفف العمل الذی أرید به التقرب فی الخلوه،و یعرف بالسرور إذا اطلع علیه الناس،لا للمقاصد المتقدمه، بل لطلب نوع منزله فی قلوب الناس،و یتوقع التعظیم و التوقیر و قضاء الحوائج منهم و وجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر فی احترامه،کأن نفسه تتقاضی الإکرام و الاحترام علی الطاعه التی اخفاها مع أنه لم یطلع علیه أحد.و لا شک أن هذا التقاضی لا ینفک عن شوب خفی من الریاء أخفی من دبیب النمل،و لو کان عنده وجود الطاعه کعدمها فی کل ما یتعلق بالخلق و قنع بعلم اللّه فیها لم یکن لهذا التوقع وجه.فعلامه خلوص العمل من الریاء ألا یجد تفرقه بین أن یطلع علی عبادته انسان أو بهیمه،و مهما وجد تفرقه فی ذلک فلا یکون منفکا عن توقع ما(عن) (1)الناس فی طاعته،و ذلک مما یحبط العمل.قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:

«إن اللّه تعالی یقول للقراء یوم القیامه:ألم یکن یرخص علیکم السعر؟

۱- ۱) کذا فی النسخ،و لعل(عند)مکان(عن).

أ لم تكونوا تبدءون بالسلام؟أ لم تكونوا تقضى لكم الحوائج؟فلا أجر لكم،قد استوفيتم اجوركم!».

فصل كيف يفسد الرياء العمل

لو عقد العمل على الإخلاص و استمر إلى الفراغ،لم يحبطه السرور بظهوره بعده،لا من قبله كما دل عليه بعض الظواهر السالفه.و لاـ يعصى به أيضا إن كان لأجل أحد المقاصد السالفه،و يكتب له معصيه إن كان لظنه حصول منزله له فى القلوب.و لو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبه و السرور بذلك،فربما قيل باحباطه العمل،إذ حب التحدث به يدل على أن قلبه عند العباده لم يخل عن عقد خفى من الرياء.و قد أيد ذلك بما روى:«أن رجلا قال للنبى صلى اللّه عليه و آله و سلم:

إنى صمت الدهر.فقال صلى اللّه عليه و آله و سلم:لاـ صمت و لا افطرت!» و ما روى:«أن ابن مسعود سمع رجلا يقول:قرأت البارحه سوره البقره.فقال:ذلك حظه منها».

و الظاهر أنه لا يحبط عمله،بل يثاب عليه،و ان عواقب على ما صدر منه بعد الفراغ من الرياء.و التعليل لو تم لا يفيد البطلان،إذ العقد الذى لم يشعر به صاحبه لا يؤاخذ به،و إلا لزم التكليف بالمحال.و الخبر لو صح فانكاره صلى اللّه عليه و آله و سلم لأجل كراهيه صوم الدهر لا لإظهاره.و قول ابن مسعود لو ثبت لا حجيه فيه.

و لو عقد العمل على الإخلاص،و ورد فى اثنائه وارد السرور باطلاع بعض الناس عليه،فان لم يكن باعثا على العمل و مؤثرا فيه بحيث لو لم يحدث لأتم العمل على الإخلاص من غير فتور،و كان أيضا لأحد المقاصد

الصحیحه المتقدمه،فلا بطلان و لا اثم،لما تقدم من الأخبار.و إن لم یکن باعثا و لکن لم یکن لشیء من المقاصد المذکوره،بل کان لظنه نیل الجاه أو المال بالظهور،فالحق بطلان العمل و کونه آثما للعمومات السالفه و ان کان باعثا و مؤثرا فهو الریاء المحرم،سواء کان غالبا علی قصد التقرب أو مساویا له او مغلوبا عنه،فیحبط العمل و علیه الإعاده لو کان فریضه،لما تقدم من العمومات،و لقوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:

«العمل کالوعاء،اذا طاب آخره طاب أوله».و قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:«من راءی بعلمه ساعه،حبط عمله الذی کان قبله».ثم هذا فی العمل المرکب الذی له اجزاء،و یتوقف صحته علی صحه کل واحد منها،کالصوم و الصلاه و الحج.و أما العمل الذی کل جزء منه منفرد، کالصدقه و القراءه،فما یطرأ من الریاء فی اثنائه إنما یفسد الباقی دون الماضی فطروؤه فیه فی الاثناء بالنسبه إلی الماضی کطروئه بعد الفراغ فی الأول.و هذا حکم الریاء الطارئ بعد عقد الطاعه علی الإخلاص أو قبله سواء لم یرجع عنه حتی یتمها،أو ندم بعده فی الاثناء أیضا و رجع و استغفر و أما المقارن حال العقد،بأن یبتدی بالصلاه مثلا علی قصد الریاء،فان اتمها علیه فلا خلاف فی کونه إثما و عدم الاعتداد بها.و ان ندم علیه فی الاثناء و رجع و استغفر،فان مجرد القصد إلی الغیر الباعث إلی اطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمه و ارتیاحه به فلا بأس به و لا یحبط العمل، و ان کان غیر ذلک أفسده،سواء فی ذلک جمیع شقوقه المتقدمه،کما علم وجهه.

ص:۴۰۲

فائده شوائب الرياء مبطله للعمل

لما كان المناط فى الاعمال،صحه و فسادا،هو القصد و النيه،إذ الاعمال بالنيات،و لكل امرئ ما نوى،فكل عمل تدخله شوائب الرياء فهو فاسد،سواء وقع سرا او علانيه،و كل عمل كان خالصا للّه و أمن صاحبه من دخول الرياء فيه فلا بأس باسراره و لا بإظهاره.ثم لو تعلق قصد صحيح بإظهار نفس العمل أو التحدث به بعد الفراغ عنه،كترغيب الناس فى الخير و تنبيههم على الاقتداء به فيه،كان إظهاره أفضل من اسراره بشرط عدم اشتماله على رياء أو فساد آخر،كاهانه الفقير فى التصدق،و لو اشتمل على شيء من ذلك،كان أسراره أفضل من اعلانه و بذلك يجمع بين الأقوال و الأخبار.

و الحاصل:أنه متى انفك القلب عن شوائب الرياء،بحيث يتم الإخلاص على وجه واحد فى الحالتين،فما فيه القدوه و هو العلانيه أفضل و مهما حصلت فيه شوائب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره،لكونه مهلكا له، فالسر أفضل منه.فعلى من يظهر العمل أن يعلم أو يظن انه يقتدى به و ان يراقب قلبه لئلا يكون فيه حب الرياء الخفى،فربما اظهر العمل لعذر الاقتداء و كان فى نفسه قصد التجمل بالعمل و كونه مقتدى به، و هذا حال كل من يظهر العمل،إلا من أيده اللّه بقوه النفس و خلوص النيه،فلا ينبغى لضعيف النفس أن يخدع نفسه فيضل و يضل و يهلك من حيث لا يشعر.فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذى يعلم سباحه ضعيفه فينظر إلى جماعه من الغرقى فيرحمهم،و أقبل عليهم لينجيهم فتشبثوا به،

و هلـک و هلکـوا.و هـذه المواضـع مزال أقـدام العلمـاء و العبـاد،فـانهم یتشـبهون بالاقویـاء فی الإظهـار و لاـ تقـوی قلـوبهم علی الإخلاـص،فتحبـط أجورهم بالریاء.و درک ذلک غامض جـدا لا یبلغه الا الخائضون فی غمرات علم الأخلاق.و یعرف الخلوص فی ذلـک بألاـ یتفاوت حاله باقتـداء الناس به و بغیره من اقرانه و أمثاله،فان کان قلبه أمیل إلی أن یکون هو المقتـدی به،فاظهاره العمل غیر خال عن شوائب الریاء.

ایقاظ

لمـا عرفت أن المنـاط فی صـحه الأعمال و فسادها هو القصـد و النیه،تعلم أن کل عمل لم یکن خالصا لوجه اللّه و أریـد به غیره سبحانه ینبغی أن یترک و یعرض عنه،و إن کان خالصا له تعالی مقصودا علی قصد صحیح لا ینبغی ترکه لمجرد بعض الوساوس و الخواطر الشیطانیه.فان الشیطان یدعو أولا إلی ترک العمل فان لم یجب یدعو إلی الریاء،فإذا أیس منه یقول:

هذا العمل لیس خالصا،بل هو ریاء،فأی فائده منه؟!.

ثم الاعمال إما من الطاعات اللازمه التی لا تعلق لها بالغیر،کالصـلاه و الصوم و الحـج و أمثالها،أو من الطاعات المتعـدیه التی لها تعلق بالخلق، کالامامه و القضاء و الحکومه و الافتاء و الوعظ و التذکیر و التعلیم و التدریس و إنفاق المال و غیر ذلک.

و القسم الأول:إن دخله الریاء قبل الفعل،بأن یکون باعثه الریاء دون الخلوص و القربه،فینبغی أن یترک و لا یشـرع فیه،و إن دخله بعـد العقـد أو معه،فلاـ ینبغی أن یترک،لأـنه وجـد له بـاعث دینی،و إنمـا طرأه بـاعث الریـاء،فلیجاهـد فی دفع الریـاء و تحصـیل الإخلاص،و یرد نفسه إلیه قهرا بالمعالجات التی نذکرها.و مهما کان فی المجاهده مع نفسه

معاتبـا لهـا قـاهرا عليهـا فی ميلها إلی الرياء،و وجـد من طبعه كراهيه هـذا الميل،فالنجاه فی حقه مرجوه،و لعل اللّه يسامحه بعظيم رحمته.و أما إذا لم يكن فی مقام المجاهـده،و لم يكن كارها مما يجد فی نفسه من الميل إلی الرياء بل أعطی زمام الاختيار إلی النفس الامـاره،و هی تراءی فی الاعمـال،و هو يتبعهـا فی ذلـك من غير قهر عليهـا و كراهيه لفعلهـا،فلاـ ريب فی فسـاد أعماله و أولويه تركها،و ان كان باعثها ابتداء محض القربه و دخلها الرياء مع العقد أو بعده.

و أما القسم الثانی:المتعلق بالخلق-اعنی امامه الصـلاه و القضاء و التـدريس و الافتاء و الوعظ و الإرشاد و أمثال ذلك-فاخطارها عظيمه، و مثوبتها جسـيمه.فمن له أهليه ذلك من حيث العلم-ان كان ذا نفس قويه لا يعتنی بالناس و لا تزعجها وساوس الخناس و له معرفه تامه بعظمه ربه و قدرته و سائر صـفاته الكماليه،بحيث شغله ذلك عن الالتفات إلی الخلق و ما فی أيديهم حتی يرائی لأـجلهم او يختـار رضـاهم علی رضـا ربـه-فالأـولی لمثله ألاـ يـترك هـذه المنـاصب ليفـوز بمثوبتهـا العظيمه.و ان كـان ذا نفس ضعيفه،كخيـط مرسل فی الهواء تفيئها (۱)الريـح مره هكـذا و مره هكذا فهو لا يأمن الرياء و سائر اخطارها.فاللازم لمثله تركها.و لـذلك كـان أهـل اليقين من السـلف يتـدافعون هـذه المناصب ما وجـدوا إليه سبيلا.و ورد ما ورد من الأخبار فی عظم خطرها و كثره آفاتها و لزوم التثبت و الاحتياط لمن يزاولها و ما ورد من الوعيـد الشديـد فی حق العلماء السوء يكفی للزوم الحذر عن فتن العلم و غوائله.و ممـا يقصم ظهور أمثالنـا من الـذين يقولون مـا لاـ يعلمون و يـأمرون بمـا لا يفعلون،قول عيسـی بن مريم-عليهما السلام-:

«يا علماء السوء!تصومون و تصلون و تتصدقون و لا تفعلون ما تؤمرون!

ص: ۴۰۵

۱- ۱) و فی نسختنا الخطيه(تعليها).

و تـدرسون مـا لاـ تعلمون فيـا سوء مـا تحكمون!تتوبون بالقول و الامانی، و تعلمون بالهوی،و ما يغنی عنكم أن تتقوا جلودكم و قلوبكم دنسه!بحق أقول لكم:لاـ تكونوا كالمنخـل يخرج منه الـدقيق الطيب و تبقی فيه النخاله كـذلك أنتم!تخرجون الحكم من أفواهكم و يبقی الغل فی صدوركم!يا عبيد الدنيا!كيف يدرك الآخره من لا تنقضی من الدنيا شهوته و لا تنقطع منها رغبته!بحق أقول لكم:إن قلوبكم تبكی من أعمالكم،جعلتم الـدنيا تحت ألسـنتكم و العمل تحت أقـدامكم بحق أقول لكم:أفسدتم آخرتكم بصـلاح دنياكم،فصـلاح الدنيا أحب إليكم من صـلاح الآخره!فای ناس أخس منكم لو تعلمون!و بلكم!حتی متی تصفون الطريق للمـدلجين و تقيمون فی محله المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم!مهلا مهلا! ويلكم!ما ذا يغنی عن البيت المظلم أن يوضـع السـراج فـوق ظهره و جوفه وحش مظلم!كـذلك لاـ يغنی عنكم أن يكون نور العلم بـافواهكم و اجوافكم منه وحشـه معطله.يا عبيـد الـدنيا!توشك الدنيا أن تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم علی وجوهكم،ثم تكبكم علی مناخركم،ثم تأخذ خطاياكم بنواصـيكم!يدفعكم العلم من خلفكم،ثم يسـلمكم إلی الملك الديان حفاه عراه فرادی!فيوقفكم علی سوآتكم،ثم يخزيكم بسوء أعمالكم!!» (۱)هـذا و يعرف الصادق المخلص من أهل هـذه المناصب بأنه إذا ظهر من هو أعدل و أحسن وعظا و أكثر علما منه و أشـد قبولا للناس فرح به و لم يحسـده و إذا حضـر الأكابر و الأعاظم مجلسه أو اقتـدوا به لم يتغير كلامه و لم يتفاوت حاله،بل يبقی علی ما كان عليه،و ينظر إلی عباد اللّه بعين واحده.

۱- ۱) روی هذا الحديث فی(احياء العلوم):۳-۲۸۱،فصححناه عليه و هو يرويه عن(الحارث المحاسبی).

تنبیه

لما عرفت حقیقه الریاء،تعلم أنه إذا صار عمل بعض الصالحین أو قولهم محرکا لغیرهم علی الاشتغال بالطاعه لم تکن هذه الطاعه ریاء إذا عقدت علی الخلوص،و ان لم یکن هذا الغیر لیفعل هذه الطاعه إذا لم یشاهدها من بعض الصالحین أو لم یسمعها منه.فمن لم تکن عادته التهجد و بات مع قوم متهجدین فی موضع،فإذا قاموا للتهجد انبعث نشاطه للموافقه و وافقهم فی التهجد،و لم یکن ذلک ریاء بعد أن یکون قصده منه الثواب و التقرب إلی اللّه،إذ کل مؤمن راغب فی عباده اللّه و فی قیام اللیل،و لکن قد تعوقه العوائق و تمنعه الغفله،فإذا شاهد قوما یتهجدون ربما صارت مشاهده طاعتهم سببا لزوال غفلته،کما یصیر قولهم و وعظهم سببا لذلک،فیتحرک باعث الدین دون الریاء و یدعوه إلی موافقتهم.و ربما کان الموضع مما لیس فیه عائق،فیغتنم الفرصه و یبعثه ما فیه من الایمان الی الطاعه.و قس علی التهجد غیره:من الصوم،و التصدق،و القراءه و الذکر،و غیرها من أعمال البر.

فصل علاج الریاء

لما کانت الأسباب الباعثه علی الریاء هی حب لذه المدح و الفرار من ألم الذم و الطمع بما فی أیدی الناس،فالطریق فی علاجه أن یقطع هذه الأسباب و قد تقدم طریق العلاج فی قطع الأولین،و یأتی طریق إزاله الثالث.و ما نذکره هنا من العلاج العلمی للریاء،هو أن یعلم أن الشیء إنما یرغب فیه لکونه نافعا،و إذا علم أنه ضار لیعرض عنه البته،و حینئذ

فينبغى لكل مؤمن أن يتذكر مضره الرياء و ما يفوته من صلاح قلبه و ما يحرم عنه فى الحال من التوفيق و فى الآخره من المنزله عند اللّه و ما يعترض له من المقت و العذاب و متى تذكر ذلك و قابل ما يحصل له فى الدنيا من الناس الذين راءى لأجلهم بما يفوته فى الآخره من ثواب الاعمال،لترك الرياء لا محاله،مع ان العمل الواحد ربما تترجح به كفه حسناته لو خلص فإذا فسد بالرياء حول إلى كفه السيئات،فتترجح به و يهوى إلى النار.

هذا مع أن المرائى فى الدنيا متشتت الهم متفرق الباب بسبب ملاحظه قلوب الناس،فان رضاهم غايه لا تدرك،و كلما يرضى به فريق يسخط به فريق و من طلب رضاهم فى سخط اللّه سخط اللّه عليه و أسخطهم أيضا.ثم اى غرض له فى مدحهم و ايثار ذم اللّه لأجل مدحهم و لا يزيده مدحهم رزقا و لا اجلالا و لا ينفعه يوم فقره و فاقته و هو يوم القيامه؟!و من كان رياؤه لأجل الطمع بما فى أيدى الناس،ينبغى أن يعلم ان اللّه هو المسخر للقلوب بالمنع و الإعطاء،و ان الخلق مضطرون فيه،و لا رازق إلا اللّه، و من طمع فى الخلق لم يخل عن الذل و الخسه،و ان وصل إلى المراد لم يخل عن المنه و المهانه،و إذا قرر ذلك فى نفسه و لم يكن منكرا لأمسه، زالت غفلته و فترت عن الرياء رغبته و أقبل على اللّه بقلبه،و انقطع بشراشره الى جناب ربه.و يكفيه أن يعلم أن الناس لو علموا ما فى باطنه من قصد الرياء و إظهار الإخلاص لمقتوه،و سيكشف اللّه عن سره حتى يبغضه إليهم و لو أخلص للّه لكشف اللّه لهم اخلاصه و حببه إليهم و سخرهم له،و أطلق ألسنتهم بمدحه و ثنائه،مع أنه لا يحصل له كمال بمدحهم و لا نقصان بذمهم ثم من تنور قلبه بنور الايمان و انشرح صدره باليقين و العرفان، و عرف معنى الواجب و حقيقه الممكن،و تيقن بأن الواجب-أى الحقيقه التى تقتضى بنفس ذاته التحقق و البقاء،و هو صرف الوجود-يجب أن

یکون تاما فوق التمام،و لا یتصور حقیقه أتم کمالا منه،و الحقیقه التی هذا شأنها یجب أن یکون ما سواها باسره مستندا إلیها و صادرا عنها علی أشرف أنحاء الصدور و أقواها.و هذا النحو الأشرف الأقوی الذی لا یتصور نحوه أقوی منه فی الاختراع و أدل منه علی کمال عظمه الموجد و قدرته، و هو کون ما سواه سبحانه من الموجودات،إما اعتبارات و شؤنات لدرجات ذاته و اشراقات لتجلیات صفاته،کما ذهب إلیه قوم،أو کونها ماهیات امکانیه اختراعیه علما و عینا،صادره عن سبحانه بوجودات خاصه متعدده ارتباطیه بمحض إرادته و مشیته،کما ذهب إلیه آخرون (۱)و لو لم یکن غیره من الموجودات مستندا إلیه علی أقوی أنحاء الاستناد،لم یکن تاما فوق التمام،اذ تکون الذات التی یستند الکل إلیها باحد النحوین اکمل منه و أشرف.و إذا عرف أنه سبحانه کذلک،یعرف أنه لیس فی الوجود حقیقه أحد سواه و غیره حقیقته العدم و ما له من الوجود و الظهور منه سبحانه،و بعد هذه المعرفه لا یختار غیره تعالی علیه،و یعلم أن العباد کلهم

---

۱ - ۱) القول الأول مبنی علی اصاله الوجود،و الثانی علی اصاله الماهیه.و هذا البحث الذی ذکره المؤلف من دقائق الفلسفه الآلهیه و اعلاها و لقد أحسن فیه البیان جدا. فانه مبنی علی فهم معنی واجب الوجود لذاته،و هو الذی یکون ذاته بذاته،مع قطع النظر عن کل ما عداه،و من حیث هو هو منشأ لانتزاع انه موجود،فلذلک یجب ان یکون صرف الوجود انه لا شیء له الوجود إلا لکان ممکنا،و یجب أن یکون متصفا بجمیع الکمالات بل اکمل الکمالات و من جملتها ان تکون الموجودات مستنده إلیه علی أقوی أنحاء الاستناد.و إذا لم یتصف بجمیع الکمالات لا یتصف باعدامها،فیدخل فی حقیقته العدم،فلم یکن صرف الوجود،فلم یکن واجب الوجود لذاته،و هذا خلاف الفرض،أو بهذه الطریقه یستدل علی اتصافه بجمیع صفات الجمال و الجلال.

عجزه لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضررا،و لا يملكون موتا و لا حياه، فلا يتغير قلبه بمشاهده الخلق،و لا يلتفت إليهم إلا بخطرات ضعيفه لا يشق عليه ازالتها،فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمله و أما العلاج العملى،فهو أن يعود نفسه على إخفاء العبادات و اغلاق الابواب دونها،كما تغلق الابواب دون الفواحش،حتى يقنع قلبه بعلم اللّه و اطلاعه على عبادته،و لا تنازعه النفس إلى طلب علم غير اللّه به.و ذلك و إن شق فى بدايه المجاهده،لكن إذا صبر عليه مده بالتكلف سقط عنه ثقله و هان عليه بتواصل الطاف اللّه و ما يمده به عباده من حسن التوفيق و التأييد:

إِنَّ اللّهَ لاٰ يُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ

(۱)

.

فمن العبد المجاهده و من اللّه الهدايه:

إِنَّ اللّهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

(۲)

.

تتميم

القالع مغارس الرياء من قلبه بقطع الطمع و استحقار مدح الناس و ذمهم ربما لا يتركه الشيطان،(لا)سيما فى اثناء العباده،فعارضه بخطرات الرياء و نزغاته،حتى أحدث فى قلبه ميلا خفيا إلى الرياء و حبا له.و الحق أن ذلك ليس من الرياء المحرم،و لا تفسد به العباده،مع كونه كارها

۱- ۱) الرعد،الآيه:۱۱.

۲- ۲) التوبه،الآيه:۱۲۰.

لهـذا الميـل و الحب و قـاهرا على نفسه ماقتـا لها فى تأثرها و تغيرها عن نزغات الشـيطان و منازعا للشـيطان و مجاهـدا إياه لـدفع خطراته،لأـن اللّه لم يكلف عبـاده الاـ مـا يطيقون،و ليس فى وسـعهم منع الشـيطان عن نزغـاته و لاـ قمع الطبع حتى لاـ يميل إلى شهواته،و غـايه مـا يقـدرون عليه أن يقابلوا نزعاته و ميل الطبع بالكراهه و القهر على النفس فى هـذا الميل،مع المجاهـده فى دفع ذلك بتـذكر المعالجات المقرره لـدفع الرياء و الوساوس،و إذا فعلوا ذلك أدوا ما يجب عليهم.و يـدل على ذلك أيضا ما تقـدم من الأخبار الداله على عدم المؤاخذه بمجرد الوسوسه،و قول النبى-صـلى اللّه عليه و آله-:«الحمد للّه الذى رد كيد الشـيطان إلى الوسوسه».فوسوسه الشـيطان و ميل النفس لا يضـران مع ردهما بالكراهه و الاباء،اذ الوساوس و الخواطر و التـذكرات و التخيلات المهيجه للريـاء من الشيطان،و الميـل و الرغبه بعـد تلـك الخواطر من النفس،و الإبـاء و الكراهه من الايمان و من آثار العقل فلا يضـر مـا من النفس و الشـيطان إذا قوبـل بمـا من العقـل و الايمـان،و لـذا قـال بعض الأكابر «ما كان من نفسك فكرهته نفسـك لنفسك،فلا يضرك ما هو من عدوك و ما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه».

ثم الطرق المتصوره فى دفع خطرات الرياء فى اثناء العباده مع كراهتها أربع:

الأولى-أن يشتغل بمجادله الشيطان فى رد نزغاته،و يطيل معه الجدال.

الثانيه-أن يقتصر على تكذيب الشيطان و دفعه من غير اشتغال بمجادلته.

الثالثه-ألا يشـتغل بتكـذيبه أيضا،بل يكتفى بما قرر فى عقد ضـميره من كراهه الرياء و كذب الشـيطان،فيسـتمر على ما كان عليه مستصحبا له

غیر مشتغل بالمخاصمه و التکذیب.

الرابعه-أن یزید فیما هو فیه من الإخلاص و الاشتغال باللّه،أو ما یؤدی إلیهما،کاخفاء العباده و الصدقه غیظا للشیطان،لأن ذلک یغیظ الشیطان و یوجب یأسه،و مهما عرف من العبد هذه العاده،کف عنه خوفا من أن یزید فی حسناته.

و لا ریب فی أن الاشتغال بالمجادله و التکذیب و اطالتهما یمنع الحضور و یصد عن التوجه إلی اللّه،و هو نقصان لأهل السلوک،فالصواب لکل مؤمن أن یقرر دائما فی عقد ضمیره کراهیه الریاء و تکذیب الشیطان و یعزم أبدا علی أنه إذا تهجم علیه الشیطان و عارضه بنزغات الریاء زاد ما هو فیه مما یغیظ الشیطان و یوجب یأسه،فإذا حدثت خطرات الشیطان فی الاثناء اکتفی بما عقد علیه أولا مستصحبا له،و زاد فی الإخلاص و ما یؤدی إلیه فان ذلک یوجب قنوط الشیطان.و إذا عرف العبد بهذه الصفه لا یتعرض له لئلا یزید فیما یغیظه.و ینبغی لکل مؤمن أن یکون هذا دیدنه فی جمیع الصفات و الملکات،مثلا إذا حصل الیقین و العقیده الجازمه بالمبدإ و صفاته الکمالیه،و قرر ذلک فی نفسه،و أثبت فی قلبه کراهیه الشک و خطور الوساوس،فإذا حدث بعض الوساوس فی اثناء عباده أو غیرها،ینبغی ألا یشتغل بطول المجاهده مع الشیطان،و یکفی بما تقرر فی قلبه من الیقین و کراهیه الشک و الوسوسه،معتقدا بأن هذه الوساوس لا أصل لها و لا عبره بها.و کذا إذا قرر فی نفسه النصیحه للمسلمین و کراهیه الحسد،فإذا أوقع الشیطان نزغات الحسد فی قلبه،ینبغی ألا یلتفت إلیها،و یستصعب ما کان علیه من النصیحه و الکراهه،و قس علیها سائر الصفات و الأخلاق.

ثم مثل من یشتغل بطول المجاهده مع الشیطان مثل من قصد مجلسا من مجالس العلم و الوعظ لینال فائده و هدایه فعارضه ضال فاسق و دعاه إلی

مجلس فسق فـابى و أنكر عليه،فـإذا عرف الضـال إيـاه،اشـتغل بالمجادله معه،و هو أيضا يساعـده على ذلك ليرد ضـلاله،ظانا أن ذلك مصلحته مع أنه غرض الضال إذ قصده من المجادله أن يؤخره عن نيل مقصوده.

و مثـل من يشـتغل بالتكـذيب مثـل من لا يشـتغل بالقتال مع الضال بعـد دعوته الى مجلس الضـلال،بل وقف بقـدر أن يـدفع فى منحره،و ذهب مسـتعجلا ففرح الضال بقـدر توقفه للدفع.و مثل من يكتفى بعقد الضـمير مثل من لم يلتفت إلى الضال بعد دعوته أصـلا،و اسـتمر على ما كان عليه من المشـى و مثل من يزيـد فيما كان له من الإخلاص أو ما يؤدى إليه مثل من يزيـد فى عجلته بعـد دعـوته ليغيظـه.و لاـ ريـب فى أن الضـال يمكـن أن يعـاود الجميع فى الـدعوه إلى الضــلاله إذا مروا عليـه مره أخرى إلا الأخير،مخافه أن يزداد فائده باستعجاله.

وصل الإخلاص و حقيقته

ضـد الرياء:الإخلاص،و هو تجريـد القصـد عن الشوائب كلها.فمن عمل طاعه رياء فهو مراء مطلق،و من عملها و انضم إلى قصـد القربه قصـد غرض دنيوى انضـماما غير مسـتقل فعمله مشوب غير خالص،كقصـد الانتفاع بالحميه من الصوم،و قصد التخلص من مؤنه العبد أو سوء خلقه من عتقه،و قصد صـحه المزاج أو التخلص من بعض الشـرور و الاحزان من الحج،و قصد العزه بين الناس أو سـهوله طلب المال من تعلم العلم، و قصـد النظافه و التبرد و طيب الرائحه من الوضوء و الغسل،و التخلص عن إبرام السائل من التصدق عليه،و هكذا.فمتى كان باعث الطاعه هو التقرب و لكن انضافت إليه خطره من هذه الخطرات،خرج عمله من الإخلاص

فالاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها،كثيرها و قليلها و المخلص من يكون عمله لمحض التقرب إلى اللّه سبحانه،من دون قصد شيء آخر أصلا.

ثم أعلى مراتب الإخلاص-و هو الإخلاص المطلق و اخلاص الصديقين- إرادته محض وجه اللّه سبحانه من العمل،دون توقع غرض فى الدارين و لا يتحقق إلا لمحب للّه تعالى مستهترا به،مستغرق الهم بعظمته و جلاله بحيث لم يكن ملتفتا إلى الدنيا مطلقا. و أدناها-و هو الإخلاص الاضافى- قصد الثواب و الاستخلاص من العذاب،و قد أشار سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله- الى حقيقه الإخلاص بقوله-:«هو أن تقول ربى اللّه ثم تستقيم كما أمرت (۱)تعمل اللّه،لا تحب أن تحمد عليه!اى لا تعبد هواك و نفسك،و لا تعبد إلا ربك،و تستقيم فى عبادتك كما أمرت».

و هذا إشاره إلى قطع ما سوى اللّه سبحانه عن مجرى النظر،و هو الإخلاص حقا.و يتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس و قطع الطمع عن الدنيا و التجرد فى الآخره،بحيث ما يغلب ذلك على القلب و التفكر فى صفات اللّه تعالى و افعاله و الاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله و عظمته و يستولى عليه حبه و أنسه،و كم من اعمال يتعب الإنسان فيها و يظن انها خالصه لوجه اللّه تعالى،و يكون فيها مغرورا لعدم عثوره على وجه الآفه فيها،كما حكى عن بعضهم أنه قال:«قضيت صلاه ثلاثين سنه كنت صليتها فى المسجد جماعه فى الصف الأول،لأنى تأخرت يوما لعذر و صليت فى الصف الثانى،فاعترتنى خجله من الناس حيث رأونى فى الصف الثانى فعرفت أن نظر الناس إلى فى الصف الأول كان يسرنى،و كان سبب

۱- ۱) إشاره إلى قوله تعالى،مخاطبا لنبيه-صلى اللّه عليه و آله-:«فاستقم كما أمرت».

استراحه قلبی من ذلک من حیث لا اشعر».و هذا دقیق غامض،و قلما تسلم الأعمال من أمثاله،و قل من یتنبه له،و الغافلون عنه یرون حسناتهم فی الآخره کلها سیئات،و هم المرادون بقوله تعالی:

وَ بَدٰا لَهُمْ سَیِّئٰاتُ مٰا عَمِلُوا

(۱)

. وَ بَدٰا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مٰا لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ (۲).و بقوله: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمٰالاً؟ اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً (۳).

فصل مدح الإخلاص

الإخلاص منزل من منازل الدین،و مقام من مقامات الموقنین.و هو الکبریت الأحمر،و توفیق الوصول إلیه من اللّه الاکبر،و لذا ورد فی فضیلته ما ورد من الآیات و الأخبار،قال اللّه تعالی:

وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِیَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ

(۴)

.

و قال: أَلاٰ لِلّٰهِ الدِّینُ الْخٰالِصُ (۵).و قال: إِلاَّ الَّذِینَ

۱- ۱) الجاثیه،الآیه:۳۳.

۲- ۲) الزمر،الآیه:۴۷.

۳- ۳) الکهف،الآیه:۱۰۴،۱۰۳.

۴- ۴) البینه،الآیه:۵.

۵- ۵) الزمر،الآیه:۳.

تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّهِ

(۱)

و قال:

فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً

(۲)

.

نزل فيمن يعمل للّه و يحب أن يحمد عليه.

و فى الخبر القدسى:«الإخلاص سر من أسرارى،استودعته قلب من أحببت من عبادى».و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-«أخلص العمل يجزك منه القليل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ما من عبد يخلص العمل للّه تعالى أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمه من قلبه على لسانه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ثلاث لا يغل عليهن».

وعد منها قلب رجل مسلم أخلص العمل للّه عز و جل.و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«لا تهتموا لقله العمل،و اهتموا للقبول».و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«طوبى لمن أخلص للّه العباده و الدعاء،و لم يشغل قلبه بما ترى عيناه،و لم ينس ذكر اللّه بما تسمع أذناه،و لم يحزن صدره بما أعطى غيره!».و قال الباقر-عليه السلام-:«ما أخلص عبد الايمان باللّه أربعين يوما-أو قال:ما أجمل عبد ذكر اللّه أربعين يوما-الا زهده اللّه تعالى فى الدنيا و بصره داءها و دواءها،و أثبت الحكمه فى قلبه و انطق بها لسانه». و قال الصادق عليه السلام فى قول اللّه عز و جل.

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً :

۱- ۱) النساء،الآيه:۱۴۶.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۱۱۰.

«لیس یعنی أکثرکم عملا،و لکن اصوبکم عملا-و انما الإصابه خشیه اللّه و النیه الصادقه»..ثم قال:«الایفاء علی العمل حتی یخلص أشد من العمل،و العمل الخالص الذی لا ترید أن یحمدک علیه أحد إلا اللّه عز و جل،و النیه أفضل من العمل،ألا و ان النیه هی العمل».

ثم تلا قوله عز و جل«قل کل یعمل علی شاکلته»:یعنی علی نیته».

و قال الصادق-علیه السلام-:«الإخلاص (۱)یجمع فواضل الاعمال و هو معنی مفتاحه القبول و توفیقه الرضا،فمن تقبل اللّه منه و رضی عنه فهو المخلص و ان قل عمله،و من لا یتقبل اللّه منه فلیس بمخلص و ان کثر عمله،اعتبارا بآدم-علیه السلام-و ابلیس.و علامه القبول وجود الاستقامه ببذل کل المحاب مع اصابه علم کل حرکه و سکون،و المخلص ذائب روحه باذل مهجته فی تقویم ما به العلم و الأعمال و العامل و المعمول بالعمل،لأنه إذا أدرک ذلک فقد أدرک ذلک الکل،و إذا فاته ذلک فاته الکل،و هو تصفیه معانی التنزیه فی التوحید کما قال الأول:هلک العاملون إلا العابدون،و هلک العابدون إلا العالمون و هلک العالمون إلا الصادقون،و هلک الصادقون إلا المخلصون،و هلک المخلصون إلا المتقون و هلک المتقون إلا الموقنون،و أن الموقنین لعلی خطر عظیم!قال اللّه لنبیه -صلی اللّه علیه و آله-:و اعبد ربک حتی یأتیک الیقین.و أدنی حد الإخلاص بذل العبد طاقته،ثم لا یجعل لعمله عند اللّه قدرا فیوجب به علی ربه مکافاه بعمله،لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبودیه لعجز، و أدنی مقام المخلص فی الدنیا السلامه فی جمیع الآثام،و فی الآخره النجاه

---

۱ - ۱) صححنا الاخبار المرویه عن أهل البیت-علیهم السلام-علی(الکافی) باب الإخلاص.و علی(الوافی):۳-۳۲۸،۳۲۹ باب الإخلاص.

من النار و الفوز بالجنه» (۱).

و من تأمل فی هذه الاخبار و فی غیرها مما لم یذکر،یعلم أن الإخلاص رأس الفضائل و رئیسها،و هو المناط فی قبول الأعمال و صحتها،و لا عبره بعمل لا الإخلاص معه،و لا خلاص من الشیطان إلا بالإخلاص،لقوله:

إِلاّ عِبٰادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ

(۲)

.

و ما ورد فی الإسرائیلیات من حکایه العابد و الشیطان و الشجره المشهور و فی الکتب مسطور (۳).

فصل آفات الإخلاص

الآفات التی تکدر الإخلاص و تشوشه لها درجات فی الظهور و الخفاء اجلاها الریاء الظاهر،و هو ظاهر.ثم تحسین العباده و السعی فی الخشوع فیها فی الملأ دون الخلوه لیتأسی به الناس،و لو کان عمله هذا خالصا للّه لم یترکه فی الخلوه،إذ من یری الخشوع و حسن العباده خیرا لا یرتضی لغیره ترکه،فکیف یرتضی ذلک لنفسه فی الخلوه،ثم تحسینها فی الخلوه أیضا بقصد التسویه بین الخلوه و الملأ،و هذا من الریاء الغامض،لأنه حسن عبادته فی الخلوه لیحسنها فی الملأ،فلا یکون فرق بینهما فی التفاته فیهما إلی الخلق،اذ الإخلاص الواقعی أن تکون مشاهده الخلق لعبادته

۱- ۱) صححنا الروایه علی(مصباح الشریعه):الباب ۷۷ و علی(البحار): مج ۲:۱۵-۸۶ باب الإخلاص عن(مصباح الشریعه).

۲- ۲) الحجر،الآیه ۴۰.

۳- ۳) راجع(احیاء العلوم)۴-۳۲۲.

كمشاهده البهائم لها،من دون تفاوت أصلا،فكأن نفسه لا تسمح باساءه العباده بين اظهر الناس،ثم يستحى من نفسه أن يكون فى صوره المرائين و يظن أن ذلك يزول باستواء عبادته فى الخلوه و الملأ،و ليس كما ظنه،اذ زوال ذلك موقوف على عدم التفاته إلى الخلق فى الملأ و الخلوه كما لا يلتفت الى الجمادات فيهما مع أنه مشغول الهم بالخلق فيهما جميعا.و اخفاها أن يقول له الشيطان-و هو فى العباده فى الملأ بعد يأسه عن المكائد السابقه-:

«أنت واقف بين يدى اللّه سبحانه،فتفكر فى جلاله و عظمته،و استحى من أن ينظر إلى قلبك و هو غافل عنه!فيحضر بذلك قلبه و تخشع جوارحه» و هذا أخفى مكائد الشيطان و خداعه،و لو كانت هذه الخطره ناشئه عن الإخلاص لما انفكت عنه فى الخلوه و لم يخص خطورها بحاله حضور غيره و علامه الأمن من هذه الآفه:أن يكون هذا الخاطر مما يألفه فى الخلوه كما يألفه فى الملأ،و لا يكون حضور الغير سببا لحضوره كما لا يكون حضور بهيمه سببا له،فما دام العبد يفرق فى أحواله و أعماله بين مشاهده انسان و مشاهده بهيمه،فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء،و هذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النمله السوداء فى الليله الظلماء على الصخره الصماء،كما ورد به الخبر و لا يسلم منه إلا من عصمه اللّه بخفى لطفه،اذ الشيطان ملازم للمتشمرين لعباده اللّه،لا يغفل عنهم لحظه ليحملهم على الرياء فى كل واحد من أفعالهم و أعمالهم.

تتميم

الحق-كما أشير إليه-أن الشوب الممزوج بالإخلاص إن كان من المقاصد الصحيحه الراجحه شرعا،لم يبطل العمل و الإخلاص و لم ينقص

الأجر و الثواب.اذ نيه الخيرات المتعدده توجب تضاعف الثواب بحسبها و إن كان من الأغراض الدنيويه الراجعه إلى حب جاه أو طمع مال فهو مبطل للعمل و الثواب،سواء كان الباعث الدينى أضعف من الباعث النفسى أو مساويا له أو أقوى منه،لظواهر الاخبار المتقدمه.و مع إبطاله العمل يترتب عليه عقاب على حده أيضا،إذ الرياء فى العباده فى نفسه منهى عنه محرم،سواء كان هو الباعث وحده او انضم إلى نيه التقرب انضماما مستقلا أو غير مستقل،فمن ارتكبه كان آثما لأجل الرياء فى نفسه و تاركا للعباده من حيث دخول الرياء فيها،فان كانت واجبه ترتب اثم آخر على تركها إلا أن يسقطه بقضائها،و ان كانت مستحبه لم يلزم قضاؤها و لم يترتب اثم على تركها،بل كان اثمها منحصرا بما يترتب على الرياء فى نفسه.ثم الإثم المترتب على الرياء المحض أشد و اغلط من المترتب على الرياء الممزوج بالقربه،و يتزايد اثم الممزوج بحسب ازدياد قوه باعث الرياء بالنظر إلى باعث الإخلاص،و ينقص بحسب نقصان ذلك.

و على ما ذكرناه،فما العقد عليه إجماع الأمه من أن من خرج حاجا و معه تجاره صح حجه و أثيب عليه،مع أن سفره ليس خالصا للحج، فالوجه فيه أن التجاره تعرض للرزق،و هو أيضا عباده.و قد تقدم أن نيه الخيرات المتعدده موجبه لتضاعف الثواب بحسبها،فلا حاجه إلى ما قيل «إن التاجر إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكه و تجارته غير موقوفه عليه فهو خالص،و إنما المشترك طول المسافه،و لاـ ثواب فيه مهما قصد تجاره»،و لا إلى ما قيل:«مهما كان الحج هو المحرك الأصلى و كان غرض التجاره كالمعين و التابع،فلاـ ينفك نفس السفر عن الثواب» نعم،إذا كانت التجاره للجمع و الادخار من غير حاجه،فلا يبعد أن يقال ذلك،و كذا إذا انضم إلى قصد الحج قصد التفرج و دفع التوحش عن الأهل

انضماما غیر مستقل،و مثله إذا انضم إلی نیه الوضوء التبرد،و إلی نیه الصوم قصد الحمیه،و إلی نیه العتق الخلاص من المؤنه و سوء الخلق،الی غیر ذلک،اذا لم تکن المنضمات مستقله.

و من العلماء من قال:«إن الباعثین إن تساویا تساقطا،و صار العمل لا له و لا علیه،و ان کان باعث الریاء أقوی لم یکن العمل نافعا،بل کان مضرا و موجبا للعقاب،و إن کان عقابه أخف من عقاب الذی تجرد للریاء و ان کان باعث التقرب أقوی فله ثواب بقدر ما فضل من قوته، لقوله تعالی:

فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ. وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ

(۱)

.و قوله تعالی: إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَظْلِمُ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ (۲).

فلا ینبغی أن یضیع قصد الخیر،بل إن کان قصد التقرب غالبا علی الریاء حبط منه القدر الذی یساویه و بقیت زیاده،و إن کان مغلوبا سقط بسببه شیء من عقوبه القصد الفاسد.و السر:أن الأعمال تأثیرها فی القلوب بتأکید صفاتها،فداعیه الریاء من المهلکات،و قوه هذا المهلک بالعمل علی وفقه،و داعیه الخیر من المنجیات،و قوته بالعمل علی وفقه،فإذا اجتمعت الصفات فی القلب فهما متضادتان،فإذا عمل علی وفق مقتضی الریاء قویت تلک الصفه،و ان عمل علی وفق داعیه الخیر قویت أیضا تلک الصفه،و أحدهما مهلک و الآخر منج.فان کانت تقویته لهذا بقدر

۱- ۱) الزلزال،الآیه:۷،۸.

۲- ۲) النساء،الآیه:۴۰.

تقويته للاخر فقد تقاوما،و ان كان أحدهما غالبا زاد تأثيره بقدر الفاضل من قوته،كما فى تأثير الأدويه و الأغذيه المتضاده»انتهى (۱)

و فيه:أن إطلاق الظواهر يفيد كون شوب الرياء محبطا للعمل و الثواب و قدم تقدم بعضها.و منها ما روى:«أن رجلا سأل النبى-صلى اللّه عليه و آله-:عمن يصطنع المعروف-أو قال-يتصدق-فيحب أن يحمد و يؤجر،فلم يدر ما يقول له،حتى نزل قوله تعالى:

فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَةِ رَبِّهِ أَحَداً

(۲)

.

و لا ريب فى أنه قصد الحمد و الأجر جميعا،و مع ذلک نزلت فى حقه هذه الآيه.

و منها ما روى:«أن اعرابيا أتاه-صلى اللّه عليه و آله-و قال:

يا رسول اللّه،الرجل يقاتل حميه،و الرجل يقاتل شجاعه،و الرجل يقاتل ليرى مكانه فى سبيل اللّه!فقال-صلى اللّه عليه و آله-:من قاتل لتكون كلمه اللّه هى العليا فهو فى سبيل اللّه».و حملها على صوره تساوى القصدين

۱- ۱) ابو حامد الغزالى:(احياء العلوم):۴-۳۲۸.و نقله المؤلف باختصار و تصرف قليلين.

۲- ۲) هذه مرويه فى(البحار):مج ۳:۱۵-۵۹،باب ذم السمعه و الاغترار بمدح الناس،عن عده الداعى بمضمون يقارب ماهنا و نصه عن سعيد بن جبير قال:«جاء رجل إلى النبى-صلى اللّه عليه و آله-فقال:انى اتصدق و أصل الرحم و لا اصنع ذلک إلا للّه فيذكر عنى و أحمد عليه،فأسر فى ذلک و اعجب به.فسكت رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و لم يقل شيئا،فنزل قوله تعالى:إنما أنا بشر. الآيه».

أو غلبه قصد الرياء خلاف الظاهر.و ما ذكره من أن لكل قصد و فعل تأثيرا خاصا على حده،ففيه أن ذلک إذا لم يبطله ضده.و نحن نقول:

إن مقتضى الاخبار كصريح العقل يدل على أن قصد الرياء يبطل قصد القربه إذا تواردا على فعل واحد،فلا يبقى لقصد التقرب تأثير حتى يتصف بالزياده على تأثير قصد الرياء.

و منها:

النفاق

و هو مخالفه السر و العلن،سواء كان فى الايمان أو فى الطاعات أو فى المعاشرات مع الناس،و سواء قصد به طلب الجاه و المال أم لا-و على هذا فهو أعم من الرياء مطلقا،و ان خص بمخالفه القلب و اللسان أو بمخالفه الظاهر و الباطن فى معامله الناس و مصاحبتهم،فبينهما عموم و خصوص من وجه.و على التقادير،إن كان باعثه الجبن فهو من رذائل قوه الغضب من جانب التفريط،و ان كان باعثه طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الإفراط و إن كان منشأه تحصيل مال أو منكح فهو من رداءه قوه الشهوه و لا ريب فى أنه من المهلكات العظيمه،و قد تعاضدت الآيات و الأخبار على ذمه.و أشد أنواع النفاق-بعد كفر النفاق-كون الرجل ذا وجهين و لسانين،بأن يمدح أخاه المسلم فى حضوره و يظهر له المحبه و النصيحه، و يذمه فى غيبته و يؤذيه بالسب و السعايه إلى الظالمين و هتک عرضه و اتلاف ماله و غير ذلک،و بأن يتردد بين متعاديين و يتكلم لكل واحد بكلام يوافقه و يحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداه مع صاحبه و يمدحه (۱)على

۱- ۱) و فى النسخ(اثناه)بدل(يمدحه)،و لم نر لها وجها.

ذلک،أو یعد کل واحد منهما أنه ینصره،أو ینقل کلام کل واحد الی الآخر.و هذا شر من النمیمه التی هی النقل من أحد الجانبین.و بالجمله هو بجمیع أقسامه مذموم محرم،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- «من کان له وجهان فی الدنیا،کان له لسانان من نار یوم القیامه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«تجدون من شر عباد اللّه یوم القیامه ذا الوجهین:الذی یأتی هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«یجیء یوم القیامه ذو الوجهین دالعا لسانه فی قفاه و آخر من قدامه یلتهبان نارا حتی یلتهبان خده،ثم یقال:هذا الذی کان فی الدنیا ذا وجهین و ذا لسانین،یعرف بذلک یوم القیامه». و ورد فی التوراه «بطلت الأمانه و الرجل مع صاحبه بشفتین مختلفتین،یهلک اللّه یوم القیامه کل شفتین مختلفتین».و عن علی بن اسباط،عن عبد الرحمن بن حماد، رفعه قال:قال اللّه تبارک و تعالی لعیسی:«یا عیسی،لیکن لسانک فی السر و العلانیه لسانا واحد،و کذلک قلبک،إنی احذرک نفسک،و کفی بی خبیرا!لا یصلح لسانان فی فم واحد،و لا سیفان فی غمد واحد،و لا قلبان فی صدر واحد،و کذلک الاذهان!».و قال الباقر علیه السلام:

«لبئس العبد عبد یکون ذا وجهین و ذا لسانین،یطری أخاه شاهدا و یأکله غائبا،إن أعطی حسده و ان ابتلی خذله».

ثم لا یخفی أن الدخول علی المتعادیین و المجامله مع کل منهما قولا و فعلا لا یوجب کونه منافقا و لا ذا لسانین إذا کان صادقا،إذ الواحد قد یصادق متعادیین،و لکن صداقه ضعیفه،إذ الصداقه التامه تقتضی معاداه الأعداء و کذا من ابتلی بذی شر یخاف شره،یجوز أن یجامله و یتقیه و یظهر له فی حضوره من المدح و المحبه ما لم یعتقد به قلبه،و هو معنی المداراه، و هو و ان کان نفاقا إلا أنه جائز شرعا للعذر،قال اللّه سبحانه:

اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ

(۱)

.

و روی:«أنه استأذن رجل علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- فقال:ائذنوا له فبئس رجل العشیره.فلما دخل ألان له القول،حتی ظن أن له عنده منزله.فلما خرج،قیل له:لما دخل قلت الذی قلت ثم ألنت له القول؟!فقال:إن شر الناس منزله عند اللّه یوم القیامه من اکرمه الناس اتقاء لشره».و یدل علی جواز ذلک جمیع أخبار التقیه و اخبار المداراه.و فی خبر:«ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه».

و قال بعض الصحابه:«کنا نبشر فی وجوه أقوام نلعنهم بقلوبنا».ثم جواز ذلک انما إذا اضطر إلی الدخول علی ذی الشر و مدحه مظنه الضرر أما لو کان مستغنیا عن الدخول و الثناء أو عن أحدهما،و مع ذلک أبدی بلسانه ما لیس فی قلبه من المدح،فهو نفاق محرم.

ثم ضد النفاق استواء السر و العلانیه،أو کون الباطن خیرا من الظاهر،و هو من شرائف الصفات،و کان الاتصاف به و الاجتناب من النفاق أهم مقاصد المؤمنین من الصدر الأول.و من تأمل فی ما ورد فی ذم النفاق و فی مدح موافقه الباطن مع الظاهر،و تقدم الرویه فی کل قول و فعل لم یصعب علیه أن یحافظ نفسه من رذیله النفاق.

انتهی الجزء الثانی و یلیه الجزء الثالث،و أوله(و منها:الغرور)

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۹۶.

المجلد ۳

اشاره

ص :۱

تتمه الباب الثالث

اشاره

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

و منها

اشاره

و منها (۱):

الغرور

معنى الغرور-ذمه-طوائف المغرورين:المغرورون من الكفار و العصاه و الفساق من المؤمنين-المغترون من أهل العلم و فرقهم-المغترون من الوعاظ كثيرون-المغرورون من أهل العباده فرق كثيره-المغترون من المتصوفه أكثر-المغترون من الأغنياء أكثر من سائر الطوائف-ضد الغرور الفطانه و العلم و الزهد.

و هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى،و يميل إليه الطبع عن شبهه و خدعه من الشيطان.فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل او فى الآجل عن شبهه فاسده،فهو مغرور.و لما كان أكثر الناس ظانين بانفسهم خيرا، و معتقدين بصحه ما هم عليه من الاعمال و الافعال و خيريته،مع انهم مخطئون فيه،فهم مغرورون.مثلا من يأخذ المال الحرام و ينفقها فى مصارف

۱- ۱) أى من الرذائل المتعلقه باثنتين من القوى الثلاث او بجميعها، و هى القوه العاقله و الغضبيه و الشهويه.و هذه الرذيله هى الرذيله«الواحده و العشرون»منها.

الخیر،کبناء المساجد و المدارس و القناطر و الرباطات و غیرها،یظن ان هذا خیر له و سعاده،مع انه محض الغرور،حیث خدعه الشیطان و أراه ما هو شر له خیرا،و کذا الواعظ الذی غرضه الجاه و القبول من موعظته،یظن انه فی طاعه اللّه،مع انه فی المعصیه بغرور الشیطان و خدعته.

ثم لا ریب فی ان سکون النفس إلی ما یوافق الهوی،و یمیل الطبع الیه عن شبهه و مخیله،مرکب من امرین:(أحدهما)اعتقاد النفس بأن هذا خیر له مع کونه خلاف الواقع،(و ثانیهما)حبها و طلبها باطنا لمقتضیات الشهوه او الغضب.فان الواعظ إذا قصد بوعظه طلب الجاه و المنزله معتقدا انه یجلب به الثواب،تکون له رغبه إلی الجاه و اعتقاد بکونه خیرا له،اذ الغنی إذا أمسک ماله و لم ینفقه فی مصارفه اللازمه،و واظب علی العباده معتقدا ان مواظبته علی العباده تکفی لنجاته و ان کان بخیلا،یکون له حب للمال و اعتقاد بأنه علی الخیر.ثم الاعتقاد المذکور راجع إلی نوع معین من الجهل المرکب،و هو الجهل الذی یکون المجهول المعتقد فیه شیئا یوافق الهوی،فیکون من رذائل القوه العاقله،و الحب و الطلب للجاه و المال من رذائل قوتی الغضب و الشهوه.فالغرور یکون من رذائل القوی الثلاث، او من رذائل العاقله مع أحداهما.

فصل (ذم الغرور)

الغرور و الغفله منبع کل هلکه وام کل شقاوه،و لذا ورد فیه الذم الشدید فی الآیات و الاخبار،قال اللّه-سبحانه-:

فَلاٰ تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیٰاهُ الدُّنْیٰا وَ لاٰ یَغُرَّنَّکُمْ بِاللّٰهِ

ص: ۴۰

الْغَرُورُ

(۱)

.و قال عز و جل وَ لٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمٰانِيُّ حَتّٰى جٰاءَ أَمْرُ اللّٰهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ (۲).

و قال رسول اللّه(ص):«حبذا نوم الاكياس و فطرهم،كيف يغبنون سهر الحمقى و اجتهادهم،و المثقال ذره من صاحب تقوى و يقين أفضل من ملء الأرض من المغترين». و قال الصادق(ع):«المغرور فى الدنيا مسكين، و فى الآخره مغبون،لانه باع الأفضل بالادنى،و لا تعجب من نفسك، فربما اغتررت بمالك و صحه جسدك ان لعلك تبقى.و ربما اغتررت بطول عمرك و أولادك و اصحابك لعلك تنجو بهم.و ربما اغتررت بجمالك و منيتك و اصابتك مامولك و هواك،فظننت انك صادق و مصيب.

و ربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك فى العباده،و لعل اللّه يعلم من قلبك بخلاف ذلك.و ربما اقمت نفسك على العباده متكلفا و اللّه يريد الإخلاص.و ربما افتخرت بعلمك و نسبك،و أنت غافل عن مضمرات ما فى غيب اللّه تعالى.و ربما توهمت انك تدعو اللّه و أنت تدعو سواه.و ربما حسبت انك ناصح للخلق و أنت تريدهم لنفسك ان يميلوا إليك.و ربما ذممت نفسك و أنت تمدحها على الحقيقه» (۳).

فصل (طوائف المغرورين)

اشاره

اعلم ان فرق المغترين كثيره،و جهات غرورهم و درجاته مختلفه،و ما

ص: ۵

۱- ۱) لقمان،الآيه:۳۳.فاطر،الآيه:۵.

۲- ۲) الحديد،الآيه:۱۴.

۳- ۳) صححناه على مصباح الشريعه:الباب ۳۶.

مـن طـائفه فی العـالم مشـترکین فی وصـف مجتمعیـن علی امر،الاـ و یوجـد فیهم فرق من المغترین.الاـ ان بعض الطوائـف کلهم مغترون،کالکفـار و العصـاه و الفسـاق،و بعضـهم یوجـد فیهم المغرور و غیر المغرور،و ان کـان معظم کل طائفه أرباب الغرور.و نحن نشیر إلی مجاری الغرور،و إلی غرور کل طائفه لیتمکن طالب السعاده من الاحتراز عنه،اذ من عرف مداخل الآفات و الفساد و مجاریهما یمکنه ان یأخذ منها حذره،و یبنی علی الجزم و البصیره امره.فنقول:

الطائفه الأولی (الکفار)

و هم مغرورون بأسـرهم،و هم مـا بین من غرته الحیاه الـدنیا،و بین من غره الشـیطان باللّه.و اما الـذین غرتهم الحیاه الـدنیا،فباعث غرورهم قیاسان نظمهما الشیطان فی قلوبهم:(اولهما)ان الـدنیا نقـد و الآخره نسـیئه، و النقـد خیر من النسـیئه.(و ثانیهما)ان لذات الدنیا یقینیه و لذات الآخره مشـکوکه فیها،و الیقینی خیر من المشکوک،فلا یترک به.و هذه اقیسه فاسده تشبه قیاس ابلیس،حیث قال:

أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

و علاـج هـذا الغرور-بعـد تحصـیل الیقین بوجـود الواجب تعـالی و بحقیقه النـبی(ص)،و هو فی غـایه السـهوله لوضوح الطرق و الادله-اما ان یتبع مقتضی ایمانه و یصدق اللّه تعالی فی قوله:

ص:۶

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۱،ص،الآیه:۷۶.

مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ

(۱)

.و فی قوله تعالی: وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ (۲).و قوله: وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ (۳).و قوله: وَ مَا الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا إِلاّٰ مَتٰاعُ الْغُرُورِ (۴).و قوله تعالی: فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ (۵).

و اما ان يعرف بالبرهان فساد القياسين،حتى يزول عن نفسه ما تأديا اليه من الغرور.و طريق معرفه الفساد فی(القياس الأول):ان يتأمل فی ان كون الدنيا نقدا و الآخره نسيئه صحيح،الا ان كون كل نقد خيرا من النسيئه غير صحيح،بل هو محل التلبيس،اذ المسلّم خيريه النقد على النسيئه ان كان مثلها فی المقدار و المنفعه و المقصود و البقاء،و اما ان كان أقل منها فی ذلک و ادون،فالنسيئه خير،الا ـ ترى ان هذا المغرور إذا حذره الطبيب من لذائذ الأطعمه يتركها فی الحال خوفا من الم المرض فی الاستقبال و يبذل درهما فی الحال ليأخذ درهمين نسيئه،و يتعب فی الاسفار و يركب البحار فی الحال لأجل الراحه و الربح نسيئه.و قس عليه جميع اعمال الناس و صنائعهم فی الدنيا:من الزراعه و التجاره و المعاملات،فانهم يبذلون فيها المال نقدا ليصلوا إلى أكثر منه نسيئه،فان كان عشره فی ثانی الحال خيرا

ص: ۷

۱- ۱) النحل،الآيه:۹۶.

۲- ۲) الأعلى،الآيه:۱۷.

۳- ۳) القصص الآيه:۶۰.الشورى،الآيه:۳۶.

۴- ۴) آل عمران،الآيه:۱۸۵.الحديد،الآيه:۲۰.

۵- ۵) لقمان،الآيه:۳۳.فاطر،الآيه:۵.

من واحد فی الحال،فأنسب لذه الدنیا من حیث الشده و المده و العده إلی لذه الآخره من هذه الحیثیات،فان من عرف حقیقه الدنیا و الآخره،یعلم انه لیس للدنیا قدر محسوس بالنسبه إلی الآخره،علی ان لذه الدنیا مکدره مشوبه بأنواع المنغصات،و لذات الآخره صافیه غیر ممتزجه بشیء من المکدرات.

و اما طریق معرفه فساد(القیاس الثانی)بأصلیه:هو ان یعرف ان کون لذات الآخره مشکوکا فیها خطأ،و ان کل یقینی خیر من المشکوک غلط:

(اما الأول)فلأنّ الآخره یقینیه قطعیه عند أهل البصیره.و لیقینهم مدرکان:

-أحدهما-ما یدرکه عموم الخلق،و هو اتفاق عظماء الناس من الأنبیاء و الأولیاء و الحکماء و العلماء،فان ذلک یورث الیقین و الطمأنینه بعد التأمل،کما ان المریض الذی لا یعرف دواء علته إذا اتفق جمیع أرباب الصناعه علی ان دواءه کذا،فانه تطمئن نفسه إلی تصدیقهم و لا یطالبهم بتصحیح ذلک بالبراهین،بل یثق بقولهم و یعمل به،و ان کذبهم صبی او معتوه او سوادی.و لا ریب فی ان المنکرین للآخره المغترین بالحیاه الدنیا من الکفار و البطالین بالنظر إلی المخبرین عن أحوال الآخره و المشاهدین لها من الأنبیاء و الأولیاء ادون حالا و أقل رتبه من صبی او معتوه او سوادی بالنظر إلی اطباء بلد او مملکه.

-و ثانیهما-ما لا یدرکه الا الأنبیاء و الأولیاء،و هو الوحی و الإلهام، فالوحی للأنبیاء و الإلهام و الکشف للاولیاء فانه قد کشفت لهم حقائق الأشیاء کما هی علیها،و شاهدوها بالبصیره الباطنه کما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر،فیخبرون عن مشاهده لا عن سماع و تقلید، و لا تظنن ان معرفه النبی(ص)لأمر الآخره و لأمور الدین مجرد تقلید

لجبرئیل بالسماع منه،کما ان معرفتک لها تقلید للنبی،هیهات!فان الأنبیاء یشاهدون حقائق الملک و الملکوت،و ینظرون إلیها بعین البصیره و الیقین، و ان اکد ذلک بالقاء الملک و السماع منه.

و اما المغرورون باللّه،و هم الذین یقدرون فی أنفسهم و یقولون بألسنتهم، ان کان للّه معاد فنحن فیه اوفر حظا و أسعد حالا من غیرنا،کما أخبر اللّه -سبحانه-عن قول الرجلین المتحاورین،اذ قال:

وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَةَ قٰائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْهٰا مُنْقَلَباً

(۱)

.

و باعث ذلک:ما القی الشیطان فی روعهم من نظرهم مره إلی نعم اللّه علیهم فی الدنیا فیقیسون علیها نعمه الآخره،و ینظرون إلی تأخیر اللّه العذاب عنهم فیقیسون علیه عذاب الآخره،کما قال اللّه-تعالی-:

وَ یَقُولُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ لَوْ لاٰ یُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ یَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمَصِیرُ

(۲)

.

و مره ینظرون إلی المؤمنین و هم فقراء محتاجون،فیقولون:لو احبهم اللّه لاحسن إلیهم فی الدنیا و لو لم یحبنا لما أحسن إلینا فیها،فلما لم یحسن الیهم فی الدنیا و أحسن إلینا فیها فیکون محبا لنا و لا یکون محبا لهم،فیکون الامر فی الآخره کذلک،کما قال الشاعر:

کما أحسن اللّه فیما مضی

کذلک یحسن فیما بقی

و لا ریب فی أن کل ذلک خیالات فاسده و قیاسات باطله،فان من ظن ان النعم الدنیویه دلیل الحب و الإکرام فقد اغتر باللّه،إذ ظن انه کریم

ص :۹

۱- ۱) الکهف،الآیه:۳۷.

۲- ۲) المجادله،الآیه:۸.

عنـد اللّه،بدليل لا يدل على الكرامه بل يدل عند أولى البصائر على الهوان و الخذلان،لان نعيم الدنيا و لذاتها مهلكات و مبعدات من اللّه،و ان اللّه يحمى احباءه الدنيا كما يحمى الوالد الشفيق ولده المريض لذائذ الأطعمه.

و مثـل معـامله اللّه-سـبحانه-مع المؤمن الخـالص و الكـافر و الفـاسق،حيث يزوى الـدنيا عن الأـول و يصب نعمهـا و لـذاتها على الثانى،مثل من كان له عبـدان صـغيران يحب أحـدهما و يبغض الآخر،فيمنع الأول من اللعب و يلزمه المكتب و يحبسه فيه،ليعلمه الاـدب و يمنعه من لذائـذ الأـطعمه و الفواكه التى تضـره و يسـقيه الادويه البشـعه التى تنفعه،و يهمل الثانى ليعيش كيف يريـد و يلعب و يأكـل كـل مـا يشـتهى،فلو ظن هـذا العبـد المهمـل انه محبوب كريم عنـد سـيده لتمكنه من شـهواته و لـذاته،و ان الآخر مبغـوض عنـده لمنعـه عن مشـتهياته،كـان مغرورا احمـق،و قـد كـان الخـائفون من ذوى البصـائر إذا أقبلت عليهم الـدنيا حزنـوا و قالوا:ذنب عجلت عقوبته،و إذا أقبل عليهم الفقر قالوا:مرحبا بشعار الصالحين!و اما المغرورون فعلى خلاف ذلك، لظنهم ان إقبال الدنيا عليهم كرامه من اللّه و ان ادبارها عنهم هو ان لهم، كما أخبر اللّه-تعالى-عنه بقوله:

فَأَمَّا الْإِنْسٰانُ إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ، وَ أَمّٰا إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهٰانَنِ

(۱)

و علاـج هـذا الغرور:أن يعرف أن إقبـال الـدنيا دليـل الهوان و الخـذلان دون الكرامه و الإحسـان،و التجرد منهـا سـبب الكرامه و القرب إلى اللّه-سـبحانه- و الطريق إلى هـذه المعرفه:امـا ملاـحظه أحوال الأنبيـاء و الأوليـاء و غيرهمـا من طوائف العرفـاء و فرق الاتقياء،او التدبر فى الآيات و الاخبار.قال اللّه-سبحانه-

---

۱- ۱) الفجر،الآيه:۱۵-۱۶.

أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمٰا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مٰالٍ وَ بَنِينَ، نُسٰارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرٰاتِ بَلْ لاٰ يَشْعُرُونَ

(۱)

.و قال-سبحانه-:

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ

(۲)

و قال-تعالى-:

فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ أَبْوٰابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّٰى إِذٰا فَرِحُوا بِمٰا أُوتُوا أَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَةً فَإِذٰا هُمْ مُبْلِسُونَ

(۳)

.و قال تعالى: إِنَّمٰا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدٰادُوا إِثْماً (۴).

الى غير ذلك من الآيات و الاخبار.

و منشأ هذا الغرور:الجهل باللّه و بصفاته،فان من عرفه لا يأمن مكره و لا يغتر به بأمثال هذه الخيالات الفاسده،و ينظر إلى قارون و فرعون و غيرهما من الملوك و الجبابره،كيف أحسن اللّه إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا،و قد حذر اللّه عباده عن مكره و استدراجه فقال:

فَلاٰ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخٰاسِرُونَ

(۵)

.و قال:

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّٰهُ وَ اللّٰهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ

(۶)

.

الطائفه الثانيه (العصاه و الفساق من المؤمنين)

و سبب غرورهم و غفلتهم اما بعض بواعث غرور الكافرين-كما

١- ١) المؤمنون،الآيه:٥۶-۵٧.

٢- ٢) الأعراف،الآيه:١٨١.

٣- ٣) الانعام،الآيه:۴۴.

۴- ۴) آل عمران،الآيه:١٧٨.

۵- ۵) الأعراف،الآيه:٩٩.

۶- ۶) آل عمران،الآيه:۵۴.

تقدم-أو ظنهم ان اللّه-تعالی-کریم و رحمته واسعه و نعمته شامله،و این معاصی العباد فی جنب بحار رحمته،و یقولون:انا موحدون و مؤمنون، فکیف یعذبنا مع التوحید و الایمان،و یقررون ظنهم بما ورد فی فضیله الرجاء-کما تقدم-.و ربما اغتر بعضهم بصلاح آبائهم و علو رتبتهم، کاغترار بعض العلویین بنسبهم مع مخالفتهم سیره آبائهم الطاهرین فی الخوف و الورع. و علاج هذا الغرور.أن یعرف الفرق بین الرجاء الممدوح و التمنی المذموم،و یعلم أن غروره لیس رجاء ممدوحا،بل هو تمن مذموم،کما قال رسول اللّه(ص):«الکیس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت،و الاحمق من اتبع نفسه هواها و تمنی علی اللّه». فان الرجاء لا ینفک عن العمل،اذ من رجا شیئا طلبه و من خاف شیئا هرب منه،و کما ان الذی یرجو فی الدنیا ولدا و هو لم ینکح،أو نکح و لم یجامع،او جامع و لم ینزل،فهو مغرور احمق،کذلک من رجا رحمه اللّه و هو لم یؤمن،او آمن و لم یترک المعاصی، او ترکها و لم یعمل صالحا،فهو مغرور جاهل،کیف و قد قال اللّه-سبحانه-:

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ أُولٰئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّٰهِ

(۱)

.

یعنی ان الرجاء یلیق بهم دون غیرهم،و ذلک لأن ثواب الآخره أجر و جزاء علی الاعمال،کما قال-تعالی-:

جَزٰاءً بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ

(۲)

.و قال: وَ إِنَّمٰا تُوَفَّوْنَ أُجُورَکُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ (۳).و قال: وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسٰانِ

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۱۸.

۲- ۲) السجده،الآیه:۱۷.الاحقاف،الآیه:۱۴.الواقعه،الآیه:۲۴.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۸۵.

إِلاّٰ مٰا سَعىٰ وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ

(۱)

.و قال: كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (۲).

أ فترى أن من استؤجر على إصلاح أوان و شرط له أجره عليها،و كان الشارط كريما يفى بوعده و شرطه،بل كان بحيث يزيد على ما وعده و شرطه، فجاء الاجير و كسر الاوانى و افسدها جميعا،ثم جلس ينتظر الاجر زعما منه أن المستأجر كريم،أ فيراه العقلاء فى انتظاره راجيا أو مغرورا متمنيا؟ و بالجملة:سبب هذا الغرور الجهل بين الرجاء و العزه،فليعالجه بما ذكر هنا و فيما سبق.

ثم إن المغرور بعلو رتبه آبائه،ظانا ان اللّه تعالى يحب آباءه،و من أحب إنسانا أحب أولاده،أشد حمقا من المغرور باللّه،لأن اللّه- سبحانه- يحب المطيع و يبغض العاصى من غير ملاحظه لآبائهما،فكما أنه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصى فكذلك لا يحب الولد العاصى بحبه للأب المطيع،و ليس يمكن أن يسرى من الاب إلى الابن شىء من الحب و البغض و المعصيه و التقوى،اذ لا تزر وازره وزر أخرى،فمن زعم انه ينجو بتقوى أبيه كان كمن زعم انه يشبع بأكل أبيه،او يصير عالما بتعلم أبيه،او يصل الى الكعبه بمشى أبيه،فهيهات هيهات!ان التقوى فرض عين على كل أحد، فلا يجزى والد عن ولده شيئا،و عند الجزاء يفر المرء من أخيه،و أمه و أبيه،و صاحبته و بنيه،و لا ينفع أحد أحدا الا على سبيل الشفاعه،بعد تحقق شرائطها.

ثم العصاه المغرورون،اما ليست لهم طاعات،فتمنيهم المغفره غايه

۱- ۱) النجم،الآيه:۳۹-۴۰.

۲- ۲) المدثر الآيه:۳۸.

الجهل-کما مر-،او لهم طاعات و لکن معاصیهم أکثر،و هم عالمون بأکثریه المعاصی،و مع ذلک یتوقعون المغفره و ترجح حسناتهم علی سیئاتهم و هو أیضا غایه الجهل،إذ مثله مثل من وضع عشره دراهم فی کفه میزان و فی الکفه الأخری ألفا او ألفین،و توقع أن تمیل الکفه الثقیله بالخفیفه، و من الذین معاصیهم أکثر من یظن ان طاعاته أکثر من معاصیه،لأنه لا یحاسب نفسه و لا یتفقد معاصیه،و إذا عمل طاعه حفظها و أعتدّ بها، کالذی یحج طول عمره حجه و یبنی مسجدا،ثم لا یکون شیء من عباداته علی النحو المطلوب،و لا یجتنب من أخذ أموال المسلمین،فینسی ذلک کله و یکون حجه و ما بناه من المسجد فی ذکره،و یقول:کیف یعذبنی اللّه و قد حججت و بنیت مسجدا؟و کالذی یسبح اللّه کل یوم مائه مره ثم یغتاب المسلمین و یمزق اعراضهم و یتکلم بما لا یرضاه اللّه طول نهاره من غیر حصر و عدد،و یکون نظره إلی عدد سبحته مع غفلته عن هذیانه طول نهاره الذی لو کتبه لکان مثل تسبیحه مائه مره،و قد کتبه الکرام الکاتبون، فهو یتأمل دائما فی فضیله التسبیحات،و لا یلتفت إلی ما ورد فی عقوبه الکذابین و المغتابین و النمامین و الفحاشین،و لو کان کتبه أعماله یطلبون منه اجره الزاید من هذیانه علی تسبیحاته،لکان عند ذلک یسعی فی کف لسانه عن آفاته و موازتها بتسبیحاته،حتی لا یکون لها زیاده علیها لیؤخذ منه اجره نسخ الزائد.فیا عجبا لمن یحاسب نفسه و یحتاط خوفا ان یفوته مقدار قیراط و لا یحتاط خوفا من فوت العلیین و مجاوره رب العالمین

الطائفه الثالثه أهل العلم

و المغترون منهم فرق:

(فمنهم)من اقتصر من العلم على علم الكلام و المجادله و معرفه آداب المناظره،ليتفاخر فى اندیه الرجال و يتفوق على الاقران و الأمثال،من غير ان يكون له فى العقائد قدم راسخ او مذهب واحد،بل يختار تاره ذاك و تاره هذا،و تكون عقيدته كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الريح مره هكذا و مره هكذا،و مع ذلك يظن بغروره أنه اعرف الناس و اعلمهم باللّه و بصفاته.

و(منهم)من أقتصر من العلم على علم النحو و اللغه،او الشعر او المنطق، و اغتر به و افنى عمره فيها،و زعم ان علم الشريعه و الحكمه موقوف عليها، و لم يعلم أن ما ليس مطلوبا لذاته و يكون وسيله إلى ما هو مقصود لذاته يجب ان يقتصر عليه بقدر الضروره،و التعمق فيه إلى درجات لا تتناهى فضول مستغنى عنها،و موجب للحرمان عما هو مقصود لذاته.

و(منهم)من اقتصر على فن المعاملات من الفقه،المتضمن لكيفيه الحكم و القضاء بين الناس،و اشتغل باجراء الاحكام،و أعرض عن علم العقائد و الأخلاق،بل عن فمن العبادات من الفقه،و أهمل تفقد قلبه ليتخلى عن رذائل الأخلاق و يتحلى بفضائل الملكات و تفقد جوارحه و حفظها عن المعاصى و الزامها الطاعات.

و(منهم)من حصل فن العبادات أيضا،بل احكم العلوم الشرعيه بأسرها و تعمق فيها و اشتغل،و لكن ترك العلم الإلهى و علم الأخلاق و لم يحفظ الباطن و الظاهر عن المعاصى و لم يعمرها بالطاعات.

ص :۱۵

و(منهم)من أحكم جميع العلوم من العقليه و الشرعيه و تعمق فيها و اشتغل بها إلا أنه أهمل العمل رأسا،أو واظب على الطاعات الظاهره:

و أهمل صفات القلب،و ربما تفقد صفات القلب و أخلاق النفس أيضا و جاهد نفسه فى التبرّى عنها،و قلع من قلبه منابتها الجليه القويه،و لكن بقيت فى زوايا قلبه خفايا من مكائد الشيطان و خبايا و تلبيات النفس ما دق و غمض مدركه فلا يتفطن بها.

و جميع هؤلاء غافلون مغرورون،اذا كان اعتقادهم انهم على خير و سعاده،و إن كان بينهم تفاوت من حيث الضعف و الشده،إذ سعاده النفس و خلاصها عن العذاب لا تحصل إلا بمعرفه اللّه-تعالى-و معرفه صفاته و افعاله و أحوال النشأه الآخره،و العلم برذائل الأخلاق و شرائفها،ثم تهذيب الباطن بفضائل الأخلاق و عماره الظاهر بصوالح الطاعات و الاعمال، فكل من يعلم بعض العلوم و ترك ما هو المهم من العلم-أعنى معرفه سلوك الطريق و قطع عقبات النفس التى هى الصفات المذمومه المانعه عن الوصول إلى اللّه-و ظن انه على خير كان مغرورا،و إذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا على اللّه،فمن ترك العلم المهم و اشتغل بغيره،فهو كمن له مرض خاص مهلك فاحتاج إلى تعلم الدواء و استعماله،فاشتغل بتعلم مرض آخر يضاد مرضه فى المعالجه،كما ان من احكم العلوم بأسرها و ترك العمل،مثل المريض الذى تعلم دواء مرضه و كتبه،و هو يقرأه و يعلمه المرضى و لا يستعمله قط لنفسه،فانه لا ريب فى ان مجرد تعلم الدواء لا يشفيه،بل لو كتبت منه الف نسخه و علمه الف مريض حتى شفى جميعهم و كرره كل ليله الف مره لم ينفعه ذلك من مرضه شيئا،حتى يشترى هذا الدواء و يشربه كما تعلم فى وقته، و مع شربه و استعاله يكون على خطر من شفائه،فكيف إذا لم يشربه أصلا،

فلو ظن أن مجرد تعلم الـدواء يكفيه و يشـفيه فهو مغرور،فكذلك من احكم علم الطاعات و لم يعملها،و احكم علم المعاصـی و لم يجتنبها،و احكم علم الأخلاق و لم يزك نفسه عن رذائلها و لم يتصف بفضائلها،فهو فی غايه الغرور.

إذ قال اللّه تعالی:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها

(۱)

و لم يقل:قد أفلح من علم طريق تزكيتها.

ثم من هذه الطائفه فرقه متصـفه برذائل الأخلاق و الغرور،أدی بهم الی حيث ظنوا أنهم منفكون عنها،و أنهم ارفع عند اللّه من أن يبتليهم بها، و إنما يبتلی بها العوام دون من بلغ مبلغهم فی العلم.ثم إذا ظهرت عليه مخايل الكبر و الرئاسه و طلب العلو و الشـرف قـال:مـا هـذا تكبرا،و طنمـا هو طلب اعزاز الـدين،و إظهار شـرف العلم،و ارغام انف المخالفين.و مهما ظهرت منه آثار الحسـد،و أطلق لسانه بالغيبه فی أقرانه و من رد عليه شـيئا من كلامه، لم يظن بنفسه أن ذلك حسد،بل يقول:إن هذا غضب للحق ورد علی المبطـل فی عـداوته و ظلمه،مع أنه لو طعن فی غيره من أهـل العلم،ورد عليه قوله، و منع من منصـبه،لم يكن غضـبه مثـل غضـبه الآن،بل ربما يفرح به،و لو كان غضبه للحق لا للحد علی اقرانه و خبث باطنه،لاستوی غضبه فی الحالين.

و إذا خطر له خاطر الرياء قال:غرضـی من إظهار العلم و العمل اقتـداء الخلق بی،ليهتـدوا إلی دين اللّه و يتخلصوا من عقاب اللّه.و لا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به،و لو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم علی يد من كان،و ربما يتذكر هذا و مع ذلك لا يخليه الشيطان،بل يقول:إنما ذلك لأنهم إذا اهتدوا بی كان الأجر و الثواب لی،

۱- ۱) الشمس،الآيه:۹.

ففرحی إنما هو بثواب اللّه لا بقبول الخلق،هذا ما یظن بنفسه،و اللّه مطلع علی سریرته،إذ ربما کان باطنه فی الخباثه بحیث لو علم قطعا بأن ثوابه فی الخمول و إخفاء العلم و العمل أکثر من ثوابه فی الإظهار،لاحتمال مع ذلک فی إظهار رئاسه،من تدریس أو وعظ أو امامه أو غیر ذلک. و إذا کان بحیث یدخل علی السلاطین و الأمراء الظلمه و یثنی علیهم و یتواضع لهم،و خطر له أن مدحهم و التواضع لهم حرام،قال له الشیطان:ان ذلک عند الطمع فی مالهم،و غرضک من الدخول علیهم دفع الضرر عن المسلمین دون الطمع، و اللّه یعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلک السلطان،و کان بحیث یقبل شفاعته فی کل أحد،و هو لا یزال یستشفع و یدفع الضرر عن المسلمین،یثقل ذلک علیه،بحیث لو قدر أن یقبح حاله عند السلطان لفعل.

و ربما انتهی الغرور فی بعضهم إلی أن یأخذ من أموالهم المحرمه،و إذا خطر له أنها حرام،قال له الشیطان:هذا مال مجهول المالک یجب أن یتصدق به إمام المسلمین،و أنت إمامهم و عالمهم،و بک قوام دین اللّه،فیحل لک أن تأخذ منها قدر حاجتک و تصرف الباقی علی مصالح المسلمین،فیغتر بهذا التلبیس و لا یزال یأخذها من غیر أن یبذل شیئا منها فی مصرف غیره. و ربما انتهی الغرور فی بعضهم إلی حیث إنه إذا حضرت مائدتهم و أکل طعامهم و قیل له:

ان هذا لا یلیق بمثلک،قال:الأکل جائز بل واجب،اذ هذا مال لا یعلم مالکه،فیجب التصدق به علی الفقراء،و یجب علی مثلی بقدر القوه و الاستطاعه أن یجتهد فی استخلاصه من ید الظالم و ایصاله إلی أهله-أعنی الفقراء-و اکلی منها نوع قدره علی استخلاصه،فآکل منه و أتصدق بقیمته علی الفقراء،و اللّه یعلم من باطنه أنه لا یتصدق بقیمته و لا یعتقد بحقیقه ما یقوله،و انما هو تلبیس ألقاه الشیطان فی روعه،لئلا یضعف اعتقاد العامه فی

حقه، و ربما كان بحيث لا يبالى من أخذ مالهم و أكل طعامهم خفيه،و لو علم انه يطلع عليه واحد من صويلح العامه المعتقدين به،امتنع منه غايه الامتناع. و ربما كان بعضهم فى الباطن مائلا إلى الدخول على السلاطين و الأمراء و تاركا له فى الظاهر،و كان الباعث فى ذلك طلب المنزله فى قلوب العامه.و مع ذلك يظن أن الاجتناب عنهم عين ورعه و تقواه. و ربما كان بعضهم إمام قوم يظن أنه على خير و باعث لترويج الدين و اعلاء الكلمه و مقيم بشعار الإسلام، و مع ذلك لو أم غيره ممن هو أعلم و اورع منه فى مسجده،أو يتخلف بعض من يقتدى به عن الاقتداء به،قامت عليه القيامه،و ربما لم يكن باعثه على الحركه إلى المسجد للامامه مجرد التقرب و الامتثال لأمر اللّه،بل كان الباعث محض حب الجاه و الرياسه و اعتقاد العامه،أو مركبا منه و من نيه الثواب و ربما اتخذ بعضهم الإمامه شغلا و وسيله لأمر المعاش،و مع ذلك يظن انه مشتغل بامر الخير، و الظاهر فى أمثال زماننا ندور الامام الذى كان قصده من الإمامه مجرد التقرب إلى اللّه.من دون وجود شىء من حب طلب المنزله فى القلوب،أو تحصيل المال،أو دفع بعض الشرور عن نفسه فى زوايا قلبه، و لو وجد مثله فهو القدوه الذى يجب ان تشد الرحال من المواضع البعيده اليه ليقتدى به،و مثله كلما وجد فى نفسه قصد التقرب و الثواب فى الذهاب إلى المسجد للامامه ذهب،و لو لم يجد ذلك من نفسه تخلف،و صلى منفردا،و هو الذى يستوى عنده اقتداء الناس به و عدمه،و يستوى عنده كثره المقتدين و قلتهم،بل يكون حاله عند صلاته و هو إمام لجم غفير كحاله عند صلاته منفردا،من دون أن يجد فى نفسه تفاوتا فى الحالين.

و بالجمله:اصناف غرور أهل العلم-(لا)سيما فى هذه الاعصار-كثيره، و المتأمل يعلم أن الغرور أو التلبيس أو غيرهما من ذمائم الأفعال انتهى فى

بعضهم إلى أن وجودهم مضر بالإسلام و المسلمين و موتهم انفع للايمان و المؤمنين،لأنهم دجالو الدين و قواموا مذهب الشياطين،و مثلهم كما قال ابن مريم-عليه السّلام-:«العالم السوء كصخره وقعت فى فم الوادى، فلا هى تشرب الماء و لا هى تترك الماء يتخلص إلى الزرع».

الطائفه الرابعه (الوعاظ)

و المغترون منهم كثيرون:

(فمنهم)من يتكلم فى وعظه فى أخلاق النفس و صفات القلب،من الخوف،و الرجاء،و التوكل،و الرضا،و الصبر،و الشكر،و نظائرها، و يظن انه إذا تكلم بهذه الصفات و دعا الخلق إليها صار موصوفا بها،و هو منفك عنها فى الواقع،إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين،و يزعم ان غرضه إصلاح الخلق دون أمر آخر،و مع ذلك لو أقبل الخلق على أحد من اقرانه و صلحوا على يديه،و كان أقوى منه فى الإرشاد و الإصلاح،لمات غما و حسدا،و لو اثنى أحد المترددين عليه على بعض اقرانه،لصار ابغض خلق اللّه إليه.

و(منهم)من اشتغل بالشطح و الطامات،و تلفيق كلمات خارجه عن قانون الشرع و العقل،و ربما كلف نفسه بالفصاحه و البلاغه،و تصنع التشبيهات و المقدمات،و شغف بطيارات النكت و تسجيع الألفاظ و تلفيقها، طلبا للاعوان و الأنصار،و شوقا إلى تكثر البكاء و الرقه و التواجد و الرغبات فى مجلسه،و التذاذا بتحريك الرءوس على كلامه و البكاء عليه،و فرحا بكثره الأصحاب و المستفيدين و المعتقدين به،و سرورا بالتخصيص بهذه الخاصه

من بين سائر الاقران،و ربما لم يبال بالكذب فى نقل الأخبار و الآثار، ظنا منه أنه أوقع فى النفوس و أشد تأثيرا فى رقه العوام و تواجدهم.

و لا ريب فى أنّ هؤلاء شر الناس،بل شياطين الانس،ضلوا و اضلوا عن سواء السبيل،إذ الأولون إن لم يصلحوا أنفسهم،فقد أصلحوا غيرهم و صححوا كلامهم و وعظهم،و أما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل اللّه،و يجرون الخلق إلى الغرور باللّه،لان سعيهم فى ذكر ما يسر به العامه،ليصلوا به منهم الى اغراضهم الفاسده،فلا يزالون يذكرون ما يقوى الرجاء،و يزيدهم جرأه على المعاصى و رغبه فى الدنيا،(لا)سيما إذا كان هذا الواعظ أيضا ممن يرغب إلى الدنيا،و يسر بوصول المال إليه،و يتزين بالثياب الفاخره و المراكب الفارهه،و غيرهما من زينه الدنيا.فمثله ممن يضل و يكون افساده أكثر من اصلاحه،و مع ذلك يظن انه مروج الشرع و الدين و مرشد الضالين،فهو أشد المغرورين و الغافلين.

و(منهم)من هذب اخلاقه،و راقب قلبه،و صفاه عن جميع الكدورات،و صغرت الدنيا فى عينه،و انقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم،و دعته الرحمه و الشفقه على عباد اللّه إلى نصحهم و استخلاصهم عن أمراض المعاصى بالوعظ،فلما استقل به وجد الشيطان مجال الفتنه فدعاه إلى الرئاسه دعاء خفيا-أخفى من دبيب النمله-لا يشعر به،و لم يزل ذلك فى قلبه يربو و ينمو حتى دعاه إلى التصنع و التزين للخلق،بتحسين الألفاظ و النغمات و الحركات و التصنع فى الزى و الهيئه و الشمائل،و أقبل الناس إليه يعظمونه و يوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك،اذ رأوه شافيا لامراضهم بمحض الرحمه و الشفقه من غير طمع،فآثروه بأبدانهم و أموالهم،و صاروا له كالخدم و العبيد،فعند ذلك انتشر طبعه و ارتاحت نفسه،و ذاق لذه يا لها من لذه،

و أصاب من الدنيا شهوه يستحقر معها كل شهوه،فوقع فى أعظم لذات الدنيا بعد قطعه بأنه تارک للدنيا،فقد غره الشيطان على ما لا يشعر به.و علامه ثوران حب الرئاسه فى باطنه:أنه لو ظهر من اقرانه من مالت القلوب إلى قبوله،و زاد أثر كلامه فى القبول على كلامه،شق ذلک عليه،إذ لو لا أن النفس قد استبشرت و استلذت بالرئاسه لكان يغتنم ذلک.

و على هذا فينبغى ألا يشتغل أحد بالنصح و الوعظ إلا إذا وجد من نفسه أنه ليس له قصد سوى هدايتهم إلى اللّه-تعالى-،و كان يسره غايه السرور ظهور من يعينه على إرشادهم أو اهتدائهم من عند أنفسهم،و انقطع طمعه بالكليه عن ثنائهم و أموالهم،و استوى عنده حمدهم و ذمهم،و لم يبال بذمهم إذا كان الله يمدحه،و لم يفرح بمدحهم إذا لم يقترن به مدح اللّه، و نظر إليهم كما ينظر إلى من هو أعلم منه و أورع،حيث لا ـ ينكر عليه و يراه خيرا من نفسه،لدلاله الظاهر على ذلک و جهله بالخاتمه،و إلى البهائم من حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزله فى قلوبهم،فانه لا ـ يبالى كيف يراه البهائم،فلا يتزين لها،إذ راعى الماشيه إنما غرضه رعايتها و دفع الذئب عنها،دون نظر الماشيه إليه بعين المدح و الثناء.

ثم لو ترقى الواعظ،و علم بهذه المكيده من الشيطان،و اشتغل بنفسه و ترک النصح،أو نصح مع رعايه شرط الصدق و الإخلاص،لخيف عليه الاعجاب بنفسه فى فراره عن الغرور،فيكون اعجابه بنفسه فى الفرار عن الغرور غايه الغرور،و هو المهلک الأعظم من كل ذنب،و لذلک قال الشيطان:

«يا ابن آدم!اذا ظننت أنک بعملک تخلص منى فبجهلک قد وقعت فى حبائلى».ثم لو دفع عن نفسه العجب،و علم أن ذلک من اللّه-تعالى-لا منه، و أن مثله لا يقوى على دفع الشيطان عنه إلا بتوفيق اللّه،و انه ضعيف عاجز

لاـ يقـدر على شـىء أصـلا،فضـلا عن دفع الشـيطان،لخيف عليه الغرور بفضـل اللّه و الثقه بكرمه و الأمن من مكره،حتى يظن أنه يبقى على هـذه الوتيره فى المسـتقبل.و لاـ ريب أن الآمن من مكر اللّه خاسـر مغرور،فسبيل النجاه بعـد تهـذيب النفس و خلوص القصد و الانقطاع عن الدنيا و لذاتها،ان يرى ذلك كله من فضل اللّه،و كان خائفا على نفسه من سلب حاله فى كل لحظه، و غير آمن من مكر اللّه،و غير غافـل عن خطر الخاتمه.و هـذا خطر لا محيص عنه و خوف لا نجاه منه،إلا بمجاوزه الصـراط و الـدخول فى الجنه،و لذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء فى وقت النزع-و كان قد بقى له نفس-قال:

(أفلت منى يا فلان!؟)،فقال:(لا!بعد).

وصل (أهل العباده و العمل)

و المغرورون منهم فرق كثيره:

(فمنهم)من غلبت عليه الوسوسه فى إزاله النجاسه و فى الوضوء، فيبالغ فيه و لا يرتضى الماء المحكوم بالطهاره فى فتوى الشرع،و يقـدر الاحتمالات البعيـده الموجبه للنجاسه،و إذا آل الأمر إلى الأكل و أخـذ المال قدر الاحتمالات الموجبه للحل،بل ربما أكل الحرام المحض و قدر له محملا بعيدا لحله،و لو انقلب هذا الاحتمال من الماء إلى الطعام لكان أشـبه بسيره أكابر الأولياء. ثم من هؤلاـء من يخرج إلى الإسـراف فى صـبه المـاء و ربمـا بـالغ عنـد الوضوء فى التخليل و ضـرب إحـدى يـديه على وجهه أو يـده الأخرى، و لا يـدرى هذا المغرور أن هذا العمل ان كان مع اليقين بحصول ما يلزم شـرعا فهو تضـييع للعمر الذى هو أعز الأشـياء فيما له مندوحه عنه،و ان كان بدونه بل يحتاط فى التخليل ليحصل الجزم بوصول الماء إلى البشره،فما باله يتيقن

بوصول الماء إلى البشره فى الغسل بدون هذه المبالغه و الاحتياط مع أن حصول القطع بايصال الماء إلى البشره فى الغسل ألزم و أوجب.ثم ربما لم يكن له مبالغه و احتياط فى الصلاه و سائر العبادات،و انحصر احتياطه و مبالغته بالوضوء،زاعما أن هذا يكفى لنجاته،فهو مغرور فى غايه الغرور.

و(منهم)من اغتر بالصلاه فغلبت عليه الوسوسه فى نيتها،فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نيه صحيحه،بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعه أو فضيله الوقت،و قد يوسوس فى التكبير حتى يغير صيغتها لشده الاحتياط فيه، يفعل ذلك فى أول صلاته ثم يغفل فى جميع صلاته،و لا يحضر قلبه،و يغتر بذلك،و يظن أنه إذا أتعب نفسه فى تصحيح النيه فهو على خير.و ربما غلبت على بعضهم الوسوسه فى دقائق القراءه،و اخرج حروف الفاتحه و سائر الاذكار عن مخارجها،فلا يزال يحتاط فى التشديدات و تصحيح المخارج و التميز بين مخارج الحروف المتقاربه،من غير اهتمام فيما عدا ذلك،من حضور القلب و التفكير فى معانى الاذكار،ظنا منه أنه إذا صحت القراءه فالصلاه مقهوله،و هذا اقبح أنواع الغرور.

و(منهم)من اغتر بالصوم،و ربما صام الأيام الشريفه،بل صام الدهر،و لم يحفظ لسانه عن الغيبه،و لا بطنه عن الحرام عند الإفطار،ثم يظن بنفسه الخير،و ذلک فى غايه الغرور.

و(منهم)من اغتر بالحج،فيخرج إلى الحج من غير خروج عن المظالم و قضاء الديون و طلب الزاد الحلال،و يضيع فى الطريق الصلاه، و يعجز عن طهاره الثوب و البدن،ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق و ذمائم الصفات،و مع ذلک يظن انه على خير،فهو فى غايه الغرور.

و(منهم)من اغتر بقراءه القرآن،فيهذ هذا،و ربما يختم فى اليوم

و الليله مره،فيجرى به لسانه،و قلبه مردد فى أوديه الأمانى،و ربما أسرع فى القراءه غايه السرعه،و يظن ان سرعه اللسان من الكمالات،و يتفاخر على الأمثال و الأقران.

و(منهم)من اغتر ببعض النوافل،كصلاه الليل،أو مجرد غسل الجمعه،أو أمثال ذلك،من غير اعتداد بالفرائض،زاعما أن المواظبه على مجرد هذه النافله ينجيه فى الآخره،فهو أيضا من المغرورين.

و(منهم)من تزهد و قنع بالدون من المطعم و الملبس و المسكن،ظانا أنه أدرك رتبه الزهاد،و مع ذلك راغب فى الرئاسه باشتهاره بالزهد،فهو ترك أهون المهلكين باعظمها،إذ حب الجاه أشد فسادا من حب المال،و لو ترك الجاه و أخذ المال لكان أقرب إلى السلامه،فهو مغرور،إذ ظن أنه من الزهاد،و لم يعرف أن منتهى لذات الدنيا الرئاسه،و هو يحبها،فكيف يكون زاهدا؟

الطائفه السادسه (المتصوفه)

و المغترون فيهم أكثر من ان يحصى:

(فمنهم)أرباب البوقات،و هم القلندريه الذين لا يعرفون معنى التصوف و لا شيئا من مراسيم الدين،و صرفوا اوقاتهم فى التكدى و السؤال من الناس،و يظنون أنهم تاركون للدنيا مقبلون على الآخره،مع انهم لو ظفروا بشىء من أمور الدنيا لأخذوه بجميع جوارحهم،فهؤلاء ارذل الناس بوجوه كثيره لا تخفى.

و(منهم)من اغتر بالزى،و المنطق،و لبس الصوف،و اطراق الرأس و ادخاله فى الجيب،و خفض الصوت،و تنفس الصعداء،و تحريك البدن

فی الطول و العرض،و السقوط إلی الأرض،(لا)سیما إذا سمعوا کلاما فی الوحده و العشق،مع عدم اطلاعهم علی حقیقه شیء منهما.و ربما تجاوز بعضهم من ذلک إلی الرقص و التصفیق،و إبداء الشهیق و النهیق،و اختراع الاذکار،و التغنی بالاشعار...و غیر ذلک من الحرکات القبیحه و الهیئات الشنیعه،و یظن أن العبد بهذه الحرکات و الأفعال یصل إلی الدرجات العالیه، و لم یعلم المغرور أنها تقرب العبد إلی سخط اللّه و عذابه.

و(منهم)من وقع فی الاباحه،و طوی بساط الشرع و الاحکام، و ترک الفصل بین الحلال و الحرام،یتکالب علی الحرام و الشبهات،و لا یحترز عن أموال الظلمه و السلاطین،و ربما قال:المال مال اللّه و الخلق عیال اللّه، فهم فیه سواء.و ربما قال:ان اللّه مستغن عن عملی،فأی حاجه إلی أن أتعب نفسی فیه؟و ربما قال:لا وزن لأعمال الجوارح،و إنما النظر إلی القلوب، و قلوبنا و الهه إلی حب اللّه و اصله إلی معرفه اللّه.و ربما خاضوا فی الشهوات الدنیویه،و قالوا:إنها لا تصدنا عن طریق اللّه،لقوه نفوسنا و قوه اقدامنا فیها،و إنما یحتاج العوام إلی تهذیب النفس بالأعمال البدنیه،و نحن مستغنون عنه.فهؤلاء یرفعون درجتهم عن درجه الأنبیاء-علیهم السلام-إذ کانوا یصرحون بأن ارتکاب الأمور المباحه فضلا عن الخطایا و المعاصی یصدهم عن طریق اللّه،حتی یبکون سنین متوالیه علی ترک الراجح و فعل المرجوح،فهم أشد الناس غرورا،و أعظم الخلق حماقه و جهلا.

و(منهم)من یدعی غایه المعرفه و الیقین،و الوصول إلی درجات المقربین،و مشاهده المعبود،و مجاوره المقام المحمود،و الملازمه فی عین الشهود،و تلقف من الطامات کلمات یرددها،و یظن أنه یتکلم عن الوحی و یخبر عن السماء.و ینظر إلی العباد و الفقهاء و المحدثین و سائر أصناف العلماء

بعين الحقاره و الازدراء،يقول فی العباد:إنهم أجراء مبعوثون،و فی العلماء:

أنهم بالحدیث عن اللّه لمحجوبون،و یدعی لنفسه من الکرامات ما لا یدعیه نبی و لا ولی،و یدعی کونه و أصلا إلی الحق فارغا عن أعباء التکلیف، لا علما أحکم و لا عملا هذب،لم یعرف من المعارف إلا أسماء یتفوه بها عند الأغنیاء للوصول إلی بعض حطامهم الخبیثه،فهو عند اللّه من الفجار المنافقین،و عند أرباب القلوب من الحمقی الجاهلین،مع ظنه أنه من المقربین،فهو أشد الغافلین المغرورین.

و(منهم)ملامیه یرتکبون قبائح الاعمال و شنائع الافعال الموجبه للبعد عن طریق المروه،ظنا منهم أن هذا موجب لکسر النفس و إزاله ذمائم الأخلاق،و لم یعلموا ان هذه الافعال من الذمائم،و قد نهی صاحب الشرع عنه.

و(منهم)من اشتغل بالریاضه و المجاهده،و قطع بعض المنازل، و وصل إلی بعض المقامات علی قدر سعیه و مجاهدته،إلا أنه لم یتم سلوکه و انقطع عن سائر المقامات،اما لاعتراض مفسد فی اثناء السلوک،أو لوقوعه فی الاثناء ظنا منه انه وصل إلی اللّه و لم یصل بعد،فان للّه سبعین حجابا من نور،و لا یصل السالک إلی حجاب من تلک الحجب فی الطریق الا و یظن انه قد وصل،و إلیه الإشاره فی حکایه الخلیل،حیث رأی أولا کوکبا،فقال:

«هذا ربی»،ثم انتقل إلی القمر،ثم عنه إلی الشمس،فانه لیس المراد بالکوکب و القمر و الشمس هذه الاجسام المضیئه،فان شأن مثل الخلیل أعظم من أن یظن کونها آلهه،بل هذا ینافی شأنه و رتبته،فالمراد بها الأنوار التی هی من حجب اللّه،و یراها السالک فی الطریق،و لا یتصور الوصول إلی اللّه الا بالوصول إلی هذه الحجب،و هی حجب من النور بعضها أعظم من

بعض،فاستعير لفظ الكواكب لصغره لاقل مراتبها،و القمر لاوسطها، و الشمس لاعظم مراتبها،و الخليل(ع)لم يزل عند سيره فى الملكوت يصل الى نور بعد نور،و يتخيل إليه فى أول ما يلقاه أنه قد وصل،ثم انكشف له أن وراءه امر،فيترقى إليه حتى وصل إلى الحجاب الاقرب،فقال:هذا أكبر،فلما ظهر أنه مع عظمته غير خال عن الهوى فى حضيض النقص و الانحطاط عن ذروه الكمال،قال:

لاَ أُحِبُّ الْآفِلِينَ . إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ... (۱).

فسالك هذا الطريق قد يغتر فى الوقوف على بعض هذه الحجب،و ربما يغتر بالحجاب الأول،و أول الحجاب بين اللّه و بين العبد هو قلبه،فانه -أيضا-أمر ربانى و نور من أنوار اللّه،تتجلى فيه حقيقه الحق كله،حتى يتسع لجمله العالم و يحيط به و تنجلى فيه صوره الكل،و عند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما،اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه،و هو فى أول الامر كان محجوبا،فإذا تجلى نوره و انكشف فيه جماله بعد اشراق نور اللّه تعالى ربما التفت صاحب القلب إلى القلب،فيرى من جماله الفائق ما يدهشه، فربما يسبق لسانه فى هذه الدهشه،فيقول:انا الحق!فان لم يتضح له ما وراء ذلك،اغتر به،و وقف عليه و هلك،و كان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضره الآلهيه،و لم يصل بعد إلى القمر،فضلا عن الشمس،فهو مغرور.و هذا محل الالتباس،اذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه،كما يلتبس لون ما يتراءى فى المرآه فيظن أنه لون المرآه،و كما يلتبس ما فى الزجاج بالزجاج فيظن أنه لون الزجاج،كما قيل:

رق الزجاج و رقت الخمر

فتشابها و تشاكل الامر

ص: ۲۸

۱- ۱) الانعام،الآيه:۷۶ و ۷۹.

فكأنما خمر و لا قدح

و كأنما قدح و لا خمر

و بهذه العين نظر النصارى إلى المسيح،فرأوا اشراق نور اللّه قد تلألأ فيه،فغلطوا فيه،كمن يرى كوكبا فى مرآه أو فى ماء،فيظن أن الكوكب فى المرآه أو فى الماء،فيمد اليد إليه،فهو مغرور.و أنواع الغرور فى طريق السلوك إلى اللّه كثيره لا تخفى على أرباب البصيره.

ثم أكثر المتلبسين بلباس العارفين-مع كذبهم فيما يدعونه،و نقصانهم فى طريق السلوك،و جهلهم بحقيقه الأمر،و عدم قطعهم جل المقامات- يتشبهون بالصادقين من العرفاء فى زيهم و هيئتهم و آدابهم و مراسمهم و الفاظهم، ظانين أنهم بهذا التشبه يصلون إلى مراتبهم،فهيهات هيهات!إن الوصول الى درجه كل أحد إنما تحصل بالاتصاف بأوصافه الباطنه و التخلق باخلاقه النفسيه،دون التشبه به فى حالاته الظاهره،و قد شبههم بعض الأكابر بامرأه عجوز سمعت أن الشجعان من المقاتلين تثبت أسماؤهم فى الديوان و يقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكه،فتاقت نفسها إلى أن تكون مثلهم،فلبست درعا،و وضعت على رأسها مغفرا،و تعلمت من رجز الأبطال أبياتا، و تعلمت كيفيه جولانهم فى الميدان،و تلقفت جميع شمائلهم فى الزى و المنطق و الحركات و السكنات،و توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان، فلما وصلت إليه،أنفذت إلى ديوان العرض،و أمرت بأن تجرد عن المغفر و الدرع،و ينظر إلى حقيقتها،و تمتحن بالمبارزه مع بعض الشجعان ليعرف قدر شجاعتها،فلما جردت فإذا هى عجوز ذات منه ضعيفه لا تقدر على شيء، فقيل لها:أ جئت للاستهزاء بالملك و أهل حضرته؟خذوها و القوها قدام الفيل،فداسها و نحتها.فهكذا يكون حال المدعين للتصوف و العرفان فى القيامه،اذا كشف عنهم الغطاء و عرضوا إلى القاضى الحق الذى لا ينظر الى الزى و اللباس بل إلى سر القلب و صفاته.

ص:٢٩

الطائفه السابعه (الأغنياء و أرباب الأموال)

و المغترون فيهم أكثر من سائر الطوائف:

(فمنهم)من يحرص على بناء المساجد و المدارس و الرباطات و القناطر و سائر ما يظهر للناس بالأموال المحرمه،و ربما غصب أرض المساجد و المدارس،و ربما صير لها موقوفات أخذها من غير حلها،و لا باعث له على ذلك سوى الرياء و الشهوه،و لذا يسعى فى كتابه اسمه على احجارها ليتخلد ذكره و يبقى بعد الموت أثره،و يظن المسكين أنه قد استحق المغفره بذلك، و أنه مخلص فيه،و لم يدر أنه تعرض لسخط اللّه فى كسب هذه الأموال و فى انفاقها،و كان الواجب عليه الامتناع عن أخذها من أهله،و إذا عصى اللّه و أخذها،كان الواجب عليه التوبه و ردها إلى أهلها،فان لم يبق من أخذها منه و لا ورثته،كان الواجب ان يتصدق بها على المساكين،مع انه ربما كان فى بلده أو فى جواره مسكين يكون فى غايه الفقر و المسكنه و لا يعطيه درهما.

و(منهم)من ينفق الأموال فى الصدقات،الا أنه يطلب الفقراء الذين عادتهم الشكر و الافشاء للمعروف،و يكره التصدق فى السر،بل يطلب المحافل الجامعه و يتصدق فيها،و ربما يكره التصدق على فقراء بلده و يرغب ان يعطى أهل البلاد الآخر مع أكثريه استحقاق فقراء بلده،طلبا لاشتهاره بالبذل و العطاء فى البلاد الخارجه البعيده،و ربما يصرف كثيرا منه الى رجل معروف فى البلاد و ان لم يكن مستحقا،ليشتهر ذلك فى البلاد، و لا يعطى قليلا منه إلى فقير له غايه الاستحقاق إذا كان خامل الذكر،يفعل هذا و يظن أنه يجلب بذلك الأجر و الثواب،و لم يدر المغرور أن هذا القصد

احبط عمله و اضاع ثوابه.

و(منهم)من يجمع مالاـ من غير حله،و لاـ يبالى باخـذ المال من أى طريق كان،ثم يمسـكه غايه الإمساك،إلا انه لا يبالى بصـرف بعضه فى طريق الحج،إما لنفسه فقط،أو لأولاده و ازواجه أيضا،اما للاشتهار،او لما وصل إليه:ان تاركـ الحج يبتلى بالفقر.

و(منهم)من غلب عليه البخل،فلا تسـمح نفسه بانفاق شـىء من ماله فيشـتغل بالعباده البدنيه من الصوم و الصـلاه،ظنا منه ان ذلكـ يكفى لنجاته، و لم يـدر ان البخل صـفه مهلكه لا بـد من ازالتها،و علاجه!بـذل المال دون العبادات البدنيه.و مثله مثل من دخلت فى ثوبه حيه،و قد أشـرف على الهلاكـ،و هو مشـغول بطبخ السـكنجبين ليسـكن الصفراء،و غافل بأن الحيه تقتله الآن،و من قتلته الحيه فأى حاجه له إلى السكجبين؟

وصل (ضد الغرور الفطانه و العلم و الزهد)

اشاره

قـد عرفت ان الغرور مركب من الجهل و حب مقتضـيات الشـهوه و الغضب،فضـده الفطانه و العلم و الزهـد،فمن كان فطنا كيسـا عارفا بربه و نفسه و بالاخره و الدنيا،و عالما بكيفيه سلوكـ الطريق إلى اللّه و بما يقربه إليه و بما يبعده عنه،و عالما بآفات الطريق و عقبـاته و غوائله،لاجتنب عن الغرور و لم يغره الشـيطان فى شـىء من الأمور،إذ من عرف نفسه بالـذل و العبوديه و بكونه غريبا فى هذا العالم اجنبيا من هذه الشهوات البهيميه،عرف كون هذه الشهوات مضره له و ان الموافق له طبعا هو معرفه اللّه و النظر إلى وجهه فلا يسـكن نفسه إلى شـهوات الدنيا،و من عرف ربه و عرف الدنيا و الآخره و لذاتهما و عدم النسبه بينهما ثار فى قلبه حب اللّه و الرغبه إلى دار الآخره

و الانزجـار عن الـدنيا و لـذاتها،و إذا غلبت هـذه الارـاده على قلبه صـحت نيته فى الأـمور كلهـا،فان أكل-مثلا-او اشـتغل بقضاء الحاجه كان قصـده منه الاسـتعانه على سـلوك طريق الآخره،و اندفع عنه كل غرور منشأه تجاذب الأغراض و النزوع إلى الدنيا و إلى الجـاه و المـال،و مـا دامت الـدنيا أحب اليه من الآـخره و هوى نفسه أحب إليه من رضاء اللّه،لم يمكنه الخلاص من الغرور. فالاصل فى علاج الغرور:ان يفرغ القلب من حب الدنيا، و يغلب عليه حب اللّه،حتى تتقوى به الاراده و تصح به النيه و يندفع عنه الغرور.قال الصادق(ع):«و اعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور و التمنى الا بصدق الإنابه إلى اللّه،و الاخبات له،و معرفه عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل و العلم،و لا يحتمله الدين و الشريعه و سنن القدوه و أئمه الهدى،و ان كنت راضيا بما أنت فيه فما أحد اشقى بعملك منك و اضيع عمرا،فاورثت حسره يوم القيامه» (۱).

و منها:

اشاره

طول الأمل

معنى طول الأمـل و مرجعه-علاـجه-ضـده قصـر الأمـل-اختلاف الناس فى طول الأمل-ذكر الموت مقصـر للامل-التعجب ممن ينسى الموت- الموت أعظم الدواهى-مراتب الناس فى ذكر الموت.

و هو أن يقـدر و يعتقـد بقـاءه إلى مـده متمـاديه،مع رغبته فى جميع توابع البقاء:من المال و الأهل و الـدار و غير ذلك،و هو من رذائل قوتى العاقله و الشهوه،إذ الاعتقاد المذكور راجع إلى الجهل المتعلق بالعاقله،و حبه

۱- ۱) صححناه على مصباح الشريعه-الباب ۳۶.

لجميع توابع البقاء و ميله إليه من شعب حب الدنيا.و جهله راجع إلى تعويله!إما على شبابه،فيستبعد قرب الموت مع الشباب،و لا يتفكر المسكين فى ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر عشير أهل البلد،و انما قلوا لأن الموت فى الشباب أكثر،و إلى أن يموت شيخ يموت الف صبى و شاب، أو على صحته و قوته،و يستبعد مجىء الموت فجأه،و لا يتأمل فى أن ذلك غير بعيد،و لو سلم بعده فالمرض فجأه غير بعيد،إذ كل مرض انما يقع فجأه، و إذا مرض لم يكن الموت بعيدا.و لو تفكر هذا الغافل،و علم أن الموت ليس له وقت مخصوص،من شباب و شيب و كهوله،و من شتاء و خريف و صيف و ربيع،و ليل و نهار،و حضر و سفر،لكان دائما مستشعرا غير غافل عنه،و عظم اشتغاله بالاستعداد له،لكن الجهل بهذه الأمور و حب الدنيا بعثاه على الغفله و طول الأمل،فهو ابدا يظن أن الموت بين يديه،و لا يقدر نزوله و وقوعه فيه.و يشيع الجنائز و لا يقدر ان تشيع جنازته،لأن هذا قد تكرر عليه،و الفه بتكرر مشاهده موت غيره.و أما موت نفسه،فلم يألفه و لا يتصور ان يألفه،لأنه لم يقع،و إذا وقع لا يقع دفعه أخرى بعده،فهو الأول و هو الآخر! و اما حبه لتوابع البقاء!من المال و الدار و المراكب و الضياع و العقار، فراجع إلى الانس بها و الالتذاذ بها فى مده مديده،فيثقل على قلبه مفارقتها، فيمنع قلبه عن التفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها،اذ كل من كره شيئا يدفعه عن نفسه.و الإنسان لما كان مشغوفا بالامانى الباطله،و بالدنيا و شهواتها و لذاتها و علائقها،فتتمنى نفسه أبدا ما يوافق مراده،و مراده البقاء فى الدنيا،فلا يزال يتوهمه و يقرره فى نفسه،و يقدر توابع البقاء من أسباب الدنيا،فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه،فيلهو عن ذكر الموت و لا يقدر قربه،فان خطر له فى بعض الاحيان امر الموت و الحاجه

إلى الاستعداد له،سوّف و وعد نفسه إلى ان يكبر فيتوب.و إذا كبر اخر التوبه إلى ان يصير شيخا،و إذا صار شيخا يؤخرها إلى أن يفرغ من عماره هـذه الضـيعه او يرجع من سـفر كـذا او يفرغ من تـدبير هذا الولد و جهازه و تدبير مسـكن له،و لا يزال يسوف و يؤخر إلى ان يخطفه الموت فى وقت لا يحتسبه، فتعظم عند ذلك بليته و تطول حسرته،و قد ورد ان أكثر أهل النار صياحهم من سوف،يقولون و احزنـاه من سوف!و المسوف المسـكين لا يـدرى ان الـذى يـدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غـدا،و انما يزداد بطول المـده قوه و رسوخـا،إذ الخـائض فى الـدنيا لا يتصور له الفراغ منها قط،اذ ما قضـى من أخـذ منها لبانته،و انما فرغ منها من اطرحها.

فصل (علاج طول الأمل)

اشاره

لما عرفت ان طول الأمل منشأه الجهل و حب الدنيا،فينبغى أن يدفع الجهل بالفكر الصافى من شوائب العمى،و بسـماع الوعظ من النفوس الطاهره، فان من تفكر يعلم ان الموت أقرب إليه من كل شـىء،و انه لا بـد ان تحمل جنازته و يدفن فى قبره،و لعل اللبن الـذى يغطى به لحـده قد ضـرب و فرغ منه،و لعل اكفانه قد خرجت من عند القصار و هو لا يدرى به. و اما حب الدنيا فينبغى ان يـدفع من القلب بالتأمل فى حقاره الـدنيا و نفاسه الآخره،و ما ورد فى الأخبار من الـذم و العقاب فى حب الـدنيا و الرغبه إليها، و من المدح و الثواب على تركها و الزهد عنها،و قد تقدم ما يكفى لهذا البيان.

و ينبغى-أيضا-ان يتذكر ما ورد فى مدح ضد طول الأمل-اعنى قصـر الأمل كما يأتى-و ما ورد فى ذم طول الأمل،كقوله-صـلّى اللّه عليه و آله-:

«ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان!اتباع الهوى،و طول الأمل.فأما اتباع

الهوی فانه یصد عن الحق،و اما طول الأمل فانه الحب للدنیا-ثم قال-:

ان اللّه یعطی الـدنیا من یحب و یبغض و إذا أحب عبـدا أعطاه الایمان،الا ان للدین أبناء و الدنیا أبناء،فکونوا من أبناء الدین و لا تکونوا من أبنـاء الـدنیا.الا ان الـدنیا قـد ارتحلت مولیه،الا ان الآخره قـد أنت مقبله،الا و انکم فی یوم عمل لیس فیه حساب،الا و انکم یوشـک أن تکونوا فی یوم حساب لیس فیه عمل» (۱).و قوله-صـلّی اللّه علیه و آله-:«نجا أول هذه الأمه بالیقین و الزهد،و یهلک آخر هذه الأمه بالبخل و الأمل».و قول أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«ما أطال عبد الأمل الا أساء الأمل

وصل (قصر الأمل)

ضـد طول الأمل قصـره،و هو من شـعار المؤمنین و دثار الموقنین،و لذا ورد فی الأمر به و النهی عن ضده ما ورد،قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«إذا أصـبحت فلاـ تحـدث نفسـک بالمسـاء،و إذا أمسـیت فلا تحـدث نفسک بالصـباح،و خـذ من دنیاک لآخرتک،و من حیاتک لموتک،و من صـحتک لسـقمک،فانک لا تـدری ما سـمک غـدا».و قال-صـلّی اللّه علیه و آله- بعد ما سمع أن أسامه اشتری ولیده بمائه دینار إلی شـهر:«ان أسامه لطویل الأمل.و الذی نفسی بیده!ما طرفت عینای الا ظننت أن شفری لا یلتقیان

ص: ۳۵

---

۱ - ۱) صـححنا الحـدیث علی احیـاء العلوم:۴-۳۸۴،و هـو یرویـه عـن علی(ع) عـن النـبی(ص)،و لکـن فی کنز العمـال:۲-۱۶۹،یرویـه:انـه مـن کلاـم علی (ع)نفسـه،مـع اختلاـف یسـیر عـن عبـاره الاحیـاء،و عبـاره الکنز أبلـغ و أرصـن، و فیه کلمه(الآخره)بدل(الدین)،و نفس الکلام مع اختلاف یسیر أیضا(و هو أبلغ و أعلی من العبارتین)،مروی فی نهج البلاغه:رقم ۴۱ من باب الخطب،فراجع.

حق يقبض اللّه روحی،و لا رفعت طرفی فظنت أنی واضعه حتی اقبض، و لا لقمت لقمه إلا ظننت انی لا اسیغها حتی اغص بها من الموت»،ثم قال:

«یا بنی آدم!إن کنتم تعقلون فعدوا أنفسکم من الموتی،و الذی نفسی بیده! أن ما توعدون لآت و ما أنتم بمعجزین».و روی:«انه-صلّی اللّه علیه و آله- قد اطلع ذات عشیه إلی الناس،فقال:ایها الناس!اما تستحیون من اللّه تعالی؟قالوا:و ما ذاك یا رسول اللّه!قال:تجمعون ما لا تأکلون، و تأملون ما لا تدرکون،و تبنون ما لا تسکنون».«و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:أ کلکم یحب أن یدخل الجنه؟قالوا:نعم یا رسول اللّه!قال:

قصروا من الأمل،و اجعلوا آجالکم بین أبصارکم،و استحیوا من اللّه حق الحیاء».و کان-صلّی اللّه علیه و آله-یقول فی دعائه:«اللهم إنی أعوذ بک من دنیا تمنع خیر الآخره،و أعوذ بک من حیاه تمنع خیر الممات،و أعوذ بک من امل یمنع خیر العمل»و کان-صلّی اللّه علیه و آله-یتیمم مع القدره علی الماء قبل مضی ساعه،و یقول لعلی لا أبلغه. و قال عیسی-علیه السّلام-:

«لا تهتموا برزق غد،فان لم یکن غدا من آجالکم فتأتی ارزاقکم مع آجالکم،و ان لم یکن غدا من آجالکم فلا تهتموا لأرزاق غیرکم».

فصل (اختلاف الناس فی طول الأمل)

الناس فی طول الأمل و قصره مختلفون:(فمنهم)من یأمل البقاء و یشتهیه أبدا،کما قال اللّه-سبحانه-:

یَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ یُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَهٍ

(۱)

۱- ۱) البقره،الآیه:۹۶.

و هو الـذى انغمر فى الـدنيا و خاض فى لـذاتها،و ليس له من الآخره نصـيب.(و منهم)من يأمل البقاء إلى اقصـى مده العمر الذى يتصور لأهل عصـره،و هو الـذى يحب الـدنيا حبا شديدا،و يشـتغل بجمع ما يمكنه فى هذه المده،و ربما يجتهد بجمع الازيد منه. (و منهم)من يأمل أقل من ذلك إلى ان ينتهى إلى من لا يأمل أزيد من سـنه،فلا يشـتغل بتدبير ما وراءها،و لا يقدر لنفسه وجوده فى عام قابل،فان بلغه حمد اللّه على ذلك،و مثله يسـتعد فى الصيف للشتاء و فى الشتاء للصيف،و إذا جمع ما يكفيه السنه اشتغل بالعبـاده. (و منهم)من يأمـل أقـل من السـنه إلى ان ينتهى إلى من لا يأمل أزيـد من يوم و ليله،فلا يسـتعد الا لنهاره دون غـده. (و منهم)من يكون الموت نصب عينيه،كـأنه واقع به و هو ينتظره،و مثله يصـلى دائمـا صـلاه المودعين. و روى:«أن النـبى-صـلّى اللّه عليه و آله-سأل بعض الصحابه عن حقيقه ايمانه،قال:ما خطوت خطوه الا ظننت انى لا اتبعها أخرى».

و كان بعضهم إذا يصلى يلتفت يمينا و شمالا،و لما قيل له:ما هذا الالتفات؟ قال:«انتظر ملك الموت من انى جهه يأتينى».

ثم أكثر الخلق-(لا ـ)سـيما فى أمثـال زماننـا-قـد غلبهم طول الأمل، بحيث لا يأمل أقل من اقصـى مـده السن،و قلّ فيهم من قصـر امله،و العجب انه كلمـا يزداد السن يزداد طـول الأمـل،و فى عصـرنا أكـثر المشايـخ و المعمرين حرصـهم و طول املهم أكـثر من الشبان،و من هنا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«يشيب ابن آدم و تشب فيه خصلتان:الحرص،و طول الأمل».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:«حب الشيخ شاب فى طلب الدنيا،و ان التقت ترقوتاه من الكبر،إلا الذين اتقوا،و قليل ما هم».

ثم يعرف طول الأمل و قصره بالأعمال:فمن اعتنى بجمع أسباب

لاـ یحتاج إلیها فی سنه فهو طویل الأمل،و کذلک من انتشرت أموره،بأن یکون له مع الناس معاملات و محاسبات إلی مده معینه،کالسنه و أزید منها، و کان علیه دیون من الناس کذلک،و مع ذلک لم یکن مضطربا و لا خائفا فهو طویل الأمل.فعلامه قصر الأمل:أن یجمع امره بحیث لا یکون علیه من الناس شیء،و لا یسعی لطلب قوت الزائد علی أربعین یوما،و یصرف اوقاته فی الطاعه و العباده،و یری نفسه کمسافر یجتهد فی تحصیل الزاد.

فصل (ذکر الموت مقصر للامل)

ذکر الموت یقصر الأمل و یدفع طوله،و یوجب التجافی عن دار الغرور و الاستعداد لدار الخلود،و لذا ورد فی فضیلته و الترغیب فیه اخبار کثیره،قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«أکثروا ذکر هادم اللذات»،قیل:و ما هو یا رسول اللّه؟!قال:«الموت،فما ذکره عبد علی الحقیقه فی منعه الا ضاقت علیه الدنیا،و لا فی شده الا اتسعت علیه».و قال -صلّی اللّه علیه و آله-:«تحفه المؤمن الموت».و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:

«الموت کفاره لکل مسلم».و قیل له-صلّی اللّه علیه و آله-أهل یحشر مع الشهداء أحد؟قال:«نعم!من یذکر الموت فی الیوم و اللیله عشرین مره».و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«أکثروا من ذکر الموت،فانه یمحص الذنوب،و یزهد فی الدنیا».و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«کفی بالموت واعظا». و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«الموت الموت،الا و لا بد من الموت،جاء الموت بما فیه،جاء بالروح و الراحه و الکره المبارکه إلی جنه عالیه لأهل دار الخلود الذین کان لها سعیهم و فیها رغبتهم».و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«اذا استحقت ولایه اللّه و السعاده،جاء الأجل بین العینین و ذهب

الأمل وراء الظهر،و إذا استحقت ولايه الشيطان و الشقاوه،جاء الأمل بين العينين و ذهب الأجل وراء الظهر».و ذكر عنده-صلّى اللّه عليه و آله-رجل، فاحسنوا الثناء عليه،فقال-صلّى اللّه عليه و آله-:«كيف ذكر صاحبكم للموت؟» قالوا:ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت،قال:«فان صاحبكم ليس هنا لك».و سئل:

أى المؤمنين أكيس و أكرم؟فقال:«أكثرهم ذكرا للموت،و أشدهم استعدادا له،أولئك هم الاكياس،ذهبوا بشرف الدنيا و كرامه الآخره» .و قال الباقر-عليه السلام-:«أكثروا ذكر الموت،فانه لم يكثر ذكره انسان الازهد فى الدنيا».و قال الصادق-عليه السّلام-:«اذا أنت حملت جنازه فكن كأنك أنت المحمول و كأنك سألت ربك الرجوع إلى الدنيا ففعل،فانظر ما ذا تستأنف».ثم قال-عليه السلام-:«عجبا لقوم حبس أولهم عن آخرهم،ثم نودى فيهم بالرحيل و هم يلعبون».و قال-عليه السلام-لأبى بصير-بعد ما شكى إليه الوسواس-:«اذكر يا ابا محمد تقطع أوصالك فى قبرك،و رجوع احبائك عنك إذا دفنوك فى حفرتك،و خروج بنات الماء من منخريك،و أكل الدود لحمك،فان ذلك يسلى عليك ما أنت فيه»،قال ابو بصير:فو اللّه!ما ذكرته إلا سلى عنى ما أنا فيه من هم الدنيا.و قال -عليه السّلام-:«من كان كفنه معه فى بيته لم يكتب من الغافلين،و كان ماجورا كلما نظر إليه» (1). و قال-عليه السّلام-:«ذكر الموت يميت الشهوات فى النفس،و يقلع منابت الغفله،و يقوى القلب بمواعد اللّه،و يرق الطبع،و يكسر اعلام الهوى،و يطفى نار الحرص،و يحقر الدنيا،و هو معنى ما قال النبى-صلّى اللّه عليه و آله-:(فكر ساعه خير من عباده سنه).

۱- ۱) صححنا أكثر الأحاديث على الوسائل-ج ۱:الباب ۲۳ من ابواب الاستحضار فى كتاب الطهاره-،و على احياء العلوم:۴-۲۸۳.

و ذلك عند ما يحل أطناب خيام الدنيا و يشدها فی الآخره،و لا ينكر نزول الرحمه عند ذكر الموت بهذه الصفه،و من لا يعتبر بالموت،و قله حيلته، و كثره عجزه،و طول مقامه فی القبر،و تحيره فی القيامه،فلا خير فيه. و قال النبی-صلّی اللّه عليه و آله-:(أكثروا ذكر هادم اللذات...)،ثم ذكر تمام الحديث كما مر...ثم قال-عليه السّلام-:و الموت أول منزل من منازل الآخره و آخر منزل من منازل الدنيا،فطوبی لمن أكرم عند النزول بأولها،و طوبی لمن حسن مشايعته فی آخرها،و الموت أقرب الأشياء من بنی آدم،و هو بعده أبعد،فما أجرأ الإنسان علی نفسه،و ما اضعفه من خلق،و فی الموت نجاه المخلصين و هلاك المجرمين،و لذلك اشتاق من اشتاق إلی الموت و كره من كره،قال النبی-صلّی اللّه عليه و آله-:(من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه،و من كره لقاء اللّه كره اللّه لقاءه)» (۱).

فصل (العجب ممن ينسی الموت)

عجبا لقوم نسوا الموت و غفلوا عنه،و هو اظهر اليقينيات و القطعيات فی العالم،و أسرع الأشياء إلی بنی آدم،قال اللّه-سبحانه و تعالی-:

أَيْنَمٰا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَيَّدَهٍ

(۲)

و قال-سبحانه-: كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَهُ الْمَوْتِ وَ إِنَّمٰا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّٰارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّهَ فَقَدْ فٰازَ وَ مَا الْحَيٰاهُ

۱- ۱) صححنا الحديث علی مصباح الشريعه:الباب ۸۴.

۲- ۲) النساء،الآيه:۷۷.

اَلدُّنْیٰا إِلاّ مَتٰاعُ الْغُرُورِ

(۱)

.

و قال الصادق-علیه السّلام-:«ما خلق اللّه یقینا لا شک فیه أشبه بشک لا یقین فیه من الموت». و قال أمیر المؤمنین-علیه السّلام-:«ما انزل الموت حق منزلته من عد غدا من اجله».و قال-علیه السّلام-:«لو رأی العبد أجله و سرعته إلیه،لأبغض العمل من الدنیا». و قال الصادق(ع):

«ما من أهل بیت شعر و لا وبر إلا و ملک الموت یتصفحه کل یوم خمس مرات».و قد تقدمت اخبار اخر فی هذا المعنی.

فصل (الموت أعظم الدواهی)

اعلم أن الموت داهیه من الدواهی العظمی،و من کل داهیه أشد و ادهی، و هو من الأخطار العظیمه،و الأهوال الجسیمه،فمن علم أن الموت مصرعه و التراب مضجعه،و القبر مقره و بطن الأرض مستقره،و الدود أنیسه و العقارب و الحیات جلیسه،فجدیر أن تطول حسرته و تدوم عبرته،و تنحصر فیه فکرته و تعظم بلیته،و تشتد لأجله رزیته،و یری نفسه فی أصحاب القبور و یعدها من الأموات،إذ کل ما هو آت قریب،و البعید ما لیس بآت، و حقیق ألا یکون ذکره و فکره و غمه و همه و قوله و فعله و سعیه وجده إلا فیه و له،قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«لو أن البهائم یعلمون ما تعلمون ما اکلتم منها سمینا».أو قال-صلّی اللّه علیه و آله-لقوم یتحدثون و یضحکون:

«اذکروا الموت،أما و الذی نفسی بیده!لو تعلمون ما أعلم لضحکتم قلیلا و لبکیتم کثیرا».و مر-صلّی اللّه علیه و آله-بمجلس قد استعلاه الضحک،

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۸۵.

فقال:«شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات».قالوا:و ما مكدر اللذات؟ قال:«الموت».

ثم غفله الناس عن الموت لقله فكرهم فيه و ذكرهم له،و من يـذكره ليس يـذكره بقلب فارغ،بل بقلب مشـغول بشـهوات الدنيا و علائقهـا،فلاـ ينفع ذكره فى قلبه،فالطريق فيه:أن يفرغ القلب عن كل شـىء إلا عن ذكر الموت الـذى بين يـديه،كالـذى يريـد ان يسافر إلى بلد بعيد ما بينهما مفازه مخطره،أو بحر عظيم لا بد أن يركبه،فانه لا يتفكر إلا فيه،و من تفكر فى الموت بهذا الطريق و تكرر منه ذلك،لأثر ذكره فى قلبه،و عنـد ذلك يقل فرحه و سـروره بالدنيا،و تنزجر نفسه عنها،و ينكسـر قلبه، و يسـتعد لأجله. و أوقـع طريـق فيه:أن يكـثر ذكر أقرانه الـذين مضوا قبله، و نقلوا من انس العشـره إلى وحشه الوحـده.و من ضـياء المهود إلى ظلمه اللحود، و من ملاـعبه الجوارى و الغلمـان إلى مصاحبه الهوام و الديـدان،و يتـذكر مصـرعهم تحت التراب،و يتـذكر صورهم فى مناصـبهم و أحـوالهم،ثم يتفكر كيـف محى الـتراب الآـن حسن صـورتهم،و كيـف تبـددت أجزاؤهم فى قبورهم،و كيف أرملوا نساءهم و أيتموا أولادهم و ضيعوا أموالهم و خلت منهم مساكنهم و مجالسهم و انقطعت آثارهم و اوحشت ديارهم،فمهما تذكر رجلاـ رجلاـو فصـل فى قلبه حـاله و كيفيه حيـاته،و توهم صورته،و تـذكر نشـاطه و أمله فى العيش و البقـاء،و نسـيانه للموت،و انخداعه بمؤثثات الأسـباب،و ركونه إلى القوه و الشـباب،و ميله إلى الضـحك و اللهو،و غفلته عما بين يديه من الموت الذريع و الهلاك السـريع،و انه كيف كان يتردد و الآن قـد تهـدمت رجلاه و مفاصـله،و كيف كان ينطق و قـد أكل الـدود لسانه،و كيف كان يضـحك و قد أكل التراب أسنانه،و كيف دبر لنفسه الأمور و جمع من حطام الدنيا مالا يتفق احتياجه إليه على مر الاعوام و الشهور و كر الازمنه و الدهور. ثم يتأمل

ص :۴۲

أنه مثلهم،و غفلته کغفلتهم،و سیصیر حاله فی القبر کحالهم،فملازمه هذه الأفکار و أمثالها،مع دخول المقابر و تشییع الجنائز و مشاهده المرضی، تجدد ذکر الموت فی قلبه،حتی یغلب علیه بحیث یصیر الموت نصب عینیه، و عند ذلک ربما یستعد له و یتجافی عن دار الغرور،و اما الذکر بظاهر القلب و عذبه اللسان فقلیل الجدوی فی التنبیه و الایقاظ.و مهما طاب قلبه بشیء من أسباب الدنیا،فینبغی أن یتذکر فی الحال أنه لا بد من مفارقته.کما نقل:أن بعض الأکابر نظر إلی داره فاعجبه حسنها،فبکی و قال:و اللّه لو لا الموت لکنت بها مسرورا.

فصل (مراتب الناس فی ذکر الموت)

الناس بین منهمک فی الدنیا خائض فی لذاتها و شهواتها،و بین تائب مبتدئ،و عارف منتهی.

(فالأول):لا یذکر الموت،و إن ذکره فیذکره لیذمه لصده عما یحبه من الدنیا،و هو الذی یفر منه،و قال اللّه-تعالی-فیه:

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِی تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاٰقِیکُمْ... الآیه (۱)و هذا یزیده ذکر الموت بعدا من اللّه،الا إذا استفاد منه التجافی عن الدنیا،و یتنغص علیه نعیمه،و یتکدر صفو لذته،و حینئذ ینفعه،لأن کل ما یکدر علی الإنسان اللذات فهو من أسباب نجاته.

(و الثانی):یکثر ذکر الموت لینبعث من قلبه الخوف و الخشیه،فیفی

۱- ۱) الجمعه،الآیه:۸.

بتمام التوبه،و ربما یکرهه خیفه من أن یختطفه قبل الاستعداد و تهیئه الزاد و تمام التوبه،و هو معذور فی کراهه الموت،و لا یدخل تحت قوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«من کره لقاء اللّه کره اللّه لقاءه»،لان هذا لیس یکره الموت و لقاء اللّه،و إنما یخاف فوت لقاء اللّه لقصوره و تقصیره،و هو الذی یتأخر عن لقاء الحبیب مشتغلا بالاستعداد للقائه علی وجه یرضاه،فلا یعد کارها للقائه.و علامه هذا:أن یکون دائم الاستعداد للموت لا شغل له سواه،و إن لم یکن مستعدا له عاملا بما ینفعه فی الآخره التحقیق بالاول.

(و اما الثالث):فانه یذکر الموت دائما،لانه موعد للقاء حبیبه، و المحب لا ینسی قط موعد لقاء الحبیب،و هذا فی غالب الامر یستبطئ مجیء الموت و یحب مجیئه،لیتخلص من دار العاصین و ینتقل إلی جوار رب العالمین، کما روی:«أن حذیفه لما حضرته الوفاه قال:حبیب جاء علی فاقه لا أفلح من رده،اللهم إن کنت تعلم أن الفقر أحب إلی من الغنی،و السقم أحب إلی من الصحه،و الموت أحب الی من الحیاه،فهل علی الموت حتی ألقاک».

و أعلی رتبه منه:من یفوض امره إلی اللّه،و لا یختار لنفسه شیئا:من الموت أو الحیاه،و الفقر و الغنی،و المرض و الصحه،بل یکون أحب الأشیاء إلیه احبها إلی مولاه،و هذا قد انتهی بفرط الحب و الولاء إلی درجه التسلیم و الرضا،و هو الغایه و الانتهاء.

تتمیم (المبادره إلی الحسنات)

اشاره

من علامات قصر الأمل و ذکر الموت:المبادره إلی الحسنات و اشتیاق الخیرات،و لذا ورد فیه الترغیب و الحذر عن آفه التأخیر،قال رسول اللّه

-صلّى اللّه عليه و آله-:«اغتنم خمسا قبل خمس:شبابک قبل هرمک، و صحتک قبل سقمک،و غناک قبل فقرک،و فراغک قبل شغلک،و حیاتک قبل موتک»و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«من خاف أدلج و من أدلج بلغ المنزل.

ألا-إن سلعه اللّه غالیه،ألا إن سلعه اللّه الجنه» (۱).و کان-صلّی اللّه علیه و آله-اذا احس من أصحابه غفله و غره،نادی فیهم بصوت عال:«أتتکم المنیه،إما بشقاوه أو بسعاده»،و روی:أنه ما من صباح و لا ماء إلا و مناد ینادی:أیها الناس!الرحیل الرحیل!و قال بعض الأکابر:التؤده فی کل شیء خیر،إلا فی أعمال الآخره.

و منها:

اشاره

العصیان

و لا-ریب فی کونه من رذائل قوتی الغضب و الشهوه معا،لأن بعض انواعه من رذائل أحداهما من جانب الإفراط أو التفریط،أو من باب رداءتها،و بعض آخر من انواعه من رذائل الأخری.و ضده(التقوی و الورع)،و بالمعنی الأعم:اعنی الاجتناب عن مطلق المعصیه خوفا من سخط اللّه،و قد تقدم ما ورد فی فضیلتهما،فتذکر.

و منها:

اشاره

الوقاحه

و هو عدم مبالاه النفس،و عدم انفعالها من ارتکاب المحرمات الشرعیه و العقلیه أو العرفیه،و کون من رداءه قوتی الغضب و الشهوه ظاهر.

۱- ۱) صححنا الحدیث علی احیاء العلوم:۴-۳۹۰.و فی نسخ الکتاب(أولج و من اولج).

و ضـدها(الحياء)،و هو انحصار النفس و انفعالها من ارتكاب المحرمات الشـرعيه و العقليه و العاديه حـذرا من الـذم و اللوم،و هو أعم من التقوى،إذ التقوى اجتناب المعاصى الشرعيه،و الحياء يعم ذلك و اجتناب ما يقبحه العقل و العرف أيضا،فهو من شرائف الصـفات النفسـيه،و لـذا ورد فى فضـله مـا ورد،قـال الصـادق-عليه السّـلام-:«الحيـاء من الايمان،و الايمان فى الجنه». و قال-عليه السّـلام-:«الحياء و العفاف و العى-أعنى عىّ اللسان لا عى القلب-من الايمان».و قال-عليه السّلام-:«الحياء و الايمان مقرونان فى قرن،فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه». و قال-عليه السّلام-:

«لا ايمان لمن لا حياء له».ثم حقيقه الحياء-كما عرفت-هو الانفعال عن ارتكاب ما يـذم شـرعا أو عقلا أو عرفا،فالانفعال عن غير ذلك حمق، فان الانفعال عن تحقيق احكام الدين أو الخمود عما ينبغى شرعا و عقلا لا يعد حياء بل حمقا.و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«الحياء حياء ان:

حياء عقل و حياء حمق،فحياء العقل هو العلم و حياء الحمق هو الجهل» (۱).

و منها:

اشاره

الإصرار على المعصيه

رجوع رذيله الإصرار إلى أى القوى و ذمهـا-ضـد الإصـرار التوبه و تعريفها-هل يشترط فى التوبه القـدره على الـذنب السابق؟-وجوب التوبه-تحقيق فى وجوبهـا-عموم وجوبهـا-لاـ بـد من العمـل بعـدها-فضـيلتها- قبولهـا-طريقه التوبه من المعاصـى-تكفير الصغائر و معنى الكبائر-الصغائر قد تكون كبائر-شروط كمال التوبه-هل يصح التبعيض فيها؟-أقسام

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على أصول الكافى(باب الحياء).

التائبين-مراتب التوبه-عدم الثقه بالاستقامه لا يمنع من التوبه-علاج الإصرار على الذنوب-الإنابه-المحاسبه و المراقبه-المعنى الظاهر لهما- حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا-مقامات مرابطه الفعل للنفس.

و هو إما ناشئ من رداءه إحدى القوتين و خروجها عن إطاعه العاقله، أو عن رداءتهما معا،فيكون من رذائل القوتين،و كل ما يدل على ذم مطلق المعصيه أو على ذم خصوص افرادها المعينه يدل على ذم الإصرار على المعصيه بطريق أولى و أوكد.و الاخبار الوارده فى ذم خصوص افراد المعاصى ربما يظفر بجمله منها فى هذا الكتاب عند ذكر كل معصيه،و أما الاخبار الوارده فى ذم مطلق الذنب و المعصيه فكثيره جدا،كقول النبى-صلّى اللّه عليه و آله-:«ما من يوم طلع فجره و لا ليله غاب شفقها إلا و ملكان يناديان باربعه اصوات،يقول أحدهما:يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا،و يقول الآخر:

يا ليتهم إذ خلقوا علموا لما ذا خلقوا،فيقول الآخر:فيا ليتهم إذ لم يعلموا لما ذا خلقوا عملوا بما علموا،فيقول الآخر:و يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا.و اعلموا أن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائه عام،و أنه لينظر إلى ازواجه فى الجنه يتنعمن» .و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-:

«لا تبدين عن واضحه و قد عمتك الاعمال الفاضحه،و لا تأمن البيات و قد عملت السيئات»أو قال الباقر-عليه السّلام-:«إن اللّه قضى قضاء حتما ألا ينعم على العبد بنعمه فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النقمه».

و قال-عليه السّلام-:«ما من شىء أفسد للقلب من خطيئته،إن القلب ليواقع الخطيئه،فما يزال به حتى يغلب عليه،فيصير أعلاه أسفله».و قال -عليه السّلام-:«إن العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق». و قال

الصادق-علیه السّلام-:«یقول اللّه-تعالی-:إن أدنی ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته علی طاعتی أن احرمه لذیذ مناجاتی».و قال-علیه السّلام-:

«من همّ بسیئه فلا یعملها،فانه ربما عمل العبد السیئه فیراه الرب-تعالی- فیقول:و عزتی و جلالی!لا أغفر لک بعد ذلک ابدا».و قال(ع):«أما إنه لیس من عرق یضرب،و لا نکبه و لا صداع و لا مرض،إلا بذنب، و ذلک قول اللّه-عز و جل-فی کتابه:

وَ مٰا أَصٰابَکُمْ مِنْ مُصِیبَهٍ فَبِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِیکُمْ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ

(۱)

.

قال-علیه السّلام-:و ما یعفو اللّه أکثر مما یؤاخذ به».و قال(ع):

«إن الرجل یذنب الذنب فیحرم صلاه اللیل،و ان العمل السیء أسرع فی صاحبه من السکین فی اللحم».و قال الکاظم-علیه السّلام-:«حق علی اللّه ألا یعصی فی دار إلا اضحاها للشمس حتی یطهرها» (۲).

و الأخبار فی هذا المعنی أکثر من أن تحصی،و لا یتوهم أحد أنه یمکن ألا یصل إلیه أثر الذنب و وباله،فان هذا محال.فانه لم یتجاوز عن الأنبیاء فی ترکهم الأولی،فکیف یتجاوز عن غیرهم فی کبائر المعاصی.نعم،کانت سعادتهم فی أن عوجلوا بالعقوبه و لم یؤخروا إلی الآخره،و الأشقیاء یمهلون لیزدادوا إثما،و یعذبوا فی الآخره عذابا أکبر و أشد،أما سمعت أن أباک آدم قد اخرج من الجنه بترکه الأولی؟حتی روی:«أنه لما أکل الشجره تطایرت الحلل عن جسده و بدت عورته،و جاء جبرئیل-علیه السّلام-و أخذ التاج من رأسه و خلی الاکلیل عن جنبیه،و نودی من فوق العرش:اهبطا من

۱- ۱) الشوری،الآیه:۳۰.

۲- ۲) صححنا الأحادیث هنا علی أصول الکافی(باب الذنوب).

جوارى،فانه لا يجاورنى من عصانى،فالتفت ادم إلى حواء باكيا،و قال:

هذا أول شؤم المعصيه،أخرجنا من جوار الحبيب».و روى:«انه-تعالى- قال:يا آدم!اى جار كنت لک؟قال:نعم الجار يا رب!قال:يا آدم!اخرج من جوارى وضع عن رأسک تاج كرامتى،فانه لا يجاورنى من عصانى».و قد روى:«ان آدم بكى على ذنبه مائتى سنه،حتى قبل اللّه توبته و تجاوز عما ارتكبه من ترک الأولى».فان كانت مؤاخذته فى نهى تنزيه مع حبيبه و صفيه هكذا،فكيف معاملته مع الغير فى ذنوب لا تحصى.

وصل (التوبه و تعريفها)

اشاره

ضد الإصرار(التوبه)،و هى الرجوع من الذنب القولى و الفعلى و الفكرى،و بعباره أخرى:هى تنزيه القلب عن الذنب و الرجوع من البعد الى القرب،و بعباره أخرى:ترک المعاصى فى الحال و العزم على تركها فى الاستقبال و تدارک ما سبق من التقصير.و كما ان الإصرار على العصيان من رذائل قوتى الغضب و الشهوه،فالرجوع عنه و تركه من فضائلهما،بمعنى أن العزم على ترک كل معصيه يكون من عمل كليهما او أحداهما،و من فعل النفس باعانتهما و انقيادهما للعاقله،و ان كان الباعث على الرجوع و تهيج النفس و القوتين على مباشره الرجوع و الترک هو معرفه عظم ضرر الذنوب،و كونها حجابا بين العبد و بين المحبوب،و يمكن ان يقال:إن التوبه هو الرجوع عن الذنب،و هو من ثمرات الخوف و الحب.فان مقتضى الحب أن يمتثل مراد المحبوب و لا يعصى فى شىء مما يريده و يطلب من المحب،فتكون من فضائل القوتين أيضا.و يمكن أن يقال:إن التوبه عباره عن مجموع العلم بضرر الذنوب،و كونها حجابا بينه و بين اللّه،و الندم الحاصل منه،و القصد المتعلق

بالترک حالا و استقبالا،و التلافی للماضی و الندم،و القصد بالترک و التلافی من فعل القوتین أو فعل النفس بوساطه القوتین و انقیادهما للعاقله،و العلم المذکور من العاقله،فتکون التوبه من فضائل القوی الثلاث.

و توضیح حقیقه التوبه:أنه إذا علم العبد علما یقینیا أن ما صدر عنه من الذنوب حائله بینه و بین محابه.ثار من هذا العلم تألم القلب بسبب فوات المحبوب،و صار متأسفا علی ما صدر عنه من الذنوب،سواء کانت افعالا أو تروکا للطاعات،و یسمی تألمه-بسبب فعله أو ترکه المفوت لمحبوبه-ندما.

و إذا غلب هذا الندم علی القلب،انبعثت منه حاله أخری تسمی إراده و قصدا إلی فعل له تعلق بالحال بترک الذنب الذی کان ملابسا له،و بالاستقبال بعزمه علی ترک الذنب المفوّت لمحبوبه إلی آخر عمره،و بالماضی بتلافیه ما فات بالجبر و القضاء. فالعلم-أعنی الیقین بکون الذنوب سموما مهلکه-هو الأول، و هو مطلع البواقی،إذ مهما اشرق نور هذا الیقین علی القلب أثمر نار الندم علی الذنب،فیتألم به القلب،حیث ینظر باشراق نور الایمان و الیقین أنه صار محجوبا عن محبوبه،کمن یشرق علیه نور الشمس و قد کان فی ظلمه،فیسطع النور علیه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب،فیری محبوبه قد أشرف علی الهلاک،فتشتعل نیران الحب فی قلبه،و تنبعث بتلک النیران إرادته للانتهاض للتدارک.فالعلم،و الندم،و القصد المتعلق بالترک فی الحال و الاستقبال و التلافی للماضی:ثلاثه معان مترتبه فی الحصول،یطلق اسم(التوبه)علی مجموعها. و ربما أطلقت التوبه علی مجرد الندم،و جعل العلم کالسابق و المقدمه، و الترک کالثمره و التابع للمتأخر،و إلی هذا الاعتبار یشیر قوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«الندم توبه».إذ لا یخلو الندم عن علم أوجبه و اثمره،أو عن عزم یتبعه و یتلوه،فیکون الندم محفوفا بطرفیه،اعنی ثمرته و مثمره.و بهذا الاعتبار

قیل فی حدها:إنها ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ،أو نار فی القلب تلتهب و صدع فی الکبد لا ینشعب،و ربما أطلقت علی مجرد ترک الذنوب حالا و العزم علی ترکها استقبالا،و بهذا الاعتبار قیل فی حدها:إنها خلع لباس الجفاء و نشر بساط الوفاء،و إنها تبدیل الحرکات المذمومه بالحرکات المحموده، أو إنها ترک اختیار الذنب حالا و توطین القلب و تجرید العزم علی عدم العود استقبالا.و علی هذا لا یکون الندم داخلا فی حقیقه التوبه،و قد صرح بعض الاعاظم بخروجه عنها،محتجا بأن الندم-و هو تألم القلب و حزنه علی الذنب-غیر مقدور،و لذا تری تقع الندامه علی أمور فی قلبه و هو یرید ألا یکون ذلک فلا یکون الندم مقدورا،و انما المقدور تحصیل أسبابه،أعنی الایمان و العلم بفوات المحبوب و تحقیقهما فی قلبه.و علی هذا فلا یکون الندم من التوبه،إذ التوبه مقدوره للعبد و مأمور بها،فاللازم فیها التندم دون الندم.و غیر خفی بأن الندم کغیره من صفات النفس،فان أمکن إزاله الصفات النفسیه و کسبها فالندم کذلک،و الا لزم بطلان علم الأخلاق بالکلیه، و أیضا إذا امکن تحصیل سبب الندامه-اعنی العلم بفوات المحبوب-لزم ترتب المسبب-أعنی الندامه علیه-فما معنی عدم کونه مقدورا،فالندامه فی الإزاله و التحصیل لا یکون اصعب من کثیر من الأخلاق النفسیه.و بعضهم یعدّ ما عدا التندم من شرائط التوبه،قال:«و أما الندم-أعنی تألم القلب علی الذنب الذی هو روح التوبه-فغیر مقدور،و هو التوبه حقیقه،و انما المقدور تحصیل أسبابه من العلم و الایمان و تحقیقهما فی قلبه»انتهی.و فیه مالا یخفی بعلاوه ما سبق، قال الصادق-علیه السّلام-:«التوبه حبل اللّه و مدد عنایته،و لا بد للعبد من مداومه التوبه علی کل حال،و کل فرقه من العباد لهم توبه،فتوبه الأنبیاء من اضطراب السر و توبه الأولیاء من تلوین الخطرات،

و توبه الاصـفياء من التنفيس،و توبه الخاص من الاشـتغال بغير اللّه،و توبه العالم من الـذنوب،و لكل واحـد منهم معرفه و علم فی أصول توبته و منتهی أمره،و ذلک یطول شرحه هنا.

و أما توبه العام،فان یغسل باطنه من الذنوب بماء الحسـره،و الاعتراف بجنایته دائما،و اعتقاد الندم علی ما مضی،و الخوف علی ما بقی من عمره، و لاـ یستصـغر ذنوبه فیحمله ذلـک إلی الکسل،و یـدیم البکاء و الاسف علی ما فاته من طاعه اللّه،و یحبس نفسـه عن الشـهوات،و یسـتغیث إلی اللّه-تعـالی- لیحفظه علی وفـاء توبته و یعصـمه عن العود إلی مـا سـلف،و یروض نفسه فی میـدان الجهـاد و العباده،و یقضـی عن الفوائت من الفرائض،و یرد المظالم، و یعتزل قرناء السوء،و یسـهر لیله و یظمأ نهاره،و یتفکر دائما فی عاقبته، و یسـتعین باللّه سائلا منه الاسـتقامه فی سـرائه و ضـرائه،و یثبت عند المحن و البلاء کیلا یسقط عن درجه التوابین،فان فی ذلک طهاره من ذنوبه، و زیاده فی عمله،و رفعه فی درجاته.قال اللّه-عز و جل-:

فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ

(۱)

» .(۲)

تتمه (هل یشترط فی التوبه القدره علی الذنب السابق؟)

التوبه انما تکون عن ذنب سبق مثله،(أما) (۳)ترک ذنب لم یسـبق مثله حالا و العزم علی ترکه اسـتقبالا لا یسمی توبه،بل یسمی تقوی،و یسمی

۱- ۱) العنکبوت،الآیه:۳.

۲- ۲) صححنا هذه الروایه علی(مصباح الشریعه:الباب ۸۰).

۳- ۳) و فی النسخ(او)بدل(أما)،و الصحیح ما اثبتناه.

صاحبه متقيا لا تائبا،و لذا يصح القول بأن النبى-صلّى اللّه عليه و آله-كان متقيا عن الكفر،و لا يصح القول بأنه كان تائبا عنه،ثم المراد بالمثل السابق أعم من أن يكون مثلا-فى الصوره او المنزله،فالشيخ الهم الذى سبق منه الزنا و قطع الطريق،و لم يقدر الساعه على فعلهما،اذا أراد التوبه عنهما ينبغى أن يتوب عما يماثلهما منزله و درجه،كالقذف و السرقه و امثالهما،إذ لا معنى للتوبه عما يماثلهما صوره-اعنى نفس الزنا و قطع الطريق-مع عدم قدرته عليهما،و لو لم يكن التوبه عما يماثل الشىء فى المنزله و الدرجه توبه عن هذا الشىء،لزم أن يكون باب التوبه مسدودا بالنسبه إلى مثل الشيخ الهم و كل من صدر منه معصيه و الآن لا يقدر عليها،و هو باطل،لانفتاح باب التوبه الى الموت،و لما ذكر،قال بعض المشايخ فى حد التوبه:«إنها ترك اختيار ذنب سبق مثله منزله لا صوره،تعظيما للّه و حذرا من سخطه».فقوله:

«سبق مثله»احتراز عن ترك ذنب لم يسبق مثله،فانه لا يسمى توبه بل تقوى،و قوله:«منزله لا صوره»لادخال التوبه عما سبق و لا يقدر الآن على فعله،و على هذا فتوبه العنين عن النظر و اللمس و أمثال ذلک يكون توبه عن الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه،و الظاهر أن بناء ذلک على دلاله توبته عما يقدر عليه الآن،على أنه لو كان قادرا على الزنا لتركه أيضا، لاشعاره بأن توبته صدرت عن معرفه و يقين بضرر الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه،فلو كان قادرا عليه لتركه أيضا.

قال أبو حامد الغزالى:«إن قلت:هل تصح توبه العنين من الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه؟قلت:لا!لأن التوبه عباره عن ندم يبعث العزم على الترک فيما يقدر على فعله و ما لا يقدر على فعله،فقد انعدم بنفسه لا بتركه إياه»،ثم قال:«و لكنى أقول:لو طرأ عليه بعد العنه كشف

و معرفه تحقق به ضرر الزنا الذی قارفه،و ثار منه احتراق و تحسر و ندم، بحیث لو کانت شهوه الوقاع باقیه لکانت حرقه الندم تقمع تلک الشهوه و تغلبها،فانی أرجو أن یکون ذلک مکفرا لذنبه و مباحا عنه سیئته،إذ لا خلاف فی أنه لو تاب قبل طریان العنه و مات عقیب التوبه کان من التائبین و ان لم تطرأ علیه حاله تتهیج فیها الشهوه و تتیسر أسباب قضاء الشهوه،و لکنه تائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده، فاذن لا یستحیل أن تبلغ قوه الندم فی حق العنین هذا المبلغ إلا أنه لا یعرفه من نفسه،فان کل من لا یشتهی شیئا یقدر نفسه قادرا علی ترکه بأدنی خوف، و اللّه مطلع علی ضمیره و علی مقدار ندمه،فعساه یقبله منه،بل الظاهر انه یقبله.و الحقیقه فی هذا کله ترجع إلی أن ظلمه المعصیه تنمحی عن القلب بشیئین:- أحدهما-حرقه الندم،و-الآخر-شده المجاهده بالترک فی المستقبل،و قد امتنعت المجاهده بزوال الشهوه،و لکن لیس محالا أن یقوی الندم بحیث یقوی علی محوها دون المجاهده،و لو لا هذا لقلنا:ان التوبه لا تقبل ما لم یعش التائب بعد التوبه مده یجاهد نفسه فی عین تلک الشهوه مرات کثیره،و ذلک مما یدل ظاهر الشرع علی اشتراطه».

فصل (وجوب التوبه)

التوبه عن الذنوب بأسرها واجبه،بالاجماع،و النقل،و العقل:

أما الإجماع-فلا ریب فی انعقاده.و أما النقل-فکقوله-تعالی-:

وَ تُوبُوا إِلَی اللّٰهِ جَمِیعاً أَیُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ

(۱)

.و قوله-تعالی-: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ

۱- ۱) النور،الآیه:۳۱.

آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَهً نَصُوحاً عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ

(۱)

.

و معنى النصوح:الخالص للّه خاليا عن شوائب الأغراض،من مال أو جاه او خوف من سلطان أو عدم أسباب،و الامر للوجوب،فتكون التوبه واجبه بمقتضى الآيتين.

و أما العقل-فهو أن من علم معنى الوجوب و معنى التوبه فلا يشك فى ثبوته لها. (بيان ذلک):أن معنى الواجب و حقيقته هو ما يتوقف عليه الوصول إلى سعاده الابد و النجاه من هلاک السرمد،و لو لا تعلق السعاده و الشقاوه بفعل الشىء و تركه لم يكن معنى لوجوبه،فالواجب ما هو وسيله و ذريعه إلى سعاده الأبد.و لا ريب فى أنه لا سعاده فى دار البقاء إلا فى لقاء اللّه و الانس به،فكل من كان محجوبا عن اللقاء و الوصال محروما عن مشاهده الجلال و الجمال،فهو شقى لا محاله،محترق بنار الفراق و نار جهنم،ثم لا مبعد عن لقاء اللّه إلا اتباع الشهوات النفسيه و الغضب و الانس بهذا العالم الفانى، و الاكباب على حب ما لا بد من مفارقته قطعا،و يعبر عن ذلک بالذنوب.

و لا مقرب من لقاء اللّه الا قطع علاقه القلب من زخرف هذا العالم، و الإقبال بالكليه على اللّه،طلبا للانس به بدوام الذكر،و المحبه له بدوام الفكر فى عظمته و جلاله و جماله على قدر طاقته،و لا ريب فى أن الانصراف عن طريق البعد الذى هو الشقاوه واجب للوصول إلى القرب الذى هو السعاده،و لا يتم ذلک إلا بالتوبه التى عباره عن العلم و الندم و العزم، و لا يتم الواجب الا به،فهو واجب،فالتوبه واجبه قطعا.

۱- ۱) التحريم،الآيه:۸.

تذنیب (تحقیق فی وجوب التوبه)

کیف لا ـ تکون التوبه عن المعاصی واجبه،مع أن العلم بضروره المعاصی و کونها مهلکه من اجزاء الایمان و وجوب الایمان و مما لا ریب فیه،و العالم بهذا العلم إذا لم یعمل به فکما لا یعلمه أو ینکره فلا یکون له هذا الجزء من الایمان،لان کل علم یراد لیکون باعثا علی العمل،فلا یقع التفصی عن عهدته ما لم یصیر باعثا،فالعلم بضرر الذنوب إنما أرید لیکون باعثا علی ترکها،فمن لم یترکها فهو فاقد لهذا الجزء من الایمان،و هو المراد بقول النبی -صلّی اللّه علیه و آله-:«لا ـ یزنی الزانی حین یزنی و هو مؤمن»،و ما أراد به نفی الایمان باللّه و وحدانیته و صفاته و کتبه و رسله،فان ذلک لا ینافی الزنا و المعاصی،و إنما أراد به نفی الایمان باللّه لکون الزنا مبعدا عن اللّه و موجبا لسخطه،و لیس الایمان بابا واحدا،بل هو-کما ورد-نیف و سبعون بابا،أعلاها الشهادتان و ادناها اماطه الأذی عن الطریق،و مثاله قول القائل:لیس الإنسان موجودا واحدا،بل هو نیف و سبعون موجودا، أعلاها الروح و القلب و ادناها اماطه الاذی عن البشره،بأن یکون مقصوص الشارب مقلوم الأظفار نقی البشره عن الخبث،حتی یتمیز عن البهائم المرسله المتلوثه بارواثها،المستکرهه الصور بطول مخالبها و اظفارها، فالایمان کالانسان،و فقد الشهادتین کفقد الروح الذی یوجب البطلان بالکلیه،و الذی لیس له إلا شهاده التوحید و الرساله و یترک سائر اجزائه من الاعمال،فهو کانسان مقطوع الأطراف مقفوء العینین،فاقد لجمیع اعضائه الظاهره و الباطنه، إلا أصل الروح.و کما أن من هذا حاله قریب من الموت و مزایله الروح الضعیفه المنفرده التی تخلفت عنها الأعضاء التی تمدها و تقویها،فکذلک من

لیس له إلا أصل الایمان و هو مقصر فی الأعمال،قریب من أن تنقلع شجره ایمانه إذا صدمتها الریاح العاصفه المحرکه للایمان فی مقدمه قدوم ملک الموت و وروده، فکل ایمان لم یثبت فی النفس أصله و لم تنتشر فی الأعمال فروعه، لم یثبت علی عواصف الأهوال عند ظهور ناصیه ملک الموت و خیف علیه سوء الخاتمه،فالمحجوب عن الایمان الذی هو شعب و فروع سیحجب فی الخاتمه عن الایمان الذی هو أصل،کما أن الشخص الفاقد لجمیع الأطراف التی هی فروع لیساق إلی الموت المعدم للروح التی هی أصل،فلا بقاء للاصل دون الفرع،و لا وجود للفرع دون الأصل،و لا فرق بین الأصل و الفرع إلا فی شیء واحد،و هو أن وجود الفرع و بقاءه جمیعا یستدعی وجود الأصل،و أما وجود الأصل فلا یستدعی وجود الفرع،و لکن بقاءه یستدعی وجود الفرع،فبقاء الأصل بالفرع و وجود الفرع بالأصل،فمساواه العاصی و المطیع فی اسم المؤمن کمساواه شجره القرع و شجره الصنوبر فی اسم الشجره،و إنما یظهر الفرق إذا عصفت الریاح القویه،فعند ذلک تنقطع أصول شجره القرع و تتناثر أوراقها،و تبقی شجره الصنوبر ثابته علی أصلها و فرعها. و مثل العاصی الذی لا یخاف الخلود فی النار لأجل معصیته اتکالا علی ایمانه بالتوحید و الرساله،کمثل الصحیح الذی یأکل الأغذیه المضره و السمومات و لا یخاف الموت اتکالا علی صحته،فکما یؤدی صحه هذا الصحیح بتناوله السمومات و الأغذیه إلی المرض و المرض إلی الموت،فکذلک تؤدی ذنوب العاصی إلی سوء الخاتمه و سوء الخاتمه إلی الخلود فی النار،فالمعاصی للایمان کالسمومات و المأکولات المضره للابدان،فکما أن مضره السمومات لا تزال تجتمع فی الباطن حتی تغیر مزاج الاخلاط و هو لا یشعر بها إلی أن یفسد المزاج فیمرض دفعه ثم یموت دفعه،فکذلک آثار المعاصی لا تزال

تراكم فى النفس حتى يفسد مزاجها فيسلب عنها أصل الايمان،فالخائف من الموت فى هذه النشأه القصيره إذا وجب عليه ترك السموم و ما يضره من المأكولات،فالخائف من هلاك الابد أولى بأن يجب عليه ترك الذنوب، و من تناول السم و ندم إذا وجب عليه أن يتقيأ و يرجع عن تناوله باخراجه عن المعده،فمتناول سموم الايمان و هى الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام مهله التدارك.

فالبدار البدار معاشر اخوانى إلى التوبه!قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح ايمانكم عملا لا ينفع بعده الاحتماء،و يخرج الأمر فيه عن أيدى اطباء القلوب،فلا ينفع حينئذ وعظ الواعظين و نصح الناصحين،و تحق عليكم كلمه العذاب،و تدخلون تحت عموم قوله-تعالى-:

وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ

(۱)

.و قوله تعالى: خَتَمَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ (۲)و غير ذلك من الآيات.

ثم مقتضى الأدله المذكوره:كون التوبه واجبه على الفور،فيجب على كل مسلم أن يتوب عن ذنوبه فورا،و لا يجوز له التأخير.قال لقمان لابنه:

«يا بنى!لا تؤخر التوبه،فان الموت يأتى بغته».و من ترك المبادره إلى التوبه بالتسويف كان بين خطرين عظيمين:-أحدهما-أن تراكم الظلمه على قلبه من المعاصى حتى يصير دينا و طبعا فلا يقبل المحو.-و الثانى-أن يعاجله

۱- ۱) يس،الآيه:۹.

۲- ۲) البقره،الآيه:۷.

المرض أو الموت فلا يجد مهله للاشتغال بالمحو.و لذلك ورد:أن أكثر صياح أهل النار من التسويف،فما هلك من هلك إلا بالتسويف.

فصل (عموم وجوب التوبه)

وجوب التوبه يعم الأشخاص و الأحوال،فلا ينبغى أن ينفك عنه احد فى حاله،قال اللّه-تعالى-:

وَ تُوبُوا إِلَى اللّٰهِ جَمِيعاً

(۱)

و هو يعم الكل فى الكل.و مما يدل على وجوبها على الكل:أن كل فرد من أفراد الناس إذا بلغ سن التمييز و التكليف قام القتال و النزاع فى مملكه بدنه،بين الشهوات جنود الشياطين،و بين العقول احزاب الملائكه،إذ لا تكمل غريزه العقل فى أحد إلا بعد كمال غريزه الشهوه و الغضب و سائر الصفات المذمومه،و إذا قام القتال بينهما لا بد بحكم العقل و الشرع أن يغلب جنود اللّه على جنود الشيطان،بقمعها بكسر الشهوات،و رد النفس على سبيل القهر و الغلبه على الصفات المحموده و العبادات،و لا معنى لوجوب التوبه الا هذا. و مما يدل على وجوبها على الدوام و فى كل حال هو أن كل عبد لا يخلو عن معصيه بجوارحه،فان خلا فى بعض الأحوال عن معصيه الجوارح فلا يخلو عن رذائل النفس و الهم بالذنوب بالقلب،فان خلا عن ذلك أيضا فلا يخلو عن وسوسه الشيطان بايراد الخواطر المتفرقه المذهله عن ذكر اللّه،فان خلا عنه فلا يخلو عن غفله و قصور فى العلم باللّه و بصفاته و آثاره،و كل ذلك نقص يجب الرجوع عنه و هو معنى التوبه.

۱- ۱) النور،الآيه:۳۱.

و لعـدم خلو أحـد من الخلق من نوع هـذا النقص و أصـله فی حاله،و ان تفاوتوا فی المقادیر،یلزم وجوب التوبه علی کل عبد فی کل حاله،و لو خلا عن التوبه عن جمیع الـذنوب فی لحظه و اختطفه الموت،لزم خروج روحه بلا توبه،لعـدم انفکاکه قبل موته و لو بلحظه عن فرد من المعاصـی المـذکوره، فالتوبه واجبه علی کل عبد سالک فی کل نفس من أنفاسه،قال بعض العرفاء (۱):«لو لـم یبـک العاقـل فیمـا بقی من عمره إلاـ علی فـوت مـا مضـی من عمره فی غیر طـاعه اللّه،لکـان حقیقـا أن یخزیه (۲)ذلک إلی الممات،فکیف من یسـتقبل ما بقی من عمره بمثل ما مضـی من جهله».و من عرف قدر العمر و فائدته،و ما یکتسب به من سعاده الأبد،یعلم أن ما یضـیع منه فی المعصیه و غیر التوبه أی حسره و ندامه یترتب علیه،فان العاقل إذا ملک جوهره نفیسه،فان ضاعت منه بغیر فائـده بکی علیهـا لاـ محـاله،و إن ضـاعت منه و صـار ضـیاعها سـبب هلاکه کان بکاؤه منه أشـد، و کل نفس من العمر جوهره نفیسه لاـ عوض لها،لا یصالها العبـد إلی سـعاده الأبـد و انقاذها إیاه من شـقاوه السـرمد،و أی جوهر أنفس من هـذا،فمن ضیعها فی الغفله خسـر خسـرانا مبینا،و من صـرفها فی معصـیه فقـد هلک هلاکا أبـدیا.و قـد قیل:إن للّه-تعالی-إلی عبـده سـرین یسـرهما إلیـه علی سبیـل الإلهـام.-أحـدهما-اذا خرج مـن بطـن أمـه یقـول لـه:عبـدی!قـد أخرجتـک إلی الـدنیا طـاهرا لطیفـا، و استودعتک عمرک و ائتمنتک علیه،فانظر کیف تحفظ الأمانه،و انظر کیف تلقانی.-و الثانی-عند خروج روحه یقول:عبدی!ما ذا صنعت فی امانتی عندک،هل حفظتها حتی تلقانی علی العهد فالقاک علی الوفاء؟او اضعتها

۱- ۱) هو أبو سلیمان الدرانی فیما نقل عنه فی احیاء العلوم:۴-۱۰.

۲- ۲) فی نسخ جامع السعادات(یجزیه).

فألقاك بالمطالبه و العقاب؟.و إليه الإشاره بقوله-تعالى-:

أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِکُمْ

(۱)

.و بقوله-تعالی-:

وَ الَّذِینَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ

(۲)

.

و قد روی:أن ملک الموت إذا ظهر للعبد عند موته أعلمه أنه قد بقی من عمرک ساعه لا تستأخر عنها طرفه عین،فیبدو للعبد من الحزن و الحره و الأسف ما لو کانت له الدنیا بحذافیرها لاعطاها بدل أن یضم إلی تلک الساعه ساعه أخری لیتدارک فیها تفریطه،و لا یجد إلیها سبیلا، و قد روی-أیضا-:

أنه إذا کشف الغطاء للعبد قال لملک الموت:أخرنی یوما اعتذر فیه إلی ربی و أتوب،و أتزود صالحا لنفسی،فیقول:فنیت الأیام فلا یوم،فیقول:

أخرنی ساعه،فیقول:فنیت الساعات فلا ساعه،فیغلق علیه باب التوبه، فیغرغر بروحه،و تتردد انفاسه فی شراسیفه،و یتجرع غصه الیأس عن التدارک،و حسره الندامه علی تضییع العمر،فیضطرب أصل ایمانه فی صدمات تلک الأهوال،فإذا زهقت نفسه،فان سبقت له من اللّه الحسنی خرجت روحه علی التوحید،و ذلک حسن الخاتمه،و إن سبق له القضاء بالشقوه -و العیاذ باللّه-خرجت روحه علی الشک و الاضطراب،و ذلک سوء الخاتمه.

تذنیب

التوبه عن بعض المعاصی المذکوره-أعنی المحرمات و ترک الواجبات- واجب بفتوی الشرع،بمعنی أن التارک لهذه التوبه و المرتکب لهذه المعاصی یکون معذبا بالنار،و هذا الوجوب یشترک فیه کافه الخلق،و تکلیف الجمیع به لا یوجب فسادا فی النظام الکلی.و أما التوبه عن بعض آخر منها،کالخواطر

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۰.

۲- ۲) المؤمنون،الآیه ۸.المعارج،الآیه:۳۲.

و الهمم الطاريه على القلب و القصور عن معرفه كنه جلال اللّه و عظمته و أمثال ذلك،فليس واجبا بهذا المعنى،لمنافاته انتظام العالم.إذ لو كلف الخلق كلهم أن يتقوا اللّه حق تقاته،لتركوا المعائش و رفضوا الدنيا بالكليه،و ذلك يؤدى إلى بطلان التقوى رأسا،لأنه إن فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى.فالتوبه عن كل ما هو المرجوح ليست واجبه بهذا الاعتبار،بل هى واجبه بمعنى آخر،و هو ما لا بد منه للوصول به إلى غايه القرب إلى اللّه، و إلى المقام المحمود و الدرجات العاليه،فمن رضى باصل النجاه و قنع به لم تكن هذه التوبه واجبه عليه،و من طلب الوصول إلى ما ذكر وجبت عليه هذه التوبه وجوبا شرطيا،بمعنى توقف مطلوبه عليه،كما جرت عليه طوائف الأنبياء و الأولياء و أكابر العرفاء و العلماء،و لأجله رفضوا لذات الدنيا بالكليه.و على هذا فما ورد من استغفار الأنبياء و الأوصياء و توبتهم إنما هو من ترك دوام الذكر و غفلتهم عن مقام الشهود و الاستغراق لأجل اشتغالهم بالمباحات،لا عن ذنوب كذنوبنا،لتعاليهم و تقدسهم عن ذلك.قال الصادق -عليه السّلام-:«إن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-كان يتوب إلى اللّه و يستغفره فى كل يوم و ليله مائه مره من غير ذنب،ان اللّه-تعالى-يخص أولياءه بالمصائب،و ليأجرهم عليها من غير ذنب كذنوبنا،فان ذنب كل أحد إنما هو بحسب قدره و منزلته عند اللّه».و بمضمونه أخبار أخر.

فصل (لا بد من العمل بعد التوبه)

لا يكفى فى تدارك الشهوات و التوبه عن الذنوب مجرد تركها فى المستقبل، بل لا بد من محو آثارها التى انطبعت فى جوهر النفس بنور الطاعات،إذ كل شهوه و معصيه صدرت من الإنسان ارتفعت منها ظلمه إلى قلبه،كما ترتفع من

نفس الإنسان ظلمه إلی وجه المرآه الصقیله،فان تراکمت ظلمه الشهوات و المعاصی صارت رینا،کما یصیر بخار النفس فی وجه المرآه عند تراکمه خبثا،کما قال-تعالی-:

کَلاّ بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ

(۱)

فإذا تراکم الرین صار طبعا،فیطبع علی قلبه،کما أن الخبث فی وجه المرآه إذا تراکم و طال زمانه غاص فی جرم الحدید و افسده،و صار بحیث لا یقبل التصقیل بعده،فالتائب من الذنوب لا بد له من محو تلک الآثار التی انطبعت منها فی نفسه،و لا یکفی مجرد ترکها فی المستقبل،کما لا یکفی فی تصقیل المرآه و ظهور الصور فیها قطع الانفاس و البخارات المسوّده لوجهها فی المستقبل،ما لم یشتغل بمحو ما انطبع فیها من الآثار،و کما ترتفع إلی النفس ظلمه من المعاصی و الشهوات فتظلمها،فکذلک یرتفع نور من الطاعات و ترک الشهوات فینورها،و لهذا النور تنمحی ظلمه المعاصی و الشهوات،و إلیه الإشاره بقوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«اتبع السیئه الحسنه تمحها».فاذن لا یستغنی العبد فی حال من أحواله من محو آثار السیئات عن قلبه بمباشره حسنات تضاد آثارها آثار تلک السیئات،بمعنی أن تکون الحسنه التی ترتکب لمحو السیئه مناسبه لتلک السیئه،لقوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«اتق اللّه حیث کنت»:و لأن المرض یعالج بضده،فکل ظلمه ارتفعت إلی القلب، فلا یمحوها إلا نور یرتفع إلیه من حسنه تضادها،إذ الضد إنما یرتفع بالضد،فیکفر سماع الملاهی بسماع القرآن و بحضور مجالس الذکر، و یکفر القعود فی المسجد جنبا بالعباده فیه،و یکفر مس المصحف محدثا باکرامه و تقبیله و کثره قراءته،و یکفر شرب الخمر بالتصدق لکل شراب

۱- ۱) المطففین،الآیه:۱۴.

حلال هو أحب إليه...إلى غير ذلك.و ليس ذلك-أى ايقاع المناسبه-شرطا فى المحو،فقد روى:«أن رجلا قال لرسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:إنى عالجت امرأه فاصبت منها كل شىء إلا المسيس،فاقض علىّ بحكم اللّه، فقال:أما صليت معنا؟ قال:بلى!فقال:إن الحسنات يذهبن السيئات».

و ينبغى أن تكون التوبه عن قرب عهد بالخطيئه،بأن يتندم عليها و يمحو آثارها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو،قال اللّه-تعالى-:

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ

(۱)

.أى عن قرب عهد بعمل السوء.و قال: وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ .(۲)

قال الصادق-عليه السّلام-:«ذلك إذا عاين امر الآخره».و قد ورد مثله عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-أيضا.

فصل (فضيله التوبه)

اعلم أن التوبه أول مقامات الدين،و رأس مال السالكين،و مفتاح استقامه السائلين،و مطلع التقرب إلى رب العالمين،و مدحها عظيم، و فضلها جسيم،قال اللّه-تعالى-:

۱- ۱) النساء،الآيه:۱۶.

۲- ۲) النساء،الآيه:۱۷.

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ

(۱)

و قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«التائب حبیب اللّه،و التائب من الذنب کمن لا ذنب له». و قال الباقر-علیه السّلام-:«إن اللّه-تعالی- أشد فرحا بتوبه عبده من رجل أضل راحلته و زاده فی لیله ظلماء فوجدها، فاللّه أشد فرحا بتوبه عبده من ذلک الرجل براحلته حین وجدها».و قال -علیه السّلام-:«التائب من الذنب کمن لا ذنب له،و المقیم علی الذنب و هو مستغفر منه کالمستهزئ».و قال الصادق-علیه السّلام-:«إن اللّه یحب من عباده المفتن التواب»:یعنی کثیر الذنب کثیر التوبه.و قال-علیه السّلام-:

«اذا تاب العبد توبه نصوحا،أحبه اللّه فستر علیه»فقلت:و کیف یستر علیه؟ قال:«ینسی ملکیه ما کانا یکتبان علیه،و یوحی إلی جوارحه و إلی بقاع الأرض أن اکتمی علیه ذنوبه،فیلقی اللّه-عز و جل-حین یلقاه و لیس شیء یشهد علیه بشیء من الذنوب». و قال الصادق-علیه السّلام-:«إن اللّه -عز و جل-أعطی التائبین ثلاث خصال لو أعطی خصله منها جمیع أهل السماوات و الأرض لنجوا بها:قوله-عز و جل-:

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ... الی آخره (۲)،و قوله:

اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا -الی قوله- وَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۳).

ص: ۶۵

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۲۲.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۲۲.

۳- ۳) المؤمن،الآیه:۷-۹.

و قوله: وَ الَّذِينَ لاٰ يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلٰهاً آخَرَ وَ لاٰ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَ لاٰ يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثٰاماً، يُضٰاعَفْ لَهُ الْعَذٰابُ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهٰاناً، إِلاّ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ -الى قوله- وَ كٰانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً (١).

و قال أبو الحسن-عليهما السّلام-:«أحب العباد إلى اللّه المنيبون التوابون».

فصل (قبول التوبه)

التوبه المستجمعه لشرائطها مقبوله بالاجماع،و يدل عليه قوله-تعالى-:

هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبٰادِهِ

(٢)

.و قوله -تعالى-: غٰافِرِ الذَّنْبِ وَ قٰابِلِ التَّوْبِ (٣).و قوله -تعالى-: وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَحِيماً (۴).

و قول النبى-صلّى اللّه عليه و آله-:«إن اللّه-تعالى-يبسط يده بالتوبه لمسىء الليل إلى النهار و لمسىء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»،و بسط اليد كنايه عن طلب التوبه،و طالب التوبه يقبله البته.

١- ١) الفرقان،الآيه:۶٨-٧٠.

٢- ٢) الشورى،الآيه:٢۵.

٣- ٣) المؤمن،الآيه:٣.

۴- ۴) اللنساء،الآيه:١٠٩.

و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«إن الحسنات يذهبن السيئات،كما يذهب الماء الوسخ».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم،لتاب اللّه عليكم».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«إن العبد ليذنب الذنب فيدخل فى الجنه».قيل:كيف يا رسول اللّه؟!قال:«يكون نصب عينيه تائبا منه فارّا حتى يدخل الجنه».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:

«كفاره الذنب الندامه».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«من تاب قبل موته بسنه قبل اللّه توبته.ثم قال:إن السنه لكثير،من تاب قبل موته بشهر قبل اللّه توبته.ثم قال:إن الشهر لكثير،من تاب قبل موته بجمعه قبل اللّه توبته.ثم قال:إن الجمعه لكثير،من تاب قبل موته بيوم قبل اللّه توبته.

ثم قال:إن يوما لكثير،من تاب قبل أن يعاين ملك الموت قبل اللّه توبته» و قال الباقر-عليه السّلام-لمحمد بن مسلم:«ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفوره له،فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبه و المغفره،أما و اللّه إنها ليست إلا لأهل الايمان».فقال له:فان عاد بعد التوبه و الاستغفار من الذنوب، و عاد فى التوبه؟قال:«يا محمد بن مسلم!أ ترى العبد المؤمن يندم على ذنبه و يستغفر منه و يتوب ثم لا يقبل اللّه توبته؟»،قال:فانه فعل ذلك مرارا، يذنب ثم يتوب و يستغفر،فقال:«كلما عاد المؤمن بالاستغفار و التوبه عاد اللّه عليه بالمغفره،و إن اللّه غفور رحيم يقبل التوبه و يعفو عن السيئات،فإياك أن تقنط المؤمن من رحمه اللّه».و قوله-عليه السّلام-:«اذا بلغت النفس هذه-و أ هوى بيده إلى حلقه-لم تكن المعالم توبه،و كانت للجاهل توبه».

و قوله-عليه السّلام-:«إن آدم-صلّى اللّه عليه-قال:يا رب!سلطت على الشيطان،و أجريته منى مجرى الدم،فاجعل لى شيئا،فقال:يا آدم!جعلت لك:إن من همّ من ذريتك بسيئه لم تكتب عليه،فان عملها كتبت عليه سيئه

و من هم منهم بحسنه،فان لم يعملها كتبت له حسنه،فان هو عملها كتبت له عشرا،قال:يا رب!ازدنی،قال:جعلت لک:إن من عمل منهم سيئه ثم استغفر غفرت له،قال:يا رب!ازدنی،قال:جعلت لهم التوبه،و بسطت لهم التوبه حتی تبلغ النفس هذه،قال:يا رب!حسبی»و قول الصادق-عليه السّلام-:«إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله اللّه به الجنه»،قيل:يدخله اللّه بالذنب الجنه؟قال:«نعم!إنه ليذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه، فيرحمه اللّه فيدخله الجنه».و قوله-عليه السّلام-:«العبد المؤمن إذا ذنب ذنبا أجله اللّه سبع ساعات،فان استغفر اللّه لم يكتب عليه شیء،و إن مضت الساعات و لم يستغفر كتبت عليه سيئه،و ان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنه حتی يستغفر ربه فيغفر له،و إن الكافر لينسی من ساعته».و قوله-عليه السّلام-:

«ما من مؤمن يقارف فی يومه و ليلته أربعين كبيره فيقول و هو نادم:استغفر اللّه الذی لا إله إلا هو الحی القيوم بديع السماوات و الأرض ذا الجلال و الإكرام و أسأله أن يصلی علی محمد و آل محمد و ان يتوب علی،إلا غفرها اللّه له،و لا خير فيمن يقارف فی يومه أكثر من أربعين كبيره» (۱).

و روی:«أن اللّه-تعالی-لما لعن ابليس سأله النظره،فانظره إلی يوم القيامه،فقال:و عزتک لاخرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح، فقال اللّه-تعالی:بعزتی لا حجبت عنه التوبه ما دام فيه الروح». و ورد فی الإسرائيليات:«أن شابا عبد اللّه عشرين سنه،ثم عصاه عشرين سنه،ثم نظر فی المرآه،فرأی الشيب فی لحيته،فساءه ذلک،فقال:إلهی اطعتک عشرين

۱- ۱) صححنا الأحاديث الوارده فی هذا الباب علی أصول الكافی:باب الاعتراف بالذنوب،و باب من يهم بالحسنه أو السيئه،و باب التوبه،و باب الاستغفار من الذنوب،و باب فيما أعطی اللّه-عز و جل-آدم وقت التوبه.

سنه ثم عصيتك عشرين سنه،فان رجعت إليك أ تقبلنى؟فسمع قائلا يقول:

أجبتنا فاجبناك،فتركتنا فتركناك،و عصيتنا فامهلناك،فان رجعت إلينا قبلناك».و الاخبار و الآثار فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى،و فى بعض الأخبار المتقدمه دلاله عليه أيضا.

ثم الناظر بنور البصيره لا يحتاج فى هذا المعنى إلى بيان،إذ يعلم أن التوبه توجب سلامه القلب،و كل قلب سليم مقبول عند اللّه و متنعم فى الآخره فى جوار اللّه،و يعلم ان القلب خلق فى الأصل سليما صافيا،إذ كل مولود يولد على الفطره،و إنما مرض و اسود بامراض الذنوب و ظلماتها،و دواء التوبه يزيل هذه الأمراض،و نور الحسنات يمحو هذه الظلمات،و لا طاقه لظلام المعاصى مع نور الحسنات،كما لا طاقه لظلام الليل مع نور النهار،و لكدوره الوسخ مع بياض الصابون و الماء الحار،نعم إذا تراكمت الذنوب بحيث صار رينا و طبعا،و افسدت القلب بحيث لا يقبل الصفاء و النورانيه بعد ذلك،فمثل هذا القلب لا تفيده التوبه،بمعنى انه لا يرجع و لا يتوب،و إن قال باللسان تبت،إذ اوساخ الذنوب غاصت فى تجاويفه و تراكمت فيه بحيث لا يقبل التطهير،و لو بولغ فيه أدى إلى انخراق القلب و هلاكه،لصيروره الاوساخ جزءا من جوهره،كما أن الثوب الذى غاص الوسخ فى تجاويفه و خلله و تراكم فيه،لو بولغ فى تطهيره بالماء و الصابون أدى ذلك إلى انخراقه.و هذا حال أكثر الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن اللّه فانهم لا يرجعون و لا يتوبون،لصيروره ذمائم الأخلاق و رذائلها ملكات راسخه فى نفوسهم و غاصت اوساخها فى تجاويف قلوبهم،بحيث لا يتنبهون و لا يتيقظون حتى يقصدوا التوبه،و لو قصدوها فانما هو بمجرد اللسان،و القلب غافل خال عن الايمان،بل تتعذر عليه التوبه لبطلان حقيقتها.

فصل (طريق التوبه عن المعاصى)

اعلم أن مـا عنه التوبه هى الـذنوب التى علمت تفاصـيلها فى هـذا الكتـاب، و هى-كمـا ذكرناها-لا تخلو عن الصـفات و الافعال الشـيطانيه المتعلقـه بـالوهم، و الصـفات و الافعـال السـبعيه المتعلقه بـالقوه السـبعيه،و الصـفات و الافعـال البهيميه المتعلقه بـالقوه البهيميه.و من حيث تعلق التوبه بها و كيفيه الخروج عنها ينقسم إلى اقسام ثلاثه:

أحـدها-ترك الطاعـات الواجبه:من الصـلاه،و الصوم،و الزكـاه،و الخمس و الكفـاره و غيرهـا.و طريق التوبه عنهـا:أن يجتهـد فى قضائها بقدر الإمكان.

و ثانيها-المحرمات التى بين العبد و بين اللّه،اعنى المنهيات التى هى حقوق اللّه:كشرب الخمر،و ضرب المزامير،و الكذب،و الزنا بغير ذات بعل.و طريق التوبه عنها:أن يندم عليها،و يوطن قلبه على ترك العود إلى مثلها أبدا.

و ثالثهـا:الـذنوب التى بينه و بين العبـاد،و هى المعبر عنها بحقوق الناس، و الأمر فيها أصـعب و أشـكل،و هى إما فى المال،أو فى النفس،أو فى العرض، أو فى الحرمه،أو فى الدين:

فما كان فى(المال):يجب عليه أن يرده إلى صاحبه إن أمكنه،فان عجز عن ذلك لعدم أو فقر،وجب أن يستحل منه،و إن لم يحله أو عجز عن الايصال لغيبه الرجل غيبه منقطعه او موته و عدم بقاء وارث له، فليتصدق عنه إن أمكنه.و الا فعليه بالتضرع و الابتهال إلى اللّه أن يرضـيه عنه يوم القيامه،و عليه بتكثير حسناته و تكثير الاستغفار له،ليكون يوم القيامه عوضا عن حقه،اذ كل من له حق على غيره لا بد أن يأخذ يوم القيامه

عوضا عن حقه،اما بعض طاعاته أو بتحمل هذا الغير بعض سيئاته.

و ما كان فى(النفس):فان كانت جنايه جرت عليه خطأ وجب أن يعطى الـديه،و ان كان عمـدا وجب عليه أن يمكن المجنى عليه أو أوليـاءه مع هلاـكه من القصـاص حتى يقتص منه،أو يجعل فى حل،و ان عجز عن ذلك فعليه بكثره اعتقاق الرقاب،لأن ذلك نوع احياء و ايجاد لا يقـدر الإنسان على أكثر منه،فيقابل به الاعـدام و الأمانه،و عليه الرجوع أيضا إلى اللّه بالتضـرع و الابتهال أن يرضيه عنه يوم القيامه.

و ما كان فى(العرض):بأن شتمه،أو قذفه،أو بهته،أو اغتابه،فحقه أن يكذب نفسه عند من قال ذلك لديه،و يستحل من صاحبه مع الإمكان، إن لم يخف تهديـده و زياده غيظه و هيجان فتنته من إظهاره،فان خاف ذلك، فليكثر الاسـتغفار له،و يبتهل إلى اللّه أن يرضيه عنه يوم القيامه.

و ما كان فى(الحرمه):بأن خان مسـلما فى أهله و ولده أو نحوهما، فلا وجه للاسـتحلال،إذ إظهار ذلك يورث الغيظ و الفتنه،لأن من له شـوب الرجوليه لاـ يمكن أن يحـل من خـان فى حرمته و وطـأ زوجته،كيف و لو أحله و رضـى بـذلك كـان فيه عرق من الـدياثه،فاللاـزم لمثله أن يكثر التضـرع و الابتهال إلى اللّه المتعال،و يواظب على الطاعات و الخيرات الكثيره لمن خانه فى مقابله خيانته،و إن كان حيا فليفرحه بالإحسان و الانعام و بذل الأموال،و يكرمه بالخدمه و قضاء الحوائج،و يسعى فى مهماته و اغراضه، و يتلطف به،و يظهر من حبه و الشـفقه عليه ما يسـتميل به قلبه،فإذا طاب قلبه بكثره تودده و تلطفه،فربما سـمحت نفسه فى القيامه بالاحلاـل،فـان أبى أن يكون انعـامه و تلطفه من جمله حسـناته التى يمكن أن يجبر بها فى القيامه خيانته،فان كل ظلم و إيـذاء و حق من حقوق العباد إذا لم يحل صاحبه يوم

ص: ٧١

القیامه یقتص من الظالم فی یوم القیامه بالحکم العدل القهری بأخذ العوض، سواء رضـی الظالم أم لا،و سواء امتنع صاحب الحق عن القبول و الابراء أم لا ـ کما أنه یحکم فی الدنیا علی من اتلف مـال غیره باعطاء المثل،و یقهر علی ذلک،و یحکم علی هـذا الغیر بقبوله،و یجبر علیه إن امتنع عن الابراء و عن القبول،فکـذلک یحکم أحکم الحاکمین و أعـدل العادلین فی محکمه القیامه، فیقتص من کل ظالم موذ بأخذ حسناته و وضعها فی موازین أرباب المظالم، فان لم تف بها حسناته،حمل من سیئات أرباب المظالم،فیهلک المسکین بسیئات غیره. و بذلک یعلم:انه لا خلاص لأحد فی القیامه إلا برجحان میزان الحسنات علی میزان السیئات،و مع الرجحان-و لو بقدر مثقال-تحصل النجاه،فیجب علی کل معتقد بیوم الحساب أن یسعی فی تکثیر الحسنات و تقلیل السیئات،حتی لا ـ ترجح سیئاته یوم القیامه علی حسناته و لو بمثقال فیکون من الهالکین،و علی کل حال لا یغفل عن التضرع و الابتهال فی اللیل و النهار إلی اللّه-سبحانه-،لعله بعمیم لطفه لا یفضحه یوم تبلی السرائر،و یرضی خصمه بخفی ألطافه.

و ما کان فی(الدین):بأن نسب مسلما إلی الکفر او الضلاله أو البدعه.فلیکذب نفسه بین یدی من قال ذلک عنده،و یستحل من صاحبه مع الإمکان،و بدونه فلیستغفر له و یکثر الابتهال إلی اللّه لیرضیه عنه یوم القیامه.

و مجمل ما یلزم فی التوبه عن حقوق الناس:ارضاء الخصوم مع الإمکان،و بدونه التصدق و تکثیر الحسنات و الاستغفار،و الرجوع إلی اللّه بالتضرع و الابتهال،و لیرضیهم عنه یوم القیامه،و یکون ذلک بمشیه اللّه،فلعله إذا علم الصدق من قلب عبده،و وجد ذله و انکساره،ترحم علیه

ص:٧٢

و أرضى خصماءه من خزانه فضله،فلا ينبغى لأحد أن ييأس من روح اللّه.

فصل (تكفير الصغائر و معنى الكبائر)

اعلم ان صاحب الشرع قسم الذنوب إلى كبيره و صغيره،و حكم بأن اجتناب الكبائر يكفر الصغائر،و أن الصلوات الخمس لا تكفر الكبائر و تكفر الصغائر،قال اللّه-تعالى-:

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ

(۱)

.و قال: اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ (۲).

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«الصلوات الخمس و الجمعه تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكبائر»و اجتناب الكبيره انما يكفر الصغيره اذا اجتنبها مع القدره و الاراده،كمن يتمكن من امرأه و من مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع و يقتصر على نظر و لمس،فان مجاهدته نفسه فى الكف عن الوقاع أشد تأثيرا فى تنوير قلبه من اقدامه على النظر فى الظلامه، فهذا معنى تكفيره،فان كان امتناعه لعجز او خوف او نحو ذلك،فلا يصلح للتكفير،فكذلك من لا يشتهى الخمر بطبعه و لو أبيح له لما شربه.فاجتنابه لا يكفر عن الصغائر التى هى من مقدماته كسماع الملاهى و الأوتار و مثله.

ثم الكبيره من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص فى اللغه و لا فى الشرع و العرف،لأن الكبير و الصغير من المصافات،و ما من ذنب إلا

۱- ۱) النساء،الآيه:۳۰.

۲- ۲) النجم،الآيه:۳۲.

و هو كبير بالإضافه إلى ما دونه،و صغير بالإضافه إلى ما فوقه.و قد اختلف العلماء فى تعيين الكبائر اختلافا لا يكاد يرجى زواله،و اختلفت الروايات فيها أيضا.

و الأظهر بالنظر إلى الروايات و إلى الجميع بينها كون الكبيره عباره عما توعد بالنار على فعله او ما ورد فى نص الكتاب النهى عنه،و يعنى بوصفه بالكبيره:ان العقوبه بالنار عظيمه،او ان تخصيصه بالذكر فى القرآن يدل على عظمه.و يمكن ان يقال:ان الشرع لم يعينها،و أبهمها ليكون العباد على و جل منها،فيجتنبون جميع الذنوب،كما أبهم ليله القدر ليعظم جد الناس فى طلبها،و واظبوا فى ليال متعده على العبادات،و كما أبهم الاسم الأعظم ليواظبوا على جميع أسماء اللّه. و الحاصل:أن كل ما لا يتعلق به حكم الدنيا جاز أن يتطرق إليه الإبهام،و الكبيره على الخصوص لا حكم لها فى الدنيا من حيث انها كبيره،فان موجبات الحدود معلومه بأساميها،و انما حكم الكبيره ان اجتنابها يكفر الصغائر و ان الصلوات الخمس لا تكفرها،و هذا أمر يتعلق بالآخره،و الإبهام أليق به،حتى يكون الناس على و جل و حذر،فلا يتجرؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس و اجتناب الكبائر.

فصل (الصغائر قد تكون كبائر)

اعلم أن الصغيره قد تكبر بأسباب:

أحدها-الإصرار و المواظبه،و لذلك قال الصادق-عليه السّلام-:

«لا صغيره مع الإصرار،و لا كبيره مع الاستغفار».و السر فيه:أن الصغيره لقله تأثيرها لا تؤثر فى القلب باظلامه مره او مرتين،و لكن إذا تكررت و تراكمت آثارها الضعيفه صارت قويه و أثرت على التدريج فى

القلب،و ذلک کما أن قطرات من الماء تقع علی الحجر علی توال فتؤثر فیه، و ذلک القدر من الماء لو صب علیه دفعه لم یؤثر،و لـذلک قـال رسـول اللّـه-صـلّی اللّـه علیـه و آلـه-:«خیر الأعمـال أدومهـا،و إن قـل».و إذا کـان النـافع هـو الطـاعه الـدائمه و إن قلت،فکذلک الضار هو السیئه الدائمه و إن قلت.ثم معرفه الإصرار موکول إلی العرف،قال الباقر-ع-فی قوله-تعالی-:

وَ لَمْ یُصِرُّوا عَلیٰ مٰا فَعَلُوا وَ هُمْ یَعْلَمُونَ

(۱)

:

«الإصرار:أن یذنب الذنب،فلا یستغفر و لا یحدث نفسه بتوبه، فذلک الإصرار».

و ثانیها-استصـغار الذنب،فان العبد کلما اسـتعظمه من نفسه صغر عند اللّه،و کلما استصغره کبر عند اللّه،لأن استعظامه یصدر عن نفور القلب عنه و کراهته له،و ذلک النفور یمنع من شده تأثره به،و استصـغاره یصدر عن الألف به،و ذلک یوجب شده الأثر فی القلب،و القلب هو المطلوب تنویره بالطاعات و المحـذور تسویـده بالسـیئات،و لـذلک لا یؤاخـذ بما یجری علیه فی الغفله،لعـدم تـأثره به.و لـذلک ورد فی الخبر:«أن المؤمن یری ذنبه کالجبل فوقه یخاف أن یقع علیه،و المنافق یری ذنبه کـذباب مر علی أنفه فاطـاره». و قـال رسول اللّه-صـلّی اللّه علیه و آله-:«اتقوا المحقرات من الـذنوب،فانهـا لاـ تغفر»،قیـل:و مـا المحقرات؟قال:الرجل یـذنب الـذنب،فیقول طوبی لی لو لم یکن غیر ذلـک».و روی:«انه-صـلّی اللّه علیه و آله-نزل بـارض قرعاء،فقال لأصـحابه:ائتونا بالحطب،فقالوا:

یـا رسول اللّه!نحن بـأرض قرعـاء مـا بهـا من حطب،قـال:فلیـأت کل انسان بما قـدر علیه.فجاؤا به حتی رموا بین یـدیه بعضه علی بعض،فقال-صلّی اللّه

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۳۵.

علیه و آله-:هکذا تجتمع الذنوب،إیاک و المحقرات من الذنوب فان لکل شیء طالبا،ألا و إن طالبها یکتب ما قدموا و آثارهم و کل شیء أحصیناه فی امام مبین». و قال أمیر المؤمنین-علیه السّلام-:«لا تصغر ما ینفع یوم القیامه،و لا تصغر ما یضر یوم القیامه،فکونوا فیما أخبرکم اللّه کمن عاین». و قال الباقر-علیه السّلام-:«اتقوا المحقرات من الذنوب فان لها طالبا،یقول أحدکم:أذنب و استغفر اللّه.إن اللّه-تعالی-یقول:

وَ نَکْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنٰاهُ فِی إِمٰامٍ مُبِینٍ

(۱)

.و قال-عز و جل-: إِنَّهٰا إِنْ تَکُ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَکُنْ فِی صَخْرَهٍ أَوْ فِی السَّمٰاوٰاتِ أَوْ فِی الْأَرْضِ یَأْتِ بِهَا اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ (۲).

و قال الصادق-علیه السّلام-:«إن اللّه یحب العبد أن یطلب إلیه فی الجرم العظیم،و یبغض العبد أن یستخف بالجرم الیسیر». و قال الکاظم -علیه السّلام-:«لا تستکثروا کثیر الخیر و لا تستقلوا قلیل الذنوب، فان قلیل الذنوب یجتمع حتی یکون کثیرا،و خافوا اللّه فی السر حتی تعطوا من أنفسکم النصف» (۳).و السر فی عظم الذنب فی قلب المؤمن:کونه عالما بجلال اللّه و کبریائه،فإذا نظر إلی عظم من عصی به رأی الصغیر کبیرا، و قد أوحی اللّه إلی بعض أنبیائه:«لا تنظر إلی قله الهدیه و انظر إلی عظم مهدیها،و لا تنظر إلی صغر الخطیئه و انظر إلی کبریاء من واجهته بها».

ص: ۷۶

۱- ۱) یس،الآیه:۱۲.

۲- ۲) لقمان،الآیه:۱۶.

۳- ۳) صححنا الأحادیث کلها علی أصول الکافی(باب التوبه،و باب تفسیر الذنوب).

و لـذلك قال بعض الصـحابه للتابعين:«إنكم تعملون اعمالا هى أدق فى أعينكم من الشـعر،و كنا نعـدها على عهد رسول اللّه من الموبقات»،إذ كانت معرفه الصحابه بجلال اللّه أتم،فكانت الصغائر عنهم بالإضافه إلى جلال اللّه كبائر.

و ثالثهـا-أن يـأتى بالصـغائر و لاـ يبـالى بفعلها،اغترارا بستر اللّه عليه، و حلمه عنه،و إمهاله إياه،و لا يعلم أنه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهـال اثما، فتزهق أنفسـهم و هم كافرون،فمن ظن آن تمكنه من المعاصـى عنايه من اللّه به،فهو جاهل بمكامن الغرور،و آمن من مكر اللّه الذى لا يأمن منه إلا الكافرون.

و رابعها-السـرور بالصـغيره و اعتداد التمكن من ذلك نعمه،و الغفله عن كونها نقمه و سبب الشقاوه،فكلما غلبت حلاوه الصغيره عند العبد كبرت و عظم أثرها فى تسويد قلبه،فمن مزق عرض مسـلم و فضـحه و خجله،أو غبنه فى ماله فى المعامله،ثم فرح به،و يقول:أما رأيتنى كيف مزقت عرضه؟ و كيف فضحته؟و كيف روجت عليه الزيف؟كانت معصيته أشد مما إذا لم يفرح بذلك و تأسف عليه،إذ الذنوب مهلكات،و إذا ابتلى بها العبد فينبغى أن يتأسف من حيث إن العدو-اعنى الشيطان-ظفر به و غلب عليه، لا أن يفرح بغلبه العدو عليه،فالمريض الذى يفرح بانكسار انائه الذى فيه واؤه لتخلصه من ألم شربه،لا يرجى شفاؤه.

و خامسها-أن يذنب و يظهر ذنبه بان يذكره بعد اتيانه،أو يأتى به فى مشهد غيره،فان ذلك خيانه منه على اللّه الذى اسدله عليه،و تحريك الرغبه و الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله،فهما خيانتان انضمتا إلى خيانته فتغلظت به،فان انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه و الحمل عليه و تهيئه الأسباب له صارت خيانته رابعه،و تفاحش الأمر.و هذا لان من

صفات اللّه انه يظهر الجميل و يستر القبيح و لا يهتك الستر،فلإظهار كفر ان لهذه النعمه،قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«المستتر بالحسنه تعدل سبعين حسنه،و المذيع بالسيئه مخذول،و المستتر بها مغفور له». و قال الصادق-عليه السّلام-:«من جاءنا يلتمس الفقه و القرآن و تفسيره فدعوه و من جاءنا يبدى عوره قد سترها اللّه فنحوه».

و سادسها-ان يكون الآتى بالصغيره عالما يقتدى به الناس،فإذا فعله بحضره الناس او بحيث اطلعوا عليه،كبر ذنبه،و ذلك كلبه الذهب و الابريسم،و أخذه مال الشبهه،و إطلاقه اللسان فى اعراض الناس،و نحو ذلك.فهذه ذنوب يقتدى العالم فيها و يتبع عليها،فيموت و يبقى شره مستطيرا فى العالم،فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه،و فى الخبر:«من سن سنه سيئه فعليه و زرها و وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء»قال اللّه-تعالى- وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ (1)و الآثار:ما يلحق الأعمال بعد انقضاء العمل.فعلى العالم وظيفتان:

-أحدهما-ترك الذنب،و الأخرى-اخفاؤه،و كما تتضاعف اوزار العالم على السيئات إذا اتبع فيها،فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات إذا اتبع.

فصل (شروط كمال التوبه)

يشترط فى تمام التوبه و كمالها بعد تدارك كل معصيه بما مر:من طول الندم،و قضاء العبادات،و الخروج عن مظالم العباد،و طول البكاء و الحزن و الحسره،و اسكاب الدموع،و تقليل الأكل،و ارتياض النفس،ليذوب

١- ١) يس،الآيه:١٢.

عن بـدنه كـل لحم نبت من الأغـذيه المحرمه و المشـتبهه،قـال أمير المؤمنين(ع) لمن قال بحضـرته:اسـتغفر اللّه:«ثكلتك أمك!أ تدرى ما الاسـتغفار؟ان الاستغفار درجه العليين،و هو اسم واقع على سته معان: اولها:الندم على ما مضى، و الثانى:العزم على ترك العود عليه ابـدا، و الثـالث:ان تـؤدى إلى المخلـوقين حقـوقهم حـتى تلقى اللّه امس ليس عليـك تبعه، و الرابع:ان تعمـد الى كل فريضه عليـك ضـيعتها تؤدى حقهـا، و الخامس:ان تعمـد إلى اللحم الـذى نبت على السـحت فتـذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم و ينشأ منهما لحم جديد، و السادس:ان تذيق الجسم الم الطاعه كما أذقته حلاوه المعصيه فعند ذلك تقول:استغفر اللّه».

فصل (هل يصح التبعيض فى التوبه)

اعلم ان التوبه عن بعض الـذنوب دون بعض ممكن و يصح،بشـرط الا تكون الذنوب التى يتوب عنها مخالفه بالنوع للذنوب التى لا يتوب عنها،كأن يتوب عن الكبائر دون الصـغائر،او عن القتل و الظلم و مظالم العباد دون بعض حقوق اللّه،أو عن شـرب الخمر دون الزنا او بالعكس،او عن شرب الخمر دون أكل أموال الناس بالباطل خيانه و تلبيسا او غصبا او قهرا،او عن بعض الصغائر دون بعض الكبائر.كالـذى يتـوب عن الغيبه مع اصـراره على شـرب الخمر،و الـدليل على إمكـان ذلـك و صـحته:ان العبـد إذا علم ان الكبائر أعظم اثما عنـد اللّه و اجلب لسـخط اللّه و مقته و الصـغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها،فلا يبعد ان يتوب عن الأعظم دون الأصـغر،و كـذا اذا تصور ان بعض الكبائر أشـد و اغلظ عند اللّه من بعض،فلا يبعد ان يتوب عن الأغلظ دون الأخف،و قد تكون ضراوه أحد بنوع معصيه

شدیده،فلا یقدر علی الصبر عنها،و تکون ضراوته بنوع آخر منها أقل، فیمکنه الترک بسهوله،فیتوب عنه دون الأول،و ان کان الأول اغلظ و أشد اثما،کالذی شهوته بالخمر أشد من شهوته بالغیبه.فیترک الغیبه و یتوب عنها دون الخمر،فالتوبه عن بعض المعاصی دون بعض مع اختلافهما نوعا بأی نحو کان ممکن و صحیح،و معها یندفع عنه اثم ما تاب عنه،و یکتب علیه اثم ما لم یتب عنه،بل ربما کان أکثر ما وقع من التوبه من هذا القبیل،إذ کثر التائبون فی الاعصار الخالیه و القرون الماضیه،و لم یکن أحد منهم معصوما، فیکون کل منهم جازما بأنه یصدر عنه معصیه البته.و یدل علی الصحه قوله -علیه السّلام-:«التائب من الذنب کمن لا ذنب له»حیث لم یقل:التائب من الذنوب. نعم التوبه عن بعض الذنوب دون بعض مع تماثلهما غیر صحیح و غیر معقول،لاستوائهما فی حق الشهوه و حق التعرض لسخط اللّه،فلا معنی للتوبه عن أخذ الخبز الحرام،أو عن أخذ الدرهم الحرام دون الدینار الحرام أو عن ترک صلاه الظهر دون العصر،إذ لو کان ذلک صحیحا لصح أن یتوب عن أخذ هذا الخبز دون ذلک الخبز،او عن أخذ هذا الدرهم دون ذلک الدرهم...و هکذا.و الحاصل:ان التوبه عن بعض الذنوب دون بعض مع تفاوتهما فی العقاب و اقتضاء الشهوه صحیح،و مع تماثلهما فیهما غیر معقول.

و من العلماء من قال:إن التوبه عن البعض دون البعض لا تصح مطلقا، و استدل علی ذلک بأن التوبه عباره عن الندم،و إنما یندم علی السرقه-مثلا- لکونها معصیه لا لکونها سرقه،و لا یعقل أن یندم علیها دون الزنا ان کان توجعه لأجل المعصیه،اذ العله شامله لهما،لان من یتوجع علی قتل ولده بالسیف یتوجع علی قتله بالسکین،لان التوجع هو بفوات المحبوب،سواء کان بالسیف او بالسکین،و کذلک توجع التائب انما هو لفوات المحبوب

بالمعصیه،سواء عصی بالسرقه أو بالزنا،و جوابه قد ظهر مما ذکرناه.

فصل (أقسام التائبین)

التائبون بین من سکت نفسه عن الشروع إلی الذنوب فلا یحوم حومها،و بین من بقی فی نفسه الشروع إلیها و الرغبه فیها و هو یجاهدها و یمنعها:

و الأول بیّن من سکون النزوع و بطلانه فیه لأجل قوه الیقین و صدق المجاهده، و من سکونه و انقطاعه بفتور فی نفس الشهوه فقط!و الأول من الأول أفضل من الثانی،و الثانی منه أدون من الثانی،و الوجه ظاهر.و أیضا التائبون بین من نسی الذنب من دون اشتغال بالتفکر فیه،و بین من جعله نصب عینیه و لا یزال یتفکر فیه و یحترق ندما علیه.و لا ریب فی أنّ التذکر و الاحتراق بالنظر إلی المبتدی و من یخاف علیه العود أفضل،لأنه یصده عنه،و النسیان بالنظر إلی المنتهی السالک و الواصل إلی مرتبه الحب و الانس الواثق من نفسه انه لا یعود أفضل،لأنه شغل مانع عن سلوک الطریق،و حاجب من الحضور بلا فائده.و لا ینافیه بکاء الأنبیاء و تناجیهم من الذنوب،لانهم قد ینزلون فی أقوالهم و أفعالهم إلی الدرجات الائقه بالامه،فانهم بعثوا لارشادهم،فعلیهم التلبس بما ینتفع الأمه بمشاهدته،و إن کان نازلا عن ذروه مقامهم.و لذا قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«أما إنی لا أنی، و لکن انسی لأشرع» (1).و لا تعجب من هذا،فان الأمم فی کنف شفقه الأنبیاء کالصبیان فی کنف شفقه الآباء،و کالمواشی فی کنف الرعاه،و الاب إذا أراد أن یستنطق ولده الصغیر ینزل إلی درجه نطق الصبی،و الراعی

1- 1) الحدیث نبوی مروی فی احیاء العلوم:4-38.

لشاه أو طائر يصوت به رغاء أو صفيرا شبيها بالبهيمه و الطائر،تلطفا فی تعلیمه.

فصل (مراتب التوبه)

اعلم أن التائب إما يتوب عن المعاصی کلها و يستقيم على التوبه إلى آخر عمره،فيتدارک ما فرط،و لا يعود إلى ذنوبه،و لا يصدر عنه معصيه إلا الزلات التی لا يخلو عنها غير المعصومين،و هذه التوبه هی التوبه النصوح، و النفس التی صاحبها هی النفس المطمئنه التی ترجع إلى ربها راضيه مرضيه، أو يتوب عن کبائر المعاصی و الفواحش و يستقيم على أمهات الطاعات،إلا أنه ليس ينفک عن ذنوب تصدر عنه فی مجاری أحواله غفله و سهوه و هفوه، لا عن محض العمد و تجريد القصد،و إذا أقدم على ذنب لام نفسه و ندم و تأسف و جدد عزمه على ألا يعود إلى مثله،و يتشمر للاحتراز عن أسبابه التی تؤدی إليه،و النفس التی هذه مرتبتها هی النفس اللوامه التی خيرها يغلب على شرها،و لها حسن الوعد من اللّه-تعالى-بقوله:

اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ الْمَغْفِرَهِ

(۱)

.

و إلى مثلها الإشاره بقوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«خيارکم کل مفتن تواب».و فی خبر آخر:«المؤمن کالسنبله،يفیء احيانا و يميل احيانا».

و فی خبر آخر:«لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينه بعد الفينه» (۲):أی

۱- ۱) النجم،الآيه:۳۲.

۲- ۲) صححنا النبويات الثلاث على احياء العلوم:۴-۳۹.

الحین بعد الحین.و کل ذلک شاهد صدق علی ان هذا القدر من الذنوب لا ینقض التوبه و لا یلحق صاحبه بدرجه المصرین،و من یؤیس مثل هذا عن النجاه و وصوله إلی درجه التائبین فهو ناقص،و مثله مثل الطبیب الذی یؤیس الصحیح من دوام الصحه بما یتناوله من الفواکه مره أو مرتین،و مثل الفقیه الذی یؤیس المتفقه عن نیل درجه الفقهاء بفتوره عن التکرار فی أوقات نادره.و لا ریب فی نقصانه،فالعالم حق العالم هو الذی لا یؤیس الخلق من درجات السعادات بما یتفق لهم من الفترات و مقارفه السیئات المختطفات،إذ أمثال الفترات و ما یصدر عن السهو و الغفلات لا یفسد النفس و لا یبطلها بحیث لا یقبل الإصلاح، أو یتوب و یستمر علی الاستقامه مده ثم تغلبه الشهوه فی بعض الذنوب،فیقدم علیه عمدا و قصدا،لعجزه عن قهر الشهوه و قمعها،إلا أنه مع ذلک مواظب علی الطاعات،و تارک لأکثر الذنوب مع القدره و الشهوه،و إنما قهره بعض الشهوات بحیث یغفل عند هیجانها و یرتکب مقتضاها من دون مجاهده و ندامه،و عند قضاء هذه الشهوه و الفراغ عنها یتندم،و یقول سأتوب عنها،لکنه یسول نفسه و یسوف توبته یوما بعد یوم،و النفس التی هذه درجتها هی التی تسمی النفس المسوله المسئول صاحبها،و إلیها الإشاره بقوله-تعالی-:

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً

(۱)

.

فنجاتها من حیث مواظبته علی الطاعات و کراهته لما یتعاطاه مرجو، فعسی اللّه أن یتوب علیها،و لکن یخاف علیها من حیث تسویفها و تأخیرها،

۱- ۱) التوبه،الآیه:۱۰۳.

فربما اختطفها الموت قبل التوبه،و يقع أمرها فى المشيئه،فيدخل فى زمره السعداء،أو يسلك فى سلك الأشقياء، أو يتوب و يجرى مده على الاستقامه، ثم يعود إلى الذنوب عمدا و قصدا،من غير أن يحدث نفسه بالتوبه،و من غير أن يتأسف و يتندم،بل ينهمك انهماك الغافل فى الذنوب و اتباع الشهوات و هذا معدود من المصرين،و نفسه محسوبه من النفوس الاماره بالسوء الفراره من الخير،و مثله إن مات على التوحيد و ختم له بالحسنى و غلبت طاعاته على سيئاته كان من أهل الجنه،و إن ختم له بالسوء كان من أهل النار، و إن مات على التوحيد و لكن ترجحت سيئاته على حسناته فأمره إلى اللّه،و لعله يعذب فى النار مده بقدر زياده سيئاته على حسناته،ثم يخلص منها بعميم لطفه.

فصل (عدم الثقه بالاستقامه لا يمنع من التوبه)

اعلم أن من تاب و لا يثق من نفسه الاستقامه على التوبه فلا ينبغى أن يمنعه ذلك عن التوبه،علما منه أنه لا فائده فيه.فان ذلك من غرور الشيطان، و من أين له هذا العلم،فلعله يموت تائبا قبل أن يعود إلى الذنب.

و أما الخوف من العود،فليتدار كه بتجريد القصد و صدق العزم،فان و فى به فقد نال مطلبه،و إلا فقد غفرت ذنوبه السابقه كلها و تخلص منها، و ليس عليه إلا هذا الذنب الذى أحدثه الآن.و هذا من الفوائد العظيمه و الأرباح الجسيمه،فلا يمنعك خوف العود من التوبه،فانك من التوبه أبدا بين إحدى الحسنيين:-إحداهما-العظمى:و هى غفران الذنوب السابقه و عدم العود إلى ذنبه فى الاستقبال.-و ثانيهما-و هى الصغرى:غفران الذنوب الماضيه،و إن لم يمنع العود إلى الذنب فى المستقبل.ثم إذا عاد إلى

الذنب ينبغى أن يتوب عنه دفعه،و يتبعه بحسنه لتمحوها،فيكون ممن خلط عملا صالحا و آخر سيئا. و الحسنات المكفره للذنوب إما متعلقه بالقلب:

و هى الندم،و التضرع إلى اللّه،و التذلل له،و اضمار الخير للمسلمين،و العزم على الطاعات،أو باللسان:و هى الاعتراف بالظلم و الاساءه،و كثره الاستغفار،أو بالجوارح:و هى أنواع الطاعات و الصدقات.و ينبغى ملاحظه المناسبه بين السيئه التى صدرت عنه و الحسنه التى يتبعها لتمحوها. و فى الخبر:

ان الذنب إذا اتبع بثمانيه اعمال كان العفو عنه مرجوا:أربعه من اعمال القلوب،و هى:التوبه أو العزم على التوبه،و حب الإقلاع عن الذنب،و تخوف العقاب عليه،و رجاء المغفره،و أربعه من اعمال الجوارح و هى:أن تصلى عقب الذنب ركعتين،ثم تستغفر اللّه-تعالى-بعدهما سبعين مره و تقول سبحان اللّه العظيم و بحمده مائه مره،ثم تتصدق بصدقه، ثم تصوم يوما.و فى بعض الأخبار:تسبغ الوضوء و تدخل المسجد و تصلى ركعتين،و فى بعضها:تصلى أربع ركعات. و لا تظنن أن الاستغفار باللسان بدون حل عقده الإصرار لا فائده فيه أصلا،بل هو توبه الكذابين،لما ورد من:أن المستغفر من الذنب و هو مصر عليه كالمستهزئ بآيات اللّه، لأن الاستغفار الذى هو توبه الكذابين و لا فائده فيه أصلا هو الاستغفار بمجرد اللسان و بحكم العاده و على سبيل الغفله،أى ما يكون مجرد حركه اللسان من دون مدخليه للقلب،كما إذا سمع شيئا مخوفا،فيقول على الغفله.

استغفر اللّه،أو نعوذ باللّه،من غير شركه للقلب فيه و تأثره منه، و أما إذا انضاف إليه تضرع القلب و ابتهاله فى سؤال المغفره عن صدق إراده و خلوص رغبه و ميل قلبى إلى انقلاعه عن هذا الذنب فهى حسنه فى نفسها،و ان علم أن نفسه الاماره ستعود إلى هذا الذنب فتصلح هذه الحسنه لأن يدفع بها السيئه،

فالاستغفار بالقلب و ان خلا عن حل عقده الإصرار لا يخلو عن الفائده، و ليس وجوده كعدمه.و قد عرف أرباب القلوب بنور البصيره معرفه قطعيه يقينيه لا يعتريها ريب و شبهه صدق قوله-تعالى-:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

(۱)

.

و لذا جزموا و قطعوا بأنه لا تخلو ذره من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيره تطرح فی المیزان عن أثر،و لو كانت كل شعيره خاليه عن اثر لكان لا يرجح الميزان باجتماع الشعيرات،فميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى أن يثقل فتسل كفه السيئات،فإياك و ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها،و تستحقر ذرات المعاصی فلا تتقيها،كالمرأه الخرفاء تكسل عن الغزل تعللا بأنها لا تقدر فی كل ساعه الا على خيط واحد،و أی غنی يحصل منه،و ما وقع ذلك فی الثياب،و لا تدری أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا،و ان اجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذره ذره،و ربما ترتب على عمل قليل ثواب جزيل،فلا ينبغی تحقير شیء من الطاعات. قال الصادق -عليه السّلام-:«إن اللّه-تعالى-خبا ثلاثا فی ثلاث:رضاه فی طاعته، فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه.و غضبه فی معاصيه،فلا تحقروا شيئا فلعل غضبه فيه.و خبأ ولايته فی عباده،فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولی اللّه».فإذا الاستغفار بالقلب حسنه لا يضيع أصلا،بل ربما قيل:

الاستغفار بمجرد اللسان أيضا حسنه،إذ حركه اللسان بها غفله خير من السكوت عنه،فيظهر فضله بالنظر إلى السكوت عنه،و إن كان نقصا بالإضافه

۱- ۱) الزلزله،الآيه:۷-۸.

إلی عمل القلب،فینبغی ألا تترک حرکه اللسان بالاستغفار،و یجتهد فی اضافه حرکه القلب إلیها،و یتضرع إلی اللّه أن یشرک القلب مع اللسان فی اعتیاد الخیر.

فصل (علاج الإصرار علی الذنوب)

اعلم أن الطریق إلی تحصیل التوبه،و العلاج لحل عقده الإصرار علی الذنوب:أن یتذکر ما ورد فی فصلها-کما مر-و یتذکر قبح الذنوب و شده العقوبه علیها،و ما ورد فی الکتاب و السنه من ذم المذنبین و العاصین،و یتأمل فی حکایات الأنبیاء و أکابر العباد،و ما جری علیهم من المصائب الدنیویه، بسبب ترکهم الأولی و ارتکابهم بعض صغائر المعاصی،و أن یعلم أن کل ما یصیب العبد فی الدنیا من العقوبه و المصائب فهو بسبب معصیته-کما دل علیه الأخبار الکثیره-و یتذکر ما ورد من العقوبات علی آحاد الذنوب:کالخمر، و الزنا،و السرقه،و القتل،و الکبر،و الحسد،و الکذب،و الغیبه،و أخذ المال الحرام...و غیر ذلک من آحاد المعاصی مما لا یمکن حصره،ثم یتذکر ضعف نفسه و عجزها عن احتمال عذاب الآخره و عقوبه الدنیا،و یتذکر خساسه الدنیا و شرف الآخره،و قرب الموت و لذه المناجاه مع ترک الذنوب، و لا یغتر بعدم الأخذ الحالی،إذ لعله کان من الإملاء و الاستدراج. فمن تأمل فی جمیع ذلک و علم ذلک علی سبیل التحقیق انبعثت نفسه للتوبه،إذ لو لم ینزعج إلی التوبه بعد ذلک،فهو إما معتوه احمق أو غیر معتقد بالمعاد، و ینبغی أن یجتهد فی قلع أسباب الإصرار من قلبه!اعنی الغرور،و حب الدنیا،و حب الجاه،و طول الأمل...و غیر ذلک.

فصل (الإنابه)

اشاره

اعلم أن الإنابه هو الرجوع عن كل شيء مما سوى اللّه،و الإقبال على اللّه-تعالى-بالسر و القول و الفعل،حتى يكون دائما في فكره و ذكره و طاعته،فهو غايه درجات التوبه و أقصى مراتبها،اذ التوبه هو الرجوع عن الذنب إلى اللّه.و الإنابه هو الرجوع عن المباحات أيضا إليه-سبحانه-، فهو من المقامات العاليه و المنازل الساميه.قال اللّه-سبحانه-:

وَ أَنِيبُوا إِلىٰ رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ

(۱)

.و قال -سبحانه-: وَ مٰا يَتَذَكَّرُ إِلاّٰ مَنْ يُنِيبُ (۲).و قال:

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ، هٰذٰا مٰا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوّٰابٍ حَفِيظٍ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَ جٰاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ، اُدْخُلُوهٰا بِسَلاٰمٍ ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ، لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا وَ لَدَيْنٰا مَزِيدٌ

(۳)

.

و انابه العبد تتم بثلاثه أمور:

الأول-أن يتوجه إليه بشراشر باطنه حتى يستغرق قلبه في فكره.

الثاني-ألا يكون خاليا عن ذكره و ذكر نعمه و مواهبه و ذكر أهل حبه و تقربه.

الثالث-أن يواظب على طاعاته و عباداته مع خلوص النيه.

۱- ۱) الزمر،الآيه:۵۴.

۲- ۲) المؤمن،الآيه:۱۳.

۳- ۳) ق،الآيه:۳۱-۳۵.

المحاسبه و المراقبه

اشاره

[تذنیب]-اعلم أن المحاسبه و المراقبه قریبه من التوبه فی ضدیتهما من وجه الإصرار علی الذنوب.و مثلها فی کونهما من ثمرات الخوف و الحب و تعلقهما بقوتی الشهوه و الغضب و کونهما من فضائلها،فنحن نشیر هنا إلی ما یتعلق بهما من بیان حقیقتهما و فضیلتهما و الأعمال التی یتوقف تمامیتها علیهما فی فصول.

فصل (المعنی الظاهر للمحاسبه و المراقبه)

[المحاسبه]:أن یعین فی کل یوم و لیله وقتا یحاسب فیه نفسه بموازنه طاعاته و معاصیه،لیعاتب نفسه،و یقهرها لو وجدها فی هذا الیوم و اللیله مقصره فی طاعه واجبه،أو مرتکبه لمعصیه،و یشکر اللّه -سبحانه-لو أتت بجمیع الواجبات و لم یصدر منها معصیه،و یزید الشکر لو صدر منها شیء من الخیرات و الطاعات المندوبه.

[و المراقبه]:أن یلاحظ ظاهره و باطنه دائما،حتی لا یقدم علی شیء من المعاصی،و لا یترک شیئا من الواجبات لیتوجه علیه اللوم و الندامه وقت المحاسبه.هذا هو المعنی الظاهر للمحاسبه و المراقبه، و یأتی اعتبار أمور و اعمال أخر فیه عرفا.

فصل (حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا)

اعلم ان الکتاب و السنه و إجماع الأمه داله علی ثبوت المحاسبه یوم القیامه،و حصول التدقیق و المناقشه فی الحساب،و المطالبه بمثاقیل

الذر من الأعمال و الخطرات و اللحظات،قال اللّه-سبحانه-:

وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَهِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ

(۱)

.و قـال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۲).و قال: وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَهً وَ لا كَبِيرَهً إِلاّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (۳).

و قال: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ (۴).و قال: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً (۵).و قال: ثُمَّ تُوَفّى

۱- ۱) الأنبياء،الآيه:۴۷.

۲- ۲) المجادله،الآيه:۶.

۳- ۳) الكهف،الآيه:۵۰.

۴- ۴) الزلزال،الآيه:۶-۸.

۵- ۵) آل عمران،الآيه:۳۰.

كُلَّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ

(۱)

.و قال:

فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«ما منكم من أحد الا و يسأله رب العالمين،ليس بينه و بينه حجاب و لا ترجمان».و ورد بطرق متعدده:

ان كل أحد فى يوم القيامه لا يرفع قدما عن قدم حتى يسأل عن عمره فيما أفناه،و عن جسده فيما أبلاه،و عن ماله من اين اكتسبه و فيا أنفقه.

و الآيات و الأخبار الوارده فى محاسبه الأعمال و السؤال عن القليل و الكثير و النقير و القطمير أكثر من أن تحصى،و بإزائها اخبار داله على الأمر بالمحاسبه و المراقبه فى الدنيا،و الترغيب عليها،و على كونها سببا للنجاه و الخلاص عن حساب الاخره،و خطره و مناقشته.فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب،و طالبها فى الأنفاس و الحركات،و حاسبها فى الخطرات و اللحظات،و وزن بميزان الشرع أعماله و أقواله:خفّ فى القيامه حسابه و حضر عند السؤال جوابه،و حسن منقلبه و مآبه.و من لم يحاسب نفسه:

دامت حسراته،و طالت فى عرصات القيامه و قفاته،و قادته إلى الخزى سيئاته،قال اللّه-سبحانه-:

وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

(۳)

.

و المراد بهذا النظر:المحاسبه على الأعمال.و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا،و زنوها قبل أن توزنوا».

و قال الصادق(ع):«إذا أراد أحدكم الاّ يسأل ربه شيئا إلا أعطاه فلييأس

١- ١) البقره،الآيه:٢٨١،آل عمران،الآيه:١۶١.

٢- ٢) الحجر،الآيه:٩٢.

٣- ٣) الحشر،الآيه:١٨.

من الناس كلهم،و لا يكون له رجاء إلا من عند اللّه-تعالى-،فإذا علم اللّه -تعالى-ذلك من قلبه لم يسأله شيئا إلا أعطاه،فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها،فان للقيامه خمسين موقفا،كل موقف مقام ألف سنه.

ثم تلا:

فِي يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ

(1)

.

و تفريع المحاسبه على الأمر باليأس عن الناس و الرجاء من اللّه،يدل على أن الإنسان إنما يرجو الناس من دون اللّه فى عامه أمره و هو غافل عن ذلك،و أنّ عامه المحاسبات إنما ترجع إلى ذلك،و ذكر الوقوف فى مواقف يوم القيامه على الأمر بمحاسبه النفس يدل على أن الوقفات هناك إنما تكون للمحاسبات،فمن حاسب نفسه فى الدنيا يوما فيوما لم يحتج إلى تلك الوقفات فى ذلك اليوم،و قال(ع):«لو لم يكن للحساب مهول إلا حياء العرض على اللّه-تعالى-،و فضيحه هتك الستر على المخفيات،لحقّ للمرء الا يهبط من رءوس الجبال،و لا يأوى إلى عمران،و لا يأكل،و لا يشرب،و لا ينام،إلاّ عن اضطرار متصل بالتلف،و مثل ذلك يفعل من يرى القيامه بأهوالها و شدائدها قائمه فى كل نفس،و يعاين بالقلب الوقوف بين يدى الجبار،حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبه،كانه إلى عرصاتها مدعو و فى غمراتها مسئول،قال اللّه-تعالى-:

وَ إِنْ كٰانَ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنٰا بِهٰا وَ كَفىٰ بِنٰا حٰاسِبِينَ

(2)

. (3)

و قال الكاظم-عليه السّلام-:«ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل

1- 1) المعارج،الآيه:4.

2- 2) الأنبياء،الآيه:47.

3- 3) صححنا الحديث على مصباح الشريعه:باب 85،ص 186.

يوم،فان عمل حسنه استزاد اللّه-تعالى-،و ان عمل سيئه استغفر اللّه منها و تاب إليه».و فى بعض الأخبار:ينبغى ان يكون للعاقل أربع ساعات:ساعه يحاسب فيها نفسه...

فصل (مقامات مرابطه العقل للنفس)

اعلم ان العقل بمنزله تاجر فى طريق الآخره،و رأس ماله العمر،و قد استعان فى تجارته هذه بالنفس،فهى بمنزله شريكه او غلامه الذى يتجر فى ماله،و ربح هذه التجاره تحصيل الأخلاق الفاضله و الأعمال الصالحه الموصله إلى نعيم الأبد و سعاده السرمد.و خسرانها المعاصى و السيئات المؤديه الى العذاب المقيم فى دركات الجحيم، أو نقول:رأس مال العبد فى دينه الفرائض،و ربحه النوافل و الفضائل،و خسرانه المعاصى،و موسم هذه التجاره مده العمر،و كما ان التاجر يشارط شريكه أولا،و يراقبه ثانيا، و يحاسبه ثالثا،و إن قصر فى التجاره-بالخيانه و الخسران و تضييع رأس المال-يعاتبه و يعاقبه و يأخذ منه الغرامه،كذلك العقل يحتاج فى مشاركه النفس إلى ان يرتكب هذه الأعمال،و مجموع هذه الأعمال يسمى ب(المحاسبه و المراقبه)تسميه الكل باسم بعض أجزائه،و قد يسمى(مرابطه)أيضا.

فأول الأعمال فى المرابطه(المشارطه):

و هى أن يشارط النفس و يأخذ منها العهد و الميثاق فى كل يوم و ليله مره ألا يرتكب المعاصى،و لا يصدر منها شىء يوجب سخط اللّه.و لا يقصر فى شىء من الطاعات الواجبه،و لا يترك ما تيسر له من الخيرات و النوافل.و الأولى أن يكون ذلك بعد الفراغ عن فريضه الصبح و تعقيباتها،فيخاطب النفس و يقول لها:يا نفس!مالى بضاعه سوى.العمر،و مهما فنى فنى رأس المال.و وقع اليأس عن التجاره

ص:٩٣

و طلب الربح،و هذا اليوم الجديد،و قد أمهلنى اللّه فيه بعظيم لطفه،و لو توفانى لكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يوما واحدا لأعمل صالحا،فاحسبى أنک توفيت ثم رددت،فإياک أن تضيعى هذا اليوم،فان كل نفس من أنفاس العمر جوهره نفيسه لا عوض لها،يمكن أن يشترى بها كنزا من الكنوز لا يتناهى نعيمها أبد الآباد. و يتذكر ما ورد فى بعض الأخبار:من أن كل عبد خلقت له بإزاء كل يوم و ليله من عمره أربع و عشرون خزانه مصفوفه فإذا مات تفتح له هذه الخزائن،و يشاهد كل واحد منها و يدخلها،فإذا فتحت له خزانه خلقت بإزاء الساعه التى أطاع اللّه فيها،يراها مملوه نورا من حسناته التى عملها فى تلك الساعه،فيناله من الفرح و الاستبشار بمشاهده تلک الأنوار التى هى وسائل عند الملک الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلک الفرح عن الإحساس بألم النار،و إذا فتحت له خزانه خلقت بإزاء الساعه التى عصى اللّه فيها،يراها سوداء مظلمه يفوح نتنها و يتغشى ظلامها،فيناله من الهول و الفزع ما لو قسم على أهل الجنه لينغص عليهم نعيمها،فإذا فتحت له خزانه بإزاء الساعه التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشىء من مباحات الدنيا، لم يشاهد فيها ما يسره و لا ما يسوؤه،و هكذا يعرض عليه بعدد ساعات عمره الخزائن،و عند ذلک يتحسر العبد على اهماله و تقصيره،و يناله من الغبن ما لا يمكن وصفه،و بعد هذا التذكر يخاطب نفسه و يقول:اجتهدى اليوم فى أن تعميرى خزائنک،و لا تدعيها فارغه عن كنوزک التى هى أسباب ملکک و لا تركنى إلى الكسل و البطاله فيفوتک من درجات العليين ما يدركه غيرک فتدرکک الحسره و الغبن يوم القيامه إن دخلت الجنه،إذ ألم الغبن و الحسره و انحطاط الدرجه مع وجود ما فوقها من الدرجات الغير المتناهيه التى نال اليها أبناء نوعک مما لا يطاق، ثم يستأنف لها وصيه فى اعضائه السبعه:

أعنی العین،و الأذن،و اللسان،و الفرج،و البطن،و الید،و الرجل، و یسلمها إلیها،لأنها رعایا خادمه لها فی التجاره،و لا یتم اعمال هذه التجاره إلا بها،فیوصیها بحفظ هذه الأعضاء عن المعاصی التی تصدر عنها،و باعمال کل منها فیما خلق لأجله،ثم یوصیها بالاشتغال بوظائف الطاعات التی تتکرر علیه فی الیوم و اللیله،بالنوافل و الخیرات التی تقدر علیها،و هذه شروط یفتقر إلیها کل یوم،لکن إذا اعتادت النفس بتکرر المشارطه و المراقبه بالعمل بها و الوفاء بحقها استغنی عن المشارطه فیها،و إن اعتادت بالعمل فی بعضها لم تکن حاجه إلی المشارطه فیه،و بقیت الحاجه إلیها فی الباقی، و کل من یشتغل بشیء من اعمال الدنیا:من ولایه،أو تجاره،أو تدریس أو أمثال ذلک:لا یخلو کل یوم منه من مهم جدید،و واقعه حادثه لها حکم جدید،و للّه فیها حق،فعلیه أن یجدد الاشتراط علی نفسه بالاستقامه علیها و الانقیاد للحق فی مجاریها،و ینبغی ان یوصیها بالتدبر فی عاقبه کل امر یرتکبه فی هذا الیوم و اللیله.و هذه الوصیه عمده الوصایا و رأسها، و قد روی:«أن رجلا أتی النبی-صلّی اللّه علیه و آله-و قال:یا رسول اللّه اوصنی،فقال له:فهل أنت مستوص إن أنا اوصیتک؟-حتی قال له ذلک ثلاثا،و فی کلها یقول الرجل:نعم یا رسول اللّه!-فقال له رسول اللّه(ص):

إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته،فان یک راشدا فامضه،و إن یک غیا فانته» و یظهر من هذا الخبر:أن التأمل فی عاقبه کل امر أعظم ما یحصل به النجاه فینبغی ان یؤکد العهد و المیثاق فی ذلک علی النفس و یحذرها عن الإهمال، و یعظها کما یوعظ العبد للتمرد الآبق،فان النفس بالطبع متمرده عن الطاعات،مستعصیه عن العبودیه،و لکن الوعظ و التأدیب یؤثر فیها، (و ذکر فان الذکری تنفع المؤمنین)فهذا و ما یجری مجراه هو المشارطه،

و هو اول مقامات المرابطه.

و ثانيها(المراقبه):

و هو ان يراقب نفسه عند الخوض في الاعمال، فيلاحظها بالعين الكالئه،فانها إن تركت طغت و فسدت،ثم يراقب اللّه في كل حركه و سكون،بأن يعلم ان اللّه-تعالى-مطلع على الضمائر،عالم بالسرائر،رقيب على اعمال العباد،قائم على كل نفس بما كسبت،و ان سر القلب في حقه مكشوف،كما ان ظاهر البشره للخلق مكشوف،بل أشد من ذلك،قال اللّه-سبحانه-:

إِنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً

(۱)

.و قال: أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّهَ يَرى؟ (۲).

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«الإحسان ان تعبد اللّه كأنك تراه،فان لم تكن تراه فانه يراك». و في الحديث القدسي:«إنما يسكن جنات عدن،الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني،و الذين افحنت أصلابهم من خشيتي،و عزتي و جلالي!إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع و العطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب».

و حكي:«ان زليخا لما خلت بيوسف،فقامت و غطت وجه صنمها،فقال يوسف.مالك؟أ تستحيين من مراقبه جماد و لا استحيي من مراقبه الملك الجبار؟!». و هذه المعرفه-اعني معرفه اطلاع اللّه على العباد و أعمالهم و سرائرهم و كونه رقيبا عليهم-اذا صارت يقينا-اي خلت عن الشك-ثم استولت على القلب سخرت القلب و قهرته على مراعاه جانب الرقيب و صرفت الهمه إليه،و الموقنون بهذه المعرفه مراقبتهم على درجتين: -إحداهما-

---

۱- ۱) النساء،الآيه:۱.

۲- ۲) العلق،الآيه:۱۴.

مراقبه المقربين،و هی مراقبه التعظيم و الاجلال،و هی أن يصير القلب مستغرقا بملاحظه الجلال،،و منكسرا تحت الهيبه،فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير،و هذا هو الذی صار همه هما واحدا، و كفاه اللّه سائر الهموم،-و اخراهما-مراقبه الورعين من أصحاب اليمين،و هم قوم غلب عليهم يقين اطلاع اللّه على ظهورهم و بواطنهم، و لكن لا تدهشهم ملاحظه الجلال و الجمال،بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعه للالتفات إلى الأحوال و الاعمال و المراقبه فيها،و غلب عليهم الحياء من اللّه،فلا يقدمون و لا يجمحون إلا بعد التثبت و يمتنعون عن كل ما يفتضحون به فی القيامه،فانهم يرون اللّه مطلعا عليهم،فلا يحتاجون إلى انتظار القيامه.ثم ينبغی للعبد ألا يغفل عن مراقبه نفسه و التضييق عليها فی لحظه من حركاتها و سكناتها و خطراتها و أفعالها.

و حالاته لا تخلو عن ثلاثه:لأنه إما أن تكون فی طاعه،أو معصيه، أو مباح.فمراقبته فی الطاعه،بالقربه،و الإخلاص،و الحضور،و الاكمال، و حراستها عن الآفات،و مراعاه الأدب. و مراقبته فی المعصيه:بالتوبه، و الندم،و الإقلاع،و الحياء،و الاشتغال بالتكفير. و مراقبته فی المباح:

بمراعاه الادب،بأن يأكل بعد التسميه،و غسل اليدين،و سائر الآداب المقرره فی الشرع للأكل،و يقعد مستقبل القبله،و ينام بعد الوضوء على اليد اليمنى مستقبل القبله،و بالصبر عند ابتلائه بليه و مصيبه،و بالشكر عند كل نعمه،و يتذكر شهود المنعم و حضوره،و يكف النفس عن الغضب و سوء الخلق عند حدوث أمر تميل النفس عنده إلى الغضب و التضجر و التكلم بما لا يحسن من الأقوال،فان لكل واحد من أفعاله و أقواله حدودا لا بد من مراعاتها بدوام المراقبه،و من يتعد حدود اللّه فقد ظلم نفسه،و ينبغی ألا

يخلو عند اشتغاله بالمباحات عن عمل هو الأفضل،كالذكر و الفكر و تخليص النيه،فان الطعام الذى يتناوله من عجائب صنع اللّه،فلو تفكر فيه و تدبر فى فوائده و حكمه و ما فيه من غرائب قدره اللّه لكان ذلك أفضل من كثير من اعمال الجوارح،و الناس عند الأكل على أقسام: (قسم)ينظرون فيه بعين التبصر و الاعتبار،فينظرون فى عجائب صنعته و كيفيه ارتباط قوام الحيوانات به،و كيفيه تقدير اللّه لأسبابها و خلق الشهوه الباعثه عليها و خلق الآلات المسخره للشهوه و أمثال ذلك،و هؤلاء هم أولو الألباب. (و قسم) ينظرون فيه بعين المقت و الكراهه،و يلاحظون وجه الاضطرار إليها، و يتمنون الاستغناء عنه،و عدم كونهم مقهورين مسخرين بشهوته،و هؤلاءهم الزهاد. (و قسم)يرون فيه خالته،و يشاهدون فى الصنع الصانع،و يترقون منه إلى صفات الخالق،من حيث إن كل معلول اثر من العله،و رشحه من رشحات ذاته و صفاته،فمشاهدته تذكر العله،بل التأمل يرشدك إلى أن دلاله كل ذره ترى من ذرات العالم على ربك و خالقك و ايجابها لحضوره عندك و ظهوره لديك و توجهه إليك و قربه منك أشد و أقوى من دلاله مشاهدتك بدن زيد و صورته و حركاته و سكناته على وجوده و حضوره عندك،و سر ذلك ظاهر واضح.و هؤلاء المشاهدون الصانع فى كل مصنوع و الخالق فى كل مخلوق،هم العرفاء المحبون،اذ المحب إذا رأى صنعه حبيبه و تصنيفه و آثاره و ما ينتسب إليه اشتغل قلبه بالمحبوب،و كل ما يتردد العبد فيه و ينظر اليه من الموجودات هو صنع اللّه-تعالى-،فله فى النظر منها إلى الصانع مجال إن فتحت له أبواب الملكوت. (و قسم)ينظرون فيه بعين الحرص و الشهوه، و ليس نظرهم إلى الطعام الا من حيث يوافق شهوتهم و تلتذ به ذائقتهم، و لذلك يذمونه لو لم يوافق هواهم،و هؤلاء أكثر أهل الدنيا.

و ثالثها-أی ثالث مقامات المرابطه و اعمالها-هو(المحاسبه)

بعد العمل،فان العبد کما یختار وقتا فی أول کل یوم لیشارط فیه النفس علی سبیل التوصیه بالحق،ینبغی له أن یختار وقتا فی آخر کل یوم لیطالب النفس فیه بما أوصی به،و یحاسبها علی جمیع حرکاتها و سکناتها،کما یفعل التجار فی آخر کل سنه مع الشرکاء.و هذا أمر لازم علی کل سالک لطریق الآخره معتقد للحساب فی یوم القیامه.و قد ورد فی الأخبار:أن العاقل ینبغی أن یکون له اربع ساعات:ساعه یناجی فیها ربه،و ساعه یحاسب فیها نفسه و ساعه یتفکر فی صنع اللّه،و ساعه یخلو فیها للمطعم و المشرب.و لذلک کان الصدر الأول من الخائفین و من تقدّمنا من سلفنا الصالحین فی غایه السعی و الاهتمام فی محاسبه النفس،بحیث کانت عندهم من الطاعات الواجبه، و کانوا أشد محاسبه لنفوسهم من سلطان غاشم،و من شریک شحیح، و یعتقدون أن العبد لا یکون من أهل التقوی و الورع حتی یحاسب نفسه أتم من محاسبه شریکه،و أن من لا یحاسب نفسه إما معتوه أحمق أو لا یعتقد بحساب یوم القیامه،إذ العاقل المعتقد به مع اهواله و شدائده و ما یوجبه من الخجله و الحیاء و الافتضاح،إذا علم ان محاسبه النفس فی الدنیا تسقطه او توجب خفته،کیف یجوز له ان یترکها؟ ثم کیفیه المحاسبه بعد العمل:ان یطالب نفسه أولا بالفرائض التی هی بمنزله راس ماله،فان ادتها علی وجهها شکر اللّه علیه و رغبها فی مثلها،و ان فوتتها من أصلها طالبها بالقضاء،و إن ادتها ناقصه کلفها بالجبران بالنوافل، و ان ارتکب معصیه اشتغل بعتابها و تعذیبها و معاقبتها،و استوفی منها ما یتدارک به ما فرط،کما یصنع التاجر بشریکه.و کما انه یفتش فی حساب الدنیا عن الحبه و القیراط و النقیر و القطمیر،فیحفظ مداخل الزیاده و النقصان

حتی لا یغبن فی شیء منها،کذلک ینبغی ان یفتش من افعال النفس و یضیق علیها،و لیتق غائلتها و حیلتها،فانها خداعه مکاره ملبسه.فلیطالبها أولا بتصحیح الجواب عن جمیع ما تکلم به طول نهاره،و لیتکفل بنفسه من الحساب قبل ان یتولاه غیره فی صعید القیامه،ثم بتصحیح الجواب عن جمیع افعاله و أحواله:من نظره،و قیامه،و قعوده،و نومه،و اکله، و شربه،حتی عن سکوته لم سکت،و عن سکوته لم سکن،و عن خواطره، و افکاره،و صفاته النفسیه،و اخلاقه القلبیه،فان خرجت عن عهده الجواب عن الجمیع،بحیث ادت الحق فی الجمیع،و لم یترک شیئا مما یجب علیها و لم ترتکب شیئا من المعاصی:حصل لها الفراغ من حساب هذا الیوم،و لم یکن شیئا باقیا علیها،و ان ادت الحق فی البعض دون البعض،کان قدر ما ادت الحق فیه محسوبا لها،و یبقی غیره باقیا علیها فیثبته علیها،و لیکتب علی صحیفه قلبه کما یکتب الباقی علی شریکه علی قلبه و علی جریدته.ثم النفس غریم یمکن ان تستوفی منها الدیون،أما بعضها فبالغرامه و الضمان، و بعضها برد عینه،و بعضها بالعقوبه لها علی ذلک،و لا یمکن شیء من ذلک الا بعد تحقق الحساب و تمییز الباقی من الحق الواجب علیه،فإذا حصل ذلک اشتغل بعده بالمطالبه و الاستیفاء.

و رابعها-و هو آخر مقامات المرابطه-(معاتبه النفس)

اشاره

و معاقبتها علی تقصیرها،و المجاهده بتکلیفها الطاعات الشاقه،و الزامها الریاضات الشدیده،فانه إذا حاسب نفسه،فوجدها خائنه فی الأعمال،مرتکبه للمعاصی،مقصره فی حقوق اللّه،متوانیه بحکم الکسل و البطاله فی شیء من الفضائل،فلا ینبغی ان یهملها،اذ لو اهملها سهل علیه مقارفه المعاصی، و انس بها بحیث عسر بعد ذلک فطامها عنها. فینبغی للعاقل ان یعاتبها أولا

و يقول:اف لک يا نفس!اهلکتینی و عن قریب تعذبین فی النار مع الشیاطین و الاشرار،فیا أیتها النفس الأماره الخبیثه!اما تستحیین و عن عیبک لا تنتهین؟!فما أعظم جهلک و حماقتک!اما تعرفین ان بین یدیک الجنه و النار و أنت صائره إلی أحداهما عن قریب؟فما لک تضحکین و تفرحین و باللهو و العصیان تشتغلین؟اما علمت ان الموت یأتی بغته من غیر اخبار،و هو أقرب إلیک عن کل قریب؟فما لک لا تستعدین له؟اما تخافین من جبار السماوات و الأرض،و لا تستحیین منه؟تعصین بحضرته و أنت عالمه بأنه مطلع علیک؟!ویحک یا نفس!جرأتک علی معصیه اللّه ان کانت لاعتقادک انه لا یراک فما أعظم کفرک،و ان کانت مع علمک باطلاعه علیک فما أشد و قاحتک و أقل حیاؤک،و ما اعجب نفاقک،و کثره دعاویک الباطله!فانک تدعین الایمان بلسانک،و أثر النفاق ظاهر علیک!فتنبهی عن رقدتک و خذی حذرک!لو ان یهودیا أخبرک فی الذ أطعمتک بأنه یضرک لصبرت و ترکتیه!و لو أخبرک طفل بعقرب فی ثوبک نزعتیه!فقول اللّه و قول أنبیائه المؤیدین بالمعجزات و قول الأولیاء و الحکماء و العلماء أقل تأثیرا عندک من قول یهودی أو طفل؟!...فلا یزال یکرر علیها أمثال هذه المواعظ و التوبیخات و المعاتبات،ثم یعاقبها و یلزمها ما یشق علیها من وظائف العبادات و التصدق بما یحبه،جبرا لما فات منها و تدارکا لما فرط فیها،فإذا أکل لقمه مشتبهه ینبغی ان یعاقب البطن بالجوع،و إذا نظر إلی غیر محرم یعاقب العین بمنع النظر،و إذا اغتاب مسلما یعاقب اللسان بالصمت و الذکر مده کثیره، و کذلک یعاقب کل عضو من اعضائه إذا صدرت منه معصیه بمنعه من شهواته، و إذا استخف بصلاه الزم نفسه بصلاه کثیره بشرائطها و آدابها.و إذا استهان بفقیر أعطاه صفو ماله،و هکذا الحال فی سائر المعاصی و التقصیرات.

و طریق العلاج فی إلزام النفس-بعد تقصیرها فی العمل علی هذه العقوبات و ربطها علی تلک الطاعات الشاقه و الریاضات-أمران:

الأول-تذکر ما ورد فی الأخبار من فضیله ریاضه النفس و مخالفتها.

و الاجتهاد فی الطاعه و العباده و وظائف الخیرات، قال الصادق(ع):«طوبی لعبد جاهد فی اللّه نفسه و هواه!و من هزم جند هواه ظفر برضاء اللّه،و من جاوز عقله نفسه الاماره بالسوء بالجهد و الاستکانه و الخضوع علی بساط خدمه اللّه-تعالی-فقد فاز فوزا عظیما،و لا حجاب أظلم و أوحش بین العبد و بین اللّه-تعالی-من النفس و الهوی،و لیس لقتلهما و قطعهما سلاح و آله مثل الافتقار إلی اللّه،و الخشوع،و الجوع و الظماء بالنهار،و السهر باللیل،فان مات صاحبه مات شهیدا،و إن عاش و استقام اداه عاقبته الی الرضوان الأکبر،قال اللّه-عز و جل-:

وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِینَ

(۱)

.

و إذا رأیت مجتهدا ابلغ منک فی الاجتهاد فوبخ نفسک و لمها و عیرها، تحثیثا علی الازدیاد علیه،و اجعل لها زماما من الأمر،و عنانا من النهی، و سقها کالرابض للفاره الذی لا یذهب علیه خطوه من خطواته إلا و قد صح اولها و آخرها،و کان رسول اللّه(ص)یصلی حتی تورمت قدماه،و یقول:

(أ فلا أکون عبدا شکورا)،أراد أن یعتبر به أمته. فلا تغفلوا عن الاجتهاد و التعبد و الریاضه بحال.ألا و إنک لو وجدت حلاوه عباده اللّه،و رأیت برکاتها،و استضأت بنورها،لم تصبر عنها ساعه واحده و لو قطعت اربا

ص:۱۰۲

۱- ۱) العنکبوت،الآیه:۶۹.

اربا،فما أعرض عنها من اعرض إلا بحرمان فوائد السلف من العصمه و التوفيق» (۱).قيل لربیع بن خثیم:مالک لا تنام باللیل؟قال:

«لأنی أخاف البیات».و الأخبار الوارده فی فضل السعی و الاجتهاد و مخالفه النفس و الهوی أکثر من أن تحصی.

الثانی-مصاحبه أهل السعی،و الاجتهاد فی العباده،و مجالسه المجاهدین المرتاضین الذین لا ینفکون ساعه من مشاق الطاعات و العبادات و إلزام نفوسهم علی ضروب النکال و العقوبات،فملاحظه أحوالهم و مشاهده أعمالهم أقوی باعث للاقتداء بآثارهم و افعالهم،حتی قال بعضهم:«إذا اعترتنی فتره فی العبادات،نظرت إلی بعض العبّاد و اجتهاده فی العباده فکنت بعد ذلک اعمل أسبوعا».إلا أن ذلک غیر مرجو فی أمثال زماننا،إذ لم یبق فی عباد اللّه من یجتهد فی العباده اجتهاد الأولین،و لیس فینا من تقرب عبادته عباده أدنی رجل من سلفنا الصالحین.فینبغی أن یعدل عن المشاهده إلی سماع أحوالهم،و مطالعه حکایاتهم و اخبارهم،و من لاحظ حکایاتهم و سمع أحوالهم و اطلع علی کیفیه اجتهادهم فی طاعه اللّه،یعلم أنهم عباد اللّه و احباؤه و انهم ملوک الجنه. قال بعض أصحاب أمیر المؤمنین-علیه الصلاه و السّلام-:

«صلینا خلفه الفجر،فلما سلم انتقل إلی یمینه و علیه کآبه،فمکث حتی طلعت الشمس،ثم قلب یده و قال:و اللّه لقد رأیت أصحاب محمد(ص)و ما أری الیوم شیئا شبههم،و کانوا یصبحون شعثا غبرا صفرا،فقد باتوا للّه سجدا و قیاما.یتلون کتاب اللّه-عز و جل-،و یراوحون بین أقدامهم و جباههم،و کانوا إذا ذکروا اللّه مادوا کما یمید الشجر فی یوم الریح،و هملت أعینهم حتی تبل ثیابهم،و کأن القوم باتوا غافلین» أو کان أویس القرنی یقول

۱- ۱) الحدیث بطوله مروی عن(مصباح الشریعه):باب ۸۱ ص ۱۸۴، مع اختلاف یسیر هنا،فصححناه علیه کما کان هناک.

فی بعض اللیالی:«هذه لیله الرکوع»فیحیی اللیل کله فی رکعه،و یقول فی بعضها:«هذه لیله السجود»فیحیی اللیل کله فی سجده.و قال ربیع بن خثیم:

«أتیت اویسا فوجدته جالسا قد صلی الفجر،فجلست موضعا،و قلت:

لا أشغله عن التسبیح.فمکث مکانه حتی صلی الظهر و لم یقم حتی صلی العصر، ثم جلس موضعه حتی صلی المغرب،ثم ثبت حتی صلی العشاء،ثم ثبت مکانه حتی صلی الصبح،ثم جلس فغلبته عیناه،فقال:اللهم إنی أعوذ بک من عین نوامه و بطن لا تشبع». و روی:«أن رجلا من العباد کلم امرأه و وضع یده علی فخذها.ثم ندم فوضع یده فی النار حتی نشت (۱)عقوبه لها.

و بعضهم نظر إلی امرأه فجعل علی نفسه ألا یشرب الماء البارد طول حیاته، فکان یشرب الماء الحار لینغص علی نفسه العیش.و مر بعضهم بغرفه فقال:

متی بنیت هذه الغرفه؟ثم أقبل علی نفسه و قال:تسألین عما لا یعنیک؟! لا عاقبنک بصوم سنه،فصامها».و روی:«أن ابا طلحه الأنصاری شغل قلبه فی الصلاه طین فی الحائطه،فتصدق بالحائطه جبرا لما فاته من الحضور فی الصلاه».و کان بعضهم اعتلت إحدی قدمیه فیصلی علی قدم واحده حتی یصلی الصبح بوضوء العشاء.و کان بعضهم یقول:«ما أخاف من الموت إلا من حیث یحول بینی و بین صلاه اللیل».و حکی رجل:«أنه نزل بعض أهل اللّه عندنا بالمحصب (۲)و کان له أهل و بنات،و فی کل لیل یقوم و یصلی إلی السحر،فإذا کان السحر ینادی بأعلی صوته:ایها الرکب المعرسون! (۳)أکل هذا اللیل تنامون فکیف ترحلون؟فیسمع صوته کل من کان بالمحصب،

۱- ۱) النشیش:صوت غلیان الماء.

۲- ۲) المحصب-بالمهملتین و ضم المیم و تشدید الصاد-:موضع بمکه علی طریق منی،و یسمی(بطحاء).

۳- ۳) التعریس:نزول المسافر آخر اللیل للنوم و الاستراحه،من قولهم:عرس القوم.

فيتواثبون بين باك و داع،و قارئ و متوضئ،و إذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته:عند الصباح يحمد القوم السرى»،و هكذا كان عمل عمال اللّه،و سلوك سالكى طريق الآخره،و حكاياتهم غير محصوره خارجه عن الإحصاء، اشرنا إلى انموذج منها ليعلم الطالبون كيفيه سيره الرجال فى مرابطه النفس و مراقبتها،و يعلمون أن عباد اللّه ليسوا امثالنا،بل هم قوم آخرون.قال بعض الحكماء:«إن للّه عبادا انعم عليهم فعرفوه،و شرح صدورهم فأطاعوه و توكلوا عليه فسلموا الخلق و الأمر إليه،فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين، و بيوتا للحكمه،و توابيت للعظمه،و خزائن للقدره،فهم بين الخلائق مقبلون و مدبرون،و قلوبهم تجول فى الملكوت،و تلوز (۱)بحجب العيوب،ثم ترجع و معها طوائف من لطائف الفوائد ما لا يمكن لواصف أن يصفها، فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسنا،و فى الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا،و طريقهم لا يبلغ إليها بالتكليف،و إنما هو فضل اللّه يؤتيه من يشاء». فعليك يا حبيبى بمطالعه أحوالهم و حكاياتهم،لينبعث نشاطك و تزيد رغبتك،و إياك أن تنظر إلى أهل عصرك،و لعمرى!اقل فى أمثال زماننا من يذكرك اللّه رؤيته،و يعينك فى طريق الدين صحبته،فان تطع أكثر من فى بلدك و عصرك يضلوك عن سبيل اللّه.

و منها:

اشاره

الغفله

و هى فتور النفس عن الالتفات و التوجه إلى ما فيه غرضها و مطلبها، إما عاجلا أو آجلا و ضدها:النيه،و ترادفها:الاراده و القصد،و هى

۱- ۱) فى القاموس:اللوز-بالزاى-:الملاذ و الملجأ.

انبعاث النفس و میلها و توجهها إلی ما فیه غرضها و مطلبها حالا او مآلا.

و الموافق لغرض النفس إن کان خیرا لها و سعاده فی الدنیا او الدین،فالغفله عنه و عدم انبعاث النفس إلی تحصیله رذیله،و النقصان و النیه له و القصد إلیه فضیله و کمال،و إن کان شرا و شقاوه،فالغفله عنه و کف النفس منه فضیله و النیه له و إرادته رذیله.ثم باعث النفس علی النیه او الغفله و الکف،إن کان من القوه الشهویه کانت النیه او الغفله متعلقه بها فضیله او رذیله،و إن کان من قوه الغضب کانت النیه او الغفله متعلقه بهذه القوه کذلک.فالنیه و العزم علی التزویج متعلقه بالقوه الشهویه،و علی دفع کافر یؤذی المسلمین متعلقه بقوه الغضب،و النیه فی العبادات مع انضمام التقرب إلیها تسمی اخلاصا،ثم المتبادر من الموافق المغرض و المطلوب لما کان ما هو کذلک عند العقلاء و أرباب البصیره،فیکون المراد منه ما هو مرغوب و مطلوب فی نفس الأمر و ما تحصیله خیر و سعاده،و بهذا الاعتبار تکون الغفله باطلاقها مذمومه و النیه ممدوحه،فلو ذمت الغفله باطلاقها و مدحت النیه کذلک،کان بهذا الاعتبار.و الآیات و الأخبار الوارده فی ذم الغفله خارجه بهذا الاعتبار کما وصف اللّه الغافلین و قال:

إِنْ هُمْ إِلاّٰ کَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً

(۱)

.و قال:

أُولٰئِکَ هُمُ الْغٰافِلُونَ

(۲)

.

[تنبیه]:الغفله بالمعنی المذکور أعم من ان یکون فتور النفس و خمودها عن الانبعاث إلی ما یراه موافقا للغرض مع الجهل بالموافق و الملائم، او مع العلم به و مع النسیان عنه،او مع التذکر له،و ربما خص فی عرف

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۴۴.
۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۷۸.

أهل النظر بصوره الذهول و عدم التذكر.ثم الكساله و البطاله قريب من الغفله بالمعنى العام،و ربما فرق بينهما ببعض الاعتبارات.

تتميم (الغفله موجبه للحرمان)

الغفله و الكساله عما ينبغى تحصيله من أمور الدنيا و الدين توجب الحرمان عن سعاده الدارين،و تؤدى إلى شقاوه النشأتين،إذ الإهمال فى رعايه أمر المعيشه و مصالحها يؤدى إلى هلاكه الشخص و انقطاع النوع، و الغفله عن اكتساب المعارف و الأخلاق الفاضله و عن أداء الفرائض و النوافل تنجر إلى إبطال غايه الايجاد-اعنى بلوغ كل شخص إلى كماله المستعد له- و هو مع كونه صريح المضاده و المنازعه لخالق العباد يوجب الهلاكه و الشقاوه أبد الآباد.

وصل ضد الغفله النيه-

تأثير النيه على الاعمال-النيه روح الاعمال و الجزاء بحسبها-عباده الاحرار و الاجراء و العبيد-نيه المؤمن من العمل-النيه غير اختياريه-الطريق فى تخليص النيه.

قد عرفت أن ضد الغفله النيه،و هى انبعاث النفس و توجهها إلى ما يراه موافقا لغرضها،و قد عرفت أيضا ان النيه و الاراده و القصد عبارات متوارده على معنى واحد،و هى واسطه بين العلم و العمل،إذ ما لم يعلم أمر لم يقصد، و ما لم يقصد لم يفعل،فالعلم مقدم على النيه و شرطها،و العمل ثمرتها و فرعها، إذ كل فعل و عمل يصدر عن فاعل مختار فانه لا يتم إلا بعلم و شوق و إراده

ص: ١٠٧

و قـدره،إذ کـل انسـان خلق بحیث یوافقه بعض الأـمور و یلاـئم غرضه، و یخـالفه بعض الأـمور،فاحتاج إلی جلب الموافق و دفع المخـالف المنافی،و هو موقوف علی ادراک الملائم النافع،و المنافی الضار،إذ ما لم یعرف الشـیء لم یعقل طلبه أو الهرب عنه،و هو العلم،و علی المیل و الرغبه و الشـهوه الباعثه علیه،و هو الشوق،إذ من أدرک الغذاء أو النار لا یکفیه ذلک للتناول و الهرب،ما لم یکن شوق إلی التناول و الهرب،و علی القصـد و الشـروع و التوجه إلیه،و هو النیه،إذ کم مشاهد للطعام راغب فیه شائق إلیه لا یریـده لکونه مؤذیا او حراما او لعـذر آخر،و علی القدره المحرکه للأعضاء إلیه -أی إلی جلب الملائم أو دفع المضار-و بها یتم الفعـل،فهی الجزء الأـخیر للعله التـامه التی بهـا یتم فعـل الفاعـل المختـار،فالأعضـاء لاـ تتحرک إلی جانب الفعل و لا توجـده إلا بالقـدره،و القـدره تنتظر النیه،و النیه تنتظر الداعیه الباعثه-اعنی الشوق-،و الشوق ینتظر العلم أو الظن بکون ما یفعل موافقا له،فان کان الشوق صادرا عن القوه البهیمیه،بأن یکون الفعل مما تقتضـیه هذه القوه،کأکل،و شرب،و جماع،و کسب مال،و أمثال ذلک من الالتـذاذات الشـهویه،کانت النیه و القصـد أیضا متعلقه بهذه القوه معدوده من فضائلها او رذائلها،و إن کان مما تقتضـیه القوه السـبعیه:من دفع موذ،أو طلب الاسـتعلاء،أو تفوق،و أمثـال ذلـک،کـانت النیه أیضـا متعلقه بهـذه القوه معـدوده من فضائلهمـا أو رذائلهمـا،و قـد ظهر بمـا ذکر:أن المحرک الأـول هـو الغرض المطلوب-أعنی المقصود المنوی بعـد تعلق العلم به-و هو البـاعث الأول،و ینبعث منه الشوق و هو الباعث الثانی،و یتولـد منه القصـد و النیه و هو الباعث الثالث المحرک للقدره الباعث لانتهاضـها علی تحریک الأعضاء إلی جانب العمل.

فصل (تأثير النيه على الأعمال)

العمـل غرضه البـاعث،أى بـاعثه الأول،إما واحـد:كالقيام للاكرام، أو للهرب من السـبع المتهجم عليه،أو متعـدد مع اسـتقلال كل واحـد بالبـاعثيه متساويا او متفاوتا:كالتصـدق للفقر و القرابه بالنظر إلى من ينتهض فيه كل واحـد بانفراده سـببا للاعطاء،او بـدون اسـتقلال واحد لو انفرد،بل المستقل المجموع،كالمثال المذكور بالنظر إلى من يعطى ماله قريبه الفقير و يمتنع عند الانفراد،أى لا يعطيه قريبه الغنى،و لا ـ الأـجنبى الفقير،أو مع اسـتقلال بعض دون بعض،بـأن يكون للثـانى تأثير بالاعانه و التسـهيل دون البعث و التحصيل،ثم يتعدد الجزاء بتعدد البواعث،إن خيرا فخير:

كالـدخول فى المسـجد لزيـاره اللّه،و لانتظار الصـلاه،و الاعتكاف و الانزواء و التجرد للـذكر،و ترك الـذنوب،و ملاقاه الاتقياء و اخوانه المؤمنين،و اسـتماع المواعـظ و احكام الـدين،و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر،و ان شـرا فشـر:كالقعود فيه للتحـدث بالباطل،و ملاحظه النساء،و المناظره للمباهاه و المرآه،و ربما كان بعض البواعث خيرا و بعضـها شـرا:كالتصدق للثواب و الرياء،و دخـول المسـجد لبعض البـواعث الأـول،و بعض البـواعث الثـانيه، و العمـل الـذى بـاعثه من هـذا القسم قـد ظهر حكمه فى بـاب الإخلاـص.ثم بـاعث العمـل المباح ان كان خيرا بجعله عباده،كالتطيب يوم الجمعه لاقامه السـنه، و تعظيم المسـجد و اليوم،و دفع الاذى بالنتن،و الأكل لقوه العبادات، و الجماع للولـد و تطييب خاطر الزوجه،و الترفه بنومه او دعابه مباحه لرد نشاط الصـلاه،و ان كان شرا بجعله معصيه،كالتطيب للتفاخر بإظهار الثروه و التزين للزنا،و لا يؤثر فى الحرام،فلا يباح شرب الخمر لموافقه الاقران

و الاـخوان،فالمعاصـی لاـ تتغیر موضوعاتهـا بـالنیه،بخلاـف الطاعـات و المباحـات،فانهـا بالنیه الصـحیحه تصـیر أقرب القربات،و بالفاسده تصـیر أعظم المهلکات،فما أعظم خسران من یغفل عن النیه،و یتعاطی الاعمال تعاطی البهائم المهمله علی قصد حظوظ النفس او علی السـهو و الغفله،و قد کانت غایه سـعی السلف ان یکون لهم فی کل شیء نیه صحیحه،حتی فی أکلهم و شربهم و نومهم و دخولهم الخلاء.

و لاـ ریب فی إمکـان تصـحیح النیه فی کـل مبـاح،بحیث یـترتب علیه الثـواب،بـل یمکن تصـحیح النیه فی کـل نقصـان مـالی و عرضـی،فـان من تلف له مـال،فـان قـال:هو فی سبیل اللّه،کان له أجر،و ان سـرقه أحـد او غصـبه یمکن أن ینوی کونه من ذخائر الآخره،و إذا بلغه اغتیاب غیره له فیمکن ان یطیب خاطره بأنه سـیحمل علیه سـیئاته و ینقل إلی دیوانه حسـناته،فإیاک أن تستحقر شیئـا من نیاتـک و خطرات قلبـک،و لاـ تقـدم علی عمـل الا بنیه صـحیحه،فان لم تحضـرک النیه توقف،اذ النیه لا تـدخل تحت الاختیار،و قـد قیل:«ان من دعا اخاه إلی طعام بدون رغبه باطنه فی اجابته،فان اجابه فعلیه وزران:النفاق،و تعریضه اخاه لما یکرهه لو علمه،و ان لم یجبه و لم یأکـل فعلیه وزر واحـد هو النفاق!».فلا بـد للعبـد من خالص النیه فی کل حرکه و سـکون،لانه إذا لم یکن کذلک کان غافلا،و الغافلون قد وصفهم اللّه-تعالی-فقال:

إِنْ هُمْ إِلاّ کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً

(۱)

.

و صاحب خالص النیه صاحب القلب السلیم،قال الصادق(ع):

«صاحب النیه الصادقه صاحب القلب السلیم،لانه سلامه القلب من هواجس

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۴۴.

المحذورات بتخليص النيه للّه فی الأمور کلها،قال اللّه-عز و جل-:

يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ، إِلاّٰ مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

(۱)

.

ثم النيه تبدو من القلب علی قدر صفاء المعرفه و تختلف علی حسب اختلاف الأوقات فی معنی قوته و ضعفه،و صاحب النيه الخالصه نفسه و هواه مقهورتان تحت سلطان تعظيم اللّه-تعالی-و الحياء منه،و هو من طبعه و شهوته و منيته نفسه،فی تعب،و الناس منه فی راحه» (۲).

فصل (النيه روح الاعمال،و الجزاء بحسبها)

النيه روح الاعمال و حقيقتها،و الجزاء يکون حقيقه عليها،فان کانت خالصه لوجه اللّه-تعالی-کانت ممدوحه،و کان جزاؤها خيرا و ثوابا،و ان کانت مشوبه بالاغراض الدنيويه کانت مذمومه،و کان جزاؤها شرا و عقابا، قال اللّه-سبحانه-:

وَ لاٰ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

(۳)

.

۱- ۱) الشعراء،الآيه:۸۸-۸۹.

۲- ۲) هذا بعض الحديث المذکور فی مصباح الشريعه-الباب الرابع ص ۱۳۵-و فی البحار-الجزء الثانی من المجلد الخامس عشر،باب النيه و شرائطها و مراتبها،ص ۷۷.ط امين الضرب-.لکن المذکور فی البحار فيه اختلاف يسير عما فی المصباح،فصححناه علی البحار،لکون المذکور فی البحار اصح مما فی المصباح.

۳- ۳) الانعام،الآيه:۵۲.

و المراد بالاراده:النيه،لترادفهما-كما تقدم-.و أوحى اللّه إلى داود:

«يا داود:لا تطاول على المريدين،و لو علم أهل محبتى منزله المريدين عندى لكانوا لهم ارضا يمشون عليها،يا داود!لئن تخرج مريدا من كربه هو فيها تستعده، كتبتك عندى حميدا،و من كتبته حميدا لا يكون عليه وحشه و لا فاقه إلى المخلوقين».و قال رسول اللّه(ص):«انما الاعمال بالنيات،و لكل امرئ ما نوى،فمن كانت هجرته إلى اللّه و رسوله فهجرته إلى اللّه و رسوله،و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها او امرأه يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»،و انما قال ذلك حين قيل له:ان بعض المهاجرين إلى الجهاد ليست نيته من تلك الهجره الا أخذ الغنائم من الأموال و السبايا او نيل الصيت عند الاستيلاء، فبين(ص):أن كل أحد ينال فى عمله ما يبغيه،و يصل إلى ما ينويه،كائنا ما كان.دنيويا كان أو أخرويا.و هذا الخبر مما يعده المحدثون من المتواترات و هو اول ما يعلمونه أولادهم،و كانوا يقولون:انه نصف العلم.و قال -صلّى اللّه عليه و آله-:«ان اللّه لا ينظر إلى صوركم و اموالكم،و انما ينظر الى قلوبكم و أعمالكم،و انما ينظر إلى القلوب لأنها مظنه النيه».و قال(ص):

«ان العبد ليعمل اعمالا حسنه فتصعد بها الملائكه فى صحف مختتمه،فتلقى بين يدى اللّه-تعالى-،فيقول:القوا هذه الصحيفه،فانه لم يرد بما فيها وجهى،ثم ينادى الملائكه:اكتبوا له كذا و كذا،فيقولون:يا ربنا!انه لم يعمل شيئا من ذلك،فيقول اللّه-تعالى-انه نواه». و قال(ص):

«الناس أربعه:رجل آتاه اللّه-عز و جل-علما و مالا فهو يعمل بعلمه فى ماله،فيقول رجل:لو آتانى اللّه-تعالى-مثل ما آتاه لعملت كما يعمل،فهما فى الأجر سواء،و رجل آتاه اللّه مالا و لم يؤته علما،فهو يتخبط بجهله فى ماله،فيقول رجل:لو آتانى اللّه مثل ما آتاه لعملت كما يعمل،فهما فى الوزر

سواء،ألا ترى كيف شاركه بالنيه فى محاسن عمله و مساويه؟!».و لما خرج (ص)الى غزوه تبوك،قال:«ان بالمدينه اقواما،ما قطعنا واديا،و لا ـ وطأنا موطئا يغيظ الكفار،و لا انفقنا نفقه،و لا أصابتنا مخمصه،إلا شاركونا فى ذلك و هم فى المدينه»،قالوا:و كيف ذلك يا رسول اللّه،و ليسوا معنا؟! فقال:«حسبهم العذر،فشاركونا بحسن النيه». و فى الخبر:ان رجلا من المسلمين قتل فى سبيل اللّه بأيدى بعض الكفار،و كان يدعى بين المسلمين قتيل الحمار،لأنه قاتل رجلا من الكافرين نيه أن يأخذ حماره و سلبه،فقتل على ذلك فاضيف إلى نيته. و هاجر رجل إلى الجهاد مع أصحاب النبى (ص)،كانت نيته من المهاجره ان يأخذ امرأه كانت فى عساكر الكفار و يتزوجها-و تسمى أم قيس-فاشتهر هذا الرجل عند أصحاب النبى بمهاجر أم قيس».و فى اخبار كثيره:«من هم بحسنه و لم يعملها كتبت له حسنه» كما تقدم،و قد ورد:أنه إذا التقى المسلمان بسيفهما.فالقاتل فى النار،و كذا المقتول،لأنه أراد قتل صاحبه.و قال(ص):«اذا التقى الصفان نزلت الملائكه تكتب الخلق على مراتبهم:فلان يقاتل للدنيا،فلان يقاتل حميه،فلان يقاتل عصبيه،ألا ـ فلا ـ تقولوا قتل فلان فى سبيل اللّه إلا ـ لمن قاتل لتكون كلمه اللّه هى العليا».و قال(ص):«من تزوج امرأه على صداق هو لا ـ ينوى أداءه فهو زان،و من استدان دنيا و هو لا ـ ينوى قضاءه فهو سارق،و من تطيب للّه -تعالى-جاء يوم القيامه و ريحه أطيب من المسك،و من تطيب لغير اللّه جاء يوم القيامه و ريحه انتن من الجيفه» (۱)،و كل ذلك مجازاه على حسب النيه.

و قال الصادق(ع):«ان العبد المؤمن الفقير ليقول:يا رب!ارزقنى حتى

ص:۱۱۳

۱- ۱) صححنا النبويات كلها على احياء العلوم:۴-۳۱۰،۳۱۱،۳۱۷،باب فضيله النيه.

أفعل كذا و كذا من البر و وجوه الخير،فإذا علم اللّه-عز و جل-ذلك منه بصدق النيه كتب له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله،إن اللّه واسع كريم».

و سئل(ع)عن حد العباده التى إذا فعلها فاعلها كان مؤديا،فقال:«حسن النيه بالطاعه».و قال(ع):«و إنما خلد أهل النار فى النار لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا اللّه-تعالى-ابدا،و إنما خلد أهل الجنه فى الجنه لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا اللّه أبدا، فبالنيات خلد هؤلاء و هؤلاء،ثم تلا قوله-تعالى-.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكِلَتِهِ

(۱)

قال:على نيته» (۲).و أمثال هذه الأخبار أكثر من أن تحصى.و أى شبهه فى أن عماد الأعمال النيات،و العمل مفتقر إلى النيه ليصير خيرا، و النيه فى نفسها خير و ان تعذر العمل،و عون اللّه-تعالى-للعبد على قدر النيه،فمن تمت نيته تم عون اللّه له،و إن نقصت نقص بقدره،فرب عمل صغير تعظمه النيه،و رب عمل كبير تصغره النيه،و لذلك كان السلف يتعلمون النيه للعمل كما يتعلمون العمل،و نقل:«ان بعض المريدين كان يطوف على العلماء و يقول.من يدلنى على عمل لا ازال فيه عاملا للّه-تعالى-،فانى لا أحب أن تأتى على ساعه من ليل او نهار الا و أنا عامل من عمال اللّه-تعالى-.

فقال له بعض العلماء:أنت قد وجدت حاجتك،فاعمل الخير ما استطعت، فإذا فترت أو تركته فهم بعمله،اذ من هم بعمل الخير كمن يعمل به». ثم السر فى مجازاه الأعمال على حسب النيه،و كون النيه حقيقه العمل و عمادا و روحا له:ان العمل من حيث هو عمل لا فائده فيه،و انما فائدته للأثر الذى

۱- ۱) الاسراء،الآيه:۸۴.

۲- ۲) صححنا الاخبار كلها على أصول الكافى-الجزء الثانى،باب النيه.

یصل منه إلی النفس من النورانیه و الصفاء،و لا یزال یتکرر وصول هذا الأثر من الاعمال إلیها حتی تحصل لها غایه الضیاء و الصفاء،فیحصل لها التجرد التام و ینخرط فی سلک الملائکه،و لا ریب فی أن وصول هذا الأثر من الاعمال انما هو مع صحه النیه و خلوصها،و کونها للّه-سبحانه-من دون شوب الأغراض،بل التأمل یعطی ان هذا الأثر انما هو حقیقه من محض النیه،و ان کانت حادثه لأجل العمل.

فصل (عباده الاحرار و الاجراء و العبید)

قد ظهر مما ذکر:أنه لا یحسب من عباده اللّه و لا یعد من طاعه اللّه بحیث یترتب علیه الأجر فی الآخره إلا ما یراد التقرب إلی اللّه و الدار الآخره، أی یراد به وجه اللّه من حیث هو،من دون غرض آخر من الأغراض الدنیویه،أو یراد به التوصل إلی ثوابه،أو الخلاص من عقابه،فمن أراد بعبادته محض وجه اللّه،و اخلصها له لکونه أهلا للعباده،و لمحبته له لما عرفه بجلاله و جماله و عظمته و لطف فعاله،فاحبه و اشتاق إلیه،و لا یرید سواه، و لا یبتهج بغیر حبه و انسه و الاستغراق فی لجه شهوده،فیفرح بعبادته و توجیه قلبه إلیه بطاعته.فجزاؤه أن یحبه اللّه و یجتبیه،و یقربه إلی نفسه و بدنه قربا معنویا و دنوا روحانیا،کما قال فی حق بعض من هذا صفته:

وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنٰا لَزُلْفیٰ وَ حُسْنَ مَآبٍ

(۱)

و إلی هذه المرتبه أشار أمیر المؤمنین(ع)بقوله:«إلهی ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فی جنتک،و لکن وجدتک أهلا للعباده فعبدتک».

۱- ۱) ص،الآیه:۴۰،۲۵.

و أما من غرضه نيل الثواب و الخلاص من العقاب،نظرا إلى انه لم يعرف من اللّه سوى كونه إلها صانعا للعالم قادرا قاهرا عالما،و ان له جنه ينعم بها المطيعين،و نارا يعذب بها العاصين،فعبده ليفوز بجنته أو يتخلص من ناره:فجزاؤه بمقتضى نيته ان يدخله جنته،و ينجيه من ناره،لأن جزاء الأعمال على حسب النيات،كما أخبر اللّه-تعالى-عنه فى غير موضع من كتابه،فان لكل امرئ ما نوى،و لا تصغ إلى قول من ذهب إلى بطلان العباده إذا قصد بفعلها الثواب أو الخلاص من العقاب زعما منه أن هذا القصد مناف للاخلاص الذى هو إراده وجه اللّه وحده،و ان من قصد ذلك إنما قصد جلب النفع إلى نفسه،و دفع الضرر عنها،لا وجه اللّه-سبحانه-، فان هذا قول من لا معرفه له بحقائق التكاليف و مراتب الناس فيها،بل و لا معرفه له بمعنى النيه و حقيقتها،فان حقيقه النيه عباره عن انبعاث النفس و ميلها و توجهها إلى ما فيه غرضها و مطلبها،إما عاجلا او آجلا،لا مجرد قول الناوى عند العباده:افعل كذا قربه إلى اللّه،و مجرد تصور هذا القول بخاطره و ملاحظته بقلبه و إن لم يكن لنفسه انبعاث إلى التقرب،هيهات هيهات!إنما هذا تحريك لسان و حديث نفس،و ما ذلك الا كقول الشبعان:

اشتهى هذا الطعام،قاصدا حصول الاشتهاء،و هذا الانبعاث إذا لم يكن حاصلا للنفس لا يمكنها اختراعه و اكتسابه بمجرد القول و التصور، و أكثر الناس تتعذر منهم العباده ابتغاء لوجه اللّه و تقربا إليه،لانهم لا يعرفون من اللّه-تعالى-الا المرجو و المخوف،فغايه مرتبتهم ان يتذكروا النار و يحذروا أنفسهم عقابها،و يتذكروا الجنه و يرغبوا أنفسهم ثوابها،و خصوصا من كان ملتفتا إلى الدنيا،فانه قلما تنبعث له داعيه إلى فعل الخيرات لينال بها ثواب الآخره،فضلا عن عبادته على نيه إجلال اللّه-تعالى-لاستحقاقه

الطاعه و العبوديه،فانه قل من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها،فلو كلف بها لكان تكليفا بما لا يطاق،و ليس معنى الإخلاص فى العباده الا عدم كونها مشوبه بشوائب الدنيا و الحظوظ العاجله للنفس،كمدح الناس،و نيل المال، و الخلاص من النفقه لعتق العبد و نحو ذلك،و ظاهر انه لا تنافيه إراده الجنه و الخلاص من النار بما وعد فى الآخره،و ان كان من جنس المألوف فى الدنيا،و لو كان مثل هذه النيات مفسده للعبادات لكان الترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد عبثا،اذ كل ما وعد به الجنه و اوعد عليه النار مما رغب و وعد به و رهب و اوعد عليه،و ما ورد فى الترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد من الآيات و الاخبار أكثر من ان يحصى،قال اللّه-سبحانه-:

وَ يَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً

(۱)

ثم كيف يمكن للعبد الضعيف الذليل المهين الذى لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياتا و لا شيئا مما ينفعه و يؤذيه،أن يستغنى عن جلب النفع لنفسه أو دفع الضرر عنها من مولاه.و من تأمل يجد أن القائل ببطلان العباده بإحدى النيتين ترجع نيته الصحيحه فى عبادته إلى أحداهما و هو لا يشعر به.

و مما يدل صريحا على ما ذكرناه قول الصادق-عليه السّلام-:«العباد ثلاثه:قوم عبدوا اللّه-عز و جل-خوفا،فتلك عباده العبيد.و قوم عبدوا اللّه-تبارك و تعالى-طلب الثواب،فتلك عباده الاجراء،و قوم عبدوا اللّه-عز و جل-حبا له،فتلك عباده الاحرار،و هى أفضل العباده» (۲).و هذا يدل على ان العباده على الوجهين الأولين لا تخلو من فضل أيضا،فضلا عن أن تكون صحيحه.نعم،لا ريب فى أن العباده على

۱- ۱) الأنبياء،الآيه:۹۰.

۲- ۲) صححنا الروايه على أصول الكافى:الجزء الثانى،باب العباده.

الـوجه الأـخير لاـ نسـبه لمنزلتهـا و درجتهـا إلى درجـه العبـاده على الـوجهين الأـولين،فـان مـن تنعم بلقـاء اللّه و النظر إلى وجهه الكريم،يسـخر ممن يلتفت الى وجه الحور العين كمـا يسـخر المتنعم بالنظر إلى وجه الحور العين بالملتفت الى الصور المصـنوعه مـن الطين،و كمـا يسـخر المتنعم بـالنظر إلى وجـوه النسـاء الجميله بالخنفسـاء الـتى تعرض عن النظر إلى وجـوههن و تلتفت إلى صاحبتهـا و تـألف بهـا،بل هـذه أمثله أوردناها من باب الاضـطرار،إذ التفاوت بين جمال الحضـره الربوبيه و جمال الحور العين او النسـوان الجميله أعظم كـثيرا من التفـاوت بين جمـال الحور العين و الصور المصـنوعه من الطين و بين جمـال النسوان الجميله و الخنفساء،كيف و التفاوت فى الثانى متناه و فى الأول غير متناه،و أى نسبه للمتناهى إلى غير المتناهى؟

فصل (نيه المؤمن خير من العمل)

لمـا عرفت ان النيه روح العمـل و حقيقته،و توقف نفع العمـل عليهـا دون العكس،و كون الغرض الأصـلى من العمـل تأثير القلب بالميـل إلى اللّه -تعـالى-و تـوقفه على النيه،فهى خير من العمـل،بمعنى أن العمـل إذا حلـل الى جزئيه يكون جزؤه القلـبى-اعنى النيه-خيرا من جزئه الجسـمانى- اعنى مـا يصـدر من الجوارح-،و الثواب المـترتب عليه أكثر من الثواب المترتب عليه،و لـذا قـال اللّه-سبحانه-:

لَنْ يَنٰالَ اللّٰهَ لُحُومُهٰا وَ لاٰ دِمٰاؤُهٰا وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ

(1)

.

1- 1) الحج،الآيه:37.

فـان المقصود من اراقه دم القربان میل القلب عن حب الـدنیا،و بـذلها ایثارا لوجه اللّه،دون مجرد الـدم و اللحم،و میل القلب انما یحصـل عنـد جزم النیه و الهم،و ان عـاق عن العمـل عائق،(فلن ینال اللّه لحومها و لا دماؤها و لکن یناله التقوی منکم)،و التقوی صفه القلب،و لـذا تری ان المجامع امرأته علی قصـد انها غیرها اثم،بخلاف المجامع غیرها علی أنها امرأته،و لـذا ورد:أن من هم بحسـنه و لم یعملهـا کتبت له حسـنه،لاـن هم القلب هـو میله إلی الخیر و انصـرافه عن الهوی،و هو غـایه الاعمـال الحسـنه، و انما الاتمام بالعمل یزیدها تأکیدا.و بما ذکر ظهر معنی الحدیث المشهور:

«نیه المؤمن خیر من عمله،و نیه الکافر شر من عمله».و کل عامل یعمل علی نیته.

و حاصـله:أن کـل طاعه تتضـمن نیه و عملا،و کل منهما من جمله الخیرات،و له أثر فی المقصود،و تکون النیه خیرا من العمل و أثرهـا أکثر من اثره.و الغرض:أن للمؤمن اختیـارا فی النیه و فی العمـل، فهمـا عملاـن،و النیه من الجمله خیرهما،ای النیه التی هی جزء من طاعته خیر من عمله الذی هو جزؤها الآخر.

فـان قیـل:ما ذکرت لا یفیـد أزیـد من ان العمل إذا کان مع النیه یکون کل من العمل و النیه خیرا و ذا ثواب.و إذا کان بـدونها لا یکـون خیرا و لاـ یکـون له ثـواب،و المقصود کون النیه خیرا من العمـل فی الصوره الأـولی و کون ثوابهـا أعظم،و لم یظهر وجه الخیریه مما ذکرت.

قلت:ذلک و ان ظهر إجمالا،الا انه لا بد لتوضیحه لتظهر جلیه الحال،فنقول:

الوجه فی کون النیه خیرا من العمل و راجحه علیه فی الثواب:انه لا ریب فی ان المقصود من الطاعات شفاء النفس و سعادتها فی الآخره و تنعمها

بلقاء اللّه-سبحانه-،و الوصول إلى اللقاء موقوف على معرفه اللّه و حبه و انسه،و هى موقوفه على دوام الفكر و الذكر الموجبين لانقطاع النفس من شهوات الدنيا و توجهها إلى اللّه-سبحانه-،فإذا حصل بمجرد المعرفه الحاصله من الفكر ميل و توجه إلى اللّه-تعالى-كان ضعيفا غير راسخ، و انما يترسخ و يتأكد بالمواظبه على اعمال الطاعات و ترك المعاصى بالجوارح، لأن بين النفس و بين الجوارح علاقه يتأثر لأجلها كل واحد منها عن الآخر، فيرى أن العضو إذا أصابته جراحه تتألم بها النفس،و أن النفس إذا تألمت بعلمها بموت عزيز أو بهجوم أمر مخوف تأثرت الأعضاء و ارتعدت الفرائض، فالطاعات التى هى فعل الجوارح إنما شرعت للتوصل بها إلى صفه النفس-اعنى التوجه و الميل إلى اللّه-سبحانه-،فالنفس هو الأصل و المتبوع و الأمير، و الجوارح كالخدم و الأتباع،و صفات القلب هى المقصوده لذاتها،و افعال الجوارح هى المطلوبه بالعرض،لكونها مؤكده و موجبه لرسوخ النفس -اعنى الميل و النيه و التوجه-و لا ريب فى أن ما هو المقصود بالذات خير مما هو مقصود بالعرض،و ثوابه أعظم من ثوابه.

و من المعانى الصحيحه للحديث:أن المؤمن بمقتضى ايمانه ينوى خيرات كثيره لا يوفق لعملها،إما لعدم تمكنه من الوصول إلى أسبابها،أو لعدم مساعده الوقت على عملها،أو لممانعه رذيله نفسانيه عنها بعد الوصول إلى أسبابها،كالذى ينوى إن آتاه اللّه ما لا ينفقه فى سبيله،ثم لما آتاه يمنعه البخل عن الإنفاق،فهذا نيته خير من عمله،و أيضا المؤمن ينوى دائما أن تقع عباداته على أحسن الوجوه،لأن ايمانه يقتضى ذلك.ثم إذا اشتغل بها لا يتيسر له ذلك.و لا يأتى بها كما يريد،فما ينويه دائما خير مما يعمل به فى كل عباده.و إلى هذا أشار الباقر(ع)حيث قال:«نيه المؤمن خير من عمله،

و ذلک لأنه ینوی الخیر ما لا یدرکه،و نیه الکافر شرّ من عمله،و ذلک لأن الکافر ینوی الشر و یأمل من الشر ما لا یدرکه». و قیل للصادق(ع):

سمعتک تقول:نیه المؤمن خیر من عمله،فکیف تکون النیه خیرا من العمل؟ قال(ع):«لأن العمل إنما کان ریاء للمخلوقین،و النیه خالصه لرب العالمین، فیعطی-عز و جل-علی النیه ما لا یعطی علی العمل»ثم قال:«إن العبد لینوی من نهاره أن یصلی باللیل فتغلبه عینه فینام،فیثبت اللّه له صلاته و یکتب نفسه تسبیحا و یجعل نومه صدقه».و بعض الأخبار المتقدمه یعضد ذلک و یؤکده أیضا. و قیل:معنی الحدیث:«إن النیه بمجردها خیر من العمل بمجرده بلا نیه».و فیه:أن العمل بدون النیه لا یتصف بالخیریه أصلا.

فلا معنی للترجیح فی الخیریه،و قیل:سبب الترجیح:«إن النیه سر لا یطلع علیه إلا اللّه،و العمل ظاهر،و فعل السر أفضل».و هذا و إن کان فی نفسه صحیحا،إلا أنه لیس مرادا من الحدیث،لأنه لو نوی أحد أن یذکر اللّه -تعالی-بقلبه أو یتفکر فی مصالح المؤمنین،کانت نیته بمقتضی عموم الحدیث خیرا من العمل الذی هو الذکر و التفکر،مع اشتراک النیه و العمل فی السریه،و بداهه کون الذکر و التفکر خیرا من نیتهما.

فصل (النیه غیر اختیاریه)

النیه غیر داخله تحت الاختیار،و ذلک لما عرفت من أنها انبعاث النفس و توجهها و میلها إلی ملائم ظهر لها أن فیه غرضها إما عاجلا أو آجلا، و هذا المیل إذا لم یکن حاصلا للنفس لم یکن اختراعه و اکتسابه بمجرد الاخطار بالبال و الاجراء علی اللسان،بل ذلک کقول الشبعان:نویت أن اشتهی الطعام و أمیل إلیه،أو قول الفارغ:نویت أن أعشق فلانا و أحبه،

فلا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء و ميله إليه و توجهه نحوه،إلا باكتساب أسبابه،و ذلك مما قد يقدر عليه و قد لا يقدر عليه،و إنما قد تنبعث النفس إلى الفعل إجابه للغرض الباعث،الموافق المنفس الملائم لها،و ما لم يعتقد الإنسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه قصده نحوه، و ذلك مما لا يقدر على اعتقاد.دائما،و إذا اعتقد فانما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه،و ذلك لا يمكن فى كل وقت،و الدواعى و الصوارف لها أسباب كثيره بها،تجتمع و تختلف ذلك بالاشخاص و الأحوال و الاعمال،فإذا غلبت شهوه النكاح و لم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد لم يمكنه أن يتزوج على نيه الولد،بل لا يمكن إلا على نيه قضاء الشهوه،إذ النيه إجابه الباعث،و لا باعث إلا الشهوه،فكيف ينوى الولد،و لذا كان أهل السلوك من السلف كثيرا ما يمتنعون عن جمله من الطاعات إذا لم تحضرهم النيه،و كانوا يقولون:ليس تحضرنى نيه،و ذلك لعلمهم بأن النيه روح الاعمال و قوامها،و أن العمل بغير نيه صادقه رياء و تكلف و سبب مقت لا سبب قرب. و روى:«أنه أتى الصادق(ع)مولى له،فسلم عليه و جلس،فلما انصرف(ع)انصرف معه الرجل،فلما انتهى إلى باب داره دخل و ترك الرجل،فقال له ابنه إسماعيل:يا أبه!ألا كنت عرضت عليه الدخول؟فقال:لم يكن من شأنى ادخاله،قال:فهو لم يكن يدخل، قال:يا بنى!إنى اكره أن يكتبنى اللّه عراضا».

تتميم (الطريق فى تخليص النيه)

اشاره

الطريق فى تخليص النيه فى الطاعات تقويه ايمانه بالشرع،و تقويه ايمانه يعظم ثواب الطاعات مع خلوص النيه،و إذا قوى ايمانه فربما انبعث من نفسه

رغبه إلى فعل الطاعه مع خلوص النيه،مثلا من لم تكن له نيه الولـد فى النكاح بل كانت نيته فيه مجرد قضاء الشـهوه،فينبغى له أن يقوى ايمـانه بعظم ثواب من سـعى فى تكثير أمه محمـد(ص)،و يـدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولـد،كثقـل المئونه و طول المتعب و غيره،و إذا فعل ذلك انبعثت من نفسه رغبه إلى تحصيل الولد للثواب.

و منها:

اشاره

الكراهه

و هى نفره الطبع عمـا لاـ يخلو عن ايلاـم و إتعاب،فإذا قويت سـميت مقتا،و ضـدها الحب،و هو ميل الطبع إلى الشـىء الملـذ،فان تأكد ذلك الميل و قوى سمى عشقا.

اعلم أن عدم الرغبه و الغفله و الكراهه و البعد أمور متناسبه مترتبه بعضها على بعض،و كذا اضدادها-اعنى الشوق و النيه و الحب و الانس- أمور متناسبه يترتب بعضها على بعض،فنحن هنا نشير إجمالا إلى معانيها و الفرق بينها،ثم نذكرها مفصله على الترتيب.

فنقول:قـد عرفت ان الغفله و النيه ضـدان،و هما عبارتان عن عدم انبعاث النفس و انبعاثها إلى ما فيه غرضـها الملائم اما عاجلا أو آجلا،و اما عدم الرغبه و الشوق فهما ضدان و مبدآن للغفله و النيه.

بيان ذلك:ان معنى عدم الرغبه ظاهر،و الشوق عباره عن الرغبه إلى الشىء الذى لم يصل إليه و كان مفقودا عنه بوجه،فالشوق لا يخلو عن ألم المفـارقه،و لو زالت المفـارقه و حصـل الوصـال انتفى الشوق.ثم فرق الشوق عن النيه ظاهر،فان الشوق مجرد الرغبه إلى الشىء من دون اعتبار انبعاث النفس إلى طلبه فى مفهومه،و النيه هى الانبعاث المذكور،فالشوق مبدأ

النیه،و النیه مترتبه علیه،و بذلک یظهر الفرق بین ضدیهما أیضا-أعنی عدم الرغبه و الغفله.

و اما(الکراهه و الحب):فقد عرفت أنهما عبارتان عن نفره الطبع عن المؤلم،و عن میله إلی الملذ،سواء انبعثت النفس عن طلبه أم لا-و بهذا یفترق الحب عن النیه،فان النیه هی انبعاث النفس،و هو مغایر لمجرد المیل، بل المیل منشأ للانبعاث،و سواء حصل الوصول إلی الملذ أم لا،و بهذا یفترق عن الشوق،فان الشوق یعتبر فی مفهومه عدم الوصول،فالشوق و النیه و الاراده لا ینفکان عن الحب،و الحب یکون مقارنا لهما البته،فإذا حصل الوصول إلی المطلوب زال الشوق و الاراده و بقی الحب بدونهما.و بما ذکر یظهر الفرق بین الکراهه و بین عدم الرغبه و الغفله.

و أما(الانس):فهو عباره عن استبشار النفس بما یلاحظه من المطلوب المحبوب بعد الوصول و استحکامه و رسوخه،و البعد عباره عن عدم الوصول إلی المحبوب او الوصول إلی ما لا یستبشر و لا یبتهج بملاحظته، لعدم الرغبه إلیه او للتنفر عنه،فالحب منشأ الانس،و الانس یترتب علیه، و هو غایه المحبه،فلا یخلو انس عن المحبه،و المحبه قد تکون بدونه، ثم المطلوب المحبوب قد یکون مطلوبا للقوه العاقله،کالعلم بحقائق الأشیاء،و قد یکون مطلوبا للقوه الغضبیه،کالاستیلاء و الغلبه،و قد یکون مطلوبا للقوه الشهویه،کالمال و الازواج،و علی کل تقدیر تکون الأمور المذکوره-اعنی عدم الرغبه و الغفله و الکراهه و البعد-و اضدادها-اعنی الشوق و الاراده و الحب و الانس-متعلقه بتلک القوه،معدوده من رذائلها او فضائلها.ثم المحبوب ان کان یستحسن حبه و طلبه شرعا و عقلا،کان ما یتعلق به من الشوق و الاراده و الحب و الانس من الفضائل و اضدادها من الرذائل،و ان

كان مما يذم حبه و طلبه شرعا و عقلا كان بالعكس.

الشوق-أفضل مراتب الشوق الشوق إلى اللّه-تعلق الحب بجميع القوى- أقسام الحب بحسب مباديه-لا محبوب حقيقه الا اللّه-الشهود التام هو نهايه درجات العشق-سريان الحب فى الموجودات-رد المنكرين لحب اللّه -معرفه اللّه أقوى سائر اللذات-تحقيق رؤيه اللّه فى الآخره و لذه لقائه -الطريق إلى الرؤيه و اللقاء-تفاوت المؤمنين فى محبه اللّه-الواجب اظهر الموجودات-علائم محبه اللّه-معنى حب اللّه لعبده-الحب فى اللّه و البغض فى اللّه-الوفاء فى اللّه-الوفاء فى الحب-الانس-الانس قد يثمر الإدلال.

قد تقدم تفصيل الكلام فى النيه و الغفله.

و اما الشوق

،فنقول فى بيانه:قد عرفت أن الشوق عباره عن الميل و الرغبه إلى الشيء عند غيبته،فان الحاصل الحاضر لا يشتاق إليه،اذ الشوق طلب يسوق إلى نيل امر،و الموجود لا يطلب،فالشوق لا يتصور الا إلى شيء أدرك من وجه و لم يدرك من وجه،فما لا يدرك أصلا لا يشتاق إليه، اذ لا يتصور ان يشتاق أحد إلى شخص لم يره و لم يسمع و صفه،و ما أدرك بكماله لا يشتاق إليه أيضا،اذ المداوم لمشاهده المحبوب و الوصل إليه من جميع الوجوه لا يتصور أن يكون له شوق،فالشوق يختص تعلقه بما أدرك من وجه دون وجه،و هذا انما يكون باحد وجهين:

(أحدهما)ان يتضح الشيء اتضاحا ما،و لم يستكمل الوضوح،فاحتاج الى استكماله.فيكون الشوق إلى ما بقى من المطلوب مما لم يحصل.مثال ذلك:

ان من غاب عنه معشوقه،و بقى فى قلبه خياله،يشتاق إلى استكمال خياله بالرؤيه،

و من رأى معشوقه فى ظلمه،بحيث لا ـ تنكشف له حقيقه صورته،يشتاق الى استكمال رؤيته باشراق الضوء عليه،فلو رآه بتمام الرؤيه انتفى الشوق، كما انه لو انمحى عن قلبه ذكره و خياله و معرفته حتى نسيه لم يعقل وجوده.

(ثانيهما)أن يدرك بعض كمالات المحبوب،و وصل إليه،و علم إجمالا ان له كمالات اخر،و لم يدركها و لم يصل إليها،فيكون له شوق إلى ادراك تلك الكمالات.مثال ذلك:ان يرى وجه محبوبه،و لا يرى شعره و لا سائر اعضائه،فيشتاق إلى رؤيه ذلك.

فصل (أفضل مراتب الشوق الشوق إلى اللّه)

أفضل مراتب الشوق هو الشوق إلى اللّه-سبحانه-و إلى لقائه،و هى المظنه إلى الوصول إليه،و إلى حبه و انسه و التقرب لديه،و هو رأس مال السالكين،و مفتاح ابواب السعاده للطالبين،و الوجهان الموجبان للشوق متصوران فى حق اللّه،بل هما ثابتان و ملازمان لجميع العارفين،فلا يخلو عارف من الشوق إلى اللّه:

أما الوجه الأول،فلأن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهيه و إن بلغ غايه الوضوح،فكأنه من وراء ستر رقيق،فلا يكون متضحا غايه الاتضاح،بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات المكدره للمعلومات و المانعه عن ظهورها اليقينى،(لا)سيما إذا انضاف إليها شواغل الدنيا،فكمال الوضوح فى الأمور الإلهيه إنما هو بالمشاهده و اشراق التجلى،و لا ـ يكون ذلك فى هذا العالم،بل يكون فى الآخره،فهذا أحد الموجبين لشوق العارفين إلى اللّه -سبحانه-.و هو الشوق إلى استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما.

و أما الثانى،فلأن الأمور الإلهيه لا نهايه لها،و إنما ينكشف لكل

عـارف بعضـها،و تبقى أمور غير متنـاهيه خفيه عنه،و العارف إجمالا وجودها، و كونها معلومه للّه-تعالى-،و يعلم أن ما غاب من علمه من المعلومـات أكثر ممـا حضـر،فلا يزال متشوقـا إلى أن يحصل له من المعلومات المتعلقه بعظمه اللّه و جلاله و صـفاته و أفعـاله بمـا لا يعرفهـا أصـلا،لا مع الوضوح و لا مع الإبهام و الاجمال، و الشوق الأول ربما انتهى فى الاخره إذا حصل الشـهود و اللقـاء المعنوى لأجـل اسـتخلاص النفس من موانع الطبيعه و قشوراتها و حصول التجرد التام لها،و أما الشوق الثانى فلا يمكن أن ينتهى فى الدنيا و لا فى الآخره،إذ نهايه ذلك أن ينكشف للعبد فى الآخره من عظمه اللّه و كبريائه و جلاله و صفاته و احكامه و افعاله ما هو معلوم للّه-تعالى-و هو محال،إذ معلومات اللّه المتعلقه بـذاته و صـفاته و افعاله غير متناهيه قوه و شـده و عده، فتمتنع إحـاطه الإنسـان بهـا،فلا يزال العبـد عالما بأنه قـد بقى من جلال اللّه و عظمته و من صـفته و فعله ما لم يتضـح له،فلا يسـكن قط شـوقه،و مـا من عبـد إلا و يرى فوق درجته درجـات كـثيره لا نهـايه لهـا،فيشـتاق إليهـا البته، و إذا كـان أصـل الوصـال و اللـذه حاصـلا،فربمـا كـان الشوق إلى المراتب التى فوق مرتبتهـا شوقـا لذيـذا لا يظهر فيه ألم،و ربما كانت لطائف الكشف و البهجه و درجاتهما متواليه إلى غير النهايه،و تحصل للعبد هذه الدرجات فى الآخره على التدريج،فلا يزال العبد يتصاعد و يترقى إليها،و لا يزال النعيم و اللـذه تتزايـد له أبد الآباد من غير انقطاع له،و تكون لذه ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا له عن الإحساس بالشوق إلى مـا لم يحصـل له المه،فـان امكن فى الآـخره حصول الكشف فيمـا لم يحصل فيه كشف فى الـدنيا،لكان حصول المعارف و الابتهاجات و الأنوار و تجـددها فى الآخره ممكنا،و إن لم يكتسب اصـلها فى الـدنيا فيتجـدد و يتوارد على العبـد فى الآخره على الدوام و الاستمرار

من دون أن ینتهی إلی حد.و ربما کان قوله-تعالی-:

نُورُهُمْ یَسْعیٰ بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ بِأَیْمانِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا

(۱)

:

إشاره إلی هذا المعنی، و یکون المراد به إتمام النور فی عین ما استنار فی الآخره استناره محتاجه إلی الظهور،ثم إلی زیاده الاستکمال و الإشراق،و إن اختص حصول نعم الآخره و أنوارها و ابتهاجاتها علی النعم التی تزود من أصلها و لم یحصل للعبد ما لم یکتسب فی الدنیا أصله من الأنوار و الابتهاجات فیکون ترقی العبد فی الآخره فی ازدیاد الابتهاج و الإشراق فیما حصل له اصله،و علی هذا،فربما انتهی إلی حد و وقف هناک و لا یتضاعف،و قوله -تعالی-:« نُورُهُمْ یَسْعیٰ ...الی آخر الآیه»یحتمل لهذا المعنی أیضا،بأن یکون المراد طلب إتمام نور تزود من الدنیا أصله.(قیل):و قوله تعالی:

اُنْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِکُمْ قِیلَ ارْجِعُوا وَراءَکُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً

(۲)

:

یدل علی أن الأنوار لا بد من أن یتزود أصلها فی الدنیا،ثم یزداد فی الآخره اشراقا،فاما أن یتجدد نور لم یکتسب أصله فی الدنیا فلا.

ثم لا یخفی أن تعیین الأصل و الفرع للانوار و الابتهاجات و مراتب الآخره عندنا مشکل،و لیس لنا طریق إلی القطع بأن أی شیء أصل لای نور و بهجه،و ربما کان المظنون عندنا:أن أصل کل نور و سعاده و بهجه هو الیقین القطعی الاجمالی بان الواجب-سبحانه-فی غایه العظمه و الجلال

۱- ۱) التحریم،الآیه:۸.

۲- ۲) الحدید،الآیه:۱۳.

و القـدره و الكمال،و أنه تام فوق التمام،و كل ما سواه من المهيات الموجوده صادره عنه على أشـرف أنحاء الصـدور و أقواها و أدلها على العظمه،و أنه لا موجود و لا شـىء إلا الواجب و صـفاته و أفعاله،و أن ذاته الاقـدس ذات لا يمكن أن يكون لذهن من الاذهان العاليه،و لا لمدرك من المدارك المتعاليه عقلا كان أو نفسا أو غيرهما،لو أمكن أن يكون مدركا،أن يدرك فى لحاظ التعقل ذاتا يمكن أن تكون فوقه أو مثله،بل كلما تصور إجمالا فهو فوقه،و كذا صـفاته الكماليه و افعاله،و أن صفاته الكماليه:من عظمتـه، و جلالـه،و قـدرته،و جمـاله،و علمه،و حكمته،و غير ذلـك غير متنـاهيه،و ليس لهـا حـدّ و غـايه،و مـا تعلق به علمه من مخلوقاته لا نهايه له كثره و قوه و كمالا،و أن له من المراتب الغير المتناهيه من العظمه و الجلال ما لا يطيق أشرف الموجودات و اقواها لادراك أولها،فمن عرف ذلك و تيقن به، و علم ان هـذا العالم و ما فيه لا نسـبه له إلى عالم الآخره و ما فيه،و أن الطافه و مزايـاه إلى عبـاده الـذين عرفوا نسـبتهم إليه،و تيقنوا بـأن لاشـرافه و لاـ كمـال للنفوس و العقول فوق معرفه ربهم و التقرب إليه و الوصول إلى حبه و انسه، فقـد وصـل إلى أصـل كـل سـعاده و نور و بهجه،لاـ سـيما إذا دفع عن نفسه ذمـائم الأخلاق و اتصـف بفضائلهـا. و قـد ظهر مما ذكر:أنه لا ريب فى ثبوت الشوق للعباد إلى اللّه-سـبحانه-.و العجب ممن أنكر حقيقه الشوق إلى اللّه - سبحانه-لانكاره المحبه له-كما يأتى-،إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب،و قـد عرفت ثبوته من حيث النظر و الاعتبار.و لا ريب فى ثبوته -أيضا-من الآيات و الاخبار:قال اللّه-سبحانه-:

فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ... الى آخر آيه (۱)

ص:۱۲۹

۱- ۱) الكهف،الآيه:۱۱۱.

فان الرجاء لا ينفك عن الشوق.و قال رسول اللّه(ص)فی دعائه:

«اللهم إنی أسألك الرضاء بعد القضاء،و برد العيش بعد الموت،و لذه النظر الی وجهك الكريم،و شوقا إلی لقائك».و فی بعض الكتب السماويه:

«طال شوق الأبرار إلی لقائی.و أنا إلی لقائهم لأشد شوقا». و فی أخبار داود(ع):«إنی خلقت قلوب المشتاقين من نوری،و نعمتها بجلالی».

و فيها أيضا:«أنه تعالی أوحی إلی داود:يا داود!إلی كم تذكر الجنه و لا تسألنی الشوق إلی؟قال:يا رب!من المشتاقون إليك؟قال:إن المشتاقين إلی الذين صفيتهم من كل كدر،و نبهتهم بالحذر،و خرقت من قلوبهم إلی خرقا ينظرون إلی،و إنی لأحمل قلوبهم بيدی فأضعها علی سمائی،ثم ادعو بملائكتی،فإذا اجتمعوا سجدونی،فأقول:انی لم اجمعكم لتسجدونی، و لكن دعوتكم لا عرض عليكم قلوب المشتاقين إلی،و أباهی بهم إياكم،فان قلوبهم لتضیء فی سمائی لملائكتی كما تضیء الشمس لاهل الأرض،يا داود! انی خلقت قلوب المشتاقين من رضوانی،و نعمتها بنور وجهی،فاتخذتهم لنفسی محدثين،و جعلت أبدانهم موضع نظری إلی الأرض،و قطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به إلی،يزدادون فی كل يوم شوقا».و أوحی اللّه اليه أيضا:«يا داود!لو يعلم المدبرون عنی كيف انتظاری لهم و رفقی بهم و شوقی إلی ترك معاصيهم،لماتوا شوقا إلی،و تقطعت اوصالهم عن محبتی».

و فی بعض الاخبار القدسيه:«ان لی عبادا يحبوننی و احبهم،و يشتاقون إلی و اشتاق إليهم،و يذكروننی و أذكرهم،و اول ما اعطيتهم ان اقذف من نوری فی قلوبهم،فيخبرون عنی كما أخبر عنهم،و لو كانت السماوات و الأرض و ما فيهما فی موازينهم لاستعد بها لهم،و أقبل بوجهی عليهم،لا يعلم أحد ما أريد أن أعطيه». و قال الصادق(ع):«المشتاق لا يشتهی طعاما،و لا يلتذ

شرابـا،و لاـ يسـتطيب رقـادا،و لاـ يأنس حميما،و لا يأوى دارا،و لا يسـكن عمرانا،و لا يلبس ثيابا،و لا يقر قرارا،و يعبـد اللّه ليلا و نهـارا،و راجيـا بـأن يصـل إلى مـا يشـتاق إليه،و ينـاجيه بلسان الشوق معبرا عما فى سـريرته، كما أخبر اللّه-تعالى-عن موسـى بن عمران فى ميعاد ربه بقوله:(و عجلت اليك رب لترضـى)،و فسـر النبى(ص)عن حاله:(أنه ما أكل و لا شـرب و لا نام،و لا اشـتهى شيئا من ذلك فى ذهابه و مجيئه أربعين يوما شوقا إلى ربه)،فإذا دخلت ميـدان الشوق،فكبر على نفسک و مرادک من الـدنيا، و ودع جميع المألوفـات،و اصـرفه عن سـوى مشوقـک،و لب بين حياتـک و موتـک:لبيـک اللهم لبيـک!أعظم اللّه أجرک،و مثل المشـتاق مثل الغريق، ليس له همه إلا خلاصه،و قد نسـى كل شـىء دونه» (۱)،و مـا ورد فى الأدعيه المعصوميه من طلب الشوق أكثر من أن يحصى،و الظواهر الآتيه المثبته للمحبه و الانس تثبت الشوق أيضا.

و أما(الكراهه و البغض و ضدهما-اعنى الحب-)فنقول:قد عرفت أن الكراهه و البغض عباره عن نفره الطبع عن المؤلم المتعب،و الحب الذى هو ضدهما عباره عن ميل الطبع إلى الملائم الملذ.

و توضـيح ذلک:أنه لا يتصور حب إلا بعد معرفه و ادراک،و كذلک لا يتصف بالحب جماد و لا يحب الإنسان ما لا يعرفه و لم يدركه،فالحب من خاصيه الحى الدراک،بعد حصول الإدراک بالفعل.

ثم لمـا كـانت المـدركات منقسـمه إلى مـا يوافق طبع المـدارک و يلـذّه،و إلى مـا يخـالفه و يؤلمه،و إلى ما لا يؤثر فيه بالـذاذ و ايلام،فالقسم الأول يكون مرغوبا عند المدرک،و يسمى رغبه،و ميله إليه حبا،و القسم الثانى يكون

۱- ۱) صححنا الحديث على مصباح الشريعه:باب ۹۹،ص ۱۹۳-۱۹۴.

منفورا عنده،و تسمى نفرته عنه كراهه و بغضا،و الثالث لا يوصف بميل و كراهه،فلا يوصف بكونه محبوبا،و لا مكروها.ثم اللذه لما كانت عباره عن ادراك الملائم اللذ و نيله،فالحب الذى هو الميل و الرغبه إليه لا يخلو عن لذه محققه أو خياليه،و على هذا فيمكن أن تعرف المحبه بأنها ابتهاج النفس بادراك الملائم و نيله،هذا فإنك قد عرفت أن المدارك إن كان مما يستحسن حبه شرعا و عقلا،كان كراهته و بغضه من الرذائل و حبه من الفضائل، و إن كان مما يذم حبه،كان بالعكس من ذلك.

فصل (تعلق الحب بجميع القوى)

الحب و الكراهه لما كانا تابعين للادراك،فينقسمان بحسب انقسام القوه المدركه،التى هى الحواس الظاهره،و الحواس الباطنه،و القوه العاقله.

فمن الحب ما يتعلق بالحواس الظاهره،بمعنى أن المحبوب مما هو مدرك و ملذ عندها،كالصور الجميله المرئيه،و النغمات الموزونه،و الروائح الطيبه، و المطاعم النفيسه،و الملبوسات اللينه بالنظر إلى الخمس الظاهره.و منه ما يتعلق بالحواس الباطنه،بمعنى أن المحبوب مما هو مدرك و ملذ عندها، كالصور الملائمه الخياليه،و المعانى الجزئيه الملائمه بالنسبه إلى المتخيله و الواهمه.و منه ما يتعلق بالعاقله،بمعنى أن المحبوب مما هو مدرك و ملذ عندها،كالمعانى الكليه،و الذوات المجرده.و لا ريب فى أن العقلى من الحب و اللذات أقوى اللذات و أبلغها،إذا البصيره الباطنه أقوى من البصيره الظاهره و العقل أقوى إدراكا و أشد غوصا و نفوذا فى حقائق الأشياء و بواطنها من الحس،و جمال المعانى المدركه بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهره الحسنه،فتكون لذه العقل و حبه بما يدركه من الأمور الشريفه الإلهيه التى

جلت عن ادراک الحواس أتم و ابلغ،و لذا جعل رسول اللّه(ص)الصلاه أبلغ المحبوبات عنده فی الدنیا،حیث قال:«حبب إلیّ من دنیاکم ثلاث:

الطیب،و النساء،و جعلت قره عینی فی الصلاه»،فان الالتذاذ بالصلاه لذه عقلیه،کما أن الالتذاذ بالطیب لذه شمیه،و بالنساء نظریه و لمسیه.

فان قیل:حقیقه الإنسان نفسه الناطقه،و لها ثلاث قوی،و هی:

العاقله،و الشهویه،و الغضبیه،و قوی أخری هی:الحواس الظاهره و الحواس الباطنه،و شأن العاقله-کما ذکرت-ادراک المعانی الکلیه،و الحقائق المجرده،و شأن الحواس الظاهره ادراک المبصرات و المسموعات و المشمومات و المذوقات و الملموسات،و شأن الحواس الباطنه ادراک المعانی الجزئیه، و الصور المدرکه بالحواس الظاهره و ضبطها،و من جمله ما یدرک بالحواس ما یتعلق بقوتی الغضب و الشهوه،من الغلبه و الاستیلاء و الوصول إلی المناکح و المطاعم و ضدهما،فالمحب لهذه المدرکات و الملتذ بها ما ذا من النفس و قواها المذکوره،و هل المحب و الملتذ هو المدرک بعینه أو غیره؟ قلنا:المحب و الملتذ أولا فی کل من هذه المدرکات هو المدرک،و ثانیا و بالواسطه هو النفس،إذ کل ادراک یتعلق بإحدی القوی لیصل بالآخره الی النفس،فیحدث فیها ما یقتضیه من اللذه و الألم،إلا أن ما یدرک بالحواس مما یتعلق بقوتی الشهوه و الغضب لا بد أن یصل إلیهما أیضا،فیحصل لهما اللذه أو الألم،و بواسطتهما یصل إلی النفس،فالمدرک أولا للغلبه أو العجز هو الوهم،فیلتذ أو یتألم،ثم یصل منه أثر الإدراک و الالتذاذ و الألم إلی القوه الغضبیه،و یصل منها الأثر إلی النفس فیلتذ أو یتألم،و المدرک للطعم و الریح و اللین و النعومه هی الذائقه و الشامه و اللامسه،فالالتذاذ و التألم لها أولا و بواسطتها للقوه الشهویه،و هذا إن کانت الشهویه قوه علی حده سوی

الذائقه و الشامه و اللامسه و سائر الحواس الظاهره،و إن كانت معنى جنسيا شاملا لجميعها فالامر ظاهر.و بما ذكر ظهر وجه تعلق الحب بجميع القوى.

فصل (اقسام الحب بحسب مباديه)

اعلم ان أسباب الحب و مباديها لما كانت متعدده مختلفه فينقسم الحب لاجلها على أقسام:

الأول-حب الإنسان وجود نفسه و بقاءه و كماله،

و هو أشد اقسام الحب و اقواها،لان المحبه إنما تكون بقدر الملاءمه و المعرفه،و لا شيء أشد ملاءمه لاحد من نفسه،و لا هو بشيء أقوى معرفه منه بنفسه،و لهذا جعلت معرفه نفسه مفتاحا لمعرفه ربه (۱).و كيف لا يكون حب الشيء لذاته أقوى المراتب،مع أن الحب كلما صار أشد جعل الاتحاد بين المحب و المحبوب أوكد و أبلغ؟و أي اتحاد أشد من الوحده و رفع الاثنينيه بالمره،كما بين الشيء و نفسه،فالمحب و المحبوب واحد،و سبب الحب غريزه في الطباع بحكم سنه اللّه:

وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلاً

(۲)

.

و معنى حبه لنفسه كونه محبا لدوام وجوده،و مكرها لعدمه و هلاكه، فالبقاء و دوام الوجود محبوب،و العدم ممقوت،و لذا يبغض كل أحد الموت، لا بمجرد ما يخافه بعده،أو لمجرد ما يلزمه من سكراته،بل لظنه أنه يوجب انعدام كله أو بعضه،و لذا لو اختطف من غير الم و تعب،و اميت من غير ثواب و عقاب،كان كارها لذلك،و كما ان دوام الوجود محبوب فكذلك كمال

۱- ۱) كما قال أمير المؤمنين عليه الصلاه و السّلام:«من عرف نفسه فقد عرف ربه».

۲- ۲) الأحزاب،الآيه:۶۲.الفتح،الآيه:۲۳.

الوجود محبوب،لأن فاقـد الكمال ناقص،و النقص عـدم بالإضافه إلى القـدر المفقود،فالوجود محبوب فى أصل الـذات و بقائه و فى صفات كماله،و العدم ممقوت فيها جميعا.

و التحقيـق:أن المحبـوب ليس إلاـ الوجـود،و المبغـوض ليس إلاـ العـدم، و جميع الصـفات الكمـاليه راجعه إلى الوجود،و جميع النقـائص راجعه إلى العـدم،إلاـ أن كـل فرد من الموجود لمـا كـان له نحو خاص من الوجود،و كانت تماميه نحو وجوده بوجود بعض الصـفات الكماليه التى هى من مراتب الموجودات،فكان وجوده مركب من وجودات متعـدده،فإذا فقـد بعضـها فكأنه فاقد لبعض اجزاء وجوده،و بـذلك يظهر:أن الموجود كلما كان أقوى و كان نحو وجوده أتم،كان اجمع لمراتب الوجودات فى القوه و الشده و العده، و كانت صـفاته الكماليه أقوى و أكثر،لكونها من مراتب الوجودات، فالوجود الواجبى الذى هو التام فوق التمام و القـائم بنفسه المقـوم لغيره ينطـوى فيه جميـع الوجـودات،و يكـون محيطـا بالكـل،ثم محبه الأولاـد من التحقيق يرجع إلى هـذا القسم،لاـن الرجـل إنمـا يحب ولـده و يتحمـل المشاق لاجله، و ان لم يصل منه إليه نفع و حظ،لعلمه بانه خليفته فى الوجود بعد عـدمه، فكـأن بقـاءه نوع بقاء له،فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه و بمنزله جزء منه،لما عجز من الطمع فى بقاء نفسه،و لعـدم كون بقـائه هو بقـاؤه بعينه يكون بقاء نفسه أحب إليه من بقاء ولـده لو كان طبعه باقيا على اعتـداله،و كـذلك حبه لاقـاربه و عشـيرته يرجع إلى حبه لكمـال نفسه،فـانه يرى نفسه كبيرا قويـا لاـجلهم،متجملا بسـببهم،إذ العشـيره كالجناح المكمل للانسان (١).

ص: ١٣٥

١- ١) كما قال أمير المؤمنين-عليه الصـلاه و السّـلام-فى جمله ما أوصـى به ولـده الامام المجتبى-عليهما الصـلاه و السّـلام-:«و أكرم عشـيرتک، فـانهم جناحـک الـذى به تطير،و اصـلک الـذى إليه تصـير،و يـدک التى بهـا تصول»نهـج البلاغه:٣-۶٣،مطبعه الاستقامه،القاهره.

الثانی-حبه لغیره لأجل انه یلتذ منه لذه حیوانیه.

کحب کل من الرجل و المرأه للآخر لأجل الجماع،و حب الإنسان المأکولات و الملبوسات، و السبب الجامع فی هذا القسم هو اللذه،و هو سریع الحصول و سریع الزوال و اضعف المراتب،لخساسه سببه و سرعه زواله.

الثالث-حبه للغیر لأجل نفعه و إحسانه،

فان الإنسان عبد الإحسان، و قد جبلت النفوس علی حب من أحسن إلیها و بغض من أساء إلیها،و لذا قال رسول اللّه(ص):«اللهم لا تجعل لفاجر علیّ یدا فیحبه قلبی».

فالسبب الجامع فی هذا القسم هو النفع و الإحسان،و هذان القسمان عند التحقیق یرجعان إلی القسم الأول،لان المحسن من أمد بالمال و المعونه و سائر الأسباب الموصوله إلی دوام الوجود و کمال الوجود،و سبب اللذه باعث لحصول الحظوظ التی بها یتهیأ الوجود.

و الفرق أن الأعضاء،و الصحه،و العلم،و الطعام،و الشراب،و الجماع محبوبه لان بها کمال وجوده و هی عین الکمال،و أما الطبیب الذی هو سبب الصحه،و العالم الذی هو سبب العلم،و معطی الطعام و الشراب، و المرأه التی هی آله الوقاع:محبوبه لا لذواتها،بل من حیث انها وسائل إلی ما هو محبوب لذاته،فاذن یرجع الفرق إلی تفاوت الرتبه،و الکل یرجع إلی محبه الإنسان نفسه،فمن أحب المحسن لاحسانه فما أحب ذاته تحقیقا،بل أحب إحسانه،و لو زال إحسانه زال حبه مع بقاء ذاته،و لو نقص نقص الحب،و لو زاد زاد.و بالجمله:یتطرق إلی حبه الزیاده و النقصان بحسب زیاده الإحسان و نقصانه.

الرابع-أن یحب الشیء لذاته،

لا لحظ یناله منه وراء ذاته،بل تکون ذاته عین حظه،و هذا هو الحب الحقیقی البالغ الذی یوثق به،و ذلک

كحب الجمال و الحسن،فان كل جمال محبوب عند مدركه،و ذلك لعين الجمال، لأن ادراك الجمال عن اللذه،و اللذه محبوبه لذاتها لا لغيرها.و لا تظنن أن حب الصوره الجميله لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوه،فان قضاء الشهوه لذه حيوانيه قد يحب الإنسان الصور الجميله لأجلها،و أدراك نفس الجمال لذه أخرى روحانيه يكون محبوبا لذاتها.و لا ريب فى أن حب الصور الجميله بالجهه الأولى مذموم،و بالجهه الثانيه ممدوح،و العشق الذى يقع لبعض الناس من استحسان الصور الجميله يكون مذموما إن كان سببه اللذه الشهويه الحيوانيه،و يكون ممدوحا إن كان سببه الابتهاج بمجرد ادراك الجمال،و لأجل التباس السبب فى هذا العشق اختلف العقلاء فى مدحه و ذمه،و كيف ينكر حب الصور الجميله لنفس جمالها من دون قصد حظ آخر،مع أن الخضره و الماء الجارى محبوبان لا لتؤكل الخضره و يشرب الماء،أو ينال منهما حظ سوى نفس الرؤيه،و قد كان رسول اللّه(ص)تعجبه الخضره و الماء الجارى.و الطباع الصافيه السليمه قاضيه باستلذاذ النظر إلى الأنوار و الازهار و الأطيار المليحه الألوان الحسنه النفس المناسبه الشكل،حتى الإنسان لتنفرج عنه الغموم بمجرد النظر إليها من دون قصد حظ آخر منها.و بما ذكرناه ظهر ضعف ظن بعض ضعفاء العقول، حيث زعموا أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته،ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته،و لم يعلموا أن الحسن و الجمال ليس مقصورا على مدركات البصر،و لا على تناسب الخلقه،إذ يقال:هذا صوت حسن،و هذا طعم حسن،و هذا ريح طيب،و ليس شىء من هذه الصفات مدركه بالبصر، و كذا ليس الحسن و الجمال مقصورا على مدركات الحواس،لوجودهما فى غيرها،فان أكثر خصال الخير يدرك بالعقل بنور البصيره الباطنه،إذ يقال:

هذا خلق حسن،و هذا علم حسن،و هذه سيره حسنه،و لا يدرك شىء من هذه

الصفات بالحواس،بل يدرك بالبصيره الباطنه،و كل هذه الخصال المدركه حسنها بالعقل محبوبه بالطبع،و الموصوف بها أيضا محبوب عند من عرف صفاته.

و مما يدل على تحقق الجمال المدرك بالعقل و كونه محبوبا:أن الطباع السليمه مجبوله على حب الأنبياء و الأئمه-عليهم السّلام-مع أنهم لم يشاهدوهم،حتى أن الرجل قد تجاوز حبه لصاحب مذهبه حد العشق،فيحمله ذلك على أن ينفق جميع امواله فى نصره مذهبه و الذب عنه،و يخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى إمامه أو متبوعه،مع أنه لم يشاهد قط صورته و لم يسمع كلامه،فما حمله على الحب هو استحسانه بصفاته الباطنه:من الورع، و التقوى،و التوكل،و الرضا،و غزاره العلم،و الإحاطه لمدارك الدين، و انتهاضه لافاضه علم الشرع،و نشره هذه الخيرات فى العالم،و جملتها ترجع الى العلم و القدره،اذ جميع الفضائل لا تخرج عن معرفه حقائق الأمور و القدره على حمل نفسه عليها بقهر الشهوات،و هما-اعنى العلم و القدره- غير مدركين بالحواس،مع أنهما محبوبان بالطبع.و من الشواهد على المطلوب:

أن الناس لما و صفوا(حاتما)بالسخاء و(انو شيروان)بالعداله،أحبهما القلوب حبا ضروريا،من دون نظرهم إلى صورهما المحسوسه،و من غير حظ ينالونه منهما،بل كل من حكى عنه بعض خصال الخير و صفات الكمال غلب على القلوب حبه،مع عدم مشاهدته و يأس المحبين من انتشار خيره و إحسانه إليهم،و من كانت بصيرته الباطنه أقوى من حواسه الظاهره، و نور العقل اغلب عليه من آثار الحواس الحيوانيه،كان حبه للمعانى الباطنه أكثر من حبه للمعانى الظاهره،فشتان بين من يحب نقشا على الحائط لجمال صورته الظاهره،و بين من يحب سيد الرسل(ص)لجمال صورته الباطنه.

الخامس-محبته لمن بينه و بينه مناسبه خفيه،أو مجانسه معنويه،

ص :١٣٨

فرب شخصين تتأكد المحبه بينهما عن غير ملاحظه جمال،و لا طمع فی جاه و مال،بل بمجرد تناسب الأرواح،كما قال النبی(ص):«الأرواح جنود مجنده،فما تعارف منها ائتلف،و ما تناكر منها اختلف».

السادس-محبته لمن حصل بينه و بينه الألف و الاجتماع فی بعض المواضع،

لا سيما إذا كان من المواضع الغريبه،كالسفن و الاسفار البعيده.

و السبب فيه:كون افراد الإنسان مجبوله على المؤانسه مع التلاقی و الاجتماع، و لكون المؤانسه مركوزه فی طبيعه الإنسان سمی إنسانا،فهو مشتق من الانس دون النسيان-كما ظن-،و المؤانسه لا تنفك عن المحبه،و ربما كان حصول المؤانسه و الحب بين أهل البلد،أو بينهم و بين أهل القرى،أو بين أهل البلاد المتباعده و المواضع المختلفه،من جمله أسرار الأمر بالجمعه و الجماعه و صلاه العيدين،و الحج الباعث لاجتماع عموم الخلائق فی موقف واحد.

السابع-محبته لمن يشاركه فی وصف ظاهر،

كميل الصبی إلى الصبی لصباه،و الشيخ إلى الشيخ لشيخوخته،و التاجر إلى التاجر لتجارته، و هكذا...فان كل شخص مائل إلى من يشاركه فی وصفه و صنعته و شغله و حرفته،و السبب الجامع فيه هو الاشتراك فی الوصف و الصنعه.

الثامن-حب كل سبب و عله لمسببه و معلوله و بالعكس،

فان المعلول لما كان مثالا من العله،و مترشحا عنها و منبجسا منها،و مناسبا لها لكونه من سنخها،فالعله تحبه لأنه فرعها و بمنزله بعض اجزائها التی كانت منطويه فيها،و المعلول يحبها لأنها أصله و بمنزله كله الذی كان محتويا عليه، فكان كلا منهما فی حبه للآخر يحب نفسه.

ثم السبب ان كان عله حقيقيه موجده،تكون سببيه أقوى فی حصول المحبه و الاتحاد مما إذا كان عله معده.فأقوى اقسام المحبه ما يكون للواجب

-سبحانه-بالنسبه إلى عباده،و بعد ذلك لا محبه أقوى من محبه العباد العارفين بالنسبه إليه-سبحانه-،فان محبتهم له من حيث كونه موجدا مخرجا لهم من العدم الصرف إلى الوجود،و معطيا لهم ما احتاجوا إليه فى النشأتين، و من حيث إنه-تعالى-تام فوق التمام فى الذات و الصفات الكماليه،و النفس بذاتها مشتاقه إلى الكمال المطلق،و هذا المحبه فرع المحبه و لا تحصل بدونها، و لذا قال سيد الرسل(ص):«ما اتخذ اللّه وليا جاهلا قط».و حب الأب لابنه و بالعكس نسبه هذا القسم،من حيث إن الأب سبب ظاهر لوجود الابن،و إن لم يكن سببا حقيقيا،بل عله معده له،فيحبه لأنه يراه بمنزله نفسه، و يظنه مثالا من ذاته،و نسخه نقلتها الطبيعه من صورته،و يعد وجوده بمنزله البقاء الثانى لنفسه،فيظنه أنه جزؤه و فى الخلق و الخلق مثله،و كذا كل ما يريد لنفسه من الكمالات يريد أفضله له،و يفرح بترجيحه عليه،و تفضيله عليه عنده بمثابه أن يقال:انه فى الآن أفضل من السابق،و مما يؤكد محبته له:أنه يرجو منه انجاح مقاصده و مطالبه فى حياته و مماته،و ليست محبه الابن للأب كمحبه الأب للابن،بل هو أضعف،لفقد بعض الأسباب الباعثه له،و لذا أمر الاولاد فى الشريعه بحب الآباء دون العكس،و كذا المحبه التى بين المعلم و المتعلم من هذا القسم،لأن المعلم كالسبب القريب للحياه الروحانى للمتعلم و إفاضه الصوره الإنسانيه عليه،كما أن الأب كالسبب لحياته الجسمانيه و رتبته الصوريه،فهو والد روحانى له،و بقدر شرافه الروح على الجسم يكون المعلم أشرف من الأب،و على هذا ينبغى أن تكون محبه المعلم أدون من محبه الموجود الحقيقى و أكثر من محبه الأب،و قد ورد فى الحديث:«ان آباءك ثلاثه:

من ولدك،و من علمك،و من زوجك،و خير الاباء من علمك». و سئل من ذى القرنين:أن أباك أحب إليك أم معلمك؟قال:«معلمى أحب الى،لأنه

سبب لحیاتی الباقیه،و أبی سبب لحیاتی الفانیه».و قال أمیر المؤمنین(ع):

«من علمنی حرفا فقد صیرنی عبدا».و علی هذا ینبغی ان یکون حب النبی (ص)و اوصیائه الراشدین-علیهم السّلام-اوکد من جمیع اقسام الحب بعد محبه اللّه-سبحانه-،لأنه المعلم الحقیقی و المکمل الأول،و لذا قال(ص):

«لا یؤمن أحدکم حتی أکون أحب إلیه من نفسه و أهله و ولده».

التاسع-محبه المتشارکین فی سبب واحد بعضهم لبعض،

کمحبه الاخوان و الأقارب.و کلما کان السبب أقرب کانت المحبه اوکد،و لذا تکون محبه الاخوین أشد من محبه أبناء الاعمام مثلا،و من عرف اللّه و انتساب الکل إلیه،و بلغ مقام التوحید،و عرف النسبه و الربط الخاص الذی بین اللّه و بین مخلوقاته،یحب جمیع الموجودات من حیث اشتراکه معها فی الموجد الحقیقی. ثم قد یجتمع بعض أسباب المحبه أکثرها فی شخص واحد، فیتضاعف الحب،کما لو کان لرجل ولد جمیل الصوره،حسن الخلق،کامل العلم،حسن التدبیر،محسن إلی والده و إلی الخلق،کان حب والده له فی غایه الشده،لاجتماع أکثر أسباب الحب فیه،و ربما أحب شخصا آخر لوجود بعض أسباب الحب فیه من دون عکس،لعدم تحقق سبب من أسباب الحب فیه،و قد تختلف فیهما أسباب الحب،فیحب کل منهما الآخر من جهه،و تکون قوه الحب بقدر قوه السبب،فکلما کان السبب أکثر و أقوی کان الحب أشد و اوکد.

فصل (لا محبوب حقیقه الا اللّه)

اعلم انه لا مستحق للحب غیر اللّه-سبحانه-،و لا محبوب بالحقیقه عند ذوی البصائر الا هو،و لو کان غیره-تعالی-قابلا للحب و موضعا له فانما هو

من حیث نسبته إلیه-تعالی-،فمن أحب غیره-تعالی-لا من حیث نسبته الیه،فذلک لجهله و قصوره فی معرفه اللّه،و کیف یکون غیره-سبحانه- من حیث هو،لا من جهه انتسابه إلیه،مستحقا للحب،و هو فی نفسه مع قطع النظر عنه-تعالی-و عن انتسابه إلیه لیس الا العدم،و العدم کیف یصلح للحب،فینبغی ان یکون حبه لعموم الخلق بعموم النسبه،ای من حیث أنها منه-تعالی-،و آثاره،و معلولاته،و اضوائه و اظلاله،و لخصوص بعض الخواص الذین لهم خصوصیه نسبه إلیه-تعالی-،کالحب،و الانس، و المعرفه،و الاطاعه لخصوص النسبه أیضا.

و مما یوضح المطلوب:ان جمیع أسباب الحب مجتمعه فی حق اللّه-تعالی-، و لا توجد فی غیره حقیقه،و وجودها فی حق غیره و هم و تخیل و مجاز محض لا حقیقه له.

اما السبب الأول-اعنی محبه النفس:فمعلوم ان وجود کل أحد فرع لوجود ربه و ظل له،و لا وجود له من ذاته،بل هو من حیث ذاته لیس محض و عدم صرف،فوجوده و دوام وجوده و کمال وجوده من اللّه و باللّه و إلی اللّه،فهو الموجد المخترع له،و هو المبقی له،و هو المکمل لوجوده بایجاد صفات الکمال فیه،فهو صرف العدم لولا فضل اللّه علیه بالایجاد، و هالک بعد وجوده لو لا فضله علیه بالابقاء،و ناقص بعد بقائه لولا فضله علیه بالتکمیل،فلیس فی الوجود شیء له قوام بنفسه الا القیوم المطلق الذی هو قائم بذاته و مقوم لغیره.و حینئذ،فمحبه کل شیء لنفسه ترجع إلی محبه ربه،و ان لم یشعر المحب به،و کیف یتصور ان یحب الإنسان نفسه و لا یحب ربه الذی به قوام نفسه؟مع ان من أحب الظل أحب بالضروره الأشجار التی بها قوام الظل،و من أحب النور أحب لا محاله

الشمس التی بها قوام النور،و کل ما فی الوجود بالإضافه إلی قدره اللّه-تعالی- کالظل بالإضافه إلی الشجر و النور بالإضافه إلی الشمس،اذ الکل من آثار قدرته،و وجوده تابع لوجوده،کما ان وجود الظل تابع لوجود الشخص، و وجود النور تابع لوجود الشمس،بل هذا المثال انما هو للتفهم،و بالإضافه إلی اوهام العوام،حیث یتوهمون ان الظل و النور تابعان للشخص و الشمس و فایضان عنهما،و عند التحقیق لیس الظل و النور أثرین للشخص و الشمس و موجودین بهما،بل هما فایضان من اللّه-تعالی-،موجودان به بعد حصول الشرائط، کما ان أصل الشخص و الشمس و شکلهما و صورتهما و سائر صفاتهما منه-تعالی- و اما السبب الثانی،و الثالث-اعنی الالتذاذ و الإحسان،سواء کان متعدیا إلی المحب أم لا:فمعلوم انه لا لذه و لا إحسان الا من اللّه-تعالی-، و لا محسن سوی اللّه،فانه خالق الإحسان و ذویه،و فاعل أسبابه و دواعیه، و کل محسن فهو حسنه من حسنات قدرته و حسن فعاله،و قدره من بحار کماله و أفضاله.

و اما الرابع-اعنی الحسن و الجمال و الکمال:فلا ریب فی انه-تعالی- هو الجمیل بذاته و الکامل بذاته،و هو الجمال الخالص،و الکمال المطلق، و حقیقتهما منحصره به-تعالی-،و ما یوجد فی غیره-تعالی-من الجمال و الکمال لا یخلو عن شوائب الخلل و النقصان،اذ النقص شامل لجمیع الممکنات و انما تتفاوت فی درجات النقص.و قد عرفت ان الجمال المعنوی أقوی من الجمال الصوری،و من کان من أهل البصیره و الکمال یکون حبه للجمال الباطن المعنوی أکثر و أقوی من حبه للجمال الصوری،و حقیقه الجمال المعنوی الذی هو وجوب الوجود،و کمال العلم و القدره،و الاستیلاء علی الکل،و استناد الجمیع إلیه،منحصر باللّه-تعالی-،فإذا کان الجمال

المشوب بالنقص محبوبا،فكيف لا يكون الجمال الخالص البحت الذی لا يتصور جمال فوقه محبوبا،بل المحبوب حقيقه ليس الا هو.

بادهٔ خاك آلودتان مجنون كند

صاف اگر باشد ندانم چون كند (۱)

علی ان كل جميل بالجمال الظاهر الصوری،او بالجمال الباطن المعنوی، رشحه من رشحات جماله،و كل كامل فكماله فرع كماله،فكل من أحب جميلاـ أحب خالقه و ما أحب أحدا غير اللّه-تعالی-،لكنه احتجب عنه تحت وجوه الاحباب و استار الأسباب،هذا مع ان عمده جمال المخلوقين انما هو علمهم باللّه و بصفاته و افعاله،و قدرتهم علی الصلاح نفوسهم بازاله الرذائل و الخبائث الشهويه المانعه عن التقرب إلی اللّه-تعالی-،و باتصافهم بمعالی الصفات و شرائفها المقربه إلی اللّه،و علی إصلاح عباد اللّه بالارشاد و السياسه،و معلوم ان هذه الأمور اضافات إلی اللّه-سبحانه-،فحبها يرجع إلی حبه-تعالی-.

و اما الخامس-اعنی المناسبه الخفيه و المجانسه المعنويه:فلا ريب فی ان للنفس الناطقه الإنسانيه مناسبه مجهوله خفيه مع باريها و موجدها،اذ هی شعله من شعلات جلاله،و بارقه من بوارق جماله،و لذا قال اللّه-سبحانه-:

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی

(۲)

.و قال: إِنِّی جٰاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِيفَةً (۳).

اذ لم يستحق آدم خلافه اللّه لا بتلك المناسبه،و بهذه المناسبه ينقطع العبد إلی ربه،و يعرفه عند ابتلائه بمصيبه و بليه،و هذه المناسبه لا تظهر

۱- ۱) ان خمركم الملوث بالغبار يجننی!! فلست ادری ما هو مفعوله ان كان صافيا؟!!

۲- ۲) بنی أسرائيل،الآيه:۸۵.

۳- ۳) البقره:الآيه:۳۰.

ظهورا تاما إلا بالمواظبه على النوافل بعد احكام الفرائض،كما قال اللّه -تعالى-:«لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه،فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به،و بصره الذى يبصر به،و لسانه الذى ينطق به».و هذا موضع تزل فيه الاقدام،حتى وقع قوم فى التشبيه الظاهر،و آخرون فى الحلول و الاتحاد،و أهل الحق الذين انكشفت لهم استحاله التشبيه و الاتحاد، و فساد طرفى التفريط و الإفراط،و اتضحت لهم حقيقه السر،و عرفوا تلك المناسبه و استقاموا عليها:هم الاقلون.ثم من المناسبه الظاهره التى بين العبد و بين ربه هو قرب العبد من اللّه فى الصفات الربوبيه و الأخلاق الإلهيه:

كالعلم،و البر،و الإحسان،و اللطف،و إفاضه الخير و الحرمه على الخلق، و إرشادهم إلى الحق...الى غير ذلك من الصفات الإلهيه،و لذا قيل:

تخلقوا باخلاق اللّه.و لا ريب فى ان ذلك يقرب العبد إلى اللّه،و يصيره مناسبا له.و اما العليه و المعلوليه فالامر فيه ظاهر،و باقى الأسباب أسباب ضعيفه نادره،اعتبارها فى حق اللّه نقص.

و قد ظهر مما ذكر:أن أسباب الحب بجملتها متظاهره فى حق اللّه-تعالى- تحقيقا لا مجازا،و فى أعلى الدرجات لا ادناها.ثم كل من يحب أحدا من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته إياه فى السبب.

و الشركه نقصان فى الحب،لا يتصف أحد بوصف محبوب إلا و يوجد شريك له فيه،و اللّه-سبحانه-هو الذى لا يشاركه غيره فى اوصاف الكمال و الجمال،لا وجودا و لا امكانا،فلا جرم لا يكون فى حبه شركه،فلا يتطرق إليه نقصان،كما لا تتطرق الشركه و النقصان إلى اوصاف كماله،فهو المستحق لاصل المحبه و كمالها،و لا متعلق للمحبه إلا هو،إلا انه لا يعرف ذلك إلا العارفون من أوليائه و احبائه،كما قال سيد الشهداء(عليه السّلام)

فی دعاء عرفه بقوله:«و أنت الذی ازلت الاغیار عن قلوب احبائک،حتی لم یحبوا سواک،و لم یلجأوا إلی غیرک».

تکمیل (الشهود التام هو نهایه درجات العشق)

قد صرح اساطین الحکمه:«ان الأشیاء المختلفه لا یمکن ان یحصل بینها تشاکل و تآلف تام حتی یحصل بینها الاتحاد و المحبه،و اما الأشیاء المتماثله المتشاکله فیشتاق بعضها إلی بعض و یسر بعضها ببعض،و یحصل بینها التآلف و الحب و الوحده و الاتحاد».

و التوضیح:ان الجواهر البسیطه لتشاکلها و تماثلها یحن بعضها إلی بعض فیحصل بینها التآلف التام،و التوحد الحقیقی فی الذوات و الحقائق،بحیث یرتفع عنها التغایر و الاختلاف،إذ التغایر من لوازم المادیه.و اما المادیات فلا یمکن ان یحصل بینها هذا التآلف و التوحد،و لو حصل بینهما تآلف و شوق،فانما هو بتلاقی السطوح و النهایات دون الحقائق و الذوات،و لیس یمکن ان یبلغ مثل هذه الملاقاه إلی درجه الاتحاد و الاتصال فیحصل بینها الانفصال.فالجوهر البسیط المودع فی الإنسان-اعنی النفس الناطقه-اذا صفی عن الکدورات الطبیعیه،و تطهر عن الاخباث الجسمانیه،و تخلی عن حب الشهوات و العلائق الدنیویه،انجذب بحکم المناسبه إلی عالم القدس، و حدث فیه شوق تام إلی اشباهه من الجواهر المجرده،و یرتفع منها إلی ما هو فوق الکل و منبع جمیع الخیرات،فیستغرق فی مشاهده الجمال الحقیقی، و مطالعه جمال الخیر المحض،و ینمحی فی أَنوار تجلیاته القاهره،و یصل إلی مقام التوحید الذی هو نهایه المقامات،فیفیض علیه من أَنواره ما لا عین رأت،و لا إذن سمعت،و لا خطر علی خاطر،فیحصل له من البهجه و اللذه

ما یضـمحل عنده کل بهجه و لذه،و النفس التی بلغت هذا المقام لا یتفاوت حالها کثیرا فی حالتی التعلیق بالبدن و التجرد عنه،إذ استعمال القوی البـدنیه لاـ یصـدها عن ملاـحظه الجمـال المطلق،و مـا یحصل لغیرها من السـعاده فی الآخره یحصل لها فی هـذه النشأه:

امروز در آن کوش که بینا باشی

حیران جمال آن دلارا باشی

شرمت بادا چو کودکان در شب عید

تا چند در انتظار فردا باشی؟

[۱] نعم،الشـهود التـام،و الابتهاج الصافی عن الشوب،یتوقف علی تجردها الکلی عن البـدن،فانها و إن لا حظت بنور البصـیره فی هـذه النشـأه جمـال الوحـده الصـرفه،إلا أن ملاحظتها لا تخلو عن شوائب الکـدره الناشـیه من الطبیعه، فالصـفاء التام یتوقف علی التجرد الکلی،و لذا تشتاق أبدا إلی رفع هذا الحجاب،و یقول:

حجاب چهرهٔ جان میشود غبار تنم

خوشا دمی که از این چهره پرده بر فکنم

چنین قفس نه سرای چو من خوش الحانی است

روم بروضهٔ رضوان که مرغ آن چمنم

[۲]

و هـذه المحبه نهـايه درجات العشق،و غايه الكمال المتصوره لنوع الإنسان،و ذروه مقامات الواصـلين،و غايه مراتب الكاملين،فما بعـدها مقام إلا و هو ثمره من ثمراتها،كالانس و الرضا و التوحيـد،و لا قبلها مقام إلا و هو مقدمه من مقدماتها،كالصبر و الزهد و سائر المقامات،و هذا العشق هو الذى افرط العرفاء و أرباب الذوق فى مدحه،و بالغوا فى الثناء عليه نثرا و نظما.

و صرحوا بأنه غايه الاتحاد و الكمال المطلق،و لا كمال إلا هو،و لا سعاده الا به،كما قيل:

عشق است هر چه هست بگفتيم و گفته اند

عشقت بوصل دوست رساند بضرب دست

[۱] و قيل:

جز محبت هر چه بردم سود در محشر نداشت

دين و دانش عرض كردم كس بچيزى بر نداشت[۲]

فصل (سريان الحب فى الموجودات)

أكـثر اقسـام المحبـه فطريـه طـبيعيه،كمحبه المتنـاسبين و المتجانسـين،و العله و المعلـول،و محبه الجمـال و غير ذلـك،و الاـرادى الكسبى منهـا قليـل،كمحبه المتعلم للمعلم،و ربمـا أمكن ارجـاعه أيضـا إلى الطبيعى.و إذا كـان الحب طبيعيـا فالاتحاد الـذى من مقتضياته يكون أيضا طبيعيا،فيكون لذلك أفضل من

العداله التی تقتضی الاتحاد الصناعی.ثم مع وجود المحبه لا ـ حاجه إلی العداله إذ هی فرع الکثره المحوجه إلی الاتحاد القشری،فمع وجود الاتحاد الطبیعی لا ـ یقع الاحتیاج إلیه،و قد صرح قدماء الحکمه بأن قوام الموجودات و انتظامها بالمحبه،و المحبه الفطریه ثابته بینها،و لیس شیء من الموجودات خالیا عنها کما أنه لیس شیء منها خالیا عن الوجود و الوحده،و قد صرّحوا بأنه کل الوحده،فهو سار فی جمیع الکائنات:من الأفلاک و العناصر و المرکبات،إذ الحب و الشوق إلی التشبه بالفاعل رقص الأفلاک و ادار رحاها، (بسم اللّه مجراها و مرساها) و الحب هو سبب میل العناصر إلی اجسادها الطبیعیه، و میل المرکبات بعضها إلی بعض:

سرّ حب ازلی بر همه اشیا ساریست

ورنه بر گل نزدی بلبل بیدل فریاد

[۱] ثم لما کانت المحبه التی هی ظل الوحده مقتضیه للبقاء و الکمال،و ضدها موجبا للفساد و الاختلال،و لکل منهما مراتب و درجات،فتختلف الموجودات بحسبها فی درجات الکمال و النقصان.و المتأخرون خصصوا الحب بذوی العقول،فلا یطلقون اسم الحب علی میل العناصر إلی مراکزها و میل المرکبات بعضها إلی بعض،کمیل الحدید إلی المغناطیس،و لا اسم الکراهه و البغض علی المنافره التی بینها،کمنافره الحجر الباغض الحل من الحل،بل یسمونها بالمیل و الهرب،و کذا الموافقه و المعاداه اللتین بین العجم من الحیوانات،لا یطلقون علیها اسم الحب و البغض،بل یسمونها بالألف و النفره.

فصل (رد المنكرين لحب اللّه)

قد ظهر مما ذكر:ثبوت حقيقه المحبه و لوازمها من الشوق و الانس للّه -تعالى-،و أنه المستحق للحب دون غيره،و بذلك ظهر فساد زعم من أنكر إمكان حصول محبه العبد اللّه-تعالى-و قال:«لا معنى لها إلا المواظبه على طاعه اللّه،و اما حقيقه المحبه فمحال الا مع الجنس و المثل».

و لما أنكروا المحبه،أنكروا الأنس و الشوق و لذه المناجاه و سائر لوازم الحب و توابعه،و يدل على فساد هذا القول-مضافا إلى ما ذكر-إجماع الأمه على كون الحب للّه و لرسوله فرضا،و ما ورد في الآيات و الأخبار و الآثار من الأمر به و المدح عليه،و اتصاف الأنبياء و الأولياء به،و حكايات المحبين،و قد بلغت من الكثره و الصراحه حدا لا يقبل الكذب و التأويل، فمن شواهد القرآن قوله-تعالى-:

يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ

(۱)

.و قوله: وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ (۲).و قوله-تعالى-: قُلْ إِنْ كٰانَ آبٰاؤُكُمْ وَ أَبْنٰاؤُكُمْ وَ إِخْوٰانُكُمْ وَ أَزْوٰاجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ...

-الى قوله-: أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ... الى آخر الآيه (۳).

و أما الاخبار الوارده و الآثار،فقد قال رسول اللّه(ص):«لا يؤمن

۱- ۱) المائده،الآيه:۵۷.

۲- ۲) البقره،الآيه:۱۶۵.

۳- ۳) التوبه،الآيه:۲۵.

أحدكم حتى يكون اللّه و رسوله أحب إليه مما سواهما».و قال(ص):«الحب من شروط الايمان».و قال(ص):«احبوا اللّه لما يغدوكم به من نعمه، و احبونى لحب اللّه».و قد نظر(ص)الى بعض أصحابه مقبلا و عليه اهاب كبش،فقال(ص):«انظروا إلى هذا الرجل الذى قد نور اللّه قلبه،لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام و الشراب،فدعاه حب اللّه و حب رسوله إلى ما ترون». و قال(ص)فى دعائه:«اللهم ارزقنى حبك و حب من يحبك و حب من يقربنى إلى حبك،و اجعل حبك أحب الى من الماء البارد». و فى الخبر المشهور:«ان إبراهيم(ع)قال لملك الموت،اذ جاءه لقبض روحه:هل رأيت خليلا يميت خليله؟فأوحى اللّه-تعالى-اليه:

هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه؟فقال:يا ملك الموت:الآن فاقبض».

و أوحى اللّه إلى موسى(ع):«يا ابن عمران!كذب من زعم انه يحبنى فإذا جنه الليل نام عنى،اليس كل محب يحب خلوه حبيبه،ها انا ذا يا ابن عمران مطلع على احبائى،اذا جنهم الليل حولت أبصارهم إلى من قلوبهم،و مثلت عقوبتى بين أعينهم،يخاطبونى عن المشاهده،و يكلمونى عن الحضور،يا ابن عمران!هب لى من قلبك الخشوع،و من بدنك الخضوع،و من عينك الدموع فى ظلم الليل،فانك تجدنى قريبا». و روى:«ان عيسى(ع)مرّ بثلاثه نفر قد نحلت أبدانهم و تغيرت الوانهم،فقال لهم:ما الذى بلغ بكم ما أرى؟فقالوا:الخوف من النار،فقال:حق على اللّه ان يؤمن الخائف.

ثم جاوزهم إلى ثلاثه أخرى،فإذا هم أشدّ نحولا و تغيرا،فقال لهم:ما الذى بلغ بكم ما أرى؟فقالوا:الشوق إلى الجنه،فقال:حق على اللّه ان يعطيكم ما ترجون.ثم جاوزهم إلى ثلاثه أخرى،فإذا هم أشد نحولا و تغيرا،كأن على وجوههم المرايا من النور،فقال:ما الذى بلغ بكم ما أرى؟قالوا:حب

اللّه-عز و جل-،فقال:انتم المقربون».و فی بعض الروایات:«انه(ع) قال للطائفتین الأولیین:مخلوقا خفتم،و مخلوقا رجوتم.و قال للطائفه الثالثه:

انتم أولیاء اللّه حقا،معکم أمرت ان أقیم». و قال رسول اللّه(ص):«ان شعیبا(ع)بکی من حب اللّه-عز و جل-حتی عمی،فرد اللّه علیه بصره،ثم بکی حتی عمی،فرد اللّه علیه بصره،فلما کانت الرابعه أوحی اللّه إلیه:یا شعیب! الی متی یکون هذا ابدا منک،ان یکن هذا خوفا من النار فقد أجرتک،و ان یکن شوقا إلی الجنه فقد أبحتک.فقال:إلهی و سیدی!أنت تعلم انی ما بکیت خوفا من نارک،و لا شوقا إلی جنتک،و لکن عقد حبک علی قلبی، فلست اصبر او اراک.فاوحی اللّه:اما إذا کان هذا هکذا سأخدمک کلیمی موسی بن عمران».و روی:«انه جاء اعرابی إلی النبی(ص)فقال:

یا رسول اللّه!متی الساعه؟فقال(ص):ما اعددت لها؟قال:ما اعددت لها کثیر صلاه و لا صیام،إلا انی أحب اللّه و رسوله،فقال له النبی:المرء مع من أحب». و فی اخبار داود:«قل لعبادی المتوجهین إلی محبتی:ما ضرکم إذا احتجبتم عن خلقی إذ رفعت الحجاب فیما بینی و بینکم حتی تنظروا الی بعیون قلوبکم،و ما ضرکم ما زویت عنکم من الدنیا إذ بسطت دینی لکم، و ما ضرکم مسخطه الخلق إذ التمستم رضای».و فیها أیضا:«یا داود!انک تزعم انک تحبنی،فان کنت تحبنی فاخرج حب الدنیا عن قلبک،فان حبی و حبها لا یجتمعان فی قلب».و قال أمیر المؤمنین(ع)فی دعاء کمیل:«فهبنی یا الهی و سیدی و مولای و ربی صبرت علی عذابک،فکیف اصبر علی فراقک؟». و قال -علیه السّلام-:«ان للّه-تعالی-شرابا لأولیائه،اذا شربوا سکروا،و إذا سکروا طربوا،و إذا طربوا طابوا،و إذا طابوا ذابوا،و إذا ذابوا خلصوا، و إذا خلصوا طلبوا،و إذا طلبوا وجدوا،و إذا وجدوا و صلوا،و إذا وصلوا

اتصلوا،و إذا اتصلوا لا ـ فرق بينهم و بين حبيبهم» (۱). و قال سيد الشهداء فی دعاء عرفه:«أنت الذی أزلت الأغيار عن قلوب احبائک حتی لم يحبوا سواک و لم يلجأوا إلی غيرک».و قال(ع):«يا من أذاق احباءه حلاوه المؤانسه فقاموا بين يديه متملقين».و فی المناجاه الانجيليه المنسوبه إلی سيد الساجدين(ع):«و عزتک!لقد أحببتک محبه استقرت فی قلبی حلاوتها، و انست نفسی ببشارتها،و محال فی عدل أقضيتک أن تسد أسباب رحمتک عن معتقدی محبتک».و فی مناجاته الأخری:«إلهی فاجعلنا من الذين توشحت اشجار الشوق إليک فی حدائق صدورهم،و أخذت لوعه محبتک بمجامع قلوبهم»...ثم قال:«و الحقنا بعبادک الذين هم بالبدار إليک يسارعون، و بابک علی الدوام يطرقون،و إياک فی الليل و النهار يعبدون،و هم من هيبتک مشفقون،الذين صفيت لهم المشارب،و بلغتهم الرغائب،و انجحت لهم المطالب،و قضيت لهم من وصلک المآرب،و ملأت لهم ضمائرهم من حبک، و رويتهم صافی شرابک،فبک إلی لذيذ مناجاتک وصلوا،و منک علی أقصی مقاصدهم حصلوا»...ثم قال:«فقد انقطعت إليک همتی،و انصرفت نحوک رغبتی،فأنت لا غيرک مرادی،و لک لا سواک سهری و سهادی.

و لقاؤک قره عينی،و وصلک منی نفسی،و إليک شوقی،و فی محبتک و لهی، و إلی هواک صبابتی،و رضاک بغيتی،و رؤيتک حاجتی،و حوارک طلبی، و قربک غايه مسألتی،و فی مناجاتک روحی و راحتی،و عندک دواء علتی، و شفاء غلتی،و برد لوعتی،و کشف کربتی»...ثم قال:«و لا تقطعنی عنک،و لا تباعدنی منک،يا نعيمی و جنتی!و يا دنيای و آخرتی!».

و قال(ع)أيضا:«إلهی!من ذا الذی ذاق حلاوه محبتک فرام منک بدلا،

ص: ۱۵۳

۱- ۱) لم نعثر علی مصدر لهذه الروايه فی کتب أصحابنا الإماميه-رضوان اللّه عليهم-.

و من ذا الـذی أنس بقربـک فابتغی عنک حولا،إلهی!فاجعلنی ممن اصـطفیته لقربک و ولایتک،و أخلصـته لودک و محبتک،و شوقته إلی لقائک،و رضیته بقضائک،و منحته بالنظر إلی وجهک،و حبوته برضاک،و أعذته من هجرک»...ثم قال:«و هیمت قلبه لارادتک،و اجتبیته لمشاهـدتک، و اخلیت وجهه لک،و فرغت فؤاده لحبک»...ثم قال:«اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتیاح إلیک و الحنین،و دهرهم الزفره و الأنین،و جباههم ساجده لعظمتک،و عیونهم ساهره فی خدمتک،و دموعهم سائله من خشیتک و قلوبهم معلقه محبتک،و افئدتهم منخلعه من مهابتک.یا من أَنوار قدسه لأبصار محبیه رائقه،و سبحات نور وجهه لقلوب عارفیه شائقه!یا منی قلوب المشتاقین،و غایه آمال المحبین!أسألک حبک و حب من یحبک و حب کل عمل یوصل إلی قربک،و أن تجعلک أحب إلی ممن سواک». و قال(ع) أیضا:«إلهی!ما ألـذ خواطر الإلهام بذکرک علی القلوب،و ما أحلی المسیر الیک فی مسالک الغیوب،و ما أطیب طعم حبک،و ما أعذب شرب قربک».

و قال(ع)أیضا:«و غلتی لا یبردها إلا وصلک،و لوعتی لا یطفیها إلا لقاؤک و شوقی إلیک لا یبله إلا النظر إلی وجهک،و قراری لا یقر دون دنوی منک، و لهفتی لا یردها إلا روحک،و سقمی لا یشفیه الا طبک،و غمی لا یزیله لا قربک،و جرحی لا یبرؤه إلا صفحک،و رین قلبی لا یجلوه إلا عفوک، و وسواس صدری لا یزیحه إلا أمرک» (۱). و قال الصادق(ع):«حب اللّه إذا أضاء علی سر عبد أخلاه عن کل شاغل و کل ذکر سوی اللّه،و المحب أخلص الناس سرا للّه،و أصدقهم قولا،و أوفاهم عهدا،و أزکاهم عملا،

۱- ۱) صححنا فقرات المناجاه الانجیلیه و المناجاه الأخری علی(البحار) باب أدعیه المناجاه:مج ۱۹-۱۰۷-۱۱۴،ط امین الضرب.

و أصـفاهم ذكرا،و اعبـدهم نفسـا،تتبـاهى الملائكه عنـد مناجاته،و تفتخر برؤيته،و به يعمر اللّه بلاده،و بكرامته يكرم اللّه عباده،و يعطيهم اذا سـألوه بحقه،و يـدفع عنهم البلايـا برحمته،و لو علم الخلق مـا محله عنـد اللّه و منزلته لـديه ما تقربوا إلى اللّه إلا بتراب قـدميه». و قـال امير المؤمنين(ع):«حب اللّه نـار لا يمر على شـیء إلا احترق،و نور اللّه لا يطلع على شـیء الا اضاء،و سـماء اللّه ما ظهر من تحته شـیء إلاـ غطـاه، و ريـح اللّه ما تهب فی شـیء الا حركته،و ماء اللّه يحيی به كل شـیء،و ارض اللّه ينبت منها كل شیء،فمن أحب اللّه أعطاه كل شیء من الملك و الملك».

و قـال النبی(ص):«إذا أحب اللّه عبـدا من أمتی قـذف فی قلوب اصـفيائه و ارواح ملاـئكته و سـكان عرشه محبته ليحبوه،فـذلك المحب حقا،طوبی له ثم طوبی له!و له عند اللّه شـفاعه يوم القيامه» (۱).الی هنا كلام الصادق -عليه السّـلام-.و ما ورد فی الحب من الاخبـار و الأـدعيه المعصـوميه أكـثر من أن يحصـی،و حكايـات العشـاق و المحـبين لـم تبلغ من الكـثره و التواتر حـدا يمكن إنكـاره، و قـد روی:«أن داود-عليـه السّـلام-سأل ربـه أن يريـه بعض أهـل محبتـه،فقـال له:أنت جبـل لبنـان،فـان فيه أربعه عشـر نفسـا،فيهم شـبان و كهول و مشايـخ،و إذا أتيتهم فـاقرأهم منی السّـلام،و قـل لهم:يقول ربكم:ألا تسألونی حاجه،فانكم احبائی و اصـفيائی و أوليـائی،افرح لفرحكم و اسـارع إلی محبتكم.فاتاهم داوود،فوجـدهم عنـد عين من العيون، يتفكرون فی عظمه اللّه و ملكوته،فلما نظروا إلی داود،نهضوا ليتفرقوا عنه، فقال لهم داود:انا رسول اللّه إليكم،جئتكم لا بلغكم رساله ربكم.فاقبلوا

۱- ۱) صححنا الأحاديث الثلاثه علی(مصباح الشريعه)-الباب السابع و التسعون،ص ۱۹۳.

نحوه،و القوا اسماعهم نحو قوله،و القوا أبصارهم إلى الأرض،فقال داوود:ربكم يقرؤكم السّلام،و يقول لكم:ألا تسألونى حاجه،ألاّ تنادونى فاسمع صوتكم و كلامكم؟فانكم احبائى و اصفيائى و أوليائى،افرح لفرحكم و اسارع إلى محبتكم،و انظر إليكم فى كل ساعه نظر الوالده الشفيقه الرفيقه.و لما قال داود ذلك جرت الدموع على خدودهم،و سبح اللّه كل واحد منهم و مجده،و ناجاه بكلمات تدل على احتراق قلوبهم من الحب و الشوق».

فصل (معرفه اللّه أقوى سائر اللذات)

قد عرفت ان الحب هو الميل إلى الشيء الملذ الملائم للمدرك و الابتهاج بادراك الملائم و نيله،و اللذه هى نفس ادراك الملائم الملذ و نيله،و هذا الإدراك إن كان متعلقا بالقوه العاقله-اى ان كان المدرك هو القوه العاقله- عبر عنه بالعلم و المعرفه،و قد عرفت انه أقوى و أشد و أشرف من الادراكات الحسيه،التى هى الابصار و الاستماع و الذوق و الشم و اللمس.

ثم هذا الإدراك-اعنى العلم و المعرفه-يختلف أيضا فى الشرافه و الكمال بحسب شرافه المدرك،أى المعلوم.فكلما كان المدرك اجل و أشرف كان الإدراك-اى المعرفه به-اجل و أعلى.و لا ريب فى ان الواجب -سبحانه-أشرف الموجودات و اجلها.فالمعرفه به أعلى المعارف و اشرفها.

و يثبت من ذلك:ان اجل اللذات و اعلاها هو معرفه اللّه-تعالى-و النظر الى وجهه الكريم،و لا يتصور ان يؤثر عليها لذه أخرى الا من حرم هذه اللذه. و بيان ذلك بوجه أوضح:ان اللذات تابعه للادراكات،و الإنسان جامع لجمله من القوى و الغرائز،و لكل قوه و غريزه لذه،و لذتها عباره عن نيلها مقتضى طبعها الذى خلقت له،فغريزه الغضب لما خلقت

للتشـفی و الانتقام،فلا جرم لذتها فی الغلبه و الانتقام،و غریزه الشـهوه لما خلقت لتحصیل الغذاء الذی به القوام،فلا جرم لذتها فی نیل الغذاء، و کذلک لذه السـمع و البصـر و الشم فی الاسـتماع و الابصار و الاستشـمام، و غریزه العقل المسـماه بالبصیره الباطنیه خلقت لتعلم بها حقائق الأشـیاء کلها،فلذتها فی العلم و المعرفه،و العلم لکونه منتهی الکمال و أخص صفات الربوبیه،یکون أقوی اللذات و الابتهاجات،و لذلک یرتاح الطبع إذا أثنی علیه بالذکاء و غزاره العلم،لأنه یستشـعر عند سـماع الثناء کمال ذاته و جمال علمه،فیعجب بنفسه،و یلتذ به.

و التحقیق:ان الإدراک و النیل الذی هو الکمال لیس إلا العلم،و سائر الادراکات-اعنی نیل الغلبه و الغذاء و الاسـماع و الابصار و الاستشـمام-لا تعـد کمالات.ثم لیست لـذه کل حلو واحده،فان لذه العلم بالحراثه و الخیاطه و الحیاکه لیست کلذه العلم بسیاسـه الملک و تدبیر أمور الخلق،و لا لذه العلم بالنحو و الشـعر و التواریخ کلذه العلم باللّه و بصـفاته و ملائکته و ملکوت السماوات و الأـرض،بل لـذه العلم بقـدر شـرف العلم،و شـرف العلم بقـدر شـرف المعلوم،فان کان فی المعلومات ما هو الأشـرف و الأجل و الأعظم و الأکمل، فالعلم به ألذ العلوم و اشـرفها و اکملها و اطیبها،و لیت شـعری هل فی الوجود شیء أعلی و أجمل و أشرف و اکمل من خالق الأشـیاء کلها و قیومها،و مکملها و مربیها،و مبـدئها و معیدها،و مدبرها و مرتبها؟!و هل یتصور أن یکون أحد فی الملـک و الکمال و العظمه و الجلال و القـدره و الجمال و الکبریاء و البهاء أعظم ممن ذاته فی صـفات الکمال و نعوت الجلال فوق التمـام،و قـدرته و عظمته و ملکه و علمه غیر متنـاهیه؟فـان کنت لاـ تشک فی ذلک،فینبغی الا تشک فی أن لـذه المعرفه به أقوی من سائر اللذات لمن له البصیره الباطنه و غریزه

المعرفه،فان اللذات مختلفه بالنوع أولاـ كمخالفه لذه الوقاع و لذه السماع، و لذه المعرفه و لذه الرئاسه،و كل نوع مختلف بالضعف و القوه،كمخالفه لذه الشبق المغتلم (۱)من الجماع،و لذه الفاتر الشهوه منه،و كمخالفه لذه النظر إلى الوجه الجميل و لذه النظر إلى الوجه الاجمل،و مخالفه لذه العلم باللغات و لذه العلم بالسماويات،و إنما يعرف أقوى اللذتين من اضعفهما بأن يؤثر عليه،فان المخير بين النظر إلى صوره جميله و بين استنشاق روايح طيبه، اذا اختار الأول كان عنده الذهن الثانى،و المخير بين الأكل و اللعب بالشطرنج،اذا اختار الثانى كانت لذه الغلبه فى الشطرنج أقوى عنده من لذه الأكل،و هذا معيار فى الكشف عن ترجيح اللذات.

و حينئذ نقول:لا ريب فى ان المعانى و اللذات الباطنه اغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهره،فلو خير الرجل بين لذه أكل المطاعم الطيبه و لذه الرئاسه و الاستيلاء،فان كان عالى الهمه كامل العقل،اختار الرئاسه و ترك الأكل،و صبر على الجوع أياما كثيره فضلا عن مده قليله.نعم،ان كان خسيس الهمه ميت القلب،ناقص العقل و البصيره،كالصبى و المعتوه، ربما اختار لذه الأكل،و فعل مثله ليس حجه.ثم كما ان لذه الرئاسه و الكرامه اغلب و أرجح من اللذات الحسيه عند من جاوز نقصان الصبى و السفاهه،فكذلك لذه المعرفه باللّه و مطالعه جمال الحضره الربوبيه الذعنده من لذه الرئاسه،بشرط أن يكون ممن ذاق اللذتين و ادركهما،فلو كان ممن لم يذق لذه المعرفه باللّه لم يكن أهلا للترجيح و محلا للكلام،لاختصاص لذه المعرفه بمن نال رتبتها و ذاقها،و لا يمكن إثبات ذلك عند من ليس له

۱- ۱) الغلمه-وزان غرفه-:شده الشهوه.و غلم غلما:من باب تعب، اذا اشتد شبقه.المغتلم:المنقاد للشهوه.

قلب،کما لا تثبت لـذه الابصار عنـد الأعمی،و لـذه الاسـتماع عنـد الأصم، و لـذه الوقاع عنـد العنین،و لـذه الرئاسه عنـد الصبی و المعتوه،و لیت شـعری من لاـ یفهم إلاـ حب المحسوسات کیف یؤمر بلـذه النظر إلی وجه اللّه-تعالی- و لیس له شـبه و شـکل و صـوره؟فحقیقه الحـال کمـا قیـل:«من ذاق عرف»، فمن ذاق اللـذتین یـترک لـذه الرئـاسه قطعـا،و یسـتحقر أهلهـا لکونهـا مشـوبه بالکـدورات و مقطوعه بـالموت،و یختـار لـذه المعرفه بـاللّه،و مطـالعه صـفاته و افعـاله،و نظام مملکته من أعلی علیین إلی اسـفل السـافلین،فانهـا خالیه عن الانقطاع و المکـدرات،متسـعه للمتواردین علیها،لا تضـیق بکثرتهم دائما، و عرضـها من حیث التفهیم و التمثیل أعظم من السـماوات و الأرض،و من حیث الواقع و نفس الامر فلا نهایه لعرضـها،فلا یزال العارف بمطالعتها و مشاهـدتها فی جنه غیر متنـاهیه الأطراف و الاقطار،یرتع فی ریاضـها، و یکرع (۱)فی حیاضـها،و یقطع من اثمارها،و هو آمن من انقطاعها،إذ ثمارهـا غیر مقطـوعه و لاـ ممنوعه،بـل هی أبـدیه سـرمدیه لاـ یقطعهـا الموت،إذ الموت لاـ یهـدم النفس النـاطقه الـتی هی محل المعرفه،و إنما یقطع شواغلها و عوائقها و یخلیها من جنسها،فاذن جمیع أقطار ملکوت السماوات و الأرض،بل أقطار عالم الربوبیه التی هی غیر متنـاهیه،میـدان للعارفین، یتبوءون منها حیث یشاؤن،من غیر حاجه إلی حرکه اجسامهم،و من غیر ان یضـیق بعضـهم علی بعض أصلا،إلا انهم یتفاوتون فی سعه میادینهم بحسب تفاوتهم فی اتساع الأنظار و سعه المعارف:

وَ لِکُلٍّ دَرَجٰاتٌ مِمّٰا عَمِلُوا

(۲)

.

۱- ۱) کرع-من باب نفع-:هو الشرب بفیه من موضعه.

۲- ۲) الانعام،الآیه:۱۳۲،الاحقاف،الآیه:۱۹.

و لا يدخل فى الحصر تفاوت درجاتهم،و من عرف هذه اللذه انمحت هحومه و شهواته،و صار قلبه مستغرقا بنعيمها،و لا يشغله عن اللّه خوف النار و لا رجاء الجنه،فكيف تشغله عنه لذات الدنيا و علائقها،و كان فى الدنيا و الآخره مشغولا بربه،فلو القى فى النار لم يحسّ به لاستغراقه،و لو عرض عليه نعيم الجنه لم يلتفت إليه لكمال نعيمه و بلوغه الغايه التى ليس فوقها غايه،و لعل سيد الرسل(ص)عبر عن هذه اللذه-اى لذه مطالعه جمال الربوبيه-حيث قال حاكيا عن اللّه-سبحانه-:«أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت،و لا إذن سمعت،و لا خطر على قلب بشر».و هذه اللذه هى المراده من قوله-تعالى-:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ (١).

و ربما تعجل بعض هذه اللذات لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغايه،و مع ذلك لا يخلو عن توسط بعض الحجب المانعه عن الوصول إلى كنهها،ما لم يحصل التجرد الكلى و خلع البدن العنصرى،و لذلك قال بعضهم:إنى أقول:«يا رب يا اللّه!فاجد ذلك اثقل على قلبى من الجبال،لأن النداء يكون من وراء حجاب،و هل رأيت جليسا ينادى جليسه؟!».ثم من عرف اللّه و عرف حقيقه هذه اللذه،عرف أن اللذات المقرونه بالشهوات المختلفه منطويه تحت هذه اللذه،كما قيل:

كانت لقلبى أهواء مفرقه

فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى

فصار يحسدنى من كنت أحسده

و صرت مولى الورى مذ صرت مولائى

تركت للناس دنياهم و دينهم

شغلا بذكرك يا دينى و دنيائى

١- ١) السجده،الآيه:١٧.

فصل (تحقق رؤيه اللّه فی الآخره و لذه لقائه)

اعلم ان معرفه اللّه إذا حصلت فی الدنیا لم تکن خالیه عن کدره ما-کما أشیر إلیه-،إلا أنه إذا اکتسب أصلها فی الدنیا فیزیدها فی الآخره انکشافا و جلاء بقدر صفاء القلوب و زکائها و تجردها عن العلائق الدنیویه،الی أن یصیر اجلی و اظهر من المشاهده بمراتب،فالاختلاف بین ما یحصل فی الدنیا من المعرفه و ما یحصل فی الآخره من المشاهده و اللقاء إنما هو بزیاده الانکشاف و الجلاء.

مثال ذلک:ان من رأی إنسانا،ثم غض بصره،وجد صورته حاضره فی خیاله کأنه ینظر إلیها،و لکن إذا فتح العین و أبصر،أدرک تفرقه بین حالتی غض العین و فتحها،و لا ترجع التفرقه إلی اختلاف بین بین الصورتین لاتحادهما،بل الافتراق انما هو بمزید الکشف و الوضوح،فالصوره المتخیله صارت بالرؤیه أتم انکشافا،فإذا الخیال اول الإدراک،و الرؤیه استکمال لادراک الخیال،و هی غایه الکشف،لا لأنها فی العین،بل لو خلق اللّه هذا الإدراک الکامل المتجلی فی الصدر او الجبهه او ای عضو فرض استحق ان یسمی رؤیه. و إذا فهمت هذا فی المتخیلات-أی المدرکات التی تدخل فی الخیال من الصور و الاجسام-فقس علیه الحال فی المعلومات -ای ما یدرک بالعقل-،و لا یدخل فی الخیال کذات الباری،و کل ما لیس بجسم،کالعلم و القدره و الاراده و غیرها،فان لمعرفتها و ادراکها أیضا درجتین:إحداهما:اولی،و الثانیه:استکمال لها،و بینهما من التفاوت فی مزید الکشف و الایضاح ما بین المتخیل و المرئی،فتسمی الثانیه بالإضافه الی الأولی لقاء و مشاهده و رؤیه،و هذه التسمیه حق،لان الرؤیه سمیت

رؤیـه لأنهـا غـایه الکشـف،و کمـا ان سـنه اللّه جـاریه بـأن تطبـق الاجفـان یمنـع مـن تمـام الکشـف الـذی هـو الرؤیـه فی المتخیلات،فکـذلک سـنته ان النفس مـا دامت محجـوبه بالبـدن و عـوارضه و شـهواته،لم یحصـل لهـا تمـام الکشف الـذی هی المشاهـده و اللقـاء فی المعلومات الخارجیه عن الخیال،فإذا ارتفع بالموت حجاب البـدن،و خلصت النفس،لم یکن بعـد فی غایه التنزه عن کـدورات الـدنیا،بـل کـانت ملوثه بهـا،الا ـ ان النفوس مختلفه فی ذلـک:فمنهـا:مـا تراکم علیه الخبث و الصـدی،فصـار کالمرآه التی فسد بطول تراکم الخبث جوهرها، فلا تقبل الإصلاح و التصقیل.و هؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الآباد.

نعوذ باللّه من ذلک، و منها:ما لم ینته إلی حـد الرین و الطبع،و لم یخرج عن قبول التزکیه و التصـقیل،و هـذه النفوس غیر متناهیه الدرجات و المراتب.

اذ المتلوث بالکـدورات عرض عریض فی(الواقع)بین الرین و الطبع، و بین التزکیه التامه و التجرد الکلی الـذی لم یکن فیه شوب من الکدورات.

و هـذه النفوس المتلوثه علی اختلاف درجاتها و مراتبها تحتاج إلی التطهیر لتسـتعد للمشاهده و اللقاء بتجلی الحق فیها،و تطهیرها انما هو بنوع عقوبه من العقوبات الأخرویه.و هی کمراتب التلوث غیر متناهیه الدرجات اولها سـکره الموت،و آخرها الدخول فی النـار،و مـا بینهمـا عقوبـات الـبرزخ و أهـوال القیـامه بانواعهـا،فکـل نفس لا ـ بـد لهـا مـن عقـوبه مـن هـذه العقوبـات لتتطهر من کـدورتها:فمنهـا:ما یتطهر بمجرد سـکره الموت و شـده النزع، و منها:ما یتطهر بها،و ینقص عقوبات البرزخ،و منها:ما لا یتطهر إلا بأن یـذوق بعض عقوبات الآخره،و منها ما لا یحصل تطهیره إلا بالعرض علی النار عرضا یقمع منها الخبث الذی تدنست به.فربما کان ذلک لحظه حقیقه، و ربما کان سبعه آلاف سنه-کما وردت به الأخبار-و ربما کان أقل

أو أكثر،و لا يعلم تفصيل ذلك الا اللّه-سبحانه-،و المحجوبون الذين بلغوا حد الرين و الطبع يكونون مخلدين فى النار.

ثم النفوس القابله للتطهير إذا اكمل اللّه تطهيرها و تزكيتها،و بلغ الكتاب أجله،استعدت حينئذ لصفائها و نقائها عن الكدورات لأن تتجلى فيها جليه الحق،فتتجلى فيها تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافه إلى ما علمته و عرفته كانكشاف تجلى المرئيات بالإضافه إلى المتخيلات،و هذه المشاهده و التجلى تسمى رؤيه،لأنه فى الظهور و الجلاء و الوضوح و الانكشاف كالرؤيه بالبصر،بل هو فوقه بمراتب شتى،اذ الرائى فى الأول العقل، و فى الثانى البصر،و شتان ما بينهما،فان الاختلاف فى مراتب الإدراك و الرؤيه بحسب اختلاف نوريه المدرك،و أى نسبه لنوريه البصر إلى نوريه العقل و اشراقه،و ما للعقل من النفوذ فى حقائق الأشياء و بواطنها أنى يكون للبصر.

و قد ظهر مما ذكر:أنه لا يفوز بدرجه الرؤيه و المشاهده الا العارفون فى الدنيا،لان المعرفه هى البذر الذى ينقلب فى الآخره مشاهده،كما تنقلب النواه شجره و البذر زرعا،و من لا نواه له كيف يحصل له النخل،و من لم يلق البذر كيف يحصد الزرع،فمن لم يعرف اللّه فى الدنيا فكيف يراه فى الآخره،و من لم يجد لذه المعرفه فى الدنيا فلا يجد لذه النظر فى العقبى،اذ لا يستأنف لاحد فى الآخره ما لم يصحبه فى الدنيا،فلا يحصد المرء الا ما زرع،و لا يحشر الا على ما مات عليه،و لا يموت الا على ما عاش عليه.

و لما كانت المعرفه على درجات متفاوته،يكون التجلى أيضا على درجات متفاوته،فاختلاف التجلى بالإضافه إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافه إلى اختلاف البذور،اذ يختلف لا محاله،بكثرتها،و قلتها،

و جودتها،و رداءتها،و ضعفها.ثم كلما كان التجلى و المشاهده أقوى، كان ما يترتب عليه من حب اللّه و الانس به أشد و أقوى،و كلما كان الحب و الانس أزيد،كان ما يترتب عليه من البهجه و اللذه أعلى و أقوى،و تبلغ هذه اللذه مرتبه لا تؤثر عليها لذه أخرى من نعيم الجنه،بل ربما بلغت حدا تتأذى من كل نعيم سوى لقاء اللّه و مشاهدته،فالنعمه و البهجه فى الجنه بقدر حب اللّه،و حب اللّه بقدر معرفته،فاصل السعادات هى المعرفه التى عبر الشرع عنه ب(الايمان).

فان قيل:اللقاء و المشاهده ان كانت زياده كشف للمعرفه حتى تتحقق بين لذه الرؤيه و لذه المعرفه نسبه،لكانت لذه اللقاء و الرؤيه قليله،و ان كانت اضعاف لذه المعرفه،اذ هى فى الدنيا ضعيفه.فتضاعفها إلى أى حد فرض لا ينتهى فى القوه،الا ان يستحقر فى جنبها سائر لذات الجنه و نعيمها قلنا:هذا الاستحقار و التقليل للذه المعرفه باعثه عدم المعرفه أو ضعفها،فان من خلا عن المعرفه،أو كانت له معرفه ضعيفه و قلبه مشحون بعلائق الدنيا لا يدرك لذتها،فمن كملت معرفته و صفت عن علائق الدنيا سريرته،قويت بهجته و اشتدت لذته بحيث لا توازنها لذه،فان للعارفين فى معرفتهم و فكرتهم و مناجاتهم للّه-عز و جل-ابتهاجات و لذات لو عرضت عليهم الجنه و نعيمها فى الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوها بها.ثم هذه اللذه مع كمالها لا نسبه لها أصلا إلى لذه اللقاء و المشاهده،كما لا نسبه للذه خيال المعشوق إلى رؤيته،و لا للذه استنشاق روائح الأطعمه الطيبه إلى ذوقها و اكلها،و لا للذه اللمس باليد إلى لذه الوقاع.

و مما يوضح ذلك،ان لذه النظر إلى وجه المعشوق تتفاوت بامور:

أحدها-كمال جمال المعشوق و نقصانه.

و ثانیها-کمال قوه الحب و الشهوه و ضعفه.

و ثالثها-کمال الإدراک و ضعفه،فان الالتذاذ برؤیه المعشوق فی ظلمه،أو من بعد،أو من وراء ستر رقیق،لیس کالالتذاذ برؤیته علی قرب من غیر ستر عند کمال الضوء.

و رابعها-عدم الآلام الشاغله و العوائق المشوشه و وجودها،فان التذاذ الصحیح الفارغ المتجرد للنظر إلی المعشوق لیس کالتذاذ الخائف المذعور او المریض المتألم،او المشغول قلبه بهم من المهمات،فلو کان العاشق ضعیف الحب،ناظرا إلی معشوقه علی بعد و من وراء ستر رقیق، مشغول القلب بمهمات،مجتمعه علیه حیات و عقارب تؤذیه و تلذعه،لم یکن خالیا عن لذه ما فی هذه الحاله من مشاهده معشوقه،إلا أنه إذا فرض ارتفاع الستر و اشراق الضوء،و اندفاع الحیات و العقارب المؤذیه،و فراغ قلبه من المهمات،و حدوث عشق مفرط،و شهوه قویه،بحیث بلغت أقصی الغایات،تضاعفت لذته،بحیث لم تکن للذته الأولی نسبه إلیها بحجه.

فکذلک الحال فی نسبه لذه المعرفه فی الدنیا مع حجاب البدن و الاشتغال بمهماته،و مع تسلط حیات الشهوات و عقاربها:من الجوع،و العطش، و الشبق،و الغضب،و الحزن،و الهم،و مع ضعف النفس و قصورها و نقصانها فی الدنیا عن التشوق إلی الملأ الأعلی لالتفاتها إلی اسفل السافلین إلی لذه اللقاء و المشاهده التی یندفع فیها جمیع ذلک عن النفس،فالعارف لعدم خلوه فی الدنیا عن هذه العوائق و المشوشات و ان قویت معرفته لا یمکن ان تکمل لذته و تصفو بهجته،و ان ضعفت عوائقه و مشوشاته فی بعض الأحوال و بقی سالما،لاح له من جمال المعرفه ما تعظم لذته و بهجته و یدهش عقله، بحیث یکاد القلب یتفطر لعظمته،الا ان ذلک کالبرق الخاطف،و لا یمکن

ان یـدوم،اذ الخلو عن العوائق و المشوشات لیس یمکن ان یدوم،بل هو آنی،و یعرض بعد الآن من الشواغل و الافکار و الخواطر ما یشوشه و ینقصه،و هـذه ضـروره قائمه فی هـذه الحیاه الفانیه.فلا تزال هـذه اللذه منقصه إلی الموت.و انما الحیاه الطیبه بعده،و انمـا العیش عیش الآخره، فان الـدار الآخره لهی الحیوان لو کانوا یعلمون.و لـذا کل عارف کملت معرفته فی الـدنیا و أحب لقاء اللّه یحب الموت و لا یکرهه،الا من حیث إرادته زیاده استکمال فی المعرفه،فان المعرفه-کما عرفت-بمنزله البذر.و کلما کثرت المعرفه بـاللّه و بصـفاته و بأفعـاله و بأسـرار مملکته قویت المشاهـده و اشـتدت،و کثر النعیم فی الآـخره و عظم،کما انه کلما کثر البـذر و حسن کثر الزرع و حسن،و لاـ ریب فی ان المعرفه لاـ تنتهی إلی مرتبه لا تکون فوقها مرتبه،اذ بحر المعرفه لا ساحل له.و الإحاطه بکنه جلال اللّه محال.فالعارف و ان قویت معرفته،ربما أحب طول العمر و کره الموت لتزداد معرفته.

ثم أهـل السـنه قـالوا:«ان الرؤیه فی الآـخره مـع تنزهها عن التخیـل و التصـور و التقـدیر بالشـکل و الصوره و التحدیـد بـالجهه و المکـان:تکون بـالعین دون القلب»:(و هو عنـدنا باطـل):اذ الرؤیه بـالعین محال فی حق اللّه -تعالی-،سواء کانت فی الـدنیا او فی الآـخره،فکمـا لا تجوز رؤیه اللّه -سـبحانه-فی الـدنیا بالعین و البصـر،فکـذلک لا تجوز فی الآخره،و کما تجوز رؤیته فی الآخره بالعقـل و البصـیره لاهل البصائر-اعنی غایه الانکشاف و الوضوح بحیث تتأدی إلی المشاهـده و اللقاء-فکـذلک تجوز رؤیته فی الـدنیا بهـذا المعنی،و الحجاب بینه و بین خلقه لیس إلا الجهل و قله المعرفه دون الجسـد،فان العارفین و أولیاء اللّه یشاهدونه فی الدنیا فی جمیع أحوالهم

و منصرفاتهم،و إن كـان الحاصـل فى الآخره أزيـد انكشافـا و أشـد انجلاء بحسب زياده صـفاء النفوس و زكائها و مجردها عن العلائق الـدنيويه-كما تقـدم مفصـلا-،و قـد ثبت ذلك من أئمتنا الراشدين العارفين بأسـرار النبوه، روى شـيخنا الأقدم(محمد بن يعقوب الكلينى)و شـيخنا الصـدوق(محمـد بن على بن بابويه)-رحمهما اللّه-باسـنادهما الصـحيح عن الصادق(ع):«أنه سـئل عما يروون من الرؤيه،فقال:الشـمس جزء من سـبعين جزء من نور الكرسـى، و الكرسـى جزء من سبعين جزء من نور العرش.و العرش جزء من سـبعين جزء من نور الحجـاب،و الحجـاب جزء من سـبعين جزء من نور الستر،فان كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من نور الشـمس ليس دونهـا سـحاب» .و باسـنادهما عن أحمـد بن إسـحاق قـال:«كتبت إلى أبى الحسن الثـالث(ع)أسأله عن الرؤيه و ما اختلف فيه الناس،فكتب:لا تجوز الرؤيه ما لم يكن بين الرائى و المرئى هواه ينفذه البصر،فإذا انقطع الهواء عن الرائى و المرئى لم تصـح الرؤيه و كان فى ذلك الاشـتباه،لأن الرائى متى ساوى المرئى فى السـبب الموجب بينهما فى الرؤيه وجب الاشـتباه،و كان ذلك التشبيه،لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات».

و عن أبى بصـير عن الصـادق(ع)قـال:«قلت له:أخبرنى عن اللّه-عز و جل- هل يراه المؤمنون يوم القيامه؟قال:نعم!و قـد رأوه قبل يوم القيامه.فقلت:

متى؟قال:حين قال لهم:ألست بربكم،قالوا:بلى...ثم سكت ساعه، ثم قال:و إن المؤمنين ليرونه فى الدنيا قبل يوم القيامه،ألست تراه فى وقتك هذا؟!قال أبو بصير:فقلت له:جعلت فداك!فاحدث بهذا عنك؟ فقال:لا!فانك إذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله،ثم قدر أن ذلك تشبيه كفر،و ليست الرؤيه بالقلب كالرؤيه بالعين،تعالى اللّه عما يصـفه المشبهون و الملحدون». و سئل أمير المؤمنين(ع):«هل رأيت ربك حين

عبدته؟فقال:ویلک!ما کنت أعبد ربا لم أره.قیل:و کیف رأیته؟ قال:ویلک!لا تدرکه العیون فی مشاهده الأبصار،و لکن رأته القلوب بحقائق الایمان» (۱). و قال سید الشهداء(ع).«کیف یستدل علیک بما هو فی وجوده مفتقر إلیک،أ یکون لغیرک من الظهور ما لیس لک،حتی یکون هو المظهر لک،متی غبت حتی تحتاج إلی دلیل یدل علیک،و متی بعدت حتی تکون الآثار هی التی توصل إلیک؟عمیت عین لا تراک علیها رقیبا،و خسرت صفقه عبد لم تجعل من حبک نصیبا!»،و قال(ع)أیضا:«تعرفت لکل شیء فما جهلک شیء»،و قال:«و أنت الذی تعرفت إلی فی کل شیء، فرأیتک ظاهرا فی کل شیء،و أنت الظاهر لکل شیء» (۲).و أمال ذلک مما ورد عنهم-علیهم السّلام-أکثر من أن تحصی.

فصل (الطریق إلی الرؤیه و اللقاء)

الطریق إلی تحصیل محبه اللّه و تقویتها ثم استعداد الرؤیه و اللقاء أمران:

أحدهما-تطهیر القلب من شواغل الدنیا و علائقها،و التبتل إلی اللّه بالذکر و الفکر،ثم إخراج حب غیر اللّه من القلب،إذ القلب مثل الإناء الذی لا یسع الماء-مثلا-ما لم یخرج منه الخل.و ما جعل اللّه لرجل من قلبین فی جوفه،و کمال الحب فی أن یحب اللّه بکل قلبه،و ما دام یلتفت إلی غیره،فزاویه من قلبه مشغوله بغیره،و بقدر ما یشتغل بغیر اللّه ینقص منه حب اللّه،إلا أن یکون التفاته إلی الغیر من حیث إنه صنع اللّه-تعالی-و فعله،و مظهر

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(أصول الکافی):الجزء الأول،باب إبطال الرؤیه.و علی(الوافی):۱-۶۹،باب إبطال الرؤیه.

۲- ۲) صححنا فقرات دعاء عرفه علی(مفاتیح الجنان):ص ۲۷۲-۲۷۴، طبعه الکراوری.

من مظاهر أسماء اللّه-تعالى-،و إلى هذا التجريد و التفريد الإشاره بقوله-تعالى-:

قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ

(۱)

و ثانيهما-تحصيل معرفه اللّه و تقويتها و توسيعها و تسليطها على القلب، و الأول،اعنى قطع العلائق،بمنزله تنقيه الأرض من الحشائش،و الثانى، أى المعرفه،بمنزله البذر فيها،ليتولد منه شجر المحبه.

ثم لتحصيل المعرفه طريقان:

أحدهما-الأعلى،و هو الاستدلال بالحق على الخلق،و ذلك بأن يعرف اللّه باللّه،و به يعرف غيره،أى افعاله و آثاره،و إلى هذا أشير فى الكتاب الإلهى بقوله:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

(۲)

.

و هذا الطريق غامض،و فهمه صعب على الأكثرين.و قد اشرنا إلى كيفيته فى بعض كتبنا الالهيات.

و ثانيهما-و هو الادنى،الاستدلال بالخلق على الحق-سبحانه-، و هذا الطريق فى غايه الوضوح،و أكثر الافهام يتمكن من سلوكه،و هو متسع الأطراف،و متكثر الشعوب و الاكناف،إذ ما من ذره من أعلى السماوات إلى تخوم الأرضين إلا و فيها عجائب آيات و غرائب بينات، تدل على وجود الواجب و كمال قدرته و غايه حكمته و نهايه جلاله و عظمته، و ذلك مما لا يتناهى.

قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّى لَنَفِدَ

۱- ۱) الانعام،الآيه:۹۱.

۲- ۲) فصلت،الآيه:۵۳.

اَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّی

(۱)

.

و عدم وصول بعض الافهام من هذا الطریق إلی معرفه اللّه مع وضوحه، انما هو للاعراض عن التفکر و التدبر و الاشتغال بشهوات الدنیا و حظوظ النفس.ثم سلوک هذا الطریق،أی الاستدلال علی اللّه-تعالی-و علی کمال قدرته و عظمته،بالتفکیر فی الآیات الآفاقیه و الأنفسیه،خوض فی بحار لا ساحل لها،إن عجائب ملکوت السماوات و الأرض مما لا یمکن أن تحیط به الأفهام،فان القدر الذی تبلغه افهامنا القاصره من عجائب حکمته الباهره تنقضی الاعمار دون إیضاحه،و لا نسبه لما أحاط به علمنا إلی ما أحاط به علم العلماء،و لا نسبه له إلی ما أحاط به علم الأنبیاء،و لا نسبه له إلی ما أحاط به الخلائق کلهم،و لا نسبه له إلی ما استأثر اللّه بعلمه،بل کلما عرفه الخلائق جمیعا لا یستحق أن یسمی علما فی جنب علم اللّه،و نحن قد اشرنا إلی لمعه یسیره من عجائب حکمته المودعه فی بعض مخلوقاته فی مبحث التفکر.

فصل (تفاوت المؤمنین فی محبه اللّه)

اعلم ان المؤمنین جمیعا مشترکون فی أصل محبه اللّه لاشتراکهم فی أصل الایمان،و لکنهم متفاوتون فی قدرها،و سبب تفاوتهم أمران:

أحدهما-اختلافهم فی المعرفه و حب الدنیا،فان أکثر الناس لیس لهم من معرفه اللّه إلا ما قرع اسماعهم من کونه متصفا بصفات کذا و کذا،من دون وصول إلی حقیقه معناها،و إلی اعتقادهم بأن الموجودات المشاهده

۱- ۱) الکهف،الآیه:۱۱۰.

صادره عنه،من غیر تـدبر فی عجائب القـدره و غرائب الحکمه المودعه فیها و اما العارفون،فلهم الخوض فی بحر التفکر و التـدبر فی أنواع المخلوقات.

و اسـتخراج ما فیها من الحکم الخفیه،و المصالح العجیبه،التی کل واحد منها کمشـعله فی إزاله ظلمه الجهل،و الهدایه إلی کمال عظمه اللّه،و نهـایه جلالـه و کبریـائه،فمثل الأکثرین کمثل عامی أحب عالما بمجرد اسـتماعه انه حسن التصـنیف،من دون علم و درایه بمـا فی تصـانیفه،فتکون له معرفه مجمله، و یکون له بحسـنه میـل مجمـل،و مثـل العارفین کمثل عالم فتش عن تصانیفه، و اطلع علی ما فیها من دقائق المعانی و بلاغه العبارات،و لا ریب فی أن العالم بجملته صنع اللّه و تصـنیفه،فمن عرف ذلک مجملا تکون له بحسـبه محبه مجمله، و من وقف علی مـا فیه من عجـائب القـدره و دقائق الحکمه تکون له غایه الحب، و کلما ازدادت معرفته بوجوه الحکم و المصالـح المودعه فی کل مخلوق ازداد حبه، فمن اعتقـد أن ما تبنیه النحل من البیوت المسـدسه إنما هو بالهام اللّه-تعالی- ایاها،من غیر اسـتعداد لفهم الحکمه فی اختیار الشـکل المسدس علی سائر الأشـکال،لا یکون فی معرفه اللّه و ادراک عظمته و حکمته کمن یفهم ذلـک و یتیقنه.ثم کمـا أن دقـائق الحکم و عجائب القـدره غیر متناهیه،و لا یمکن لاحـد ان یحیط بها،و إنما ینتهی کل إلی ما یسـتعد له،فینبغی أن تکون مراتب الحب أیضا غیر متناهیه،و کل عبد ینتهی إلی مرتبه تقتضیها معرفته.

و ثانیهما-اختلافهم فی الأسـباب المـذکوره للحب،فان من یحب اللّه لکونه منعما علیه و محسـنا إلیه،ضـعفت محبته لتغیرها بتغیر الانعام و الإحسان و لا یکون حبه فی حاله البلاء کحبه فی حاله الرجاء و النعماء.و أما من یحبه لـذاته،أو بسـبب کماله و جماله و مجده و عظمته،فانه لا یتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إلیه.

فصل (الواجب اظهر الموجودات)

عجبا لاقوام عميت قلوبهم عن معرفه اللّه-سبحانه-،مع أن اللّه -تعالى-أظهر الموجودات و أجلاها،لان البديهه العقليه قاضيه بأنه يجب أن يكون فى الوجود موجود قائم بذاته،أى ما هو صرف الوجود،و لولاه لم يتحقق موجود أصلا،فتحقق صرف الوجود القائم بذاته المقوم لغيره أظهر و أجلى من تحقق كل موجود بغيره عند البصيره الصافيه،قال اللّه-سبحانه-:

اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ

(۱)

.

و النور هو الظاهر لنفسه المظهر لغيره،و مبدأ الإدراك من المدرك إنما هو الوجود،فكلما ادركته إنما تدرك أولا وجوده،و إن لم تشعر بذلك.و لا ريب فى أن الظاهر لنفسه أظهر من الظاهر بغيره،و أيضا كل موجود سوى اللّه-سبحانه-يعلم وجوده بقليل من الآثار،فان وجود الحياه لزيد-مثلا-لا يدل عليه إلا حركته و تكلمه و بعض أخر من اعراض نفسه،و لا يدل عليه شىء آخر من سائر الموجودات،و كذا وجود السماء-مثلا-لا يدل عليه سوى وجود ظهور جسمها و حركتها، و لا يدل عليه شىء آخر من الموجودات التى تحتها و فوقها.

و أما وجود الواجب-تعالى-فيدل عليه كل شىء،إذ ليس فى الوجود مدرك محسوس او معقول،و حاضر او غائب،إلا و هو شاهد و معرف لوجوده،فالسبب فى خفائه مع كونه أجلى و أظهر من كل شىء غايه وضوحه

۱- ۱) النور،الآیه:۳۵.

و ظهوره،فان شده ظهور الشیء قد یکون سببا لخفائه،لانه یکل المدارک و یحسرها،فشده ظهوره-سبحانه-بلغت حدا بهرت العقول و ادهشتها، فضعفت عن ادراکه.و هذا کما ان الخفاش یبصر باللیل و لا یبصر بالنهار، لا لخفاء النهار و استتاره،بل لشده ظهوره و ضعف بصر الخفاش،فان بصره ضعیف یبهره نور الشمس إذا اشرق،فتکون قوه ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره،فلا یری شیئا إلا إذا امتزج بالضوء الظلام و ضعف ظهوره،فکذلک عقولنا ضعیفه،و جمال الحضره الإلهیه فی نهایه الإشراق و الاستناره،و فی غایه الاستغراق و الشمول،حتی لم تشذ عن ظهوره ذره من ملکوت السماوات و الأرض،فصار ظهوره سبب خفائه،فسبحان من احتجب باشراق نوره،و اختفی عن العقول و البصائر بشده ظهوره!و لا تتعجب من اختفاء شیء بسبب شده ظهوره،فان الأشیاء إنما تستبان باضدادها،و ما عم وجوده حتی لا ضد له عسر ادراکه.فلو اختلفت الأشیاء،فدل بعضها علی اللّه-تعالی-دون بعض،ادرکت التفرقه علی قرب،و لما اشترکت فی الدلاله علی نسق واحد،اشکل الأمران،و مثاله نور الشمس المشرق علی الأرض فانا نعلم أنه عرض من الأعراض یحدث فی الأرض،و یزول عند غیبه الشمس،فلو کانت الشمس دائمه الإشراق لا غروب لها،لکنا نظن أن لا هیئه فی الأجسام إلا ألوانها،و هی السواد و البیاض و غیرهما،و أما الضوء فلا تدرکه وحده،لکن لما غابت الشمس و اظلمت المواضع أدرکنا تفرقه بین الحالتین،فعلمنا أن الاجسام قد استضاءت بضوء فارقها عند الغروب،فعرفنا وجود النور بعدمه.و ما کنا نطلع علیه لولا عدمه إلا بعسر شدید،و ذلک لمشاهدتنا الأجسام متشابهه غیر مختلفه فی النور و الظلام هذا مع أن النور أظهر المحسوسات،إذ به تدرک سائر المحسوسات،فما هو

ظاهر فی نفسه مظهر لغیره انظر کیف استبهم امره بسبب ظهوره لو لا طریان ضده، فاذن واجب الوجود لذاته هو اظهر الأشیاء،و به ظهرت الأشیاء کلها، و لو کان له عدم أو غیبه أو تغیر،لانهدت السماوات و الأرض،و بطل الملک و الملکوت،و ادرکت التفرقه بین الحالتین،و لو کان بعض الأشیاء موجودا به،و بعضها موجودا بغیره،لادرکت التفرقه بین الشیئین فی الدلاله،و لکن دلالته عامه فی الأشیاء علی نسق واحد،و وجوده دائم فی الأحوال یستحیل خلافه،فلا جرم أورثت شده ظهوره خفاء کما قیل:

خفیّ لافراط الظهور تعرضت

لادراکه أبصار قوم أخافش

و حظ عیون الزرق من نور وجهه

لشدته حظ العیون العوامش

قال أمیر المؤمنین(ع):«لم تحط به الاوهام،بل تجلی لها بها،و بها امتنع منها».و قال(ع):«ظاهر فی غیب،و غائب فی ظهور».و قال(ع):

«لا تجنه البطون عن الظهور،و لا تقطعه الظهور عن البطون،قرب فنأی، و علا فدنا،و ظهر فبطن،و بطن فعلن،و دان و لم یدن»:أی ظهر و غلب و لم یغلب.و من هناک قیل:«عرفت اللّه بجمعه بین الأضداد».

فصل (علائم محبه اللّه)

محبه العبد للّه-سبحانه-له علامات:

الأولی-أن یحب لقاءه بطریق المشاهده و العیان فی دار السّلام،و لتوقفه علی الموت یحب الموت و یتمنیه،إذ کل من یحب شیئا یحب لقاءه و وصله، و إذا علم أنه یمتنع الوصول إلیه إلا بالارتحال من الدنیا بالموت لاحب الموت لا محاله،و کیف یثقل علی المحب أن یسافر من وطنه إلی مستقر محبوبه لیتنعم بمشاهدته،و لذا قال(حذیفه)عند موته:«حبیب جاء علی فاقه،لا أفلح

اليوم من ندم».قال بعض الأكابر:«لا يكره الموت إلا مريب،لان الحبيب لا يكره لقاء الحبيب على كل حال».

ثم من يكره الموت،فان كانت كراهته له لحب الدنيا و التأسف على فراق الأهل و الاولاد و الأموال،و كان حبه للدنيا و تأسفه على مفارقتها فى غايه الكمال،بحيث لم يحب الموت و لم يسر قلبه أصلا بما يترتب عليه من لقاء اللّه -تعالى-،و لم يجد فى قلبه شوقا إليه مطلقا،فلا ريب فى كون مثل هذه الكراهه منافيا لاصل الحب،و لو لم يكن حبه للدنيا فى غايه الكمال،بحيث لم يجد فى قلبه ميلا- إلى ما يترتب على الموت من لقاء اللّه،بل كان محبا للدنيا إلا أنه كان له شوق إلى لقاء اللّه-تعالى-أيضا،او كان لذلك كراهته للموت ضعيفه،فمثل هذا الحب للدنيا ينافى كمال حب اللّه،لان الحب الكامل هو الذى يستغرق كل القلب،و لا يبعد أن تكون معه شائبه ضعيفه من حب اللّه، فان الناس متفاوتون فى حب اللّه،فمنهم من يحبه بكل قلبه،و منهم من لا يحبه بكل قلبه،بل يحب معه غيره أيضا من الأهل و الولد و المال،فلا جرم يكون فرحه بلقاء اللّه عند القدوم عليه على قدر حبه و كراهته لفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها،و إن كانت كراهته للموت لأجل إرادته الاستعداد و التهيؤ للقاء اللّه،و مشاهدته بتحصيل زياده العلم و العمل،لا لحب الأهل و المال، و لا للتأسف على فراق الدنيا،فهو لا يدل ضعف الحب و لا ينافى أصله،و هو كالمحب الذى وصل إليه خبر قدوم حبيبه،فأحب أن يتأخر قدومه ساعه ليعمر داره و يفرشها و يهيء أسبابها،ليلقاه فارغ القلب عن الشواغل،و علامه ذلك:الجد فى العمل،و استغراق الهم فى تحصيل المعرفه،و الاستعداد للآخره الثانيه-أن يؤثر مراد اللّه-سبحانه-على مراده،إذ المحب لا يخالف هوى محبوبه لهوى نفسه،كما قيل:

أريد وصاله و يريد هجرى

فاترك ما أريد لما يريد

فمن كان محبا للّه،يمتثل أوامره و يجتنب نواهيه،و يحترز عن اتباع الشهوات،و يدع الكساله و البطاله،و لا يزال مواظبا على طاعته و انقياده، و يكون مبتهجا متنعما بالطاعه و لا يشغلها،و يسقط عنه تعبها،و قد روى:

«أن زليخا لما آمنت،و تزوج بها يوسف(ع)،انفردت عنه،و تخلت للعباده،و انقطعت إلى اللّه-تعالى-،و كان يوسف يدعوها إلى فراشه نهارا فتدافعه إلى الليل،و إذا دعاها ليلا سوفت إلى النهار،فعاتبها فى ذلك، فقالت:يا رسول اللّه!إنما كنت أحبك قبل أن أعرف ربك،فاما إذ عرفته فلا أؤثر على محبته محبه من سواه،و ما أريد به بدلا».ثم الحق أن العصيان يضاد كمال المحبه لا أصلها،و لذا قد يأكل الرجل المريض ما يضره و يزيد فى مرضه مع أنه يحب نفسه،و يحب صحته،و السبب ضعف المعرفه،و غلبه الشهوه،فيعجز عن القيام بحق المحبه.

الثالثه-ألا يغفل عن ذكر اللّه-سبحانه-،بل يكون دائما مستهترا بذكره،إذ من أحب شيئا أكثر ضروره ذكره و ذكر ما يتعلق به،فمحب اللّه لا يخلو عن ذكر اللّه و ذكر رسوله و ذكر القرآن و تلاوته،لانه كلامه، و يكون محبا للخلوه ليتفرد بذكره و بمناجاته،و يكون له كمال الانس و الالتذاذ بمناجاته،و فى اخبار داود:«كذب من ادعى محبتى و إذا جنه الليل نام عنى،أ ليس كل محب يحب لقاء حبيبه؟فها أنا ذا موجود لمن طلبنى».

الرابعه-ألا يحزن و لا يتألم عن فقد شىء،و لا يفرح بوجود شىء، سوى ما يقرّبه إلى اللّه او يبعده عنه:فلا ينبغى ان يحزن و يجزع فى المصائب و لا يسر بنيل المقاصد الدنيويه،و لا يتأسف على ما يفوته إلا على ما فات منه من طاعه مقربه إلى محبوبه،او على صدور معصيه مبعده،او على ساعه

خلت عن ذكر اللّه و الانس به.

الخامسه-أن يكون مشفقا رءوفا على عباد اللّه،رحيما على أوليائه، و شديدا على اعداء اللّه،كارها لمن يخالفه و يعصيه،إذ مقتضى الحب الشفقه و المحبه لأحباء المحبوب و المنسوبين إليه،و البغض لأعدائه و مخالفيه.

السادسه-أن يكون فى حبه خائفا متذللا تحت سلطان العظمه و الجلال، و ليس الخوف مضادا للحب،كما ظن،إذ ادراك العظمه يوجب الهيبه، و ادراك الجمال يوجب الحب،و لخصوص المحبين خوف الاعراض،و خوف الحجاب،و خوف الابعاد،و خوف الوقوف،و سلب المزيد.و قال بعض العرفاء:«من عبد اللّه بمحض المحبه من غير خوف هلك بالبسط و الإدلال، و من عبده من طريق الخوف من غير محبه انقطع عنه بالبعد و الاستيحاش، و من عبده من طريقهما أحبه اللّه،فقربه و مكنه و علمه».

السابعه-كتمان الحب و الشوق من إظهاره و من إظهار الوجد و اجتناب الدعوى،تعظيما للمحبوب و اجلالا له،و هيبه منه و غيره على سره،فان الحب سر من أسرار المحبوب،فلا ينبغى افشاؤه،و لأنه ربما يدخل فى الدعوى ما يجاوز حد الواقع،فيكون من الافتراء،و تعظم به العقوبه فى العقبى و البليه فى الدنيا.نعم،ربما غشيته سكره فى حبه،حتى يدهش فيها،و تضطرب أحواله،فيظهر عليه حبه من دون اختيار و تمحل.فمثله معذور،لأنه تحت سلطان المحبه مقهور،و من عرف أن حصول حقيقه المعرفه و المحبه التى تنبغى أن تكون فى حق اللّه يستحيل أن يحصل لأحد، و أن يطلع على ما اعترف عظماء الإنسان-أعنى الأنبياء و الأولياء-من العجز و القصور،و ان صنفا واحدا من الأصناف الغير المتناهيه من ملائكته ملائكه بعدد جميع ما خلق اللّه من شىء،هم أهل المحبه للّه،ما خطر على

قلوبهم مذ خلقهم اللّه-و هو ثلاث مائه ألف سنه قبل خلق العالم-سوى اللّه -سبحانه-،و ما ذكروا غيره،لاستحيى منه حق الحياء أن يعدّ ما عليه من المعرفه و المحبه معرفه و محبه،و خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى. و روى فى بعض الأخبار:«ان بعض أهل اللّه سأل بعض الصديقين أن يسأل اللّه -تعالى-أن يعطيه ذره من معرفته،ففعل ذلک،فحار عقله،و ذهل لبه، و وله قلبه،و هام فى الجبال،و بقى شاخصا سبعه ايام،لا ينتفع بشىء و لا ينتفع به شىء،فسأل له الصديق ربه أن ينقص بعض الذره من المعرفه التى أعطاه،فأوحى اللّه-تعالى-اليه:(إنا اعطيناه جزءا من مائه ألف جزء من ذره من المعرفه،و ذلک ان مائه ألف عبد سألونى شيئا من المحبه فى الوقت الذى سألنى هذا،فأخرت اجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا، فلما أجبتک فيما سألت أعطيتهم كما اعطيته،فقسمت ذره من المعرفه بين مائه ألف عبد،فهذا ما أصابه من ذلک).فقال:سبحانک سبحانک! أقتصه مما أعطيته،فأذهب اللّه عنه جمله ما أعطاه،و أبقى فيه عشر معشاره و هو جزء من عشره آلاف جزء من مائه ألف جزء من ذره،فاعتدل خوفه و حبه و رجاؤه،و سكن،و صار كسائر الكمل من العارفين» (۱).

و الحق ان حقائق الصفات الإلهيه أجل و أعظم من ادراک العقول البشريه،و لا تطيق أحد من الكمل أن يتحمل لفهم جزء من الأجزاء الغير المتناهيه منها،فالوصول إلى ما عليه الحضره الربوبيه من العظمه و الجلال و سائر صفات الكمال فى حين المحال،(و ما قيل أو يقال فيه)و هم أو خيال، فاين يحصل لأحد ما يليق به من المعرفه و المخبه؟فلو امكن ان تدخل أمثال هذه العوالم المخلوقه من السماوات و الأرضين و ما فوقهما و اضعافهما بقدر

۱- ۱) صححنا الروايه على(احياء العلوم):۴-۲۸۸.

غير متناه فى جوف خردله،لامكن أن تدخل فى أعظم العقول ذره من عظمته و جلاله،و غايه المعرفه ان يعرف عظمته و قدرته و جلاله و عزته و سائر اوصافه الكماليه بأمثال هذه العنوانات و التمثيلات،و هى أيضا لو ضوعفت إلى غير النهايه فى ازمنه غير متناهيه،لكانت بيانات قاصره،بل و هميه خياليه،فسبحان من لا سبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته! و من علامات المحبه الانس و الرضا-كما يأتى-.و قد جمع بعض العارفين علامات المحب فى أبيات،فقال:

لا تخدعن فللمحب دلائل

و لديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمر بلائه

و سروره فى كل ما هو فاعل

فالمنع منه عطيه مقبوله

و الفقر إكرام و بر عاجل

و من الدلائل ان ترى من عزمه

طوع الحبيب و ان ألح العاذل

و من الدلائل ان يرى متبسما

و القلب فيه من الحبيب بلابل

و من الدلائل ان يرى متفهما

لكلام من يحظى لديه سائل

و من الدلائل ان يرى متقشفا

متحفظا عن كل ما هو قائل

و من الدلائل ان تراه مشمرا

فى خرقتين على شطوط الساحل

و من الدلائل حزنه و نحيبه

خوف الظلام فما له من عاذل

و من الدلائل ان تراه باكيا

ان قد رآه على قبيح فاعل

و من الدلائل أن تراه راضيا

بمليكه فی كل حكم نازل

و من الدلائل زهده فيما ترى

من دار ذل و النعيم الزائل

و من الدلائل ان تراه مسلما

كل الأمور إلى المليك العادل

و من الدلائل ضحكه بين الورى

و القلب محزون كقلب الثاكل

و من الدلائل أن تراه مسافرا

نحو الجهاد و كل فعل فاضل

ص :١٧٩

فصل (معنی حب اللّه لعبده)

اعلم ان شواهد الکتاب و السنه ناطقه بأن اللّه-سبحانه-یحب العبد، کقوله-تعالی-:

یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ

(۱)

.و قوله-تعالی-: إِنَّ اللّٰهَ یُحِبُّ الَّذِینَ یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ (۲).و قوله-تعالی-:

إِنَّ اللّٰهَ یُحِبُّ التَّوّٰابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ

(۳)

.

و قوله-تعالی-: قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللّٰهُ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ (۴).

و قال رسول اللّه(ص):«ان اللّه یعطی الدنیا من یحب و من لا یحب، و لا یعطی الایمان الا من یحب».و قال(ص):«اذا أحب اللّه عبدا لم یضره ذنب».و قال(ص):«اذا أحب اللّه عبدا ابتلاه،فان صبر اجتباه،و ان رضی اصطفاه».و قال(ص):«من أکثر ذکر اللّه أحبه اللّه».و قال(ص) حاکیا عن اللّه:«لا یزال العبد یتقرب إلیّ بالنوافل حتی أحبه،فإذا احببته کنت سمعه الذی یسمع به،و بصره الذی یبصر به،و لسانه الذی ینطق به».و قال(ص):«اذا أحب اللّه عبدا،جعل له واعظا من نفسه، و زاجرا من قلبه،یأمره و ینهاه»...و أمثال ذلک أکثر من أن تحصی.

ثم حقیقه الحب-و هو المیل إلی موافق ملائم-غیر متصور فی حق اللّه

۱- ۱) المائده،الآیه:۵۷.

۲- ۲) الصف،الآیه:۴.

۳- ۳) البقره،الآیه:۲۲۲.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۳۱.

-تعالی-،بل هذا انما يتصور فی حق نفوس ناقصه،و اللّه-سبحانه- صاحب كل جمال و كمال و بهاء و جلال،و كل ذلک حاضر له بالفعل أزلا و ابدا،اذ لا يتصور تجدده و زواله،فلا يكون له إلی غيره نظر من حيث إنه غير،بل ابتهاجه بذاته و صفاته و افعاله.و ليس فی الوجود إلا ذاته و صفاته و افعاله،و لذلک قال بعض العرفاء-لما قرئ قوله-تعالی-: يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ -:«نحن نحبهم،فانه ليس يحب إلا نفسه»،علی معنی انه الكل و انه فی الوجود ليس غيره.فمن لا يحب إلا ذاته،و صفات ذاته،و افعال ذاته و تصانيف ذاته،فلا يجاوز حبه و ذاته و تواضع ذاته من حيث هی متعلقه بذاته، فهو إذا لا يحب إلا ذاته.و ليس المراد من محبه اللّه لعبده هو الابتهاج العام الذی له-تعالی-بافعاله له،إذ المستفاد من الآيات و الاخبار:أن له-تعالی- خصوصيه محبه لبعض عباده ليست لسائر العباد و المخلوقات،فمعنی هذه المحبه يرجع إلی كشف الحجاب عن قلبه حتی يراه بقلبه،و إلی تمكينه إياه من القرب إليه،و إلی إرادته ذلک به فی الازل،و إلی تطهير باطنه عن حلول الغير به،و تخليته عن عوائق تحول بينه و بين مولاه،حتی لا يسمع إلا بالحق و من الحق،و لا يبصر إلا به،و لا ينطق إلا به-كما فی الحديث القدسی- فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه،و ارتفاع الحجاب عن قلبه،و حصوله فی درجه القرب من ربه،و كل ذلک من فضل اللّه-تعالی-و لطفه به.

ثم قرب العبد من اللّه لا يوجب تغيرا و تجددا فی صفات اللّه-تعالی-، اذ التغير عليه-سبحانه-محال،لانه لا يزال فی نعوت الكمال و الجلال و الجمال علی ما كان عليه فی ازل الآزال،بل يوجب مجرد تغير العبد بترقيه فی مدارج الكمال،و التخلق بمكارم الأخلاق التی هی الأخلاق الإلهيه، فكلما صار اكمل صفه و أتم علما و إحاطه بحقائق الأمور،و اثبت قوه فی

قهر الشياطين و قمع الشهوات،و أظهر نزاهه عن الرذائل،و أقوى تصرفا فى ملكوت الأشياء،صار أقرب إلى اللّه.و درجات القرب غير متناهيه، لعدم تناهى درجات الكمال،فمثل تقرب العبد إلى اللّه ليس كتقرب أحد المتقاربين إلى الآخر إذا تحركا معا،بل كتقرب أحدهما مع تحركه إلى الآخر الذى كان ساكنا،او كتقرب التلميذ فى درجات الكمال إلى أستاذه،فان التلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى بقاع العلم،و يطلب القرب من أستاذه فى درجات العلم و الكمال،و الأستاذ ثابت واقف،و ان كان التلميذ يمكن ان يصل إلى مرتبه المساواه الأستاذه لتناهى كمالاته،و أما العبد، كائنا من كان،لا يمكن أن يصل إلى كمال يمكن أن يكون له نسبه إلى كمالاته -سبحانه-،لعدم تناهى كمالاته شده و قوه و عده،و علامه كون العبد محبوبا عند اللّه.أن يكون هو محبا له-تعالى-،مؤثرا إياه على غيره من المحاب،و ان يرى من بواطن أموره و ظواهره انه-تعالى-يهىء له أسباب السعاده فيها،و يرشده إلى ما فيه خيره،و يصده عن المعاصى باسباب يعلم حصولها منه-سبحانه-،انه-تعالى-يتولى امره،ظاهره و باطنه،و سره و جهره،فيكون هو المشير عليه،و المدبر لأمره،و المزين لأخلاقه،و المستعمل لجوارحه،و المسدد لظاهره و باطنه،و الجاعل لهمومه هما واحدا،و المبغض للدنيا فى قلبه،و الموحش له من غيره،و المونس له بلذه المناجاه فى خلواته و المكاشف له عن الحجب بينه و بين معرفته.

تذنيب (الحب فى اللّه و البغض فى اللّه)

اعلم ان الاخبار متظاهره فى مدح الحب فى اللّه و البغض فى اللّه و عظم فضيلته و ثوابه،و معناه لا يخلو عن إبهام،فلا بد أن نشير إلى بعض هذه

الاخبار،ثم نبين حقيقته و نكشف عن معناه.

أما الاخبار:كقول النبی(ص):«ودّ المؤمن للمؤمن فی اللّه أعظم شعب الايمان،الا و من أحب فی اللّه.و أبغض فی اللّه.و أعطی فی اللّه.و منع فی اللّه فهو من اصفياء اللّه».و قال(ص)لاصحابه:«أی عری الايمان اوثق؟» فقالوا:اللّه و رسوله اعلم-فقال بعضهم:الصلاه،و قال بعضهم،الزكاه، و قال بعضهم:الصيام،و قال بعضهم:الحج و العمره،و قال بعضهم:الجهاد- فقال رسول اللّه(ص):«لكل ما قلتم فضل و ليس به،و لكن اوثق عری الايمان الحب فی اللّه و البغض فی اللّه،و توالی أولياء اللّه و التبری من اعداء اللّه».

و قال(ص):«المتحابون فی اللّه يوم القيامه علی ارض زبرجده خضراء فی ظل عرشه عن يمينه-و كلتا يديه يمين-وجوههم أشد بياضا و أضوأ من الشمس الطالعه،يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب و كل نبی مرسل،يقول الناس:من هؤلاء؟فيقال:هؤلاء المتحابون فی اللّه». و قال سيد الساجدين -عليه السّلام-:«اذا جمع اللّه-عز و جل-الأولين و الآخرين،قام مناد فنادی ليسمع الناس،فيقول:اين المتحابون فی اللّه؟قال:فيقوم عنق من الناس،فيقال لهم:اذهبوا إلی الجنه بغير حساب.قال:فتلقاهم الملائكه، فيقولون:الی اين؟فيقولون:الی الجنه بغير حساب،فيقولون:أی حزب انتم من الناس:فيقولون:نحن المتحابون فی اللّه.قال:فيقولون:و ای شیء كانت أعمالكم؟قالوا:كنا نحب فی اللّه و نبغض فی اللّه.قال:فيقولون:نعم اجر العاملين» .و قال الباقر(ع):«اذا ردت ان تعلم ان فيك خيرا فانظر الی قلبك،فان كان يحب أهل طاعه اللّه و ببغض أهل معصيته ففيك خير و اللّه يحبك،و إذا كان يبغض أهل طاعه اللّه و يحب أهل معصيته فليس فيك خير و اللّه يبغضك.و المرء مع من أحبه».و قال(ع):«لو ان رجلا أحب رجلا

للّه،لأثابه اللّه على حبه إياه،و ان كان المحبوب فى علم اللّه من أهل النار، و لو ان رجلا ابغض رجلا للّه،لاثابه اللّه على بغضه إياه،و ان كان المبغض فى علم اللّه من أهل الجنه». و قال الصادق(ع):«من أحب للّه،و ابغض للّه، و أعطى للّه،فهو ممن كمل ايمانه».و قال(ع):«ان المتحابين فى اللّه يوم القيامه على منابر من نور،قد اضاء نور وجوههم و نور اجسادهم و نور منابرهم كل شىء،حتى يعرفوا به،فيقال:هؤلاء المتحابون فى اللّه».و قال (ع):«و هل الايمان الا الحب فى اللّه و البغض فى اللّه؟ثم تلا هذه الآيه:

حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمٰانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيٰانَ أُولٰئِكَ هُمُ الرّٰاشِدُونَ

(۱)

.

و قال(ع):«ما التقى المؤمنان قط إلا كان افضلهما أشدهما حبا لأخيه».و قال(ع):«من لم يحب على الدين و لم يبغض على الدين فلا دين له».و الاخبار بهذه المضامين كثيره (۲).

و إذا عرفت ذلك،فلنشر إلى معنى الحب فى اللّه و البغض فى اللّه فنقول:

الحب الذى بين انسانين،اما يحصل بمجرد الصحبه الاتفاقيه،كالصحبه بحسب الجوار،او بحسب الاجتماع فى سوق،او مدرسه،او سفر،او باب سلطان،او أمثال ذلك،و معلوم ان مثل هذا الحب ليس من الحب فى اللّه بل هو الحب بحسب الاتفاق،أو لا يحصل بمجرد ذلك،بل له سبب و باعث آخر،و هذا على أربعه اقسام:

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۷.

۲- ۲) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):ج ۲،باب الحب فى اللّه و البغض فى اللّه.و على(الوافى):۳-۳۴۴،باب الحب فى اللّه و البغض فى اللّه.

الأول-أن يحب انسان إنسانا لـذاته،لا ليتوصل به إلى محبوب و مقصود وراءه،بأن يكون هو فى ذاته محبوبا عنـده،بمعنى انه يلتذ برؤيته و معصـيته و مشاهده اخلاقه،لاستحسانه له،فان كل جميل لذيذ فى حق من أدرك جماله،و كل لذيذ محبوب،و اللذه تتبع الاستحسان،و الاستحسان يتبع المناسبه و الموافقه و الملائمه بين الطباع.ثم ذلك المستحسن،اما أن يكون جمال الصوره،و كمال العقل،و غزاره العلم،و حسن الأخلاق و الافعال،و كل ذلك يسـتحسن عند الطباع السـليمه،و كل مستحسن مستلذ به و محبوب،و من هـذا القسم أن يحبه لأجل مناسـبه خفيه معنويه بينهما،فانه قد تسـتحكم الموده بين شخصـين من غير حسن فى خلق و خلق،و من دون ملاـحه فى صوره،و لا غيرها من الأعضاء،بل المناسـبه باطنه توجب الألفه و الموافقه و المحبه،فان شـبه الشـىء ينجـذب إليه بـالطبع،و الأشـياء البـاطنه خفيه،و لهـا أسـباب دقيقه ليس فى قوه البشـر أن يطلع عليها،و إلى هـذا القسم من الحب و الموافقه أشار رسول اللّه(ص)بقوله:«الأرواح جنود مجنـده،فما تعارف منها ائتلف،و ما تناكر منها اختلف».فالحب نتيجه التناسب الـذى هو التعارف،و البغض نتيجه التناكر.و معلوم ان هـذا القسم من الحب لا يـدخل فى الحب للّه،بل هو حب بالطبع و شـهوه النفس، لذا يتصور ممن لا يؤمن باللّه،إلا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما،و إلا فهو مباح لا يوصف بمدح و ذم.

الثانى-أن يحبه لا لـذاته،بل لينال منه محبوبا وراء ذاته،و كانت لهـذا المحبوب فائده دنيويه.و لا ريب فى أن كلما هو وسـيله إلى المحبوب محبوب، و عدم كون هذا الحب من جمله الحب فى اللّه ظاهر.

الثالث-أن يحبه لا لذاته،بل لغيره،و ذلك الغير راجع إلى

حظوظه فی الآخره دون الدنیا،و ذلک کحب التلمیذ للاستاذ،لأن یتوسل به إلی تحصیل العلم و تحسین العمل،و مقصوده من العلم و العمل سعاده الآخره.

و هذا الحب من جمله الحب فی اللّه،و صاحبه من محبی اللّه،و کذلک حب الأستاذ للتلمیذ،لأنه یتلقف منه العلم،و ینال بواسطته مرتبه التعلیم، و یترقی به إلی درجه التعظیم فی ملکوت السماء.قال عیسی(ع):«من علم و عمل و علم،فذلک یدعی عظیما فی ملکوت السماء».و لا یتم التعلیم إلا بمتعلم،فهو إذن آله فی تحصیل هذا الکمال،فان أحبه لأنه آله إذ جعل صدره مزرعه لحرثه،فهو محب للّه.

بل التحقیق:أن کل من یحب أحدا لصنعته،أو فعله الذی یوجب تقربه إلی اللّه،فهو من جمله المحبین فی اللّه،کحب من یتولی له إیصال الصدقه الی المستحقین،و حب طباخ یحسن صنعته فی الطبخ لأجل طبخه لمن یضیفه تقربا إلی اللّه،و حب من ینفق علیه و یواسیه بکسوته و طعامه و مسکنه و جمیع مقاصده التی یقصده فی الدنیا،و مقصوده من ذلک الفراغ لتحصیل العلم و العباده،و حب من یخدمه بنفسه من غسل ثیابه و کنس بیته و طبخ طعامه و أمثال ذلک من حیث إنه یفرغه لتحصیل العلم و العمل...و قس علی ما ذکر أمثاله،و المعیار أن کل من أحب غیره من حیث توسله لأجله الی فائده أخرویه فهو محب اللّه و فی اللّه.

الرابع-أن یحبه للّه و فی اللّه،لا لینال منه علما أو عملا،أو یتوسل به إلی امر وراء ذاته،و ذلک بأن یحبه من حیث إنه متعلق باللّه و منسوب الیه،إما بالنسبه العامه التی ینتسب بها کل مخلوق إلی اللّه،أو لأجل خصوصیه النسبه أیضا،من تقربه إلی اللّه،و شده حبه و خدمته له-تعالی-.

و لا ریب فی أن من آثار غلبه الحب أن یتعدی من المحبوب إلی کل من یتعلق

به و يناسبه،و لو من بعد،فمن أحب إنسانا حبا شديدا،أحب محب ذلك الإنسان و أحب محبوبه و من يخدمه و من يمدحه و يثنى عليه أو يثنى محبوبه، و أحب أن يتسارع إلى رضاء محبوبه،كما قيل:

أمر على الديار ديار ليلى

أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا

و ما حب الديار شغفن قلبى

و لكن حب من سكن الديارا

و اما البغض فى اللّه،فهو ان يبغض انسان إنسانا لأجل عصيانه للّه و مخالفته له-تعالى-،فان من يحب فى اللّه لا بد ان يبغض فى اللّه،فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع للّه و محبوب عنده،فان عصاه لا بد ان تبغضه، لأنه عاص فيه و ممقوت عند اللّه،قال عيسى(ع):«تحببوا إلى اللّه ببغض أهل المعاصى،و تقربوا إلى اللّه بالتباعد عنهم،و التمسوا رضاء اللّه بسخطهم».

و روى:«انه-تعالى-اوحى إلى بعض أنبيائه،اما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحه،و اما انقطاعك إلى فقد تعززت بى،و لكن هل عاديت فى عدوا،او واليت وليا؟».

ثم للمعصيه درجات مختلفه،فانها قد تكون بالاعتقاد،كالكفر و الشرك و البدعه،و قد تكون بالقول و الفعل،و هذا إما ان يكون مما يتأذى به غيره،كالقتل و الغصب و الضرب و شهاده الزور و سائر أنواع الظلم،او لا يكون مما يتأذى به غيره،و هذا إما يوجب فساد الغير،كالجمع بين الرجال و النساء،و تهيئه أسباب الشر و الفساد على ما هو دأب صاحب الماخور،أو لا يوجب فساد الغير،كالزنا و شرب الخمر،و هذا أيضا إما كبيره أو صغيره. و إظهار البغض أيضا له درجات مختلفه،كالتباعد و الهجران،و قطع اللسان عن المكالمه و المحادثه،و التغليظ فى القول، و الاستخفاف و الاهانه،و عدم السعى فى إطاعته،و السعى فى اساءته

و افساد مآربه،و بعض هـذا أشـد من بعض،كما أن درجات الفسق و المعصـيه أيضا كـذلك،فينبغى أن يكون الأشد من درجات البغض بـإزاء الأشـد من درجـات المعصـيه و الفسق،و الوسـط بـإزاء الوسـط،و الأضـعف بإزاء الأضـعف، و ينبغى ألا يترک أولا النصـيحه،و الأـمر بـالمعروف،و النهى عن المنكر، و تغليـظ القول فى الوعـظ و الإرشاد،لا سـيما إذا كان العاصـى ممن بينه و بينه صحبه متأكده.ثم العاصى إن كان ممن له صفات محموده،كالايمان و العلم و السخاء و العباده و الطاعه أو أمثال ذلک،ينبغى أن يكون مبغوضا لأجل معصيته و محبوبا لأجل صفته المحموده،و هذا كما أن من وافقک فى غرض و خالفک فى آخر تكون معه على حـاله متوسـطه بين التردد إليه و التوحش عنه،فلا تبالغ فى إكرامه مبالغتک فى إكرام من يوافقک فى جميع اغراضک، و لا تبالغ فى اهانته مبالغتک فى إهانه من خالفک فى جميع اغراضک.

تتميم (الوفاء فى الحب)

اعلـم ان من تمـام الحب للاـخوان فى اللّه(الوفـاء)،و هـو الثبـات على الحب و لـوازمه و ادامته إلى المـوت و بعـده مـع أولاـده و اصدقائه،و ضده(الجفاء)، و هو قطع الحب أو بعض لوازمه فى أيام الحياه او بعد الموت بالنسـبه إلى أولاده و أحبته،و لو لا الوفاء فى الحب لمـا كانت فيه فائـده،اذ الحب إنما يراد للآخره،فان انقطع قبل الموت لضاع السـعى و حبط العمل،و لـذلک قال رسول اللّه فى السـبعه الـذين يظلمهم اللّه يوم القيامه:«و اخوان تحابا فى اللّه اجتمعا على ذلک و تفرقا عليه». و روى:«أنه(ص)كان يكرم بعض العجـائز كلمـا دخلت عليه،فقيـل له فى ذلـک،فقـال:إنهـا كانت تأتينا أيام خـديجه،و ان كرم العهـد من الـدين».فمن الوفاء مراعاه جميع الاصدقاء

و الأقارب و المتعلقين،و مراعاتهم اوقع فى القلب من مراعاه الأخ المحبوب فى نفسه،فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر من فرحه بتفقد نفسه،اذ لا تعرف قوه المحبه و الشفقه الا بتعديها من المحبوب إلى كل من يتعلق به، حتى ان من قوى حبه لأخيه تميز فى قلبه كلبه الذى على باب داره من سائر الكلاب.و لا ريب فى ان المحبه التى تنقطع-و لو بعد الممات-لا تكون محبه فى اللّه،اذ المحبه فى اللّه دائمه لا انقطاع لها.فما قيل من ان(قليل الوفاء بعد الوفاه خير من كثيره حال الحياه)انما هو لدلالته على كون الحب فى اللّه.

و بالجمله:الوفاء بالمحبه تمامها.و من آثار الوفاء ان يكون شديد الجزع من مفارقته،و الا يسمع بلاغات الناس عليه،و ان يحب صديقه و يبغض عدوه، و ليس من الوفاء موافقه الأخ فيما يخالف الحق فى امر يتعلق بالدين،بل من الوفاء المخالفه له و إرشاده إلى الحق.

هذا و اما البعد و الانس،فقد عرفت ان الانس عباره عن استبشار القلب بما يلاحظه من المحبوب بعد الوصول،و البعد خلافه،و الأنس و الخوف و الشوق كلها من آثار المحبه،و كل واحد منها يرد على المحب بحسب نظره،و مما يغلب عليه فى وقته،فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال، و استشعر قصوره من الاطلاع على كنه الجلال،انبعثت النفس و انزعجت له و هاجت إليه،فسميت هذه الحاله فى الانزعاج(شوقا)،و هو بالإضافه إلى امر غايب،و إذا غلب عليه الفرح بالقرب و مشاهده الحضور بما هو حاصل من الكشف،و كان نظره مقصورا على مطالعه الجمال الحاضر المكشوف، غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد،استبشر القلب بما يلاحظه فيه.فيسمى استبشاره (انسا)،و ان كان نظره إلى صفات العز و الجلال و الاستغناء و عدم المبالاه،و استشعر إمكان الزوال و البعد،تألم قلبه بهذا الاستشعار،فيسمى

تـألمه(خوفا)،و هـذه الأحوال تابعه لهـذه الملاحظات،فان غلب الأنس و تجرد عن ملاحظه ما غاب عنه و ما يتطرق إليه من خطر الزوال،عظم نعيمه و لـذته،و غلب عليه الأـنس بـاللّه،و لم تكن شـهوته الاـ فى الاـنفراد و الخلوه،و ذلـك لاـن الانس باللّه يلازمه التوحش من غير اللّه،بل كلما يعوق من الخلوه يكون اثقل الأشـياء على القلب،كما روى:«ان موسى (ع)لما كلمه ربه،مكث دهرا لا يسـمع كلامه أحـد من الخلق الا أخـذه الغشـيان»،و لان الحب يوجب عذوبه كلام المحبوب و عذوبه ذكره،فيخرج عن القلب عـذوبه مـا سواه،فـان خالط الناس كان كمنفرد فى جماعه،و مجتمع فى خلوه،و غريب فى حضـر،و حاضـر فى سـفر،و شاهـد فى غيبه،و غائب فى حضور،و مخالط بالبـدن،متفرد بالقلب المسـتغرق فى عـذوبه الـذكر، قال أمير المؤمنين(ع)فى وصـفهم:«هم قوم هجم بهم العلم على حقيقه الامر، فباشـروا روح اليقين،و استلانوا ما استوعره المترفون،و انسوا بما استوحش منه الجاهلون،صحبوا الدنيا بابدان ارواحها متعلقه بالمحل الأعلى،أولئك خلفاء اللّه فى ارضه،و الدعاه إلى دينه».

فصل (الانس باللّه)

من أنكر وجود الحب و الشوق أنكر وجود الاـنس أيضـا،ظنـا انه يـدل على التشبيه،و هو نـاش عن الجهـل بالابتهاجـات العقليه و اللـذات الحقيقيه، و عن القصـور فى طريـق المعرفه،و الجمود على احكـام الحس،و الغفله عن عـالم العقـل و البصـيره،و قـد ظهر ثبوت الانس من بعض الاخبار السابقه، و يدل عليه ما ورد فى اخبار داود:«ان اللّه-عز و جل-اوحى إليه:

يا داود!ابلغ أهل ارضى:انى حبيب لمن احبنى،و جليس لمن جالسنى،

و مؤنس لمن أنس بذكرى،و صاحب لمن صاحبنى،و مختار لمن اختارنى،و مطيع لمن اطاعنى،ما أحبنى عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى،و احببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقى،من طلبنى بالحق وجدنى،و من طلب غيرى لم يجدنى،فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها،و هلموا إلى كرامتى و مصاحبتى و مجالستى،و آنسوا بى اؤانسكم،و اسارع إلى محبتكم».

فصل (الأنس قد يثمر الإدلال)

قال أبو حامد الغزالى:«الأنس إذا دام و غلب و استحكم،و لم يشوشه قلق الشوق،و لم ينغصه خوف البعد و الحجاب،فانه يثمر نوعا من الانبساط فى الأقوال و الافعال و المناجاه مع اللّه-سبحانه-،و قد يكون منكرا بحسب الصوره،لما فيه من الجرأه و قله الهيبه،و لكنه محتمل ممن أقيم فى مقام الأنس،و من لم يقم فى ذلك المقام و تشبه بهم فى الفعل و الكلام،هلك و أشرف على الكفر.و مثاله مناجاه(برخ الأسود)الذى أمر اللّه-تعالى- كليمه موسى(ع)أن يسأله ليستسقى لبنى أسرائيل،بعد أن قحطوا سبع سنين،و خرج موسى فى سبعين الفا،فاوحى اللّه-عز و جل-اليه:كيف استجيب لهم و قد اظلت عليهم ذنوبهم؟سرائرهم خبيثه،يدعوننى على غير يقين،و يأمنون مكرى،ارجع إلى عبد من عبادى يقال له(برخ)،فقل له:يخرج حتى استجيب له.فسأل عنه موسى،فلم يعرف،فبينا موسى ذات يوم يمشى فى طريق،اذا بعبد اسود قد استقبله،بين عينيه تراب من اثر السجود،فى شمله قد عقدها على عنقه،فعرفه موسى بنور اللّه-عز و جل-، فسلم عليه و قال له:ما اسمك؟فقال:اسمى برخ،قال:فأنت طلبتنا منذ حين، اخرج فاستسق لنا،فخرج،فقال فى كلامه:ما هذا من فعالك،

و لا هـذا من حلمك،و ما الـذی بـدا لک؟أ تعصت علیک غیومک؟ أم عانـدت الریاح عن طاعتک؟أم نفد ما عندک؟أم اشـتد غضـبک علی المـذنبین؟ألست کنت غفـارا قبـل خلق الخـاطئین؟خلقت الرحمه و أمرت بـالعفو،أم ترینـا انـک ممتنع؟أم تخشـی الفوت فتعجل بالعقوبه؟!...قال:

فمـا برح حتی اخضـل بنو أسـرائیل بالمطر،و أنبت اللّه-عز و جل-العشب فی نصف یوم حتی بلغ الرکب،ثم رجع(برخ)،فاستقبله موسی،فقال:

کیف رأیت حین خاصـمت ربی،کیف انصـفنی؟!فهمّ به موسی،فاوحی اللّه الیه:إن برخا یضحکنی کل یوم ثلاث مرات»!! (۱).و لا ریب فی ان أمثال هـذه الکلمات الصادره عن الانبساط و الإدلال یحتمل من بعض العباد دون البعض،فمن انبساط الانس قول موسی:

إِنْ هِیَ إِلاّٰ فِتْنَتُکَ

(۲)

و قوله فی التعلل و الاعتذار،لما قیل له.

اِذْهَبْ إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ

(۳)

: وَ لَهُمْ عَلَیَّ ذَنْبٌ فَأَخٰافُ أَنْ یَقْتُلُونِ (۴).و قوله: وَ یَضِیقُ صَدْرِی (۵).و قوله: إِنَّنٰا نَخٰافُ أَنْ یَفْرُطَ عَلَیْنٰا أَوْ أَنْ یَطْغیٰ (۶).

۱- ۱) هذا من عجائب المنقولات الخرافیه،و الغریب من(ابی حامد الغزالی) این یرکن إلی مثله،و قد أشار المصنف-قدس سره-الی بطلان ما نقله بقوله: (و لا ریب).

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۵۴.

۳- ۳) طه،الآیه:۲۴.النازعات،الآیه:۱۷.

۴- ۴) الشعراء،الآیه:۱۴.

۵- ۵) الشعراء،الآیه:۱۳.

۶- ۶) طه،الآیه:۴۵.

و هـذا من غير موسـى سوء الادب،لان الـذى أقيم مقام الأنس يلاطف و يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره.كيف و لم يحتمل من يونس النبى(ع) مـا دون هـذا الحال،اقيم مقام القبض و الهيبه،فعوقب بالسـجن فى بطن الحوت فى ظلمات ثلاث،فنودى عليه إلى يوم الحشر،لو لا ان تداركته نعمه من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم.و نهى نبينا ان يقتدى به،فقيل له:

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لاٰ تَكُنْ كَصٰاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نٰادىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ

(۱)

.

و هـذه الاختلافـات بعضـها لاختلاـف المقامـات و الأحوال،و بعضـها لما سـبق فى الازل من التفاضل و التفاوت فى القسـمه بين العباد.قال اللّه-سبحانه-:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّٰهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ

(۲)

.

فالانبيـاء و الأولياء مختلفون فى الصـفات و الأحوال،ألا ترى ان عيسـى بن مريم(ع)كان فى مقام الانبساط و الإدلال.و لا دلاله له سلم على نفسه،فقال:

وَ السَّلاٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا

(۳)

.

و هذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الانس.و اما يحيى(ع)

۱- ۱) القلم،الآيه:۴۸.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۵۳.

۳- ۳) مريم،الآيه:۳۳.

فانه أقیم مقام الهیبه و الحیاء،فلم ینطق حتی سلم علیه خالقه،فقال:

وَ سَلاٰمٌ عَلَیْهِ یَوْمَ وُلِدَ وَ یَوْمَ یَمُوتُ وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا

(۱)

.

و انظر کیف احتمل لاخوه یوسف ما فعلوا به،و قد قال بعض العلماء:

«قد عددت من أول قوله-تعالی-:

إِذْ قٰالُوا لَیُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلیٰ أَبِینٰا مِنّٰا

(۲)

إلی رأس العشرین آیه من اخباره-تعالی-عنهم،فوجدت به نیفا و أربعین خطیئه،بعضها أکبر من بعض،و قد یجتمع فی الکلمه الواحده الثلاث و الأربع،فغفر لهم و عفی عنهم،و لم یحتمل لعزیر فی مسأله واحده سأل عنها فی القدر،حتی قیل:لئن عاد محی اسمه عن دیوان النبوه».و من فوائد هذه القصص فی القرآن:ان تعرف بها سنه اللّه فی عباده الذین خلوا من قبل،فما فی القرآن شیء إلا و فیه أسرار و أَنوار یعرفها الراسخون فی العلم.

تذنیب (العزله)

اشاره

اعلم ان من بلغ مقام الانس،غلب علی قلبه حب الخلوه و العزله عن الناس.لان المخالطه مع الناس تشغل القلب عن التوجه التام إلی اللّه.فلا بد لنا من بیان ان الأفضل من العزله و المخالطه ایهما.فان العلماء فی ذلک مختلفون.و الاخبار أیضا فی ذلک مختلفه.و لکل واحد منها أیضا فوائد و مفاسد.فنقول:الظاهر من جماعه:تفضیل العزله علی المخالطه مطلقا.

۱- ۱) مریم.الآیه:۱۴.

۲- ۲) یوسف.الآیه:۸.

و الظاهر من الأخرى:عكس ذلک.

نظر الأولين إلى إطلاق ما ورد فى مدح العزله،و إلى فوائدها و ما ورد فى مدحها،كقول النبى(ص):«ان اللّه يحب العبد التقى الخفى»، و قوله(ص):«أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه و ماله فى سبيل اللّه،ثم رجل معتزل فى شعب من الشعاب»،و قوله(ص)لمن سأله عن طريق النجاه:

«ليسعک بيتک،و أمسک عليک دينک،و ابک على خطيئتک»، و قول الصادق(ع):«فسد الزمان،و تغير الاخوان،و صار الانفراد اسكن للفؤاد»،و قوله(ع):«اقلل معارفک،و أنكر من تعرف منهم»،و قوله -عليه السّلام-:«صاحب العزله متحصن بحصن اللّه- تعالى-،و متحرس بحراسته،فيا طوبى لمن تفرد به سرا و علانيه!و هو يحتاج إلى عشر خصال:

علم الحق و الباطل،و تحبب الفقر،و اختيار الشده،و الزهد،و اغتنام الخلوه، و النظر فى العواقب،و رؤيه التقصير فى العباده مع بذل المجهود،و ترک العجب، و كثره الذكر بلا غفله،فان الغفله مصطاد الشيطان و رأس كل بليه و سبب كل حجاب،و خلوه البيت عما لا يحتاج إليه فى الوقت.قال عيسى بن مريم عليهما السّلام:(اخزن لسانک لعماره قلبک،و ليسعک بينک،و احذر من الرياء و فضول معاشک،و استح من ربک،و ابک على خطيئتک،و فرّ من الناس فرارک من الأسد و الافعى،فانهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء،ثم الق اللّه متى شئت)».قال ربيع بن خثيم:«إن استطعت أن تكون اليوم فى موضع لا تعرف و لا تعرف فافعل،ففى العزله صيانه الجوارح،و فراغ القلب، و سلامه العيش،و كسر سلاح الشيطان،و المجانبه من كل سوء،و راحه القلب،و ما من نبى و لا وصى إلا و اختار العزله فى زمانه،إما فى ابتدائه،

و إما فی انتهائه» (۱).

و أما فوائد العزله،فکالفراغ للعباده،و الذکر،و الفکر، و الاستیناس بمناجاه اللّه،و الاشتغال باستکشاف أسرار اللّه فی ملکوت السماوات و الأرض،و التخلص عن المعاصی التی یتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطه:کالغیبه،و الریاء،و سائر آفات اللسان،و مسارقه الطبع الأعمال الخفیه و الأخلاق الردیه من الناس،و المداهنه فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و الاستخلاص من الفتن و الخصومات و اخطارها،أو من شر الناس و ایذائهم قولا و فعلا،و قطع طمعه عن الناس،و قطع طمعهم عنه،و الخلاص من مشاهده الظلمه،و الفسقه،و الجهال،و الثقلاء، و الحمقی،و مقاساه أخلاقهم.

و نظر الآخرین-اعنی القائلین بتفضیل المخالطه علی العزله-الی إطلاق الظواهر الوارده فی مدح المخالطه و المؤالفه و المؤانسه و إلی فوائدها،أما ما ورد فی مدحها،کقول النبی(ص):«المؤمن إلف مألوف،و لا خیر فیمن لا یألف و لا یؤلف»،و قوله(ص):«من فارق الجماعه مات میته الجاهلیه» و کالاخبار الوارده فی ذم الهجره عن الاخوان،و قوله(ص):«إیاکم و الشعاب،و علیکم بالعامه و الجماعه و المساجد».

و أما فوائد المخالطه:کالتعلیم،و التعلم،و کسب الأخلاق الفاضله من مجالسه المتصفین بها،و استماع المواعظ و النصائح،و نیل الثواب بحضور الجمعه و الجماعه و الجنازه،و عیاده المرضی،و زیاره الاخوان،و قضاء حوائج المحتاجین،و رفع الظلم عن المظلومین،و إدخال السرور علی المؤمنین،

---

۱ - ۱) صححنا هذا القول،و کذا الحدیث السابق،علی(مصباح الشریعه): باب ۲۴،و علی(البحار):-باب العزله عن شرار الخلق-:مج ۲:۱۵-۵۱ ط أمین الضرب.

و الاستيناس بالاـخوان،و بأهل الورع و العباده و التقوى،و هو يروح القلب،و يهيج داعيه النشاط فى العباده،و إيصال النفع إلى المسلمين بالمال و الجاه و اللسان،و استفاده مزيد الأجر و الثواب بتحصيل المعاش و الكد على العيال،و ارتياض النفس بمقاساه الناس فى تحمل أذاهم،و كسر النفس و شهواتها،و ادراک صفه التواضع لتوقفه على معاشره الناس و مخالطتهم و عدم حصوله فى الوحده،و استفاده التجارب و الكياسه فى مصالح الدنيا و الدين،فانها لا تحصل إلا من مخالطه الخلق و مشاهده مجارى أحوالهم.

هذه هى فوائد كل من العزله و المخالطه،و فوائد كل منهما مفاسد و غوائل للآخر،و أنت-بعد ما عرفت فوائد كل منهما و غوائله-تعلم أن الحكم بترجيح أحدهما على الآخر على الإطلاق خطأ،كيف يجوز أن يقال:ان العزله أفضل لشخص جاهل لم يتعلم شيئا من اصوله و فروعه،و لم يقرع سمعه علم الأخلاق،و لم يميز بين فضائل الصفات و رذائلها،فضلا عن أن تحصل له التخليه و التحليه،و مع ذلک يمكن أن يحصل ذلک بالمخالطه مع العلماء و أولى الأخلاق الفاضله؟و كيف يجوز أن يقال:إن المخالطه أفضل لمن حصل ما فى و سعه و قدرته من العلم و العمل،و وصل إلى مرتبه الابتهاج و الالتذاذ بالطاعات و المناجاه،و لم يترتب على مخالطته مع الناس شىء من الفوائد الدينيه و الدنيويه،بل تترتب عليه المفاسد الكثيره؟ فالصحيح أن يقال:إن الأفضليه فيهما تختلف بالنظر إلى الأشخاص و الأحوال و الأزمان و الأمكنه.فينبغى أن ينظر إلى كل شخص و حاله، و إلى خليطه،و إلى باعث مخالطته،و إلى ما يحصل بمخالطته من فوائد المخالطه،و ما يفوت لاجلها من فوائد العزله.و يوازن بين ذلک،حتى يظهر الأفضل و الارجح،و لاختلاف ذلک فى حق الأشخاص،

بملاحظه الأحوال و الفوائد و الآفات.و ربما يظهر-بعد التأمل-أن الأفضل لبعض الخلق العزله التامه،و لبعضهم المخالطه،و لبعضهم الاعتدال فى العزله و المخالطه.و بما ذكر يظهر أن الأفضل لمن بلغ مقام الانس و الاستغراق:

الخلوه و العزله،إذ لا ريب فى أن المخالطه توجب السقوط عن مرتبه الشهود و الانس،و لا يتصور من فوائدها شيء يقاوم ذلك.و لذلك كان المحبون المستأنسون باللّه يعتزلون عن الخلق و يؤثرون الخلوه. قال أويس القرنى:

«ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره»،و قال بعضهم:«إذا رأيت الصبح أدركنى استرجعت كراهيه لقاء الناس».و قال بعضهم:«سرور المؤمن و لذته فى الخلوه بمناجاه ربه». و قال بعض الصالحين:«رأيت فى بعض البلاد عابدا خرج من بعض قلل الجبال،فلما رآنى تنحى عنى و تستر بشجره.فقلت له:سبحان اللّه!أ تبخل على بالنظر إليك؟فقال:يا هذا! انى قمت فى هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا و أهلها، فطال فى ذلك تعبى و فنى فيه عمرى،فسألت اللّه-تعالى-أن يعطينى ذلك.فسكن قلبى عن الاضطراب،و ألف الوحده و الانفراد.فلما نظرت اليك خفت ان اوقع فى الأول.فانى أعوذ من شرك برب العالمين و حبيب القانتين.ثم صاح و قال:واغماه من طول المكث فى الدنيا!ثم حول وجهه عنى و قال:سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذه الخلود و حلاوه الانقطاع إليه!ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان و عن الحور الحسان». و قال بعض الأكابر:«إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيله.فبملاقاه الناس و مخالطتهم يفرح و يطرد الوحشه من نفسه.

فإذا كانت ذاته فاضله طلب الوحده ليستعين بها على الفكره و يستخرج العلم و الحكمه».و من هنا قيل:«الاستيناس بالناس من علامات الا فلاس».

فمن تیسر له منزله بدوام الذکر و الانس باللّه و بدوام الفکر و التحقیق فی معرفه اللّه،فالتجرد و الخلوه أفضل له من کل ما یتعلق بالمخالطه.فان غایه العبادات و ثمره المجاهدات أن یموت الإنسان محبا للّه عارفا باللّه،و لا محبه إلا بالأنس الحاصل بدوام الذکر،و لا معرفه إلا بدوام الفکر.و فراغ القلب شرط لکل منهما،و لا فراغ مع المخالطه.

فان قلت:لا منافاه بین المخالطه مع الناس و الانس باللّه،و لذا کان الأنبیاء مخالطین للناس مع غایه استغراقهم فی الشهود و الانس.

قلنا:لا یتسع للجمع بین مخالطه الخلق ظاهرا و الإقبال التام علی اللّه سرا إلا قوه النبوه.فلا ینبغی أن یغتر کل ضعیف بنفسه فیطمع فی ذلک. ثم بما ذکرناه یظهر وجه الجمع بین الاخبار الوارده من الطرفین.

فان ما ورد فی فضیله العزله إنما هو بالنظر إلی بعض الناس،و ما ورد فی فضیله المخالطه انما هو بالنظر إلی بعض آخر.

و منها:

اشاره

السخط

السخط فیما یخالف هواه من الواردات الإلهیه و التقدیرات الربانیه.

و یرادفه الإنکار و الاعتراض،و هو من شعب الکراهه لافعال اللّه.و هو ینافی الایمان و التوحید.و ما للعبد العاجز الذلیل المهین الجاهل بمواقع القضاء و القدر،و الغافل عن موارد الحکم و المصالح،الاعتراض و الإنکار.

و السخط لافعال الخالق الحکیم العلیم الخبیر.و انی للعبد ألا یرضی بما یرضی به ربه.و لعمری!أن من یعترض علی فعل اللّه فهو أشد الجهلاء،و من لم یرض بالقضاء فلیس لحمقه دواء.و قد ورد فی الخبر القدسی:«خلقت الخیر و الشر.فطوبی لمن خلقته للخیر و أجریت الخیر علی یدیه،و ویل

لمن خلقته للشر و أجريت الشر على يديه،و ويل ثم ويل لمن قال لم و كيف!». و فى خبر قدسى آخر:«أنا اللّه لا إله إلا انا،من لم يصبر على بلائى،و لم يشكر على نعمائى،و لم يرض بقضائى،فليتخذ ربا سواى» و فى مناجاه موسى:«أى رب!أىّ خلقك أحب إليك؟قال:من إذا أخذت منه المحبوب سالمنى.قال:فأى خلقك أنت عليه ساخط؟قال:من يستخيرنى فى الأمر،فإذا قضيت له سخط قضائى».و فى الخبر القدسى:«قدرت المقادير،و دبرت التدبير،و احكمت الصنع،فمن رضى فله الرضا منى حين يلقانى،و من سخط فله السخط منى حين يلقانى».و قال الباقر(ع):

«و من سخط القضاء مضى عليه القضاء،و احبط اللّه أجره».و قال الصادق(ع):

«كيف يكون المؤمن مؤمنا،و هو يسخط قسمته،و يحقر منزلته،و الحاكم عليه اللّه،و أنا الضامن لمن لم يهجس فى قلبه الا الرضا ان يدعو اللّه فيستجاب له».و فى بعض الاخبار:«أن نبيا من الأنبياء شكى إلى اللّه-عز و جل- الجوع و الفقر و العرى عشر سنين،فما أجيب إليه،ثم أوحى اللّه-تعالى- اليه:كم تشكو؟و هكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب قبل ان اخلق السماوات و الأرض،و هكذا سبق لك منى،و هكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا،أ فتريد أن اعيد خلق الدنيا من اجلك؟ام تريد ان أبدل ما قدرته عليك،فيكون ما تحب فوق ما أحب،و يكون ما تريد فوق ما أريد؟ و عزتى و جلالى!لئن تلجلج هذا فى صدرك مره أخرى،لأمحونك من ديوان النبوه» (1). و روى انه:«اوحى اللّه-تعالى-الى داود(ع):تريد و أريد و انما يكون ما أريد،فان اسلمت لما أريد كفيتك ما تريد،و ان لم تسلم

۱- ۱) صححنا هذا الحديث،و كذا الاخبار القدسيه السابقه،على (احياء العلوم):۴-۲۹۵-۲۹۶.

لما أريد أتعبتك فيما تريد،ثم لا يكون إلا ما أريد» (۱).

و بالجمله:من عرف أن العالم بجميع اجزائه،من الجواهر و الاعراض، صادره عنه على وجه الحكمه و الخيريه،و انها النظام الاصلح الذى لا يتصور فوقه نظام،و لو تغير جزء منه على ما هو اختلت الاصلحيه و الخيريه،و عرف اللّه بالربوبيه،و عرف نفسه بالعبوديه،يعلم ان السخط و الاعراض و عدم الرضا بشىء مما يرد،و يكون غايه الجهل و الخطر،و لذلك لم يكن أحد من الأنبياء ان يقول قط فى أمر:ليست كان كذا،حتى قال بعض أصحاب النبى (ص):«خدمت رسول اللّه(ص)عشر سنين،فما قال لى لشىء فعلته:لم فعلت،و لا لشىء لم افعله:لم لم تفعله،و لا قال فى شىء كان:ليته لم يكن، و لا فى شىء لم يكن:ليته كان،و كان إذا خاصمنى مخاصم من أهله،يقول:

دعوه،لو قضى شىء لكان». و روى:«ان آدم(ع)كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه و ينزلون،و يجعل أحدهم رجليه على اضلاعه كهيئه الدرج فيصعد إلى رأسه،ثم ينزل على اضلاعه كذلك،و هو مطرق إلى الأرض لا ينطق،و لا يرفع رأسه،فقال له بعض ولده:يا أبت!أما ترى ما يصنع هذا بك؟لو نهيته عن هذا،فقال:يا بنى!انى رأيت ما لم تروا، و علمت ما لم تعلموا،انى تحركت حركه واحده فأهبطت من دار الكرامه إلى دار الهوان،و من دار النعيم إلى دار الشقاء،فاخاف ان أتحرك حركه أخرى فيصيبنى ما لا اعلم» (۲).

ص:۲۰۱

۱- ۱) صححنا هذا الحديث،و كذا ما روى قبله عن أهل البيت-عليهم السّلام- على(أصول الكافى):ج ۲-باب الرضا بالقضاء.و على(سفينه البحار):۱-۲۲۴.

۲- ۲) صححنا الحديث على(احياء العلوم):۴-۲۹۵.

الرضا–فضيله الرضا–رضا اللّه–رد إنكار تحقيق الرضا– هل يناقض الدعاء و نحوه الرضا؟–طريق تحصيل الرضا–التسليم.

ضد السخط (الرضا)

،و هو ترک الاعتراض و السخط باطنا و ظاهرا، قولا و فعلا،و هو من ثمرات المحبه و لوازمها،اذ المحب يستحسن کلما يصدر عن محبوبه،و صاحب الرضا يستوی عنده الفقر و الغنی،و الراحه و العناء، و البقاء و الفناء،و العز و الذل،و الصحه و المرض،و الموت و الحياه،و لا يرجح بعضها علی بعض،و لا يثقل شیء منها علی طبعه،اذ يری صدور الکل من اللّه–سبحانه–،و قد رسخ حبه فی قلبه،بحيث يحب افعاله، و يرجح علی مراده مراده–تعالی–،فيرضی لکل ما يکون و يرد. و روی:

«ان واحدا من أرباب الرضا عمر سبعين سنه،و لم يقل فی هذه المده لشیء کان:ليته لم يکن،و لا لشیء لم يکن:ليته کان».و قيل لبعضهم:

«ما وجدت من آثار الرضا فی نفسک؟فقال:ما فی رائحه من الرضا، و مع ذلک لو جعلنی اللّه جسرا علی جهنم،و عبر عليه الأولون و الآخرون من الخلائق و دخلوا الجنه،ثم يلقونی فی النار،و ملأ بی جهنم،لاحببت ذلک من حکمه،و رضيت به من قسمه،و لم يختلج ببالی أنه لم کان کذا،و ليت لم يکن کذا،و لم هذا حظی و ذاک حظهم».و صاحب الرضا ابدا فی روح و راحه،و سرور و بهجه،لأنه يشاهد کل شیء بعين الرضا،و ينظر فی کل شیء إلی نور الرحمه الإلهيه،و سر الحکمه الأزليه،فکأن کل شیء حصل علی وفق مراده و هواه.و فائده الرضا،عاجلا،فراغ القلب للعباده و الراحه من الهموم،و آجلا،رضوان اللّه و النجاه من غضبه–تعالی–.

فصل (فضيله الرضا)

الرضا بالقضاء أفضل مقامات الدين،و أشرف منازل المقربين،و هو باب اللّه الأعظم،و من دخله دخل الجنه.قال اللّه-سبحانه-:

رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ

(۱)

.

و عن النبى(ص):«أنه سأل طائفه من أصحابه:ما أنتم؟فقالوا:

مؤمنون،فقال:ما علامه ايمانكم؟فقالوا:نصبر على البلاء،و نشكر عند الرخاء،و نرضى بمواقع القضاء،فقال:مؤمنون و رب الكعبه!»،و فى خبر آخر،قال:«حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء».و قال -صلّى اللّه عليه و آله-:«اذا أحب اللّه عبدا ابتلاه،فان صبر اجتباه،فان رضى اصطفاه».و قال(ص):«أعطوا اللّه الرضا من قلوبكم،تظفروا بثواب فقركم.و قال(ص):«إذا كان يوم القيامه،أنبت اللّه-تعالى- لطائفه من أمتى اجنحه،فيطيرون من قبورهم إلى الجنان،يسرحون فيها، و يتنعمون فيها كيف شاءوا،فتقول لهم الملائكه:هل رأيتم الحساب؟ فيقولون:ما رأينا حسابا،فتقول لهم:هل جزتم الصراط؟فيقولون:

ما رأينا صراطا،فتقول لهم:هل رأيتم جهنم؟فيقولون:ما رأينا شيئا، فتقول الملائكه:من أمه من أنتم؟فيقولون:من أمه محمد(ص)،فتقول:

ناشدناكم اللّه!حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا؟فيقولون:خصلتان كانتا فينا،فبلغنا اللّه هذه المنزله بفضل رحمته،فيقولون:و ما هما؟فيقولون:

كنا إذا خلونا نستحيي ان نعصيه،و نرضى باليسير مما قسم لنا،فتقول

۱- ۱) المائده،الآيه:۱۲۲.التوبه،الآيه:۱۰۱.المجادله،الآيه:۲۲. البينه،الآيه:۸.

الملائکه:یحق لکم هذا». و قال الصادق(ع).«ان اللّه بعدله و حکمته و علمه،جعل الروح و الفرح فی الیقین و الرضا عن اللّه-تعالی-،و جعل الهم و الحزن فی الشک و السخط».و روی:«أن موسی(ع)قال:یا رب!دلنی علی امر فیه رضاک.فقال-تعالی-:إن رضای فی رضاک بقضائی».و روی:

«ان بنی أسرائیل قالوا له(ع):سل لنا ربک أمرا إذا نحن فعلناه یرضی عنا،فقال موسی(ع):إلهی!قد سمعت ما قالوا،فقال:یا موسی!قل لهم یرضون عنی حتی ارضی عنهم» (۱). و قال سید الساجدین(ع):

«الصبر و الرضا رأس طاعه اللّه،و من صبر و رضی عن اللّه فیما قضی علیه فیما أحب او کره،لم یقض اللّه-عز و جل-له فیما أحب او کره إلا ما هو خیر له».و قال-صلوات اللّه علیه-:«الزهد عشره اجزاء،أعلی درجه الزهدادنی درجه الورع،و أعلی درجه الورع أدنی درجه الیقین،و أعلی درجه الیقین أدنی درجه الرضا».و قال الباقر(ع):«أحق خلق اللّه أن یسلم لما قضی اللّه-عز و جل-.من عرف اللّه-عز و جل-و من رضی بالقضاء،اتی علیه القضاء و عظم اللّه أجره». و قال الصادق(ع):«اعلم الناس باللّه أرضاهم بقضاء اللّه».و قال(ع):«قال اللّه-عز و جل-:عبدی المؤمن،لا أصرفه فی شیء الا جعلته خیرا له،فلیرض بقضائی،و لیصبر علی بلائی،و لیشکر نعمائی، اکتبه یا محمد من الصدیقین عندی».و قال(ع):«عجبت للمرء المسلم لا یقضی اللّه-عز و جل-له قضاء الا کان خیرا له،إن قرض بالمقاریض کان خیرا له،و إن ملک مشارق الأرض و مغاربها کان خیرا له».و قال(ع):

«ان فیما أوحی اللّه-عز و جل-الی موسی بن عمران-علیه السّلام-:

یا موسی بن عمران!ما خلقت خلقا أحب إلی من عبدی المؤمن،و إنی انما ابتلیته لما هو خیر له،و اعافیه لما هو خیر له،و ازوی عنه لما هو خیر له،

۱- ۱) صححنا الأحادیث علی(احیاء العلوم):۴-۲۹۵-۲۹۶.

و أنا اعلم بما يصلح عليه عبدى،فليصبر على بلائى،و ليشكر نعمائى،و ليرض بقضائى،اكتبه فى الصديقين عندى،إذا عمل برضاى و أطاع امرى».

و قيل له(ع):بأى شىء يعلم المؤمن أنه مؤمن؟قال:«بالتسليم للّه، و الرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط».و قال الكاظم-عليه السّلام-:

«ينبغى لمن غفل عن اللّه،ألا يستبطئه فى رزقه،و لا يتهمه فى قضائه» (۱).

وصل (رضا اللّه)

قد ظهر من بعض الأخبار المذكوره:أن رضا اللّه-سبحانه-من العبد يتوقف على رضا العبد عنه-تعالى-،فمن فوائد رضا العبد بقضاء اللّه و ثمراته رضا اللّه-سبحانه-عنه،و هو أعظم السعادات فى الدارين،و ليس فى الجنه نعيم فوقه،كما قال-سبحانه-:

وَ مَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ

(۲)

.

و فى الحديث:«إن اللّه يتجلى للمؤمنين فى الجنه،فيقول لهم:سلونى، فيقولون:رضاك يا ربنا!»،فسؤالهم الرضا بعد التجلى،يدل على أنه أفضل كل شىء،و ورد فى تفسير قوله-تعالى-:«و لدينا مزيد»:أنه يؤتى لأهل الجنه فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين ليس فى الجنان مثلها:

احداها:هديه اللّه،ليس عندهم فى الجنان مثلها،و ذلك قوله-تعالى-:

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(أصول الكافى)ج ۲-باب الرضا بالقضاء. و على(سفينه البحار)۱-۵۲۴.

۲- ۲) التوبه،الآيه:۷۳.

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ

(۱)

.

و الثانیه:السّلام علیهم من ربهم،فتزید ذلک علی الهدیه،و هو قوله -تعالی-:

سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ

(۲)

.

و الثالثه:یقول اللّه-تعالی-:«إنی عنکم راض»،و هو أفضل من الهدیه و التسلیم،و ذلک قوله -تعالی-:

وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَکْبَرُ

(۳)

:أی من النعیم الذی هم فیه.

و معنی رضا اللّه عن العبد قریب من معنی حبه له،إلا أنه فی الآخره سبب لدوام النظر و التجلی فی غایه ما یتصور من اللقاء و المشاهده.و لهذا لیست رتبه فی الجنه فوقه.و یروه أهل الجنه اقصی الأمانی،و غایه الغایات.

فصل (رد إنکار تحقق الرضا)

من الناس من أنکر إمکان تحقیق الرضا فی أنواع البلاء و فیما یخالف الهوی،و قال المتمکن فیهما:هو الصبر دون الرضا،و هو انما أتی من ناحیه إنکار المحبه،إذ بعد ثبوت إمکان الحب للّه و استغراق الهم به لا یخفی ایجابه للرضا بافعال المحبوب.و ذلک یکون من وجهین:

أحدهما-ان یوجب الاستغراق فی الحب إبطال الإحساس بالالم،حتی یجری علیه المؤلم و لا یحس به،و تصیبه جراحه و لا یدرک المها.و لا تستعبدن ذلک،فان المحارب عند خوضه فی الحرب،و عند شده غضبه أو

۱- ۱) السجده،الآیه:۱۷.

۲- ۲) یس،الآیه:۵۸.

۳- ۳) التوبه،الآیه:۷۳.

خوفه،قد تصیبه جراحه و هو لا یحس بها،فإذا رأی الدم استدل به علی الجراحه،بل الذی یعدو فی شغل مهم قد تصیبه شوکه فی قدمه،و لا یحس بألمها لشغل قلبه.و السر:أن القلب إذا صار مستغرقا بامر من الأمور،لم یدرک ما عداه،فالعاشق المستغرق الهم بمشاهده المعشوق أو بحبه،قد یصیبه ما کان یتألم به أو یغتم،لولا عشقه،و لا یدرک المه و غمه لاستیلاء الحب علی قلبه،و هذا إذا أصابه من غیر حبیبه،فکیف إذا أصابه من حبیبه.و لا ریب فی ان حب اللّه-تعالی-أشد من کل حب،و شغل القلب به أعظم الشواغل،إذ جمال الحضره الربوبیه و جلالها لا یقاس به جمال،فمن یتکشف له شیء منها،فقد یبهره بحیث یدهش و یغشی علیه،و لا یحس بما یجری علیه.

و ثانیهما-الا یبلغ الاستغراق فی أحب بحیث لا یحس بالالم و لا یدرکه و لکن یکون راضیا به،بل راغبا فیه،مریدا له بعقله،و ان کان کارها له بطبعه،کالذی یلتمس من الفصاد الفصد و الحجامه،فانه یدرک المه،الا انه راض به و راغب فیه،فالمحب الخالص للّه،اذا اصابته بلیه من اللّه، و کان علی یقین بأن ثوابها الذی ادخر له فوق ما فاته،رضی بها و رغب فیها و أحبها و شکر اللّه علیها.هذا إن کان نظره إلی الثواب و الاجر الذی یجازی به علی ابتلائه بالمصائب و البلایا،و ربما غلب الحب بحیث یکون حظ المحب و لذته و ابتهاجه فی مراد حبیبه و رضاه لا ـ لمعنی آخر،فیکون مراد حبیبه و رضاه محبوبا عنده و مطلوبا،و کل ذلک مشاهد محسوس فی حب الخلق،فضلا عن حب الخالق و الجمال الازلی الابدی الذی لا منتهی لکماله المدرک بعین البصیره التی لا یعتریها الغلط و الخطأ،فان القلوب إذا وقفت بین جماله و جلاله،فإذا لا حظوا جلاله هابوا،و إذا لا حظوا جماله تاهوا:

و يشهد بذلك حكايات المحبين،على ما هو فى الكتب مسطور،و فى الالسنه و الافواه مذكور.فان للحب عجائب،من لم يذق طعمها لا يعرفها.

و قد روينا:ان أهل مصر مكثوا أربعه أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق(ع)،كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه،فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع.بل فى القرآن ما هو أبلغ من ذلك،و هو قطع النسوه ايديهنّ لاشتهارهن بملاحظه جماله،حتى ما احسسن بذلك.

و روى:«أن عيسى(ع)مر برجل أعمى و أبرص،مقعد مفلوج،و قد تناثر لحمه من الجذام،و هو يقول:الحمد للّه الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من الناس!فقال عيسى:يا هذا!أى شىء من البلاء تراه مصروفا عنك؟فقال:

يا روح الله!انا خير ممن لم يجعل اللّه فى قلبه ما جعل فى قلبى من معرفته، فقال:صدقت!هات يدك،فناوله يده،فإذا هو أحسن الناس وجها، و افضلهم هيئه،قد اذهب اللّه عنه ما كان به،و صحب عيسى و تعبد به».

فصل (هل يناقض الدعاء و نحوه الرضا)

اعلم ان الدعاء غير مناقض للرضا،و كذلك كراهيه المعاصى،و مقت أهلها،و حسم أسبابها،و السعى فى ازالتها بالامر بالمعروف و النهى عن البطاله و الغرور:أن جميع ذلك يخالف الرضا،إذ كل ما يقصد رده بالدعاء و أنواع المعاصى و الفجور و الكفر من قضاء اللّه و قدره،فيجب للمؤمن أن يرضى به.و قد رأوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا،و سموه حسن الخلق،و هذا جهل بالتأويل،و غفله من أسرار الشريعه و دقائقها.

أما الدعاء،فلا ريب فى أنا قد تعبدنا به،و قد كثرت أدعيه الأنبياء

و الأئمه،و کانوا علی أعلی مقامات الرضا،و تظاهرت الآیات و تواترت الأخبار فی الأمر بالدعاء و فوائده و عظم مدحه،و اثنی اللّه-سبحانه-علی عباده الداعین،حیث قال:

وَ یَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً

(۱)

.و قال: اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ (۲).و قال: أُجِیبُ دَعْوَهَ الدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ (۳).

و هو یوجب صفاء الباطن،و خشوع القلب،و رقه النظر،و تنور النفس و تجلیها.و قد جعله اللّه-تعالی-مفتاحا للکشف،و سببا لتواتر مزایا اللطف و الإحسان.و هو أقوی الأسباب لافاضه الخیرات و البرکات من المبادی العالیه.

فان قیل:ما یرد علی العبد من المکاره و البلایا یکون بقضاء اللّه و قدره،و الآیات و الأخبار ناطقه بالرضا بقضاء اللّه مطلقا،فالتشمر لرده بالدعاء یناقض الرضا.

قلنا:إن اللّه-سبحانه-بعظیم حکمته،أوجد ال.شیاء علی التسبیب و الترتیب بینهما،فربط المسببات بالأسباب،و رتب بعضها علی بعض، و جعل بعضها سببا و واسطه لبعض آخر،و هو مسبب الأسباب.و القدر عباره عن حصول الموجودات فی الخارج من أسبابها المعینه بحسب اوقاتها، مطابقه لما فی القضاء،و القضاء عباره عن ثبوت صور جمیع الأشیاء فی العالم العقلی علی الوجه الکلی.مطابقه لما فی العنایه الإلهیه المسماه بالعنایه الأولی،

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۹۰.

۲- ۲) المؤمن،الآیه:۶۰.

۳- ۳) البقره،الآیه:۱۸۶.

و العنايه عباره عن إحاطه علم اللّه-تعالى-بالكل على ما هو عليه إحاطه تامه، فنسبه القضاء إلى العنايه كنسبه القدر إلى القضاء. ثم،من جمله الأسباب لبعض الأمور الدعاء و التصدق و امثالهما،فكما أن شرب الماء سبب رتبه مسبب الأسباب لإزاله العطش،و لو لم يشربه لكان عطشه باقيا إلى أن يؤدى إلى هلاكه،و شرب المسهل سبب لدفع الاخلاط الرديه،و لو لم يشربه لبقيت على حالها،و هكذا فى سائر الأسباب،و كذلك الدعاء سبب رتبه اللّه-تعالى- لدفع البلايا و رفعها،و لو لم يدع لنزل البلاء و لم يندفع.

فلو قيل:لو كان فى علم اللّه-تعالى-و فى قضائه السابق،أن زيدا -مثلا-يدعو اللّه،أو يتصدق،عند ابتلائه ببليه كذا،و تندفع به بليته لدعاء أو تصدق،و دفع بليته،و لو كان فيهما أنه لا يدعو اللّه و لا يتصدق و يبتلى بتلك البليه،و لم يدع اللّه،و لم يتصدق،لم تندفع عنه البليه،و الحاصل:

ان كل ما تعلقت به العنايه الكليه و القضاء الازلى يحصل مقتضاه فى الخارج و عالم التقدير،إن خيرا فخير،و إن شرا فشر،فأى فائده فى سعى العبد و اجتهاده؟ قلنا:هذه من جمله شبهات الجبريه على كون العبد مجبورا فى فعله و نفى الاختيار عنه،و لا مدخليه لها بكون الدعاء غير مناقض للرضا،و كونه من جمله الأسباب المرتبه منه-تعالى-لحصول مسبباتها.كالتزويج لتحصيل الولد،و الأكل و الشرب لدفع الجوع و العطش،و لبس الثياب لدفع الحر و البرد،و غير ذلك.ثم الجواب من الشبهه المذكوره و أمثالها مذكور فى موضعها.

و أما إنكار المعاصى و كراهتها،و الفرار من أهلها و من البلد الذى شاعت فيه،فقد تعبد اللّه به عباده و ذمهم على الرضا بها،فقال:

وَ رَضُوا بِالْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ اطْمَأَنُّوا بِهٰا

(۱)

.و قال:

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوٰالِفِ وَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ

(۲)

.

و فى بعض الاخبار:«من شهد منكرا و رضى به فكأنه قد فعله».

و فى آخر:«لو أن عبدا قتل بالمشرق و رضى بقتله آخر بالمغرب،كان شريكا فى قتله».و فى آخر:«إن العب ليغيب عن المنكر و يكون عليه مثل وزر صاحبه»،قيل و كيف ذلك؟قال:«فيبلغه فيرضى به».

و أما بعض الكفار و الفجار و الفساق،و مقتهم و الإنكار عليهم،فما ورد فيه من شواهد الكتاب و السنه أكثر من أن يحصى.قال اللّه-سبحانه-:

لاٰ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰافِرِينَ أَوْلِيٰاءَ

(۳)

.و قال:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصٰارىٰ أَوْلِيٰاءَ

(۴)

.

و فى الخبر:«إن اللّه أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق».

و قال(ص):«أوثق عرى الايمان الحب فى اللّه و البغض فى اللّه».و قد تقدمت جمله من شواهد هذا فى باب الحب فى اللّه و البغض فى اللّه.

فان قيل:المعاصى ان لم تكن بقضاء اللّه و قدره فهو محال و قادح فى التوحيد،و إن كانت بقضاء اللّه مطلقا فكراهتها و مقتها

كراهه لقضاء اللّه، و الآيات و الاخبار مصرحه بوجوب الرضا بقضاء اللّه مطلقا،و ذلك تناقض،

ص :۲۱۱

۱- ۱) يونس،الآيه:۷.

۲- ۲) التوبه،الآيه۹۴،۸۸۶.

۳- ۳) آل عمران،الآيه:۲۸.

۴- ۴) المائده،الآيه:۵۴.

فكيف السبيل إلى الجمع؟و أنى يتأتى الجمع بين الرضا و الكراهه فى شىء واحد؟ قلنا:المقرر عند بعض الحكماء:أن الشرور الواقعه فى العالم،من المعاصى و غيرها،راجعه إلى الاعدام دون الموجودات،فلا تكون مراده له -تعالى-،و لا داخله فى قضائه،و عند بعضهم أنها داخله فى قضائه بالعرض لا بالذات،و لا ضير فى كراهه ما ليس فى قضاء اللّه-تعالى-بالذات.و عند بعضهم:أنها شرور قليله باعثه لخيرات كثيره.و على هذا،فينبغى أن تكون مكروهه من حيث ذاتها،و بهذه الحيثيه لا تكون من قضاء اللّه و الرضا به، و فرضه من حيث كونها باعثه لخيرات كثيره. و التحقيق:أن الاوصاف الثلاثه ثابته المشرور الواقعه فى العالم،اعنى انها راجعه إلى الاعدام و داخله فى قضائه-تعالى-بالعرض،و شرور قليله باعثه لخيرات كثيره.و على هذا فوجه الجمع أظهر.ثم،لابى حامد الغزالى هنا وجه جمع آخر، لا يروى الغليل و لا يشفى العليل.

فان قيل:بغض أهل المعاصى و مقتهم موقوف على ثبوت الاختيار لهم و تمكنهم من تركهم،و إثبات ذلك مشكل.

قلنا:لا اشكال فيه،إذ البديهه قاضيه بثبوت نوع اختيار للعباد فى افعالهم،و لا سيما فيما يتعلق به التكليف.و الخوض فى هذه المسأله مما لا ينبغى فالأولى فيها السكوت،و التأدب بآداب الشرع،و الرجوع إلى ما ورد من العتره الطاهره.و ما يمكن أن يقال فيها قد ذكرناه فى كتابنا المسمى ب(جامع الافكار).

فصل (طريق تحصيل الرضا)

الطريق إلى تحصيل الرضا،أن يعلم أن ما قضى اللّه-سبحانه-له هو الاصلح

بحاله،و إن لم يبلغ فهمه إلى سيره فيه.مع ان السخط و الكراهه لا يفيد شيئا و لا يتبدل به القضاء.فان ما قدر يكون،و ما لم يقدر لم يكن،و حسره الماضى و تدبير الآتى يذهبان بتركه الوقت بلا فائده،و تبقى تبعه السخط عليه.

فينبغى أن يدهشه الحب لخالقه عن الإحساس بالالم،كما للعاشق،و ان ان يهون عليه العلم بعظم الثواب التعب و العناء-كما للمريض و التاجر المتحملين شده الحجامه و السفر-فيفوض امره إلى اللّه،ان اللّه بصير بالعباد.

تتميم (التسليم)

اشاره

اعلم ان التسليم،و يسمى تفويضا أيضا،قريب من الرضا،بل هو فوق الرضا،لانه عباره عن ترك الاعراض فى الأمور الوارده عليه،و حوالتها باسرها إلى اللّه،مع قطع تعلقه عليها بالكليه،بمعنى ألا يكون طبعه متعلقا بشىء منها.فهو فوق الرضا،إذ فى مرتبه الرضا كلما يفعل اللّه به يوافق طبعه،فالطبع ملحوظ و منظور له،و فى مرتبه التسليم يجعل الطبع و موافقته و مخالفته كلها موكوله إلى اللّه-سبحانه-،و فوق مرتبه التوكل أيضا،إذ التوكل-كما يأتى-عباره عن الاعتماد فى أموره على اللّه،فهو بمنزله توكيل اللّه فى أموره،و كأنه يجعل اللّه-تعالى-بمثابه وكيله،فيكون تعلقه باموره باقيا،و فى مرتبه التسليم يقطع العلاقه من الأمور المتعلقه به بالكليه.

و منها:

اشاره

الحزن

و هو التحسر و التألم،لفقد محبوب،او فوت مطلوب.و هو أيضا كالاعتراض و الإنكار،مترتب على الكراهه للمقدرات الإلهيه.

و الفرق:ان الكراهه فی الاعتراض أشد من الكراهه فی الحزن،کما ان ضد الکراهه-اعنی الحب فی ضدهما-بعکس ذلک،ای ظهوره فی السرور الذی ضد الحزن أشد من ظهوره فی الرضا الذی هو ضد الاعتراض.

فان الرضا هو منع النفس فی الواردات من الجزع مع عدم کراهه و فرح، و السرور هو منعها فیها عن الجزع مع الابتهاج و الانبساط.فالسرور فوق الرضا فی الشرافه،کما أن الحزن تحت الاعتراض فی الخسه و الرذاله،و سبب الحزن و شده الرغبه فی المشتهیات الطبیعیه،و المیل إلی مقتضیات قوتی الغضب و الشهوه،و توقع البقاء للأمور الجسمانیه. و علاجه:ان یعلم ان ما فی عالم الکون و الفساد من:الحیوان،و النبات،و الجماد،و العروض، و الأموال،فی معرض الفناء و الزوال،و لیس فیها ما یقبل البقاء،و ما یبقی و یدوم هو الأمور العقلیه،و الکمالات النفسیه المتعالیه عن حیطه الزمان و حوزه المکان و تصرف الاضداد و تطرق الفساد،و إذا تیقن بذلک زالت عن نفسه الخیالات الفاسده،و الامانی الباطله.فلا یتعلق قلبه بالأسباب الدنیویه،و یتوجه بشراشره إلی تحصیل الکمالات العقلیه،و السعادات الحقیقیه الموجبه للاتصال بالجواهر النوریه الباقیه،و المجاوره للانوار القادسه الثابته،فیصل إلی مقام البهجه و السرور،و لا تلحقه احزان عالم الزور،کما أشیر إلیه فی الکتاب الإلهی بقوله:

أَلاٰ إِنَّ أَوْلِیٰاءَ اللّٰهِ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ

(۱)

.

و فی اخبار داود(ع):«یا داود!ما لاولیائی و الهمّ بالدنیا؟ان الهم یذهب حلاوه مناجاتی من قلوبهم،ان محبی من اولیائی ان یکونوا روحانیین لا یغتمون».و الحاصل:ان حب الفانیات و التعلق بما من شأنه

۱- ۱) یونس،الآیه:۶۲.

الفوات خلاف مقتضى العقل،و حرام على العاقل أن يفرح بوجود الأمور الفانيه،أو يحزن بزوالها.و لقد قال سيد الأوصياء-عليه آلاف التحيه و الثناء-:«ما لعلى و زينه الدنيا،و كيف افرح بلذه تفنى،و نعيم لا يبقى؟!» بل ينبغى أن يرضى نفسه بالموجود،و لا يغتم بالمفقود،و يكون راضيا بما يرد عليه من خير و شر.و قد ورد فى الآثار:«ان اللّه-تعالى-بحكمته و جلاله،جعل الروح و الفرح فى الرضا و اليقين»،و من رضى بالموجود و لا يحزن بالمفقود،فقد فاز بأمن بلا فزع،و سرور بلا جزع،و فرح بلا حسره،و يقين بلا حيره،و ما لطالب السعاده أن يكون أدون حالا من سائر طبقات الناس،فان كل حزب بما لديهم فرحون،كالتاجر بالتجاره، و الزارع بالزراعه،بل الشاطر بالشطاره،و القواد بالقياده،مع أن ما هو السبب و الموجب المفرّح فى الواقع و نفس الامر ليس إلا لأهل السعاده و الكمال،و ما لغيرهم محض التوهم و مجرد الخيال.فينبغى لطالب السعاده أن يكون فرحانا بما عنده من الكمالات الحقيقيه،و السعادات الأبديه، و لا يحزن على فقد الزخارف الدنيويه،و الحطام الطبيعيه،و يتذكر ما خاطب اللّه به نبيه(ص):

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ

(۱)

.

و من تصفح فرق الناس،يجد أن كل فرقه منهم فرحهم بشىء من الأشياء،و به اهتزازهم و قوامهم و نظام امرهم.فالصبيان فرحهم باللعب

۱- ۱) طه،الآيه:۱۳۱.

و تهیئه أسبابه،و هو فی غایه القبح و الرکاکه عند من جاوز مرتبتهم.

و البالغون حد الرجولیه،بعضهم فرحان بالدرهم و الدینار،و بعضهم بالضیاع و العقار،و آخر بالاتباع و الأنصار،و فرقه بالنسوان و الأولاد،و طائفه بالحرف و الصنایع،و بعضهم بالحسب و النسب،و الآخر بالجاه و المنصب، و بعضهم بالقوه الجسمانیه،و آخر بالجمال الصوری،و طائفه بالکمالات الدنیویه:کالخط،و الشعر،و حسن الصوت،و الطب،و العلوم الغریبه، و غیر ذلک،حتی ینتهی إلی من لا یفرح إلا بالکمالات النفسیه و الریاسات المعنویه،و هم أیضا مختلفون،فبعضهم غایه فرحه بالعباده و المناجاه،و آخر بمعرفه حقائق الأشیاء،حتی یصل إلی من لیس فرحه إلا بالأنس بحضره الربوبیه،و الاستغراق فی لجه أنواره،و سائر المراتب عنده فیء زائل و خیال باطل.و لا ریب فی أن العاقل یعلم أن ما ینبغی أن یفرح و یبتهج به حصول هذه المرتبه،و سائر الأمور کسراب بقیعه یحسبه الظمآن ماء.فلا ینبغی للعاقل أن یحزن بفقدها و یفرح بوجودها. ثم،من تأمل،یجد أن الحزن لیس أمرا وجودیا لازما،بل هو أمر اختیاری یحدثه الشخص فی نفسه بسوء اختیاره.إذ کلما یفقد من شخص و یحزن لأجله لیس موجودا لکثیر من الناس،بل ربما لم یملکوه فی مده عمرهم أصلا،و مع ذلک لا تجدهم محزونین علی عدمه،بل فرحون راضون،و لو کان الحزن لازما لفقد هذا الامر لکان کل من فقده محزونا،و لیس کذلک.و أیضا کل حزن یعرض لأجل مصیبته یزول بعد زمان و یتبدل بالسرور،و لو کان الحزن لاجلها أمرا ضروریا لازما لما زال أصلا.

ثم العجب من العاقل أن یحزن من فقد الأمور الدنیویه،مع أنه یعلم ان الدنیا دار الفناء،و زخارفها متنقله بین الناس،و لا یمکن بقاؤها

لأحد،و جميع الأسباب الدنيويه ودائع اللّه ينتقل إلى الناس على سبيل التبادل و التناوب.و مثلها مثل شمامه تدار فى مجلس بين أهله على التناوب، يتمتع بها فى كل لحظه واحد منهم،ثم يعطيها غيره.فطامع البقاء للحطام الدنيويه كمن طمع فى ملكيه الشمامه و اختصاصها به،إذا وصلت إليه نوبه الاستمتاع،و إذا استردت منه عرض له الحزن و الخجله.و ما المال و الأهلون الا ودائع،و لا بد يوما أن ترد الودائع.فلا ينبغى للعاقل أن يغتم و يحزن لأجل رد الوديعه،كيف و الحزن بردها كفران للنعمه؟اذ أقل مراتب الشكر ان ترد الوديعه إلى صاحبها على طيب النفس،لا سيما اذا استرد الاخس-اعنى الخبائث الدنيويه-،و بقى الأشرف-اعنى النفس و كمالاتها العلميه و العمليه-،فينبغى لكل عاقل الا يعلق قلبه بالأمور الفانيه،حتى لا يحزن بفقدها.قال سقراط:«إنى لم أحزن قط،إذ ما أحببت قط شيئا حتى أحزن بفوته،و من سره الا يرى ما يسوؤه،فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا».

و منها:

اشاره

عدم الاعتماد

أو ضعفه فى أموره على اللّه،و الوثوق بالوسائط،و النظر إليها فيها.

و سببه:اما ضعف اليقين،أو ضعف القلب،أو كلاهما.فهو من رذائل قوتى العاقله و الغضب.و لا ريب فى أنه من المهلكات العظيمه و ينافى الايمان،بل هو من شعب الشرك.و لذا ورد فى ذمه من الآيات و الأخبار ما ورد،قال اللّه-سبحانه-:

ص :۲۱۷

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ عِبٰادٌ أَمْثٰالُكُمْ

(۱)

.

و قال: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لاٰ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ (۲).و قال: وَ لِلّٰهِ خَزٰائِنُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَفْقَهُونَ (۳).

و فی اخبار داود(ع):«ما اعتصم عبد من عبادی بأحد من خلقی عرفت ذلک من نیته،إلا قطعت أسباب السماوات من یدیه،و اسخطت الأرض من تحته،و لم أبال بأی واد هلک».قال رسول اللّه(ص):

«من اغتر بالعبید أذله اللّه».و قیل:«مکتوب فی التوراه:ملعون من ثقته بانسان مثله».فینبغی للمؤمن ان یتخلی عنه باکتساب ضده،أعنی التوکل،کما یأتی.

وصل

اشاره

التوکل-فضیله التوکل-درجات التوکل-السعی لا ینافی التوکل-الأسباب التی لا ینافی السعی إلیها التوکل-اعقل و توکل-درجات الناس فی التوکل-تفنید زعم-طریق تحصیل التوکل.

التوکل اعتماد القلب فی جمیع الأمور علی اللّه.و بعباره أخری:حواله العبد جمیع أموره علی اللّه،و بعباره أخری:هو التبری من کل حول و قوه،

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۹۳.

۲- ۲) العنکبوت،الآیه:۱۷.

۳- ۳) المنافقون،الآیه:۷.

و الاعتماد على حول اللّه و قوته.و هو موقوف على أن يعتقد اعتقادا جازما بأنه لا فاعل الا اللّه،و انه لا حول و لا قوه الا باللّه،و ان له تمام العلم و القدره على كفايه العباد،ثم تمام العطف و العنايه و الرحمه بجمله العباد و الآحاد،و أنه ليس وراء منتهى قدرته قدره،و لا وراء منتهى علمه علم، و لا وراء منتهى عنايته عنايه.فمن اعتقد ذلك اتكل قلبه لا محاله على اللّه وحده،و لم يلتفت إلى غيره،و لا إلى نفسه أصلا.و من لم يجد ذلك من نفسه فسببه،إما ضعف اليقين،أو ضعف القلب،و مرضه باستيلاء الجبن عليه و انزعاجه بسبب الأوهام الغالبه عليه.فان القلب الضعيف ينزعج تبعا للوهم،و طاعه له من غير نقصان فى اليقين،كانزعاجه أن يبيت مع ميت فى قبر أو فراش،مع يقينه بأنه جماد فى الحال لا يتصور منه إضرار،فلا ينبغى أن يخاف منه و يفرّ عنه،كما لا يفر من سائر الجمادات.و كذا من كان ضعيف القلب و تناول العسل-مثلا-، فشبه العسل بين يديه بالعذره،فربما نفر طبعه لضعف قلبه،و تعذر عليه ان يتناوله،مع يقينه بأنه عسل و لا مدخليه للعذره فيه.

فالتوكل لا يتم الا بقوه اليقين و قوه القلب جميعا،إذ بهما يحصل سكون القلب و طمأنينته،فالسكون فى القلب شيء آخر،و اليقين شيء آخر.فكم من يقين لا طمأنينه معه،كما قال-تعالى-:

أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ؟قٰالَ:بَلىٰ!وَ لٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي

(1)

.

فالتمس أن يشاهد إحياء الميت بعينه ليثبت اليقين فى خياله،فان النفس تتبع الخيال و تطمئن به،و لا تطمئن باليقين فى ابتداء امره إلى ان تبلغ

1- 1) البقره،الآيه:260.

درجه النفس المطمئنه،و ذلک لا یکون فی البدایه.و کم من مطمئن لا یقین له،کأرباب الملل و المذاهب الباطله.فان الیهودی مطمئن القلب إلی تهوده، و کذا النصرانی،و لا یقین لهما أصلا،و إنما یتبعون الظن و ما تهوی الأنفس.و إذا توقف التوکل علی الیقین و قوه القلب،و ارتفع بضعف أحدهما،یظهر أن التوکل من الفضائل المتعلقه بقوتی العاقله و الغضبیه معا،و ضده-اعنی عدم التوکل-من رذائل أحدهما أو کلیهما.ثم،إنک قد عرفت فی باب التوحید،أن عماد التوکل و ما یبتنی علیه،هو المرتبه الثالثه من التوحید،و هی أن تنکشف للعبد باشراق نور الحق بأنه لا فاعل إلا هو،و أن ما عداه من الأسباب و الوسائط مسخرات مقهورات تحت قدرته الازلیه.فطالب التوکل یلزم علیه أن یحصل هذه المرتبه من التوحید لیحصل له التوکل.و قد عرفت-أیضا-أن المرتبه الثانیه منه-أعنی التوحید الاعتقادی-إذا قویت ربما اورثت حال التوکل،الا ان التوکل کما ینبغی موقوف علی المرتبه الثالثه منه.

فصل (فضیله التوکل)

التوکل منزل من منازل السالکین و مقام من مقامات الموحدین،بل هو أفضل درجات الموقنین.و لذا ورد فی مدحه و فضله و فی الترغیب فیه ما ورد من الکتاب و السنه،قال اللّه-تعالی-:

وَ عَلَی اللّهِ فَتَوَکَّلُوا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ

(۱)

.و قال:

۱- ۱) المائده،الآیه:۲۶.

وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

(۱)

.و قال: إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (۲).و قال: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (۳).و قال: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .(۴)

أی عزيز لا يذلّ من استجار به،فلا يضع من لاذ بجنابه،و حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره.و قال رسول اللّه(ص):«من انقطع إلى اللّه،كفاه اللّه كل مؤنه،و رزقه من حيث لا يحتسب.و من انقطع إلى الدنيا،و كله اللّه إليها».و قال(ص):«من سره ان يكون اغنى الناس،فليكن بما عند اللّه اوثق منه بما فی يده».و قال(ص):«لو انكم تتوكلون على اللّه حق توكله،لرزقتم كما ترزق الطيور،تغدو خماصا و تروح بطانا». و عن على بن الحسين-عليهما السلام-قال:«خرجت حتى انتهيت الى هذا الحائط،فاتكأت عليه،فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر فی تجاه وجهی،ثم قال:يا على بن الحسين!مالی أراك كئيبا حزينا؟أعلى الدنيا؟ فرزق اللّه حاضر للبر و الفاجر.قلت:ما على هذا أحزن،و إنه لكما تقول.

قال:فعلى الآخره؟فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر قادر.قلت:ما على هذا احزن،و إنه لكما تقول.فقال:مم حزنك؟قلت:مما نتخوف من فتنه ابن الزبير و ما فيه للناس.قال:فضحك،ثم قال:يا على بن الحسين!

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۶۰،۱۲۲.المائده،الآيه:۱۲.التوبه، الآيه:۵۲.إبراهيم،الآيه:۱۱.المجادله،الآيه:۱۰.التغابن،الآيه:۱۳.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۱۵۹.

۳- ۳) الطلاق،الآيه:۳.

۴- ۴) الانفال،الآيه ۵۰.

هـل رأيت أحـدا دعا اللّه فلم يجبه؟قلت:لا!قال:فهل رأيت أحـدا توكل على اللّه فلم يكفه؟قلت:لا!قال:فهل رأيت أحـدا سأل اللّه فلم يعطه؟قلت:لا!...ثم غـاب عنى»،و لعـل الرجـل كان هو الخضـر-على نبينا و عليه السـلام-. و قال الصادق(ع):«أوحى اللّه إلى داوود:مـا اعتصم بى عبـد من عبـادى دون أحـد من خلقى،عرفت ذلـك من نيته،ثم تكيـده السـماوات و الأـرض و من فيهن،إلا جعلت له المخرج من بينهن».

و قال(ع):«إن الغنى و العز يجولان،فإذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا».

و قـال(ع):«من أعطى ثلاثـا لا يمنع ثلاثا:من أعطى الـدعاء أعطى الإجابه، و من أعطى الشـكر أعطى الزياده،و من أعطى التوكل أعطى الكفايه.ثم قال:أ تلوت كتاب اللّه-عز و جل-(و من يتوكل على اللّه فهو حسـبه)، و قال:(و لئن شـكرتم لازيـدنكم)،و قال: (ادعونى استجب لكم)؟».

و قال(ع):«أيما عبـد أقبل قبل ما يحب اللّه-تعالى-أقبل اللّه قبل ما يحب و من اعتصم باللّه عصـمه اللّه،و من أقبل على اللّه قبله و عصـمه،لم يبال لو سـقطت السـماء على الأرض،أو كانت نازله نزلت على أهل الأرض فتشـملهم بليه، كان فى حزب اللّه بالتقوى من كـل بليه،أ ليس اللّه-تعالى-يقول:(إن المتقين فى مقام امين)؟».و قال(ع):«ان اللّه-تعالى-يقول:و عزتى و جلالى و مجـدى و ارتفاعى على عرشـى!لأقطعن امل كل مؤمل من الناس فى غيرى باليأس،و لأكسونه ثوب المـذله عند الناس،و لا نحينه من قربى، و لأبعدنه من وصـلى،أ يؤمل غيرى فى الشدائد و الشدائد بيدى و يرجو غيرى؟و يقرع بالفكر باب غيرى،و بيدى مفاتيح الابواب و هى مغلقه؟ و بـابى مفتوح لمن دعـانى،فمن ذا الـذى املنى لنوائبه فقطعته دونهـا،و من ذا الـذى رجـانى لعظيمه فقطعت رجـاءه منى؟جعلت آمال عبادى محفوظه،

فلم يرضوا بحفظى،و ملأت سماواتى ممن لا يمل من تسبيحى،و أمرتهم الا يغلقوا الأبواب بينى و بين عبادى،فلم يثقوا بقولى،ألم يعلم من طرقته نـائبه من نوائبى أنه لاـ يملـك كشـفها أحـد غيرى إلاـ من بعـد إذنى؟فما لى اراه لاهيا عنى؟اعطيته بجودى ما لم يسـألنى،ثم انتزعته عنه فلم يسـألنى رده،و سـأل غيرى،أ فترانى ابـدأ بالعطـاء قبـل المسـأله؟ثم اسـأل فلاـ أجيب سائلى؟أ بخيل أنا فيبخلنى عبـدى؟او ليس الجـود و الكرم لى؟أو ليس العفـو و الرحمـه بيـدى؟أو لست أنـا محـل الآمـال؟فمن يقطعهـا دونى؟أ فلا يخشـى المؤملـون أن يؤملوا غيرى؟فلو أن أهـل سـماواتى و أهـل ارضـى أملوا جميعـا،ثم أعطيت كـل واحـد منهم مثـل مـا امل الجميع،مـا انتقص من ملكى مثـل عضو ذره،و كيف ينقص ملـك انا قيمه؟فيا بؤسا للقانطين من رحمتى!و يا بؤسا لمن عصانى و لم يراقبنى!» (۱).

فصل (درجات التوكل)

للتوكل فى الضعف و القوه ثلاث درجات:

الأولى-أن يكون حاله فى حق اللّه و الثقه بعنايته و كفالته كحاله بالثقه بالوكيل،و هذه اضـعف الدرجات،و يكثر وقوعها و يدوم مده مديده،و لا ينافى أصل التدبير و الاختيار،بل ربما زاول كثيرا من التدبيرات بسعيه

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(أصول الكافى):ج ۲،باب التفويض إلى اللّه و التوكل عليه.و على(البحار):باب التوكل و التفويض و الرضا:مـج ۱۵ ۲-۱۵۳،ط(امين الضـرب).و للعلامه(المجلسـى)-قدس سـره-فى الموضع المذكور،فى الحديث الخامس،تحقيق دقيق و بيان لطيف،لا يسع المقام ذكره هنا،فمن أراد الوقوف عليه فعليه بمراجعه الموضع المذكور.

و اختیاره.نعم ینافی بعض التـدبیرات،کالتوکل علی وکیله فی الخصومه، فانه یترک تـدبیره من غیر جهه الوکیل،و لکن لا یترک الذی أشار إلیه وکیله،و لا التدبیر الذی عرفه من عادته و سنته دون تصریح اشارته.

الثـانیه-أن تکون حاله مع اللّه کحال الطفل مع أمه،فانه لا یعرف غیرها،و لا یفزع إلا إلیها،و لا یعتمـد إلا علیها.فان رآها تعلق فی کـل حـال بـذیلها،و ان ورد علیه امر فی غیبتها کان اول سابق لسانه یا اماه!.و الفرق بین هـذا و سابقه،ان هـذا متوکل قـد فنی فی موکله عن توکله،أی لیس یلتفت قلبه إلی التوکـل،بـل التفـاته إنمـا هو إلی المتوکـل علیه فقـط،فلاـ مجـال فی قلبه لغیر المتوکل علیه.و أمـا الأـول فتوکـل بالکسب و التکلف، و لیس فانیا عن توکله،ای له التفات إلی توکله،و ذلک شـغل صارف عن ملاحظه المتوکـل علیه وحـده.و هـذا أقـل وقوعـا و دوامـا من الأول،إذ حصوله إنما هو للخواص،و غایه دوامه أن یـدوم یوما أو یومین،و ینافی التدبیرات،إلا تدبیر الفزع إلی اللّه بالدعاء و الانتهال،کتدبیر الطفل فی التعلق بامه فقط.

الثـالثه-و هی أعلی الـدرجات،أن یکون بین یـدی اللّه فی حرکـاته و سـکناته مثـل المیت بین یـدی الغاسل،بأن یری نفسه میتا،و تحرکه القـدره الأـزلیه کمـا یحرک الغاسـل المیت.و هو الـذی قویت نفسه،و نـال الـدرجه الثالثه من التوحیـد.و الفرق بینه و بین الثانی،أن الثانی لا یترک الدعاء و التضـرع کما ان الصبی یفزع إلی أمه،و یصـیح و یتعلق بذیلها،و یعدو خلفها،و هذا ربما یترک الـدعاء و السؤال ثقه بکرمه و عنایته،فهـذا مثال صبی علم أنه إن لم یرص بامه فالأم تطلبه،و إن لم یتعلق بذیلها فهی تحمله،و إن لم یسأل اللبن فهی تسقیه.و من هذا القسم توکل إبراهیم الخلیل-علیه السلام-

ص:۲۲۴

لما وضع فی المنجنیق لیرمی به إلی النار،و أشار إلیه روح الأمین بسؤال النجاه و الاستخلاص من اللّه-سبحانه-فقال:«حسبی من سؤالی علمه بحالی».و هذا نادر الوقوع،عزیز الوجود،فهو مرتبه الصدیقین،و إذا وجد فدوامه لا یزید علی صفره الوجل،أو حمره الخجل،و هو ینافی التدبیرات ما دام باقیا،إذ یکون صاحبه کالمبهوت.ثم،توکل العبد علی اللّه قد یکون فی جمیع أموره،و قد یکون فی بعضها.و تختلف درجات ذلک بحسب کثره الأمور المتوکل فیها و قلتها.و قال الکاظم(ع)فی قوله-عز و جل-:

وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ

(۱)

.

«التوکل علی اللّه درجات،منها أن تتوکل علی اللّه فی أمورک کلها،فما فعل بک کنت عنه راضیا،تعلم انه لا یألوک خیرا و فضلا،و تعلم ان الحکم فی ذلک له،فتوکل علی اللّه بتفویض ذلک إلیه،وثق به فیها و فی غیرها».

و لعل سائر درجات التوکل أن یتوکل علی اللّه فی بعض أموره دون بعض، و تعدد الدرجات حینئذ بحسب کثره الأمور المتوکل فیها و قلتها.

فصل (السعی لا ینافی التوکل)

اعلم أن الأمور الوارده علی العباد طما أن تکون خارجه عن قدره العباد و وسعهم،بمعنی أنه لا تکون لها أسباب ظاهره قطعیه أو ظنیه لجلبها أو دفعها،أو تکون لها أسباب جالبه لها أو دافعه إیاها،إلا أن العبد لا یتمکن منها.

فمقتضی التوکل فیها ترک السعی بالتمحلات و التدبیرات الخفیه، و حوالتها علی رب الأرباب،و لو دبر فی تغییرها بالتمحلات و التکلفات،

۱- ۱) الطلاق،الآیه:۳.

لكـان خارجـا عن التوكـل رأسا، او لا تكون خارجه عن قـدرتهم،بمعنى أن لها أسـبابا قطعيه أو ظنيه يمكن للعبـد أن يحصـلها و يتوصـل بها إلى جلبها أو دفعها.فالسـعى فى مثلها لا ينافى التوكل،بعـد أن يكون وثوقه و اعتماده باللّه دون الأسـباب.فمن ظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبـدن،و ترك التـدبير بالعقل رأسا،و السـقوط على الأرض كالخرقه الملقاه،فقد أبعد عن الحق،لان ذلـك محرم فى الشـرع الاقـدس.فان الشـارع كلف الإنسـان بطلب الرزق بالأسـباب الـتى هـداه اللّه إليهـا،من زراعه،او تجـاره،او صناعه،او غير ذلك مما أحله اللّه،و بابقاء النسل بالتزويج،و كلفه بأن يدفع عن نفسه الأشياء المؤذيه بالتوسل إلى الأسباب المعينه لـدفعها.و كمـا ان العبـادات أمـور امر اللّـه-تعـالى-عبـاده بالسـعى فيهـا،ليحصـل لهـم بهـا التقرب إليـه و السـعادات فى دار الآخره،فكذلك طلب الحلال و دفع الضـرر و الالم عن النفس و الأهل و العيال أمور امرهم اللّه-تعالى-،ليحصل لهم بها التوسـل إلى العبادات و ما يؤدى إلى التقرب و السعاده.و لكنه -سبحانه-كلفهم أيضا بألا يثقوا إلا به،و لا يعتمدوا على الأسباب.

كمـا انه-سـبحانه-كلفهم بألا يتكلوا على أعمالهم الحسـنه،بل على فضـله و رحمته. فمعنى التوكل المأمور به فى الشـريعه:اعتماد القلب على اللّه فى الأـمور كلهـا،و انقطـاعه عمـا سواه.و لاـ ينافيه تحصـيل الأسـباب إذا لم يسـكن اليها،و كان سـكونه إلى اللّه-سبحـانه-دونهـا مجوزا فى نفسه أن يؤتيه اللّه مطلوبه من حيث لاـ يحتسب،دون هـذه الأسـباب التى حصـلها،و أن يقطع اللّه هـذه الأسباب عن مسبباتها.

ص :۲۲۶

فصل (الأسباب التی لا ینافی السعی إلیها التوکل)

الأسباب التی لا ینافی تحصیلها و مزاولتها للتوکل،هی الأسباب القطعیه او الظنیه،و هی التی یقطع او یظن بارتباط المسببات بها بتقدیر اللّه و مشیته ارتباطا مطردا لا یتخلف عنها،سواء کانت لجلب نفع او لدفع ضر منتظر او لإزاله آفه واقعه،و ذلک کمد الید إلی الطعام للوصول إلی فیه،و حمل الزاد للسفر،و اتخاذ البضاعه للتجاره،و الوقاع لحصول الاولاد،و أخذ السلاح للعدو،و الادخار لتجدد الاضطرار،و التداوی لإزاله المرض، و التحرز عن النوم فی ممر السیل و مسکن السباع و تحت الحائط المائل،و غلق الباب،و عقل البعیر،و ترک الطریق الذی یقطع او یظن وجود السارقین او السباع الضاره فیه...و قس علیها غیرها.

و اما الأسباب الموهومه،کالرقیه،و الطیره،و الاستقصاء فی دقائق التدبیر،و إبداء التمحلات لأجل التبدیل و التغییر،فیبطل بها التوکل، لان أمثال ذلک لیست باسباب عند العقلاء،و لیست مما امر اللّه-تعالی- بها،بل ورد النهی عنها،علی ان المأمور به الاجمال فی الطلب و عدم الاستقصاء.

قال رسول اللّه(ص):«ألا إن الروح الأمین نفث فی روعی:انه لا تموت نفس حتی تستکمل رزقها،فاتقوا اللّه-تعالی-،و اجملوا فی الطلب».و قال -صلّی اللّه علیه و آله-:«ما أجمل فی الطلب من رکب البحر». و قال الصادق(ع):

«لیکن طلب المعیشه فوق کسب المضیع،و دون طلب الحریص،الراضی بدنیاه،المطمئن إلیها،و لکن أنزل نفسک من ذلک بمنزله المنصف المتعفف، ترفع نفسک عن منزله الواهن الضعیف،و تکتسب ما لا بد منه،إن الذین

أعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم».و قال(ع):«اذا فتحت بابك، و بسطت بساطك،فقد قضيت ما عليك».

فصل (اعقل و توكل)

اعلم ان التوكل لا يبطل بالأسباب المقطوعه و المظنونه،مع ان اللّه قادر على إعطاء المطلوب بدون ذلك،لان اللّه-سبحانه-ربط المسببات بالأسباب،و ابى ان يجرى الأشياء إلا بالأسباب.و لذا لما أهمل الأعرابى بعيره،و قال:توكلت على اللّه،قال له النبى(ص):«اعقلها و توكل».

و قال الصادق(ع):«أوجب اللّه لعباده أن يطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التى سببها لذلك و امرهم بذلك».و قال اللّه-تعالى-:

خُذُوا حِذْرَكُمْ

(۱)

.و قال فى كيفيه صلاه الخوف:

وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ

(۲)

.و قال: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِبٰاطِ الْخَيْلِ (۳).

و قال لموسى: «فَأَسْرِ بِعِبٰادِي لَيْلاً (۴)،و التحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر.

و فى الإسرائيليات:«ان موسى بن عمران(ع)اعتل بعله،فدخل عليه بنو أسرائيل،فعرفوا علته،فقالوا له:لو تداويت بكذا لبرئت،فقال:

لا أتداوى حتى يعافينى اللّه من غير دواء.فطالت علته،فاوحى اللّه إليه:

۱- ۱) النساء،الآیه:۷۰.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱۰۱.

۳- ۳) الانفال،الآیه:۶۱.

۴- ۴) الدخان،الآیه:۲۳.

و عزتی و جلالی!لا أبرؤک حتی تتداوی بما ذکروه لک.فقال لهم:داوونی بما ذکرتم.فداووه،فبریء.فاوجس فی نفسه من ذلک،فاوحی اللّه -تعالی-الیه:أردت أن تبطل حکمتی بتوکلک علی،فمن أودع العقاقیر منافع الأشیاء غیری؟». و روی:«أن زاهدا من الزهاد،فارق الامصار و أقام فی سفح جبل،فقال:لا اسأل أحدا شیئا حتی یأتینی ربی برزقی، فقعد سبعا،فکاد یموت،و لم یأته رزق،فقال:یا رب!إن احییتنی فأتنی برزقی الذی قسمت لی،و إلا فاقبضنی إلیک.فاوحی اللّه-تعالی-الیه:

و عزتی و جلالی!لا أرزقک حتی تدخل الامصار،و تقعد بین الناس.

فدخل المصر فأقام،فجاء هذا بطعام،و هذا بشراب،فاکل و شرب.

فاوجس فی نفسه ذلک،فاوحی اللّه إلیه:أردت أن تذهب حکمتی بزهدک فی الدنیا،أما علمت انی ارزق عبدی بایدی عبادی أحب الی من أن ارزقه بید قدرتی؟».

فصل (درجات الناس فی التوکل)

اعلم أن درجات الناس-کما عرفت-فی التوکل مختلفه،بحسب تفاوت مراتبهم فی قوه الیقین و ضعفه،و فی قوه التوحید و ضعفه:

فمنهم:من کمل ایمانه و یقینه،بحیث سقط وثوقه عن الأسباب بالکلیه، و توجه بشراشره إلی الواحد الحق،و لا یری مؤثرا إلا هو،و لیس نظره الی غیره أصلا،و قلبه مطمئن ساکن بعنایته،بحیث لا یختلج بباله احتمال أن یکله ربه إلی غیره،و لا یعتری نفسه اضطراب أصلا،فلا بأس لمثله أن یعرض عن الأسباب المقطوعه أو المظنونه بالکلیه،لان اللّه سبحانه یحفظه و یحرسه و یصلح أموره،و یرزقه من حیث لا یحتسب،سواء

حسب الأسباب أم لا،و سواء كسب أم لم يكتسب،إلا أنه ربما لم يترك السبب و الكسب و يتبع امر اللّه فيه،إلا أنه ليس وثوقه إلا باللّه دون السبب و الكسب.و ما ورد من حكايات بعض الكمل من الأولياء،من انهم يسافرون فى البوادى التى لا يطرقها الناس بغير زاد ثقه باللّه،و يصل اليهم الرزق،أو لا يتحرزون من السباع الضاره،أو يغلظون القول بالنسبه الى أهل الاقتدار من الملوك و السلاطين من دون خوف و مبالاه،اعتمادا على اللّه،و اللّه-سبحانه-ينجيهم منهم،كانوا منهم:أى من الكاملين فى التوكل. قال الصادق(ع):«أبى اللّه-عز و جل-أن يجعل أرزاق المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون».و إنما خصه بالمؤمنين،لان كمال الايمان يقتضى ألا يثق صاحبه بالأسباب و أن يتوكل على اللّه-عز و جل- وحده.و كمال الايمان إنما يكون لصاحب العلم المكنون من الأنبياء و الأولياء،و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء.

و منهم:من لم يبلغ قوه ايمانه و يقينه حدا تغيب عن نظره الأسباب و الوسائط،و يكون مقصور الالتفات إلى جناب الحق.فهذا هو الذى لا ينبغى له أن يعرض عن الأسباب و يتركها،لان مثله ليس له المظنه التى توصله إلى المقصد بدون الوسائط:اعنى قوه التوكل على اللّه و اليقين به سبحانه.

فصل (تفنيد زعم)

بعض الناس زعم:أن حق التوكل أن يكتفى بالأسباب الخفيه عن الأسباب الجليه،كأن يسافر فى البوادى التى لا يطرقها الناس بغير زاد، بعد أن راض نفسه على جوع الأسبوع و ما يقاربه،بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب،و اضطراب نفس،و تشويش خاطر،و فتور فى ذكر اللّه،

و بعـد أن یکـون بحیث یقـوی علی التقـوت بالحشـیش و مـا یتفق له،و أن یوطن نفسه علی أنه إن مـات جوعـا کـان خیرا له فی الآخره.

و کأن یجلس فی مسـجد أو بیته و یترک الکسب،و یتفرغ للعباده، و الفکر و الذکر،و اسـتغرق وقته بها،بحیث لا یستشـرف نفسه إلی الناس فی انتظاره و من یدخل فیحمل إلیه شیئا،بل یکون قوی القلب فی الصبر و الاتکال علی اللّه.و هذا محض الخطأ،إذ من جاهد نفسه و راضـها بحیث یصبر علی جوع الأسـبوع،و یمکنه التقوت بالحشـیش،صارت الأسباب له جلیه.فان عدم الحاجه أحد الغنـائین.ثم إن کان اعتماده-حینئـذ-علی صبره و تمکنه من التقوت بالحشیش،فاین التوکل؟و إن کان وثوقه باللّه وحـده، فلیقم فی بلـده مع الأسـباب،کمـا أمر اللّه به فی الشـرع.و أمـا توطین نفسه باختیـاره علی الموت فممنوع عقلا،و محرم شـرعا،قال اللّه-سبحانه-:

وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ

(۱)

.

و اما الجالس فی بیته،التارک لکسـبه،یعبـد اللّه من دون طلب، فهو أیضا قـد ترک متابعه امر اللّه.قال الصادق-علیه السـلام-:«إن من یقوته أشـد عبـاده منه».و ربمـا یکون مثله کلا علی الناس،فان حاله ینادی بالبؤس و الیأس،بل هو ضـرب علی تواطن الناس و تعرض للـذل.و بالجمله لا مـدخل لخفاء الأسـباب و جلائها فی التوکل،بعـد ما تقرر ان معناه الثقه باللّه وحده،لا بالأسـباب،فسواء وجود الأسباب و فقدها و جلاؤها و خفاؤها.

فصل (طریق تحصیل التوکل)

اشاره

الطریق إلی تحصیل التوکل-بعد تقویه التوحید و الاعتماد بأن

۱- ۱) البقره،الآیه:۱۹۵.

الأمور باسرها مستنده إليه سبحانه،و ليس لغيره مدخليه فيها-أن يتذكر الآيات و الاخبار المذكوره الداله على فضيلته و مدحه،و كونه باعث النجاه و الكفايه،ثم يتذكر أن اللّه-سبحانه-خلقه بعد أن لم يكن موجودا، و اوجده من كتم العدم،و هيأ له ما يحتاج إليه،و هو أرأف بعباده من الوالده بولدها،و قد ضمن بكفاله من توكل عليه،فيستحيل أن يضيعه بعد ذلك و لا يكفيه مؤنته،و لا يوصل إليه ما يحتاج إليه،و لا يدفع عنه ما يؤذيه، لتقدسه من العجز و النقص و الخلف و السهو.و ينبغى أن يتذكر الحكايات التى فيها عجائب صنع اللّه فى وصول الأرزاق إلى صاحبها،و فى دفع البلايا و الاسواء عن بعض عبيده،و الحكايات التى فيها عجائب قهر اللّه فى إهلاك أموال الأغنياء و إذلال الاقوياء،و كم من عبد ليس له مال و بضاعه و يرزقه اللّه بسهوله،و كم من ذى مال و ثروه هلكت بضاعته او سرقت و صار محتاجا،و كم من قوى صاحب كثره و عده و سطوه صار عاجزا ذليلا بلا سبب ظاهر،و كم من ذليل عاجز صار قويا و استولى على الكل.و من تأمل فى ذلك يعلم أن الأمور بيد اللّه،فيلزم الاعتماد عليه و الثقه به.و المناط أن يعلم أن الأمور لو كانت بقدره اللّه-سبحانه-من غير مدخليه للاسباب و الوسائط فيها،فعدم التوكل عليه-سبحانه-و الثقه بغير غايه الجهل،و إن كانت لغيره-سبحانه-من الوسائط و الأسباب مدخليه، فالتوكل من جمله أسباب الكفايه و انجاح الأمور،إذ السمع و التجربه شاهدان بأن من توكل على اللّه و انقطع إليه كفاه اللّه كل مؤنه.فكما ان شرب الماء سبب لإزاله العطش،و أكل الطعام سبب لدفع الجوع،فكذا التوكل سبب رتبه مسبب الأسباب لانجاح المقاصد و كفايه الأمور. و علامه حصول التوكل،ألا يضطرب قلبه،و لا يبطل سكونه بفقد أسباب نفسه

و حدوث أسباب ضره.فلو سرقت بضاعته،أو خسرت تجارته،أو تعوق أمر من أموره،كان راضيا به،و لم تبطل طمأنينته،و لم تضطرب نفسه، بل كان حال قلبه فى السكون قبله و بعده واحدا.فان من لم يسكن إلى شىء لم يضطرب بفقده،و من اضطرب لفقد شيء فقد سكن إليه و اطمأن به.

و منها.

اشاره

الكفران (و ضده الشكر)

الشكر-فضيله الشكر-الشكر نعمه يجب شكرها-المدارك لتميز محاب اللّه عن مكارهه-اقسام النعم و اللذات-الأكل-لا فائده فى الغذاء ما لم يكن بشهوه و ميل-عجائب المأكولات-حاجه تحضير الطعام إلى آلاف الأسباب-تسخير اللّه التجار لجلب الطعام-نعم اللّه فى خلق الملائكه للانسان -الأسباب الصارفه للشكر-طريق تحصيل الشكر-الصحه خير من السقم.

و بعد ما تعرف حقيقه الشكر،و كونه متعلقا بأى القوى،تعرف بالمقايسه حقيقه الكفران و كونه من رذائل القوى.

فنقول:الشكر هو عرفان النعمه من المنعم،و الفرح به،و العمل بموجب الفرح باضمار الخير،و التحميد للمنعم،و استعمال النعمه فى طاعته.

أما المعرفه،فبأن تعرف أن النعم كلها من اللّه،و أنه هو المنعم،و الوسائط مسخرات من جهته.و لو انعم عليك أحد،فهو الذى سخره لك،و القى فى قلبه من الاعتقادات و الارادات ما صار به مضطرا إلى الايصال إليك، فمن عرف ذلك،حصل أحد اركان الشكر للّه،و ربما كان مجرد ذلك

شکرا،و هو الشکر بالقلب.کما روی:«أن موسی قال فی مناجاته:إلهی! خلقت آدم بیدک،و اسکنته جنتک،و زوجته حواء أمتک،فکیف شکرک؟ فقال:علم ان ذلک منی فکانت معرفته شکرا».

ثم هذه المعرفه فوق التقدیس و فوق بعض مراتب التوحید،و هما داخلان فیها.إذ التقدیس تنزیهه-سبحانه-عن صفات النقص،و التوحید قصر المقدس علیه،و الاعتراف بعدم مقدس سواه،و هذه المعرفه هی الیقین بأن کل ما فی العالم موجود منه،و الکل نعمه منه،فینطوی فیها مع التقدیس و التوحید کمال القدره و الانفراد بالفعل،و لذلک قال رسول اللّه (ص):«من قال:سبحان اللّه،فله عشر حسنات،و من قال:لا إله إلا اللّه،فله عشرون حسنه،و من قال:الحمد للّه،فله ثلاثون حسنه».

فسبحان اللّه:کلمه تدل علی التقدیس،و لا إله إلا اللّه:کلمه تدل علی التوحید،و الحمد للّه:کلمه تدل علی معرفه النعم من الواحد الحق.و لا تظنن ان هذه الحسنات بإزاء تحریک اللسان بهذه الکلمات من غیر عقد القلب بمعانیها،بل هی بإزاء الاعتقاد بمعانیها التی هی المعارف المعدوده من ابواب الایمان و الیقین. و اما الفرح بالمنعم،مع هیئه الخضوع و التواضع،فهو أیضا من ارکان الشکر.بل کما ان المعرفه شکر قلبی برأسه،فهو أیضا فی نفسه شکر بالقلب،و انما یکون شکرا إذا کان فرحه بالمنعم او بالنعمه لا من حیث إنه نعمه و مال ینتفع به و یلتذ منه فی الدنیا،بل من حیث إنه یقدر بها علی التوصل إلی القرب من المنعم،و النزول فی جواره،و النظر إلی وجهه علی الدوام،و امارته الا یفرح من الدنیا إلا بما هو مزرعه الآخره و معینه علیها، و یحزن بکل نعمه تلهیه عن ذکر اللّه و تصده عن سبیله،لأنه لیس یرید النعمه لذاتها،بل من حیث انها توصله إلی مجاوره المنعم و قربه و لقائه. و اما

العمـل بمـوجب الفرح الحاصـل من معرفه المنعم،فهـو القيـام بمـا هـو مقصـود المنعم و محبـوبه،و هـو يتعلق بـالقلب و اللسـان و الجوارح.اما المتعلق بالقلب فقصده الخير و اضـماره لكافه الخلق.و اما المتعلق باللسان فاظهار الشكر للّه بالتحميدات الداله عليه.و اما المتعلق بالجوارح،فاسـتعمال نعم اللّه فى طاعته و التوقى من الاستعانه بها على معصيته،حتى ان من جمله شكر العينين أن يستر كل عيب يراه من مسـلم،و من جمله شـكر الاذنين أن يستر كل عيب يسـمعه من مسـلم،فيدخل هذا و أمثاله فى جمله شكر نعمه هذه الأعضاء.

بـل قيل:من كفر نعمه العين و لم يسـتعملها فيما خلقت لأجله كفر نعمه الشـمس أيضا،إذ الابصار انما يتم بها،و انما خلقتا ليبصـر بهما ما ينفعه فى دينه و دنياه،و يقى بهما ما يضـره فيهما.بل المراد من خلق السـماء و الأرض و خلق الـدنيا و أسـبابها أن يسـتعين الخلـق بهـا على الوصول إلى اللّه،و لاـ وصول اليه إلاـ بمحبته و الاـنس به فى الـدنيا،و التجـافى عن الـدنيا و غرورهـا و لـذاتها و علائقها،و لا انس الا بدوام الذكر و لا محبه إلا بالمعرفه الحاصله بدوام الفكر،و لا يمكن الذكر و الفكر إلا ببقاء البدن،و لا يبقى البدن إلا بالارض و الماء و الهواء و النار،و لا يتم ذلك إلا بخلق الأرض و السماء و خلق سائر الأشياء،و كل ذلك لأجل البدن.و البـدن مطيه النفس.و النفس الراجعه إلى اللّه هى المطمئنه بطول العبـاده و المعرفه.فكـل من اسـتعمل شـيئا فى غير طـاعه اللّه فقد كفر نعمه اللّه فى جميع الأسـباب التى لا بـد منها لاقدامه على تلك المعصـيه. و إذا عرفت حقيقه الشـكر،تعرف بالمقايسه حقيقه الكفران،فـانه عبـاره عـن الجهـل بكـون النعم من اللّه،أو عـدم الفرح بـالمنعم و النعمه من حيث ايصالهـا إلى القرب منه،أو ترك استعمال النعمه فيما يحبه المنعم،او استعمالها فيما يكرهه.

ص :٢٣٥

ثم،بما ذکرناه،و إن ظهر أن حقیقه الشکر ملتئمه من الأمور الثلاثه، إلا أنه قد یطلق الشکر علی کل واحد أیضا،کما قال الصادق(ع):«شکر کل نعمه،و إن عظمت،أن تحمد اللّه»،و قال(ع):«شکر النعم اجتناب المحارم،و تمام الشکر قول الرجل:الحمد للّه رب العالمین».و سئل عنه(ع):

«هل للشکر حد إذا فعله العبد کان شاکرا؟قال:نعم!قیل:ما هو؟قال:

یحمد اللّه علی کل نعمه علیه فی أهل و مال،و إن کان فیما انعم علیه فی ماله حق أداه.و منه قوله-جل و عز-:

سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما کُنّا لَهُ مُقْرِنِینَ

(۱)

.و منه قوله-تعالی-: رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلاً مُبارَکاً وَ أَنْتَ خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ (۲).و قوله: رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی.مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً (۳).

و قال(ع):«کان رسول اللّه(ص)إذا ورد علیه أمر یسره،قال:

الحمد للّه علی هذه النعمه.و إذا ورد علیه أمر یغتم به،قال:الحمد للّه علی کل حال».و قال(ع):«اذا أصبحت و أمسیت،فقل عشر مرات:اللهم ما أصبحت بی من نعمه أو عافیه فی دین او دنیا،فمنک وحدک لا شریک لک، لک الحمد و لک الشکر بها علی یا رب.حتی ترضی و بعد الرضا.فانک إذا قلت ذلک،کنت قد أدیت شکر ما أنعم اللّه به علیک فی ذلک الیوم و فی

۱- ۱) الزخرف،الآیه:۱۳.

۲- ۲) المؤمنون،الآیه:۲۹.

۳- ۳) الاسراء،الآیه: ۸۰.

تلك الليله».و فى روايه:«كان نوح(ع)يقول ذلك إذا أصبح،فسمى بذلك عبدا شكورا».و قال(ع):«اذا ذكر أحدكم نعمه اللّه،فليضع خده على التراب شكرا للّه،فان كان راكبا فليزل و ليضع خده على التراب، و ان لم يكن يقدر على النزول للشهره فليضع خده على قربوسه (۱)،و ان لم يقدر فليضع خده على كفه،ثم ليحمد اللّه على ما انعم عليه». و روى:«أن الصادق(ع)قد ضاعت دابته،فقال:لئن ردها اللّه على لا شكرن اللّه حق شكره».قال الراوى:فما لبث أن أوتى بها،فقال:«الحمد للّه».فقال قائل له:جعلت فداك!أ ليس قلت لا شكرن اللّه حق شكره؟فقال أبو عبد اللّه (ع):«ألم تسمعنى قلت:الحمد للّه؟» (۲).ثم الشكر باللسان لإظهار الرضا من اللّه،و لذا امر به.و قد كان السلف يتساءلون بينهم،و نيتهم استخراج الشكر للّه،ليوجر كل واحد من الشاكر و السائل.و قد روى:«أن رسول اللّه(ص)قال لرجل:كيف أصبحت؟فقال:بخير.فأعاد عليه السؤال، فأعاد عليه الجواب،فأعاد السؤال ثالثه،فقال:بخير،أحمد اللّه و اشكره.

فقال(ص):هذا الذى أردت منك».

«تنبيه»لا ريب فى ان الجزء الأول من الشكر-اعنى معرفه النعم من اللّه-من متعلقات العاقله و فضائلها.و الثانى-اعنى الفرح للنفس-ان كان من النعم العقليه الروحانيه،يكون متعلقا بالعاقله أيضا،و ان كان لأجل وصول نعمه الغلبه و الاستيلاء-مثلا-على عدو ظالم،يكون متعلقا بالقوه الغضبيه،و ان كان من نعمه المال و الاولاد،يكون متعلقا بالقوه الشهويه.

۱- ۱) القربوس-بفتحتين-:حنو السرج،اى قسمه المقوس المرتفع من قدام المقعد و من مؤخره.

۲ - ۲) هذه الروايه مذكوره فى(أصول الكافى):ج ۲-باب الشكر.و فى (الوافى):۳-۳۲۴-باب الشكر.الا ان المنقول فى نسخ(جامع السعادات) فيه اختلاف كثير عما فى الموضعين،فصححناها عليهما.

و الجزء الثالث-اعنی العمل بمقتضی الفرح الحاصل من معرفه المنعم-فهو من ثمرات الحب للمنعم و الخوف من زوال نعمته.و بهذا یظهر:أن الشکر و الکفران من متعلقات القوی الثلاث،و الأول من فضائلها إذا امتزجت و تسالمت،و الثانی.من رذائلها.

فصل (فضیله الشکر)

الشکر أفضل منازل الأبرار،و عمده زاد المسافرین إلی عالم الأنوار، و هو موجب لدفع البلاء و ازدیاد النعماء،و قد ورد به الترغیب الشدید، و جعله اللّه سببا للمزید.قال اللّه-سبحانه-:

مٰا یَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذٰابِکُمْ إِنْ شَکَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ

(۱)

.و قال: لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ (۲).

و قال: فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَ اشْکُرُوا لِی وَ لاٰ تَکْفُرُونِ (۳).و قال: وَ سَنَجْزِی الشّٰاکِرِینَ (۴).

و لکونه غایه الفضائل و المقامات،لیس لکل سالک أن یصل إلیه، بل لیس الوصول إلیه الا لأوحدی من کمل السالکین.و لذا قال اللّه رب العالمین:

وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبٰادِیَ الشَّکُورُ

(۵)

.و کفی به شرفا

۱- ۱) النساء،الآیه:۱۴۶.

۲- ۲) إبراهیم،الآیه:۷.

۳- ۳) البقره،الآیه:۱۵۲.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۱۴۵.

۵- ۵) سبأ،الآیه:۱۳.

و فضلا،أنه خلق من أخلاق الربوبيه،كما قال اللّه-سبحانه-:

وَ اللّٰهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ

(۱)

.و هو فاتحه كلام أهل الجنه و خاتمته،كما قال اللّه-تعالى-: وَ قٰالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنٰا وَعْدَهُ (۲).و قال: وَ آخِرُ دَعْوٰاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ (۳).

و قال رسول اللّه(ص).«الطاعم الشاكر،له من الاجر كأجر الصائم المحتسب.و المعافى الشاكر،له من الاجر كأجر المبتلى الصابر.و المعطى الشاكر،له من الاجر كأجر المحروم القانع».و قال(ص):«ان للنعم أو ابد كأوابد الوحش،فقيدوها بالشكر».و قال(ص):«ينادى مناد يوم القيامه:ليقوم الحامدون!فيقوم زمره.فينصب لهم لواء فيدخلون الجنه».فقيل:من الحمادون؟فقال:«الذين يشكرون اللّه على كل حال».

و قال السجاد(ع):«إن اللّه-سبحانه-يحب كل عبد حزين،و يحب كل عبد شكور». و قال الباقر(ع):«كان رسول اللّه(ص)عند عائشه ليلتها، فقالت:يا رسول اللّه!لم تتعب نفسك و قد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟فقال:يا عائشه!ألا أكون عبدا شكورا؟...قال:و كان يقوم على أطراف اصابع رجليه،فأنزل اللّه-تعالى-:طه!ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى». و قال الصادق(ع):«ما انعم اللّه على عبد من نعمه فعرفها بقلبه و حمد اللّه ظاهرا بلسانه،فتم كلامه،حتى يؤمر له بالمزيد».و قال

۱- ۱) التغابن،الآيه:۱۷.

۲- ۲) الزمر،الآيه:۷۴.

۳- ۳) يونس،الآيه:۱۰.

(ع):«ثلاث لا يضر معهن شيء:الدعاء عند الكرب،و الاستغفار عند الذنب،و الشكر عند النعمه» (۱).و قال(ع):«فى كل نفس من انفاسك شكر لازم لك،بل الف أو أكثر،و أدنى الشكر رؤيه النعمه من اللّه -تعالى-من غير عله يتعلق القلب بها دون اللّه-عز و جل-،أو الرضا بما أعطى،و الا تعصيه بنعمته و تخالفه بشىء من امره و نهيه بسبب نعمته.

فكن للّه عبدا شاكرا على كل حال،تجد اللّه ربا كريما على كل حال،و لو كان عند اللّه-تعالى-عباده تعبد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر على كل حال،لا طلق لفظه منهم عن جميع الخلق بها،فلما لم يكن أفضل منها خصها من بين العبادات،و خص اربابها،فقال:(و قليل من عبادى الشكور).و تمام الشكر الاعتراف بلسان السر،خاضعا لله بالعجز عن بلوغ ادنى شكره،لان التوفيق للشكر نعمه حادثه يجب الشكر عليها،و هى أعظم قدرا و أعز وجودا من النعمه التى من اجلها وفقت له،فيلزمك على كل شكر شكر أعظم منه،الى ما لا نهايه له،مستغرقا فى نعمه،قاصرا عاجزا عن درك غايه شكره،و انى يلحق العبد شكر نعمه الله،و متى يلحق صنيعه بصنيعه،و العبد ضعيف لا قوه له ابدا الا بالله-عز و جل-،و الله غنى عن طاعه العبد قوى على مزيد النعم على الابد،فكن لله عبدا شاكرا على هذا الأصل،ترى العجب» (۲).ثم كما ان الشكر من المنجيات الموصله إلى سعاده الابد و زياده النعمه فى الدنيا،فضده-اعنى الكفران-من المهلكات المؤديه إلى شقاوه السرمد و عقوبه الدنيا و سلب النعم.قال الله-سبحانه-:

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(أصول الكافى):ج ۲،باب الشكر.و على (البحار)مج ۱۵:۲-۱۳۲-۱۳۵،باب الشكر.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب السادس.و على (سفينه البحار)۱-۷۱۰.

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذٰاقَهَا اللّهُ لِبٰاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ

(۱)

.و قال-تعالى-: «إِنَّ اللّهَ لاٰ يُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ (۲).

و قال الصادق(ع):«اشكر من أنعم عليك،و انعم على من شكرك، فانه لا زوال للنعماء إذا شكرت و لا بقاء لها إذا كفرت.الشكر زياده فى النعم،و امان من الغير»أى من التغيير.

فصل (الشكر نعمه يجب شكرها)

لما كانت حقيقه الشكر عباره عن عرفان كل النعم من اللّه مع صرفها فى جهه محبه اللّه،فالشكر على كل نعمه أن تعرف كونها من اللّه و تصرفها فى جهه محبته.و لا ريب فى أن هذه المعرفه و الصرف أيضا نعمه من اللّه، إذ جميع ما نتعاطاه باختيارنا نعمه من اللّه،لان جوارحنا،و قدرتنا، و إرادتنا،و دواعينا،و إفاضه المعارف علينا،و سائر الأمور التى هى أسباب حركاتنا،بل نفس حركاتنا،من اللّه.و على هذا فالشكر على كل نعمه نعمه أخرى من اللّه يحتاج إلى شكر آخر.و هو ان يعرف ان هذا الشكر أيضا نعمه من اللّه-سبحانه-.فيفرح به و يعمل بمقتضى فرحه.

و هذه المعرفه و الفرح تحتاج إلى شكر آخر،و هكذا.فلا بد من الشكر فى كل حال.و ليس يمكن ان تنتهى سلسله الشكر إلى ما لا يحتاج إلى شكر.

فغايه شكر العبد ان يعرف عجزه عن أداء حق شكره-تعالى-.اذ عرفان

۱- ۱) النحل،الآيه:۱۱۱.

۲- ۲) الرعد،الآيه:۱۲.

عجزه مسبب عن عرفان جميع النعم،حتى شكره من اللّه،و هذا غايه ما يمكن للعبد.و يشهد بذلك ما روى:«أن اللّه-عز و جل- اوحى إلى موسى(ع):

يا موسى!اشكرنى حق شكرى.فقال:يا رب!كيف اشكرك حق شكرك و ليس من شكر أشكرك به الاـ و أنت أنعمت به على؟قال:يا موسى!الآن شكرتنى،حيث علمت ان ذلك منى».و كذلك أوحى ذلك إلى داود،فقال:

«يا رب!كيف اشكرك و انا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمه ثانيه من نعمك».و فى لفظ آخر:«و شكرى لك نعمه أخرى منك،و يوجب على الشكر لك،فقال:اذا عرفت هذا فقد شكرتنى».و فى خبر آخر:«اذا عرفت ان النعم منى،رضيت عنك بذلك شكرا». و روى:«أن السجاد -عليه السلام-كان إذا قرأ هذه الآيه(و إن تعدوا نعمه اللّه لا تحصوها) يقول:سبحان من لم يجعل فى أحد من معرفه نعمه الاـ المعرفه بالتقصير عن معرفتها!كما لم يجعل فى أحد من معرفه ادراكه أكثر من العلم بانه لا يدركه»،فشكره- تعالى-معرفه العارفين بالتقصير عن معرفه شكره،فجعل معرفتهم بالتقصير شكرا،كما علم العارفين بأنهم لا يدركونه،فجعله ايمانا،علما منه أنه فقد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك،فان شيئا من خلقه لا يبلغ مدى عبادته،فكيف يبلغ مدى عبادته من لا مدى له و لا كيف؟ تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا.و قال أبو الحسن(ع):«من حمد اللّه على النعمه فقد شكره،و كان الحمد للّه أفضل من تلك النعمه» (۱)،يعنى أنه نعمه فوق تلك النعمه،يستدعى شكرا آخر.

۱- ۱) صححنا الروايات الثلاث على(أصول الكافى)ج ۲،باب الشكر، و على(الوافى):۳-۳۲۴ باب الشكر.

فصل (المدارک لتمییز محاب اللّه عن مکارهه)

لما عرفت أن الشکر عباره عن استعمال نعم اللّه فیما یحبه،و الکفران عباره عن نقیض ذلک-اعنی ترک استعمالها فیه أو استعمالها فیما یکرهه- فلا بد من معرفه ما یحبه و ما یکرهه،و تمییز محابه عن مکارهه،حتی یتمکن من أداء الشکر و ترک الکفران،لتوقفهما علی معرفتهما و تمییزهما.و هذا التمییز و التعریف له مدرکان:

أحدهما-الشرع،فانه کشف عن جمیع ما یحبه و ما یکرهه،و عبر عن الأول بالواجبات و المندوبات،و عن الثانی بالمحرمات و المکروهات.

فمعرفه ذلک موقوفه علی معرفه جمیع احکام الشرع فی افعال العباد،فمن لم یطلع علی حکم فی جمیع افعاله،لم یمکنه القیام بحق الشکر.

و ثانیهما-العقل و النظر بعین الاعتبار،فان العقل متمکن-فی الجمله- من أن یدرک بعض وجوه الحکم فی بعض الموجودات.فان اللّه-سبحانه- ما خلق شیئا فی العالم إلا و فیه حکم کثیره،و تحت کل حکمه مقصود و مصلحه،و هذا المقصود و المصلحه هو محبوب اللّه-تعالی-.فمن استعمل کل شیء علی النحو الذی یؤدی إلی المقاصد المطلوبه و علی الجهه التی خلق لها فقد شکر نعم اللّه-تعالی-،و إن استعمل شیئا علی النحو الذی لم یؤد الی المقصوده منه أو فی جهه غیر الجهه التی خلق لها،فقد کفر نعمه اللّه.

ثم العقل لا یتمکن من معرفه کل حکمه مطلوبه من کل شیء،إذ الحکم المقصوده من الأشیاء،طما جلیه او خفیه.أما الجلیه:کحکمه حصول اللیل و النهار فی وجود الشمس،و حکمه انتشار الناس و سکونهم فی وجود اللیل و النهار،و حکمه انشقاق الأرض بانواع النبات فی وجود الغیم و نزول

الأمطار،و حكمه الابصار فى العين،و البطش فى اليد،و المشى فى الرجل، و حصول الأولاد و بقاء النسل فى آلات التناسل و خلق الشهوه،و حكمه المضغ و الطحن فى خلق الأسنان و أمثال ذلك.و أما الحكم الخفيه:كالحكم التى فى خلق الكواكب السياره و الثابته،و اختصاص كل منها بقدر معين و موضع خاص،و الحكم التى فى بعض الأعضاء الباطنيه للحيوان،من الامعاء و المراره و الكليه و آحاد العروق و الاعصاب و العضلات،و ما فيها من التجاويف و الالتفاف و الاشتباك و الانحراف و الدقه و الغلظه و غير ذلك.

فهذه الحكم و أمثالها لا يعرفها كل أحد،و من يعرف منها شيئا فلا يعرف إلا قدرا يسيرا.فان جميع اجزاء العالم،سماءه و كواكبه،و ما فيها من الاوضاع و الحركه و الاختصاصات،و عناصره من كثره النار و الهواء و الماء و الأرض،و ما فيها من البحار و الجبال و الرياح،و المعادن و النبات و الحيوان،لا تخلو ذره من ذراته من حكم كثيره من عشره إلى الف او أكثر،و قليل منها جليه،و أكثرها دقيقه خفيه،و بعضها متوسط فى الجلاء و الخفاء،يعرفها المتفكرون فى خلق السماوات و الأرض،و أكثر الحكم الدقيقه مما لا يعرفها غير خالقها و موجدها.ثم ما عدا الإنسان من الأشياء المجرده و الماديه،و الروحانيه و الجسمانيه،جاريه على وفق الحكمه، و مستعمله ذواتها و اجزاؤها و ما يتعلق بها على الوجه الذى هو مقتضى المصلحه المقصوده منها.و أما الإنسان،فلكونه محل الاختيار و مجراه،فقد يجرى و يستعمل الأشياء التى يتمكن من استعمالها على خلاف ذلك،فيكون كافرا بنعمه اللّه-سبحانه-.فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمه اللّه فى اليد، اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يؤذيه،و يأخذ ما ينفعه،لا ليهلك به غيره،و من نظر إلى وجه غير المحرم فقد كفر نعمه العين،لانها خلقت

لیبصر بها ما ینفعه فی دینه و دنیاه،و یتقی بها ما یضره فیهما،و من ادخر الدراهم و الدنانیر و حبسهما فقد کفر نعمه اللّه فیهما،لانهما حجران لا منفعه و لا عوض فی اعیانهما،و انما خلقهما اللّه-تعالی-لیکونا حاکمین یحصل بهما التعدیل و المساواه و التقدیر بین سائر الأموال من الأعیان المتنافره المتباعده، فهما عزیزان فی أنفسهما.و لا غرض فی اعینهما.و نسبتهما إلی سائر الأموال نسبه واحده.فمن ملکهما فکأنه ملک کل شیء،لا کمن ملک ثوبا،فانه لا یملک الا الثوب.فان احتاج إلی طعام ربما لم یرغب صاحب الطعام فی الثوب،اذ لا غرض له فی ذاته،بخلاف النقدین،فانهما من حیث الصوره کأنهما لیسا بشیء،و من حیث المعنی کأنهما کل شیء.و الأشیاء انما تستوی نسبتها إلی المختلفات-اذا لم یکن لها صوره خاصه تقیدها بخصوصها-کالمرآه لا لون لها و تحکی کل لون،و کالحرف لا معنی لها فی نفسها،بل تظهر لها المعانی فی غیرها،و کذلک النقدان،لا غرض فیهما مع کونهما وسیله إلی کل غرض.فالحکمه فی خلقهما أن یحکما بین الأموال بالعدل،و تعرف بهما المقادیر المختلفه،و تقوم بهما الأشیاء المتباینه،و یحصل التوسل بهما إلی سائر الأموال.فیلزم اطلاقهما لتداولهما الایدی،و تحصل بهما التسویه فی تبادل الأعیان و المنافع المتخالفه،فمن ادخرهما و حبسهما فقد ظلمهما،و أبطل الحکمه فیهما،و کفر نعمه اللّه فیهما،و کان کمن حبس حاکم المسلمین فی سجن،و من لم یدخرهما و لم یتصرف أزید مما یحصل به التوصل إلی ما یحتاج و انفق الزائد فی سبیل اللّه،فهو الذی استعملهما علی وفق الحکمه و شکر نعمه اللّه فیهما.و لما عجز أکثر الناس عن قراءه الاسطر الإلهیه المکتوبه علی صفحاتهما فی فائدتهما و حکمتهما بخط إلهی لا حرف فیه و لا صوت، أخبرهم اللّه عن ذلک بقوله:

وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لاٰ یُنْفِقُونَهٰا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ

(۱)

.

و بما ذکرنا من وجه الحکمه فیهما،یظهر أن من اتخذ الأوانی منهما فقد کفر نعمه اللّه فیهما أیضا،و کذا من عامل معامله الربا فیهما فقد کفر النعمه و ظلم،لأنهما طنما خلقا لغیرهما لا لأنفسهما،إذ لا غرض فی عینهما،فإذا اتجر فی عینهما فقد اتخذهما مقصودا لأنفسهما علی خلاف وضع الحکمه، و کذلک الحکمه فی خلق الأطعمه أن یغتذی بها،فلا ینبغی أن تصرف عن جهتها و تقید فی الایدی،بل اللازم أن تخرج عن یدی المستغنی عنها الی المحتاج.و لذا ورد فی الشرع حرمه الاحتکار و المنع عن معامله الربا فی الأطعمه،لان ذلک یوجب صرفها عن الحکمه المقصوده منها. و إذا عرفت ذلک،فقس علیه جمیع افعالک و اعمالک و حرکاتک و سکناتک،فان کل فعل یصدر منک إما شکر أو کفران لا یتصور أن ینفک عنهما،مثلا لو استنجیت بالیمین،فقد کفرت نعمه الیدین،اذ خلق اللّه الیدین و جعل أحداهما أقوی و استحق الاقوی لرجحانه التفضیل،و تفضیل الناقص علیه عدول عن العدل،و هذا التفضیل انما یتصور بأن تصرف الاقوی فی الافعال الشریفه،کأخذ المصحف و أکل الطعام،و تصرف الاضعف فی الاعمال الخسیسه،کازاله النجاسه،فمن خالف ذلک فقد عدل عن العدل و أبطل الحکمه و کفر النعمه.و کذلک إذا لبست خفک فابتدأت بالیسری فقد ظلمت لان الخف وقایه للرجل،فللرجل فیه حظ،و البداء فی الحظوظ ینبغی أن تکون بالاشرف،و هو العدل و العمل علی وفق الحکمه،فخلافه ظلم و کفران.

۱- ۱) التوبه،الآیه:۳۵.

و كذلك ان استقبلت القبله عند قضاء الحاجه،فقد كفرت نعمه اللّه فى خلق الجهات و خلق سعه العالم،لانه خلق الجهات متعدده متسعه،و شرف بعضها بأن وضع فيه بيته،فينبغى استقباله بالأفعال الشريفه،كالصلاه و الجلوس للذكر و الاغتسال و الوضوء،دون الافعال الخسيسه،كقضاء الحاجه و رمى البزاق،فمن قضى حاجته أو رمى بزاقه إلى جهه القبله فقد ظلمها و كفر نعمه اللّه، و كذلك من كسر غصنا من شجره من غير حاجه مهمه،و من غير غرض صحيح،فقد كفر نعمه اللّه فى خلق الأشجار و فى خلق اليد.أما اليد فلأنها لم تخلق للعبث،بل للطاعه المعينه عليها.و أما الشجر، فلان اللّه-تعالى-خلقه،و خلق له العروق و ساق إليه الماء،و خلق فيه قوه الاغتذاء و النماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده،فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفه لمقصود الحكمه و عدول عن العداله.

نعم ان كان له غرض صحيح فى كسره فله ذلك.اذ الشجر و الحيوان جعلا فداءين لأغراض الإنسان،فانهما جميعا فانيان هالكان،فافناء الأخس فى بقاء الأشرف مده ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعا.و إليه الإشاره بقوله-تعالى-:

وَ سَخَّرَ لَكُمْ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً

(۱)

.

ثم هذه الافعال المتصفه بالكفران،بعضها يوجب نقصان القرب و انحطاط المنزله،و بعضها يخرج بالكليه عن حدود القرب إلى عالم البعد الذى هو أفق الشياطين.و لذلك يوصف بعضها-فى لسان الفقه- بالكراهه و بعضها بالحظر.و قد سومح فى الفقه حيث جعل فيه بعض هذه المكاره مكروهه غير محظوره،مع ان جميعها عدول عن العدل،و كفران

۱- ۱) الجاثيه،الآيه:۱۲.

للنعمه،و نقصان عن الدرجه المبلغه إلى القرب،لأن الخطاب به انما هو الى العوام الذين تقرب درجتهم من درجه الأنعام،و قد انغمسوا فى ظلمات أعظم من ان تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافه إليها.فان المعاصى كلها ظلمات،الا أن بعضها فوق بعض،فيتمحق بعضها فى جنب البعض. و لذا ترى أن السيد يعاتب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه،و لكن لو قتل بهذا السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم و نكايه فى نفسه.و لذا جميع هذه المكاره موصوفه عند أرباب القلوب بالحظر،و لا يتسامحون فى شىء مما راعاه الأنبياء و الأولياء من الآداب.حتى نقل:«ان بعضهم جمع اكرارا من الحنطه ليتصدق بها،فسئل عن سببه فقال:لبست المداس مره فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا،فأريد ان أكفره بالصدقه».

فصل (اقسام النعم و اللذات)

اشاره

اعلم ان النعمه عباره عن كل خير و لذه و سعاده،بل كل مطلوب و مؤثر. و هى تنقسم إلى مؤثر لذاته لا لغيره،اى تكون غايه مطلوبه لذاتها ليس فوقها غايه أخرى،و هى مخصوصه بسعاده الآخره التى لا انقضاء لها، اعنى لذه النظر إلى وجه اللّه،و سعاده لقائه،و سائر لذات الجنه،من البقاء الذى لا فناء له،و السرور الذى لا غم فيه،و العلم الذى لا جهل معه، و الغنى الذى لا فقر بعده،و غير ذلک.فانها لا تطلب ليتوصل بها إلى غايه أخرى مقصوده وراءها،بل تطلب لذاتها،و هذه هى النعمه الحقيقيه و اللذه الواقعيه،و لذلک قال رسول اللّه(ص):«لا عيش الا عيش الآخره»، و غالب هذه النعمه و السعاده و اقواها و اشرفها هى اللذه و البهجه المرضيه العقليه دون الجسمانيه-كما لا يخفى-،فيختص بادراكها العقل،

و لا ـ حظ للسمع و البصر و الشم و البطن و الفرج فيها. و إلى ما يقصد لغيره، أى تكون مطلوبه لأجل الغايه المطلوبه لذاتها و وسيله إليها،سواء أ كانت مقصوده لذاتها أيضا أم لا.و هى تنقسم إلى أربعه اقسام:

القسم الأول-و هو الأقرب الأخص:الفضائل النفسيه

المذكوره فى هذا الكتاب،و يجمعها العلم و العفه و الشجاعه و العداله،و هذه مع كونها لذيذه فى نفسها،تكون وسيله إلى النعمه التى هى غايه الغايات بلا توسط وسيله أخرى.و لذلک قلنا:هى أقرب الوسائل و اخصها.و اشرفها العلم،و أشرف افراد العلم:العلم باللّه و صفاته و ملائكته و رسله،و أحوال النشأه الآخره،و سائر افعاله،و علم المعامله الراجع إلى علم الأخلاق، إذ هو الذى يؤدى إلى السعاده الحقيقيه بلا توسط شیء آخر،و سائر العلوم إنما هى مقصوده من حيث كونها وسائل إلى هذا العلم،و هذه الفضائل لذيذه فى الدنيا و الآخره نافعه فيهما،اى تؤدى إلى الراحه فيهما،و جميله على الإطلاق،اى تستحسن فى جميع الأحوال.و ضدها- اعنى الجهل و الأخلاق السيئه-ضاره مؤلمه فى الدارين،قبيحه على الإطلاق.و سائر الصفات ليست جامعه لهذه الاوصاف.فان أكل لذائذ الأطعمه و طيباتها يوجب اللذه و النفع،أى حصول الراحه فى الحال،و لكنه ضار فى المآل، و ترک الشهوات بعكس ذلک.

ثم لذه المعرفه و فضائل الأخلاق دائمه لازمه لا تزول ابدا،لا فى الدنيا و لا فى الآخره،و عقليه يختص بادراكها العقل دون سائر الحواس.

و اما غيرها من اللذات،فبعضها مما يشترک فيه الإنسان و بعض الحيوانات، كلذه الرئاسه و الغلبه و الاستيلاء،و هذه اللذه موجوده فى الأسد و النمر و بعض اخر من الحيوانات.و بعضها مما يشترک فيه الإنسان و سائر

الحيوانـات،كلـذه البطن و الفرج،و هى اخس اللـذات،و لـذلك اشترك فيها كل ما دب و درج،حتى الديـدان و الحشـرات.فمن جـاوز هـذه اللـذه، تشـبثت بـه لـذه الغلبه و الاستيلاء،فـان جاوزهـا أيضـا ارتقى إلى اللـذه العقليه فصـار أقرب اللـذات عليه لـذه المعرفه،لاـ سيما لـذه معرفه اللّه و معرفه صـفاته و افعـاله.و هـذه مرتبه الصـديقين،و لاـ ينـال تمامهـا إلا بخروج حب الرئاسه من القلب،و آخر مـا يخرج من رءوس الصـديقين حب الرئاسه و الجاه، و لـذلك قمعها بالكليه،بحيث لا يقع بها الإحساس قط،يشبه ان يكون خارجا عن مقدره البشر. نعم ربما غلبت لذه المعرفه فى أحوال،بحيث لا يقع معها الإحساس بلذه الجاه و الرئاسه،إلا أن ذلك لا يـدوم،بل تعتريه الفترات،فتعود إلى الحاله البشـريه.و على هـذا،تنقسم القلوب إلى أربعه أقسام:قلب:لا يحب إلا اللّه،و لا يستريـح إلا إليه،و ليس فرحه إلا بزياده المعرفه و الفكر فيه،و لا يسـكن إلا بحبه و أنسه،و قلب:أغلب أحواله الأنس باللّه و التلذذ بمعرفته و الفكر فيه،و لكن فى بعض الأوقات و الأحوال يعتريه الرجوع إلى أوصاف البشـريه.و قلب:أغلب أحواله التلذذ بالجاه و الرئاسه و المال و سائر الشـهوات البدنيه،و فى بعض الأوقات يتلذذ بالعلم و المعرفه و حب اللّه و الانس به.و قلب:لا يدرى ما لذه المعرفه و مـا معنى الأـنس بـاللّه،و انمـا لـذته بالرئاسـات و الشـهوات. و الأـول-إن كان ممكنا فى الوجود فهو فى غايه النـدور.و الثانى-أيضا نادر.و السـر فى نـدور هـذين القسـمين:ان من انحصـرت لـذاته بمعرفه اللّه و حبه و انسه،أو غلب عليه ذلك،فهو من ملوك الآخره،و الملوك هم الأقلون و لا يكثرون.

فكمـا لاـ يكون الفـائق فى الملـك و الاستيلاـء فى الـدنيا الاـ نـادرا،و أكثر النـاس دونهم،فكـذا فى ملك الآخره فان الـدنيا مرآه الآخره.إذ الدنيا عالم

الشهاده و فی الآخره عالم الغیب،و عالم الشهاده تابع لعالم الغیب،کما أن الصوره فی المرآه تابعه لصوره الناظر فی المرآه،و هی و إن کانت الثانیه فی رتبه الوجود،إلا انها فی أمر الرؤیه أولی،لأنک تری صورتک فی المرآه أولا،ثم تری نفسک،فتعرف بالصوره القائمه بالمرآه صورتک التی هی قائمه بک ثانیا علی سبیل المحاکاه،فانقلب التابع فی الوجود متبوعا فی حق الرؤیه و المعرفه،و انقلب المتأخر متقدما.و هذا النوع من الانعکاس و الانتکاس ضروره هذا العالم.و کذا عالم الملک و الشهاده یحاکی عالم الغیب و الملکوت،فمن الناس من لا ینظر فی مرآه عالم الشهاده إلا بنظر الاعتبار، فلا ینظر فی شیء من عالم الملک إلا و یعبر به إلی عالم الملکوت،فیسمی عبوره عبره،و قد امر الخلق به،فقیل:

فَاعْتَبِرُوا یٰا أُولِی الْأَبْصٰارِ

(۱)

و منهم من عمیت بصیرته،فلم یعتبر،فاحتبس فی عالم الملک و الشهاده، و ستفتح إلی حبسه له أبواب جهنم.و أما الثالث-فاکثر وجودا منه.

و أما الرابع-فدار الدنیا طافحه به،لقصور أکثر الناس عن ادراک لذه العلم،إما لعدم الذوق،إذ من لم یذق لم یعرف و لم یشتق،إذ الشوق فرع الذوق،و ذلک إما لقصور فطرتهم و عدم اتصافهم بعد بالصفه التی بها یستلذ العلم،کالطفل الرضیع الذی لا یدرک لذه العسل،و لا یستلذ إلا باللبن،فهؤلاء ممن یحیی باطنهم بعد کالطفل.و إما لمرض قلوبهم او موتها بسبب اتباع الشهوات،کالمریض الذی لا یدرک لذه الشکر،أو المیت الذی سقط عنه الإدراک،و هؤلاء کالمرضی او الأموات بسبب اتباع الشهوات.

القسم الثانی-الفضائل البدنیه:

و هی أربعه:الصحه،و القوه، و طول العمر،و الجمال.

۱- ۱) الحشر،الآیه:۲.

الثالث-النعم الخارجه المضيفه بالبدن:

و هی:المال،و الجاه، و الأهل،و کرم العشیره.

الرابع-الأسباب التی تناسب من وجه الفضائل النفسیه،و یعبر عنها بالنعم التوفیقیه:

اشاره

و هی:هدایه اللّه،و رشده،و تسدیده،و تأییده.و هذه الجمله مما یتوقف بعضها علی بعض،الی ان ینتهی إلی السعاده التی هی مطلوبه لذاتها.و التوقف إما علی سبیل اللزوم و الضروره،کتوقف سعاده الآخره علی الفضائل النفسیه و البدنیه،و توقف الفضائل النفسیه علی صحه البدن،او علی سبیل النفع و الإعانه،کتوقف الفضائل النفسیه و البدنیه علی النعم الخارجه.

و وجه کونها معینه نافعه فی تحصیل العلم و تهذیب الأخلاق و صحه البدن ظاهر.و اعانه الجمال فی کسب الفضائل النفسیه و البدنیه مبنی علی أن القبیح مذموم،و الطباع عنه نافره،فحاجات الجمیل إلی الإجابه أقرب،و جاهه فی الصدور أوسع.و أیضا الغالب دلاله الجمال علی فضیله النفس،لان نور النفس إذا تم اشراقه تأدی إلی البدن.و لذلک عول أصحاب الفراسه فی معرفه مکارم النفس علی هیئات البدن.ثم انا لا نعنی بالجمال ما یحرک الشهوه،فان ذلک انوثه،بل نعنی به البراءه عن العیوب و النقص و الزیاده،و ارتفاع القامه علی الاستقامه،مع الاعتدال فی اللحم،و تناسب الأعضاء،و تناسب خلقه الوجه،بحیث لا تنبو الطباع عن النظر إلیه.و اما احتیاج الفضائل الخلقیه و الجسمیه الخارجیه إلی النعم التوفیقیه،فلأن المراد بالتوفیقیه هو التآلف بین إراده العبد و بین قضاء اللّه و قدره،بشرط کون المراد و المقضی سعاده.و بعباره أخری:هو توجیه الأسباب نحو المطلوب.

و أما الهدایه،فلها مراتب: اولاها:الهدایه العامه،و هی إراده طریق الخیر و تعریفه. و ثانیتها:الخاصه،و هی الافاضات المتتالیه الوارده من

اللّه علی بعض عبیده،نظرا إلی مجاهدتهم. و ثالثتها:الهدایه المطلقه،و هی النور الذی یشرق فی عالم النبوه و الولایه،فیهتدی بهما إلی ما لا یهتدی إلیه بالعقل.و توقف تحصیل کل خیر و فضیله،کائنا ما کان،علی مساعده القضاء و القدر،و علی العلم بطریق الخیر،ظاهر.

و اما الرشد،فالمراد به العنایه الآلهیه،التی تعین الإنسان عند توجهه الی مقاصده،فیقویه علی ما فیه صلاحه،و یفتره عما فیه فساده،و یکون ذلک من الباطن.و بعباره أخری:هو هدایه باعثه إلی وجهه السعاده محرکه الیها.و قد ظهر احتیاج تحصیل الخیر و السعاده إلیه من مفهومه.

و اما التسدید،فهو توجیه حرکاته إلی صوب المطلوب و تیسرها علیه، لیصل إلیه فی أسرع وقت.فالهدایه محض التعریف،و الرشد هو تنبیه الداعیه لتستیقظ و تتحرک،و التسدید اعانه و نصره بتحریک الأعضاء إلی صوب الصواب و السداد.و قد ظهر وجه کون التسدید معینا فی طلب الخیر أیضا من حاق معناه.

و اما التأیید،فانه جامع للکل،اذ هو عباره عن تقویه امره بالبصیره،فکأنه من داخل،و بقوه البطش و مساعده الأسباب من خارج.

و تقرب منه العصمه،و هی عباره عن وجود الهی یسنح فی الباطن،یقوی به الإنسان علی تحری الخیر و تجنب الشر،حتی یصیر کمانع باطنی غیر محسوس یمنع عن الشر،و هو المراد من برهان الرب فی قوله-تعالی-:

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأیٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ

(۱)

.

۱- ۱) یوسف،الآیه:۲۴.

تنبیه

اشاره

اعلم ان النعم الأخرویه،التی هی الغایات المطلوبه لذواتها،و تفصیلها و أسبابها و ما یتوقف وجودها علیه،الی ان ینتهی إلی مسبب الأسباب، مما لا یمکن درکها،و العقول البشریه قاصره عن درک قلیلها فضلا عن کثیرها.

و اما الوسائل الأربعه من النعم التی انقسم کل منها أیضا إلی أربعه اقسام،و صار مجموعها سته عشر قسما،فیستدعی کل قسم من السته عشر اسبابا،و تلک الأسباب اسبابا،حتی تنتهی بالآخره إلی مسبب الأسباب و موجد الکل.و المتفکر یعلم،ان کلا منها یتوقف علی نعم و أسباب أخری متسلسله خارجه عن حد الإحصاء.فان نعمه الصحه التی من النعم الواقعه فی المرتبه المتأخره تتوقف علی أسباب و نعم من جملتها نعمه الأکل،فان احصاءها و ان لم یکن ممکنا،الا انا نشیر إلی بعضها علی سبیل التلویح دون الاستقصاء، لتقاس علیها البواقی.فنقول:

نعمه الأکل تتوقف علی ادراک الغذاء و أسبابه،و علی شهوه الطعام و میله و إرادته و أسبابه،و علی القدره إلی تحصیله و أسبابه،و علی وجود أصل الغذاء المأکول و تکونه،و علی إصلاحه بعد وجوده و تکونه،و علی الأسباب الموصله له إلی کل انسان لو کان بعیدا عنه،و علی أسباب الطحن و الجذب و الهضم و الدفع و سائر الافعال الباطنه إلی ان یصیر جزء للبدن، و علی الملائکه الموکلین علی فعل من الافعال المذکوره.فها هی نذکرها إجمالا و تلویحا فی فصول:

فصل (الأكل)

الأكـل يتوقف أولا على ادراك الغـذاء المأكول رؤيه و لمسا و استشـماما و ذوقا،اذ ما لم يبصـره لم يمكنه تمييزه و طلبه،و ما لم يلامسه لم يتمكن من درك بعض اوصافه اللازمه فى الأكل،و ما لم يشـمه لم يتشخص ما يكره رائحته عما تطيب رائحته،و ربما توقف تحصـيله على استشمام رائحته من بعد، لا سيما لبعض الحيوانات،و ما لم يذقه لم يدرك انه موافق او مخالف له، و بذلك ظهر توقفه على خلق الحواس المدركه الظاهره،فخلقها اللّه-سبحانه-.

ثم،الأسـباب التى يتوقف عليها خلق هذه الحواس مما لا تتناهى،فلا نتعرض لبيانها.و بعد ادراك الغذاء-على ما ذكر-لا بد له من قوه أخرى يعرف بهـا كون الغـذاء الـذى ذاقه سابقـا و رآه مره أخرى موافقا او مخالفا، و هـذه القوه هى الحس المشترك الـذى يتـأدى إليه جميع المحسوسـات و يجتمع فيه،فانـك إذا اكلت شـيئا اصـفر-مثلاـ-فوجـدته مرا مخالفـا لك فتركته، فإذا رأيته مره أخرى فلا تعرف انه مر ما لم تذقه،لو لا الحس المشترك.

اذ العين تبصـر الصـفره و لا تدرك المراره،و الذوق يدرك المراره و لا يدرك الصـفره،فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفره و المراره جميعا،حتى إذا أدرك الصفره حكم بأنه مر،فيمتنع عن تناوله ثانيا.و هذه القوه-اعنى الحس المشترك-يتوقف خلقه على أسباب و نعم لا يمكن احصاؤها،فلتذرها على سنابلها.

ثم الإـدراك بـالحواس الظـاهره و الحس المشترك،ممـا تشترك فيه سـائر الحيوانات،و لو انحصـر ادراك الإنسان أيضا به لكان ناقصا.اذ البهيمه

تأكـل ما تسـتلذ به فى الحال و يضـرها فى ثانى الحال،فتمرض و تموت،اذ ليس لها الا الإحساس بالحاضـر،و اما ادراك العواقب فليس لها إليه سبيل.

فيتوقف تمييز صـلاح العواقب و فسادها على قوه أخرى.فخلق اللّه للانسان العقل،به يدرك مضـره الأطعمه و منفعتها فى المآل،و به يدرك كيفيه طبخ الأطعمه و تركيبها و اعداد أسـبابها،فينتفع بعقله فى الأكل الذى هو سـبب صحته،و هو اخس فوائد العقل و أقـل الحكـم فيه،اذ الحكم و الفوائـد المـترتبه عليه أكـثر من ان تحصـى،و أعظم الحكم فيه معرفه اللّه و معرفه صـفاته و افعـاله.و العقـل بمنزله السـلطان فى مملكه البـدن،و الحواس الخمس كالجواسـيس و أصـحاب الاخبـار و الموكلين بنواحى المملكه،و قد وكـل كـل واحـد منهـا بـامر خاص.فواحـده بأخبـار الالـوان،و أخرى بأخبـار الأـصوات،و أخرى بأخبـار الروائـح،و أخرى بأخبار الطعـوم،و أخرى بأخبـار الحر و الـبرد و الخشـونه و الملاـسه و الليـن و الصــلابه.فهذه الجواسـيس يقتنصـون الاخبـار مـن أقطـار المملكه،و يسـلمونها إلى الحس المشترك،و هو قاعد فى مقدمه الدماغ، مثل صاحب الكتب و القصـص على باب الملك،يجمع القصـص و الكتب الوارده من نواحى العـالم،و يأخـذها و يسـلمها إلى العقـل الـذى هو السـلطان مختومه،اذ ليس له الا أخـذها و حفظهـا،و امـا معرفه حقـائق مـا فيهـا فليس اليه.و لكن إذا صـادف القلب العاقـل الـذى هو الأـمير و الملـك،سـلم،لانهـا آتيه إليه مختومه،فيفتشـها الملـك و يطلع على أسـرار المملكه،و يحكم فيهـا بأحكام عجيبه لا يمكن اسـتقصاؤها.و بحسب ما يلوح له من الاحكام و المصالـح يحول الجنود-اعنى الأعضاء-فى الطلب او الهرب او إتمام التـدبيرات التى تعن له.ثم عجائب حكم العقل و الأسباب التى يتوقف خلقه عليها ليس دركها فى مقدره البشر،و هذه ما يتوقف عليه الأكل من الادراكات و أسبابها.

ص :۲۵۶

فصل (لا فائده فی الغذاء ما لم یکن بشهوه و میل)

اذا أدرک الغـذاء،لم یفـد فائـده مـا لم تکن شـهوه له و میـل و شوق إلیه.اذ لو لاـ المیل إلیه لکان ادراکه بأی حس و قوه فرضـا معطلا.ألاـ تری أن المریض یری الطعـام و یـدرک انه انفع الأشـیاء له،و قـد سـقطت شـهوته،فلا یتناوله،فیبقی البصـر و الإدراک معطلا فی حقه؟فیتوقف الأکل علی میل الی الموافق،و یسـمی شـهوه،و نفره عن المخالف،و یسمی کراهه.فخلق اللّه شهوه الطعام و سلطها علی الإنسان کالمتقاضی الذی یضطره إلی التناول، و هذه الشهوه لو لم تسکن بعد أخذ قدر الحاجه لأسرفت و أهلکت نفسه، فخلق اللّه الکراهه عنـد الشبع لترک الأکل بها،و لم یجعلها کالزرع الـذی لا یزال یجتذب الماء إذا انصب فی اسـفله حتی یفسـد،و لـذلک یحتـاج إلی آدمی یقـدّر غـذاءه بقـدر الحاجه،فیسـقیه مره و یقطع عنه الماء أخری، ثم مجرد المیل و الشـهوه لا یکفی،مـا لم تنبعث الـداعیه إلی تناول الغـذاء.فخلق اللّه-تعالی-له الاراده-أعنی انبعاث النفس إلی تناوله.و ربما حصل الاحتیاج إلی قوه الغضب-أیضا-لیـدفع عن نفسه المؤذی و ما یضاده و یخالفه،و من أراد ان یأخـذ منه ما حصـله من الغذاء.ثم لکل واحد من الشـهوه،و الکراهه،و الاراده،و الغضب،أسباب لا یمکن احصاؤها، ثم بعد ادراک الغذاء و میله و شهوته و إرادته،لا یفید شیئا من ذلـک مـا لم یتحقق الطلب و الأخـذ بالفعل بآلاتهما.فکم من زمن شائق إلی شـیء بعیـد منه مـدرک له مائل إلیه مریـد له،لا یمکنه أن یمشی إلیه لفقد رجله،او لا یمکنه أن یتناوله لفقد یده او لفلج أو عذر فیهما.فلا بد من آلات للحرکه،و قدره فی تلک الآلات علی الحرکه،لتکون حرکتها بمقتضی الشهوه طلبا.فلذلک

خلق اللّه-تعالی-لک الأعضاء التی تنظر إلی ظاهرها و لا تعرف أسرارها.

فمنها ما هو آله للطلب،کالرجل للانسان،و الجناح للطیر،و القوائم للدواب.و منها ما هو آله لدفع المؤذی و المانع من طلب الغذاء،کالقرن لبعض الحیوانات،و الانیاب لبعض أخر منها،و المخلب لبعض آخر منها، و الاسلحه للانسان القائمه مقام هذه الآله.و منها ما هو آله للأخذ و التناول کالیدین للانسان.ثم لهذه الأعضاء أسباب و حکم خارجه عن الحد و الحصر و قد تقدم قلیل من حکمها و عجائبها فی باب التفکر.

فصل (عجائب المأکولات)

عمده ما یتوقف علیه الأکل و أصله و مناطه،هی الاغذیه و الأطعمه المأکوله،و للّه-تعالی-فی خلقها عجائب کثیره لا تحصی،و أسباب متوالیه لا تتناهی.و الاغذیه و الادویه من الأطعمه لم یبلغ عددها من الکثره حدا یمکن احصاؤها و حصرها،فضلا عن بیان عجائبها و أسبابها،فنحن نترک الجمیع،و تأخذ من جملتها حبه من الحنطه،و نبین بعض أسبابها و حکمها و عجائبها.فنقول:

قد خلق اللّه فی حبه الحنطه من القوی ما یغتذی به کما خلق فیک.فان النبات انما یفارقک فی الحس و الحرکه دون الاغتذاء،لانه یغتذی بالماء.

و لا نتعرض لذکر آلات النبات فی اجتذاب الغذاء إلی نفسه،بل نشیر إلی لمعه من کیفیه اغتذاء الحبه.فنقول:

ان الحبه لا تغتذی بکل شیء،بل یتوقف اغتذاؤها علی ارض فیها ماء.

و لا بد ان تکون ارضها رخوه متخلخله یتغلغل الهواء إلیها،فلو ترکتها فی ارض ندیه صلبه متراکمه لم تنبت لفقد الهواء.ثم الهواء لا یتسرب إلیها

ص :۲۵۸

بنفسه،فلا بد من حصول أسباب الريح حتى تحرك الهواء و تضربه و ينفذ فيها بقهر و عنف،و إليه الإشاره بقوله-تعالى-:

وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ

(۱)

.

و القاحها انما هو ايقاعها الازدواج بين الهواء و الماء و الأرض.ثم لا يكفى ذلك فى انباته فى برد مفرط،فيحتاج إلى حراره الصيف و الربيع.

فهذه أربعه أسباب،فان الماء لا بد ان ينساق إلى ارض الزراعه من البحار و الشطوط و الانهار و العيون و السواقى،فانظر كيف خلق اللّه جميع ذلك.

ثم الأرض ربما تكون مرتفعه لا ترتفع إليها مياه العيون و القنوات،فخلق اللّه الغيوم،و هى سحب ثقال حاملات للماء،و سلط عليها الرياح لتسوقها باذنه إلى أقطار العالم من المرتفعات و المنخفضات،و ترسلها مدرارا على الاراضى فى وقت الربيع و الخريف على حسب الحاجه،ثم خلق الجبال حافظه للمياه تنفجر منها العيون تدريجا على قدر الحاجه،و لو خرجت دفعه لغرقت البلاد،و هلك الزرع و المواشى.و نعم اللّه-تعالى-و عجائب صنعه و حكمته فى السحاب و البحار و الجبال و الامطار لا يمكن احصاؤها و اما الحراره،فانها لا يمكن أن تحصل فى الماء و الأرض،لكونهما باردين.

فخلق اللّه الشمس،و سخرها،و جعلها-مع بعدها عن الأرض- مسخنه لها فى وقت دون وقت،ليحصل الحر عند الحاجه إليه،و البرد عند الافتقار إليه،و هذه اخس حكم الشمس،و الحكم فيها أكثر من ان تحصى. ثم النبات ان ارتفع على الأرض كان فى الفواكه انعقاد و صلابه، فتفتقر إلى رطوبه تنضجها،فخلق اللّه القمر،و جعل من خاصيته الترطيب، كما يظهر لك ذلك إذا كشفت رأسك له فى الليل،فانه تغلب على رأسك

۱- ۱) الحجر،الآيه:۲۲.

الرطوبه المعبر عنها:(الزكام)،فهو بترطيه ينضج الفواكه و يرطبها، و يصبغها بتقدير الخالق الحكيم،و هذا أيضا أخس فوائد القمر و حكمه، و ما فيه من الحكم و الفوائد لا مطمع فى استقصائه،بل كل كوكب فى السماء فقد سخر لفوائد كثيره لا تفى القوى الشريه باحصائها.و كما أنه ليس فى اعضاء البدن عضو لا فائده فيه،فكذلك ليس عضو من اعضاء بدن العالم لا تكون فيه فائده أو فوائد كثيره.و العالم كله كشخص واحد،و آحاد أجسامه كالأعضاء له،و هى متفاوته تفاوت اعضاء البدن،و شرح ذلك ليس فى مقدره البشر،و كلها مسخرات للّه-سبحانه-،و آثار من قدرته الكامله، و رشحات من أبحر عظمته الباهره،و ليست فى انفسها إلا اعدام صرفه.

فأرباب القلوب العارفون باللّه المحبون له،إذا نظروا إلى ملكوت السماوات و الأرض،و الآفاق و الأنفس،و الحيوانات و النباتات،لا ينظرون إليها إلا من حيث إنها آثار قدره ربهم،و رشحات صفاته،و يكون تفكرهم و سعيهم فى العثور على عجائبها و حكمها،و ابتهاجهم و شغفهم لأجل ذلك.كما أن من أحب عالما لم يزل مشغوفا بطلب تصانيفه،فيزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له.فكذلك الامر فى عجائب صنع اللّه،فان العالم كله من تصنيفه-تعالى-،بل جميع المصنفين أيضا من تصنيفه الذى صنفه بواسطه قلوب عباده،فان تعجبت من تصنيف،فلا تتعجب من المصنف، بل من الذى سخر المصنف لتأليفه بما انعم عليه من هدايته و تسديده و تعريفه.

كما إذا رأيت لعب المشعوذ (1)يترقص و يتحرك حركات موزونه متناسبه، فلا تتعجب من اللعب،فانها خرق محركه لا متحركه،و لكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقه عن الابصار.و قد ظهر أن غذاء النبات

۱- ۱) المشعوذ:الرجل الحيال،الذى يصنع الشعبذه.

لاـ يتم الاـ بالماء و الهواء و الشمس و القمر و الكواكب،و لا يتم ذلك إلا بالافلاك التى هى مركوزه فيها،و لا تتم الأفلاك إلا بحركاتها،و لا تتم حركاتها إلا بملائكه سماويه يحركونها،و كذلك تتسلسل الأسباب إلى أن تنتهى إلى مسبب الأسباب و غايه الكل،و ليس لنا سبيل إلى ادراك تفاصيلها و استنباط عجائب حكمها و دقائق مصالحها.

فصل (حاجه تحضير الطعام إلى آلاف الأسباب)

ثم ما ينبت من الأرض من النبات،و ما يحصل من الحيوانات،لا يمكن أن تقضم و تؤكل كذلك،بل لا بد فى كل واحد من إصلاح و طبخ و تركيب و تنظيف،بإلقاء البعض و إبقاء البعض،إلى غير ذلك من الأعمال التى لا تحصى،و كل من الأطعمه يتوقف إصلاحها على أمور خاصه كثيره، و استقصاء ذلك فى كل طعام طويل.فلنأخذ رغيفا واحدا،و ننظر إلى بعض ما يحتاج إليه حتى يستدير و يصلح للأكل،اذ بيان جميع ما يحتاج إليه حتى يستدير الرغيف الواحد ليس ممكنا،فنقول:

أول ما يتوقف عليه هذا الرغيف الأرض،ثم إلقاء البذر فيها،ثم الثور الذى يثير الأرض مع آلاته،كالفدان و غير ذلك،ثم تنقيه الأرض من الحشائش،و التعهد بسقى الماء إلى أن يعقد الحب و يبدو صلاحه،ثم الحصاد،ثم الفرك،ثم التنقيه و التصفيه،ثم الطحن،ثم العجن،ثم الخبز.

فتأمل عدد هذه الافعال،و استحضر سائر الافعال التى لم نذكرها،ثم تذكر عدد الأشخاص القائمين بها،و عدد الآلات التى يحتاج إليها من الحديد و الخشب و الحجر و غيرها.و انظر إلى اعمال الصناع فى إصلاح آلات الحراثه و التصفيه و الطحن و الخبز من نجاره و حداده و غيرهما،و احتياج

كـل منهـا إلى آلاـت كـثيره.ثم انظر كيـف ألـف اللّـه-سـبحانه-بيـن قلـوب هؤلاـء الصـناع المصـلحين،و سـلط عليهـم الاـنس و المحبه،حتی ائتلفوا و اجتمعوا و بنوا المـدن و البلاـد،و رتبوا المساكن و الـدور متجاوره متقاربه،و بنوا الأسواق و الخانات و سائر أصـناف البقـاع،و لو تفرقت آراؤهم،و تنـافرت طباعهم تنافر طباع الوحوش،لتبـددوا و تباعـدوا،و لم ينتفع بعضـهم ببعض، ثم لما كـان فی جبله الإنسـان الغيـظ و العـداوه،و الحسـد و المنـافسه، و الاـنحراف عـن الحق،و ربمـا زالـت المحبه بيـن البعض لاعراض،فيزدحمون عليها،و يتنافسون فيها،و ربما أدی إلی التنافر و التقابل.فبعث اللّه الأنبياء بالشرائع و القوانين ليرجعوا إليها عند التنازع،فيرتفع نزاعهم.

ثم بعث العلماء الذين هم ورثه الأنبياء لحفظ هذه الشرائع و العلم بها.و بعث اللّه السلاطين حتی يقيموا الناس قهرا عليها لو أرادوا التخلف عنهـا،فسـلط اللّه السـلاطين أولی القوه و العـده علی النـاس،و ألقی رعبهم فی قلوبهم، و الهمهم إصـلاح العباد،بأن رتبوا الرؤسـاء و القضـاه و الحكـام و السـجن و الأـسواق،و اضـطروا الخلق إلی قـانون الشـرع و العـدل،و ألزموهم التـآلف و التعاون،و منعوهم عن التفرق و التباغض.فاصـلاح الرعايـا و الصـناع بالسـلاطين،و إصـلاح السـلاطين بالعلماء،و إصـلاح العلماء بالانبياء، و إصـلاح الأنبيـاء بالملائكه،و إصـلاح الملائكه بعضـهم ببعض،الی ان ينتهی إلی حضـره الربوبيه،التی هی ينبوع كل نظام،و مطلع كـل حسن و جمـال،و منشـأ كـل ترتيب و تأليف.و قـد ظهر مما ذكر:أن من فتش يعلم:ان رغيفا واحـدا لا يسـتدير بحيث يصـلح للاكل ما لم يعمل عليه آلاف الوف من الملائكه و صناع الانس.

فصل (تسخير اللّه التجار لجلب الطعام)

ثم جميع الأطعمه لما لم يمكن أن يوجد فى كل مكان و بلد،إذ لكل واحد شروط مخصوصه لأجلها،لا يمكن إلا أن يوجد فى بعض الأماكن دون بعض،و الناس منتشرون على وجه الأرض،و قد يبعد عنهم بعض ما يحتاجون إليه من الأطعمه،بحيث تحول بينهم و بينها البرارى و البحار، فسخر اللّه-تعالى-التجار،و سلط عليهم حرص المال و شره الربح،حتى يقاسوا الشدائد،و يركبوا الأخطار فى قطع المفاوز و ركوب البحار، فيحملون الأطعمه و أنواع الحوائج من الشرق إلى الغرب،و من الغرب إلى الشرق.فانظر كيف علمهم اللّه صناعه السفن و كيفيه الركوب فيها،و كيف خلق الحيوانات و سخرها للحمل و الركوب فى البوادى و الجبال،من الجمال و كيفيه قطعها البرارى و المراحل تحت الأعباء الثقيله و صبرها على الجوع و العطش،و من الخيل و كيفيه سرعه سيرها و حركاتها،و من الحمار و صبره على التعب،و انظر كيف خلق اللّه ما يحتاج إليه السفن و هذه الحيوانات من الأسباب و الغذاء،و ينتهى إلى حد لا يمكن تحديده.

فصل (نعم اللّه فى خلق الملائكه للانسان)

ثم مجرد وجود الغذاء و حضوره و إصلاحه لا يفيد فائده ما لم يؤكل و يصير جزء للبدن.و هذا موقوف على اعمال كثيره،محتاجه إلى أسباب كثيره،من الطحن،و الجذب،و الهضم المعدى و الكبدى،و غير ذلك من الأفعال التى يحتاج كل منها إلى أسباب كثيره.و قد أشرنا إلى لمعه من

کیفیه ذلک فی باب التفکر،فارجع إلیه.و هنا نشیر إلی أنموذج من نعمه اللّه فی خلق الملائکه.فنقول:

إن کثره الملائکه لم تبلغ حدا یمکن تصوره تفصیلا أو إجمالا،و لهم طبقات و أصناف:منها:طبقات الملائکه الأرضیه.و منها:الملائکه السماویه.و منها:حمله العرش العظیم.و منها:المسلسلون.و منها:

المهیمنون...و غیر ذلک مما لم نسمع اسمهم و رسمهم،و لا یحیط بهم إلا اللّه -سبحانه-.فکل صنع من صنائع اللّه فی الأرض و السماء لا یخلو عن ملک أو ملائکه موکلین به.فانظر کیف و کلهم اللّه بک فیما یرجع إلی الأکل و الاغتذاء الذی کلامنا فیه،دون ما یجاوز،و ذلک من صنائع اللّه و افعاله، و من الوحی إلی الأنبیاء و الهدایه و الإرشاد و غیرها،فان استقصاء ذلک لیس من مقدورات البشر.فنقول:إن کل جزء من اجزاء بدنک،بل من اجزاء النبات،لا یغتذی إلا بأن یوکل به سبعه من الملائکه،هم أقل الأعداد،الی عشره إلی مائه،الی أکثر من ذلک بمراتب.

بیان ذلک:ان معنی الاغتذاء:أن یقوم جزء من الغذاء مقام جزء تلف من بدنک.و هذا موقوف علی حرکات و تغیرات و استحالات للغذاء، حتی یصیر جزء للبدن،کالجذب و الهضم و صیرورته لحما و عظما.و معلوم أن الغذاء و الدم و اللحم اجسام لیست لها قدره و معرفه و اختیار حتی تتحرک و تتغیر بانفسها.و مجرد الطبع لا یکفی فی ترددها فی اطوارها،کما أن البر بنفسه لا یصیر طحینا و عجینا و خبزا مطبوخا إلا بصناع،و الصناع فی الباطن هم الملائکه،کما أن الصناع فی الظاهر هم أهل البلد.فالغذاء،بعد وضعه فی الفم إلی أن یصیر دما،لا بد له من صناع من الملائکه،و لا نتعرض لهم و لبیان عددهم، و نقول:بعد صیرورته دما إلی أن یصیر جزء للبدن،یتوقف علی سبعه من

الملائکه،إذ لا بد من ملک یجذب الدم إلی جوار اللحم و العظم،إذ الدم لا یتحرک بنفسه،و لا بد من ملک آخر یمسک الغذاء فی جواره،و لا بد من ثالث یخلع عنه صوره الدم،و من رابع یکسوه صوره اللحم و العظم و العرق،و من خامس یدفع الفضل الزائد من الحاجه،و من سادس یلصق ما اکتسب صفه اللحم باللحم،و ما اکتسب صفه العظم بالعظم،و ما اکتسب صفه العرق بالعرق حتی لا یکون منفصلا،و لا بد من سابع یراعی المقادیر فی الالصاق،فیلحق بالمستدیر علی ما لا یبطل استدراته، و بالعریض علی ما لا یبطل عرضه،و بالمجوف علی ما لا یبطل تجویفه، و هکذا...و یراعی فی الالصاق لکل عضو ما یلیق به و یحتاج إلیه.فلو جمع لانف الصبی-ملا-من الغذاء ما یجمع علی فخذه،لکبر أنفه،و بطل تجویفه،و تشوهت صورته،بل ینبغی أن یسوق إلی الاجفان مع رقتها و إلی الافخاذ مع غلظهتا،و إلی الحدقه مع صفائها،و إلی العظم مع صلابته، ما یلیق بکل واحد منها من حیث القدر و الشکل،و یراعی العدل فی القسمه و التقسیط،و إلا بطلت الصوره،و تشوهت الخلقه،و رق بعض المواضع و ضعف البعض.فمراعاه هذه الهندسه مفوضه إلی ملک من الملائکه.و إیاک و أن تظن ان الدم بطبعه یهندس شکل نفسه،فان من احال هذه الأمور الی الطبع جاهل و لا یدری ما یقول،فان أراد من الطبع قوه عدیمه الشعور، و یقول:ان کل فعل من هذه الافعال موکول إلی قوه لا شعور لها،فنقول:

ذلک أدل علی عظمه اللّه و حکمته و قدرته،اذ لا ریب فی ان ما لا شعور له لیس فی نفسه أن یفعل فعلا ما،فضلا عن ان یفعل أفعالا متقنه محکمه، مشتمله علی الحکم الدقیقه و المصالح الجلیه و الخفیه.فتکون هذه شروطا ناقصه لایجاد اللّه-سبحانه-هذه الأفعال بلا واسطه،أو بواسطه عدد هذه

القوی من الملائکه.و علی أی تقدیر،لا بد من سبعه اشخاص من مخلوق اللّه-سبحانه-مسخرین فی باطنک،موکلین بهذه الافعال،قد شغلوا بک، و أنت فی النوم تستریح،و فی الغفله تتردد،و هم یصلحون الغذاء فی باطنک و لا خبر لک منهم،و کذلک فی کل جزء من اجزائک التی لا تتجزأ،حتی یفتقر بعض الأجزاء-کالعین و القلب-الی أکثر من مائه ملک.ثم الملائکه الأرضیه مددهم من الملائکه السماویه علی ترتیب معلوم،لا یحیط بکنهه الا اللّه،و مدد الملائکه السماویه من حمله العرش،و المنعم علی جمیعهم بالتأیید و التسدید و الهدایه المهیمن القدوس،المتفرد بالملک و الملکوت و العز و الجبروت.و من أراد ان یعلم-إجمالا-کثره الملائکه الموکلین بالسماوات و الأرضین،و أجزاء النبات و الحیوانات،و السحب و الهواء و البحار و الجبال و الامطار و غیر ذلک،فلیرجع فی ذلک إلی الاخبار الوارده من الحجج-علیهم السلام-. ثم لا بد أن یفوض کل فعل من الافعال السبعه المذکوره إلی ملک من الملائکه،و یکون الموکل به ملکا واحدا علی حده،و لا یمکن أن یفوض جمیعها إلی ملک واحد،کما لا یمکن أن یتولی انسان واحد سبعه أعمال فی الحنطه،کالطحن و تمییز النخاله،و دفع الفضله عنه،و صب الماء علیه،و العجن،و قطعها کسرات مدوره،و ترقیقها رغفانا عریضه،و الصاقها بالتنور.اذ الملک وحدانی الصفه،لیس فیه خلط و ترکیب من المتضادات.فلا یکون لکل واحد منهم الا فعل واحد،کما أشیر إلیه بقوله-تعالی-:

وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ

(۱)

.

۱- ۱) الصافات،الآیه:۱۶۴.

و لـذلک،لیس بینهم تحاسـد و تنافس.و مثالهم فی تعیین مرتبه کل واحـد منهم و عدم مزاحمه الآخر له مثال الحواس الخمس،و لیس کالانسان الذی یتولی بنفسه أمورا مختلفه،و سـبب ذلک اختلاف صـفاته و دواعیه،فانه لما لم یکن وحدانی الصفه لم یکن وحـدانی الفعل،و لـذلک تری أنه یطیع اللّه تاره و یعصـیه أخری.و ذلک غیر موجود فی الملائکه،فانهم مجبولون علی الطاعه لم تتصور فی حقهم معصیه،و لکل منهم طاعه خاصه معینه.

فالراکع منهم راکع أبـدا،و الساجـد منهم ساجـد دائما،و القائم منهم قائم أبدا،لا اختلاف فی افعالهم و لا فتور،و لکل واحد منهم مقام معلوم.

و إذ قـد ظهر لک عدد ما یحتاج إلیه بعض افعال مجرد الاغتذاء من الملائکه الارضـیه المسـتمدین من الملائکه السـماویه،فقس علیه سائر افعال الاغتذاء، و سائر افعالک الباطنه و الظاهره،فان بیان ذلک لیس ممکنا.ثم قس علی ذلک إجمالا جمله صـنائع اللّه و افعـاله الـواقعه فی عـالمی الجـبروت و الملکـوت،و عـالم الملـک و الشـهاده،فسـماواته و ارضه و مـا بینهمـا و مـا تحتهمـا و ما فوقهما،فان اعداد الملائکه و الموکلین بها غیر متناهیه،کیف و مجامع طبقات الملائکه و انواعهم خارجه عن الإحصاء،فضـلا عن الآحاد الداخله تحت الطبقات؟ و قد ظهر مما عرفت من توقف کل نعمه علی نعم کثیره متسلسـله،الی أن ینتهی إلی اللّه،و اتصال البعض بـالبعض و وقوع الارتبـاط و الترتب بینهمـا:أن من کفر نعمه اللّه فقـد کفر کل نعمه فی الوجود،فمن نظر إلی غیر محرم-مثلا-فقـد کفر،ففتح العین نعمه اللّه فی الأجفان،و لا تقوم الأجفان الا بالعین،و لا العین الا بالرأس،و لا الرأس إلا بجمیع البدن،و لا البدن الا بالغذاء،و لا غذاء الا بالماء و الأرض و الهواء و المطر و الغیم و الشـمس و القمر و سائر الکواکب،و لا یقوم شیء من ذلک الا

بالسماوات و لا السماوات إلا بالملائکه.فان الکل کالشیء الواحد،یرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض.فاذن قد کفر کل نعمه فی الوجود،من ابتداء الثری إلی منتهی الثریا.و حینئذ لا یبقی جماد و لا نبات و لا حیوان،و لا ماء و لا هواء،و لا کوکب و لا فلک و لا ملک،إلا یلعنه.

و لذلک ورد فی الأخبار:«ان البقعه التی یجتمع فیها الناس،إما تلعنهم إذا تفرقوا،أو تستغفر لهم».و کذلک ورد:«أن الملائکه یلعنون العصاه».

و ورد:«ان العالم یستغفر له کل شیء،حتی الحوت فی البحر».و أمثال هذه الأخبار الداله علی ما یفید المراد خارجه بطرفه عن الإحصاء،و کل ذلک إشاره إلی أن العاصی بتطریفه واحده یجنی علی جمیع الملک و الملکوت.

ثم جمیع ما ذکرناه إنما یتعلق بجزء من المطعم،فاعتبر ما سواه.ثم تأمل هل یمکن أن یخرج أحد عن عهده الشکر؟کیف و للّه فی کل طرفه علی کل عبد من عبیده نعم کثیره خارجه عن الإحصاء؟فان فی کل نفس ینبسط و ینقبض نعمتین،إذ بانبساطه یخرج الدخان المحترق من القلب،و لو لم یخرج لهلک،و بانقباضه یجتمع روح الهواء إلی القلب،و لو لم یدخل نسیم الهواء فیه لانقطع قلبه و هلک.و لما کان الیوم و اللیله أربعا و عشرین ساعه،و فی کل ساعه یوجد الف نفس تخمینا،و إذا اعتبرت ذلک و قست علیه سائر النعم،یکون علیک فی کل یوم و لیله آلاف الوف نعمه فی کل جزء من اجزاء بدنک،بل فی کل جزء من اجزاء العالم،و کیف یمکن احصاء ذلک، و لذلک قال اللّه-تعالی-:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا

(۱)

و ورد:«ان من لم یعرف نعمه اللّه إلا فی مطعمه و مشربه،فقد قل

۱- ۱) إبراهیم،الآیه:۳۴.النحل،الآیه:۱۸.

علمه و حضر عذابه».فالبصير لا تقع عينه فى العالم على شىء،و لا يلم خاطره بموجود،إلا و يتحقق أن للّه فيه نعمه عليه.و لذلك قال موسى بن عمران:

«إلهى!كيف أشكرك و لك على فى كل شعره من جسدى نعمتان:أن لينت اصلها،و ان طمست رأسها».

فصل (الأسباب الصارفه للشكر)

اعلم أن السبب الصارف لأكثر الخلق عن الشكر،إما قصور معرفتهم بأن النعم كلها من اللّه-سبحانه-،أو قصور معرفتهم و أحاطتهم بصنوف النعم و آحادها،او جهلهم بحقيقه الشكر و كونه استعمال النعمه فى إتمام الحكمه التى أريدت بها و ظنهم ان حقيقه الشكر مجرد ان يقولوا بلسانهم:الحمد للّه،أو الشكر للّه،أو الغفله الناشئه عن غلبه الشهوه و استيلاء الشيطان، بحيث لا يتنبهون للقيام بالشكر،كما فى سائر الفضائل و الطاعات،او عدم احتسابهم للجهل ما يعم الخلق و يشملهم فى جميع الأحوال من النعم نعمه.

و لذلك لا يشكرون على جمله من النعم،لكونها عامه للخلق،مبذوله لهم فى جميع الحالات.فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا بها،فلا يعدها نعمه.و تأكد ذلك بألفهم و اعتيادهم بها،فلا يتصورون خلاف ذلك، و يظنون ان كل انسان يلزم ان يكون على هذه الأحوال.فلذلك تراهم لا يشكرون اللّه على روح الهواء،و وفور الماء،و صحه البصر و السمع، و أمثال ذلك.و لو أخذ يمحقهم،حتى انقطع عنهم الهواء،و حبسوا فى بيت حمام فيه هواء حار،او بئر فيها هواء تقبل رطوبه الماء،ماتوا.فان ابتلى واحد بشىء من ذلك،ثم نجى منه،ربما قدر ذلك نعمه و شكر اللّه

علیه.و كذا البصیر،اذا عمیت عینه،ثم اعید علیه بصره،عده نعمه و شكره،و لو لم یبتل بالعمی و كان بصیرا دائما كان غافلا عن الشكر.و هذا غایه الجهل،إذ شكرهم صار موقوفا علی ان تسلب منهم النعمه ثم ترد علیهم فی بعض الأحوال،مع ان النعمه فی جمیع الأحوال أولی بالشكر.فلما كانت رحمه اللّه واسعه قد عمت الخلق فی جمیع أحوالهم لم یعدها الجاهلون نعمه.و مثلهم كمثل العبد السوء الذی لو لم یضرب بطرو ترک الشكر،و إذا ضرب فی غالب الأحوال ترک ساعه شكر المولی علی ذلک. و من تأمل یعلم ان نعمه اللّه علیه فی شربه ماء عند عطشه أعظم من ملک الأرض كلها.كما نقل:«أن بعض العلماء دخل علی بعض الخلفاء،و فی یده كوز ماء یشربه، فقال له:عظنی.فقال:لو لم تعط هذه الشربه إلا ببذل أموالك و ملكك كله،و لو لم تعطه بقیت عطشانا،فهل تعطیه؟قال:نعم!قال:فكیف تفرح بملک لا یساوی شربه ماء؟!». هذا مع أن كل عبد لو أمعن النظر فی حاله،لرأی من اللّه نعمه أو نعما كثیره تخصه لا یشاركه فیها أحد،أو یشاركه یسیر من الناس،إما فی العقل،أو فی الخلق،أو فی الورع و التقوی، أو فی الدین،أو فی صورته و شخصه،أو أهله و ولده،أو مسكنه و بلده، أو رفقائه و أقاربه،أو عزه و جاهه،أو طول عمره و صحه جسمه،أو غیر ذلک من محابه.بل نقول:لو كان أحد لا یكون مخصوصا بشیء من ذلک، فلا ریب فی أنه یعتقد فی نفسه اختصاصه و مزیته فی بعض هذه علی سائر الخلق.فان أكثر الناس یعتقدون كونهم اعقل الناس،أو أحسن أخلاقا منهم،مع أن الامر لیس كذلک.و لذلک لا یشكون من نقصان العقل كما یشكون من قله المال،و لا یسألون اللّه أن یعطیهم العقل كما یسألون منه زیاده المال،و یری من غیره عیوبا یكرهها و اخلاقا یذمها،و لا یری ذلک من نفسه.

و بالجمله:کل أحد یقدر فی نفسه من المحاب و صفه الکمال ما لا یراه فی غیره،و إن لم یکن مطابقا للواقع.و لذلک لو خیر بأن یسلب منه ماله و یعطی ما خصص به غیره،لکان لا یرضی به.بل التأمل یعطی:أن کل واحد من أکثر الناس لا یرضی أن یکون فی جمیع الصفات و الافعال و الدین و الدنیا مثل شخص آخر من الناس کائنا من کان،بل لو و کل إلیه الاختیار،و قیل له:أنت مخیر فی صیرورتک مثل من شئت و أردت من أفراد الناس،لم یخیر إلا نفسه.و إلی هذا أشار اللّه-سبحانه-بقوله:

کُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَیْهِمْ فَرِحُونَ

(۱)

و إذا کان الأمر هکذا،فانی له لا یشکر اللّه علی ذلک مع قطع النظر عن النعم العامه؟و لو لم یکن لشخص من نعم اللّه إلا الأمن و الصحه و القوه، لعظمت النعمه فی حقه و لم یخرج عن عهده الشکر.قال رسول اللّه (ص):«من أصبح آمنا فی سربه،معافی فی بدنه،و عنده قوت یومه، فکأنما خیرت له الدنیا بحذافیرها». و مهما فتشت الناس،لوجدتهم یشکون عن أمور وراء هذه الثلاث،مع أنها و بال علیهم.بل لو لم تکن للانسان نعمه سوی الایمان الذی به وصوله إلی النعیم المقیم و الملک العظیم، لکان جدیرا به أن یستعظم النعمه و یصرف فی الشکر عمره.بل ینبغی للعاقل ألا یفرح إلا بالمعرفه و الیقین و الایمان.و نحن نعلم من العلماء من لو سلم إلیه جمیع ما دخل تحت ملوک الأرض من الشرق إلی الغرب،من أموال و اتباع،و أنصار و بلدان و ممالک،بدلا عن عشر عشیر من علمه لم یأخذه، لرجائه أن نعمه العلم تفضی به إلی قرب اللّه-تعالی-فی الآخره.بل لو سلم الیه جمیع ذلک عوضا عن لذه العلم فی الدنیا،مع نیله فی الآخره إلی ما یرجوه،

۱- ۱) المؤمنین،الآیه:۵۴.الروم،الآیه:۳۲.

لم يأخـذه و لم يرض به،لعلمه بأن لـذه العلم دائمه لا تنقطع،و ثابته لا تسـرق و لا تغصب،و صافيه لا كـدوره فيها،بخلاف لـذات الدنيا.

فصل (طريق تحصيل الشكر)

الطريق إلى تحصيل الشكر أمور:

الأول-المعرفه و التفكر فى صنائعه-تعالى-،و ضروب نعمه الظاهره و الباطنه و العامه و الخاصه.

الثانى-النظر إلى الادنى فى الدنيا و إلى الأعلى فى الدين.

الثالث-أن يحضـر المقابر،و يتـذكر أن أحب الأشـياء إلى الموتى و أهم سؤالهم و دعواهم من اللّه أن يردوا إلى الدنيا،و يتحملوا ضروب الرياضات و مشاق العبادات فى الـدنيا،ليتخلصوا فى الآخره من العـذاب، أو يزيـد ثوابهم و ترتفع درجاتهم.فليقـدر نفسـه منهم مع إجابه دعوته و رده الى الدنيا،فليصرف بقيه عمره فيما يشتهى أهل القبور العود لأجله.

الرابـع-أن يتـذكر بعض مـا ورد عليـه فى بعض أيـام عمره مـن المصـائب العظيمـه و الأمراض الصـعبه الـتى ظـن هلاـك نفسـه بهـا،فليتصور أنه هلـك بها،و يغتنم الآن حياته و ماله من النعم،فليشـكر اللّه على ذلك،و لا يتألم و لا يحزن من بعض ما يرد عليه مما ينافى طبعه.

الخـامس-أن يشـكر فى كـل مصـيبه و بليه من مصائب الـدنيا من حيث إنه لم تصـبه مصـيبه أكبر منها،و إنه لم تصـبه مصـيبه فى الدين.و لذلك قال عيسى(ع)فى دعائه:«اللهم لا تجعل مصيبتى فى دينى!».و قال رجل لبعض العرفاء:«دخل اللص فى بيتى و أخذ متاعى»فقال له:«اشكر اللّه لو

كان الشيطان يدخل بدله فى قلبك و يفسد توحيدك،ما ذا كنت تصنع؟».

و من حيث إن كل مصيبه إنما هى عقوبه لذنب صدر منه،فإذا حلت به هذه العقوبه حصلت له النجاه من عقوبه الآخره،كما قال رسول اللّه(ص):

«إن العبد إذا أذنب ذنبا فاصابته شده أو بلاء فى الدنيا.فاللّه أكرم من ان يعذبه ثانيا».و قد ورد هذا المعنى بطرق متعدده من أئمتنا-عليهم السلام-أيضا، فليشكر اللّه على تعجيل عقوبته و عدم تأخيرها إلى الآخره.و من حيث إن هذه المصيبه كانت مكتوبه آتيه إليه البته،فقد أتيت و فرغ منها. و من حيث إن ثوابها أكثر منها و خير له،لما يأتى فى باب الصبر من عظم مثوبات الابتلاء بالمصائب فى الدنيا.و من حيث انها تنقص فى القلب حب الدنيا و الركون إليها،و تشوق إلى الآخره و إلى لقاء اللّه سبحانه.اذ لا ريب فى أن من أتاه النعم فى الدنيا على وفق المراد،من غير امتزاج ببلاء و مصيبه،يورث طمأنينه للقلب إلى الدنيا و أنسابها،حتى تصير كالجنه فى حقه،فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته،و إذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا و لم يأنس بها،و صارت الدنيا سجنا عليه،و كانت نجاته منها كالخلاص من السجن.

و لذلك قال رسول اللّه(ص):«الدنيا سجن المؤمن و جنه الكافر».فمحن الدنيا و مصائبها و رياضاتها توجب انزعاج النفس عنها،و التفاتها إلى عالمها الأصلى، و تشوقها إلى الخروج عنها إليه و رغبتها إلى لقاء اللّه و ما أعد فى الدار الآخره لأهلها.

فان قلت:غايه ما يتصور فى البلاء أن يصبر عليه،و أما الشكر عليه فغير متصور،إذ الشكر إنما يستدعى نعمه و فرحا،و البلاء مصيبه و ألم، فكيف يشكر عليه؟و على هذا ينبغى ألا يجتمع الصبر و الشكر على شىء واحد، إذ الصبر يستدعى بلاء و ألما،و الشكر يستدعى نعمه و فرحا،فهما متضادان غير مجتمعين،فكيف حكمتم باجتماعهما فى المصائب و البلايا الدنيويه؟

قلنا:کل واحد من النعمه و البلاء ینقسم إلی مطلق و مقید.فالنعمه المطلقه کسعاده الآخره و العلم و الایمان و الأخلاق الحسنه فی الدنیا،و النعمه المقیده فی الدنیا-ای ما هو نعمه و صلاح من وجه و بلاء و فساد من وجه- کالمال الذی یصلح الدین من وجه و یفسده من وجه.و البلاء المطلق، کشقاوه الآخره و الکفر و الجهل و الأخلاق السیئه و المعاصی فی الدنیا، و البلاء المقید،کمصائب الدنیا،من الفقر و الخوف و المرض و سائر اقسام المحن و المصائب،فانها و إن کانت بلاء فی الدنیا،و لکنها نعم فی الآخره.

و عند التحقیق لا تخلو عن تکفیر الخطیئه،او ریاضه النفس،او زیاده التجرد،او رفع الدرجه. فالنعمه المطلقه بإزائها الشکر المطلق،و لا معنی لاجتماع الصبر معه،و الصبر الذی یجتمع معه لا ینافیه،کما یأتی.و البلاء المطلق لم یؤمر بالصبر علیه،إذ لا معنی للصبر علی الکفر و المعصیه،بل یجب عدم الصبر علیه و السعی فی ترکه.و اما البلاء المقید،فهو الذی یجتمع فیه الصبر و الشکر،و لیس اجتماعهما من جهه واحده حتی یلزم اجتماع الضدین،بل الصبر من حیث ایجابه الاغتمام و الألم فی الدنیا،و الشکر من حیث ادائه إلی سعاده الآخره و غیرها مما ذکر.

ثم لو لم یصبر علی جهه شریفه،و لم یشکر علی جهه خیریته،صار بلاء مطلقا لزم ترکه بالرجوع إلی الصبر و الشکر.و اما النعمه المقیده،کالمال و الثروه،فان ادت إلی إصلاح الدین کانت نعمه مطلقه یجب علیها الشکر و لم یکن محلا للصبر،و إن ادت إلی فساده کانت بلاء مطلقا واجب الترک،و ان ادت الی بلاء الدنیا،کأن یصیر ماله سببا لهلاک أولاده و فساد مزاجه،و یصیر فوته باعثا لابتلائه ببعض المصائب الدنیویه،کان حکمه حکم البلاء المقید.ثم یأتی فی باب الصبر:ان الصبر قد یکون علی الطاعه و علی المعصیه،و فیهما

يتحقق الشكر و الصبر،إذ الشكر-كما عرفت-هو عرفان النعمه من اللّه و الفرح به،و صرف النعمه إلى ما هو المقصود منها بالحكمه،و الصبر-كما يأتى- هو ثبات باعث الدين،اعنى العقل النظرى،فى مقابله باعث الهوى،أعنى القوه الشهويه.و لا ريب فى انه فى أداء الطاعه و ترك المعصيه يتحقق الثبات المذكور،إذ هو صرف النعمه إلى ما هو المقصود،اذ باعث الدين انما خلق لحكمه دفع باعث الهوى،و قد صرفه إلى مقصود الحكمه.و أنت خبير بأنه و ان تحقق الشكر و الصبر فى هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه،الا ان ما تصبر عليه هو هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه،اذ الصبر انما هو عليهما،و اما الشكر فعلى باعث الدين،اعنى العقل الباعث لهذه الطاعه و ترك هذه المعصيه، فالمشكور عليه هو باعث الدين دون نفس الطاعه و ترك هذه المعصيه،فاختلف فيهما الصبر و الشكر فى المتعلق،اى ما يصبر عليه و ما يشكر عليه،و اتحدا فى فعل الصبر و الشكر،اذ فعل الصبر هو الثبات و المقاومه،و هو عين الطاعه و ترك المعصيه،و فعل الشكر هو صرف النعمه فى مقصود الحكمه،و هو أيضا عين الطاعه و ترك المعصيه.و يمكن ان يقال:ان من فعل هذه الطاعه،و ترك هذه المعصيه،عرف كونهما من اللّه و فرح به،و يعمل طاء أخرى شكرا له.

و على هذا فيتحد متعلقا الشكر و الصبر فى هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه، اعنى المشكور عليه و ما يصبر عليه،اذ هما نفس هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه بعينها،و يختلف فعلاهما.اذ فعل الصبر هو هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه، و فعل الشكر تحميد او طاعه أخرى.

فصل (الصحه خير من السقم)

اشاره

لا تظنن مما قرع سمعك من فضيله البلاء و ادائه إلى سعاده الأبد انه خير من العافيه فى الدنيا،بل مع ذلك كله العافيه فى الدنيا خير من البلاء و المصيبه

فیها،فإیاک ان تسأل من اللّه البلایا و المصائب فی الدنیا،فان رسول اللّه(ص) کان یستعیذ فی دعائه من بلاء الدنیا و بلاء الاخره،و کان یقول هو و الأنبیاء و الأوصیاء-علیهم السلام-:«ربنا آتنا فی الدنیا حسنه،و فی الآخره حسنه»،و کانوا یستعیذون من شماته الأعداء و سوء القضاء.و قال(ص).

«سلوا اللّه العافیه،فما أعطی عبد أفضل من العافیه الا الیقین»،و أشار بالیقین الی عافیه القلب من الجهل و الشک،و هو أعلی و أشرف من عافیه البدن.و قال (ص)فی دعائه:«و العافیه أحب الی».

و بالجمله:هذا اظهر من ان یحتاج إلی الاستشهاد.اذ البلاء انما یصیر نعمه بالإضافه إلی ما هو أکثر منه فی الدنیا و الآخره،و بالإضافه إلی ما یرجی من الثواب فی الآخره،و من حیث یوجب تجرد النفس و انقطاعها من الدنیا و میلها إلی الآخره.فینبغی ان یسأل تمام النعمه فی الدنیا،و الثواب فی الآخره علی شکر المنعم،و التجافی عن دار الغرور،و الإنابه إلی دار الخلود، فانه قادر علی إعطاء الکل، و ما نقل عن بعض العارفین،من سؤالهم المصائب و البلاء،کما قال بعضهم:«اود ان أکون جسرا علی النار یعبر علی الخلق کلهم فینجون،و أکون انا فی النار»،و قال سمنون المحب:«و لیس لی فی سواک حب،فکیفما شئت فاختبرنی»،فمبناه علی غلبه الحب،بحیث یظن المحب بنفسه انه یحب البلاء.و مثل ذلک حاله تعتریه،و لیس لها حقیقه.فان من شرب کأس المحبه سکر،و من سکر توسع فی الکلام،و لما زال سکره علم ان ما غلب علیه کانت حاله لا حقیقه. فما تسمعه من هذا القبیل فهو کلام العشاق الذین افرط حبهم،و کلام العشاق یستلذ سماعه و لا یعول علیه.و قد روی:

«ان فاخته کان یراودها زوجها فتمنعه،فقال:ما الذی یمنعک عنی،و لو اردت ان اقلب لک ملک سلیمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلک؟فسمع ذلک

سلیمان(ع)،فطلبه و عاتبه فی ذلک،فقال.یا نبی اللّه کلام العشاق لا یحکی».

و نقل:«ان سمنون المحب بعد ما قال البیت المذکور،ابتلی بمرض الحصر، فکان یصیح و یجزع،و یسأل اللّه العافیه،و یظهر الندامه مما قال،و یدور علی ابواب المکاتب،و یقول للصبیان:ادعوا لعمکم الکذاب».و الحاصل:ان صیروره البلاء أحب عند بعض المحبین من العافیه،لاستشعارهم رضا المحبوب لأجله،و کون رضاه عندهم أحب و الذ من العافیه انما یکون فی غلیان الحب، فلا یثبت و لا یدوم.و مع ذلک کله،فاعلم ان الظاهر من بعض الاخبار الآتیه فی باب الصبر:ان فی الجنان درجات عالیه لا یبلغها أحد الا بالمصائب الدنیویه و الصبر و الشکر علیها،و یؤیده ابتلاء أکابر النوع،من الأنبیاء و الأولیاء، بالمصائب العظیمه فی الدنیا،و ما ورد من ان أعظم البلاء موکل بالانبیاء ثم بالأولیاء،ثم بالأمثل فالامثل فی درجات العلاء و الولاء.و علی هذا،فالظاهر اختلاف اصلحیه کل من البلاء و العافیه باختلاف مراتب الناس.فمن کان قوی النفس صابرا شاکرا فی البلاء،و لم یصده عن الذکر و الفکر و الحضور و الانس و الطاعات و الإقبال علیها،و لم یصر باعثا لنقصان الحب للّه،فالبلاء فی حقه أفضل فی بعض الأوقات،اذ بإزائه فی الآخره من عوالی الدرجات ما لا یبلغ بدونه،و من کان له ضعف نفس یوجب ابتلاءه بالمصائب جزعا أو کفرانا،او منعه عن شیء مما ذکر،فالعافیه اصلح فی حقه،و ربما کان البلاء مما منعه من الوصول إلی المراتب العظیمه،فلا ریب فی ان العافیه و عدم هذا البلاء أفضل و أعلی منه.فان البصیر الذی توسل بعینیه إلی النظر إلی عجائب صنع اللّه،و توصل به إلی معرفه اللّه،و تمکن لأجل العینین إلی مطالعه العلوم و تصنیف الکتب الکثیره من أنواع العلوم،و تبقی آثاره العلمیه علی مر الدهور،و ینتفع من علومه الناس ابدا،و ربما بلغ لأجل العینین إلی غایه

درجات المعرفه و القرب و الحب و الانس و الاستغراق،و لو لا وجود العينين له لم يبلغ إلى شىء من ذلك،فلا ريب فى أن وجود البصر لمثله أفضل و اصلح من عدمه،و لو لا ذلك لكانت رتبه شعيب مثلا-و قد كان ضريرا من بين الأنبياء-فوق رتبه موسى و إبراهيم و غيرهما-عليهم السلام-لأنه صبر على فقد البصر،و موسى لم يصبر عليه،و لكان الكمال فى ان يسلب الإنسان الأطراف كلها و يترك كلحم على و ضم.و هذا باطل،فان كل واحد من الأعضاء آله فى الدين،فيفوت بفواتها ركن من الدين.و يدل على ذلك ما ورد فى عده من الاخبار:«أن كل ما يرد على المؤمن من بلاء أو عافيه أو نعمه أو بليه،فهو خير له و اصلح فى حقه»،و ما ورد فى بعض الأحاديث القدسيه:«إن بعض عبادى لا يصلحه إلا الفقر و المرض،فاعطيته ذلك، و بعضهم لا يصلحه إلا الغنى و الصحه،فاعطيته ذلك».و بذلك يجمع بين اخبار العافيه و اخبار البلاء.

و منها:

اشاره

الجزع

و هو إطلاق دواعى الهوى،من الاسترسال فى رفع الصوت،و ضرب الخدود،و شق الجيوب،او ضيق الصدر و التبرم و التضجر.و هو و ان كان من نتائج ضعف النفس و صغرها الذى من رذائل القوه الغضبيه فقط،الا انه لما كان ضده الصبر،و له اقسام بعضها من متعلقات القوه الشهويه-كما يأتى- فلذلك لم نذكره فى متعلقات قوه الغضب فقط،بل ذكرناه هنا. ثم الجزع فى المصائب من المهلكات،لأنه فى الحقيقه إنكار لقضاء اللّه،و اكراه لحكمه، و سخط على فعله.و لذا قال رسول اللّه(ص):«الجزع عند البلاء تمام المحنه».

ص :۲۷۸

و قال(ص):«ان عظم الجزاء مع عظم البلاء،و ان اللّه إذا أحب قوما ابتلاهم،فمن رضى فله الرضا،و من سخط فله السخط».و فى الخبر القدسى:

«من لم يرض بقضائى،و لم يشكر على نعمائى،و لم يصبر على بلائى،فليطلب ربا سواى».و روى:«ان زكريا لما هرب من الكفار،و اختفى فى الشجره، و عرفوا ذلك،جاءوا بالمنشار فنشرت الشجره حتى بلغ المنشار رأس زكريا، فان أنه،فأوحى اللّه إليه:يا زكريا!لئن صعدت منك أنه ثانيه لأمحونك من ديوان النبوه!فعض زكريا(ع)على اصبعه حتى قطع شطرين» .و بالجمله:

العاقل يعلم ان الجزع فى المصائب لا فائده فيه،اذ ما قدر يكون،و الجزع لا يرده.و لا ريب فى أنه يترك الجزع بعد مضى مده،فليتركه أولا حتى لا يضيع أجره.و قد نقل:«انه مات ابن لبعض الأكابر،فعزاه مجوسى، و قال له:ينبغى للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسه ايام.فقال:

اكتبوه عنه». و قال الصادق(ع):«الصبر يظهر ما فى بواطن العباد من النور و الصفاء،و الجزع يظهر ما فى بواطنهم من الظلمه و الوحشه.و الصبر يدعيه كل أحد و ما يثبت عنده الا المخبتون،و الجزع ينكره كل أحد و هو أبين على المنافقين،لأن نزول المحنه و المصيبه يخبر عن الصادق و الكاذب.

و تفسير الصبر ما يستمر مذاقه،و ما كان عن اضطراب لا يسمى صبرا.

و تفسير الجزع اضطراب القلب و تحزن الشخص،و تغير اللون و الحال.و كل نازله خلت اوائلها من الاخبات و الإنابه و التضرع إلى اللّه فصاحبها جزوع غير صابر.و الصبر ما أوله مر و آخره حلو،من دخله من أواخره فقد دخل،و من دخله من اوائله فقد خرج.و من عرف قدر الصبر لا يصبر عما منه الصبر،قال اللّه-تعالى-فى قصه موسى و الخضر-عليهما السلام-:

فكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا،فمن صبر كرها،و لم يشكك إلى الخلق،

و لم یجزع بهتک ستره،فهو من العام،و نصیبه ما قال اللّه-عز و جل-:

وَ بَشِّرِ الصّابِرِینَ :ای بالجنه و المغفره.و من استقبل البلاء بالرحب،و صبر علی سکینه و وقار،فهو من الخاص،و نصیبه ما قال اللّه-عز و جل-:

إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِینَ»

(۱)

.

الصبر-مراتب الصبر-اقسام الصبر-فضیله الصبر-الصبر علی السراء-اختلاف مراتب الصبر فی الثواب-طریق تحصیل الصبر-التلازم بین الصبر و الشکر-القانون الکلی فی معرفه الفضائل-تفضیل الصبر علی الشکر.

ضد الجزع(الصبر)،

و هو ثبات النفس و عدم اضطرابها فی الشدائد و المصائب،بأن تقاوم معها،بحیث لا تخرجها عن سعه الصدر و ما کانت علیه قبل ذلک من السرور و الطمأنینه،فیحبس لسانه عن الشکوی،و اعضاءه عن الحرکات الغیر المتعارفه.و هذا هو الصبر علی المکروه،و ضده الجزع.

و له اقسام اخر لها أسماء خاصه تعد فضائل اخر:کالصبر فی الحرب، و هو من أنواع الشجاعه،و ضده الجبن.و الصبر فی کظم الغیظ،و هو الحلم،و ضده الغضب.و الصبر علی المشاق،کالعباده،و ضده الفسق، أی الخروج عن العبادات الشرعیه.و الصبر علی شهوه البطن و الفرج من قبائح اللذات،و هی العفه،و إلیه أشیر فی قوله-سبحانه-:

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):باب ۹۲.و علی(البحار): باب الصبر و الیسر بعد العسر،مج ۱۵:۲-۱۴۳.

وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ

(۱)

.

و ضـده الشـره.و الصبر عن فضول العيش،و هو الزهد،و ضده الحرص.و الصبر فى كتمان السـر،و ضده الاذاعه،و الأولان،كالصبر على المكروه من فضائل قوه الغضب.و الرابع،من نتائج المحبه و الخشيه.

و البواقى،من فضائل قوه الشهوه-كما يأتى-.و بذلك يظهر:أن من عد الصبر مطلقا من فضائل القوه الشهويه أو القوه الغضبيه إنما أراد به بعض أقسامه.

و يظهر من ذلك:أن أكثر أخلاق الايمان داخل فى الصبر.و لذلك لما سئل رسول اللّه(ص)عن الايمان،قال:«هو الصبر،لأنه أكثر أعماله و أشرفها»،كما قال:«الحج عزم».و قد عرّف مطلق الصبر بأنه مقاومه النفس مع الهوى،و بعباره أخرى:أنه ثبات باعث الدين فى مقـابله بـاعث الهـوى.و المراد ببـاعث الـدين هـو العقـل النظرى الهـادى إلى طريـق الخير و الصــلاح،و العقـل العملى المنفذ لأحكـامه المؤديه إلى الفوز و الفلاـح.و المراد بباعث الهوى هو قوه الشـهوه الخارجه عن إطاعه العقل.و القتال دائما بين الباعثين قائم،و الحرب بينهما أبدا سـجال (۲)،و قلب العبـد معركته، و مـدد بـاعث الـدين من الملائكه الناظرين لحزب اللّه،و مـدد باعث الهـوى مـن الشــياطين الناصــرين لأعـداء اللّـه،فـان ثبـت بـاعث الـدين بامـداد الملاـئكه حـتى قهر بـاعث الهـوى و اســتمر على مخالفته،غلب حزب اللّه و التحق بالصابرين، و إن تحاول و ضعف حتى غلب باعث الهوى بامداد الشياطين و لم يصبر على

۱- ۱) النازعات،الآيه:۴۰-۴۱.

۲- ۲) «الحرب بينهم سجال»:مثل مشهور،أى تاره لهم و تاره عليهم.

دفعه،التحق باتباع الشياطين.و عمده ما يثبت به باعث الدين هى قوه المعرفه،أى اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الوصول إلى اللّه مضادا لأسباب السعادات فى الدنيا و الاخره.ثم باعث الدين اما يقهر داعى الهوى بالكليه،بحيث لا تبقى له قوه المنازعه،فيدوم الصبر،و تستقر النفس فى مقام الاطمئنان،و تنادى من وراء سرادقات الجمال بخطاب:

«يٰا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ! ارْجِعِى إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَهً مَرْضِيَّهً» ،فتدخل فى زمره الصديقين السابقين،و تنسلك فى سلك عباده الصالحين.أو يغلب داعى الهوى و ينقهر باعث الدين،بحيث لا تبقى له قوه المنازعه،و ييأس عن المجاهده و المقاومه،فتسلم نفسه الشريفه الملكوتيه التى هى سر اللّه و وديعته إلى حزب الشيطان.و مثله مثل من أخذ أعز أولاده المتصف بجميع الكمالات،و يسلمه إلى الكفار من اعدائه،فيقتلونه لديه، و يحرقونه بين يديه،بل هو أسوا حالا منه بمراتب-كما لا يخفى-.إذ لا يكون لأحدهما الغلبه التامه،بل يكون بينهما تنازع و تجاذب،فتاره يغلب هذا،و تاره يغلب ذاك،فتكون النفس فى مقام المجاهده إلى أن يغلب أحد الباعثين،فتدخل فى حزب اللّه أو حزب الشيطان.ثم غلبه أحد الباعثين على الآخر إما أن تكون فى جميع مقتضياته أو بعضها،و تخرج من القسمين ثلاثه أحوال:

الأولى-أن يغلب باعث الدين على جميع الشهوات فى جميع الأوقات.

الثانيه-أن يغلب عليه الجميع فى الجميع.

الثالثه-أن يغلب على بعض دون بعض فى الجميع،أو يغلب عليها كلا أو بعضا دون بعض.

و قد أشير إلى أهل الحاله الأولى فى الكتاب الإلهى بقوله-تعالى-:

يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ... الى آخر الآيه (۱).

و إلى الثـانيه بقوله: وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّی لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّاسِ أَجْمَعِينَ (۲).و إلى الثـالثه بقوله: خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ (۳).

فصل (مراتب الصبر)

اشاره

الصبر على المكروه و مشـاق العبـادات و عن ترك الشـهوات إن كان بيسـر و سـهوله فهو الصبر حقيقه،و إن كان بتكلف و تعب فهو التصبر مجـازا.و إذا أدام التقوى و قوى التصـديق بما فى العاقبه من الحسـنى،تيسـر الصبر و لم يكن له تعب و مشـقه،كما قال اللّه-سبحانه-:

فَأَمّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى، وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى

(۴)

.

و متى تيسـر الصبر و صـار ملكه راسـخه أورث مقـام الرضا،و إذا أدام مقام الرضا أورث مقام المحبه.و كما ان مقام المحبه أعلى من مقام الرضا، فكذلك مقام الرضا أعلى من مقام الصبر.و لذلك قال رسول اللّه(ص):

«اعبد اللّه على الرضا،فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير».

ص :۲۸۳

۱- ۱) الفجر،الآيه:۲۷-۲۸.

۲- ۲) السجده،الآيه:۱۳.

۳- ۳) التوبه،الآيه:۱۰۳.

۴- ۴) الليل،الآيه:۵-۷.

قال بعض العارفين:«أهل الصبر علی ثلاث مقامات:الأول:ترک الشکوی،و هـذه درجه التائبین.الثانی:الرضا بالمقدر،و هذه درجه الزاهدین.الثالث:المحبه لما یصنع به مولاه،و هذه درجه الصدیقین».

و کأن هذا الانقسام مخصوص بالصبر علی المکروه من المصائب و المحن.ثم باعث الصبر إما إظهار الثبات و طمأنینه القلب عند الناس،لیکون عندهم مرضیا،کما نقل عن معاویه:أنه أظهر البشاشه،و ترک الشکوی فی مرض موته،و قال:

و تجلدی للشامتین أریهم

انی لریب الدهر لا أ تزعزع

و هذا صبر العوام،و هم الذین یعملون ظاهرا من الحیاه الدنیا و هم عن الآخره هم غافلون. أو توقع الثواب و نیل الدرجات الرفیعه فی دار الآخره،و هذا صبر الزهاد و المتقین،و إلیه الإشاره بقوله-تعالی-:

إِنَّمٰا یُوَفَّی الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ

(۱)

.

أو الالتذاذ و الابتهاج بورود المکروه من اللّه-سبحانه-.اذ کل ما یرد من المحبوب محبوب،و المحب یشتاق إلی التفات محبوبه و یرتاح به،و ان کان ما یؤذیه ابتلاء و امتحانا له،و هذا صبر العارفین،و إلیه الإشاره بقوله-تعالی-:

وَ بَشِّرِ الصّٰابِرِینَ، اَلَّذِینَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِیبَهٌ قٰالُوا إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَیْهِ رٰاجِعُونَ، أُولٰئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَهٌ

(۲)

.

۱- ۱) الزمر،الآیه:۱۰.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۵۵-۱۵۷.

و قـد ورد:ان الامـام محمـد بن على البـاقر-عليهمـا السـلام-قال لجابر ابن عبـد اللّه الأنصارى-و قـد اكتنفته علل و اسـقام،و غلبه ضعف الهرم-:

«كيـف تجـد حالـك؟»قـال:أنـا فى حـال الفقر أحـب إلىّ مـن الغنى،و المرض أحـب الىّ مـن الصــحه،و المـوت أحـب إلى من الحياه.فقال الامام(ع):

«أما نحن أهل البيت،فما يرد علينا من اللّه من الفقر و الغنى و المرض و الصحه و الموت و الحياه،فهو أحب إلينا».فقام جابر،و قبل بين عينيه،و قال:

صدق رسول اللّه(ص)حيث قال لى:«يا جابر!ستدرك واحدا من أولادى اسمه اسمى،يبقر العلوم بقرا».

تذنيب (أقسام الصبر)

الصبر باعتبار حكمه ينقسم إلى الاقسام الخمسه،فالصبر عن الشـهوات المحرمه و على مشاق العبادات الواجبه فرض،و على بعض المكاره و أداء المنـدوبات نفل،و على الأذيه التى يحرم تحملها حرام،كالصبر على قطع يـده،أو يـد ولـده،أو قصد حريمه بشـهوه محظوره،و على أذى تنـاله بجهه مكروهه فى الشـرع.و بـذلك يظهر ان كـل صبر ليس محمودا،بل بعض أنواعه ممـدوح و بعض انواعه مذموم،و الشرع محكم،فما حسنه حسن، و ما قبحه قبيح.

فصل (فضيله الصبر)

الصبر منزل من منازل السالكين،و مقام من مقامات الموحدين.

و به ينسلك العبد فى سلك المقربين،و يصل إلى جوار رب العالمين.و قد أضاف اللّه أكثر الدرجات و الخيرات إليه،و ذكره فى نيف و سبعين موضعا

من القرآن و وصف اللّه الصابرين بأوصاف،فقال-عز من قائل-:

وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا

(۱)

.

و قال: وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنىٰ عَلىٰ بَنِی إِسْرائِيلَ بِمٰا صَبَرُوا (۲).و قال: وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا كانُوا يَعْمَلُونَ (۳).و قال: أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمٰا صَبَرُوا (۴).فما من فصيله إلا و أجرها بتقدير و حساب إلا الصبر،و لذا قال: إِنَّمٰا يُوَفَّى الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ (۵).و وعد الصابرين بأنه معهم،فقال: وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰابِرِينَ (۶).

و علق النصره على الصبر،فقال: بَلىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذٰا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاٰفٍ مِنَ الْمَلاٰئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (۷).و جمع للصابرين الصلوات و الرحمه و الهدى.فقال: أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (۸).

۱- ۱) السجده،الآيه:۲۴.

۲- ۲) الأعراف،الآيه:۱۳۷.

۳- ۳) النحل،الآيه:۹۶.

۴- ۴) القصص،الآيه:۵۴.

۵- ۵) الزمر،الآيه:۱۰.

۶- ۶) الانفال،الآيه:۴۶.

۷- ۷) آل عمران،الآيه:۱۲۵.

۸- ۸) البقره،الآيه:۱۵۷.

و الآيات الوارده فى مقام الصبر خارجه عن حد الاستقصاء،و الاخبار المادحه له أكثر من أن تحصى.قال رسول اللّه(ص):«الصبر نصف الايمان». و قال(ص):«من أقل ما أوتيتم اليقين و عزيمته الصبر،و من أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل و صيام النهار،و لئن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب الى من ان يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم،و لكنى أخاف أن يفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا، و ينكركم أهل السماء عند ذلك،فمن صبر و احتسب ظفر بكمال ثوابه»...

ثم قرأ قوله-تعالى-:

مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ

(۱)

.

و قال(ص):«الصبر كنز من كنوز الجنه».و قال(ص):«أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس».و لا ريب فى ان الصبر مما تكرهه النفوس، و لذا قيل:«الصبر صبر».و قال(ص):«فى الصبر على تكرّه خير كثير».

و قال(ص):«الصبر من الايمان بمنزله الرأس من الجسد،و لا جسد لمن لا رأس له،و لا ايمان لمن لا صبر له».و سئل(ص)عن الايمان،فقال:

«الصبر و السماحه».و قال(ص):«ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى اللّه من جرعه غيظ ردها بحلم و جرعه مصيبه يصبر الرجل لها،و لا قطرت بقطره أحب إلى اللّه-تعالى-من قطره دم اهريقت فى سبيل اللّه و قطره دمع فى سواد الليل و هو ساجد و لا يراه إلا اللّه،و ما خطا عبد خطوتين احب إلى اللّه-تعالى-من خطوه إلى الصلاه الفريضه و خطوه إلى صله الرحم».و روى:«أنه-تعالى-أوحى إلى داود(ع):يا داود!تخلق باخلاقى،و إن من اخلاقى انى انا الصبور». و روى:«أن المسيح قال

۱- ۱) النحل،الآيه:۹۶.

للحواريين:إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون» (۱).

و قال(ص):«ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبه فقال-كما امره اللّه-:إنا للّه و انا إليه راجعون،اللهم أجرنى فى مصيبتى و اعقبنى خيرا منها،إلا-و فعل اللّه ذلك».و قال(ص):«قال اللّه-عز و جل-:اذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبه فى بدنه أو ماله أو ولده،ثم استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه ان انصب له ميزانا و انشر له ديوانا» (۲). و قال(ص):

«الصبر ثلاثه:صبر عند المصيبه،و صبر على الطاعه،و صبر عن المعصيه.

فمن صبر على المصيبه حتى يردها بحسن عزائها كتب اللّه له ثلاثمائه درجه، ما بين الدرجه إلى الدرجه كما بين السماء إلى الأرض،و من صبر على الطاعه كتب اللّه له ستمائه درجه،ما بين الدرجه إلى الدرجه كما بين تخوم الأرض إلى العرش،و من صبر على المعصيه كتب اللّه له تسعمائه درجه،ما بين الدرجه الى الدرجه كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش».و قال(ص):«سيأتى على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل و التجبر،و لا الغنى إلا بالغصب و البخل،و لا المحبه إلا باستخراج الدين و اتباع الهوى،فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر و هو يقدر على الغنى،و صبر على البغضه و هو يقدر على المحبه،و صبر على الذل و هو يقدر على العز،آتاه اللّه ثواب خمسين صديقا ممن صدق بى» (۳).و قال(ص):«ان اللّه-تعالى-قال لجبرئيل:ما جزاء من سلبت كريمته؟فقال:سبحانك!لا علم لنا الا ما علمتنا.قال:جزاؤه

۱- ۱) صححنا النبويات على(احياء العلوم):۴-۵۳،كتاب الصبر،

۲- ۲) صحححنا الروايه على(البحار):مج ۱۵:۲-۱۴۸،باب الصبر و اليسر بعد العسر.

۳- ۳) صحححنا الروايه،و كذا ما قبلها،على(أصول الكافى):ج ۲، باب الصبر.و على(الوافى):۳-۳۲۱-۳۲۳،باب الصبر.

الخلود فی داری،و النظر إلی وجهی».و قال(ص)لرجل قال له:ذهب مالی و سقم جسمی:«لا خیر فی عبد لا یذهب ماله و لا یسقم جسـمه،ان اللّه إذا أحب عبـدا ابتلاـه،و إذا ابتلاـه صبره».و قال(ص).«إن الرجل لیکون له الـدرجه عنـد اللّه-تعالی-لا یبلغها بعمل حتی یبتلی ببلاء فی جسمه فیبلغها بذلک». و قال(ص):«اذا أراد اللّه بعبد خیرا،و أراد ان یصافیه،صب علیه البلاء صبا و ثجه علیه ثجا،فإذا دعاه،قالت الملائکه:

صوت معروف،و إذا دعاه ثانیا،فقال:یا رب!قال اللّه-تعالی-:

لبیک عبـدی و سـعدیک!الا تسألنی شـیئا إلا اعطیتک،او رفعت لک ما هو خیر،و ادخرت لک عنـدی ما هو أفضل منه.فإذا کان یوم القیامه جیء بأهل الاعمال فوزنوا أعمالهم بالمیزان،أهل الصـلاه و الصـیام و الصدقه و الحج،ثم یؤتی باهل البلاء،فلا ینصب لهم میزان،و لاـ ینشـر لهم دیوان، یصب علیهم الأـجر صـبا کمـا کـان یصب علیهم البلاء صـبا،فیود أهل العافیه فی الـدنیا لو انهم کانت تقرض اجسادهم بالمقاریض لما یرون ما یذهب به أهل البلاء من الثواب،فذلک قوله-تعالی-:إنما یوفی الصابرون أجرهم بغیر حساب».و قال(ص):«إذا رأیتم الرجل یعطیه اللّه ما یحب،و هو مقیم علی معصـیته،فاعلموا أن ذلک استدراج»...ثم قرأ قوله-تعالی-:

فَلَمّا نَسُوا مّا ذُکِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَیْهِمْ أَبْوابَ کُلِّ شَیْءٍ

(۱)

.

یعنی:لما ترکوا ما أمروا به فتحنا علیهم أبواب الخیرات،حتی إذا فرحوا بما أوتوا-أی بما أعطوا من الخیر-اخذناهم بغته. و روی:

«أن نبیا من الأنبیاء شکی إلی ربه،فقال:یا رب،العبد المؤمن یعطیک

۱- ۱) الانعام،الآیه:۴۴.

و یجتنب معاصیک تزوی عنه الدنیا و تعرضه للبلاء،و یکون العبد الکافر لا یعطیک و یجتری علی معاصیک تزوی عنه البلاء و تبسط له الـدنیا!فاوحی اللّه-تعالی-الیه:ان العباد الی و البلاء لی،و کل یسـبح بحمدی.فیکون المؤمن علیه من الذنوب،فازوی عنه الدنیا و اعرض له البلاء،فیکون کفاره لذنوبه حتی یلقانی،فاجزیه بحسـناته،و یکون الکافر له من الحسـنات فابسط له فی الرزق و ازوی عنه البلاء،فأجزیه بحسـناته فی الدنیا حتی یلقانی فأجزیه بسـیئاته» (۱). و عن أبی عبـد اللّه(ع)قال:«قال رسول اللّه(ص):قال اللّه-عز و جل-:انی جعلت الدنیا بین عبادی قرضا،فمن اقرضـنی منها قرضا اعطیته بکل واحده منهن عشـرا إلی سبعمائه ضعف و مـا شـئت من ذلـک،و من لم یقرضـنی منها قرضا فاخـذت منه شـیئا قسـرا،اعطیته ثلاث خصال لو أعطیت واحـده منهن ملائکتی لرضوا بها منی.قال:ثم تلا ابو عبـد اللّه(ع)قوله-عز و جل-(الذین إذا أصابتهم مصـیبه قالوا إنا للّه و إنا الیه راجعون،أولئک علیهم صلوات من ربهم)،فهـذه واحـده من ثلاث خصال،(و رحمه)اثنتان،(و أولئک هم المهتـدون)ثلاث.ثم قال أبو عبـد اللّه (ع):هـذا لمن أخـذ اللّه منه شـیئا قسـرا».و قال أمیر المؤمنین(ع):«بنی الایمان علی اربع دعائم:الیقین،و الصبر،و الجهاد،و العدل».و قال أمیر المؤمنین (ع)«الصبر صبران:صبر عنـد المصـیبه حسن جمیـل،و أحسن من ذلک الصبر عنـد ما حرم اللّه-عز و جل-علیک».و قال علی(ع):«الصبر و حسن الخلق و البر و الحلم من أخلاق الأنبیاء».و قال أمیر المؤمنین(ع):

«أیما رجل حبسه السلطان ظلما فمات،فهو شهید،و ان ضربه فمات،فهو

۱- ۱) صححنا الأحادیث الأربع علی(احیاء العلوم):۴-۱۱۴،باب الصبر.

شهیـد» (۱).و قـال أمیر المـؤمنین(ع):«مـن إجلاـل اللّـه و معرفـه حقـه ألاـ تشـکو وجعـک ،و لاـ تـذکر مصـیبتک».و قـال أمیر المؤمنین(ع):«ألا أخبرکم بأرجی آیه فی کتاب اللّه؟قالوا:بلی!فقرأ علیهم:

وَ مٰا أَصٰابَکُمْ مِنْ مُصِیبَهٍ فَبِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِیکُمْ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ

(۲)

.

فالمصائب فی الـدنیا بکسب الأوزار،فإذا عافاه اللّه فی الـدنیا فاللّه أکرم من ان یعـذبه ثانیا،و ان عفی عنه فی الدنیا فاللّه أکرم من ان یعـذبه یوم القیـامه». و قـال البـاقر(ع):«الجنه محفوفه بالمکـاره و الصبر،فمن صبر علی المکـاره فی الـدنیا دخـل الجنه.و جهنم محفوفه باللـذات و الشـهوات، فمن أعطی نفسه لـذتها و شـهوتها دخـل النـار».و قـال(ع):«مروه الصبر فی حـال الفاقه و الحاجه و التعفف و الغنی أکثر من مروه الإعطاء» (۳).

و قال(ع):«لما حضـرت أبی علی بن الحسین-علیهما السلام-الوفاه، ضمنی إلی صدره،ثم قال:یا بنی!أوصیک بما اوصانی به أبی حین حضـرته الوفـاه،و بمـا ذکر ان أبـاه أوصـاه به،قـال:یا بنی!اصبر علی الحق و ان کان مرا».و قال الصادق(ع):«اذا دخل المؤمن قبره،کـانت الصـلاه عن یمینه و الزکـاه عن یسـاره،و البر مطـل علیه،و یتنحی الصبر ناحیته.فـإذا دخـل علیه لملکـان اللـذان یلیـان مساءلته،قال الصبر للصلاه و الزکاه و البر:

ص: ۲۹۱

۱- ۱) صححنا الروایات الثلاث علی(أصول الکافی):ج ۲،باب الصبر.و علی (الوافی):۳-۳۲۱-۳۲۳،باب الصبر.

۲- ۲) الشوری،الآیه:۳۰.

۳- ۳) قال العلامه(المجلسی)-قدس سره-فی(بحار الأنوار):مج ۱۵ ج ۲،فی باب الصبر علی المعصیه،فی ذیل هـذا الخبر:«بیان المروه:هی الصفات التی بها تکمل انسانیه الإنسان».

دونکم صاحبکم،فان عجزتم عنه فانا دونه».و قال(ع):«إذا کان یوم القیامه، یقوم عنق من الناس،فیأتون باب الجنه،فیضربونه،فیقال لهم:من انتم؟فیقولون:نحن أهل الصبر،فیقال لهم:علی ما صبرتم؟فیقولون:کنا نصبر علی طاعه اللّه و نصبر عن معاصی اللّه،فیقول اللّه-تعالی-:صدقوا! ادخلوهم الجنه.و هو قول اللّه-تعالی-:إنما یوفی الصابرون أجرهم بغیر حساب».و قال(ع):«من ابتلی من المؤمنین ببلاء فصبر علیه،کان له مثل اجر الف شهید».و قال(ع):«إن اللّه-عز و جل-انعم علی قوم فلم یشکروا،فصارت علیهم و بالا،و ابتلی قوما بالمصائب فصبروا،فصارت علیهم نعمه».و قال(ع):«من لا یعد الصبر لنوائب الدهر یعجز».و قال(ع):

«إن من صبر صبر قلیلا-و إن من جزع جزع قلیلا-..ثم قال:علیک بالصبر فی جمیع أمورک،فان اللّه-عز و جل-بعث محمدا(ص)فأمره بالصبر و الرفق،فقال:

وَ اصْبِرْ عَلیٰ مٰا یَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِیلاً

(۱)

.

و قال أبو الحسن(ع)لبعض أصحابه:«ان تصبر تغتبط،و الا تصبر یقدر اللّه مقادیره،راضیا کنت أم کارها» (۲).و الاخبار فی فضیله الصبر علی البلاء و عظم ثوابه و أجره أکثر من ان تحصی.و لذلک کان الانقیاء و الأکابر محبین طالبین له،حتی نقل:«ان واحدا منهم دخل علی ابن مریض له،فقال:یا بنی!لئن تکن فی میزانی أحب إلی من ان أکون فی میزانک.

۱- ۱) المزمل،الآیه:۱۰.

۲- ۲) صححنا الأحادیث الوارده عن أهل البیت-علیهم السلام-فی باب الصبر،علی الجزء الثانی من(أصول الکافی)باب الصبر،و علی(الوافی): ۳-۳۲۱-۳۲۳،کتاب الصبر.

فقال:یا أبه!لئن یکن ما تحب أحب إلی من أن یکون ما أحب».و قال بعضهم:«ذهبت عینی منذ ثلاثین سنه،ما علم به أحد».

فصل (الصبر علی السراء)

اشاره

کل ما یلقی العبد فی الدنیا،و ما یوافق هواه،أو لا یوافقه،بل یکرهه،و هو فی کل منهما محتاج إلی الصبر.اذ ما یوافق هواه،کالصحه الجسمیه،و اتساع الأسباب الدنیویه،و نیل الجاه و المال،و کثره الأولاد و الاتباع،لو لم یصبر علیه،و لم یضبط نفسه عن الانهماک فیه و الاغترار به،أدرکه الطغیان و البطر.(فان الإنسان لیطغی ان رآه استغنی).و قال بعض الأکابر:«البلاء یصبر علیه المؤمن،و العوافی لا یصبر علیها الا الصدیق».و قال بعض العرفاء:«الصبر علی العافیه أشد من الصبر علی البلاء».و لذا لما توسعت الدنیا علی الصحابه و زال عنهم ضیق المعاش،قالوا:

«ابتلینا بفتنه الضراء فصبرنا،و ابتلینا بفتنه السراء فلا نقدر علی الصبر علیها».و من هنا قال اللّه-سبحانه-:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِکُمْ أَمْوٰالُکُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّٰهِ

(۱)

.و قال: إِنَّ مِنْ أَزْوٰاجِکُمْ وَ أَوْلاٰدِکُمْ عَدُوًّا لَکُمْ (۲).

و معنی الصبر علی متاع الدنیا:ألا یرکن إلیه،و یعلم أنه مستودع عنده،و عن قریب یسترجع عنه،فلا ینهمک فی التنعم و التلذذ،و لا یتفاخر

۱- ۱) المنافقون،الآیه:۹.

۲- ۲) التغابن،الآیه:۱۴.

بـه علی فاقـده من اخـوانه المـؤمنین،و یرعی حقـوق اللّه فی مـاله بالانفـاق،و فی بـدنه ببـذل المعـونه للخلـق،و فی منصـبه باعـانه المظلومین،و کذلک فی سائر ما أنعم اللّه به علیه.

و السر فی کون الصبر علیها أشـد من الصبر علی البلاء:انه لیس مجبورا علی ترک ملاذ الدنیا،بل له القدره و التمکن علی التمتع بهـا،بخلاف البلاء، فانه مجبور علیه،و لا یقـدر علی دفعه،فالصبر علیه أسـهل.و لـذا تری أن الجائع إذا لم یقـدر علی الطعام أقـدر علی الصبر منه إذا قدر علیه.

و أما ما لا یوافق هواه و طبعه،فله ثلاثه اقسام:

الأول-ما یکون مقدورا للعبد،کالطاعات و المعاصـی.أما الطاعه، فالصبر علیها شدید،لأن النفس بطبعها تنفر عنها،و تشتهی التقهر و الربـوبیه، کمـا یـأتی وجهـه.و مع ذلـک یثقـل علیهـا بعض العبـادات باعتبـار الکسـل،و بعضـها باعتبـار البخـل،و بعضـها باعتبارهما،کالحج و الجهاد،فلا تخلو طاعه من اعتبار یشق علی النفس ان تصبر علیه،و مع ذلک یحتاج المطیع فیها إلی الصبر فی حالات ثلاثه تتضاعف لأجلها الصعوبه،إذ یحتاج إلیها قبل العمل فی تصحیح النیه و الإخلاص،و تطهیرها عن شوائب الریاء،و فی حاله العمل لئلا یغفل عن اللّه فی اثنائه،و لا یخل بشـیء من وظائفه و آدابه،و یسـتمر علی ذلک إلی الفراغ و بعد الفراغ عنه،لئلا یتطرق إلیه العجب،و لا یظهر ریاء و سمعه.

و النهی عن إبطـال العمـل و عن إبطـال الصـدقات بـالمن و الاذی امر بهـذا القسم من الصبر. و أما المعاصـی،فلکون جمیعها مما تشـتهیها النفس،فصبرها علیها شدید،و علی المألوفه المعتاده أشد،إذ العاده کالطبیعه الخامسه،و لذا تری أن کل معصـیه شاعت و تکررت ثقل اسـتنکارها،فان الاستبعاد فی مثل لبس الحریر أکثر من الاستبعاد فی إطلاق اللسان طول النهار فی اعراض الناس،مع ان الغیبه أشد من الزنا،کما نطقت به الاخبار.فإذا انضافت

العاده إلى الشهوه،ظهر جندان من جنود الشيطان على جند اللّه،فيصعب تركها.

ثم المعصيه ان كانت مما يسهل فعلها،كان الصبر عنها أشد،كمعاصى اللسان من الغيبه و الكذب،و لو كانت مع ذلك مشتمله على تمام ما تقتضيه جبله النفس من الاستعلاء و الربوبيه،كالكلمات التى توجب نفى الغير و القدح فيه،و الثناء على ذاتها تصريحا أو تعريضا،كان الصبر عنها أشد.

اذ مثل ذلك-مع كونها مما تيسر فعله و صار مألوفا معتادا-انضافت إليه شهوتان للنفس فيه:إحداهما نفى الكمال من غيرها،و اخراهما اثباته لذاتها.

و ميل النفس إلى مثل تلك المعصيه فى غايه الكمال،إذ به يتم ما تقتضيه جبلتها من التوفق و العلو،فصبرها عنها فى غايه الصعوبه. و قد ظهر مما ذكر:أن أكثر ما شاع و ذاع من المعاصى انما يصدر من اللسان.فينبغى لكل أحد ان يجتهد فى حفظ لسانه بتقديم التروى على كلام يريد أن يتكلم به،فان لم يكن معصيه تكلم به،و إلا تركه،و لو لم يقدر على ذلك، و كان لسانه خارجا عن اطاعته فى المحاورات،وجبت عليه العزله و الانفراد و تركه التكلم مع الناس،حتى تحصل له ملكه الاقدار على حفظه،ثم صعوبه الصبر و سهولته لما كانت تختلف فى آحاد المعاصى باختلاف داعيه تلك المعاصى قوه و ضعفا،فينبغى لكل طالب السعاده أن يعلم ان داعيه نفسه الى أى معصيه أشد،فيكون سعيه فى تركها أكثر.ثم حركه الخواطر باختلاج الوساوس ايسر بكثير من حركه اللسان بقبائح الكلمات،فلا يمكن الصبر عنها أصلا،إلا بأن يغلب على القلب هم آخر فى الدين يستغرفه، كمن أصبح و همومه هم واحد.و أكثر جولان الخاطر إنما يكون فى فائت لا تدارك له،او فى مستقبل لا بد و ان يحصل منه ما هو مقدور.و كيف كان فهو تصور باطل،و تضييع وقت.إذ آله استكمال

ص:٢٩٥

العبـد قلبه،فـإذا غفل القلب فى لحظه من ذكر يسـتفيد به انسا باللّه،او فكر يسـتفيد به معرفه باللّه،و يسـتفيد بالمعرفه حب اللّه،فهو مغبون.

الثـانى-مـا ليس حصـوله مقـدورا للعبـد،و لكنه يقـدر على دفعه بالتشـفى،كمـا لـو أوذى بفعـل او قـول،او جنى عليه فى نفسه او ماله،فان حصول الاذيه و الجنايه و ان لم يرتبط باختياره،إلا انه يقدر على التشفى من المؤذى او الجانى بالانتقام منه،و الصبر على ذلك بترك المكافاه.و هو قد يكون واجبا،و قد يكون فضيله،و هو أعلى مراتب الصبر.و لأجل ذلك خاطب اللّه نبيه(ص)بقوله:

فَاصْبِرْ كَمٰا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

(۱)

.

و بقـوله: وَ اصْـبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (۲).و بقـوله: وَ دَعْ أَذٰاهُـمْ وَ تَـوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ (۳).و قال: وَ لَتَسْـمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (۴).و قال:

«وَ إِنْ عٰاقَبْتُمْ فَعٰاقِبُوا بِمِثْلِ مٰا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّٰابِرِينَ

(۵)

.

۱- ۱) الاحقاف،الآیه:۳۵.

۲- ۲) المزمل،الآیه:۱۰.

۳- ۳) الأحزاب،الآیه:۴۸.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۱۸۶.

۵- ۵) النحل،الآیه:۱۲۶.

و قال رسول اللّه(ص):«صل من قطعك،و اعط من حرمك،و اعف عمن ظلمك».و روى:«أنه(ص)قسم مره مالاـفقال بعض الاـعراب من المسلمين:هذه قسمه ما أريد بها وجه اللّه!فاخبر به رسول اللّه، فاحمرت وجنتاه،ثم قال:رحم اللّه أخى موسى،قد أوذى باكثر من هذا فصبر».

الثالث-ما ليس مقدورا للعبد مطلقا،كالمصائب و النوائب.و الصبر عليه شديد فى غايه الصعوبه،و لا ينال إلا ببضاعه الصديقين،و الوصول اليه يتوقف على اليقين التام.و لذا قال النبى(ص):«أسألك من اليقين ما يهون على مصائب الدنيا».و قد تقدم بعض الاخبار الوارده فى فضيله هذا القسم من الصبر.و قال(ص):«قال اللّه:اذا ابتليت عبدى ببلائى فصبر،و لم يشكنى إلى عواده،أبدلته لحما خيرا من لحمه،و دما خيرا من دمه،فان أبرأته أبرأته و لاـ ذنب له،و ان توفيته فإلى رحمتى».و قال (ص):«من إجلال اللّه و معرفه حقه:ألا تشكو وجعك ،و لا تذكر مصيبتك».و قال(ص):«من ابتلى فصبر،و أعطى فشكر،و ظلم فغفر، أولئك لهم الأمن و هم مهتدون».و قال(ص):«إن اللّه-تعالى-قال لجبرئيل:ما جزاء من سلبت كريمته؟فقال:سبحانك!لا علم لنا إلا ما علمتنا.قال:جزاؤه الخلود فى دارى،و النظر إلى وجهى».و قال داود(ع):«يا رب!ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك؟ قال:جزاؤه أن ألبسه لباس الأمان،لا انزعه عنه ابدا».و قال لابنه سليمان-عليهما السلام-:«يستدل على تقوى المؤمن بثلاث:حسن التوكل فيما لم ينل،و حسن الرضا فيما قد نال،و حسن الصبر فى ما قد فات».

و روى:«أن من ابتلى بموت ثلاثه أولاد،لم يرد على النار أصلا».

تذنیب (اختلاف مراتب الصبر فی الثواب)

لما کان الصبر علی العافیه بمعنی ترک الشهوات المحرمه و عدم الانهماک فیها، فهو راجع إلی الصبر عن المعصیه.و علی هذا،فاقسام الصبر ثلاثه:الصبر علی المصائب و النوائب،و الصبر علی الطاعه،و الصبر عن المعصیه.ثم ما تقدم من الخبر النبوی صریح فی کون الأول أقل ثوابا،و الآخر أکثر ثوابا،و الوسط وسطا بینهما.و ربما ظهر من بعض الاخبار:کون الأول أکثر ثوابا.و أبو حامد الغزالی رجح الأول أولا،و به صرح بعض المتأخرین من أصحابنا للخبر النبوی،ثم رجح الثانی ثانیا محتجا بما روی عن ابن عباس أنه قال:«الصبر فی القرآن علی ثلاثه اوجه،صبر علی أداء فرائض اللّه-تعالی-فله ثلاثمائه درجه،و صبر عن محارم اللّه-تعالی- و له ستمائه درجه،و صبر علی المصیبه عند الصدمه الأولی،فله تسعمائه درجه».و بأن کل مؤمن یقدر علی الصبر عن المحارم،و أما الصبر علی بلاء اللّه فلا یقدر علیه الا ببضاعه الصدیقین،لکونه شدیدا علی النفس.

و عندی:ان القول بکون أحدهما أکثر ثوابا علی الإطلاق غیر صحیح،إذ القول بأن الصبر عن کلمه کذب او لبس ثوب من الحریر لحظه أکثر ثوابا من الصبر علی موت کثیر من أعز الاولاد بعید،و کذا القول بأن الصبر علی فقد درهم أکثر ثوابا من کف النفس عن کبائر المعاصی و فطامها عن ألذ اللذات و الشهوات مع القدره علیها أبعد،فالصواب:

التفصیل بأن کل صبر من أی قسم کان من الثلاثه إذا کان علی النفس أشد و اشق فثوابه أکثر مما کان اسهل و أیسر،کائنا ما کان،لما ثبت و تقرّر أن أفضل الاعمال احمزها،و به یحصل الجمع و التلاؤم بین الأخبار.

فصل (طريق تحصيل الصبر)

اشاره

الطريق إلى تحصيل الصبر:تقويه باعث الدين،و تضعيف باعث الهوى.

و الأول:انما يكون بأمور:

الأول-أن يكثر فكرته فيما ورد من فضل الصبر و حسن عواقبه فى الدنيا و الآخره،و أن ثواب الصبر على المصيبه أكثر مما فات، و انه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبه،إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مده الحياه فى الدنيا،و حصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر،فيجازى على المده القصيره الفانيه بالمده الطويله الخالده،و على الغايه القريبه الزائله بالغايه المديده الباقيه.

و من أسلم خسيسا فى نفيس،فلا ينبغى أن يحزن بفوات الخسيس فى الحال.

الثانى-أن يتذكر قله قدر الشده الدنيويه و وقتها،و استخلاصه عنها عن قريب،مع بقاء الاجر على الصبر عليها.

الثالث-أن يعلم أن الجزع قبيح مضر بالدين و الدنيا،و لا يفيد ثمره إلا حبط الثواب و جلب العقاب،كما قال أمير المؤمنين(ع):«ان صبرت جرت عليك المقادير و أنت مأجور،و ان جزعت جرت عليك المقادير و أنت ما زور».

الرابع-أن يعوّد مصارعه هذا الباعث باعث الهوى تدريجا،حتى يدرك لذه الظفر بها،فيتجرى عليها،و يقوى متنه فى مصارعتها.فان الاعتماد و الممارسه للاعمال الشاقه يؤكد القوى التى تصدر منها تلك الاعمال.و لذا تزيد قوه الممارسين للاعمال الشاقه-كالحمالين و الفلاحين-على قوه التاركين لها.فمن عود نفسه مخالفه الهوى غلبها مهما شاء و أراد.

و أما الثانى:اعنى تضعيف الهوى،انما يكون بالمجاهده و الرياضه،

من الصوم و الجوع و قطع الأسباب المهبجه للشهوه من النظر إلى مظانها و تخيلها،و بالتسليه بالمباح من الجنس الذى يشتهيه بشرط الا يخرج عن القدر المشروع.

تتميم

إن قيل:الصبر فى المصائب إن كان المراد به الا تكون فى نفسه كراهه المعصيه فذلك غير داخل تحت الاختيار،إذ الإنسان مضطر الى الكراهه،فبما ذا ينال درجه الصبر فى المصائب؟ قلت:من كان عارفا باللّه و بأسرار حكمته و قضائه و قدره،بأن يعلم يقينا بأن كل امر صدر من اللّه و ابتلى به عباده من ضيق أو سعه،و كل امر مرهوب أو مرغوب على وفق الحكمه و المصلحه بالذات،و ما عرض من ذلك مما يعد شرا فأمر عرضى لا يمكن نزع الخير المقصود منه،و ان ذلك إذا كان متيقنا له،استعدت نفسه للصبر و مقاومه الهوى فى الغم و الحزن،و طابت بقضائه و قدره،و توسع صدره بمواقع حكمه،و ايقن بأن قضاءه لم يجر إلا بالخيره.و قد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين(ع)بقوله:

«اطرح عنك و اردات الهموم بعزائم الصبر و حسن اليقين». و من بلغ بهذه الدرجه،يتلذذ بكل ما يرد عليه.و مثله يتمتع بثروه لا تنفد،و يتأيد بعز لا يفقد،فيسرح فى ملك الابد،و يعرج إلى قضاء السرمد.هذا مع ان العبد إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع،و شق الجيوب،و ضرب الخدود،و المبالغه فى الشكوى،و إظهار الكآبه،و تغيير العاده فى الملبس و المطعم و نحوها،و هذه الأمور داخله تحت اختياره،فينبغى ان يجتنب عنها،و يظهر الرضا بالقضاء،و يبقى مستمرا على عادته،و يعتقد ان ذلك

كان وديعه فاسترجعت،و لا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب و جريان الدمع،لان ذلك مقتضى البشريه.و لذلك لما مات إبراهيم ولد النبى(ص) فاضت عيناه بالدمع،فقيل له:اما نهيتنا عن هذا؟قال.«هذه رحمه، انما يرحم اللّه من عباده الرحماء».و قال أيضا(ص):«العين تدمع و القلب يحزن،و لا يقول ما يسخط الرب».بل ذلك لا يخرج عن مقام الرضا أيضا،فان المقدم على الفصد و الحجامه راض به،مع أنه متألم بسببه لا محاله.نعم،من كمال الصبر كتمان المصائب،لما ورد من أن كتمان المصائب و الاوجاع و الصدقه من كنوز البر.و قد ورد المدح فى كثير من الأخبار على عدم الشكايه من الامراض و المصائب. و قال الباقر(ع):

«الصبر الجميل،صبر ليس فيه شكوى إلى الناس».و فى بعض الأخبار:

«أن الشكايه أن تقول:ابتليت بما لم يبتل به أحد،و اصابنى ما لم يصب أحدا،و ليس الشكوى أن تقول:سهرت البارحه،و حميت اليوم،و نحو ذلك».و قال الصادق(ع):«من اشتكى ليله،فقبلها بقبولها،و أدى الى اللّه شكرها،كانت كعباده ستين سنه»،قيل له:ما قبولها؟قال:«يصبر عليها و لا يخبر بما كان فيها،فإذا أصبح حمد اللّه على ما كان».

تتميم (التلازم بين الصبر و الشكر)

اعلم انه اختلف فى أفضليه كل من الصبر و الشكر على الآخر،فرجح كلا منهما على الآخر طائفه.و الظاهر أنه لا ترجيح لأحدهما على الآخر، لأنهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.اذ الصبر على الطاعه و على المعصيه هو عين الشكر،لكون أداء الطاعه و ترك المعصيه شكرا،كما مر فى باب الشكر.و الصبر على الشدائد و المصائب يستلزم الشكر،لما مر من

أن الشدائد و المصائب الدنيويه تتضمن نعما،فالصبر على هذه الشدائد يستلزم الشكر على تلك النعم،و لأن الصبر على المصائب هو حبس النفس عن الجزع تعظيما للّه-سبحانه-.و هذا هو الشكر بعينه،لانه تعظيم للّه يمنع عن العصيان،و الشاكر يمنع نفسه عن الكفران مع ميل النفس إليه،و هذا هو عين الصبر عن المعصيه.و أيضا،توفيق الصبر و العصمه من الجزع نعمه يشكر عليها الصابر،فكل صبر يستلزم الشكر،و بالعكس.

و بالجمله:لا ريب فى استلزام كل من الصبر و الشكر للاخر،فان اجتماعهما فى الطاعه و ترك المعصيه،بل اتحادهما فيهما،امر ظاهر،كما تقدم.

و فى البلاء المقيد الدنيوى،اذا حصل فيه الصبر،فلا ريب فى عدم انفكاكه عن تصور النعم اللازمه له،من الثواب الاخروى،و حصول الانزعاج عن الدنيا و الرغبه إلى الآخره،فيشكر على ذلك.فهو لا ينفك عن الشكر،لانه يعرف هذه النعم من اللّه،كما يعرف البلاء أيضا من اللّه،فيفرح بالنعم،و يعمل بمقتضى فرحه من التحميد و غيره.و فى النعمه المقيده، مثل المال،إذا توسل به إلى تحصيل الدين،فلا ريب فى أنه كما تحقق فيه الكر تحقق فيه الصبر أيضا.إذ فى إنفاق المال و بذله فى تحصيل الدين حبس النفس عما تحبه و تميل إليه،و ثبات باعث الدين فى مقابله باعث الهوى.و فى البلاء المطلق،كالكفر و الجهل،لا معنى لتحقق الشكر أو الصبر فيه، و فى النعمه المطلقه،كسعاده الآخره و العلم و حسن الأخلاق،كما يتحقق فيها الشكر يتحقق فيها الصبر أيضا.إذ تحصيل السعاده،و العلم،و الأخلاق الفاضله،و الابقاء عليها،لا ينفك عن مقاومته مع الهوى و منع النفس عما تميل إليه.مع ان الشكر عليهما يستلزم منع النفس عن الكفران،و هو الصبر على المعصيه.حتى أن شكر العينين بالنظر إلى عجائب صنع اللّه يستلزم

الصبر عن الغفله و النوم،و النظر إلی ما تمیل إلیه النفس من النظر إلی غیر المحارم و أمثال ذلک.

فان قیل:استلزام کل من الصبر و الشکر للاخر مما لا ریب فیه،إلا أن الکلام فی أنه إذا لم یتحقق الاتحاد بینهما فی فعل،کما فی فعل الطاعه و ترک المعصیه لکونهما متحدین فیهما،بل تحقق الاستلزام الموجب لتحقق جهتین،فأی الجهتین أفضل؟مثل أن یبتلی أحد بمصیبه دنیویه،فصبر علیها،بمعنی أنه عرف أنها من اللّه و حبس نفسه عن الجزع و الاضطراب، و شکر علیها أیضا،بمعنی أنه عرف أن النعم اللازمه لها من الثواب الأخروی و غیرها من اللّه،و فرح بها،و عمل بمقتضی فرحه من التحمید أو طاعه أخری،فهل الأفضل حینئذ جهه الصبر،أو جهه الشکر؟ قلنا:التأمل یعطی:أن کل صبر هو شکر بعینه،و بالعکس.فلا تتحقق بینهما جهتان مختلفتان حتی یتصور الترجیح بینهما.فان الصبر علی البلاء إنما هو حبس النفس عن الجزع تعظیما للّه.و هذا هو الشکر،إذ کل طاعه للّه-سبحانه-شکر،و فی الشکر علی النعم المطلقه منع النفس عن الکفران،و هو عین الصبر عن المعصیه.

فان قلت:فعلی هذا،یجتمع الصبر و الشکر فی محل واحد بجهه واحده،و قد تقدم انهما متضادان،اذ الصبر یستدعی ألما،و الشکر یستدعی فرحا،و قد ذکرت ان اجتماع الصبر و الشکر فی محل واحد انما یکون من جهتین متغایرتین لا من جهه واحده.

قلنا:امتناع الاتحاد فیهما انما هو فی الصبر و الشکر علی ما هو کان نعمه و بلاء بعینه،فانه لا یمکن ان یکون الصبر علی فوت ولد-اعنی حبس النفس عن الجزع-هو عین الشکر علی النعمه،اذ موت الولد بعینه لیس

نعمه،بل هو مستلزم للنعمه.فالشكر على اللازم،و الصبر على الملزوم، فاختلفت جهتا الصبر و الشكر،فلا اتحاد.و ما ذكرناه من الاتحاد انما هو الشكر و الصبر على النعمه و ترك المعصيه،او على البلاء و الطاعه.و ندعى أن من وصلت إليه نعمه،فشكر عليها بعرفانها من اللّه،ففرح بها، و عمل بمقتضى الفرح،من التحميد او طاعه أخرى،كان هذا الشكر عين الصبر عن معصيه هى الكفران،او على الطاعه التى هى التحميد و غيره.

كذا من ابتلى ببليه،فصبر عليها بحبس نفسه عن الجزع،فهذا الصبر عين الشكر بأداء الطاعه التى هى تعظيم اللّه بكف النفس عن الجزع،أو عن المعصيه التى هى الجزع و الاضطراب.و هذا الاتحاد و العينيه يطرد فى كل صبر و شكر،و لا يتحقق شكر لا يكون عن الصبر من هذا الوجه،و بالعكس.

و ليس بينهما تضاد و تغاير أصلا،و الاستلزام و اختلاف الجهه انما هو فى الصبر على البلاء و الشكر على ما يستلزمه من النعم،و لا يمكن هنا اتحادهما لتضادهما.و فى هذه الصوره،يكون كل من الصبر و الشكر المتميزين عن الآخر باختلاف الجهه عين الآخر،من حيث ملاحظه الاعتبار السابق،فلا يمكن الترجيح فى هذه الصوره مع اختلاف الجهه أيضا.

فان قيل:عرفان النعم من اللّه داخل فى حقيقه الشكر،و ليس داخلا فى الصبر،فينبغى ان يكون الشكر لذلك أفضل من الصبر.

قلنا:فى الشق الأول من صوره العينيه و الاتحاد،يكون عرفان النعمه داخلا فى الصبر،و فى الشق الثانى منهما،و فى صوره الاستلزام، يدخل عرفان البلاء من اللّه فى الصبر.فكما ان الشاكر يرى نعمه العينين من اللّه،فكذا الصابر يرى العمى من اللّه،فهما فى المعرفه متساويان.ثم جميع ما ذكر فى الفرق بين الصبر و الشكر إنما إذا كانت حقيقه الصبر حبس النفس

عن الشكوى فى البلاء مع الكراهه و التألم (۱)،و على هذا يكون الرضا فوقه، لو قطع النظر عن كون الصبر شكرا أيضا،و يكون الشكر فوق الرضا، إذ الصبر مع التألم و الرضا يمكن بما لا ألم فيه و لا فرح،و الشكر لا يمكن إلا على محبوب يفرح به،و لو لم يعتبر فى مفهوم الصبر الكراهه و التألم، لصار الرضا و الشكر فى بعض درجاته،إذ يمكن أن يصل حال العبد فى الحب مرتبه لا يتألم من البلاء أو يفرح به،لأنه يراه من محبوبه.

و حينئذ،فترك الشكوى فى البلاء مع الكراهه صبر،و بدونها رضا،و مع الفرح به شكر.

تنبيه (القانون الكلى فى معرفه الفضائل)

اعلم أن المعيار و القانون الكلى فى معرفه فضائل الاعمال و الأحوال و ترجيح بعضها على بعض عند أرباب القلوب:أن العمل كلما كان أكثر تأثيرا فى إصلاح القلب و تصفيته و تطهيره عن شوائب الدنيا،و أشد اعدادا له لمعرفه اللّه و انكشاف جلاله فى ذاته و صفاته و افعاله،كان أفضل.

و على هذا القانون،لو لا الاتحاد و العينيه و التلازم بينهما،لكان اللازم أن يوازن بين كل درجه درجه من درجات الصبر و الشكر و ترجيح أحدهما،إذ لكل منهما درجات مختلفه فى تنوير القلب و تصفيته،و سبب الاختلاف أسباب:

منها-الاختلاف بين أقسام النعم و اقسام البلاء.

و منها-اختلاف مراتب المعرفه و الفرح المأخوذين فى الشكر،

۱- ۱) قال أستاذ البشر المحقق(الطوسى)-قدس سره-فى تعريف الصبر: «الصبر.حبس النفس عن الجزع عند المكروه،و هو يمنع الباطن عن الاضطراب، و اللسان عن الشكايه،و الأعضاء عن الحركات غير المعتاده...».

و اختلاف الطاعه التى تفعل فى كل منهما صعوبه و سهوله.فربما كان بعض درجات الصبر أشد تنويرا و أكثر إصلاحا للقلب من بعض درجات الشكر، و ربما كان الأمر بعكس ذلك فى بعض آخر من درجاتهما.فان الأعمال و الأحوال المندرجه تحت كل منهما كثيره،و باختلافها-كثره و قله- تختلف درجاتهما.فمن الأمور و الأحوال التى تندرج تحت الشكر:حياء العبد من تتابع نعم اللّه عليه،و معرفته بتقصيره عن الشكر،و اعتذاره من قله الشكر،و اعترافه بأن النعم ابتداء من اللّه-تعالى-من غير استحقاقه لها،و علمه بأن الشكر أيضا نعمه من نعمه و مواهبه،و حسن تواضعه بالنعم، و التذلل.و قله اعتراضه،و حسن ادبه بين يدى المنعم،و تلقى النعم بحسن القبول، و استعظام صغيرها،و شكر الوسائط،لقوله(ص):«من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه». و قال السجاد(ع):«اشكركم للّه اشكر كم للناس».و قال(ع):

«يقول اللّه-تعالى-لعبد من عبيده يوم القيامه:اشكرت فلانا؟فيقول:بل شكرتك يا رب!فيقول:لم تشكرنى إذ لم تشكره». و قال الصادق(ع):

«اشكر من انعم عليك،و انعم على من شكرك».و لا ريب فى أنه كلما ازدادت هذه الأحوال فى الشكر،و طال زمانه،ازداد فضله.و قد نقل:

«ان رجلا(كان)يهوى ابنه عم له،و هى أيضا تهواه،فاتفق مزاوجتهما، فقال الرجل ليله الزفاف لها:تعالى حتى نحيى هذه الليله شكرا للّه على ما جمعنا،فقالت:نعم!فصليا تلك الليله بأسرها،و لم يتفرغ أحدهما الى صاحبه.فلما كانت الليله الثانيه،قالا مثل ذلك،فصليا طول الليل...

فهكذا يفعلان فى ثمانين سنه،و بقيا على تلك الحاله فى ثمانين سنه فى كل ليله،من دون رجوع لأحدهما إلى الآخر،و من دون اتفاق مضاجعه بينهما،فضلا عن شيء آخر».و لا يخفى أن هذا الشكر أفضل بمراتب من

صبرهما على بلاء العزوبه،لو لم يحصل بينهما الجمع و الوصل.

تتميم (تفضيل الصبر على الشكر)

اشاره

اعلم أن الظاهر من بعض الاخبار:أن الصبر أفضل و أكثر ثوابا من الشكر.كما روى:«انه يؤتى يوم القيامه بأشكر أهل الأرض،فيجزيه اللّه جزاء الشاكرين.و يؤتى بأصبر أهل الأرض،فيقال له:أ ترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟فيقول:نعم يا رب!فيقول اللّه-تعالى-:

كلا!أنعمت عليه فشكر و ابتليتك فصبرت،لا ضعفن عليك الأجر عليه!فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين».و كقوله(ع):«الطاعم الشاكر بمنزله الصائم الصابر».و هذا يدل على أفضليه الصبر من الشكر،لان المشبه به أعلى رتبه من المشبه.و كقول الباقر(ع):«مروه الصبر فى حال الحاجه و الفاقه و التعفف و الغنى،أكثر من مروه الإعطاء».و يؤيد ذلك قوله-تعالى-:

(إِنَّمٰا يُوَفَّى الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ) .و ينبغى أن يرتكب فى أمثال هذه الاخبار تقييدان:

أحدهما-التقييد ببعض المراتب،بأن يقول:المراد أن بعض مراتب الصبر أفضل من بعض مراتب الشكر.و هذا مما لا ريب فيه،فان من سلب أعز أولاده و ابتلى بالفقر و المرض،و مع ذلك صبر و لم يجزع،فهو أفضل البته ممن أعطى مالا كثيرا فقال:شكر اللّه،الحمد للّه،من دون إبداء عمل آخر من الطاعات.و ليس المراد أن كل ما يسمى صبرا أفضل من كل درجه من درجات الشكر.اذ البديهه حاكمه بأن الشكر على نعمه بالاشتغال بالطاعه و العبادات،و ترك المعاصى سنين كثيره متتاليه،من

دون فتور،أفضل و أعلى رتبه من منع النفس عن الجزع لأجل عشره دراهم سرقت منه.

و ثانيهما-التقييد بخروجها على ما هو الظاهر عند جمهور الناس من الانفكاك بين الصبر و الشكر.فان الجمهور لا يفهمون من حبس النفس عن الجزع عند الابتلاء ببليه إلا الصبر،و لا يلتفتون إلى ان هذا الحبس نوع عباده حصلت تعظيما للّه،و هو عين الشكر.و كذا لا يفهمون من إظهار التحميد و الاشتغال بالصلاه عند وصول نعمه إلا الشكر،و لا يلتفتون الى أن هذا العمل عين منع النفس عن الكفران،و هو الشكر بعينه.

و منها:

اشاره

اشاره

الفسق

و هو الخروج عن طاعه المبدأ الحقيقى و عبادته.و ضده الطاعه،و هى تمجيد المبدأ و التخضع له باداء ضروب العبادات المقرره فى الشريعه.و عمده العبادات الموظفه فى الشريعه هى:الطهاره،و الصلاه،و الذكر،و الدعاء، و تلاوه القرآن،و الصوم،و الحج،و زياره النبى-صلّى اللّه عليه و آله- و الأئمه-عليهم السلام-،و الجهاد فى سبيل اللّه،و أداء المعروف،الشامل للزكاه،و الخمس،و الصدقه المندوبه،و غيرها.و الأخير-اعنى أداء المعروف باقسامه-قد تقدم.و الجهاد فى هذا الزمان ساقط.فنشير إلى بعض الاسرار و الدقائق و الآداب الباطنه المتعلقه بالبواقى،فى مقاصد و خاتمه.و أما آدابها و احكامها و شرائطها الظاهره،فهى مذكوره فى الفقهيات.

اعلم ان الطهاره و النظافه أهم الأمور للعباد.إذ الطهاره الظاهره وسيله الى حصول الطهاره الباطنه،و ما لم تحصل الأولى لم تحصل الثانيه.و لذا ورد فى مدحها ما ورد،قال اللّه-سبحانه-:

فِيهِ رِجٰالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ

(۱)

.و قال: مٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ (۲).

و قال رسول اللّه(ص):«بنى الدين على النظافه».و قال(ص):

«الطهور نصف الايمان».و قال(ص):«مفتاح الصلاه الطهور».و قال(ص):

«بئس للعبد القاذوره».و قال(ص):«من اتخذ ثوبا فلينظفه». و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«النظيف من الثياب يذهب الهم و الحزن، هو طهور للصلاه».

ثم للطهاره أربع مراتب:

الأولى-تطهير الظاهر من الاحداث و الاخباث و الفضلات.

الثانيه-تطهير الجوارح من الجرائم و الآثام و التبعات.

۱- ۱) التوبه،الآيه:۱۰۹.

۲- ۲) المائده،الآيه:۷.

الثالثه-تطهير القلب من مساوى الأخلاق و رذائلها.

الرابعه-تطهير السر عما سوى اللّه-تعالى-،و هى تطهير الأنبياء و الصديقين.و الطهاره فى كل مرتبه نصف العمل الذى فيها،إذ الغايه القصوى فى عمل السر أن ينكشف له جلال اللّه و عظمته،و تحصل له المعرفه التامه،و الحب و الانس.و لا يمكن حصول ذلك ما لم يرتحل عنه ما سوى اللّه،و لذلك قال اللّه-تعالى-:

قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ

(۱)

.فان اللّه و غيره لا يجتمعان فى قلب واحد:وَ مٰا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (۲).

فتطهير السر عما سوى اللّه نصف عمله،و النصف الآخر شروق نور الحق فيه.و الغايه القصوى فى عمل القلب عمارته بالا خلاق المحموده، و العقائد الحقه المشروعه.و لا يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها،من الأخلاق المذمومه،و العقائد الفاسده.فتطهيرها عنها أحد الشطرين، و الشطر الآخر تحليته بالفضائل و العقائد الحقه.

و أما عمل الجوارح،فالمقصود منه عمارتها بالطاعات.و لا يمكن ذلك ما لم يطهر عن المعاصى و المناهى.فهذا التطهير نصف عملها،و نصفه الآخر عمارتها بالطاعات.و قس على ذلك الحال فى المرتبه الأولى.و إلى ذلك الإشاره بقول النبى(ص):«الطهور نصف الايمان».فان المراد:أن تطهير الظاهر،و الجوارح،و القلب،و السر،من النجاسات و المعاصى

۱- ۱) الانعام،الآيه:۹۱.

۲- ۲) الأحزاب،الآيه:۴.

و رذائل الأخلاق و ما سوى اللّه نصف الايمان،و نصفه الآخر عمارتها بالنظافه و الطاعات و معالى الأخلاق،و الاستغراق فى شهود جمال الحق و جلاله.و لا تظنن أن مراده(ص)أن مجرد تطهير الظاهر عن النجاسات بافاضه الماء نصف الايمان،مع تلوث الجوارح بأخباث المعاصى،و تنجس القلب باقذار مساوى الأخلاق،و تشوش السر و تكدره بما سوى اللّه.

فالمراد التطهير فى المراتب الأربع،التى هى من مقامات الدين،و هى مرتبه يتوقف بعضها على بعض،و لا يمكن أن ينال العبد ما هو الفوق،ما لم يتجاوز ما دونه،فلا يصل إلى طهاره السر مما سوى اللّه،و عمارته بمعرفه اللّه،و انكشاف جلاله و عظمته،ما لم يفرغ عن طهاره القلب عن الأخلاق المذمومه،و تحليته بالملكات المحموده.و لا يصل إلى ذلك ما لم يفرغ عن طهاره الجوارح من المعاصى و عمارتها بالطاعات.و لا يصل إلى ذلك ما لم يفرغ عن إزاله الخبث و الحدث عن الظاهر،و عمارته بالنظافه و النزاهه.

فصل (حقيقه الطهاره)

طهاره الظاهر،إما عن الخبث،أو عن الحدث،أو عن فضلات البدن،و ما يتعلق بها من الاحكام الظاهره الواجبه و المحرمه و المندوبه و المكروهه،مستقصاه فى كتب الفقه.

و أما الآداب الباطنه لطهاره الخبث و إزالته عند التخلى لقضاء الحاجه، أن يتذكر عنده نقصه و حاجته،و خبث باطنه،و خسه حاله،و ما يشتمل عليه من الاقذار،و كونه حامل النجاسات،و يتذكر باستراحه نفسه عند إخراجها،و سكون قلبه عن دنسها،و فراغه للعبادات و المناجاه،و ان

الأخلاق الـذميمه التی فی باطنها نجاسات باطنه،و اقذار کامنه،لتستریح نفسـها عند إخراجها،و یطمئن قلبه من إزاله دنسـها،و عند إخراجها یصلح للوقوف علی بساط الخدمه،و یتأهل للقرب و الوصول إلی حریم العزه.فکما یسعی فی إخراج النجاسات الظاهره لاـستراحه البـدن مـده قلیلـه فی الـدنیا،فینبغی أن یجتهـد أیضـا فی إخراج الاقـذار البـاطنه،و النجاسـات الـداخله الغـائضه (۱)فی الأعمـاق،المفسـده علی الإطلاـق،لتستریـح الروح و البـدن فی الـدنیا و الآـخره أبـد الآبـاد. قال الصادق(ع):«إنما سـمی المستراح مستراحـا لاـستراحه النفس من اثقال النجاسات،و اسـتفراغ الاقـذار و الکسافات فیها.و المؤمن یعتبر عنـدها إن الخالص من حطام الـدنیا کـذلک تصیر عـاقبته،فیستریـح بالعـدول عنهـا و ترکهـا،و یفرغ نفسه و قلبه عن شـغلها،و یسـتنکف عن جمعها و أخـذها اسـتنکافه عـن النجـاسه و الغـائط و القـذر،و یتفکر فی نفسه المکرمه فی حـال کیـف تصـیر ذلیله فی حـال، و یعلم أن التمسـک بالقنـاعه و التقـوی یـورث له راحه الـدارین.فان الراحه فی هـوان الـدنیا،و الفراغ من التمتـع بهـا،و فی إزاله النجـاسه من الحرام و الشبهه.

فیغلق عن نفسه باب الکبر بعـد معرفته إیاها،و یفر من الـذنوب،و یفتـح باب التواضع و النـدم و الحیاء،و یجتهد فی أداء أو امره و اجتناب نواهیه، طلبا لحسن المآب،و طیب الزلفی،و یسـجن نفسه فی سـجن الخوف و الصبر و الکف عن الشهوات،الی أن یتصل بأمان اللّه-تعالی-فی دار القرار، و یذوق طعم رضاه،فان المعول علی ذلک،و ما عداه فلا شیء» (۲).

ص:۳۱۲

۱- ۱) الغائضه:الغائره.غیض الدمع:حبسه و أخفاه.

۲- ۲) الحدیث مذکور فی(مصـباح الشـریعه)،الباب التاسع.و فی(مستدرک الوسائل):۱-۳۷-۳۸،کتاب الطهاره.و فی الموضـعین اختلاف کثیر عما ذکر هنا،فصححناه کما کان فی الموضعین.

و ينبغى أن يتأمل فى أن ما دفع عنه من الغائط و القذر هو ما كان يشتهيه، و يحترص فى طلبه من لذائذ الأطعمه،و كلما كانت ألذ عفونتها أشد، فما كانت عاقبته ذلك،فليحذر من أن يأخذه من غير حله،فيعذب أبد الآباد لأجله.

فصل (ما ينبغى للمؤمن فى الطهاره)

ينبغى لكل مؤمن أن يستحضر عند اشتغاله بالطهاره عن الحدث:

أن تكليفه بها للدخول فى العبادات و المناجاه مع خالق البريات إنما هو لكون اعضائه التى أمر بغسلها مباشره للأمور الدنيويه،منهمكه فى الكدورات الطبيعيه،فخرجت عن أهليه القيام بين يدى اللّه-سبحانه-،و الاشتغال بعبادته.فالأمر بغسلها،لتتطهر عن هذه الكدورات،فيتأهل للمناجاه.

و لا ريب فى ان مجرد غسلها لا يطهرها عن الادناس الدنيويه و الكدورات الجسمانيه،ما لم يطهر قلبه عن الأخلاق الذميمه،و العلائق الدنيويه، و ما لم يعزم على الرجوع إلى اللّه،و الانقطاع عن الدنيا و شهواتها.فينبغى أن يكون قلبه عند الطهاره مطهرا عن ذمائم الصفات و خبائث الشهوات، جازما على فطام الأعضاء التى هى اتباعه و خدامه عن شهوات الدنيا،لتسرى نوريته و طهارته إلى تلك الأعضاء،ثم أمر فى الوضوء أولا:بغسل الوجه، الذى هو مجمع أكثر الحواس الظاهره،التى هى أعظم الأسباب الباعثه على مطالب الدنيا،ليتوجه و يقبل بوجه القلب على اللّه،و هو خال من تلك الادناس،و ثانيا:بغسل اليدين،لمباشرتهما أكثر الأمور الدنيويه و المشتهيات الطبيعيه المانعه من الإقبال على الآخره،و ثالثا:بمسح الرجلين،للتوصل بهما إلى أكثر المطالب الدنيويه و المقاصد الطبيعيه.

ص:٣١٣

فأمر بتطهير جميعها ليسوغ له الدخول بها فى العبادات و الإقبال عليها.و أمر فى الغسل بغسل جميع البشره،لأن أدنى حالات الإنسان و أشدها تعلقا بالملكات الشهويه حاله الوقاع،و لجميع بدنه مدخل فى تلك الحاله.و لهذا قال رسول اللّه(ص):«تحت كل شعره جنابه».فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن المرتبه العليه،منغمسا فى اللذات الدنيه،كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعيه،ليتأهل لمقابله الجهه الشريفه،و الدخول فى العباده المنيفه.و أمر فى التيمم بمسح الأعضاء بالتراب،عند تعذر غسلها بالماء، وضعا لتلك الأعضاء الرئيسه،و هضما لها بملاقاتها أثر التربه الخسيسه.

ثم لما كان القلب هو الرئيس الأعظم لهذه الجوارح و الأعضاء، و المستخدم لها فى تلك الأمور المبعده عن جنابه-تعالى-،و هو الموضع لنظر اللّه-سبحانه-،كما قال(ص):«إن اللّه لا ينظر إلى صوركم،و لكن ينظر إلى قلوبكم»،فله من ذلك الحظ الا وفر و النصيب الاكمل.فيكون الاشتغال بتطهيره من الرذائل و التوجهات المانعه من درك الفضائل أولى من تطهير الأعضاء الظاهره عند اللبيب العاقل.و إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيله،و تحليته بالاوصاف الجميله،لرسوخه على حب الدنيا الدنيه،فليقمه فى مقام الهضم و الازراء،و يسقه بسياط الذل و الاغضاء.

كما أنه عند تعذر غسل الأعضاء بالماء يهضمها و يذللها بالوضع على التراب، عسى أن يرحم ربه تواضعه و انكساره،فيهبه نفحه من نفحات نوره اللامع،فانه عند المنكسره قلوبهم،كما ورد فى الأثر،فترق من هذه الإشارات و نحوها إلى ما يوجب لك الإقبال،و يتدارك سالف الإهمال.

ثم ما ذكر من السر فى الطهاره،يمكن استنباطه-مع الزياده- من كلام مولانا الصادق(ع)فى(مصباح الشريعه)،حيث قال:«اذا أردت

الطهـاره و الوضوء،فتقـدم إلى المـاء تقـدمک إلی رحمه اللّه،فـان اللّه-تعـالی- قـد جعل الماء مفتاح قربته و مناجاته،و دلیلا إلی بساط خدمته،و کما ان رحمه اللّه تطهر ذنوب العباد کذلک النجاسات الظاهره یطهرها الماء لا غیره،قال اللّه-تعالی-:

وَ هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً

(۱)

.و قال اللّه -تعالی-: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ (۲).

فکمـا احیی به کـل شـیء من نعیم الـدنیا،کـذلک برحمته و فضـله جعل حیاه القلوب بالطاعات.و تفکر فی صـفاء الماء و رقته،و طهره و برکته، و لطیف امتزاجه بکل شـیء.و استعمله فی تطهیر الأعضاء التی أمرک اللّه بتطهیرها،و تعبدک بآدابها فی فرائضه و سننه.فان تحت کل واحد منها فوائد کثیره،فإذا استعملتها بالحرمه انفجرت لک عیون فوائد عن قریب.

ثم عاشـر خلق اللّه-تعـالی-کـامتزاج المـاء بالاشـیاء،یؤدی کـل شـیء حقه، و لاـ یتغیر عن معنـاه،معتـبرا لقول الرسول(ص):(مثل المؤمن الخـالص کمثـل الماء).و لتکن صـفوتک مع اللّه-تعالی-فی جمیع طاعتک کصـفوه الماء حین انزله من السـماء و سـماه طهورا،و طهر قلبک بالتقوی و الیقین عند طهاره جوارحک بالماء» (۳).

و من الاسرار الوارده فی الطهاره و تخصیص بعض الأعضاء بالتطهیر

ص: ۳۱۵

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۴۸.

۲- ۲) الأنبیاء،الآیه:۳۰.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه)،الباب العاشر.و علی (المستدرک):۱-۵۱-۵۲،کتاب الطهاره.

فی الوضوء،ما أشار إلیه مولانا الرضا(ع)بقوله:«إنما امر بالوضوء لیکون العبد طاهرا إذا قام بین یدی الجبار عند مناجاته إیاه،مطیعا له فیما امره،نقیا من الادناس و النجاسه،مع ما فیه من ذهاب الکسل،و طرد النعاس،و تزکیه الفؤاد للقیام بین یدی الجبار.و إنما وجب ذلک علی الوجه و الیدین و الرأس و الرجلین،لان العبد إذا قام بین یدی الجبار،فانما ینکشف من جوارحه و یظهر ما یجب فیه الوضوء،و ذلک انه بوجهه یسجد و یخضع،و بیده یسأل و یرغب و یرهب و یتبتل،و برأسه یستقبل فی رکوعه و سجوده.و برجلیه یقوم و یقعد.و امر بالغسل من الجنابه دون الخلاء، لان الجنابه من نفس الإنسان،و هو شیء یخرج من جمیع جسده،و الخلاء لیس هو من نفس الإنسان،إنما هو غذاء یدخل من باب و یخرج من باب» (۱).

فصل (إزاله الاوساخ)

اشاره

ینبغی لکل مؤمن ان یطهر بدنه من فضلاته و درنه و أوساخه،کشعر

۱- ۱) هذه الروایه نقلها العلامه(المجلسی)-قدس سره-فی(البحار): ۱۸-۵۶،باب علل الوضوء و ثوابه و عقاب ترکه،و عن(العیون و العلل) لشیخ المحدثین مولانا(الصدوق)-رضوان اللّه علیه-،و لم أعثر علیها الا فی الموضع المذکور من(بحار الأنوار). و لا یخفی أن ما نقله العلامه(المجلسی)-قدس اللّه روحه-فی الموضع المذکور فیه اختلاف کثیر عما ذکر فی نسخ(جامع السعادات)الخطیه،بحیث لا یمکن تصحیح الروایه الا بنقلها من(البحار)و ذکرها فی هامش الکتاب.و ذلک غیر ممکن،لضیق المقام،فلاجله ترکنا تصحیحها،لعل القاریء الکریم یقف علی مصدر آخر لها.فمن أراد الاطلاع علی الروایه،فعلیه بمراجعه(البحار) فی الموضع المذکور.

الرأس بالحلق،و شعر الانف و الشارب و ما طال من اللحيه بالقبض، و شعر الابط و العانه و سائر الأعضاء بالنوره،و كأظفار اليدين و الرجلين بالقلم،و ما يجتمع من الوسخ و القمل فى شعر الرأس و اللحيه بالغسل و التسريح بالمشط،و ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذنين بالمسح و مثله، و ما يجتمع منه على الاسنان و أطراف اللسان بالسواك و المضمضه،و ما يجتمع فى الانف من الرطوبات الملتصقه بالاستنشاق،و ما يجتمع من الوسخ تحت الاظفار بالقلم و الغسل،و ما يجتمع منه فى رءوس الانامل و فى معاطف ظهورها عقيب أكل الطعام بالغسل،و ما يجتمع من الدرن على جميع بدنه و ترشيح العرق و غبار الطريق بالدخول فى الحمام.

تنبيه (آداب الحمام)

ينبغى لمن يدخل الحمام،أن يتذكر بحرارته حر النار،و يقدر نفسه محبوسا فى البيت ساعه،و يقيسه إلى جهنم،و يستعيذ باللّه منها.

قال الصادق(ع):«اذا دخلت البيت الثالث،فقل:نعوذ باللّه من النار و نسأله الجنه.و ترددها إلى وقت خروجك من البيت الحار». و قال امير المؤمنين(ع):«نعم البيت الحمام،يذهب بالدرن،و تذكر فيه النار».

و فيه إشاره إلى انه ينبغى للعاقل ألا يغفل عن ذكر الآخره فى لحظه،فانها مقره و مستقره.فيكون له فى كل ما يراه،من ماء او نار او غيرهما،عبره و موعظه.فان المرأ ينظر فى كل شيء بحسب همته.فالبزاز إذا دخل دارا معموره مفروشه ينظر إلى الفرش و يتأمل فى قيمتها.و الحائك إذا دخلها ينظر الى الثياب و يتأمل فى كيفيه نسجها،و النجار إذا دخلها ينظر إلى أبوابها و شبابيكها و يتأمل فى كيفيه نجرها و تركيبها،و البناء إذا دخلها ينظر إلى

الحیطان و السقف و کیفیه بنائها و إحکامها و استقامتها.فکذلک سالک طریق الآخره،لا ینظر إلی شیء إلاّ و تکون له موعظه و عبره من الآخره.فان نظر إلی ظلمه تذکر ظلمه اللحد،و ان نظر إلی نار تذکر نار جهنم،و إن نظر إلی حیه تذکر افاعی جهنم،و إن سمع صوتا هائلا تذکر نفخه الصور،و إن نظر إلی صوره قبیحه تذکر صوره النکیرین و الزبانیه،و إن رأی المحاسبه بین قوم تذکر محاسبه الآخره،و إن سمع کلمه رد او قبول تذکر ما ینکشف له فی آخر امره بعد الحساب من الردّ و القبول،و إن رأی شیئا حسنا تذکر نعیم الجنه...إلی غیر ذلک.

تتمیم (السر فی إزاله الاوساخ)

اشاره

السر فی إزاله الفضلات المذکوره عن البدن ظاهر،فانها توجب تنویر القلب،و انشراح الصدر،و طرد الشیطان.إذ هی کسافات مانعه عن النوریه و التجرد،فتشمئز منها الملائکه،و یرغب إلیها الشیاطین.و من تأمل فی الاحکام و الآداب التی جاء بها رسول اللّه(ص)و کانت له بصیره ناقده،یعلم ان شیئا منها لا یخلو عن حکمه،حتی ان ما صدر عنه فی الآداب و الحرکات و الافعال و الأقوال،من ترتیب خاص،او تخصیص بعدد معین،او ابتداء من موضع خاص او بواحد معین من الأشیاء المتماثله،یتضمن حکما او حکمه البته.مثال ذلک:انه(ص)کان یکتحل فی عینه الیمنی ثلاثا و فی عینه الیسری اثنین،و السر فی هذا الترتیب و هذا التخصیص:ان الیمنی أشرف العینین فبدأ بها،و تفاوته بین العینین لتکون الجمله و ترا،فان للوتر فضلا علی الزوج،لان اللّه و تر یحب الوتر،فلا ینبغی ان یخلو فعل العبد عن

مناسبه لوصف من اوصاف الرب،و انما لم یقتصر علی الثلاث و هو وتر، لان الیسری حینئذ لا تخصها الا واحده،و الغالب ان الواحده لا۔ تستوعب أصول الاجفان بالکحل،و انما خصص الیمین بالزیاده لان التفضیل لا بد منه للایثار،و الیمین أفضل،فهو بالزیاده أحق،و انما اقتصر علی الاثنین للیسری مع کونه زوجا،إذ الزوجیه فی أحداهما لازمه ضروریه،اذ لو جعل لکل واحده وترا لکان المجموع زوجا،إذ الوتر مع الوتر زوج، و رعایه الإیثار فی مجموع الفعل و هو فی حکم الخصله الواحده أحب من رعایته فی الآحاد.مثال آخر:روی الجمهور فی تقلیم الاظفار:«ان رسول اللّه(ص) کان یبدأ عند تقلیم اظفاره الشریفه بمسبحه الیمین،و یختم بابهام الیمنی، بأن یبتدئ من مسبحتها إلی خنصرها،ثم یبتدئ من خنصر الیسری إلی إبهام الیمنی».و فی طریقنا روایتان:إحداهما ان یبدا بخنصر الیمنی و یختم بخنصر الیسری،و اخراهما بعکس ذلک،و هی أشهر.فالسر علی روایه الجمهور- کما قیل-ان الید الیمنی أشرف من الیسری فیبتدئ بها،ثم علی الیمنی خمسه اصابع و المسبحه اشرفها فیبتدا بها،ثم ینبغی ان یبتدئ بما علی یمینها لکون الیمنی أشرف،و لذا استحب فی الشرع وضع الطهور و غیره علی الیمنی.و لا ریب فی انه إذا وضعت الکف علی الأرض فیمین مسبحه الیمنی هی الوسطی،و وضع ظهر الید علی الأرض و ان اقتضی کون الإبهام هو الیمین،الا ان الاعتبار الأول أولی،إذ الید إذا ترکت بطبعها کانت الکف مائله إلی جهه الأرض،لأن جهه حرکه الید الیمنی إلی جهه الیسار، و الیسری إلی جهه الیمین،و استتمام حرکه کل منهما فی جهه یجعل الکف علی الأرض و ظهرها عالیا،و إذا کانت الکف مائله إلی جهه الأرض فاعتبار ما یقتضیه الطبع أولی،فتکون یمین المسبحه هی الوسطی.ثم إذا وضعت

الکف علی الکف،صارت الأصابع فی حکم حلقه دائره،فیقتضی ترتیب الدور الذهاب من یمین المسبحه إلی ان یعود إلی المسبحه،فتقع البداءه بخنصر الیسری و الختم بابهامها،و یبقی إبهام الیمنی،و انما قدرت الکف موضوعه علی الکف حتی تصیر الأصابع کأشخاص فی حلقه لیظهر ترتیبها،و تقدیر ذلک اولی من تقدیر وضع الکف علی ظهر الکف،فان ذلک لا یقتضیه الطبع.

هذا،و اما السر علی الروایه الأولی من طریقنا،فکأنه اعتبار الأصابع العشره فی حکم صف واحد ثابت علی الأرض،و الابتداء بالیمین، فاکتفی بما یری بالنظر الجلیل مع ترک الید بطبعها.و اما الروایه الثانیه، فلعل السر فیها تحصیل التیامن فی کل اصبع بعد الأولی مع الترتیب فیها، و وضع الیدین علی ما یقتضیه الطبع.هذا،و اما اصابع الرجل،فلم نعثر علی خبر یدل علی کیفیه الابتداء و الترتیب فیها.فینبغی اعتبار أحد الطریقین المرویین عندنا فیها،و لعل اعتبار الأولی لاظهریه سرها أولی،و ینبغی ان یکون تقلیم اظفارها بعد تقلیم اظفار الیدین ان وقعا فی وقت واحد،إذ الید أشرف من الرجل.و قس علی ما ذکر سائر ما ورد من الآداب و التخصیصات فانه لا یخلو شیء منها علی سر حکمی،و إن کانت عقولنا قاصره عن ادراک أکثرها.

المقصد الثانی الصلاه-

اشاره

حقیقه الصلاه-حضور القلب-دفع اشکال-شرائط الصلاه-طریق تحصیل المعانی الباطنه-اسرار الصلاه-الوقت-آداب الصلاه-آداب المصلی-الاستقبال-القیام-التکبیرات-النیه-تکبیره الإحرام-دعاء الاستفتاح-الاستعاذه-الرکوع-السجود-التشهد- التسلیم- إفاضه الأنوار علی المصلی علی قدر صفائه-ما ینبغی فی إمام الجماعه- ما ینبغی فی صلاه الجمعه و العیدین-ما ینبغی للمؤمن عند ظهور الآیات.

ص: ۳۲۰

اعلم أن الصلاه معجون سماوی،و ترکیب إلهی،رکبت من اجزاء کثیره مختلفه،متفاوته فی الفضل و الاهتمام بها.فبعضها بمنزله الروح، و بعضها بمثابه الأعضاء الرئیسه،و بعضها بمنزله سائر الأعضاء.

و توضیح ذلک:ان الإنسان-مثلا-لما کان حقیقه مرکبه من اجزاء معینه،فهو لا یکون إنسانا موجودا کاملا إلا بمعنی باطن هو الروح، و اعضاء محسوسه بعضها فی جوفه و بعضها فی ظاهره.و هذه الأعضاء متفاوته المراتب،إذ بعضها مما ینعدم الإنسان بعدمه و تزول الحیاه بزواله، کالقلب و الدماغ و الکبد و المعده و أمثالها،و بعضها و ان لم ینعدم بعدمه اصل الحیاه،إلا أنه ترتفع به تمامیه الإنسان و یصیر ناقصا،کالید و الرجل و العین و أمثالها،و بعضها یفوت بفواته الحسن،کالحاجبین و اللحیه و الاهداب و أمثالها،و بعضها یفوت بفواته کمال الحسن لا أصله،کاستقواس الحاجبین،و تناسب الخلقه،و سواد شعر اللحیه،و امتزاج البیاض بالحمره،و أمثال ذلک.و کذلک الصلاه حقیقه مرکبه،و صوره صورها الشرع من أمور متفاوته،و تعبدنا باکتسابها.فروحها:النیه،و القربه، و حضور القلب،و الإخلاص.و اعمالها الارکانیه:من تکبیره الإحرام، و الرکوع،و السجود،و القیام،بمنزله الأعضاء الرئیسه،فتفوت بفواتها الصلاه علی الإطلاق،و لا یمکن تحققها و صحتها بدونها.و سائر الاعمال الواجبه:من الفاتحه،و السوره،و أذکار الرکوع،و السجدتین، و الطمأنینه فیهما،و فی رفع الرأس عنهما،و التشهد،و التسلیم،و غیر ذلک من الاعمال الواجبه التی تبطل الصلاه بترکها عمدا لا سهوا،بمنزله الیدین و الرجلین و آلات التناسل و غیر ذلک،مما قد تفوت الحیاه بزوالها و قد لا تفوت به،و الأعمال المسنونه،و الهیئات المندوبه،و الآداب

المستحبه:من القنوت،و دعاء الافتتاح،و غير تكبيره الإحرام من التكبيرات،و التعوذ،و الزائد عن قدر الواجب فى التشهد و التسليم من الاذكار،و غير ذلك مما لا تبطل الصلاه بتركها عمدا أو سهوا،و لكن تخرج بها عن الحسن و الكمال و زياده الأجر و الثواب،فهى بمنزله الحاجبين و استقواسهما و اللحيه و الأهداب و تناسب الخلقه،و غير ذلك مما يفوت بفوات بعضها الحسن و الجمال و بفوات بعض كمالها،و يصير الشخص بسببه مشوه الخلقه مذموما غير مرغوب فيه.

و إذا عرفت ذلك:فاعلم-يا حبيبى-أن صلاتك قربه و تحفه تتقرب بها إلى حضره ملك الملوك،كوصيفه يهديها طالب القرب و الجاه من السلاطين إليهم.و هذه التحفه تعرض على اللّٰه ثم ترد إليك فى يوم العرض الأكبر،فإليك الخيره فى تحسين صورتها أو تقبيحها،فمن أداها على النحو المأمور به،باعمالها الواجبه و المندوبه،و شرائطها الظاهره و الباطنه،مع الإخلاص و حضور القلب،كان كمن أهدى عبدا صحيحا سويا شابا جميلا عاقلا كاملا إلى ملك من الملوك.و من اقتصر على اعمالها الظاهره،و غفل من الحضور و التوجه و القربه و الإخلاص،كان كمن أهدى عبدا ميتا بلا روح إلى ملك من الملوك.و من ترك عمدا شيئا من واجباته،كان كمن أهدى عبدا مقتولا إليه.و من اقتصر على أقل ما يجزى كان كمن أهدى إليه عبد حى أعمى،أو أصم،او أبكم، أو مقطوع الأطراف،أو هرما،أو قبيح المنظر،او مجروح الأعضاء، أو أمثال ذلك. فتنبه أيها الغافل،و تأمل فى انك إذا اهديت تحفه إلى ملك من ملوك الدنيا،بل إلى من دونه بمراتب كثيره،من الأمراء و الحكام،كيف تجتهد و تسعى فى تجويدها و تحسينها ليقبلها،فما بالك أيها المغرور تغفل و تتساهل من تحسين هديتك و تحفتك إلى ملك الملوك الذى منه

بـدؤک و إليه عودک؟!و قـد ورد:ان کل صـلاه لا يتم الإنسان رکوعها و سـجودها فهی الخصم الأول علی صاحبها يوم العرض الأکبر،و تقول:

«ضيعک اللّه کما ضيعتنی!».

فصل (حقيقه الصلاه)

لا بحث لنا عما يتعلق بظاهرها من الاجزاء و الشـرائط و الأحکام، إذ بيانها علی عهده الفقه.فلنشـر إلی المعانی الباطنه التی بها تتم حياتها، و إلی الأسرار و الآداب الخفيه الباطنه المتعلقه باجزائها و شرائطها الظاهره، لتکون ملحوظه للعبد عند فعلها.

فنقول:المعانی الباطنه،التی هی روح الصلاه و حقيقتها،سبعه:

الأول-الإخلاص و القربه،و خلوها عن شوائب الرياء.و قد تقدم تفصيل القول فی ذلک.

الثـانی-حضور القلب:و هو ان يفرغ القلب عن غير مـا هو ملاـبس له و متکلم به،حتی يکون العلم مقرونا بما يفعله و ما يقوله،من غير جريان الفکر فی غيرهما.فمهما انصـرف الفکر عن غير ما هو فيه، و کان فی قلبه ذکر لما هو فيه من غير غفله عنه،فقد حصل حضور القلب.

ثـم حضـور القلـب قـد يعبر عنـه بالإقبـال علی الصــلاه و التـوجه،و قـد يعـبر عنـه بـالخشوع بـالقلب،فـان الخشـوع فی الصــلاه خشوعان:خشوع بالقلب:

و هو ان يتفرغ لجمع الهمه لهـا،و الاـعراض عمـا سواهـا،بحيث لاـ يکون فی قلبه غير المعبود.و خشوع بـالجوارح،و هو أن يغض بصره،و لا يلتفت،و لا يعبث،و لا يتثاءب،و لا يتمطی،و لا يفرقع اصابعه،

و بالجمله:لا یتحرک لغیر الصلاه،و لا یفعل شیئا من المکروهات،و ربما عبر ذلک بالخضوع.

الثالث-التفهم لمعنی الکلام:و هو امر وراء حضور القلب.

فربما یکون القلب حاضرا مع اللفظ،و لا یکون حاضرا مع معناه.فالمراد بالتفهم هو اشتمال القلب علی العلم بمعنی اللفظ.و هذا مقام یتفاوت فیه الناس،إذ لیس یشترک الناس فی تفهم معانی القرآن و التسبیحات،فکم من معان لطیفه یفهمها بعض المصلین فی اثناء الصلاه و لم یکن قد خطر بقلبه قبل ذلک و لا یفهمها غیره.و من هذا الوجه کانت الصلاه ناهیه عن الفحشاء و المنکر،فانها تفهم أمورا تمنع تلک الأمور عن الفحشاء و المنکر لا محاله.

الرابع-التعظیم:و هو أمر وراء حضور القلب و التفهم.إذ الرجل ربما یخاطب غیره،و هو حاضر القلب فیه،و متفهم لمعناه،و لا یکون معظما له.

الخامس-الهیبه:و هی زائده علی التعظیم لأنها عباره عن خوف منشأه التعظیم،لأن من لا یخاف لا یسمی هائبا،ثم کل خوف لا یسمی مهابه،بل الهیبه خوف مصدره الاجلال.

السادس-الرجاء:و لا ریب فی کونه زائدا عما ذکر.فکم من رجل یعظم ملکا من الملوک،و یهابه و یخاف سطوته،و لا یرجو بره و إحسانه.و العبد ینبغی أن یکون راجیا بصلاته ثواب اللّه،کما أنه خائف بتقصیره عقابه.

السابع-الحیاء:و مستنده استشعار تقصیر و توهم ذنب،و هو زائد علی التعظیم و الخوف و الرجاء،لتصورها من غیر حیاء،حیث لا یکون توهم تقصیر و ارتکاب ذنب.

فصل (حضور القلب)

اشاره

اعلم ان كون الأمور المذكوره روح الصلاه و حقيقتها،و المقصود الاصلى منها،امر ظاهر.إذ الغرض الأصلى من العبادات و الطاعات هى تصفيه النفس و تصقيلها،فكل عمل يكون أشد تأثيرا فيهما يكون أفضل.

و لا ريب فى ان المقتضى لصفاء النفس و تجردها و تصقيلها عن الكدورات من الصلاه ليس الا الأمور المذكوره،و ليس لنفس الحركات الظاهره كثير مدخليه فيها،و كيف لا يكون حضور القلب و الخشوع روح الصلاه و لا يتوقف كمال الصلاه عليه،مع ان المصلى فى صلاته و دعائه مناج ربه؟و لا شك أن الكلام مع الغفله ليس بمناجاه،و أيضا الكلام إعراب عما فى الضمير،و لا يتأتى الاعراب عما فى الضمير الا بحضور القلب،فاى سؤال فى قوله: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» اذا كان القلب غافلا؟و لا شك أيضا أن المقصود من القراءه و الاذكار الثناء و الحمد و التضرع و الدعاء، و المخاطب هو اللّه-تعالى-،فإذا كان قلب العبد محجوبا عنه بحجاب الغفله، و لا يراه و لا يشاهده،بل كان غافلا عن المخاطب،و يحرك لسانه بحكم العاده،فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاه التى شرعت لتصقيل القلب، و تجديد ذكر اللّه،و رسوخ عقد الايمان بها.هذا حكم القراءه و الذكر.

و اما الركوع و السجود،فالمقصود منهما التعظيم قطعا،و التعظيم كيف يجتمع مع الغفله،و إذا خرج عن كونه تعظيما،لم يبق الا مجرد حركه الظهر و الرأس،و ليس فيه من المشقه ما يقصد الامتحان به،كما فى افعال الحج،و إعطاء المال فى الزكاه،و امساك النفس عن الشهوات فى الصوم.

فكيف يجعل مجرد هذه الحركه مع خفتها و سهولتها عماد الدين،و الفاصل

بین الکفر و الإسلام،و تقدم علی سائر العبادات،و یجب القتل بسبب ترکها علی الخصوص؟و لکون الحضور و الخشوع و الخشیه عمده ما یقصد به من الصلاه،تظاهرت الآیات و الاخبار علی الترغیب علیها و فضیلتها و مدح أهلها،و علی ذم الغفله و التفکر فی أمور الدنیا و الوساوس الباطله عند الاشتغال بالصلاه،و قد تظاهرت الاخبار أیضا بأن الأنبیاء و الأوصیاء و أکابر الأولیاء کانوا عند اشتغالهم فی الصلاه فی غایه الإقبال و الخشوع و الخوف.قال اللّه-سبحانه-:

اَلَّذِینَ هُمْ فِی صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ

(۱)

.و قال: وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِذِکْرِی (۲).و الغفله تضاد الذکر،فمن کان غافلا فی صلاته لا یکون مقیما للصلاه لذکره و قال: وَ لاٰ تَکُنْ مِنَ الْغٰافِلِینَ (۳).و قال: فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ، اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ (۴)،ذمهم علی الغفله عنها مع کونهم مصلین،لا لأنهم سهوا عنها و ترکوها.و قال: لاٰ تَقْرَبُوا الصَّلاٰهَ وَ أَنْتُمْ سُکٰاریٰ.حَتّٰی تَعْلَمُوا مٰا تَقُولُونَ (۵).

قیل:المراد:سکاری من کثره الهم،و قیل:من حب الدنیا.و لو حمل علی ظاهره ففیه تنبیه علی سکر الدنیا،إذ بین فیه العله.و قال:حتی تعلموا ما تقولون.و کم من مصل لم یشرب الخمره و هو لا یعلم ما یقول فی

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۲.

۲- ۲) طه،الآیه:۱۴.

۳- ۳) الأعراف،الآیه:۲۰۵.

۴- ۴) الماعون،الآیه:۴-۵.

۵- ۵) النساء،الآیه:۴۳.

صلاته.و قال رسول اللّه(ص):«من صلی رکعتین،لم یحدث فیهما نفسه بشیء من الدنیا،غفر له ما تقدم من ذنبه».و قال(ص):«إذا صلیت صلاه فریضه،فصل لوقتها صلاه مودع یخاف ألا یعود فیها».و قال (ص):«لا ینظر اللّه إلی صلاه لا یحضر الرجل فیها قلبه مع بدنه».و قال (ص):«انما فرضت الصلاه،و امر بالحج و الطواف،و اشعرت المناسک، لاقامه ذکر اللّه،فإذا لم یکن فی قلبک للمذکور الذی هو المقصود و المبتغی عظمه و لا هیبه،فما قیمه ذکرک؟!».

و عن أبی عبد اللّه(ع)قال:«قال اللّه-تبارک و تعالی-:انما أقبل الصلاه ممن تواضع لعظمتی،و یکف نفسه عن الشهوات من اجلی،و یقطع نهاره بذکری،و لا یتعاظم علی خلقی،و یطعم الجائع،و یکسو العاری، و یرحم المصاب،و یؤوی الغریب،فذلک یشرق نوره مثل الشمس، اجعل له فی الظلمات نورا،و فی الجهاله علما،أکلأه بعزتی،و استحفظه بملائکتی،یدعونی فألبیه،و یسألنی فأعطیه.فمثل ذلک عندی کمثل جنات الفردوس،لا تیبس ثمارها،و لا تتغیر عن حالها» (1).و فی اخبار موسی:«یا موسی،اذا ذکرتنی فاذکرنی و أنت تبغض اعضاءک.و کن عند ذکری خاشعا مطمئنا.و إذا ذکرتنی فاجعل لسانک من وراء قلبک.و إذا قمت بین یدی فقم قیام العبد الذلیل،و ناجنی بقلب و جل،و لسان صادق».

و أوحی إلیه(ع):«قل لعصاه أمتک:لا تذکرونی،فانی آلیت علی نفسی ان من ذکرنی ذکرته،و إذا ذکرونی ذکرتهم باللعنه». و فی بعض الأحادیث القدسیه:«لیس کل مصل أتقبل صلاته،انما أقبل صلاه من تواضع

1- 1) الحدیث مروی فی(بحار الأنوار):18-196،باب آداب الصلاه عن(المحاسن)،و فیه اختلاف کثیر عما ذکر فی نسخ(جامع السعادات)، فصححناه علی الموضع المذکور من(بحار الأنوار).

لعظمتی،و لم یتکبر علی عبادی،و اطعم الفقیر الجائع لوجهی».و قال امیر المؤمنین(ع):«طوبی لمن أخلص للّه العباده و الدعاء،و لم یشتغل قلبه بما تراه عیناه،و لم ینس ذکر اللّه بما تسمع أذناه،و لم یحزن صدره بما أعطی غیره». و قال الصادق(ع):«لا تجتمع الرغبه و الرهبه فی قلب إلا وجبت له الجنه،فإذا صلیت،فاقبل بقلبک علی اللّه-عز و جل-،فانه لیس من عبد مؤمن یقبل بقلبه علی اللّه-عز و جل-فی صلاته و دعائه، الا أقبل اللّه علیه بقلوب المؤمنین،و ایده مع مودتهم إیاه بالجنه». و قال الباقر(ع).«ان العبد لیرفع له من صلاته نصفها و ثلثها و ربعها و خمسها، فما یرفع له إلا ما أقبل علیه بقلبه،و انما أمروا بالنوافل لیتم لهم ما نقصوا من الفریضه». و روی:«أن إبراهیم الخلیل کان یسمع تأوهه علی حد میل،و کان یسمع له فی صلاته أزیز کأزیز المرجل (۱)».و کذلک کان یسمع من صدر سیدنا رسول اللّه(ص)مثل ذلک.و قال بعض أزواجه:

«کان النبی(ص)یحدثنا و نحدثه،فإذا حضرت الصلاه،فکأنه لم یعرفنا و لم نعرفه».و کان أمیر المؤمنین(ع)اذا أخذ فی الوضوء،یتغیر وجهه من خیفه اللّه.و کان(ع)اذا حضر وقت الصلاه یتزلزل و یتلون،فقیل له:

ما لک یا أمیر المؤمنین؟فیقول:«جاء وقت أمانه عرضها اللّه علی السماوات و الأرض و الجبال فأبین أن یحملنها و اشفقن منها،و حملها الإنسان».

و روی:«أنه وقع نصل فی رجله(ع)،فلم یمکن أحدا من إخراجه.

فقالت فاطمه-علیهما السلام-:اخرجوه فی حال صلاته،فانه لا یحس حینئذ بما یجری علیه.فاخرج و هو فی صلاته،فلم یحس به أصلا».و کانت

۱- ۱) الأزیز:صوت غلیان القدر.و المرجل-وزان منبر-:القدر من الحجاره.

الصديقه فاطمه-علیها السلام-تنهج (۱)فی الصلاه من خیفه اللّه.و کان الحسن بن علی-علیهما السلام-اذا فرغ من وضوئه،تغیر لونه،فقیل له فی ذلک،فقال:«حق علی من أراد أن یدخل علی ذی العرش أن یتغیر لونه».و کان الامام علی بن الحسین-علیهما السلام-اذا توضأ اصفر لونه، فیقال له:ما هذا الذی یعتریک عند الوضوء؟فیقول:«إنی أرید الوقوف بین یدی ملک عظیم».و قال أبو حمزه الثمالی:«رأیته یصلی»فسقط رداؤه عن منکبه،فترکه حتی فرغ من صلاته،فسألته عن ذلک،فقال:

و یحک!أ تدری بین یدی من کنت؟شغلنی و اللّه ذلک عن هذا!أتعلم أنه لا یقبل من صلاه العبد الا ما أقبل علیه؟.فقلت له:یا بن رسول اللّه، هلکنا إذا.قال:کلا!ان اللّه یتم ذلک بالنوافل». و روی:«أنه(ع) اذا قام إلی الصلاه تغیر لونه،و إذا سجد لم یرفع رأسه حتی یرفض عرقا».

و روی:«أنه(ع)کان إذا قام إلی الصلاه کأنه ساق شجره،لا یتحرک منه إلا ما حرکت الریح منه».و سئل مولانا الصادق(ع)عن حاله لحقته فی الصلاه حتی خرّ مغشیا علیه،فقال:«ما زلت اکرر آیات القرآن،حتی بلغت إلی حال کأننی سمعتها مشافهه ممن أنزلها» (۲).قیل.و کان لسان الامام(ع)فی تلک الحال کشجره طور حین قالت:«انی أنا اللّه».و سئل بعض الأکابر عن صلاته،فقال:«اذا جاءت الصلاه،اسبغت الوضوء، و أتیت الموضع الذی أرید الصلاه فیه،فأقعد فیه حتی تجتمع جوارحی، ثم اقوم إلی الصلاه،فأجعل الکعبه بین حاجبی،و الصراط تحت قدمی، و الجنه عن یمینی،و النار عن شمالی،و ملک الموت ورائی،و أظنها آخر

۱- ۱) النهج-بالتحریک-:تتابع النفس و اللهاث.

۲- ۲) صححنا الأحادیث الوارده فی الصلاه علی(بحار الأنوار).۱۸-۱۶۹- ۲۰۲،باب آداب الصلاه.

صلاتی،ثم أقوم بین الرجاء و الخوف،و أکبر تکبیرا بتحنن،و أقرأ القرآن بترتیل،و ارکع رکوعا بتواضع،و اسجد سجودا بتخشع، و اقعد علی الورک الیسری،و أفرش ظهر قدمها،و انصب القدم الیمنی علی الإبهام و ابتعها الإخلاص،ثم لا أدری أقبلت منی أم لا!».

ثم،علی ما عرفت من کیفیه صلاه الأنبیاء و الأولیاء،مع مشاهده کیفیه صلاتک و صلاه الناس،تعلم:ان الناس ینقسمون فی صلاتهم: الی غافل یتم صلاته و لا یحضر قلبه فی لحظه، و إلی من یغفل فی بعض صلاته و یحضر قلبه فی بعض منها،و هذا تختلف حاله بحسب قله کل من الحضور و الغفله و کثرتهما،و زیاده أحدهما علی الآخر،فله مراتب غیر متناهیه.

و إلی من یتم صلاته و لا یغیب قلبه لحظه،بل یکون حاضر القلب فی جمیع صلاته،و ربما کان مستوعب الهم بها،بحیث لا یحس بما یجری بین یدیه، کما لم یحس مولانا أمیر المؤمنین(ع)باخراج النصل من رجله الشریفه.

و بعضهم حضر الجماعه مده،و لم یعرف قط من علی یمینه و یساره.و کان وجیب الخلیل یسمع علی میلین.و کان جماعه تصفر وجوههم و ترتعد فرائصهم عند الصلاه.و کل ذلک غیر مستبعد،فان اضعافه مشاهده فی همّ الدنیا و خوف ملوک الدنیا،مع ضعفهم و عجزهم،و خساسه الحظوظ الحاصله منهم.حتی یدخل الرجل علی ملک أو وزیر،و یحدثه بمهم و یخرج،و لو سئل عمن کان علی حوالیه،و عن ثوب الملک،لکان غیر قادر علی الاخبار عنه،لاشتغال همه به عن ثوبه و عن الحاضرین حوله:

وَ لِکُلٍّ دَرَجٰاتٌ مِمّٰا عَمِلُوا

(۱)

فحظ کل واحد من صلاته بقدر خوفه و خشوعه و تعظیمه.فان موضع

۱- ۱) الأنعام،الآیه:۱۳۲.الأحقاف،الآیه:۱۹.

نظر اللّه القلوب،دون ظاهر الحركات.و لذا قال بعض الصحابه:

«يحشر الناس يوم القيامه على مثال هيئتهم فى الصلاه،من الطمأنينه و الهدوء، و من وجود النعم و اللذه و البهجه بها»،فالملحوظ حال القلب لا حال الشخص.

و لذا قيل:«من صفات القلوب تصاغ الصور فى دار الآخره،و لا ينجو:

إِلاّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

(۱)

.

تنبيه (دفع اشكال)

إن قيل:المستفاد من الظواهر المذكوره،أن صلاه الغافل ليست مقبوله إلا بقدر ما أقبل عليه منها،و الفقهاء لم يشترطوا إلا حضور القلب عند النيه و التكبير،فكيف التوفيق؟ قلنا:فرق بين القبول و الاجزاء،فان المقبول من العباده ما يقرب العبد إلى اللّه،و يترتب عليه الثواب فى الآخره،و المجزى منها ما يسقط التكليف عن العبد،و ان لم يترتب عليه ثواب و لم يقربه إلى اللّه.و الناس مختلفون فى تحمل التكليف،فان التكليف إنما هو بقدر الوسع و الطاقه، فلا يمكن أن يكلف الجميع باحضار القلب فى جميع الصلاه،إذ لا يقدر على ذلك إلا الأقلون.و إذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضروره،فلا مرد له إلا أن يشترط ما ينطلق عليه الاسم،و لو فى اللحظه الواحده،و أولى اللحظات به لحظه التكبير و التوجه،فاقتصر على التكليف بذلك.و نحن -مع ذلك-نرجوا ألا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكليه،فانه على الجمله أقدم على الفعل ظاهرا،و احضر القلب

۱- ۱) الشعراء،الآيه:۸۹.

لحظه،و كيف لا و الذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطله عند اللّه،و لكن له أجر ما بحسب فعله و على قدر قصوره و عذره؟و الحاصل:ان الإقبال و الحضور هو روح الصلاه،و ان أقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير،فالنقصان منه هلاك،و بقدر الزياده عليه تنبسط الروح فى اجزاء الصلاه،و كم من حى لا حراك فيه قريب من الميت،فصلاه الغافل فى جميعها،إلا عند التكبير،حى لا حراك فيه.

فصل (شرائط الصلاه)

اعلم أن للمعانى الباطنه المذكوره اسبابا لا تتحقق بدونها.

أما حضور القلب:فسببه الاهتمام.

فان قلت:كل أحد تابع لهمه،فلا يحضر إلا فيما يهمه،و مهما أهمه أمر حضر فيه قلبه،شاء أو لم يشأ،فهو مجبول عليه مسخر فيه،و القلب اذا لم يحضر فى الصلاه لم يكن متعطلا،بل كان حاضرا فيما يهمه من أمور الدنيا.فلا حيله و لا علاج لاحضار القلب فى الصلاه إلا بصرف الهمه اليها،و الهمه لا تنصرف إليها ما لم يتيقن أن الآخره خير و أبقى،و ان الصلاه وسيله إليها.و إذا أضيف إلى هذا العلم بحقاره الدنيا و مهانتها، حصل من مجموع ذلك حضور القلب فى الصلاه.و لكون الباعث و السبب لاحضار القلب فى أمر إنما هو الاهتمام و الاعتناء بشأنه،ترى قلبك يحضر اذا حضرت بين يدى ملك من ملوك الدنيا،بل بين يدى بعض الأكابر ممن لا يقدر على نفعك و ضرك.فإذا كان لا يحضر قلبك عند المناجاه مع ملك الملوك الذى بيده الملك و الملكوت و النفع و الضر،فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الايمان و اليقين.فينبغى حينئذ السعى فى تقويه اليقين و الايمان.

و أما التفهم:فسببه-بعد حضور القلب-ادمان الفكر،و صرف الذهن إلى ادراك المعنى.و علاجه ما هو علاج إحضار القلب،مع الإقبال على الفكر،و التشمر لرفع الخواطر الشاغله بقطع موادها،أعنى النزوع على الأسباب التى تنجذب الخواطر إليها.و ما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر.فان من أحب شيئا أو بغض شيئا أو خاف من شيء،أكثر ذكره.فذكر المحبوب و المبغوض و المخوف يهجم على القلب بالضروره.

و لذا ترى أن من أحب غير اللّه أو كان قلبه مشغولا بعداوه أحد أو بالخوف عنه،لا تصفو له صلاه عن الخواطر.

و أما التعظيم:فهو حاله للقلب يتولد من معرفتين:إحداهما:

معرفه جلال اللّه و عظمته،فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه،و هذه المعرفه من أصول الايمان.الثانيه:معرفه حقاره النفس و خستها و ذلتها،و كونها عبدا مسخرا مربوبا لا يقدر شيئا من النفع و الضر.و تتولد من المعرفتين:الاستكانه و الانكسار و الخشوع للّه،فيعبر عنه بالتعظيم،و ما لم تمتزج معرفه حقاره النفس بمعرفه جلال الرب لا تنتظم حاله التعظيم و الخشوع،فان المستغنى عن غيره الآمن على نفسه، يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمه و الجلال،و نعوت القدره و الكمال، و لا يكون خاشعا معظما له،لأن معرفه حاجه النفس و حقارتها لم تقترن إليه.

و اما الهيبه و الخوف:فحاله للنفس تتولد من المعرفه بقدره اللّه -تعالى-و سطوته و نفوذ مشيته فيه،مع قله المبالاه به،و انه لو أهلك الأولين و الآخرين لم تنقص من ملكه ذره،مع تذكر ما جرى على الأنبياء و الأولياء من المصائب و أنواع البلاء مع القدره على الدفع.و كلما زاد العلم باللّه و بصفاته و أفعاله زادت الخشيه و الهيبه.

و امـا الرجـاء:فسـببه معرفه لطف اللّه-تعالى-و كرمه و عميم انعامه و لطائف صـنعه،و معرفه صـدقه فى وعـده الجنه بالصـلاه.فإذا حصل اليقين بوعده و المعرفه بلطفه،انبعث منها الرجاء.

و امـا الحيـاء:فسـببه استشـعار التقصـير فى العبـاده،و علمه بـالعجز عن القيـام بعظيم حق اللّه،و يقوى ذلك بمعرفه عيوب النفس و آفاتها و قله اخلاصـها و خبث باطنها،و ميلها إلى الحظ العاجل فى جميع افعالها،مع العلم بجميع ما يقتضـيه جلال اللّه و عظمته،و العلم بأنه مطلع على السـرائر و خطرات القلب،و ان دقت و خفيت.و هذه المعارف إذا حصلت يقينا، انبعث منها-بالضروره-حاله تسمى بالحياء.

فصل (طريق تحصيل المعانى الباطنه)

اعلم ان العلاـج فى تحصـيل المعـانى البـاطنه المـذكوره،اعنى الحضور و التفهم و التعظيم و الهيبه و الرجاء و الحياء،هو تحصـيل أسباب هذه المعانى، و قد عرفت أسبابها.و طرق العلاج فى تحصيل هذه الأسباب انما يتم بأمرين:

الأـول-معرفه اللّه،و معرفه جلاله و عظمته و اسـتناد الكل إليه، و معرفه كونه عالما بـذرات العالم و بسـرائر العباد.و يلزم ان تكون هـذه المعرفه يقينيه،ليترتب عليهـا الأـثر.اذ مـا لم يحصـل اليقين بـأمر،لا يحصل التشـمر فى طلبه و الهرب عنه.و هـذه المعرفه هى المعبر عنها بالايمان.

و لا ريب فى كونها موجبه لحصول المعانى المذكوره و أسبابها.اذ المؤمن يكون البته حاضر القلب مع ربه عند مناجاته،و متفهما لما يسأله عنه، معظما له،و خائفا منه،و مستحييا من تقصيره.

الثانى-فراغ القلب،و خلوه من مشاغل الدنيا.فان انفكاك

المؤمن العارف،المتيقن بـاللّه و بجلاله و عظمته،و باطلاعه عليه من المعانى المـذكوره فى صـلاته،لا سبب له إلا تفرق الفكر،و تقسم الخاطر، و غيبه القلب عن المناجاه،و الغفله عن الصـلاه،و لا تلهى عن الصلاه إلا الخواطر الرديه الشاغله.فالدواء فى إحضار القلب هو دفع كل تلك الخواطر و لا يدفع الشيء إلا بدفع سببه.

و سبب توارد الخواطر،إما أن يكون أمرا خارجا،او أمرا فى ذاته باطنا.

و الأول:ما يظهر للبصر،او يقرع على السمع.فان ذلك قد يختطف الهمّ حتى يتبعه و يتصرف فيه،ثم ينجر منه الفكر إلى غيره، و يتسلسل فيكون الابصار او الاستماع سببا للافتكار،ثم يصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض.و من قويت رتبته و علت همته،لم يلهه ما يجرى على حواسه.و لكن الضعيف لا بد و ان يتفرق فيه فكره.فعلاجه:

قطع هـذه الأسباب،بأن يغض بصره،او يصلى فى بيت مظلم،و لا يترك بين يديه ما يشغل حسه،و يقرب من حائط عند صـلاته حتى لاـ تتسع مسافه بصره،و يتحرز من الصـلاه على الشوارع،و فى المواضع المنقوشه المصبوغه،و العمارات العاليه المرتفعه.و لذلک کان المتعبدون يصلون فى بيت مظلم صغير،سعته بقدر السجود،ليكون اجمع للهم.و الاقوياء كانوا يحضرون المساجد،و يغضون البصر،و لا يتجاوزونه موضع السجود،كما ورد الامر به،و يرون كمال الصلاه فى الا يعرفوا من على يمينهم و شمالهم.

و اما الثانى:اعنى الأسباب الباطنه،فهى أشد.فان من تفرقت همومه،و تشعبت خواطره فى أوديه الدنيا،لم ينحصر فكره فى فن

واحد،بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب.و غض البصر لا يغنيه،فان ما وقع فى القلب من قبل كاف للشغل.فهذا علاجه:ان يرد نفسه قهرا الى فهم ما يقرؤه،و يشغلها به عن غيره،و يعينه على ذلک ان يستعد له قبل التحريم،بان يجدد على نفسه ذكر الآخره،و خطر المقام بين يدى.اللّه -تعالى-،و هو المطلع،و يفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاه عما يهمه من أمر الدنيا،فلا يترک لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره،فهذا طريق تسكين الأفكار.فان لم تسكن افكاره بهذا الدواء المسكن،فلا ينجيه إلا المسهل الذى يقمع ماده الداء من اعمال العروق،و هو ان ينظر فى الأمور الشاغله الصارفه له عن إحضار القلب.و لا ريب فى انها تعود إلى مهماته،و هى إنما صارت مهمه لأجل شهواته،فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلک الشهوات و قطع تلک العلائق.فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه و جند ابليس عدوه،فامساكه اضر عليه من إخراجه،فيتخلص عنه باخراجه.

و هذا هو الدواء القامع لماده العله،و لا يغنى غيره.فان ما ذكر من التلطف بالتسكين و الرد إلى فهم الذكر،إنما ينفع فى الشهوات الضعيفه،و الهم الذى لا يشغل الا حواشى القلب.و اما الشهوه القويه المرهقه،فلا ينفع معها التسكين،بل لا تزال تجاذبها و تجاذبک ثم تغلبک،و تنقضى جميع صلاتک فى شغل المجاذبه.و مثاله مثال رجل تحت شجره أراد ان يصفو له فكره،و كانت اصوات العصافير تشوش عليه،فلم يزل يطيرها بخشبه هى فى يده و يعود إلى فكره،فتعود العصافير،فيعود إلى السفير بالخشبه، فقيل له:إن هذا سير الوانى و لا يتقطع،فان أردت الخلاص فاقطع الشجره.فكذلک شجره الشهوه،إذا استعملت و تفرعت اغصانها، انجذبت إليها الافكار انجذاب العصافير إلى الأشجار،و انجذاب الذباب إلى

الاقـذار،و الشـغل يطول فى دفعها.فان الـذباب كلما ذب آب،و لاجله سـمى ذبابا،و كـذلك الخواطر.و هذه الشـهوات كثيره قلما يخلو العبـد منهـا، و يجمعهـا أصل واحـد،و هو حب الـدنيا،و ذلك رأس كل خطيئه، و أساس كل نقصان،و منبع كل فساد.و من انطوى بـاطنه على حب الـدنيا حتى مـال إلى شـيء منها لا يتزود منها و يسـتعين بها على الآخره،فلا يطمعن فى ان تصـفو له لـذه المناجاه فى الصـلاه.فان من فرح بالدنيا فلا يفرح باللّه و بمناجاته،و همه الرجل مع قره عينه،فان كانت قره عينه فى الدنيا انصرف همه لاـ محـاله إليهـا.و لكن-مع هـذا-لاـ ينبغى ان تترك المجاهـده، ورد القلب إلى الصـلاه،و تقليل الأسـباب الشاغله،فهـذا هو الـدواء،و لمرارته استبشـعته الطباع،و بقيت العله مزمنه،و صار الـداء عضالا.حتى ان الأكابر اجتهدوا ان يصـلوا ركعتين لا يحدثون أنفسـهم فيهما بأمور الـدنيا، فعجزوا عنه.فإذا لا مطمع فيه لامثالنا،و يا ليت سـلم لنا من الصـلاه ثلثها او ربعها من الوساوس،لنكون ممن خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا.

و على الجمله:فهمه الـدنيا و همه الآـخره فى القلب مثل الماء الـذى يصب فى قـدح فيه خل،فبقـدر ما يـدخل فيه الماء يخرج منه الخل لا محاله،و لا يجتمعان.ثم جميع ما ذكر إنما هو فى الخواطر المتعلقه بالأمور المهمه من الـدنيا،حتى إذا خرجت هذه الأمور من القلب،خرجت منه هـذه الخواطر أيضـا.و قـد تكون الخواطر من مجرد الوساوس الباطنه و الخيالات الفاسـده، من دون تعلقها بشغل و عمل دنيوى يكون لها،و من دون اختيار للعبد فى خطورها و عدم خطورها.و الامر فيها اصعب،و ان كان لقلع حب الدنيا و شـهواتها عن القلب مدخليه عظيمه فى زوالها أيضا،إذ ماده هذه الوساوس أيضا،إما حب المال و حب الجاه،او حب غيرهما من الأمور الشهويه الدنيويه.و قد تقدم

تفصیل القول فیها و فی طریق علاجها فی بحث الوساوس.

فصل (اسرار الصلاه)

فی تحصیل کل واحد من شروط الصلاه و افعالها و ارکانها أسرار و تنبیهات،فینبغی للمؤمن المرید للآخره الاّ یغفل عنها،فها هی نذکرها:

اما الاذان:فإذا سمعت نداء المؤذن،فأخطر فی قلبک هول النداء یوم القیامه،و تشمر بباطنک و ظاهرک للاجابه و المسارعه،فان المسارعین الی هذا النداء هم الذین ینادون باللطف یوم العرض الاکبر،فأعرض قلبک علی هذا النداء،فان وجدته مملوا بالفرح و الاستبشار،مشحونا بالرغبه إلی الابتدار،فاعلم انه یأتیک النداء بالبشری و الفوز یوم القضاء، و لذلک قال سید الأنبیاء:«ارحنا یا بلال!»،أی:ارحنا بها و بالنداء الیها،إذ کانت قره عینه فیها.و اعتبر بفصول الاذان و کلماته کیف افتتحت باللّه و اختتمت باللّه،و اعتبر بذلک ان اللّه جل جلاله هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن،و وطن قلبک بتعظیمه عند سماع التکبیر،و استحقر الدنیا و ما فیها لئلا تکون کاذبا فی تکبیرک،و انف عن خاطرک کل معبود سواه بسماع التهلیل.و احضر النبی(ص)،و تأدب بین یدیه،و اشهد له بالرساله مخلصا،و صل علیه و آله،و حرک نفسک،واسع بقلبک و قالبک عند الدعاء إلی الصلاه،و ما یوجب الفلاح،و ما هو خیر الاعمال و افضلها،و جدد عهدک بعد ذلک بتکبیر اللّه و تعظیمه،و اختمه بذلک کما افتتحت به.و اجعل مبدءک منه،و عودک إلیه،و قوامک به،و اعتمادک علی حوله و قوته.فانه لا حول و لا قوه الا باللّه العلی العظیم.

فصل (الوقت)

و إذا دخل الوقت،استحضر أنه ميقات جعله اللّه لك،لتقوم فيه بخدمته،و تتأمل للمثول فى حضرته،و الفوز بطاعته،و ليظهر على قلبك السرور،و على وجهك البهجه عند دخوله،لكونه سببا لقربك و وسيله الى فوزك.فاستعد له بالطهاره و النظافه،و لبس الثياب الصالحه للمناجاه كما تتأهب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا،و تلقاه بالسكينه و الوقار، و الخوف و الرجاء،و استحضر عظمه اللّه و جلاله،و عدم تناهى قدرته و كماله،و نقصان قدرك و مرتبتك،و عدم قابليتك للقيام بخدمته،و قصورك عن أداء وظائف طاعته.

فصل (آداب الصلاه)

اذا اتيت بالطهاره فى مكانك،و هو ظرفك الا بعد،ثم فى ثيابك، و هو غلافك الاقرب،ثم فى بشرتك،و هى قشرك الادنى،فلا تغفل عن لبك و ذاتك،و هو قلبك،فطهره بالتوبه و الندم على ما فرط،و تصميم العزم على الترك فى المستقبل،فطهر بها باطنك،فانه موضع نظر ربك.

ثم إذا سترت مقابح بدنك عن ابصار الخلق باللباس،فاخطر ببالك فضائح سرك التى لا يطلع عليها إلا ربك،و طالب نفسك بسترها،و تحقق أنه لا يستر عن عين اللّه ساتر،و إنما يكفرها الخوف و الندم و الحياء،فتستفيد بإظهارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف و الندم و الحياء من مكامنها،فتذل به نفسك،و يستكين تحت الخجله قلبك،و تقوم بين يدى اللّه-تعالى-

قیـام العبـد المجرم المسـیء الآـبق،الـذی نـدم فرجع إلی مولاـه،ناکسـا رأسه من الخوف و الحیاء.قـال الصـادق(ع):«أزین اللباس للمؤمن لباس التقوی،و انعمعه الایمان،قال اللّه-تعالی-:

وَ لِبٰاسُ التَّقْویٰ ذٰلِکَ خَیْرٌ

(۱)

و أمـا اللباس الظاهر،فنعمه من اللّه-تعالی-تستر بها عورات بنی آدم،و هی کرامه أکرم اللّه بها ذریه آدم ما لم یکرم بها غیرهم،و هی للمؤمنین آله لاـداء مـا افترض اللّه علیهم.و خیر لباسـک مـا لا یشـغلک عن اللّه-عز و جل-،بل یقربک من ذکره و شـکره و طـاعته،و لاـ یحملـک علی العجب و الریـاء و التزین و التفـاخر و الخیلاـء،فانهـا من آفات الـدین، و مورثه للقسوه فی القلب.فإذا لبست ثوبـک،فـاذکر ستر اللّه علیـک ذنوبک برحمته،و البس باطنک بالصـدق کما البست ظاهرک بثوبک،و لیکن باطنک من الصـدق فی ستر الهیبه،و ظـاهرک فی ستر الطـاعه.و اعتبر بفضـل اللّه-عز و جـل-،حیث خلق أسـباب اللبـاس لیستر بهـا العورات الظـاهره،و فتـح أبواب التوبه و الإنابه و الاغاثه لیستر بها عورات الباطن من الـذنوب و أخلاق السوء.و لا تفضـح أحـدا حیث ستر اللّه علیک ما أعظم منه.و اشتغل بعیب نفسک و اصفح عما لا یعنیک حاله و امره.

و احـذر أن یفنی عمرک بعمل غیرک،و یتجر برأس مالک غیرک،و تهلک نفسک،فان نسـیان الذنوب من أعظم عقوبه اللّه فی العاجل،و اوفر أسـباب العقوبه فی الآجل.و ما دام العبد مشـتغلا بطاعه اللّه-تعالی-، و معرفه عیوب نفسه،و ترک ما یشین فی دین اللّه-عز و جل-،فهو بمعزل عن الآفات،خائض فی بحر رحمه اللّه-عز و جل-،یفوز بجواهر

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۲۵.

الفوائد من الحکمه و البیان.و ما دام ناسیا لذنوبه،جاهلا بعیوبه، راجعا إلی حوله و قوته،لا یفلح إذا أبدا» (۱).

فصل (آداب المصلی)

إذا أتیت مصلاک،فاستحضر فیه انک کأن بین یدی ملک الملوک، ترید مناجاته،و التضرع إلیه،و التماس رضاه،و نظره إلیک بعین الرحمه.

فاختر مکانا یصلح،کالمساجد الشریفه،و المشاهد المطهره،مع الإمکان، فانه-تعالی-جعل تلک المواضع محلا لاجابته،و موضع نزول فیوضاته و رحمته،علی مثال حضره الملوک،الذین یجعلونها وسیله لنیل المقاصد و المطالب.فادخلها بالسکینه و الوقار،و مراقبا للخضوع و الانکسار.

قال الصادق(ع):«إذا بلغت باب المسجد،فاعلم انک قد قصدت باب ملک عظیم،لا یطأ بساطه إلا المطهرون،و لا یؤذن لمجالسته إلا الصدیقون، فهب القدوم إلی بساط هیبه الملک،فانک علی خطر عظیم ان غفلت،فاعلم انه قادر علی ما یشاء من العدل و الفضل معک و بک.فان عطف علیک برحمته و فضله،قبل منک یسیر الطاعه،و أجزل لک علیها ثوابا کثیرا.

و إن طالبک باستحقاقه الصدق و الإخلاص عدلا بک،حجبک ورد طاعتک و ان کثرت.و هو فعال لما یرید.و اعترف بعجزک و تقصیرک و انکسارک و فقرک بین یدیه،فانک قد توجهت للعباده له،و المؤانسه به.و اعرض أسرارک علیه،و لتعلم أنه لا تخفی علیه أسرار الخلائق أجمعین و علانیتهم.

و کن کأفقر عباده بین یدیه.و اخل قلبک عن کل شاغل یحجبک عن ربک، فانه لا یقبل إلا الاطهر و الاخلص.و انظر من ای دیوان یخرج اسمک،

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۷-۱۳۷-۱۳۸.

فـان ذقت حلاوه مناجـاته و لذيـذ مخاطبـاته،و شـربت بكـأس رحمته و كرامـاته من حسن إقبـاله عليـك و اجابته،فقـد صـلحت لخـدمته،فادخـل فلـك الاذن و الأمان،و إلا فقف وقوف من قـد انقطع عنه الحيل،و قصـر عنه الأمل،و قضـى عليه الأجل.فان علم اللّه-عز و جـل-من قلبـك صـدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفه و الرحمه و العطف،و وفقك لما تحب و ترضـى،فانه كريم يحب الكرامه لعباده المضطرين إليه،المقيمين على بابه لطلب مرضاته.قال اللّه-تعالى-:

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ

(۱)

(۲)

.

فصل (الاستقبال)

و اما الاسـتقبال،فهو صـرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهه بيت اللّه.و هذا إشاره إلى انه ينبغى ان يصرف وجه القلب عن سـائر الأشـياء الى اللّه،فـان الاعمال الظاهره تحريكات للبواطن على ما يناسـبها،فضـبط الجوارح و تسـكينها بالإثبات فى جهه واحـده لأجـل الاـ تبقى على القلب، لانهـا إذا توجهت إلى جهـات متعـدده يتبعهـا القلب فى التوجه إلى أشـياء متعـدده،فـأمر اللّه بصـرفها إلى شـطر بيته،ليتـذكر القلب صـاحبه، و يتوجه إليه،و يثبت على ذلـك كما تثبت الأعضاء على جهه واحـده. قال رسول اللّه(ص):«إن اللّه-تعالى-مقبل على المصلى ما لم يلتفت»،و هذا

۱- ۱) النمل،الآيه:۶۲.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۱۲-۱۴۰-۱۴۱.

الالتفات يشمل التفات القلب أيضا،فكما يجب حراسه الرأس و العين عن الالتفات إلى الجهات،فكذلك يجب حراسه السر عن الالتفات إلى غير اللّه و غير الصلاه،فان التفت إلى غير اللّه و غير الصلاه،فذكره باطلاع اللّه عليه، و قبح غفله المناجى عمن يناجيه و عما يقول له حين المناجاه،لا سيما إذا كان من يناجيه ملك الملوك.و الزم قلبك الخشوع،فان الخلاص عن الالتفات ظاهرا و باطنا ثمره الخشوع،و مهما خشع الباطن خشع الظاهر،و لذا قال رسول اللّه(ص)-و قد راى مصليا يعبث بلحيته-:«اما هذا،لو خشع قلبه لخشعت جوارحه،فان الرعيه بحكم الراعى».و فى الدعاء:«اللهم اصلح الراعى و الرعيه»،و هو القلب و الجوارح.

و بالجمله:ينبغى لكل مؤمن صرف وجهه إلى بيت اللّه للصلاه،أن يصرف وجه قلبه إلى صاحب البيت،و كما لا يتوجه الوجه إلى جهه البيت إلا بالصرف عن غيرها،فكذلك لا ينصرف وجه القلب إلى اللّه إلا بالتفرغ عما سوى اللّه،و قد قال رسول اللّه(ص):«إذا قام العبد إلى صلاته،و كان هواه و قلبه إلى اللّه،انصرف كيوم ولدته أمه».و قال(ص):

«أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاه أن يحول اللّه وجهه وجه حمار؟!» قيل:هذا نهى عن الالتفات عن اللّه،و ملاحظه عظمته فى حال الصلاه، فان الملتفت يمينا و شمالا غافل عن اللّه و عن مطالعه أنوار كبريائه،و من كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفله عليه،فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار فى قله عقله للأمور العلويه و عدم فهمه للمعارف. و قال الصادق(ع):«إذا استقبلت القبله،فآيس من الدنيا و ما فيها،و الخلق و ما هم فيه،و استفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن اللّه-تعالى-،و عاين بسرك عظمه اللّه -عز و جل-،و اذكر وقوفك بين يديه،قال اللّه-تعالى-:

هُنٰالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مٰا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللّهِ مَوْلاٰهُمُ الْحَقِّ

(۱)

.

وقف على قدم الخوف و الرجاء» (۲).

فصل (القيام)

و أما القيام،فهو مثول بالشخص و القلب بين يدى اللّه-سبحانه-.

فليكن رأسك الذى هو أرفع اعضائك مطرقا مطأطأ متنكسا،تنبيها للقلب على لزوم التواضع و التذلل و الانكسار،و التبرى عن التكبر و الترؤس.

و ينبغى أن تتذكر هاهنا خطر المقام بين يدى اللّه فى هول المطلع عند التعرض للسؤال،و تذكر فى الحال أنك قائم بين يدى اللّه و هو مطلع عليك،فليكن قيامك بين يديه على ما يليق بعظمته و جلاله،و إن كنت تعجز عن معرفه كنه جلاله،فلا تجعل مالك الملك و الملكوت أنزل من بعض ملوك عصرك،فقم بين يديه قيامك بين يدى ملك زمانك،بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك أنك ملحوظ بعين كالئه من رجل صالح من أهلك،أو ممن ترغب أن يعرفك بالصلاح،فانه تهد عند ذلك أطرافك،و تخشع جوارحك،و يسكن جميع أجزائك،خيفه أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قله الخشوع.

و بالجمله:الخضوع و الخشوع و الاستحياء و الانفعال،يقتضيها الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا،فكيف لا يقتضيها بين يدى ملك الملوك عند من يعرفه؟فمن يكون بين يدى غير اللّه خاشعا،و لا يكون بين يدى اللّه

۱- ۱) يونس،الآيه:۳۰.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۱۳-۱۴۱.

كذلك،فذلك لقصور معرفته عن جلال اللّه و عن اطلاعه على سره و ضميره، و عدم تدبره فى قوله-تعالى-:

اَلَّذِی یَرٰاکَ حِینَ تَقُومُ، وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّٰاجِدِینَ

(۱)

فتبا لمن يـدعى معرفه اللّه و العلم بعظمته و جلاله و حبه و الخشيه منه، و مع ذلك يستحيى من أحـد عبيـده المساكين الـذى لا يقدر على نفع و لا ضر، و لا يستحيى من اللّه،و يخشى الناس و لا يخشاه!

فصل (التكبيرات)

و أما التوجه بالتكبيرات،فينبغى أن تستحضـر عنـدك عظمه اللّه و جلاله،و صـغر نفسك و ذلتها فى جنب عظمته،و قصورك عن القيـام بوظـائف خـدمته.و إذا قلـت:(اللهم إنـك أنت الملـك الحـق)،فتـذكر عظيم ملكه،و عمـوم قـدرته،و استيلاـء على جميع العوالم،ثم ارجع على نفسك بالذل و الانكسار.و إذا قلت:(لبيك و سعديك!و الخير فى يديك،و الشر ليس إليك)،مثل نفسك بين يـديه،و تيقن أنه أقرب منك من نفسك،و يسـمع نـداءك،و يجيب دعاءك،و أن خير الـدنيا و الآخره بيده لا بيد غيره،و أنه خير محض منزه عن الشر.و إذا قلت:

(عبـدك و ابن عبـديك،منك و بك و لك و إليك)،فقـد اعترفت له بالعبوديه،و بأنه ربك و خالقك و مالكك،و موجدك و مخترعـك،و أنت اثره و فعله،و منه وجودك،و به قوامـك،و له ملكـك،و إليه معـادك، فـأنت منه،فلا يتركك و يرحمك،فألق نفسك الضعيفه العاجزه بين

۱- ۱) الشعراء،الآيه:۲۱۸-۲۱۹.

يـديه،و وكل أمورك فى الدنيا و الآخره إليه،و لا تعتمد فى مقاصدك إلا عليه،فاحضـر فى ذهنك فى هذه الفقرات و غيرها من الكلمـات التى ينطق بهـا لسانك أمثال هـذه الحقائق،و ترق منها إلى ما يفتـح عليك من الأسـرار و الـدقائق،و احفظ نفسك عن الوقوع فى أوديه الوساوس و الهوى، فتلقى الفيض من العالم الأعلى.

فصل (النيه)

و أما النيه،فحقيقتها القصـد إلى الفعل،امتثالا لأمر اللّه،و طلبا لتقربه،و رجاء لثوابه،و خوفا من عقابه.فينبغى أن تجتهد فى خلوصـها ألاـ يشوبها غرض دنيوى فتفسـد،و حقيقه الإخلاص و ما يتعلق بها قـد تقـدمت مفصـله فى محلها.و ينبغى أن تتـذكر هاهنا عظيم لطفه و منته عليك، حيث أذنك فى المناجاه مع سوء أدبك و كثره جنايتك،و عظم فى نفسك قدر مناجاته.و انظر من تناجى،و كيف تنـاجى،و بمـا ذا تناجى.و عنـد هـذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجله،و ترتعـد فرائصك من الهيبه،و يصـفر وجهك من الخوف و الخشيه.

فصل (تكبيره الإحرام)

و إذا كـبرت تكـبيره الإـحرام،تـذكر ان معناهـا:انه-تعـالى-أكـبر من ان يوصف،او أكـبر من كـل شـىء،أو أكـبر من أن يـدرك بـالحواس، أو يقـاس بالناس.فانتقـل منه إلى غـايه عظمته و جلالـه،و اسـتناد مـا سواه اليه،بالايجـاد و الاختراع و الاخراج من كتم العدم.و ينبغى ان تكون

على يقين بذلك،حتى لا يكذب لسانك قلبك،فان كان فى قلبك شيء هو أكبر من اللّه-تعالى-عندك،فاللّه يشهد أنك كاذب،و ان كان الكلام صدقا،كما شهد على المنافقين فى قولهم:إن النبى رسول اللّه.و إن كان هواك اغلب عليك من امر اللّه-تعالى-،و أنت اطوع له منك للّه و لأمره،فقد اتخذته إلهك و كبرته،فيوشك ان يكون قولك(اللّه أكبر) كلاما باللسان المجرد،و قد تخلف القلب عن مساعدته،و ما أعظم الخطر فى ذلك،لو لا التوبه و الاستغفار و حسن الظن بكرمه-تعالى-و عفوه. قال الصادق(ع):«فإذا كبرت،فاستصغر ما بين السماوات العلى و الثرى دون كبريائه،فان اللّه-تعالى-اذا اطلع على قلب العبد و هو يكبر،و فى قلبه عارض عن حقيقه تكبيره،قال:يا كذاب أ تخدعنى؟!و عزتى و جلالى! لأحرمنك حلاوه ذكرى،و لأحجبنك عن قربى و المسره بمناجاتى!» (۱).

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك،فان كنت تجد حلاوتها و فى نفسك سرورها و بهجتها،و قلبك مسرور بمناجاته،و ملتذ بمخاطباته،فاعلم انه -تعالى-قد صدقك فى تكبيرك،و ان سلبت لذه المناجاه،و حرمت حلاوه العباده،فاعلم أنه تعالى كذبك فى تكبيرك،و طردك عن بابه، و أبعدك عن جنابه،فابك على نفسك بكاء الثكلى،و بادر إلى العلاج قبل ان تدركك الحسره العظمى.

فصل (دعاء الاستفتاح)

و اما دعاء الاستفتاح،فأول كلماته:(وجهت وجهى للذى فطر السماوات و الأرض)،و معلوم أن المراد بالوجه هنا هو وجه القلب دون

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۱۳-۱۴۱.

الوجه الظـاهر،لأـن اللّه سـبحانه منزه عن الاـمكنه و الجهـات حتى توجه اليه الوجه الظاهر.فـأنت تـدعى فى هـذا الكلام ان قلبك متوجه إلى فاطر السماوات و الأرض،فإياك ان يكون اول مفاتحتك للمناجاه بالكذب و الاختلاق،إذ لو كان قلبك متوجها إلى امـانيه،و همه فى البيت و السوق، او واقعـا فى أوديه الوساوس،او كان غافلا،لم يكن مقبلا على اللّه متوجها إليه و كنت كاذبا فى اول مخاطبتك مع ربك.فاجتهد ان ينصرف قلبك عما سواه،و تقبل عليه فى هذا الوقت،و ان عجزت عنه على الدوام، لئلا تكون كاذبا فى اول كلامك.و إذا قلت:(حنيفا مسـلما)،فاخطر ببالك أن المسـلم هو الذى سـلم المسلمون من يده و لسانه،فان لم تكن موصوفا بهـذا الوصف كنت كاذبا،فاجتهد ان تعزم عليه فى الاسـتقبال،و ان تندم على ما سبق من الأحوال.و إذا قلت.(و ما انا من المشـركين)،فاخطر ببالك الشـرك الخفى،و كونه داخلا فى الشـرك،لاطلاق الشـرك على القليل و الكثير.فلو قصدت بجزء من عبادتك غير اللّه،من مـدح الناس و طلب المنزله فى قلوبهم،كنت مشـركا كاذبا فى هذا الكلام.فانف هذا الشـرك عن نفسك،و استشـعر الخجله فى قلبك،بأن وصـفت نفسك بوصف ليست متصفه به فى الواقع.و إذا قلت:(محياى و مماتى للّه رب العالمين)، فاعلم ان هـذا حال عبد مفقود لنفسه،موجود لسـيده،فان عن ذاته، باق بربه،بحيث لا يرى لذاته من حيث هى قدره و قوه،بل يعلم حياته و بقاءه من اللّه-تعالى-،و لا تكون حركاته و سكناته الا للّه تعالى.

فالقائـل بهـذا الكلام،اذا رأى لنفسه من حيث هى قـدره واثرا،او صـدر عنه فعل:من الرضا،او الغضب،او القيام،او القعود،او الرغبه فى الحياه،او الرهبه من الموت لأمور الدنيا،كان كاذبا.

فصل (الاستعاذه)

فإذا قلت:(اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم)،ينبغی ان تعلم ان الشيطان اعدی عدوک،مترصد لصرف قلبک عن اللّه،حسدا لک علی مناجاتک مع اللّه و سجودک له،مع أنه لعن و طرد عن مقام القرب بترک السجده.و ينبغی ألا تکون استعاذتک باللّه منه بمجرد القول،لتکون مثل من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله،فقال:اعوذ منک بهذا الحصن الحصين،و هو ثابت علی مکانه،فان ذلک لا يفيده و لا ينفعه ما لم يتحرک و يدخل الحصن.فکذلک مجرد الاستعاذه لا ينفعه ما لم يترک ما يحب الشيطان،و ما لم يأت بما يحبه اللّه.فمن اتبع الشهوات التی هی محاب الشيطان و مکاره الرحمن،لا يغنيه مجرد القول،فليقترن قوله بالعزم علی التعوذ بحصن اللّه عن شر الشيطان،و حصنه(لا إله إلا اللّه)، إذ قال:«لا إله إلا اللّه حصنی،و من دخل حصنی أمن من عذابی».

و الدخول فی حصن(لا إله إلا اللّه)ليس أيضا بمجرد التکلم به،بل الاذعان القلبی و اليقين القطعی بأن کل معبود سواء باطل،و کل شیء منه و له و به و إليه،و لا مؤثر فی الوجود إلا هو.فالمحصن بالتوحيد من لا معبود له سوی اللّه،و اما من اتخذ إله هواه،فهو فی ميدان الشيطان لا فی حصن اللّه.و من مکائد اللعين أن يشغلک فی الصلاه بفکر الآخره،و تدبير فعل الخيرات،لتمنع من الحضور و فهم ما تقرأ،فاعلم أن کل ما يشغلک عن الإقبال إلی اللّه و عن فهم معانی القرآن و الاذکار فهو وسواس،إذ حرکه اللسان غير مقصوده،بل المقصود المعانی. و إذا قلت: (بسم اللّه الرحمن الرحيم) ،فانوبه التبرک لابتدائک بقراءه کلام اللّه،و المراد بالاسم هنا

المسمی،فمعناه:أن کل الأشیاء و الأمور بالله،فیترتب علیه انحصار (الحمد للّه)،إذ المراد بالحمد الشکر،و الشکر إنما یکون علی النعم،فإذا کانت النعم باسرها من اللّه فیکون منحصرا به،فمن یری نعمه من غیر اللّه، او یقصد غیره سبحانه بشکر لا من حیث إنه مسخر من اللّه،ففی تسمیته و تحمیده نقصان بقدر التفاته إلی غیر اللّه سبحانه.و إذا قلت:(الرحمن الرحیم)،فاحضر فی قلبک أنواع لطفه،و ضروب إحسانه،لتتضح لک رحمته،فینبعث بها رجاؤک.و إذا قلت:(مالک یوم الدین)فاستشعر من قلبک التعظیم و الخوف،أما العظمه فلأنه لا ملک إلا هو،و أما الخوف فلهول یوم الجزاء و الحساب الذی هو مالکه.ثم جدد الإخلاص بقولک:(إیاک نعبد).و جدد العجز و الافتقار و التبری من الحول و القوه بقولک:(و إیاک نستعین)،و تحقق أنه ما تیسرت طاعتک إلا باعانته، و ان له المنه،إذ وفقک لطاعته،و استخدمک لعبادته،و جعلک أهلا لمناجاته، و لو حرمک التوفیق لکنت من المطرودین مع الشیطان الرجیم،و استحضر ان الإعانه لا تکون إلا منه،و لا یقدر غیره أن یعین أحدا،فاخرج عن قلبک الوسائل و الأسباب إلا من حیث إنها مسخره منه تعالی.و إذا قلت:(اهدنا الصراط المستقیم)،فاعلم انه طلب لأهم حاجاتک،و هی الهدایه إلی النهج الحق الذی یسوقک إلی جوار اللّه،و یفضی بک إلی مرضاته، و یوصلک إلی مجاوره من انعم اللّه علیهم نعمه الهدایه من الأنبیاء و الصدیقین و الشهداء و الصالحین،دون الذین غضب اللّه علیهم من الکفار و الزائفین من الیهود و النصاری و الصابئین.و إذا تلوت(الفاتحه)کذلک،فیشبه ان تکون ممن قال اللّه فیهم بما أخبر عنه النبی(ص):«قسمت الصلاه بینی و بین عبدی نصفین،نصفها لی،و نصفها لعبدی.یقول العبد:الحمد للّه رب

العالمين،فيقول اللّه-عز و جل-:حمدنی عبدی و اثنی علی.و هو معنی قوله:

سمع اللّه لمن حمده...»الی آخر الحدیث.فان لم یکن لک من صلاتک حظ سوی التذاذک بذکر اللّه فی جلاله و عظمته،فناهیک به غنیمه،فکیف ما ترجوه من ثوابه و فضله.و کذلک ینبغی ان تفهم و تخرج الحقائق مما تقرأه من السوره،فلا تغفل عن أمره و نهیه،و وعده و وعیده،و مواعظه و اخبار أنبیائه،و ذکر منه و إحسانه،فلکل واحد حق:فحق الأمر و النهی العزم،و حق الوعد الرجاء،و حق الوعید الخوف،و حق الموعظه الاتعاظ و حق اخبار الأنبیاء الاعتبار،و حق ذکر المنه الشکر،و تکون هذه المعانی بحسب درجات الفهم،و یکون الفهم علی حسب العلم و صفاء القلب، و درجات ذلک لا تنحصر.و الصلاه مفتاح القلوب،فیها تنکشف أسرار الکلمات.فهذا حق القرائه،و هو أیضا حق الأذکار و التسبیحات.و اعلم ان الناس فی القراءه ثلاثه:بعضهم یتحرک لسانه و قلبه غافل.و بعضهم یتحرک لسانه و قلبه یتبع اللسان،فیسمع و یفهم منه کأنه یسمعه من غیره، و هو درجه أصحاب الیمین.و بعضهم یسبق قلبه إلی المعانی او لا،ثم یخدم اللسان قلبه فیترجمه،و فرق بین أن یکون اللسان ترجمان القلب أو یکون معلم القلب،و المقربون السنتهم ترجمان تتبع القلب.ثم ینبغی ان تراعی الهیئه فی القراءه،فترتل،و لا تسرد و لا تعجل،فان ذلک أیسر للتأمل، و تفرق بین نغماته فی آیه الرحمه و العذاب،و الوعد و الوعید،و التمجید و التعظیم،کان بعضهم إذا مر بمثل قوله:

مَا اتَّخَذَ اللّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مٰا کٰانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ

(۱)

.

یغض صوته،کالمستحیی عن ان یذکره بکل شیء.و روی:«انه

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۹۲.

يقال يوم القيامه لصاحب القرآن:اقرأ و ارق،فكلما قرأ آيه صعد درجه».

فصل (الركوع)

و اما الركوع،فينبغى ان تجدد عنده ذكر كبرياء اللّه،و ترفع بذلك معظما له منبها على غايه عظمته و ارتفاعه،و كونه ارفع من ان تصل إليه ايدى العقول و الاوهام،و مستجيرا بعفوه من عقابه،و تستأنف بهويك للركوع ذلا و تواضعا،و تجتهد فى ترقيق قلبك و تجديد خشوعك، و تستشعر ذلك و عزه،و ضعفك و قوته،و عجزك و قدرته،و اتضاعك و علوه،و تستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك،فتسبحه و تشهد له بالعظمه،و انه أعظم من كل عظيم،و تكرر ذلك على قلبك لتترسخ فيه عظمته و جلاله،ثم ترفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك،و تؤكد الرجاء فى نفسك بقولك:(سمع اللّه لمن حمده)أى:أجاب اللّه لمن شكره، و تتبع ذلك بالشكر المتقاضى للمزيد،فتقول:(الحمد للّه رب العالمين)،ثم تزيد فى التذلل و الخشوع و تعظيم ربك و اجلاله،فتقول:(أهل الكبرياء و العظمه و الجود و الجبروت)، روى(الصدوق)-رضوان اللّه عليه- عن أمير المؤمنين(ع):«انه سئل عن معنى مد العنق فى الركوع،فقال(ع):

تأويله:آمنت بك و لو ضربت عنقى».و قال الصادق(ع):«لا يركع عبد للّه ركوعا على الحقيقه،إلا زينه اللّه بنور بهائه،و اظله فى ظل كبريائه،و كساه كسوه اصفيائه.و الركوع اول،و السجود ثان.فمن أتى بمعنى الأول صلح للثانى.و فى الركوع أدب،و فى السجود قرب،و من لا يحسن الادب لا يصلح للقرب.فاركع ركوع خاشع للّه عز و جل بقلبه،متذلل و جل

تحت سلطانه،خافض له بجوارحه خفض خائف حزن علی ما یفوته من فائده الراکعین» (۱).و حکی:«أن ربیع بن خثیم،کان یسهر باللیل إلی الفجر فی رکعه واحده،فإذا أصبح،تزفر و قال:آه!سبق المخلصون و قطع بنا».و استوف رکوعک باستواء ظهرک،و انحط عن همتک فی القیام بخدمته إلا بتأییده و عونه،و فر بقلبک من وساوس الشیطان و خدائعه و مکائده،فان الله یرفع عباده بقدر تواضعهم له،و یهدیهم إلی أصول التواضع و الخضوع و الخشوع بقدر اطلاع عظمته علی سرائرهم.

فصل (السجود)

و إذا هویت إلی السجود،جدد علی قلبک غایه الذل و العجز و الانکسار،إذ السجود أعلی درجات الاستکانه،فمکن أعز أعضائک، و هو الوجه،لأذل الأشیاء،و هو التراب،و لا تجعل بینهما حاجزا،بل اسجد علی الأرض،لأنه أجلب للخضوع،و أدل علی الذل.فإذا وضعت نفسک موضع الذل،و القیتها علی التراب،فاعلم أنک وضعتها موضعها، ورددت الفرع إلی أصله،فانک من التراب خلقت،و إلیه رددت.فعند هذا جدد علی قلبک عظمه اللّه،و قل:(سبحان ربی الأعلی و بحمده)، و اکده بالتکرار،إذ المره الواحده ضعیفه الآثار،فان رق قلبک، و طهر لبک،فلیصدق رجاؤک فی رحمه ربک،فان رحمته تتسارع إلی موضع الذل و الضعف،لا إلی محل التکبر و البطر.فارفع رأسک مکبرا

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی الباب ۱۵ من(مصباح الشریعه).و علی(بحار الأنوار):۱۸-۳۵۶،باب الرکوع و آدابه من کتاب الصلاه.و علی(المستدرک): ۱-۳۲۵،باب نوادر ما یتعلق بالرکوع من کتاب الصلاه أیضا.

و مستغفرا من ذنوبک،و سائلا حاجتک،ثم اکد التواضع بالتکرار، و عد إلی السجود ثانیا کذلک. و سئل مولانا أمیر المؤمنین(ع)عن معنی السجده الأولی،قال:«تأویلها:اللهم إنک منها خلقتنا»:یعنی من الأرض،و تأویل رفع رأسک:«و منها أخرجتنا»،و السجده الثانیه:

«و إلیها تعیدنا»،و رفع رأسک:«و منها تخرجنا تاره أخری». و قال مولانا الصادق(ع):«ما خسر و اللّه-تعالی-قط من أتی بحقیقه السجود و لو کان فی العمر مره واحده،و ما افلح من خلا بربه فی مثل ذلک الحال شبیها بمخادع نفسه،غافل لاه عما اعد اللّه تعالی للساجدین من انس العاجل و راحه الآجل،و لا بعد عن اللّه تعالی أبدا من أحسن تقربه فی السجود،و لا قرب إلیه ابدا من أساء ادبه و ضیع حرمته بتعلیق قلبه بسواه فی حال سجوده.فاسجد سجود متواضع للّه ذلیل،علم انه خلق من تراب یطأه الخلق،و انه ربک من نطفه یستقذرها کل أحد،و کون و لم یکن،و قد جعل اللّه معنی السجود سبب التقرب إلیه بالقلب و السر و الروح،فمن قرب منه بعد من غیره،الا تری فی الظاهر انه لا یستوی حال السجود الا بالتواری عن جمیع الأشیاء،و الاحتجاب عن کل ما تراه العیون؟کذلک أراد اللّه تعالی امر الباطن.فمن کان قلبه متعلقا فی صلاته بشیء دون اللّه تعالی،فهو قریب من ذلک الشیء،بعید عن حقیقه ما اراد اللّه منه فی صلاته.قال اللّه تعالی:«ما جعل اللّه لرجل من قلبین فی جوفه».و قال رسول اللّه(ص):«قال اللّه عز و جل:ما اطلع علی قلب عبد فاعلم فیه حب الإخلاص لطاعتی لوجهی و ابتغاء مرضاتی،إلا تولیت تقویمه و سیاسته،و من اشتغل فی صلاته بغیری فهو من المستهزئین بنفسه،

و اسمه مکتوب فی دیوان الخاسرین» (۱).

فصل (التشهد)

إذا جلست للتشهد-بعد هذه الافعال الدقیقه و الاسرار العمیقه،المشتمله علی الاخطار الجسمیه-فاستشعر الخوف التام و الرهبه و الوجل و الحیاء، ان یکون جمیع ما سلف منک غیر واقع علی وجهه،و لا محصلا بوظائفه و شرائطه و لا مکتوبا فی دیوان القبول.فاجعل یدک صفرا من فوائدها، و ارجع إلی مبدأ الامر،و أصل الدین،اعنی کلمه التوحید و حصن اللّه الذی من دخله کان آمنا،فاستمسک به ان لم تکن لک وسیله غیره،فاشهد لربک بالوحدانیه،و احضر رسوله الکریم و نبیه العظیم ببالک،و اشهد له بالعبودیه و الرساله،و صل علیه و علی آله،مجددا عهد اللّه باعاده کلمتی الشهاده،متعرضا بهما لتأسیس مراتب العباده،فانهما اول الوسائل و أساس الفواضل،و متوسلا إلی رسول اللّه بالصلاه علیه،مترقبا بذلک عشرا من صلاته(ص)علیک-کما ورد فی الخبر-،و لو وصل الیک منها واحده افلحت ابدا. قال الصادق(ع):«التشهد ثناء علی اللّه.

فکن عبدا له فی السر خاضعا له فی الفعل،کما انک عبد له فی القول و الدعوی.و صل صدق لسانک بصفاء صدق سرک،فانه خلقک عبدا، و أمرک ان تعبده بقلبک و لسانک و جوارحک،و أن تحقق عبودیتک له و ربوبیته لک،و تعلم ان نواصی الخلق بیده،فلیس لهم نفس و لا لحظه إلا بقدرته و مشیته،و هم عاجزون عن اتیان أقل شیء فی مملکته إلا باذنه

۱- ۱) صححنا الحدیث علی:الباب ۱۶ من(مصباح الشریعه).و علی (بحار الأنوار):۱۸-۳۶۳،باب السجود و آدابه.

و إرادته.قال اللّه عز و جل:

وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ وَ یَخْتٰارُ مٰا کٰانَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ سُبْحٰانَ اللّٰهِ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ

(۱)

.

فکن للّه عبدا شاکرا بالقول و الدعوی،و صل صدق لسانک بصفاء سرک،فانه خلقک فعز و جل أن تکون إراده و مشیه لأحد إلاـ بسابق إرادته و مشیته،فاستعمل العبودیه فی الرضا بحکمته،و بالعباده فی أداء أوامره،و قد أمرک بالصلاه علی حبیبه محمد(ص)،فاوصل صلاته بصلاته، و طاعته بطاعته،و شهادته بشهادته،و انظر ألا تفوتک برکات معرفه حرمته فتحرم عن فائده صلاته،و امره بالاستغفار لک،و الشفاعه فیک،إن اتیت بالواجب فی الأمر و النهی و السنن و الآداب،و تعلم جلیل مرتبته عند اللّه عز و جل» (۲).

فصل (التسلیم)

و إذا فرغت عن التشهد،فاحضر بحضره سید المرسلین،و الملائکه المقربین،و بقیه أنبیاء اللّه و أئمته-علیهم السلام-و الحفظه لک من الملائکه المحصین لأعمالک،و احضرهم جمیعا فی بالک.فسلم أولا علی نبیک الذی هو أفضل الکل،و واسطه هدایتک و ایمانک،بقولک:(السلام علیک أیها النبی و رحمه اللّه و برکاته).ثم توجه إلی الجمیع،و سلم علیهم بقولک:

۱- ۱) القصص،الآیه:۶۸.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۱۷.و علی(بحار الأنوار):۱۸-۴۰۳،باب التشهد و احکامه.

(السلام علیکم و رحمه اللّه و برکاته).و لا تطلق لسانک بصیغه الخطاب من غیر حضور المخاطب فی ذهنک،فتکون من العابثین و اللاعبین،و کیف تسمع الخطاب لمن لا یقصد،لو لا فضل اللّه فی اجترائه بذلک عن أصل الواجب،و ان کان بعیدا عن درجات القبول،منحطا عن اوج القرب و الوصول.و ان کنت إماما لقوم،فاقصدهم بالسلام من تقدم من المقصودین،و لیقصدوا هم الرد علیک أیضا،و إذا فعلتم ذلک فقد ادیتم وظیفه السلام،و استحققتم من اللّه مزید الإکرام. قال الصادق(ع):

«معنی التسلیم فی دبر کل صلاه:الأمان،ای من أتی امر اللّه و سنه نبیه (ص)خاضعا له خاشعا منه،فله الأمان من بلاء الدنیا،و البراءه من عذاب الآخره.و السلام اسم من أسماء اللّه تعالی اودعه خلقه،لیستعملوا معناه فی المعاملات و الامانات و الانصافات،و تصدیق مصاحبتهم فیما بینهم،و صحه معاشرتهم.فان أردت ان تضع السلام موضعه،و تؤدی معناه،فاتق اللّه تعالی لیسلم منک دینک و قلبک و عقلک،ألا تدنسها بظلمه المعاصی،و لتسلم منک حفظتک الا تبرمهم و تملهم و توحشهم منک بسوء معاملتک معهم،ثم مع صدیقک،ثم مع عدوک.فان من لم یسلم منه من هو الاقرب الیه فالابعد أولی،و من لا یضع السلام مواضعه هذه فلا سلام و لا اسلام و لا تسلیم،و کان کاذبا فی سلامه و ان افشاه فی الخلق» (1).

فصل (إفاضه الأنوار علی المصلی علی قدر صفائه)

اعلم ان تخلیص الصلاه عن الآفات،و اخلاصها لوجه اللّه،و ادائها بالشروط الباطنه المذکوره،من الحضور،و الخشوع،و التعظیم،و الهیبه،

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۱۸-۱۴۴.

و الحیاء:سبب لحصول أَنوار فی القلب،تکون تلک الأنوار مفاتیح للعلوم الباطنه،و انما یفیض منها علی کل مصل علی قدر صفائه من کدورات الدنیا،و یختلف ذلک بالقله و الکثره،و القوه و الضعف،و الجلاء و الخفاء،و یختلف أیضا بما ینکشف من العلوم،فینکشف لبعضهم من صفات اللّه و جلاله،و لبعضهم من عجائب افعاله،و لبعضهم من دقائق علوم المعامله،و لبعضهم غیر ذلک،و أولی بالظهور و الافاضه لکل شخص ما یهمه و یکون فی طلبه.و إلی ما ذکرنا من ترتب الافاضه العلویه علی الصلاه الخالصه لوجه اللّه المؤداه بالشروط المذکوره،أشار النبی(ص)بقوله:

«ان العبد إذا قام فی الصلاه،رفع اللّه الحجاب بینه و بین عبده،و واجهه بوجهه،و قامت الملائکه من لدن منکبیه إلی الهواء،یصلون بصلاته،و یؤمنون علی دعائه،و ان المصلی لینشر علیه البر من أعنان السماء إلی مفرق رأسه، و ینادیه مناد:لو علم المصلی من یناجی ما التفت.و ان ابواب السماء تفتح للمصلین،و ان اللّه یباهی ملائکته بصدق المصلی».فان رفع الحجاب و فتح ابواب السماء کنایه عن إفاضه العلوم الباطنه علیه. و ورد فی التوراه:

«یا ابن آدم،لا تعجز أن تقوم بین یدی مصلیا باکیا،فأنا اللّه الذی اقتربت من قلبک،و بالغیب رأیت نوری».و ورد:«ان العبد إذا صلی رکعتین، عجبت منه عشره صفوف من الملائکه،کل صف منهم عشره آلاف، و باهی اللّه به مائه الف».و ذلک لان العبد جمع فی الصلاه بین القیام و القعود، و الرکوع و السجود،و الذکر باللسان،و غیر ذلک.و لیس لملک من الملائکه هذا القسم من العباده الجامعه بین الکل،بل هذه الأفعال موزعه علیهم، فبعضهم قائمون لا یرکعون إلی یوم القیامه،و بعضهم ساجدون لا یرفعون الی یوم القیامه،و هکذا الراکعون و القاعدون،فان ما أعطی الملائکه

من القرب و الرتبه لازم لهم،مستمر على حاله واحده،لا تزيد و لا تنقص، و ليس لهم مرتبه الترقى من درجه إلى أخرى،و باب المزيد مسدود عليهم، و لذلك قالوا:«و ما منا إلا له مقام معلوم»،بخلاف الإنسان،فان له الترقى فى الدرجات،و التقلب فى اطوار الكمالات،و مفتاح مزيد الدرجات هى الصلاه،قال اللّه سبحانه:«قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون»،فمدحهم بعد الايمان بصلاه مخصوصه،و هى المقرونه بالخشوع، ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلاه أيضا،فقال فى آخرها:

وَ الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَوٰاتِهِمْ يُحٰافِظُونَ ،ثم قال فى ثمره تلك الصفات: أُولٰئِكَ هُمُ الْوٰارِثُونَ، اَلَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (١).

فوصفهم بالفلاح أولا،و بوراثه الفردوس آخرا.فالمصلون هم ورثه الفردوس،و ورثه الفردوس هم المشاهدون لنور اللّه بقربه و دنوه بالقلب.

و كل عاقل يعلم ان مجرد حركه اللسان و الجوارح،مع غفله القلب،لا تنتهى درجته إلى هذا الحد.

فصل (ما ينبغى فى إمام الجماعه)

ينبغى لامام الجماعه:ان يختص من بين القوم بمزيد صفاء القلب، و إقباله إلى اللّه،و الخشوع و التعظيم،و غير ذلك من الشرائط الباطنه، لانه القدوه و الجاذب لنفوس الجماعه إلى اللّه،فما اقبح به ان يكون قلبه

١- ١) المؤمنون،الآيه:٩-١١.

غافلا عن اللّه،او واقعا فی أودیه الوساوس الباطله فی الصلاه،و یکون بعض من اقتدی به من القوم خاشعا حاضر القلب معظما للّه سبحانه،و ما اشنع به ان یکون التفات قلبه إلی من وراءه من الناس الذین لا یقدرون علی شیء من النفع و الضر أکثر من التفات قلبه إلی مالک الملک و الملکوت، أولا-یستحیی من علام الغیوب ان ینصب نفسه قدوه لأمه سید الرسل (ص)،و یحل محل رسول اللّه(ص)و اوصیائه الراشدین-علیهم السلام-، و ینوب عنهم،و یکون تغیر قلبه و تأثر نفسه عن ضعفاء العوام الذین اقتدوا به أشد من انفعاله و تأثره من عظمه اللّه و جلاله؟!أو لا یخجل عند اللّه من تفاوت حاله بکثره المأمومین و قلتهم؟فینبغی لکل امام قوم ان یمتحن نفسه،فان لم تکن له هذه الصفات الخبیثه،فلیؤم،و إلا-فلیترک و لا-یهلک نفسه،و یعرف ذلک بأن یکون فرحه بامامه نفسه کفرحه بامامه غیره من أمثاله و اقرانه،بل إن کان قصده و فرحه بمجرد اقامه السنه، و احیاء رسوم المله،فینبغی ان یکون فرحه بامامه غیره ممن هو مرضی، و الاهتمام به،أکثر من إمامه نفسه،لحصول المقصود مع السلامه عن الغوائل المحتمله،و ینبغی-أیضا-ألا یکون باعثه و محرکه إلی المسجد لامامه القوم إلا القربه و رجاء الثواب،فلو کان فی بعض زوایا قلبه باعث خفی من حب الشهره و المنزله فی القلوب،أو الوصول إلی ما ینتظم به معاشه،فله الویل و الثبور،و یکون ممن ضل و اضل و هلک و أهلک!

فصل (ما ینبغی فی صلاه الجمعه و العیدین)

ینبغی للحاضر إلی صلاه الجمعه و العیدین:ان یستحضر ان هذه الأیام

أیـام شـریفه عظیمه،و اعیـاد مبـارکه کریمه،قـد خص اللّه بهـا هـذه الأـمه، و جعلها اوقاتا شـریفه لعباده،لیقربهم فیها من جواره،و یبعـدهم من عذابه و ناره،و حثهم فیها علی الإقبال بصالح الاعمال،و تلافی ما فرط منهم فی بقیه الأیام و الشـهور من الإهمال.فلا جرم وجـب الاهتمـام بصـلاتها زیـاده علی سـائر الصـلوات،من التهیـؤ و الاسـتعداد للقـاء اللّه،و الوقـوف بین یـدیه، و المثـول فی حضرته،و الفوز بمخاطبته.فلیجتهد بعد الإتیان بالوظائف الظاهره،من التنظیف،و التطییب،و التعمم،و حلق الرأس،و قص الشارب و الاظفـار،و غیر ذلک من السـنن...فی تخلیص النیه،و إحضار القلب،و اکثار الخشوع،و الابتهال إلی اللّه تعالی فی صـلاته.و ینبغی أن یحضـر قلبـه فی العیـدین مـن قسـمه الجـوائز،و تفرقـه الرحمـه،و إفـاضه المـواهب فیهمـا علی من قبـل صـومه و قربـانه و قـام بوظائفهمـا،فلیکبر فی صـلاتهما و قبلهـا و بعـدها فی قبول أعمـاله و العفو عن تقصـیراته،و لیستشـعر الخجله و الحیاء من خسـران الرد،و خذلان الطرد،فتخسر صفقته،و تظهر بعد ذلک حسرته،فیفوز الفائزون،و یسبق السابقون،و ینجو المخلصون،و هو یکون من الخائبین الخاسرین.

فصل (ما ینبغی للمؤمن عقد ظهور الآیات)

اشاره

إذا ظهرت الآیـات،من الکسوف و الخسوف و الزلازل و غیرها، ینبغی لکل مؤمن ان یستحضـر عنـدها أهوال الآخره و زلازلها،و تکور الشـمس و القمر،و ظلمه القیامه،و وجل الخلائق،و خوفهم من الأخذ و النکال و العقوبه و الاستئصال،فیکثر فی صلاتها من الدعاء و الابتهال بمزید الخضوع و الخشوع و الهیبه و الخوف،فی النجاه من تلک الشدائد ورد

النـور بعـد الظلمه و المسـامحه على الهفـوه،و ينبغى ان يكون منكسـر النفس، مطرق الرأس،مسـتحييا من التقصـير،مستشـعرا بقلبه عظمه اللّه و جلاله.

و بـالجمله:حصول الخوف و الخشـيه،و المبـادره إلى التضـرع و الابتهال،و أداء الصـلاه بالإقبال و الخشوع عنـد ظهور الآيات،من شعـار أهل الايمان.قال سـيد الساجـدين(ع):«لا يفزع للآيتين و لا يرهب إلا من كان من شـيعتنا،فان كان ذلك منهما،فافزعوا إلى اللّه و راجعوه».و قال الرضا (ع):«إنما جعلت للكسوف صـلاه،لأنه من آيات اللّه تعالى،لا يـدرى ألرحمه ظهرت أم لعذاب،فاحب النبى(ص)أن يفزع أمته إلى خالقه و راحمه عند ذلك،ليصرف عنهم شرها،و يقيهم مكروهها،كما صرف عن قوم يونس(ع)حين تضرعوا إلى اللّه تعالى».

المقصد الثالث الذكر -فضيله الاذكار -الدعاء

اشاره

اعلم انه ينبغى لكـل مؤمن أن يكثر من الـذكر و الـدعاء،لاـ سـيما عقيب الصـلاه المفروضه.و قـد ورد فى فضائلهما من الآيات و الأخبار ما لا يمكن احصاؤه،و لاشتهارها لا حاجه إلى ذكرها هنا.

فصل (الذكر)

اشاره

أمـا الـذكر،فالنـافع منه هـو الـذكر على الـدوام،أو فى أكـثر الأوقـات،مـع حضور القلب،و فراغ البـال،و التوجه الكلى إلى الخـالق المتعال،حتى يتمكن المذكور فى القلب،و تتجلى عظمته الباهره عليه،

و ینشرح الصدر بشروق نوره علیه،و هو غایه ثمره العبادات.و للذکر أول و آخر،فاوله یوجب الانس و الحب،و آخره یوجبه الأنس و الحب.

و المطلوب منه ذلک الحب و الانس.فان العبد فی بداءه الأمر یکون متکلفا بصرف قلبه و لسانه عن الوسواس و الفضول إلی ذکر اللّه،فان وفق للمداومه أنس به و انغرس فی قلبه حب المذکور.و من أحب شیئا أکثر ذکره،و من أکثر ذکر شیء،و ان کان تکلفا،أحبه.و من هنا قال بعضهم:«کاءدت القرآن عشرین سنه،ثم تنعمت به عشرین سنه».و لا تصدر النعم إلا من الأنس و الحب،و لا یصدر الانس و الحب إلا من المداومه علی المکاءده و التکلف مده طویله،حتی یصیر التکلف طبعا.

و کیف یستبعد هذا و قد یتکلف الإنسان تناول طعام یستبشعه أولا،و یکائد اکله،و یواظب علیه،فیصیر موافقا للطبعه حتی لا یصبر عنه؟فالنفس تصیر معتاده متحمله لما تکلفت:«هی النفس ما عودتها تتعود».

ثم إذا حصل الانس بذکر اللّه انقطع عن غیر اللّه،و ما سوی اللّه یفارقه عند الموت،و لا یبقی إلا ذکر اللّه،فان کان قد انس به تمتع به و تلذذ بانقطاع العوائق الصارفه عنه،إذ ضرورات الحاجات فی الحیاه تصد عن ذکر اللّه،و لا یبقی بعد الموت عائق،فکأنه خلی بینه و بین محبوبه،فعظمت غبطته،و تخلص من السجن الذی کان ممنوعا فیه عما به انسه، و هذا الانس یتلذذ به العبد بعد موته إلی ان ینزل فی جوار الله،و یترقی من الذکر إلی اللقاء، قال الصادق(ع):«من کان ذاکرا للّه علی الحقیقه فهو مطیع،و من کان غافلا عنه فهو عاص،و الطاعه علامه الهدایه،و المعصیه علامه الضلاله،و اصلهما من الذکر و الغفله،فاجعل قلبک قبله للسانک، و لا تحرکه إلا باشاره القلب،و موافقه العقل،و رضا الایمان،فان اللّه

تعالی عالم بسرک و جهرک،و کن کالنازع روحه،او کالواقف فی العرض الاکبر،غیر شاغل نفسک عما عناک مما کلفک به ربک فی أمره و نهیه و وعده و وعیده،و لا تشغلها بدون ما کلفک به ربک،و اغسل قلبک بماء الحزن،و اجعل ذکر اللّه تعالی من اجل ذکره تعالی إیاک،فانه ذکرک و هو غنی عنک،فذکره لک اجل و اشهی و اثنی و أتم من ذکرک له و اسبق، و معرفتک بذکره لک تورثک الخشوع و الاستحیاء و الانکسار،و یتولد من ذلک رؤیه کرمه و فضله السابق،و تصغر عند ذلک طاعتک و إن کثرت فی جنب منته،و تخلص لوجهه،و رؤیتک ذکرک له،یورثک الریاء و العجب و السفه و الغلظه فی خلقه،و استکثار الطاعه و نسیان فضله و کرمه،و لا تزداد بذلک من اللّه تعالی إلا بعدا،و لا تستجلب به علی مضی الأیام إلا وحشه.و الذکر ذکران:ذکر خالص بموافقه القلب،و ذکر صارف لک ینفی ذکر غیره،کما قال رسول اللّه(ص):(انا لا أحصی ثناء علیک، انت کما أثنیت علی نفسک).فرسول اللّه(ص)لم یجعل لذکره اللّه عز و جل مقدارا عند علمه بحقیقه سابقه ذکر اللّه عز و جل من قبل ذکره،و من دونه أولی،فمن أراد ان یذکر اللّه تعالی،فلیعلم انه ما لم یذکر اللّه العبد بالتوفیق لذکره،لا یقدر العبد علی ذکره» (1).

تتمیم (فضیله الاذکار)

الاذکار کثیره،کالتهلیل،و التسبیح،و التحمید،و التکبیر،

ص:364

---

1 – 1) الحدیث مذکور فی(مصباح الشریعه):الباب 5-136.و فی (المستدرک):1-401،کتاب الصلاه،ابواب الذکر.و فی الموضعین اختلاف یسیر،فصححناه علی(مصباح الشریعه)،الموضع المذکور.

و الحوقله،و التسبيحات الأربع،و أسماء اللّه الحسنى،و غير ذلك.و قد وردت فى فضيله كل منها أخبار كثيره،و المواظبه على كل منهـا توجب صـفاء النفس و انشـراح الصـدر،و كلمـا كـانت أدل على غـايه العظمه و الجلال و العزه و الكمال،فهى أفضل.و لـذا صرحوا بـأن أفضـل الاذكـار التهليل،لـدلالته على توحـده فى الألوهيه،و اسـتناد الكل إليه.و ربما كان بعض أسـماء اللّه تعالى فى مرتبته أدل،و العـارف السالـك إلى اللّه يعلم:أنه قـد ينبعث فى القلب من عظمه اللّه و جلاله و شـده كبريائه و كماله ما لا يمكن التعبير عنه باسم.

فصل (الدعاء)

و أما الدعاء،فهو مخ العباده،و لذا ورد فى فضـله ما ورد من الآيات و الأخبار،و لا حاجه إلى ذكرها لاشـتهارها.و الأدعيه المأثوره كثيره مـذكوره فى كتب الـدعوات،و لاـ يتصور مطلب من مطـالب الـدنيا و الآخره إلا و قـد وردت به أدعيه،فمن أراد شـيئا منها فليأخذ من مواضعها.

و مما ينبغى لكل داع،أن يراعى شـرائط و آدابا فى الدعاء،حتى يستجاب له، و يصل إلى فائدته،و تحصل لنفسه نورانيه،و هى أن يترصـد لـدعائه الأوقات الشـريفه،و الأحوال الشـريفه،و الاماكن المتبركه المشـرفه، و ان يدعو متطهرا، مسـتقبل القبله، رافعا يديه بحيث يرى بـاطن إبطيه، و ان يخفض صوته بين الجهر و الاخفـات، و لاـ يتكلف السـجع فى دعـائه، و يكون فى غايه التضـرع و الخشوع و الرهبه،و أن يجزم و يتيقن إجابه دعائه، و يصـدق رجاءه فيه، و ان يلـح فى الـدعاء،و يكرره ثلاثا، و يفتح الدعاء بذكر اللّه و تمجيده،و لا يبتدئ بالسؤال، و أن يتوب،و يرد مظالم العباد، و يقبل على اللّه بكنه الهمه،و هو السبب القريب للاجابه، و ان

یکون مطعمه و ملبسه من الحلال،و هو أیضا من عمده الشرائط، و أن یسمی حاجته، و یعم فی الدعاء، و یبکی عنده،و هو أیضا سید الآداب، و ان یتقدم فی الدعاء قبل الحاجه إلیه، و ألا یعتمد فی حوائجه علی غیر اللّه تعالی،قال الصادق(ع):«احفظ أدب الدعاء،و انظر من تدعو،و کیف تدعو،و لما ذا تدعو،و حقق عظمه اللّه و کبریاءه،و عاین بقلبک علمه بما فی ضمیرک،و اطلاعه علی سرک و ما تکن فیه من الحق و الباطل،و اعرف طرق نجاتک و هلاکک،کیلا تدعو اللّه بشیء عسی فیه هلاکک و أنت تظن أن فیه نجاتک،قال اللّه تعالی:

وَ یَدْعُ الْإِنْسٰانُ بِالشَّرِّ دُعٰاءَهُ بِالْخَیْرِ وَ کٰانَ الْإِنْسٰانُ عَجُولاً

(۱)

.

و تفکر ما ذا تسأل،و لما ذا تسأل.و الدعاء استجابه الکل منک للحق، و تذویب المهجه فی مشاهده الرب،و ترک الاختیار جمیعا،و تسلیم الأمور کلها-ظاهرها و باطنها-الی اللّه تعالی،فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابه،فانه یعلم السر و أخفی،فلعلک تدعوه بشیء قد علم من سرک خلاف ذلک.و اعلم انه لو لم یکن اللّه أمرنا بالدعاء،لکنا إذا اخلصنا الدعاء تفضل علینا بالإجابه،فکیف و قد ضمن ذلک لمن أتی بشرائط الدعاء،و سئل رسول اللّه(ص)عن اسم اللّه الأعظم،فقال:(کل اسم من أسماء اللّه أعظم).ففرغ قلبک عن کل ما سواه،و ادعه بأی اسم شئت، فلیس فی الحقیقه للّه اسم دون،بل هو اللّه الواحد القهار.و قال النبی(ص):

(إن الله لا یستجیب دعاء من قلب لاه).فإذا اتیت بما ذکرت لک من

۱- ۱) الاسراء،الآیه:۱۱.

شرائط الدعاء،و اخصلت سرک لوجهه،فأبشر بإحدی ثلاث:إما ان یعجل لک بما سألت،و إما ان یدخر لک بما هو أفضل منه،و إما ان یصرف عنک من البلاء ما لو أرسله علیک لهلکت» (۱). و سئل من الصادق(ع):

ما لنا ندعوا و لا یستجیب لنا؟فقال:«لانکم تدعون من لا تعرفونه، و تسألون من لا تفهمونه،فالاضطرار عین الدین،و کثره الدعاء مع العمی عن اللّه من علامه الخذلان،لان من لم یعرف ذله نفسه و قلبه و سره تحت قدره اللّه،حکم علی اللّه بالسؤال،و ظن ان سؤاله دعاء،و الحکم علی اللّه من الجرأه علی اللّه تعالی».

المقصد الرابع (تلاوه القرآن)

اعلم انه لاحد لثواب تلاوه القرآن،و الاخبار الوارده فی عظم اجره و وفور ثوابه لا تحصی کثره،و کیف لا یعظم أجره و هو کلام اللّه، حامله روح الأمین إلی سید المرسلین،فتأمل ان الکلام الصادر من اللّه بلا واسطه،إذا کان من حیث اللفظ معجزه لغایه فصاحته،و من حیث المعنی متضمنا لاصول حقائق المعارف و المواعظ و الاحکام،و مخبرا عن دقائق صنع اللّه،و عن مغیبات الأحوال و القصص الواقعه فی سوالف القرون و الاعوام،کیف یکون تأثیره للقلوب و تصفیته للنفوس؟.و بالجمله:العقل و النقل و التجربه شواهد متظاهره علی عظم ثواب تلاوه القرآن،و الاخبار الوارده فیه مشهوره،فلا حاجه إلی ذکرها،فلنشر إلی بعض ما یتعلق بالتلاوه من الآداب الظاهره و الباطنه:

۱- ۱) الحدیث مذکور فی(مصباح الشریعه):الباب ۱۹-۱۴۵-۱۴۶. و فیه اختلاف کثیر عما هنا،فصححناه علی(المصباح)،الموضع المذکور.

أمـا الآداب الظاهره،فالوضوء،و الوقوف على هيئه الادب، و الطمأنينه،إما قائما او جالسا،مسـتقبل القبله،مطرقا رأسه،غير متربع و لا متكئ،و الترتيـل و البكـاء،و الجهر المتوسـط لـو أمـن مـن الريـاء،و إلاـ فالسـر أفضـل،و تحسـين القراءه و تنزيههـا،و مراعـاه حق الآيـات،فـإذا مر بـآيه السـجود سـجد،و إذا مر بـآيه العـذاب اسـتعاذ منه باللّه،و إذا مر بآيه الرحمه و نعيم الجنه سأل اللّه تعالى ان يرزقه،و إذا مر بـآيه تسبيـح او تكبير سـبح و كبر،و إذا مر بـآيه دعـاء او اسـتغفار دعـا و اسـتغفر،و افتتـاح القراءه بقوله:(اعوذ باللّه السميع العليم من الشيطان الرجيم)،و أن يقول عند الفراغ من كل سوره:(صدق اللّه العلى العظيم و بلغ رسوله الكريم، اللهم انفعنا به و بارك لنا فيه،و الحمد للّه رب العالمين).

و اما الآداب و الأعمال الباطنه:

فمنهـا-فهم عظمه الكلاـم و علوه،و فضـل اللّه تعـالى و لطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاـله إلى درجه افهام خلقه:فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه الذى هو صفه قائمه بذاته إلى افهام خلقه،و كيف تجلت لهم تلك الصفه فى طى حروف و اصوات هى صفات البشر،إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات اللّه الا بوسيله صفات نفسه،و لو لا استتار كنه جمال كلامه بكسوه الحروف،لما ثبت سـماعه عرش و لا ثرى،و لا شـىء ما بينهما،من عظمه سـلطانه و سـبحات نوره،و لو لا تثبيت اللّه موسى (ع)لما اطاق سماع كلامه،كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا و لا يمكن تفهيم عظمه الكلام إلا بأمثله على حد فهم الخلق،و لهـذا عبر عنه بعض العارفين،فقال:«إن كل حرف من كلام اللّه فى اللوح أعظم من جبل قاف،و ان الملائكه لو اجتمعت على الحرف الواحد ان ينقلوه ما اطاقوه،

حتی یأتی أسرافیل،و هو ملک اللوح،فیرفعه.فنقله باذن اللّه و رحمته، لا بقوته و طاقته»‌.و إیصال معانی الکلام مع علو درجته إلی فهم الإنسان مع قصور رتبته،تشابه من درجه تصویت الإنسان البهائم و الطیور.فان الإنسان لما أراد تفهیم بعض الدواب و الطیور ما یرید من اقبالها و ادبارها و تقدیمها و تأخیرها،و کان تمییزها قاصرا عن فهم کلامه الصادر عن عقله مع حسنه و ترتیبه و بدیع نظمه،فینزل إلی درجه تمییز البهائم،و یوصل مقاصده إلیها بأصوات لائقه بها،من النفیر و الصغیر و الأصوات القریبه من أصواتها،یطیقون حملها.و کذلک الناس،لما کانوا عاجزین عن حمل کلام اللّه بکنهه و کمال صفاته،فتنزل من عرش العظمه و الجلال إلی درجه أفهامهم،فتجلی فی مظاهر الأصوات و الحروف،و قد یشرف الصوت لأجل الحکمه المحبوه فیه.فکما ان بدن البشر یکرم و یعزز لمکان الروح،فکذلک أصوات الکلام تشرف للحکمه التی فیها.و الکلام عالی المنزله،رفیع الدرجه،قاهر السلطان،نافذ الحکم فی الحق و الباطل،و هو القاضی العادل،یأمر و ینهی،و لا طاقه للباطل ان یقوم قدام کلام الحکمه کما لا یستطیع الظل ان یقوم قدام شعاع الشمس،و لا طاقه للناس أن ینفذوا غور الحکمه،کما لا طاقه لهم أن ینفذوا بأبصارهم ضوء عین الشمس،و لکنهم ینالون منها ما تقدر به أبصارهم و یستدلون به علی حوائجهم.فالکلام کالملک المحجوب،الغائب وجهه،المشاهد أمره، فهو مفتاح الخزائن النفیسه،و شراب الحیاه الذی من شرب منه لم یمت، و دواء الأسقام الذی من سقی منه لم یسقم.

و منها-تعظیم المتکلم:فینبغی للقارئ عند الابتداء بالتلاوه،أن یحضر فی قلبه عظمه المتکلم،و یعلم أنه لیس من کلام البشر،بل هو کلام

خالق الشمس و القمر،و فی تلاوه کلامه غایه الخطر،إذ کما لا ینبغی أن تمس جلده و ورقه و حروفه البشره المستقذره بخبث أو حدث،فکذلک لا ینبغی أن تقرأه الالسنه المستخبثه بقبائح الکلمات،و الا تحوم حول معناه القلوب المکدره برذائل الأخلاق و الصفات،فکما أنه لا یصلح لمس ظاهر خطه کل ید،بل هو محروس عن ظاهر بشره اللامس،إلا إذا کان متطهرا،فکذلک لا یصلح لتلاوه حروفه کل لسان،و لا لنیل معانیه کل قلب،بل باطن معناه لعلوه و جلاله محجوب عن باطن القلوب،إلا إذا کانت منقطعه عن کل رجس،مستنیره بنور التعظیم و التوقیر .و بالجمله:ینبغی ألا یترک عند التلاوه تعظیم المتکلم له،لیتحقق تعظیم الکلام أیضا،اذ تعظیم الکلام بتعظیم المتکلم،و لو لم تحضره عظمه المتکلم لغفله قلبه، فلیرجع إلی التفکر فی صفاته و افعاله،و یستحضر ان المتکلم هو الذی اوجد و اظهر بمجرد إرادته کل ما یشاهده و یسمعه،من العرش و الکرسی و السماوات و الأرضین،و ما فیها و ما تحتها و ما فوقها،و انه الخالق و الرازق للجمیع،و الکل فی قبضه قدرته مسخر أسیر،و مردد بین فضله و رحمته، و بین نقمته و سطوته،و جمیع ذلک لا نسبه له إلی عوالم المجردات.فالتفکر فی أمثال ذلک یوجب استشعار القلب لعظمه المتکلم و الکلام.و لمثل هذا التعظیم کان بعضهم إذا نشر المصحف للتلاوه غشی علیه،و یقول:(هو کلام ربی،هو کلام ربی!).

و منها-الخضوع و الرقه:قال الصادق(ع):«من قرأ القرآن،و لم یخضع و لم یرق قلبه،و لا ینشئ حزنا و وجلا فی سره،فقد استهان عظیم شأن اللّه تعالی،و خسر خسرانا مبینا.فقارئ القرآن محتاج إلی ثلاثه أشیاء:قلب خاشع،و بدن فارغ،و موضع خال.فإذا خشع للّه قلبه فر منه

الشيطان الرجيم،قال اللّه تعالی:

فَإِذٰا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطٰانِ الرَّجِيمِ

(۱)

.

فإذا تفرغ نفسه من الأسباب،تجرد قلبه للقراءه،فلا يعرضه عارض فيحرمه برکه نور القرآن و فوائده.فإذا اتخذ مجلسا خاليا،و اعتزل عن الخلق بعد ان أتی بالخصلتين:خضوع القلب و فراغ البدن،استأنس روحه و سره باللّه عز و جل،و وجد حلاوه مخاطبات اللّه عز و جل عباده الصالحين،و علم لطفه بهم و مقام اختصاصه لهم،بفنون کراماته،و بدائع اشاراته،فان شرب کأسا من هذا المشرب حينئذ،لا يختار علی ذلک الحال حالا،و لا علی ذلک الوقت وقتا،بل يؤثره علی کل طاعه و عباده،لان فيه المناجاه مع الرب بلا واسطه،فانظر کيف تقرأ کتاب ربک و منشور ولايتک،و کيف تجيب اوامره و نواهيه،و کيف تمتثل حدوده:

وَ إِنَّهُ لَكِتٰابٌ عَزِيزٌ، لاٰ يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

(۲)

.

فرتله ترتيلا،وقف عند وعده و وعيده،و تفکر فی أمثاله و مواعظه، و احذر أن تقع من اقامتک حروفه فی اضاعه حدوده» (۳).

و منها-حضور القلب،و ترک حديث النفس:و هو يترتب علی التعظيم،فان من يعظم شيئا،کلاما کان او غيره،يستبشر و يستأنس

۱- ۱) النحل،الآيه:۹۸.

۲- ۲) فصلت،الآيه:۴۱-۴۲.

۳- ۳) صححنا الحديث علی(مصباح الشريعه):الباب ۱۴-۱۴۲.

به،و لا یغفل عنه.و لا ریب فی ان القرآن یشتمل علی ما یستانس به القلب و تفرح به النفس،ان کان التالی أهلا له.

و منها-التدبر:و هو زائد علی حضور القلب،اذ التالی ربما لم یتفکر فی غیر القرآن،و لکنه اقتصر علی سماعه من نفسه،من دون تدبر فیه.و المقصود من تلاوه القرآن التدبر فیه فی الباطن،قال اللّه سبحانه:

أَ فَلاٰ یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلیٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا

(۱)

.

و قال أمیر المؤمنین(ع):«لا خیر فی عباده لا فقه فیها،و لا فی قراءه لا تدبر فیها».و إذا لم یتمکن من التدبر إلا بالتردید فلیردد.و لذلک کان الأکابر کثیرا ما یکررون بعض الآیات مرات کثیره للتدبر فیها،و ربما یقفون عند آیه مده مدیده،و قال بعضهم:«لی فی کل جمعه ختمه،و فی کل شهر ختمه،و فی کل سنه ختمه،ولی ختمه منذ ثلاثین ما فرغت منها بعد!»،و ذلک بحسب درجات تدبره و تفتیشه.

و منها-التفهم:و هو ان یستوضح من کل آیه ما یلیق بها.إذ القرآن یشتمل علی ذکر صفاته تعالی،و ذکر افعاله،و ذکر الجنه و النار،و أحوال النشأه الآخره،و ذکر أحوال أنبیائه،و أحوال المکذبین،و أنهم کیف اهلکوا،و ذکر احکامه و اوامره و نواهیه و غیر ذلک.فان مر بآیات صفاته تعالی،کقوله:

لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ

(۲)

.

ص:۳۷۲

۱- ۱) محمد-صلی اللّه علیه و آله-،الآیه:۲۴.

۲- ۲) الشوری،الآیه:۱۱.

و کقوله تعالی: اَلْمَلِکَ الْقُدُّوسُ السَّلاٰمُ... الی آخر الآیه (۱)،و غیر ذلک.

فلیتأمل فی معانی هذه الأسماء و الصفات،لتنکشف له أسرارها المکنونه تحتها،و لا تنکشف هذه الأسرار إلا للمؤیدین فی فهم کتاب اللّه.قال أمیر المؤمنین(ع):«ما أسر الی رسول اللّه(ص)شیئا کتمه عن الناس،إلا ان یؤتی اللّه عز و جل عبدا فهما فی کتابه». و إن مر بآیات الأفعال،ای الآیات الحاکیه عن خلقه السماوات و الأرض، و ما فیهما من الملائکه و الکواکب و الجبال و الحیوان و النبات،و ما بینهما من السحب و الغیوم و الریاح و الامطار و غیر ذلک،فلیفهم التالی منها عظمه اللّه و جلاله.إذ الفعل یدل علی الفاعل،فعظمته تدل علی عظمته.و ینبغی ان یشهد فی الفعل الفاعل دون الفعل،إذ من عرف الحق رآه فی کل شیء، إذ کل شیء منه و به و إلیه و له،فهو الکل فی وحده،و من لا یراه فی کل ما یراه فکأنه ما عرفه،و من عرفه عرف ان کل شیء ما خلا اللّه باطل،و ان کل شیء هالک إلا وجهه،و ان اعتبر من حیث هو،إذ مع قطع النظر عن الواجب و ایجاده،لا ذات و لا وجود،بل محض العدم و عدم المحض.فذات کل شیء و وجوده و ثباته و بقاؤه باللّه العلی العظیم.فإذا قرأ التالی آیه تدل علی شیء من عجائب صنعه و غرائب فعله،فلیتأمل فی تلک العجائب،ثم یترقی منها الی اعجب العجائب،و هی الصفه التی صدرت منها هذه الاعاجیب.و إذا سمع وصف الجنه و النار و سائر أحوال الآخره،فلیتذکر ان ما فی هذا العالم من النعم و النقم لا نسبه له إلی ما فی عالم الآخره،فلینتقل من ذلک

۱- ۱) الحشر،الآیه:۲۳.

إلی عظمه اللّه تعالی،و ینقطع إلیه باطنا،لیخلصه من عقوبات تلک النشأه، و یوصله إلی نعیمها و لذاتها.و إذا سمع أحوال الأنبیاء-علیهم السلام-،من تکذیبهم و ضربهم و قتلهم،فلیفهم منه صفه الاستغناء للّه تعالی من الرسل و المرسل الیهم،و انه لو أهلک جمیعهم لا یؤثر فی ملکه،و إذا سمع نصرتهم فی الامر،فلیفهم قدره اللّه و إرادته لنصره الحق،و اما أحوال المکذبین، و ما جری علیهم من العقوبات و ضروب النکال،فلیستشعر الخوف من سطوته و نقمته،و یعتبر فی نفسه،و یعلم انه غفل و اساء الادب،و اغتر بما امهل،فربما تدرکه النقمه.و کذلک إذا سمع الوعد و الوعید و الامر و التهدید.فلا یمکن استقصاء ما یفهم من القرآن،لانه لا نهایه له،إذ (لا رطب و لا یابس إلا فی کتاب مبین).

قُلْ لَوْ کٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِکَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِمٰاتُ رَبِّی

(۱)

.

و لکل عبد منه بقدر استعداده و مقدار فهمه و صفاء نفسه.

و منها-التخلی عن موانع الفهم:و هی التقلید و التعصب لمذهب، فان ذلک بمنزله حجاب لمرآه النفس یمنعها عن انعکاس غیر معتقدها فیها، و الجمود علی تفسیر ظاهر،ظانا ان غیره تفسیر بالرأی لا یجوز ارتکابه، و صرف الهمه و الفهم إلی تحقیق الحروف و ما یتعلق بها من الأمور المتداوله بین القراء،فان قصر التأمل علی ذلک مانع من انکشاف المعانی، و الإصرار علی الذنوب الظاهره و الباطنه،و متابعه الشهوات المظلمه للقلب الموجبه للحرمان عن انکشاف الاسرار و الحقائق فیه،و اشراق المعارف الحقه علیه.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«اذا عظمت

۱- ۱) الکهف،الآیه:۱۱۰.

أمتى الـدينار و الدرهم،تنزع منها هيبه الإسـلام،و إذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركه الوحى».و قد شـرط اللّه تعالى الإنابه فى الفهم و التذكر، قال اللّه تعالى:

تَبْصِرَةً وَ ذِكْرىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ

(۱)

.و قال تعالى: وَ مٰا يَتَذَكَّرُ إِلاّٰ مَنْ يُنِيبُ (۲).و قال تعالى:

إِنَّمٰا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبٰابِ

(۳)

.

و منهـا-التخصـيص:و هو ان يقـدر انه المقصود بكـل خطـاب فى القرآن،من الامـر و النهى و الوعـد و الوعيـد،حـتى انه لو سـمع قصص الأولين،يجزم بأن المقصود الاعتبار دون مجرد الحكايه و التشمر.فما من قصه فى القرآن إلا و سياقها الفائده فى حق النبى و أمته،و لذلك قال سبحانه:

مٰا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤٰادَكَ

(۴)

فان القرآن جميعه هدى و شـفاء و رحمه،و نور و موعظه و بصائر للعالمين.فكل أحد إذا قرأه ينبغى ان تكون قراءته كقراءه العبد كتـاب مولاـه الـذى كتـب إليـه ليتـأمله و يعمـل بمقتضاه.قـال بعض الأكـابر:«هــذا القرآن رسائـل أتتنـا مـن قبـل ربنـا عز و جل بعهوده،فتتدبرها فى الصلوات، و نقف عليها فى الخلوات،و ننفذها فى الطاعات بالسنن المتبعات».

و منهـا-التـأثر:و هو ان يتـاثر قلبه بآثـار مختلفه بحسب اختلاـف الآيـات،فيكون له بحسب كـل فهم حـال:من الخوف،و الحزن،و الوجل،

ص:۳۷۵

۱- ۱) ق،الآيه:۸.

۲- ۲) المؤمن،الآيه:۱۳.

۳- ۳) الرعد،الآيه:۲۱.الزمر،الآيه:۹.

۴- ۴) هود،الآيه:۱۲۰.

و الوجد،و الفرح،و الارتياح،و الرجاء،و القبض،و الانبساط.فإذا سمع الوعيد،فليضطرب قلبه،و يتضاءل من الخوف كأنه يموت،و ان سمع و سعه الرحمه و وعد المغفره،فليفرح و يستبشر كأنه يطير من الابتهاج، و إذا سمع وصف الجنه،فلينبعث باطنه شوقا إليها،و إذا سمع وصف النار، فلترتعد فرائصه خوفا منها،و إذا سمع صفات اللّه و أسماءه و نعوت جلاله، فليتطأطأ خضوعا لجلاله و استشعارا لعظمته و كبريائه،و إذا سمع ذكر الكفار ما يستحل على اللّه من اتخاذ الولد و أمثاله،فليغض صوته و ينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم...و قس على ذلك غيره من الآيات المختلفه.

و مهمات تمت المعرفه،كانت الخشيه اغلب الأحوال على القلب،اذا التضيق غالب على آيات القرآن،إذ لا ترى ذكر المغفره و الرحمه إلا مقرونا بشروط يقصر الأكثرون عن نيلها،و لذلك كان فى الخائفين من يصير مغشيا عليه عند استماع آيات الوعيد،و منهم من مات بمجرد استماعها.و بالجمله:

المقصود الاصلى من القرآن،استجلاب هذه الأحوال إلى القلب و العمل به،و إلا فالمؤنه بتحريك اللسان بحروفه خفيفه.و حق تلاوه القرآن ان يشترك فيها اللسان و العقل و القلب.فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، و حظ العقل إدراك المعانى،و حظ القلب الاتعاظ و التأثر بالحالات المذكوره.فاللسان واعظ القلب،و العقل مترجم،و القلب متعظ.

و منها-الترقى:و هو ان يترقى إلى ان يسمع الكلام من اللّه تعالى،لا من نفسه.فدرجات القراءه ثلاث: الأولى:و هى ادناها،ان يقدر العبد أنه يقرؤه على اللّه تعالى واقفا بين يديه،و هو ناظر إليه و مستمع منه، فتكون حاله-على هذا التقدير-التملق و السؤال و التضرع و الابتهال.

الثانيه:ان يشهد بقلبه،كأن ربه يخاطبه بألطافه،و يناجيه بإحسانه

و إنعامه،فمقامه الهیبه و الحیاء و التعظیم و الإصغاء. الثالثه:ان یری فی الکلام المتکلم،و فی الکلمات الصفات،فلا ینظر إلی نفسه و إلی تلاوته، و لا ـ إلی تعلق الانعام به من حیث إنه منعم علیه،بل یکون مقصور الهم علی التکلم،موقوف الفکر علیه،کأنه مستغرق بمشاهده المتکلم من غیره.

و هذه درجه المقربین و الصدیقین و ما قبله من درجات أصحاب الیمین،و ما خرج عن ذلک فهو درجات الغافلین.و قد أخبر عن الدرجه العلیا سید الشهداء-ارواحنا فداه-حیث قال(ع):«الذی تجلی لعباده فی کتابه،بل فی کل شیء،و أراهم نفسه فی خطابه،بل فی کل نور».

و أشار إلیها الامام أبو عبد اللّه الصادق(ع)حیث قال:«و اللّه لقد تجلی اللّه عز و جل لخلقه فی کلامه!و لکن لا یبصرون».و روی:«أنه لحقته حاله فی الصلاه حتی خر مغشیا علیه،فلما سری عنه،قیل له فی ذلک، فقال(ع):ما زلت أردد الآیه علی قلبی،حتی سمعتها من المتکلم بها،فلم یثبت جسمی لمعاینه قدرته»أو فی مثل هذه الدرجه تشتد البهجه،و تعظم الحلاوه و اللذه.و لذلک قال بعض الحکماء:«کنت اقرأ القرآن،فلا اجد له حلاوه،حتی تلوته کأنی أسمعه عن رسول اللّه(ص)یتلوه علی أصحابه،ثم رفعت إلی مقام فوقه،فکنت اتلوه کأنی اسمعه من جبرئیل یلقیه علی رسول اللّه(ص)،فعندها وجدت لذه و نعیما لا اصبر عنه».و قال حذیفه:«لو طهرت القلوب،لم تشبع من قراءه القرآن».و ذلک لأنها بالطهاره تترقی إلی مشاهده المتکلم فی الکلام،بل التوحید الخالص للعبد ألا یری فی کل شیء إلا اللّه،إذ لو رأی غیره و لا من حیث إنه منه و له و به و إلیه،کان مشرکا بالشرک الخفی.

و منها-التبری:و هو ان یتبری من حوله و قوته،و لا یلتفت

إلی نفسه بعین الرضا و التزکیه.فإذا قرأ آیات الوعد و مدح الأخیار، فلا یشهد نفسه و لا یدخلها فی زمرتهم،بل یشهد أهل الصدق و الیقین، و یتشوق إلی ان یلحقه اللّه بهم.و إذا قرأ آیات المقت و الوعید،و ذم العصاه و المقصرین،شهد نفسه هناک،و قدر انه المخاطب خوفا و اشفاقا و إلی هذا أشار مولانا أمیر المؤمنین(ع)،حیث قال فی صوف المتقین:

«و إذا مروا بآیه فیها تخویف،أصغوا إلیها مسامع قلوبهم،و ظنوا ان زفیر جهنم فی آذانهم». فإذا رأی القارئ نفسه بصوره التقصیر فی القراءه، کانت رؤیته سبب قربه.فان من شهد البعد فی القرب،لطف له بالخوف، حتی یسوقه إلی درجه أخری فی القرب وراءها،و من شهد القرب فی البعد،مکر به بالأمن الذی یفضیه إلی درجه أخری فی البعد اسفل مما هو فیه.و مهما کان مشاهدا نفسه بعین الرضا،صار محجوبا بنفسه.فإذا جاوز حد الالتفات إلی نفسه،و لم یشاهد الا اللّه تعالی فی قراءته،کشف له سر الملکوت بحسب أحواله،فحیث یتلو آیات الرحمه و الرجاء،یغلب علی حاله الاستبشار،و تنکشف له صوره الجنه،فیشاهدها کأنه یراها عیانا،و ان غلب علیه الخوف،کوشف بالنار،حتی یری أنواع عذابها، و ذلک لأن کلام اللّه عز و جل یشتمل علی السهل اللطیف،و الشدید العسوف،و المرجو و المخوف،و ذلک بحسب اوصافه،إذ منها الرحمه و اللطف.

و منها-القهر و البطش و الانتقام:فبحسب مشاهده الکلمات و الصفات ینقلب القلب فی اختلاف الحالات،و بحسب کل حاله منها یستعد للمکاشفه بأمر یناسب تلک الحاله،إذ یمتنع أن یکون حال المستمع واحدا و المسموع مختلفا،إذ فیه کلام راض،و کلام غضبان،و کلام منعم،

و کلام منتقم،و کلام جبار متکبر لا یبالی،و کلام منان متعطف لا یهمل.

المقصد الخامس (الصوم)

اشاره

اعلم ان الصوم أجره عظیم،و ثوابه جسیم،و ما یدل علی فضله من الآیات و الاخبار أکثر من ان یحصی،و هی معروفه مشهوره،فلا حاجه الی ذکرها،فلنشر إلی ما یتعلق به من الأمور الباطنه:

فصل (ما ینبغی للصائم)

ینبغی للصائم ان یغض بصره عن کل ما یحرم النظر إلیه،او یکره، أو یشغل القلب و یلهیه عن ذکر اللّه تعالی،و یحفظ اللسان عن جمیع آفاته المتقدمه،و یکف السمع عن کل ما یحرم او یکره استماعه،و یکف بطنه عن الحرام و الشبهات،و یکف سائر جوارحه عن المکاره.و قد ورد فی اشتراط جمیع ذلک فی الصوم فی ترتب کمال الثواب علیه اخبار کثیره.و ینبغی أیضا ألا یستکثر من الحلال وقت الإفطار بحیث یمتلئ،إذ ما من وعاء ابغض إلی اللّه عز و جل من بطن ملئ من حلال،کیف و السر فی شرع الصوم قهر عدو اللّه،و کسر الشهوه و الهوی،لتتقوی النفس علی التقوی، و ترتقی من حضیض حظوظ النفس البهیمیه إلی ذروه التشبیه بالملائکه الروحانیه،و کیف یحصل ذلک إذا تدارک الصائم عند الإفطار ما فاته ضحوه نهاره،لا سیما إذا زید علیه فی ألوان الطعام،کما استمرت العادات فی هذه الأعصار،و ربما یؤکل من الأطعمه فی شهر رمضان ما لا یؤکل فی عده شهور.و لا ریب فی ان المعده إذا خلیت من ضحوه النهار إلی العشاء،حتی

هـاجت شـهوتها و قويت رغبتهـا،ثم اطعمت من اللـذات،و أشـبعت من ألوان المطاعم،و جمع ما كان يأكل ضـحوه إلى ما يأكل ليلا،و أكل الجميع فى الليل مره او مرتين او أكثر،زادت لذتها،و تضاعفت قوتها،و انبعث من الشـهوات ما عساها كانت راكده لو تركت على عادتهـا،فلاـ يحصـل مـا هو المقصود من الصوم،اعنى تضـعيف القوى الشـهويه التى هى وسائل الشـيطان، فلا بـد من التقليـل،و هو ان يأكـل فى مجموع الليله أكلته التى كـان يأكلهـا كـل ليله لو لم يصم،من دون ضم مما يأكل فى النهار إليه،حتى ينتفع بصومه. و الحاصل:ان روح الصوم و سره،و الغرض الأصلى منه:

التخلق بخلق من أخلاق الله تعالى،اعنى الصـمديه،و الاقتداء بالملائكه فى الكلف عن الشـهوات بقدر الإمكان،و هذا إنما يحصل بتقليـل الأكـل عما يأكله فى غير وقت الصوم،فلا جـدوى لمجرد تأخير اكله و جمع أكلتين عنـد العشاء،ثم لو جعل سـر الصوم ما يظهر من بعض الظواهر،من ادراك الأغنياء ألم الجوع و الانتقال منه إلى شـده حال الفقراء،فيبعثهم ذلك على مواساتهم بالاموال و الاقوات،فهو أيضا لا يتم بدون التقليل فى الأكل.

فصل (ما ينبغى للصائم عند الإفطار)

ينبغى لكل صائم أن يكون قلبه بعد الإفطار مضـطربا،معلقا بين الخوف و الرجاء،إذ ليس يدرى أ يقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين،و ليكن الحال كذلك فى آخر كل عباده يفرغ منها.

روى:«أن الامـام ابـا محمـد الحسن المجتبى(ع)مر بقوم يوم العيـد و هم يضـحكون، فقـال(ع):إن اللّه تعـالى جعـل شـهر رمضـان مضمارا لخلقه،يستبقون فيه لطاعته،فسبق اقوام ففازوا،و تخلف أقوام فخابوا،فالعجب كل

العجب للضاحک اللاعب فی الیوم الذی فاز فیه المسارعون،و خاب فیه المبطلون،اما و اللّه لو کشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه،و المسیء عن اساءته!»،ای کان سرور المقبول یشغله عن اللعب،و حسره المردود تسد علیه باب الضحک.

فصل (درجات الصوم)

اشاره

للصوم ثلاث درجات:

الأولی-صوم العموم:و هو کف البطن و الفرج عن قضاء الشهوه، و هذا لا یفید أزید من سقوط القضاء و الاستخلاص من العذاب.

الثانیه-صوم الخصوص:و هو الکف المذکور،مع کف البصر و السمع و اللسان و الید و الرجل و سائر الجوارح عن المعاصی،و علی هذا الصوم تترتب المثوبات الموعوده من صاحب الشرع.

الثالثه-صوم خصوص الخصوص:و هو الکفان المذکوران، مع صوم القلب عن الهمم الدنیه،و الأخلاق الردیه،و الافکار الدنیویه، و کفه عما سواه بالکلیه،و یحصل افطر فی هذا الصوم بالفکر فی ما سوی اللّه و الیوم الآخر،و حاصل هذا الصوم إقبال بکنه الهمه علی اللّه، و انصراف عن غیر اللّه،و تلبس بمعنی قوله تعالی: قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ» ، و هذا درجه الأنبیاء و الصدیقین و المقربین،و یترتب علیه الوصول إلی المشاهده و اللقاء،و الفوز بما لا عین رأت،و لا أذن سمعت،و لا خطر علی قلب أحد.و إلی هذا الصوم أشار مولانا الصادق(ع)حیث قال:

«قال النبی(ص):الصوم جنه،أی ستر من آفات الدنیا و حجاب من

عـذاب الآـخره،فـإذا صـمت فـانو بصومـک کف النفس عن الشـهوات، و قطع الهمه عن خطرات الشـياطين،و انزل نفسک منزله المرضـی، و لا تشـتهی طعاما و لا شـرابا،و توقع فی کل لحظه شـفاءک من مرض الذنوب، و طهر باطنک من کل کدر و غفله و ظلمه يقطعک عن معنی الإخلاص لوجه اللّه.قال رسول اللّه(ص):قال اللّه تعالی:الصوم لی و انا اجزی به.

و الصوم يميت مراد النفس و شـهوه الطبع،و فيه صـفاء القلب،و طهـاره الجوارح،و عمـاره الظـاهر و الباطن،و الشـکر علی النعم و الإحسـان إلی الفقراء،و زيـاده التضـرع و الخشوع و البکـاء،و حبـل الالتجاء إلی اللّه، و سـبب انکسار الهمه،و تخفيف الحساب،و تضعيف الحسنات،و فيه من الفوائد ما لا يحصی و لا يعد،و کفی بما ذکرنا لمن عقله و وفق لاستعماله» (۱).

تتميم

من صـام شـهر رمضان اخلاصا للّه و تقربا إليه،و طهر باطنه من ذمائم الأخلاق،و کف ظاهره عن المعاصـی و الآثام،و اجتنب عن الحرام، و لم يأکل إلا الحلال،و لم يفرط فی الأکل،و واظب علی جمله من النوافل و الأدعيه و سائر الآداب المسـنونه فيه،استحق للمغفره و الخلاـص عن عـذاب الآـخره،بمقتضـی الاخبـار المتواتره.ثم إن کـان من العوام، حصـل له من صـفاء النفس ما يوجب اسـتجابه دعوته،و ان کـان من أهـل المعرفه،فعسـی الشـيطان لا يحوم علی قلبه،فينکشف له شـیء من الملکوت، لا سـيما فی ليله القدر،إذ هی الليله التی تنکشف فيها الاسرار،و تفيض علی

۱- ۱) صححنا الحديث علی(مصباح الشريعه):الباب ۲۰.و علی(المستدرک): ۱-۵۸۹-۵۹۰،کتاب الصوم.

القلوب الطاهره الأنوار،و المناط و العمده فی نیل ذلک تقلیل الأکل بحیث یحس ألم الجوع،إذ من جعل بین قلبه و بین صدره مخلاه من الطعام فهو محجوب عن عوالم الأنوار،و یستحیل ان ینکشف له شیء من الاسرار.

المقصد السادس (الحج)

اشاره

اعلم ان الحج أعظم ارکان الدین،و عمده ما یقرب العبد إلی رب العالمین،و هو أهم التکالیف الإلهیه و اثقلها،و اصعب العبادات البدنیه و افضلها،و أعظم بعباده ینعدم بفقدها الدین،و یساوی تارکها الیهود و النصاری فی الخسران المبین.و الاخبار التی وردت فی فضیلته و فی ذم تارکه کثیره مذکوره فی کتب الاخبار،و الاحکام و الشرائط الظاهره له علی عهده الفقهاء،فلنشر إلی الاسرار الخفیه،و الاعمال الدقیقه، و الآداب الباطنه،التی یبحث عنها أرباب القلوب:

فصل (الغرض من ایجاد الإنسان)

اعلم ان الغرض الاصلی من ایجاد الإنسان معرفه اللّه و الوصول إلی حبه و الانس به،و الوصول إلیه بالحب و الانس یتوقف علی صفاء النفس و تجردها.فکلما صارت النفس أصفی و أشد تجردا،کان انسها و حبها باللّه أشد و أکثر.و صفاء النفس و تجردها موقوف علی التنزه عن الشهوات،و الکف عن اللذات،و الانقطاع عن الحطام الدنیویه،و تحریک الجوارح و ایقاعها لاجله فی الاعمال الشاقه،و التجرد لذکره و توجیه القلب إلیه.و لذلک شرعت العبادات المشتمله علی هذه الأمور،اذ بعضها

إنفاق المال و بذله،الموجب للانقطاع عن الحطام الدنيه،كالزكاه و الخمس و الصدقات،و بعضها الكف عن الشهوات و اللذات،كالصوم،و بعضها التجرد لذكر اللّه و توجيه القلب إليه،و ارتكاب تحريك الأعضاء و تعبها، كالصلاه،و الحج من بينها مشتمل على جميع هذه الأمور مع الزياده،إذ فيه هجران اوطان،و إتعاب أبدان،و إنفاق أموال،و انقطاع آمال، و تحمل مشاق،و تجديد ميثاق،و حضور مشاعر،و شهود شعائر،و يتحقق فى أعماله التجرد لذكر اللّه،و الإقبال عليه بضروب الطاعات و العبادات،مع كون أعماله أمورا لا تأنس بها النفوس،و لا تهتدى إلى معانيها العقول،كرمى الجمار بالاحجار،و التردد بين الصفا و المروه على سبيل التكرار،اذ بمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق و العبوديه،فان سائر العبادات اعمال و افعال يظهر وجهها للعقل،فللنفس إليها ميل،و للطبع بها انس.

و أما بعض اعمال الحج،كرمى الجمار و ترددات السعى،فلا حظ للنفس و لا انس للطبع فيها،و لا اهتداء للعقل إلى معانيها،فلا يكون الاقدام عليها الا لمجرد الامر و قصد الامتثال له من حيث إنه امر واجب الاتباع،ففيها عزل العقل عن تصرفه،و صرف النفس و الطبع عن محل انسه،فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما،فيكون ذلك الميل معينا للامتثال،فلا يظهر به كمال الرق و الانقياد،و لذلك قال النبى (ص)فى الحج على الخصوص:«لبيك بحجه حقا و تعبدا ورقا!»،و لم يقل ذلك فى غيره من العبادات.فمثل هذه العباده-أى ما لم يهتد العقل الى معناه و وجهه-أبلغ أنواع العبادات فى تزكيه النفوس و صرفها عن مقتضى الطبع و البغى إلى الاسترقاق،فتعجب بعض الناس من هذه الافعال العجيبه مصدره الجهل باسرار التعبدات،و هذا هو السر فى وضع الحج،

مع دلاله کل عمل من أعماله علی بعض أحوال الآخره،او فی بعض أسرار أخر-کما یأتی-ما فیه من اجتماع أهل العالم فی موضع تکرر فیه نزول الوحی،و هبوط جبرئیل و غیره من الملائکه المقربین علی رسوله المکرم، و من قبله علی خلیله المعظم-علیهما أفضل الصلاه-،بل لا یزال مرجعا و منزلا لجمیع الأنبیاء،من آدم إلی خاتم،و مهبطا للوحی،و محلا لنزول طوائف الملائکه.و قد تولد فیه سید الرسل(ص)و توطأت أکثر مواضعه قدمه الشریفه و أقدام سائر الأنبیاء،و لذلک سمی ب(البیت العتیق)،و قد شرفه اللّه تعالی بالإضافه إلی نفسه،و نصبه مقصدا لعباده،و جعل ما حوالیه حرما لبیته،و تفخیما لامره،و جعل عرفات کالمیدان علی فناء حرمه،و اکد حرمه الموضع بتحریم صیده و قطع شجره،و وضعه علی مثال حضره الملوک،فقصده الزوار من کل فج عمیق،و من کل أوب سحیق،شعثاء غبراء،متواضعین لرب البیت،و مستکنین له،خضوعا لجلاله،و استکانه لعزته و عظمته،مع الاعتراف بتنزهه عن ان یحومه بیت او یکتنفه بلد.

و لا ریب فی ان الاجتماع فی مثل هذا الموضع،مع ما فیه من حصول المؤالفه و المصاحبه،و مجاوره الابدال و الاوتاد و الأخیار المجتمعین من أقطار البلاد،و تظاهر الهمم،و تعاون النفوس علی التضرع و الابتهال و الدعاء الموجب لسرعه الإجابه،بذکر النبی(ص)و اجلاله،و نزول الوحی علیه،و غایه سعیه و اهتمامه فی اعلاء کلمه اللّه و نشر احکام دینه، فتحصل الرقه للقلب،و الصفاء للنفس.ثم لکون الحج أعظم التکلیفات لهذه الأمه،جعل بمنزله الرهبانیه فی الملل السالفه،فان الأمم الماضیه إذا أرادوا العمل لا صعب التکلیف و اشقها علی النفس،انفردوا عن الخلق،

و انحازوا إلی قلل الجبال،و آثروا التوحش عن الخلق بطلب الانس باللّه، و التجرد له فی جمیع الحرکات و السکنات،فترکوا اللذات الحاضره،و ألزموا أنفسهم الریاضات الشاقه،طمعا فی الآخره،و قد اثنی اللّه علیهم فی کتابه،و قال:

ذٰلِکَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّیسِینَ وَ رُهْبٰاناً وَ أَنَّهُمْ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ

(۱)

.و قال تعالی: وَ رَهْبٰانِیَّهً ابْتَدَعُوهٰا مٰا کَتَبْنٰاهٰا عَلَیْهِمْ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ رِضْوٰانِ اللّٰهِ (۲).

و لما اندرس ذلک،و أقبل الخلق علی اتباع الشهوات،و هجروا التجرد لعباده اللّه تعالی،و فروا عنها،بعث اللّه تعالی من سره البطحاء محمدا(ص)، لاحیاء طریق الآخره،و تجدید سنه المرسلین فی سلوکها،فسأله أهل الملل من الرهبانیه و السیاحه فی دینه،فقال(ص):«أبدلنا بالرهبانیه الجهاد و التکبیر علی کل شرف-یعنی الحج-و أبدلنا بالسیاحه الصوم».فانعم اللّه علی هذه الأمه،بأن جعل الحج رهبانیه لهم،فهو بإزاء أعظم التکالیف و الطاعات فی الملل السابقه.

فصل (ما ینبغی فی الحاج)

ینبغی للحاج،عند توجهه إلی الحج،مراعات أمور:

الأول-أن یجرد نیته للّه،بحیث لا یشوبها شیء من الأغراض الدنیویه،و لا یکون باعثه علی التوجه إلی الحج الا امتثال امر اللّه،و نیل

۱- ۱) المائده،الآیه:۸۵.

۲- ۲) الحدید،الآیه:۲۷.

ثوابه،و الاستخلاص من عذابه،فليحذر كل الحذر ان يكون له باعث آخر،مكنون فی بعض زوايا قلبه،کالرياء و الحذر عن ذم الناس و تفسيقهم لو لاـ يحج،او الخوف من الفقر و تلف امواله لو ترک الحج،لما اشتهر من ان(تارک الحج يبتلی بالفقر و الادبار)،او قصد التجاره او شغل آخر، فان کل ذلک يخرج العمل من الإخلاص،و يحجبه عن الفائده و ترتب الثواب الموعود،و ما اجهل من تحمل الاعمال الشاقه التی يمکن ان تحصل بها سعاده الابد،لأجل خيالات فاسده لا يترتب عليها سوی الخسران فائده، فيجتهد کل الجهد ان يجعل عزمه خالصا لوجه اللّه،بعيدا عن شوائب الرياء و السمعه،و يتيقن انه لا يقبل من قصده و عمله إلاـ الخالص،و ان من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملک و حرمه و المقصود غيره،فليصحح فی نفسه العزم،و تصحيحه باخلاصه باجتناب کل ما فيه رياء و سمعه.

الثانی-ان يتوب إلی اللّه تعالی توبه خالصه،و يرد المظالم،و يقطع علاقه قلبه عن الالتفات إلی ما وراءه،ليکون متوجها إلی اللّه بوجه قلبه، و يقدر انه لا يعود،و ليکتب وصيته لاهله و أولاده،و يتهيأ لسفر الاخره، فان ذلک بين يديه علی قرب،و ما تقدمه من هذا السفر تهيئه لاسباب ذلک السفر،فهو المستقر و إليه المصير.فلا ينبغی ان يغفل عن ذلک عند الاستعداد لهذا،فليتذکر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الاخره.

الثالث-ان يعظم فی نفسه قدر البيت و قدر رب البيت،و يعلم انه ترک الأهل و الاوطان،و فارق الاحبه و البلدان،للعزم علی امر رفيع شأنه،خطير امره:اعنی زياره بيت اللّه الذی جعل مثابه للناس،فسفره هذا لا يضاهی اسفار الدنيا.فليحضر فی قلبه ما ذا يريد،و اين يتوجه،و زياره من

يقصد،و انه متوجه إلى زياره ملك الملوك فى زمره الزائرين إليه،الذين تودوا فأجابوا،و شوقوا فاشتاقوا،و دعوا فقطعوا العلائق،و فارقوا الخلائق و أقبلوا على بيت اللّه الرفيع قدره و العظيم شأنه،تسليا بلقاء البيت على لقاء صاحبه،الى ان يرزقوا منتهى مناهم،و يسعدوا بالنظر إلى مولاهم،فليحضر فى قلبه عظم السفر،و عظمه البيت،و جلاله رب البيت،و يخرج معظما لهما،ناويا ان لم يصل و ادركته المنيه فى الطريق لقى اللّه وافدا إليه بمقتضى وعده.

الرابع-ان يخلى نفسه عن كل ما يشغل القلب،و يفرق الهم فى الطريق،او المقصود،من معامله او مثلها،حتى يكون الهم مجردا للّه، و القلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر اللّه و تعظيم شعائره،متذكرا عند كل حركه و سكون أمرا أخرويا يناسبه.

الخامس-ان يكون زاده حلالا،و يوسع فيه و يطيبه،و لا يغتم ببذله و انفاقه،بل كان طيب النفس به،إذ إنفاق المال فى طريق الحج نفقه فى سبيل اللّه،و الدرهم منه بسبعمائه درهم،قال رسول اللّه(ص):«من شرف الرجل ان يطيب زاده إذا خرج فى سفر».و كان السجاد(ع)اذا سافر إلى الحج،يتزود من أطيب الزاد،من اللوز و السكر و السويق المحمض و المحلى.و قال الصادق(ع):«اذا سافرتم،فاتخذوا سفره و تنوقوا فيها».و فى روايه:«انه يكره ذلك فى زياره الحسين(ع)».نعم ينبغى ان يكون الإنفاق على الاقتصاد من دون تقتير و لا أسراف،و المراد بالاسراف التنعم بأطائب الأطعمه،و الترفه بصرف انواعها على ما هو عاده المترفين،و اما كثره البذل على المستحقين،فلا أسراف فيه،اذ لا خير فى السرف،و لا سرف فى الخير.و ينبغى-أيضا-ان يكون له طيب النفس فيما أصابه من خسران و مصيبه فى مال و بدن،لان ذلك من دلائل

قبول حجه،فان ذهاب المال فی طریق الحج یعد الدرهم منه سبعمائه فی سبیل اللّه،فالمصیبه فی طریق الحج بمثابه الشدائد فی طریق الجهاد، فله بکل أذی احتمله و خسران أصابه ثواب،فلا یضیع منه شیء عند اللّه.

السادس-أن یحسن خلقه،و یطیب کلامه،و یکثر تواضعه، و یجتنب سوء الخلق و الغلظه فی الکلام،و الرفث و الفسوق و الجدال، و الرفث اسم جامع لکل فحش و لغو و خنی،و الفسوق اسم جامع لکل خروج عن طاعه اللّه،و الجدال هو المبالغه فی الخصومه و المماراه بما یورث الضغائن و یفرق الهم و یناقض حسن الخلق.قال رسول اللّه (ص):«الحج المبرور لیس له جزاء الا الجنه»،فقیل:یا رسول اللّه،ما بر الحج؟قال:«طیب الکلام و إطعام الطعام»أ فلا ینبغی ان یکون کثیر الاعتراض علی رفیقه و جماله،و علی غیرهما من أصحابه،بل یلین جانبه، و یخفض جناحه للسائرین إلی بیت اللّه،و یلزم حسن الخلق،و لیس حسن الخلق مجرد کف الاذی،بل احتمال الاذی،و قیل:سمی السفر سفرا، لانه یسفر عن أخلاق الرجال.

السابع-ان یکون اشعث أغبر،غیر متزین و لا مائل إلی أسباب التفاخر و التکاثر،فیکتب فی المتکبرین و یخرج عن حزب الضعفاء و المساکین، و یمشی ان قدر،خصوصا بین المشاعر.و فی الخبر:«ما عبد اللّه بشیء أفضل من المشی».و ینبغی ألا یکون الباعث للمشی تقلیل النفقه،بل التعب و الریاضه فی سبیل اللّه،و لو کان القصد تقلیل النفقه مع الیسار فالرکوب أفضل.و کذا الرکوب أفضل لمن ضعف بالمشی،و ساء خلقه،و قصر فی العمل،ففی الخبر:«ترکبون أحب الی،فان ذلک أقوی علی الدعاء و العباده».

و کان الحسن بن علی-علیهما السلام-یمشی و تساق معه المحامل و الرحال.

ص :۳۸۹

و إذا حضـرت الراحله ليركبها،فليشـرك اللّه تعالى بقلبه على تسخيره له الدواب،لتتحمل عنه الاذى،و تخفف عنه المشقه.و ينبغى ان يرفق بها، فلا يحملها ما لا تطيق.

فصل (الميقات)

اذا خرج عن وطنه،و دخل إلى الباديه،متوجها إلى الميقات، و شاهـد العقبات،فليتـذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقـات يوم القيـامه،و ما بينهما من الأهوال و المطالبات،و ليتـذكر من هول قطاع الطريق هول منكر و نكير،و من سـباع البوادى و حياتهـا و عقاربهـا حيات القبر و افاعيها و عقاربها و ديـدانها،و من افراده عن أهله و اقاربه وحشه القبر و وحـدته و كربته،و ليكن فى هذه المخاوف فى أعماله و اقواله متزودا لمخاوف القبر.

فصل (ما ينبغى فى الميقات)

اذا دخـل الميقـات،و لبس ثوبى الإـحرام،فليتـذكر عنـد لبسـهما لبس الكفن و لفه فيه،و انه سـيلقى اللّه ملفوفـا فى ثياب الكفن لا محاله،فكما لا يلقى بيت اللّه الا بهيئه وزى يخالف عادته،فكـذلك لا يلقى اللّه بعـد الموت الا فى زى يخالف زى الـدنيا،و هـذا الثوب قريب من ذلك الثوب.

اذ ليس مخيطـا،كمـا ان الكفن أيضـا ليس مخيطـا،و إذا احرم و تلـبى،فليعلم ان الإـحرام و التلبيه إجـابه نـداء اللّه،فليرج ان يكون مقبولاـو ليخش ان يكون مردودا، فيقـال:لاـ لبيـك و لا سـعديك!فليكن بين الخوف و الرجاء مترددا،و عن حوله و قوته متبرا،و على فضل اللّه و كرمه متكلا.فان وقت التلبيه هو

بدایه الامر،و هو محل الخطر. و قد روی:«ان علی بن الحسین-علیهما السلام-لما أحرم،و استوت به راحلته،اصفر لونه و انتفض،و وقعت علیه الرعده،و لم یستطع ان یلبی.فقیل له:لم لا تلبی؟فقال:اخشی ان یقول ربی:لا لبیک و لا سعدیک!فلما لبی غشی علیه و سقط من راحلته.

فلم یزل یعتریه ذلک حتی قضی حجه».فلیتذکر الملبی عند رفع الأصوات فی المیقات خائفا راجیا،انه إجابه لنداء اللّه تعالی،اذ قال تعالی:

وَ أَذِّنْ فِی النّاسِ بِالْحَجِّ یَأْتُوکَ رِجالاً

(۱)

.

و یتذکر من هذا النداء نداء الخلق بنفخ الصور،و حشرهم من القبور، و ازدحامهم فی عرصات القیامه لنداء اللّه،منقسمین إلی مقربین و مبعدین، و مقبولین و مردودین،و مردودین فی أول الامر بین الخوف و الرجاء،مثل تردد الحاج فی المیقات،حیث لا یدرون أ یتیسر لهم إتمام الحج و قبوله أم لا.

فصل (ما ینبغی عند دخول مکه)

ینبغی ان یتذکر عند دخول مکه:انه قد انتهی إلی حرم من دخله کان آمنا،و لیرج عنده ان یأمن بدخوله من عقاب اللّه،و لیضطرب قلبه من الا یکون أهلا للقرب و القبول،فیکون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت،و لیکن رجاؤه فی جمیع الأوقات غالبا،اذ شرف البیت عظیم، و رب البیت کریم،و الرحمه واسعه،و الفیوضات نازله،و حق الزائر منظور،و اللائذ المستجیر غیر مردود.و إذا وقع البصر علی البیت، فلیحضر فی قلبه عظمته،و یقدر کأنه مشاهد لرب البیت لشده تعظیمه،

۱- ۱) الحج،الآیه:۲۷.

و لیرج ان یرزقه لقاءه کما رزقه لقاء بیته،و لیشکر اللّه علی تبلیغه إیاه إلی بیته،و الحاقه إیاه بزمره الوافدین إلیه،و یتذکر عند ذلک ایصاب الخلائق الی جهه الجنه آملین لدخولها کافه،ثم انقسامهم إلی مأذونین فی الدخول و مصروفین عنها،انقسام الحاج إلی مقبولین و مردودین.

فصل (ما ینبغی عند الطواف)

و ینبغی عند الطواف ان یمتلئ قلبه من التعظیم و المحبه و الخوف و الرجاء،و یعلم انه فی الطواف متشبه بالملائکه المقربین الطائفین حول العرش،و لیعلم ان المقصود طواف قلبه بذکر رب البیت،دون مجرد طواف جسمه بالبیت،فلیبتدئ الذکر به و یختم به،کما یبتدأ الطواف من البیت و یختم بالبیت،فروح الطواف و حقیقته هو طواف القلب بحضره الربوبیه و البیت مثال ظاهر فی عالم الشهاده لتلک الحضره التی لا تشاهد بالبصر،و هو عالم الغیب و عالم الملک و الشهاده،مدرجه إلی عالم الغیب و الملکوت لمن فتح له الباب.و ما ورد من ان البیت المعمور فی السماوات بإزاء الکعبه،و ان طواف الملائکه بها کطواف الانس بهذا البیت،و ربما کان إشاره إلی ما ذکرناه من المماثله،و لما قصرت رتبه الأکثرین عن مثل ذلک الطواف، أمروا بالتشبه بهم بقدر الإمکان،و وعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم.

فصل (ما ینبغی عند استلام الحجر)

ینبغی أن یتذکر عند استلام الحجر الأسود،أنه بمنزله یمین اللّه فی أرضه،و فیه مواثیق العباد.قال رسول اللّه(ص):«استلموا الرکن،فانه

يميـن اللّـه فى خلقـه،يصافـح بهـا خلقـه مصـافحه العبـد او الـدخيل،و يشـهد لمن اسـتلمه بالموافـاه»،و مراده(ص)بـالركن:الحجر الأسود،لأنه موضوع فيه،و إنما شـبه باليمين،لأنه واسـطه بين اللّه و بين عباده فى النيل و الوصول و التحبب و الرضا،كاليمين حين التصافح. و قال الصادق(ع):«إن اللّه تبارك و تعالى لما أخذ مواثيق العباد،أمر الحجر فالقمها،فلذلك يقال:امانتى اديتها، و ميثاقى عاهدته،لتشـهد لى بالموافاه».و قال(ع):«الركن اليمانى باب من أبواب الجنه،لم يغلقه اللّه منذ فتحه».و قال(ع):«الركن اليمانى بابنا الـذى يـدخل منه الجنه،و فيه نهر من الجنه تلقى فيه اعمـال العبـاد»،قيـل:انما شـبه بباب الجنه،لأن اسـتلامه وسـيله إلى وصولها،و بالنهر،لأنه تغسل به الذنوب.

ثم لتكن النيه فى الاستلام و الالتصاق بالمستجار،بل الممارسه لكل جزء من البيت،طلب القرب حبا و شوقا للبيت و لرب البيت،و تمسـكا و تبركـا بالممـارسه،و رجـاء للتحصن عن النـار فى كل جزء لا فى البيت،و لتكن نيته فى التعلق بأسـتار البيت الالحاح فى طلب المغفره و سؤال الأمان،كالمقصـر المتعلق بثياب من قصـر فى حقه،المتضـرع إليه فى عفوه عنه،المظهر له أنه لا ملجأ منه إلا إليه،و لا مفزع إلا عفوه و كرمه،و أنه لا يفارق ذيله حتى يعفو عنه،و يعطيه الأمان فى المستقبل.

فصل (السعى)

السـعى بين الصـفا و المروه فى فناء البيت،يضاهى تردد العبـد بفتاء دار الملك،جائيا و ذاهبا مره بعـد أخرى،إظهارا للخلوص فى الخدمه،و رجاء للملاحظه بعين الرحمه،كالذى دخل على الملك و خرج،و هو لا يدرى ما

الـذی یقضـی به الملـک فی حقه من قبول أورد،فلا یزال یتردد علی فناء الـدار مره بعـد أخری،یرجوا أن یرحمه فی الثانیه إن لم یرحمه فی الأولی، و لیتذکر عند تردده التردد بین الکفتین،ناظرا إلی الرجحان و النقصان، مرددا بین العذاب و الغفران.

فصل (ما ینبغی عند الوقوف بعرفات)

و أمـا الوقوف بعرفـات،فلیتـذکر بمـا یری من ازدحام الخلق،و ارتفاع الأصوات،و اختلاف اللغات،و اتباع الفرق أئمتهم فی التردد علی المشاعر:

عرصـات یوم القیـامه و أ هوالها،و انتشار الخلائق فیها حیاری،و اجتماع الأمم مع الأنبیاء و الأئمه،و اقتفاء کل أمه نبیهم،و طمعهم فی شـفاعته لهـم، و تحیرهـم فی ذلـک الصـعید الواحـد بیـن الرد و القبـول.و إذا تـذکر ذلـک،فلیتضـرع الی اللّه تعـالی و یبتهل إلیه،لیقبل حجه و یحشره فی زمره الفائزین المرحومین.

و ینبغی ان یحقـق رجـاءه،إذ الیـوم شـریف و الموقف عظیم،و النفوس من أقطـار الأـرض فیه مجتمعه،و القلوب إلی اللّه سـبحانه منقطعه،و الهمم علی الـدعاء و السـؤال متظـاهره،و بواطن العبـاد علی التضـرع و الابتهـال متعـاونه، و أیـدیهم إلی حضـره الربوبیه مرتفعه،و أبصـارهم إلی بـاب فیضه شـاخصه، و أعنـاقهم إلی عظیم لطفه و بره ممتـده،و لا یمکن ان یخلو الموقف عن الأخیار و الصالحین،و .رباب القلوب و المتقین،بل الظاهر حضور طبقات الابدال و أوتاد الأرض فیه،فلا تستبعدون ان تصل الرحمه من ذی الجلال بواسطه القلوب العزیزه و النفوس القادسه الشریفه إلی کافه الخلیقه،و لا تظنن انه یخیب آمال الجمیع،و یضیع سعیهم،و لا یرحم غربتهم و انقطاعهم

عن الأهل و الاوطان،فان بحر الرحمه أوسع من ان يضن به فى مثل هذه الحاله،و لذا ورد:أنه من أعظم الذنوب ان يحضر عرفات و يظن ان اللّه لم يغفر له.

فصل (المشعر)

و إذا فاض من عرفات و دخل المشعر،فليتذكر عند دخوله فيه:ان اللّه سبحانه قد أذن له فى دخول حرمه بعد ان كان خارجا عنه،إذ المشعر من جمله الحرم،و عرفات خارجه عنه،فليتفاءل من دخول الحرم،بعد خروجه عنه،بأن اللّه سبحانه قربه إليه و كساه خلع القبول،و أجاره و آمنه من العذاب و البعد،و جعله من أهل الجنه و القرب.

فصل (ما ينبغى عند الرمى و الذبح)

و إذا ورد منى،و توجه إلى رمى الجمار،فليقصد به الانقياد و الامتثال، إظهارا للرق و العبوديه،و تشبيها بالخليل الجليل(ع)،حيث عرض له ابليس اللعين فى هذا الموضع ليفسد حجه،فأمره اللّه تعالى ان يرميه بالحجاره طردا له و قطعا لأصله.و ينبغى ان يقصد انه يرمى الحصا إلى وجه الشيطان و يقصم به ظهره،و يرغم به أنفه،إذ امتثال امر اللّه تعالى تعظيما له يقصم ظهر اللعين و يرغم انفه.و إذا ذبح الهدى،فليستحضر ان الذبح إشاره الى انه بسبب الحج قد غلب على الشيطان و النفس الاماره و قتلهما،و بذلك استحق الرحمه و الغفران،و لذا ورد:انه يعتق بكل جزء من الهدى جزء منه النار.فليجتهد فى التوبه و الرجوع عما كان عليه قبل ذلك من الاعمال

القبیحه،حتی یصیر حاله أحسن من سابقه،لیصدق علیه إذلاله الشیطان و النفس الاماره فی الجمله،و لا یکون فی عمله من الکاذبین.و لذلک ورد:

ان علامه قبول الحج:أن یصیر حاله بعد الحج أحسن مما کان علیه قبله.و فی الخبر:أن علامه قبول الحج ترک ما کان علیه من المعاصی،و أن یستبدل باخوانه البطالین اخوانا صالحین،و بمجالس اللهو و الغفله مجالس الذکر و الیقظه.

تتمیم (أسرار الحج)

قد ورد عن مولانا الصادق(ع)خبر یتضمن عمده أسرار الحج و دقائقه،فلنذکره تیمنا بکلماته الشریفه:

قال(ع):«اذا أردت الحج،فجرد قلبک للّه عز و جل،من قبل عزمک،من کل شغل شاغل و حجب کل حاجب،و فوض أمورک کلها إلی خالقک،و توکل علیه فی جمیع ما یظهر من حرکاتک و سکناتک،و سلم لقضائه و حکمه و قدره،و ودع الدنیا و الراحه و الخلق،و اخرج من حقوق یلزمک من جهه المخلوقین،و لا تعتمد علی زادک و راحلتک و اصحابک و قوتک و شبابک و مالک،مخافه ان یصیر ذلک عدوا و وبالا،فان من ادعی رضا اللّه،و اعتمد علی شیء ما سواه،صیره علیه عدوا و وبالا، لیعلم أنه لیس له قوه و لا حیله و لا لأحد الا بعصمه اللّه تعالی و توفیقه، و استعد استعداد من لا یرجو الرجوع،و أحسن الصحبه،و راع أوقات فرائض اللّه تعالی و سنن نبیه(ص)،و ما یجب علیک من الأدب، و الاحتمال،و الصبر،و الشکر،و الشفقه،و السخاوه،و إیثار الزاد

على دوام الأوقات،ثم اغسل بماء التوبه الخالصه ذنوبك،و البس كسوه الصدق و الصفاء و الخضوع و الخشوع،و احرم من كل شيء يمنعك عن ذكر اللّه عز و جل و يحجبك عن طاعته،و لب بمعنى إجابه صافيه خالصه زاكيه للّه عز و جل في دعوتك له،متمسكا بالعروه الوثقى،و طف بقلبك مع الملائكه حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت.و هرول هروله فرا من هواك،و تبرأ من جميع حولك و قوتك،و اخرج من غفلتك و زلاتك بخروجك إلى منى،و لا تتضمن مالا يحل لك و لا تستحقه،و اعترف بالخطإ بالعرفات،و جدد عهدك عند اللّه تعالى بوحدانيته،و تقرب إليه، و اتقه بمزدلفه،و اصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل، و اذبح حنجره الهوى و الطمع عند الذبيحه،و ارم الشهوات و الخساسه و الدناءه و الافعال الذميمه عند رمي الجمرات،و أحلق العيوب الظاهره و الباطنه بحلق شعرك،و ادخل في امان اللّه و كنفه و ستره و كلاءته من متابعه مرادك بدخول الحرم،و زر البيت متحققا لتعظيم صاحبه و معرفته و جلاله،و استلم الحجر رضى بقسمته و خضوعا لعظمته،و ودع ما سواه بطواف الوداع،و صف روحك و سرك للقاء اللّه تعالى يوم تلقاه بوقوفك على الصفا،و كن ذا مره من اللّه بفناء أوصافك عند المروه،و استقم على شروط حجتك،و وفاء عهدك الذي عاهدت ربك،و أوجبت له إلى يوم القيامه،و اعلم بان اللّه لم يفترض الحج،و لم يخصه من جميع الطاعات بالإضافه إلى نفسه بقوله تعالى:

وَ لِلّٰهِ عَلَى النّٰاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطٰاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً

(١)

ص: ٣٩٧

١- ١) آل عمران،الآيه:٩٧.

و لا شرع نبیه(ص)سنه فی خلال المناسک علی ترتیب ما شرعه، إلا للاستعداد و الإشاره إلی الموت و القبر و البعث و القیامه،و فضل بیان السبق من دخول الجنه أهلها و دخول النار أهلها،بمشاهده مناسک الحج من أولها إلی آخرها،لاولی الألباب و أولی النهی» (۱).

خاتمه (زیاره المشاهد)

اشاره

فی الإشاره إلی بعض الأمور الباطنه المتعلقه بزیاره المشاهد.

اعلم ان النفوس القویه القدسیه،لا سیما نفوس الأنبیاء و الأئمه(ع)، اذا نفضوا أبدانهم الشریفه،و تجردوا عنها،و صعدوا إلی عالم التجرد، و کانوا فی غایه الإحاطه و الاستیلاء علی هذا العالم،فامور هذا العالم عندهم ظاهره منکشفه،و لهم القوه و التمکن علی التأثیر و التصرف فی موارد هذا العالم،فکل من یحضر مقابرهم لزیارتهم یطلعون علیه،لا سیما و مقابرهم مشاهد أرواحهم المقدسه العلیه،و محال حضور أشباحهم البرزخیه النوریه، فانهم هناک یشهدون، بَلْ أَحْیٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ (۲)و بما آتاهم اللّه من فضله فرحون،فلهم تمام العلم و الاطلاع بزائری قبورهم،و حاضری مراقدهم،و ما یصدر عنهم من السؤال و التوسل و الاستشفاع و التضرع،فتهب علیهم نسمات ألطافهم،و تفیض علیهم من رشحات أَنوارهم،و یشفعون إلی اللّه فی قضاء حوائجهم،و إنجاح

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۲۱.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۶۹.

مقاصدهم،و غفران ذنوبهم،و كشف كروبهم.فهذا هو السر فى تأكد استحباب زياره النبى و الأئمه-عليهم السلام-،مع ما فيه من صلتهم و برهم و اجابتهم،و إدخال السرور عليهم،و تجدد عهد ولايتهم،و احياء امرهم،و إعلاء كلمتهم،و تنكيت أعدائهم.و كل واحد من هذه الأمور مما لا يخفى عظيم أجره و جزيل ثوابه.و كيف لا تكون زيارتهم أقرب القربات،و أشرف الطاعات،مع ان زياره المؤمن-من جهه كونه مؤمنا فحسب-عظيم الأجر جزيل الثواب،و قد ورد به الحث و التوكيد و التغريب الشديد من الشريعه الطاهره،و لذلك كثر تردد الأحياء إلى قبور أمواتهم للزياره،و تعارف ذلك بينهم،حتى صارت لهم سنه طبيعيه، و أيضا قد ثبت و تقرر جلاله قدر المؤمن عند اللّه،و ثواب صلته و بره و إدخال السرور عليه.و إذا كان الحال فى المؤمن من حيث إنه مؤمن،فما ظنك بمن عصمه الله من الخطأ،و طهره من الرجس،و بعثه اللّه إلى الخلائق أجمعين،و جعله حجه على العالمين،و ارتضاه إماما للمؤمنين،و قدوه للمسلمين،و لأجله خلق السماوات و الأرضين،و جعله صراطه و سبيله، و عينه و دليله،و بابه الذى يؤتى منه،و نوره الذى يستضاء به،و أمينه على بلاده،و حبله المتصل بينه و بين عباده،من رسل و أنبياء و أئمه و أولياء.

ثم،الأخبار الوارده فى فضيله زياره النبى و الأئمه-عليهم السلام- مما لا تحصى كثره.قال رسول اللّه(ص):«من زار قبرى بعد موتى كان كمن هاجو إلى فى حياتى،فان لم تستطيعوا فابعثوا إلى بالسلام،فانه يبلغنى».

و قال(ص)لأمير المؤمنين(ع):«يا أبا الحسن،إن اللّه تعالى جعل قبرك و قبر ولدك بقاعا من بقاع الجنه،و عرصه من عرصاتها،و إن اللّه جعل قلوب نجباء من خلقه،و صفوه من عباده،تحن إليكم،و تحتمل المذله

و الـذی فیکم،فیعمرون قبـورکم،و یکـثرون زیارتهـا،تقربـا منهم إلی اللّه، و مـوده منهم لرسـوله،أولئـک یـا علی المخصوصـون بشـفاعتی،و الواردون حوضـی،و هم زواری و جیرانی غـدا فی الجنه.یا علی،من عمر قبورهم و تعاهـدها فکأنما أعان سـلیمان بن داود علی بنـاء بیت المقـدس،و من زار قبـورکم عـدل ذلـک سـبعین حجه بعـد حجه الإسـلام،و خرج من ذنوبه حـتی یرجع من زیـارتکم کیوم ولـدته أمه.فأبشـر،و بشـر أولیـاءک و محبیک من النعیم و قره العین، بما لا عین رأت،و لا إذن سـمعت،و لا خطر علی قلب بشـر،و لکن حثـاله من النـاس یعیرون زوار قبورکم،کمـا تعیر الزانیه بزناهـا،أولئـک شـرار أمتی،لا تنالهم شـفاعتی،و لا یردون حوضـی» (۱). و قال الصادق (ع):«لو ان أحدکم حج دهره،ثم لم یزر الحسـین بن علی-علیهما السـلام-، لکان تارکا حقا من حقوق رسول اللّه(ص)،لان حق الحسـین علیه السـلام فریضه من اللّه واجبه علی کـل مسـلم». و قـال الرضا(ع):«ان لکل إمام عهـدا فی عنق أولیائه و شـیعته،و إن من تمام الوفاء بالعهـد و حسن الاداء زیاره قبورهم،فمن زارهم رغبه فی زیارتهم،و تصـدیقا بما رغبوا فیه، کان أئمته شـفعاءه یوم القیامه». و الاخبار فی فضل زیاره النبی و الأئمه المعصومین،لا سـیما زیاره سـید الشـهداء و أبی الحسـن الرضـا-علیهـم أفضـل التحیه و الثنـاء-،و فضـل زیارتهمـا علی الحـج و العمره و الجهـاد،أکـثر من ان تحصـی،و هی مذکوره فی کتب المزار لاصحابنا،فلا حاجه إلی إیرادها هنا.

ص: ۴۰۰

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مستدرک الوسائل):۲-۱۹۵-۱۹۶،کتاب الحج،۱۰،ابواب المزار و ما یناسبه.

فصل (ما ينبغى للزائر عند دخول المدينه المنوره)

و إذا عرفت فضل زيارتهم و سرها،و عظم قدرهم و جلاله شأنهم، فينبغى أن تكثر التواضع و التخضع و الانكسار عند الدخول فى بلادهم، و مراقدهم المنوره،و مشاهدهم المكرمه،و تستحضر فى قلبك عظمتهم و جلالهم،و تعرف عظيم حقهم،و غايه جدهم و سعيهم فى إرشاد الناس و إعلاء كلمه اللّه.

فإذا قربت المدينه المنوره،و وقع بصرك على حيطانها،تذكر أنها البلده التى اختارها اللّه لنبيه(ص)،و جعل إليها هجرته،و انها البلده التى فيها شرع فرائض ربه و سننه،و جاهد عدوه،و اظهر بها دينه،و لم يزل قاطنا بها إلى ان توفاه اللّه،و جعل تربته فيها.

ثم مثل فى نفسك اقدام رسول اللّه(ص)عند ترddاتك فيها،و تذكر أنه ما من موضع قدم تطأه الا و هو موضع قدمه العزيز،فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينه و وجل،و كن متذكرا لمشيه و تخطيه فى سككها، و تصور سكينته و وقاره،و خشوعه و تواضعه لعظمه ربه،و ما استودع اللّه فى قلبه من عظيم معرفته و رفعه ذكره،حتى قرنه بذكر نفسه،و انزل عليه كلامه العزيز،و اهبط عليه روح الأمين و سائر ملائكته المقربين، و احبط عمل من هتك حرمته،و لو برفع صوته فوق صوته.ثم تذكر ما من اللّه به على الذين ادركوا صحبته،و سعدوا بمشاهدته و استماع كلامه،و أعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته،و تضرع إلى اللّه ألا تفوتك صحبته فى الآخره، و لتعظم رجاءك فى ذلك،بعد ان رزقك اللّه الايمان،و اشخصك من أرضك لأجل زيارته،محبه له،و تشوقا إليه.

ثم إذا دخلت مسجده،فتذكر أن أول موضع أقيمت فيه فرائض اللّه تلك العرصه،و انها تضمنت أفضل خلق اللّه حيا و ميتا،فارج اللّه غايه الرجاء أن يرحمك بدخولك إياه خاشعا معظما،و ما أجدر ذلك المكان بان يستدعى الخضوع من قلب كل مؤمن.

ثم إذا أتيته للزياره،فينبغى ان تقف بين يديه خاضعا خاشعا خائفا، و تزوره ميتا كما تزوره حيا،و لا تقرب من قبره الا كما تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا،إذ لا فرق بين ميته و حيه،و لو وجدت التفرقه فى قلبك لما كنت مؤمنا،و لتعلم أنه عالم بحضورك و قيامك و زيارتك،و أنه يبلغه سلامك و صلواتك.فمثل صورته الكريمه فى خيالك،جالسا على سرير العظمه بحذائك.و احضر عظيم رتبته فى قلبك،و قد ورد:أن اللّه تعالى و كل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته.و هذا فى حق من لم يحضر قبره،فكيف بمن فارق الأهل و الوطن،و قطع البوادى شوقا إلى لقائه،و اكتفى و قنع بمشاهده مشهده المنور،إذ فاتته مشاهده طلعته البهيه و غرته الكريمه.و قد قال(ص):«من صلى علىّ مره،صليت عليه عشرا».فهذا جزاؤه عليه فى الصلاه عليه بلسانه، فكيف بالحضور لزيارته ببدنه؟ و إذا فرغت من زيارته،فأت المنبر و امسحه بيدك،و خذ برمانيته، و امسح بهما وجهك و عينيك،و تضرع إلى اللّه،و ابتهل إليه،و اسأل حاجتك.و توهم صعود النبى(ص)المنبر،و مثل فى قلبك طلعته البهيه، قائما على المنبر،و قد أحدق به المسلمون من المهاجرين و الأنصار،و هو يحمد اللّه بافصح الكلمات و اللغات و يحث الناس على طاعه اللّه.و اسأل اللّه ألا يفرق فى القيامه بينه و بينك،و يجعلك فى جواره،و يعطيك منزلا فى قرب داره.

ص :۴۰۲

فصل (ما ينبغى للزائر عند دخول النجف و كربلاء)

و إذا دخلت ارض النجف لزياره أمير المؤمنين و سيد الوصيين(ع)، تذكر انها وادى السلام،و مجمع أرواح المؤمنين،و قد شرفها اللّه و جعلها أشرف البقاع،و جنه المؤمنين،فما من مؤمن خالص إلا و بعد الموت يأتى روحه إليها،و يتنعم فيها مع سائر المؤمنين،الى ان يدخلوا دار كرامته العظمى فى القيامه الكبرى.و قد اكد شرافتها و عظم قدرها، بأن جعلها مدفن وصى رسوله،بعد ان كانت مدفن آدم أبى البشر،و نوح شيخ المرسلين-عليهما السلام-.فاسأل اللّه ان يأتى بروحك إليها، و يدخلك فى زمره المؤمنين،و يجعلها محل دفنك،لتنال شفاعه مولاك (ع)،و لا يحشرك مع الكفار و العصاه فى وادى برهوت.

و إذا أتيت لزيارته،تذكر عظيم مرتبته عند اللّه و عند رسوله،و راع الآداب التى ذكرناها فى زياره رسول اللّه(ص).

و إذا أردت أرض كربلاء،لزياره سيد الشهداء(ع)،فتذكر ان هذه الأرض هى التى قتل فيها سبط الرسول و أولاده و اقاربه و اجناده، و أسرت فيها أهاليه و أهل بيته،و فجدد الحزن على قلبك،و ادخلها أشعث اغبر،منكسر الحال،محزون القلب،كئيبا حزينا باكيا،و احضر فى قلبك حرمه هذه الأرض و شرافتها،فانها الأرض التى فى تربتها الشفاء،و لا يرد فيها الدعاء،و قد يجعلها اللّه يوم القيامه ارفع بقاع الجنه،فتردد فيها على سكينه و وجل.

ثم إذا دخلت الحائر اللزياره،و وقع بصرك على ضريحه المنور،ثم

على ضريح أصحابه المستشهدين معه،المجتمعين فى موضع واحد فى جواره، فمثل فى قلبك اشخاصهم،و تذكر وقائعهم و ما جرى عليهم من البلايا و المحن، و احضر فى نفسک ابا عبد اللّه الحسين(ع)واقفا فى عرصه كربلاء،و يأتى أصحابه واحدا واحدا يستأذن منه للجهاد،قائلا:السلام عليك يا ابا عبد اللّه!و هو يأذن له،و يلقى نفسه فى الميدان على الجم الغفير، فيقتل فى سبيله،و إذا أيس من حياته،ينادى بأعلى صوته:ادركنى يا ابا عبد اللّه!و هو(ع)يسرع إليه كالصقر المنقض،و يأخذ جثته من الميدان،و يلحقه بسائر اخوانه الشهداء.فمثل فى نفسک أمثال ذلك،و جدد عليهم الحزن و البكاء،و تمن كونك معهم فى تلك العرصه،و قل:يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما! ثم راع الآداب الباطنه لزيارته(ع)،و قس على ذلك زياره كل واحد من الأئمه-عليهم السلام-،فانه ينبغى لك ان تستحضر،عند حضورك كل واحد منهم،جلاله شأنه،و عظمه قدره،و عظيم حقه،و تتذكر ما يناسب حاله،و ما جرى عليه،ثم تستشعر فى قلبك ما يترتب عليه، من التعظيم،و الاجلال،و الخوف،و الحزن،و الفرح،و أمثال ذلك.

هذا آخر كتاب(جامع السعادات)و الحمد للّه على اتمامه،و اسأل اللّه ان يجعلنا من العاملين به،و ينفع به جميع عباده السالكين إليه.و قد وقع الفراغ من جمعه و تأليفه،فى سلخ شهر ذى القعده الحرام سنه ست و تسعين و مائه بعد الألف من الهجره النبويه،على مهاجرها الف الف سلام و تحيه.

هذا آخر ما كتبه المصنف(قدس سره)

ص:۴۰۴

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.